

# فتح المبدي
# بشرح مختصر الزبيدي

للعلامة الشيخ عبد الله بن حجازي الشرقاوي
المتوفى سنة ١٢٢٧هـ

وهو شرح على المختصر المذكور المسمى

**التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**

للإمام الحافظ زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي
المتوفى سنة ٨٩٣هـ

ضبط نصه

**الشيخ عبد القادر محمد علي**

**تنبيه:**
وضعنا في أعلى الصفحات نص مختصر الزبيدي وهو «التجريد الصريح»، ووضعنا تحته شرح الشرقاوي مفصولاً بينهما بجدول

**الجزء الثالث**

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2497-8






http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : baydoun@dm.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# كتاب بدء الخلق

عن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال: جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: «يا بني تميم أبشروا»، فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجهه، فجاء أهل اليمن فقال: «يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا فأخذ النبي ﷺ يحدث بدء الخلق والعرش فجاء رجلٌ فقال: يا عمران راحلتك تَفَلتت ليتني لم أقم.

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كان الله ولم

---

## (كتاب بدء) أي ابتداء (الخلق)

بمعنى المخلوق **(عن عمران بن حُصين)** بضم أوله **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: جاء نفر)** عدةُ رجالٍ من ثلاثة إلى عشرة سنة تسع **(من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: «يا بني تميم أبشروا»)** بهمزة قطعٍ أي بما يقتضي دخول الجنة وذلك حيث عرَّفهم أصول العقائد التي هي المبدأ والمعاد وما بينهما ولما لم يكن جلُّ اهتمامهم إلاَّ بشأن الدنيا والاستعطاء **(فقالوا)** وفي نسخةٍ قالوا **(بشرتنا)** وإنما جئنا للاستعطاء **(فأعطنا)** من المال، قيل: من القائلين الأقرع بن حابس كان فيه بعض أخلاق البادية فالفاء فصيحة **(فتغير وجهه)** عليه الصلاة والسلام أسفاً عليهم كيف آثروا الدنيا، أو لكونه لم يكن عنده ما يعطيهم فيتألفهم به **(فجاء أهل اليمن)** وهم الأشعريون قوم أبي موسى **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(«يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلناها فأخذ)** أي شرع **(النبي ﷺ يحدث بدء الخلق)** نُصِبَ بنزع الخافِض **(والعرش فجاء رجلٌ)** لم يسم **(فقال: يا عمران)** يعني ابن حصين **(راحلتك)** بالرفع على الابتداء وفي نسخة إنَّ راحلتك **(تَفَلتت)** بالفاء أي تشردت قال عمران: **(ليتني لم أقم)** من مجلس رسول الله ﷺ حتى لم يَفُتْني سماع كلامه.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: كان الله)** في الأزلِ أي انفرد وتوحد فكان تامة وجملة **(ولم يكن شيءٌ غيره)** حالية ويحتمل أنها خبر كان على مذهب الأخفش المجوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها نحو كان زيد وأبوه قائم وأما

يكن شيءٌ غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كلَّ شيء، وخلق

---

ما وقع في بعض الكتب في هذا الحديث: كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، قال ابن قتيبة: هذه زيادة ليست في شيءٍ من كتب الحديث **(وكان عرشه على الماء)** استشكل بأن الجملة الأولى تدل على عدم من سواه والثانية على وجود العرش والماء فهي مناقضة للأولى. وأجيب بأن الواو في وكان بمعنى ثم فليست الثانية من تمام الأولى بل مستقلة بنفسها، وكان فيهما بحسب مدخولها ففي الأول بمعنى الكون الأزلي وفي الثانية بمعنى الحدوث بعد العدم، وعند الإمام أحمد عن أبي رزين أنه قال: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ وفي رواية قبل أن يخلق خلقه، قال: «في عماء ما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء» وعن بعض السلف: إن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بُعْدُ ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة، واتساعه خمسون ألف سنة، وبُعْدُ ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة. وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أنَّ العرش فَلَكٌ مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سمّوه الفلك التاسع والفلك الأطلس، قال ابن كثير: وهذا ليس بجيد لأنه ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا يكون له قوائم ولا يُحمل، وأيضاً فإن العرش في اللغة عبارةٌ عن السرير الذي للملك، وليس هو بفلك والقرآن إنما نزل بلغة العرب فهو سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة، وكالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات اهـ وأشار بقوله وكان عرشه على الماء إلى أنهما خلقا قبل كل شيء، وفي حديث أبي رُزَين العقيلي مرفوعاً عند الإمام أحمد وصححه الترمذي: «إن الماء خلق قبل العرش»، وعن ابن عباس: «كان الماء على متن الريح وعند الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث أبي هريرة قلت: يا رسول الله أني رأيتك طابت نفسي وقرت عيني أنبئني عن أصل كل شيء قال: «كل شيء خُلِق من الماء»، وهذا يدل على أن الماء أصل لجميع المخلوقات ومادتها وأن جميع المخلوقات خلقت منه. وروى ابن جريرٍ وغيره عن ابن عباس أن الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمي سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس ثم جعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات، وقال الله تعالى: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ [النور: ٤٥] وقول من قال إن المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات بعيد لأن النطفة لا تسمى ماء مطلقاً بل مقيداً كقوله تعالى: ﴿من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾ [الطارق: ٦، ٧] ولأن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخلِّ والفاكهة فتعين أن المراد الماء الذي هو أحد العناصر وأن كل ما يدب وكل ما فيه حياة مخلوق منه، ولا ينافي

السموات والأرض، فنادى منادٍ ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: يشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني ويكذّبني وما ينبغي له، أما شتمه فقوله إن لي ولداً، وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما قضى الله الخلق كتب في كتابٍ فهو عنده فوق العرش إنّ رحمتي غلبت غضبي.

---

ذلك قوله: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [الحجر: ٢٧]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «خلقت الملائكة من نور» لأن أصل النور والنار الماء ولا يستنكر خلق النار من الماء فإن الله تعالى جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الأخضر، وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخاراً والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب ناراً **(وكتب)** أي قدّر **(في)** محل **(الذكر)** وهو اللوح المفوظ **(كلَّ شيء)** من الكائنات **(وخلق السموات والأرض فنادى منادٍ)** لم يسم **(ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت)** خلفها **(فإذا هي يقطع دونها السراب)** رفع على الفاعلية وهو بالمهملة الذي يُرى نصف النهار كأنه ماء، والمعنى فإذا هي يحول بيني وبين رؤيتها السراب **(فوالله لوددت)** بكسر الدال الأولى **(أني تركتها)** ولم أقم لأنه قام قبل أن يكمل رسول الله ﷺ حديثه، فتأسف على ما فاته من ذلك.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: شتمني ابن آدم)** بلفظ الماضي وفي نسخة يشتمني بلفظ المضارع المفتوح وكسر التاء والشتم: الوصف بما يقتضى النقص **(وما ينبغي له أن يشتمني ويكذّبني وما ينبغي له)** أن يكذبني **(أما شتمه فقوله إن لي ولداً)** لاستلزامه الإمكان المستدعي للحدوث وذلك غاية النقص في حق الباري تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً **(وأما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بدأني)** وهو قول منكري البعث من عبدة الأوثان، وهذا من الأحاديث المتشابهة التي فيها خلاف السلف والخلف. **(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لما قضى الله الخلق)** أي خلقه كقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ [فصلت: ١٢]، أو أوجد جنسه وقال ابن عرفة: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه **(كتب)** أي أمر القلم أن يكتب **(في كتابٍ)** وهو اللوح المحفوظ **(فهو عنده)** أي فَعِلْمُ ذلك عنده **(فوق العرش)** مكنوناً عن سائر الخلائق، مرفوعاً عن حيز الإدراك ولا عبرة فيما يقع في النفوس من تصور المكانية من هذا اللفظ تعالى الله عن صفات المحدثات **(إنّ رحمتي)** بكسر الهمزة حكاية لمضمون الكتاب وتفتح بدلاً من كتب **(غلبت)** وفي روايةٍ: سبقت **(غضبي)** قال في المصابيح: الغضب إرادة العقاب والرحمة إرادة الثواب والصفات لا

عن أبي بَكْرَة رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ قال: الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث

---

توصف بالغلبة ولا يسبق بعضها بعضاً لكن جاء هذا على الاستعارة ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان والغضب هو الانتقام والعقاب فتكون الغلبة على بابها أي أن رحمتي أكثر من غضبي فتأمله اهـ ومراده بالاستعارة المجاز أي أن السبق والغلبة باعتبار التعلق أي تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث، قال التوربشتي: وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق وأما الغضب فلا ينالهم إلاً باستحقاق، ألا ترى أن الرحمة تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه شيء من الطاعات ولا يلحقه الغضب إلاً بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحق به ذلك اهـ وقيل المراد بالسبق والغلبة أن الله أوجب على نفسه بطريق الوعد أن يرحم خلقه قال تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤]، بخلاف ما يترتب على الغضب من العقاب فإنه تعالى كريم يتجاوز بفضله كما قيل:

وإنــــي إذا أوعــدتــــه أو وعــدتــــه ... لــمـخـلـف إيـعـادي ومـنـجـز مـوعـدي

وفي هذا الحديث تقدم خلق العرش على القلم وهو مذهب الجمهور ويؤيده قول أهل اليمن في الحديث السابق لرسول الله ﷺ: جئنا نسألك عن هذا الأمر فقال: «كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء» وقد روى الطبراني في صفة اللوح من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درةٍ بيضاء صفحاتها من ياقوتةٍ حمراء، قلمه نورٌ وكتابته نور لله فيه كلَّ يومٍ ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي، ويعزّ ويذلّ ويفعل ما يشاء». وفي رواية: «إن طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه نور معقود بالعرش وأصله في حجر»، مالك وقال أنس بن مالك وغيره من السلف اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل وقال مقاتل: هو عن يمين العرش.

**(عن أبي بَكْرة)** نفيع بن الحارث الثقفي **(رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: الزمان)** قال التوربشتي: اسم لقليل الوقت وكثيره، وأراد به هنا السنة **(قد استدار)** أي عاد إلى زمنه المخصوص وفي نسخة: «استداره» أي الله **(كهيئته)** الهيئة صورة الشيء وشكله وحالته، والكاف صفة مصدر محذوف أي استدار استدارة مثل حالته وفي نسخة: إن الزمان قد استدار كهيئة **(يوم خلق السموات والأرض)** وفي نسخة «والأرضين» وفي أخرى: «كهيئة» بحذف الضمير «يوم خلق الله» بذكر الفاعل **(السنة اثنا عشر شهراً)** جملة

متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

---

مستأنفة مبينة للجملة الأولى، وأراد أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام والأشهر عاد إلى أصل الحساب والموضع الذي ابتدىء منه، وذلك أن العرب كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلّوه وحرّموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر الحرم، واعتبروا مجرد العدد وهو النسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إنما النسيء﴾ [التوبة: ٣٨] أي تأخير حرمة شهرٍ إلى آخر زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحلَّ الله وتحليل ما حرَّمه وهو كفر آخر ضمّوه إلى كفرهم، قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحّلت لكم المحرم فأحّلوه ثم ينادي في القابل، إن آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرم فحرموه، يفعل ذلك كل سنة فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة عاد إلى زمنه المخصوص به قبل، ودارت السنة كهيئتها الأولى فاقتضى الدوران أن يكون الحج في ذي الحجة كما شرعه الله تعالى وقول الزمخشري: وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة. فيه نظر، لأن حج أبي بكر لو لم يكن في ذي الحجة لما قال الله تعالى: ﴿يوم الحج الأكبر﴾ [التوبة: ٣] لعدم صحة الحج في ذي القعدة قيل إنَّ هذه المقالة صدرت من النبي ﷺ في شهر مارس وهو آذار المسمى بالقبطية برمهات **(ومنها)** أي من السنة **(أربعة حرم ثلاث)** بحذف التاء، لأن الشهر الذي هو واحد الأشهر بمعنى الليالي فاعتبر لذلك تأنيثه وفي نسخة ثلاثة بالتاء **(متواليات)** هي **(ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر)** عطف على ثلاث لا على المحرم وإضافته إلى مضر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب، ولم يكن يستحله أحد من العرب **(الذي بين جمادى وشعبان)** ذكره تأكيداً أو إزاحة للريب الحادث فيه من النسيء، وقيل: الأشبه أنه تأسيس وذلك أنهم كانوا يؤخرون الشهر من موضعه إلى شهر آخر فينتقل عن وقته الحقيقي فقال ﷺ: «رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان لا رجب الذي هو عندكم وقد أنسأتموه» قيل: إنما جعل المحرم أول السنة ليحصل الابتداء بشهرٍ حرام ويتوسط بشهر حرام وهو رجب ويختم شهر حرام، وأما توالي شهرين في الآخر لإرادة تخصيص الختام، والأعمال بخواتيمها والسنة والعام بمعنىً وقيل إن العام من أول المحرم إلى آخر ذي الحجة والسنة من كل يوم إلى مثله من القابلة، واختلف في أول أيام الأسبوع على ثلاثة أقوال وروي عن محمد بن إسحاق أنه قال: يقول أهل التوراة: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد ويقول أهل الإنجيل: ابتدأ الله الخلق يوم الإثنين ونقول نحن أيها المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ: ابتدأ الله الخلق يوم السبت والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير عن السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن جماعة من الصحابة عن نص التوراة ومال إليه طائفة آخرون وهو أشبه

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال لي النبي ﷺ حين غربت الشمس: تدري أين تذهب قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها

---

بلفظ الأحد، فبهذا كمل الخلق في ستة أيام وكان آخرهن الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم في الأسبوع. نعم، ما زعمه اليهود من أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت مردود بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨]، أي تعب ونصب وإعياء، واختلف في الأيام الستة فالجمهور أنها كأيامنا هذه وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب أن كل يوم كألف سنة مما تعدون.

**(عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال لي النبي ﷺ حين غربت الشمس: تدري)** بحذف همزة الاستفهام والغرض منه إعلامه بذلك وفي نسخةٍ: «أتدري» بإثباتها **(أين تذهب)** وفي رواية زيادة هذه **(قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش)** منقادة لله انقياد الساجد من المكلفين أو تشبيهاً لها بالساجد عند غروبها، قال ابن الجوزي ربما أشكل هذا الحديث على بعض الناس من حيث أنا نراها تغيب في الأرض وفي القرآن العظيم أنها تغيب في عين حمئة أي ذاتِ حمئة أي طين، فأين هي من العرش والجواب أن الأرضين السبع في ضرب المثال كقطب رحى والعرش لعظم ذاته بمثابة الرحى فأينما سجدت الشمس سجدت تحت العرش وذلك مستقرها، وقال ابن العربي أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن لا يحيله العقل وتأوله قوم على التسخير الدائم ولا مانع أن تخرج عن مجراها فتسجد ثم ترجع اهـ وتعقبه في الفتح بأنه إن أراد بالخروج الوقوف فواضح وإلاّ فلا دليل على الخروج اهـ قال ابن كثير وقد حكى ابن حزم وغيره الإجماع على أن السموات كروية مستديرة واستدلّ لذلك بقوله: ﴿في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠]، قال الحسن: يدورون وقال ابن عباس: في فلكة مثل فلكة المغزل ولا تعارض بين هذا وبين الحديث وليس فيه: أن الشمس تصعد إلى فوق السموات حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن أعيننا وهي مستمرة في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التفسير، وليس في الشرع ما ينفيه بل في الحسن وهو الكسوف فإن ما يدل عليه[1] ويقضيه فإذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلاً في اعتدال الزمان فإنها تكون أبعد ما تكون تحت العرش، لأنها تغيب

---

(١) قوله ما يدل عليه فإن كسوف الشمس بحيلولة جرم القمر بيننا وبينها وخسوف القمر بحيلولة الأرض بينه وبينها فهذا يدل على أن الفلك يجري لكن للمانع أن يقول أن الكسوفين بغير ذلك إلا أن ذلك مما قامت عليه الأدلة القطعية المقررة في محلها فليتأمل.

يقال لها ارجعي من حيث جئتِ فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرٍ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [يس: ٣٨].

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: الشمس والقمر يكوَّران يوم القيامة. عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى

---

عن جهة وجه العالم وهذا محل سجودها كما يناسبها، كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا، فإذا كانت في محل سجودها **(فتستأذن)** عطف على المنصوب بحتى أي في الطلوع من المشرق على عادتها **(فيؤذن لها)** فتبدو من جهة المشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني آدم أن تطلع عليهم، وهو يدل على أنها تعقل كسجودها **(ويوشك)** بكسر المعجمة أي يقرب **(أن تسجد فلا يقبل منها)** أي لا يؤذن لها أن تسجد **(وتستأذن)** في المسير إلى مطلعها **(فلا يؤذن لها يقال)** وفي نسخة فيقال **(لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك)** قوله فإنها تذهب الخ **(قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرٍ لها﴾ [يس: ٣٨])** أي لحدٍ معين ينتهي إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه يوجد فيها إبطاء يظن أن لها هناك وقفة، وقال ابن عباس: لا تبلغ مستقرها حتى ترجع إلى منازلها وقيل إلى انتهاء أمرها عند خراب العالم، وقيل: لحدٍ لها من مسيرها كل يوم من مرائي عيوننا وهو المغرب، وقيل منتهى أمرها لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً، تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب، ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل (**﴿ذلك﴾**) الجري على هذا التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفَطِنُ عن إحصائه (**﴿تقدير العزيز﴾**) الغالب بقدرته على كل مقدور (**﴿العليم﴾**) المحيط علمه بكل معلوم وظاهر هذا أنها تجري بنفسها في كل يوم لقوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وكل في فلكٍ يسبحون﴾ [يس: ٤٠] أي يدورون وهو مغاير لقول أصحاب الهيئة أن الشمس مرصعة في الفلك، إذ مقتضاه أن الذي يسير هو الفلك وهذا منهم على طريق الحدس والتخمين فلا عبرة به[1].

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: الشمس والقمر مكوَّران)** بتشديد الواو المفتوحة أي مطويان ذاهبا الضوء وزاد البزار وابن أبي شيبة في مصنفه والإسماعيلي في مستخرجه في النار **(يوم القيامة)** لأنهما عُبِدا من دون الله، وليس

---

(١) أصاب شيخ الإسلام الشرقاوي ووفق في هذا الحكم بل لو قال غيره لكان مصيبة كبرى ويكون في ذلك كزائغ في عصرنا هذا قال في هذا الحديث أنه صحيح متناً وإسناداً ولكنه غير مطابق للواقع وهذا كلام تقشعر منه الجلود لأنه تكذيب للرسول ﷺ لأجل كلام هو اليوم يناقض ما كان يقوله المتقدمون من أهل ذلك الفن والواجب على كل مسلم إزاء هذا الحديث أن يعتقد طلوع الشمس حقيقة وغروبها وجريها وقد نطق به القرآن يوماً أيضاً فمن أنكر ذلك فهو ينكر كلام ربه وكلام نبيه لقوم يتكلمون بما لا يعلمون فليفهم حق الفهم اهـ مصححه.

مخيلة في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه قالت: فعرَّفته ذلك فقال: وما أدري لعله كما قال قوم ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم﴾ [الأحقاف: ٢٤] الآية.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك،

---

المراد من تكويرهما فيها تعذيبهما بذلك لكنه زيادة تبكيتٍ لمن كان عبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كان باطلةً. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء)** بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وبعد التحتية الساكنة لام مفتوحة أي سحابة يخال فيها المطر **(أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه)** خوفاً أن يحصل من تلك السحابة ما فيه ضررٌ بالناس **(فإذا أمطرت السماء سُرِّي)** بضم السين المهملة مبنياً للمجهول أي كشف **(عنه)** الخوف وأُزيل **(قالت)** عائشة: **(فعرَّفته)** بتشديد الراء وسكون الفاء وضم الفوقية من التعريف أي عرَّفت النبي ﷺ **(ذلك)** أي الذي عرض له **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(وما)** بالواو وفي نسخة ما بحذفها **(أدري لعله كما قال قوم)** هم عاد **(فلما رأوه عارضاً)** سحاباً عرض في أفق السماء **(مستقبل أوديتهم الآية)** أي متوجه أوديتهم فكان فيه هلاكهم.

**(عن عبد الله)** أي ابن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق)** في قوله **(المصدوق)** في وعد ربه تعالى قال: في شرح المشكاة: الأَوْلَى أن تجعل الجملة اعتراضية لا حالية لتعم الأحوال كلها وأن يكون من عادته وأدبه ذلك فما أحسن موقعها **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه)** بضم الياء وسكون الجيم وفتح الميم مبنياً للمفعول **(أربعين يوماً)** أي يضم بعضه إلى بعض بعد الانتشار ليتخمر فيها حتى يتهيأ للخلق وفي قوله: «خلقه» تعبير بالمصدر عن الجثة وحمل على أنه بمعنى المفعول كقولهم: هذا ضرب الأمير أي مضروبه، وقال الخطابي روي عن ابن مسعود في تفسيره أن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله تعالى أن يخلق منها بشراً طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث أربعين ليلة ثم تنزل دماً في الرحم، فذلك جمعها قال في الفتح: وقد وقع في حديث مالك بن الحويرث رفعه ما ظاهره يخالف ذلك ولفظه إذا أراد الله خلق عبد فجامع الرجل المرأة طار ماؤه في كل عرق وعضو منها فإذا كان يوم السابع جمعه الله ثم أحضره كل عرق له دون آدم ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ [الانفطار: ٨]، وعند أبي عوانة يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً فبيَّن أن الذي يُجمع هو النطفة وهو المني وفي النهاية يجوز أن يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم لتختمر حتى تتهيأ للتصوير **(ثم يكون علقة)** دماً غليظاً جامداً **(مثل ذلك)**

ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً ويؤمر بأربع كلمات، ويقال: له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلاَّ ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل

---

الزمان **(ثم يكون مضغةً)** قطعة لحم قدر ما يُمضغ **(مثل ذلك)** الزمان واختلف في أول ما يتشكل من الجنين فقيل: قلبه لأنه الأساس ومعدن الحركة الغريزية، وقيل: الدماغ لأنه مجمع الحواس ومنه تنبعث، وقيل الكبد لأن فيه النمو والاغتذاء الذي به قوام البدن ورجحه بعضهم بأنه مقتضى النظام الطبيعي لأن النمو هو المطلوب أولاً ولا حاجة له حينئذٍ إلى حس ولا حركة إرادية، وإنما يكون له قوة الحس والإرادة عند تعلق النفس به، فيُقَدَم الكبد ثم القلب ثم الدماغ **(ثم يبعث الله ملكاً)** إليه في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه وتتشكل أعضاؤه **(ويؤمر)** مبنياً للمفعول وفي نسخة فيؤمر **(بأربع كلمات)** أي يكتبها كما قال **(ويقال: اكتب عمله ورزقه)** غذاءه حلالاً أو حراماً قليلاً أو كثيراً وكل ما ساقه الله إليه لينتفع به كالعلم وغيره **(وأجله)** طويلاً أو قصيراً **(وشقي أو سعيد)** حسب ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته والمراد أن الملك يكتب إحدى الكلمتين ورفع شقي خبر مبتدأ محذوف وتاليه عطف عليه، وكان حق الكلام أن يقول: يكتب سعادته وشقاوته فعدل عن ذلك حكايةً لصورة ما يكتب لأنه يكتب شقي أو سعيد، والظاهر أن الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفته وقد جاء ذلك مصرحاً به عند مسلم: «ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها شيء ولا ينقص»، وعنده أيضاً: «فيقضي الله ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه». **(ثم)** بعد كتابة الملك هذه الأربعة **(ينفخ فيه الروح)** بعد تمام صورته ثم إن حكمة تحول الإنسان في بطن أمه حالةً بعد حالة مع أن الله تعالى قادر على أن يخلقه في أقل من لمحة أن في التحويل فوائد منها: أنه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم فجعله أولاً نطفة لتعتاد بها مدة ثم علقة كذلك وهلم جراً، ومنها إظهار قدرته تعالى حيث قلبه من تلك الأطوار إلى كونه إنساناً حسن الصورة متحلياً بالعقل، ومنها التنبيه والإرشاد على كمال قدرته على الحشر والنشر لأن من قدر على خلق الإنسان من ماء مهين ثم من علقة ثم من مضغة قادر على إعادته وحشره للحساب والجزاء قاله المظهري **(فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون)** نصب بحتى وما نافية غير مانعة لها من العمل أو رفع على أن حتى ابتدائية كفت بما وفي رواية: وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون **(بينه وبين الجنة إلاَّ ذراع)** أي ما بقي بينه وبين أن يصل إلى الجنة إلاَّ كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع فهو تمثيل بقرب حاله من الموت وضابط ذلك بالغرغرة التي جعلت علامة لعدم قبول التوبة **(فيسبق عليه كتابه)** الذي كتبه الملك وهو في بطن أمه والفاء للتعقيب الدال على حصول السبق بغير مهلة **(فيعمل)** عند ذلك وفي نسخة يعمل **(بعمل أهل النار)** أي فدخلها **(ويعمل)** أي بعمل أهل النار **(حتى ما يكون بينه وبين النار إلاَّ ذراع فيسبق**

النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلاّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ قال: إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض. عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قُضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه، فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ إذا كان يوم

---

**عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة)** أي فيدخلها وفيه أن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء وجرى به القدر.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إذا أحب الله العبد نادى جبريل)** نصب على المفعولية **(إن الله يحب فلاناً فأحببه)** بهمزة قطع مفتوحة فحاء مهملة ساكنة فموحدة مكسورة وأخرى ساكنة على الفك **(فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه)** بتشديد الموحدة**(فتحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض)** ممن يعرفه من المسلمين(١)، وفي رواية: «زيادة وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل عليه السلام أني أبغض فلاناً فأبغضه قال فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضونه ثم يوضع له البغض في الأرض». **(عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الملائكة تنزل في العنان)** بفتح العين المهملة والنون المخففة **(وهو السحاب)** وزناً ومعنى وهو مدرج في الحديث من كلام الراوي، فالسحاب مجاز عن السماء كما أن السماء تستعمل مجازاً عن السحاب في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ [الفرقان: ٤٨] في وجهٍ **(فتذكر)** الملائكة الأمر الذي **(قُضي في السماء)** وأصل ذلك أن الملائكة تسمع في السماء ما قضى الله تعالى في كل يوم من الحوادث فيحدث بعضهم بعضاً، **(فتسترق الشياطين السمع)** أي تختلسه منهم والقاف مخففة **(فتسمعه فتوحيه إلى الكهان)** بضم الكاف وتشديد الهاء جمع كاهن: من يخبر بالمغيبات المستقبلة **(فيكذبون معها)** أي مع الكلمة المسموعة من الشياطين **(مائة كذبة)** بفتح الكاف وسكون المعجمة، وفي نسخة بكسرها **(من عند أنفسهم)**.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ إذا كان يوم الجمعة**

---

(١) ليس بقيد بل ومن لم يعرفه يحبه بمجرد رؤيته لما وضع الله له من القبول في القلوب اهـ مصححه.

الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر.

عن البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: لحسان أهجهم أو هاجهم وجبريل معك. عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال لها يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى تريد النبي ﷺ. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال: فنزلت ﴿وما نتنزل إلاَّ بأمر ربك له ما بين

---

**كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة)** وفي نسخة الملائكة **(يكتبون الأول فالأول)** الفاء لترتيب النزول من الأعلى إلى الأدنى وللتعاقب الذي ينتهي إلى أعدادٍ كثيرة، **(فإذا جلس الإمام)** أي على المنبر **(طووا الصحف)** التي كتبوا فيها المبادرين إلى الجمعة **(وجاءوا يستمعون الذكر)** أي الخطبة. **(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ)** وهو في المسجد **(لحسان)** بن ثابت رضي الله تعالى عنه لما هجاه المشركون **(أهجهم)** بضم الهمزة والجيم أمر من هجا هجواً، وهو نقيض المدح، وفي نسخةٍ أهجهم بهمزة وصل[1] **(أوهاجهم)** من المهاجاة والشك من الراوي أي جازهم بهجوهم **(وجبريل معك)** بالتأييد والمعونة وفيه جواز هجو الكفار وأذاهم ما لم يكن لهم أمان لأن الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم والإغلاظ عليهم لأن في الإغلاظ بياناً لبغضهم والانتصار[2] منهم بهجاء المسلمين ولا يجوز ابتداءً لقوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وفيه أيضاً جواز إنشاد الشعر في المسجد. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال لها يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام)** بفتح ياء يقرأ من الثلاثي **(قالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد النبي ﷺ)** وفيه أن الرؤية حالة يخلقها الله في الحي ولا يلزم من حصول المرئي واجتماع سائر الشروط الرؤية كما لا يلزم من عدمها عدمها وإنما لم يواجهها جبريل كما واجه مريم احتراماً لمقام سيدنا رسول الله ﷺ.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل:)** عليه السلام **(ألا تزورنا أكثر مما تزورنا)** بتخفيف اللام بالعرض والتحضيض أو التمني **(قال: فنزلت آية ﴿وما نتنزل إلاَّ بأمر ربك﴾)** والتنزل النزول على مهلٍ لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما نتنزل وقتاً غِبَّ وقت إلاَّ بأمر الله على ما تقتضيه حكمته **(﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ الآية)** وهو ما نحن فيه من

---

(١) يشعر بأن ما تقدم ليست همزة وصل وليس كذلك اهـ.

(٢) لعلها الانتصاف اهـ مصححه.

أيدينا وما خلفنا﴾ [مريم: ٦٤] الآية. وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اقرأني جبريل القرآن على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

عن يعلى رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ونادوا يامال﴾ [الزخرف: ٧٧] عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يومٌ أشد من يوم أُحُد، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علي ابن عبد ياليل ابن

---

الأماكن والأحايين لا ننتقل من مكان إلى مكان أو لا ننزل في زمان دون زمان إلاّ بأمره ومشيئته، (**وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: اقرأني جبريل**) عليه السلام (**القرآن على حرف**) أي لغة أو وجهٍ من الإعراب (**فلم أزل أستزيده**) أي أطلب منه الزيادة على الحرف توسعة وتخفيفاً ويسأل جبريل ربه تعالى ويستزيده (**حتى انتهى إلى سبعة أحرف**) وليس المراد أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه والاختلاف اختلاف تنوع وتغاير لا تضاد أو لا تناقض إذ هو محال في القرآن وذلك يرجع إلى سبعة لأنه إما في الحركات من غير تغير في المعنى والصورة نحو البخل ويحسب بوجهين أو بتغير في المعنى فقط نحو ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧] وأما في الحروف بتغيرٍ في المعنى لا الصورة نحو نبلو أو نتلو أو عكس ذلك نحو السراط والصراط، أو بتغيرهما نحو يأتل ويتأل، وإما في التقديم والتأخير فيقتلون ويُقتلون، أو في الزيادة والنقصان نحو أوصى ووصى، وإما في الاختلاف في الإظهار والإدغام وغيرهما مما يسمى بالأصول فليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولئن فرض فيكون من الأول.

(**عن يعلى بن أمية التميمي رضي الله تعالى عنه**) أنه قال: (**سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر ونادوا يامال**) بالترخيم وهو قراءة ابن مسعود وفي نسخة يا مالك وهو اسم خازن النار (**عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يومٌ أشد من يوم**) غزوة (**أحد، قال:**) عليه الصلاة والسلام (**لقد لقيت من قومك**) قريش (**ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة**) التي بمنى أو مكان مخصوص بالطائف وهو أولى وأشد خبر كان واسمها ضمير عائد إلى ما لقيت، ويوم العقبة ظرف مكان والمعنى كان ما لقيت من قومك يوم العقبة أشد ما لقيت منهم، ويحتمل أن يكون أشد بالرفع اسمها ويوم العقبة متعلق بمحذوف خبر أي كان أشد ما لقيته منهم حاصلاً يوم العقبة (**إذ**) أي حين (**عرضت نفسي**) في شوال سنة عشر من البعث بعد موت أبي طالب وخديجة وتوجه إلى الطائف (**على ابن عبد ياليل**) بتحتية وبعد الألف لام مكسورة فتحتية ساكنة فلام (**ابن عبد كلال**) بضم الكاف وتخفيف اللام وبعد الألف لام أخرى واسمه

عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلاَّ وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال الأمر ذلك فيمَ شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال: النبي ﷺ بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً.
عن ابن مسعود رضي الله عنه في قول الله عز وجل ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾

---

كنانة وهو من أكابر أهل الطائف من ثقيف، لكن الذي في السِّير أن الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه لا ابنه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو ابن عمير بن عوف **(فلم يجبني إلى ما أردت)** وعند موسى بن عقبة أنه ﷺ توجه إلى الطائف رجاء أن يأووه فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم ساداتهم وهم أخوة عبد ياليل وحبيب ومسعود بنو عمرو، فعرض عليهم نفسه وشكا إليهم ما انتهك منه قومه فردوا عليه أقبح رد ورضخوه بالحجارة حتى أدموا رجليه. **(فانطلقت وأنا مهموم على وجهي)** أي الجهة المواجهة لي وقال الطيبي: أي انطلقت حيراناً هائماً لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك **(فلم أستفق)** مما أنا فيه من الغم **(إلاَّ وأنا بقرن الثعالب)** بالمثلثة جمع ثعلب الحيوان المعروف وهو ميقات أهل نجد ويسمى قرن المنازل أيضاً وهو بينه وبين مكة يوم وليلة. **(فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت)** إليها **(فإذا فيها جبريل)** عليه الصلاة والسلام **(فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك)** وفي نسخة وقد بعث الله إليك **(ملك الجبال)** أي الذي سخرت له وبيده أمرها **(لتأمره بما شئت فيهم)** قال رسول الله ﷺ **(فناداني ملك الجبال فسلَّم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال)** توكيد لما قبله **(الأمر ذلك)** أي كما قال جبريل أو كما سمعت منه **(فيمَ)** بدون ألف وفي نسخة فما بالألف **(شئت)** استفهام جزاؤه مقدر أي فعلت وعند الطبراني فقال: «يا محمد إن الله بعثني إليك وأنا ملك الجبال لتأمرني بأمرك فيما شئت». **(إن شئت أن أطبق)** بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر الموحدة **(عليهم الأخشبين)** بالخاء والشين المعجمتين جبلي مكة أبي قبيس ومقابله قيقعان وقال الكرماني: ثور ووهموه وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما **(فقال)** وفي نسخةٍ قال بحذفها **(النبي ﷺ بل أرجو)** وفي نسخة أنا أرجو **(أن يُخرج الله)** بضم الياء من الإخراج **(من أصلابهم من يعبد الله)** أي يوحده وقوله **(وحده لا يشرك به شيئاً)** تفسير لما قبله وهذا من مزيد شفقته على أمته وكثرة حلمه وصبره جزاه الله عنا ما هو أهله وصلَّى الله عليه وسلم.

**(عن ابن مسعود)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنه في قول الله عز وجل ﴿فأوحى إلى**

[النجم: ١٠] قال رأي جبريل له ستمائة جناح. وعنه رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قال: رأى رفرفاً أخضر سد أفق السماء عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: من زعم أنَّ محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم، ولكن رأى جبريل في صورته وخلقه ساداً ما بين الأفق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال

---

**عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] قال رأى)** عليه الصلاة والسلام **(جبريل)** عليه الصلاة والسلام في صورته التي خُلِق عليها **(له ستمائة جناح)** بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب. **(وعنه رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قال رأى رفرفاً)** أي بساطاً **(أخضر)** وفي نسخة خضِراً بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين **(سد أفق السماء)** أي أطرافها وعند النسائي من حديث ابن مسعود: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل عليه السلام على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض»، قال الخطابي: الرفرف يحتمل أن يكون أجنحة جبريل عليه السلام بسطها كما تبسط الثياب. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: من زعم أنَّ محمداً** ﷺ **(رأى ربه)** بعيني رأسه يقظة **(فقد أعظم)** أي دخل في أمر عظيم، أو الخبر محذوف وفي مسلم: «فقد أعظم على الله الفرية» وهي بكسر الفاء وإسكان الراء الكذب والجمهور على إثبات رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه بعيني رأسه، ولا يقدح في ذلك حديث عائشة رضي الله تعالى عنها إذ لم تخبر أنها سمعته عليه الصلاة والسلام يقول: لم أر ربي وإنما ذكرت متأولة لقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ٥١] ولقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] **(ولكن رأى جبريل في صورته)** وهيئته **(وخلقه)** بفتح الخاء وسكون اللام الذي خلق عليه حال كونه **(ساداً ما بين الأفق)** وفي نسخة: وخلقه سادٌ برفعهما.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله** ﷺ: **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه)** كناية عن الجماع **(فأبت)** أي أن تجيء كما في بعض الروايات **(فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة)** ظاهره كما قاله سيدي عبد الله بن أبي جمرة اختصاص اللعن بما إذا وقع ذلك ليلاً لقوله حتى تصبح، وكأن السرَّ فيه تأكد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث إليه ولا يلزم من ذلك أنه يجوز لها الامتناع في النهار وإنما خص الليل بالذكر لأنه مظنة ذلك. **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي** ﷺ**)** أنه **(قال رأيت ليلة أسري بي)** إلى المسجد الأقصى **(موسى)** عليه الصلاة والسلام **(رجلاً آدم)** بمد

شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله أياه فلا تكن في مرية من لقائه. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. عن عمران بن حُصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار

---

الهمزة وجوز بعضهم قصرها أي أسمر اللون (**طوالاً**) بضم الطاء المهملة وتخفيف الواو (**جعداً**) بفتح الجيم وسكون العين المهملة أي ليس بسبطٍ (**كأنه من رجال شنوءة**) أي في طوله وسمرته وشنوءة بفتح الشين المعجمة وبعد النون المضمومة همزة مفتوحة فهاء تأنيث قبيلة من قحطان طِوال القامات (**ورأيت عيسى**) ابن مريم (**رجلاً مربوعاً**) لا طويلاً ولا قصيراً (**مربوعُ الخلق**) بفتح الخاء معتدلة حال كونه مائلاً لونه (**إلى الحمرة والبياض**) فلم يكن شديدهما (**سبط الرأس**) بفتح السين وسكون الموحدة وكسرها وفتحها مسترسل الشعر (**ورأيت مالكاً خازن النار والدجال**) الأعور (**في**) جملة (**آيات**) أخر (**أراهن الله أياه**) ﷺ ولعله أراد قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨]، وحينئذٍ فيكون في الكلام التفاتٌ حيث وضع إياه موضع إياي أو الراوي نقل معنى ما تلفظ به (**فلا تكن في مرية**) شك (**من لقائه**) يعني موسى فيكون كما في الكشاف ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات مستطرداً لذكر موسى وإنما قطعه عن متعلقه وأخره ليشمل معناه الآيات على سبيل التبعية والإدماج وعلى هذا فالخطاب في قوله: ﴿فلا تكن﴾ للنبي ﷺ أي لا تكن يا محمد في رؤية ما رأيت من الآيات في شك، وقيل قوله أراهن الله إياه من كلام الراوي أدرجه في الحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى أن يختلج في صدورهم وقيل الخطاب في قوله فلا تكن عام لمن سمع هذا الحديث إلى يوم القيامة والضمير في لقائه عائد على الدجال أي إذا كان خروجه موعوداً فلا تكن في شك من لقائه.

(**عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مات أحدكم فإنه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي**) أي فيهما بأن يحيا منه جزء ليدرك ذلك أو العرض على الروح فقط (**فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة**) أي فالمعروض عليه من مقاعد أهل الجنة فحذف المبتدأ والمضاف المجرور بمن وأقام المضاف إليه مقامه، وحينئذ فالشرط والجزاء متغايران لا متحدان (**وإن كان من أهل النار فمن أهل النار**) أي فمقعده من مقاعد أهلها يعرض عليه (**عن عمران بن حُصين**) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين (**رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: اطلعت في الجنة**) بتشديد الطاء أي أشرفت ليلة الإسراء أو في المنام لا في صلاة الكسوف (**فرأيت أكثر أهلها الفقراء**

فرأيت أكثر أهلها النساء. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينا نحن عند النبي ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً، فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك،

---

**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)** لما يغلب عليهنَّ من الهواء والميل إلى عاجل زينة الدنيا والإعراض عن الآخرة لنقص عقلهن وسرعة انخداعهن، قاله القرطبي. وقال المهلب لكفرهنَّ العشير، وفيه دليل على وجود الجنة الآن خلافاً لبعضهم **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: بينا)** بغير ميم **(نحن عند النبي ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني)** أي رأيت نفسي **(في الجنة)** ورؤيا الأنبياء حق **(فإذا امرأة)** هي أم سليم **(تتوضأ)** وضوءاً شرعياً فيؤول بكونها محافظة في الدنيا على العبادة أو لغوياً لتزداد وضاءة وحسناً لا لتنزل وسخاً لتنزه الجنة عنه **(إلى جانب قصر)** زاد الترمذي من حديث أنسٍ من ذهب **(فقلت لمن هذا القصر فقالوا: )** يحتمل أنه جبريل ومن معه **(لعمر بن الخطاب)** زاد في رواية فأردت أن أدخله **(فذكرت غيرته)** بفتح الغين المعجمة **(فولَّيت مدبراً فبكى عمر)** لما سمع ذلك سروراً به وتشوقاً إليه **(وقال)** عمر رضي الله تعالى عنه: **(أعليك أغار يا رسول الله؟)** هذا من القلب والأصل أعليها أغار منك أو أن على بمعنى من التعليلية والأصل: أغار أي يحصل لي غيرة من أجلك. **(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أول زمرة)** أي جماعة **(تلج الجنة)** أي تدخلها **(صورتهم على صورة القمر ليلة البدر)** وهي ليلة أربعة عشر في الإضاءة والحسن **(لا يبصقون)** بالصاد **(فيها)** أي الجنة **(ولا يتمخطون ولا يتغوطون)** زاد جابر في الحديث المروي في مسلم: «طعامهم ذلك، جشاؤهم كريح المسك» وفي روايةٍ للبخاري زيادة «ولا يبولون» ففي ذلك سلب صفات النقص عنهم، **(آنيتهم فيها)** أي في الجنة **(الذهب)** في رواية زيادة: «والفضة» وفي الطبراني بإسناد قوي من حديث أنسٍ مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيدِ كل واحد صفحتان واحدة من ذهب والأخرى من فضة». **(أمشاطهم من الذهب والفضة)** يتمشطون بها لا لاتساخ شعورهم بل للتلذذ، **(ومجامرهم)** بفتح الميم الأولى **(الألوة)** بفتح الهمزة وتضم وبضم اللام وتشديد الواو وحكي كسر الهمزة وتخفيف الواو وفي نسخة تسكين اللام، قال الأصمعي: أراها فارسية عُرِّبت العود الهندي الذي يتبخر به أي أن مجامرهم من جنس الألوة، أو المراد عود مجامرهم الألوة ويؤيده رواية

ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف

---

«وقود مجامرهم الألوة» لأن المراد الجمر الذي يطرح عليه، واستشكل بأن العود إنما يفوح ريحه بوضعه على النار والجنة لا نار فيها وأجيب باحتمال أن يكون في الجنة نار لا تسلط لها على الإحراق إلاّ إحراق ما يتجمر به خاصة ولم يخلق الله فيها قوة يتأذى بها من يمسها أصلاً، أو يشتغل العود بغير نار وإنما سميت مجمرة باعتبار ما كان في الأصلِ أو يفوح بغير اشتعال **(ورشَحُهم المسك)** أي عرقهم كالمسك في طيب ريحه، **(ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتان)** من نساء الدنيا والتثنية بالنظر إلى أن أقل ما لكل واحد منهم زوجتان وعينان وفي روايةٍ عن أبي هريرة: «لكل امرىءٍ زوجتان من الحور العين»، وعن أبي إمامة بإسناد مُتَكَلَّم فيه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلاّ ويُزوَّج ثنتين وسبعين زوجةً ثِنْتين من الحور وسبعين من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلاّ ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني»، وعند أبي نعيم عن أنسٍ بإسناد كذلك أن رسول الله ﷺ قال: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة»، فقلنا: يا رسول الله أوله قوة ذلك؟ قال: «إنه ليعطى قوة مائة». وعن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا». رواه البيهقي وفي إسناده راوٍ لم يسم، قال ابن القيم: والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فإما أن يراد بها ما لكل واحدٍ من السراري زيادة على الزوجتين، وإما أن يرد أنه يعطى قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة، ويحتمل أن يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات قال: ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون يطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً». **(يرى)** بضم أوله مبنياً للمفعول أو بفتحه مبنياً للفاعل **(مخ سوقها)** بضم الميم وتشديد الخاء المعجمة والرفع أو النصب ما في داخل العظم **(من وراء اللحم)** والجلد **(من الحسن)** والضياء البالغ ورقة البشرة ونعومة الأعضاء، وفي حديث أبي سعيد المروي عن أحمد: «ينظر وجهه في خدِّها أصفى من المرآة» وفي حديث ابن مسعود عند ابن حبان في صحيحه مرفوعاً: «أن المرأة من نساء أهل الجنة ليُرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يُرى مخها وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ [الرحمٰن: ٥٨] فأما الياقوت فإنه حجر ولو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائها **(لا اختلاف بينهم)** أي بين أهل الجنة **(ولا تباغض)** لصفاء قلوبهم

بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجلٍ واحد يسبحون الله بكرة وعشياً. وفي راويةٍ عنه رضي الله عنه قال والذين على أَثْرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرىء منهم زوجتان كل واحدة منهما يُرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يمتخطون وذكر باقي الحديث. عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم

---

ونظافتها من الكدرات **(قلوبهم قلب رجل واحد)** وفي نسخة قلب واحد أي كقلبِ واحد وهذا لازم لما قبله **(يسبحون الله)** متلذذين به لا متعبدين **(بكرةً وعشياً)** نصب على الظرفية أي مقداريهما يعلمون ذلك قيل: بستارة تحت العرش إذا نشرت يكون النهار لو كانوا في الدنيا وإذا طويت يكون الليل لو كانوا فيها، أو المراد الديمومة كما تقول العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساءً لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة وفي حديث جابر عند مسلم: «يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس»، وحينئذ فلا كلفة عليهم في ذلك وذلك لأن قلوبهم تنورت بمعرفة ربهم تعالى وامتلأت بحبه.

**(وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: والذين)** يدخلون الجنة **(على إثرهم)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة أو بفتحهما أي عَقِبَهم أو بعدهم **(كأشد كوكب إضاءة)** بإفراد المضاف إليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكواكب يعني أنها إذا انقضت كوكباً كوكباً رأيتهم كأشده إضاءة قاله في شرح المشكاة **(قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض)** تفسير لقوله: «قلوبهم على قلب رجل واحد»، **(لكل امرىءٍ منهم زوجتان)**. وفي حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعاً في صفة أدنى أهل الجنة منزلة: «وأن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، ولمسلم في صفة الأدنى أيضاً: «ثم تدخل عليه زوجتان» **(كل واحدة منهما يرى)** بالبناء للمفعول أو الفاعل **(مخ سوقها من وراء اللحم من الحسن)** تتميم أتى به صوناً من توهم ما يتصور في تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع **(يسبحون الله)** متلذذين بالتسبيح **(بكرةً وعشياً)** أي في مقدارهما إذ لا بكرة ثمة ولا عشية إذ لا طلوع ولا غروب **(لا يسقمون)** إذ هي دار صحة لا سقم **(ولا يتمخطون)** لكمالهم فليس لهم فضلة تستقذر **(وذكر باقي الحديث)** فلا حاجة إلى إعادته.

**(عن سهل بن سعد)** الساعدي **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ليدخلنَّ من أمتي)** الجنة **(سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف)** وعند مسلم من حديث ابن عباس وصفهم بأنهم كانوا: «لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». وفي

على صورة القمر ليلة البدر. وعن أنس رضي الله عنه قال أُهدي للنبي ﷺ جبة سندس، وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها، فقال: والذي نفسي محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا. وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

---

حديث أبي أمامة عند الترمذي مرفوعاً: «وعدني ربي أن يدخل من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عقاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل» والمراد بالمعية في قوله مع كل ألف سبعون ألفاً مجرد دخولهم الجنة بغير حساب وإن كان دخولهم في الزمرة الثانية أو التي بعدها، وفي حديث جابر عند الحاكم والبيهقي مرفوعاً: «من زادت حسناته على سيئاته فذلك هو الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً، ومن أوبق نفسه فهو الذي يشفع فيه بعد أن يعذب» وفي التقييد بقوله أمتي إخراج غير الأمة المحمدية من العدد المذكور ولا يعارض هذا حديث أبي برزة الأسلمي مرفوعاً عند مسلم: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه». إذ هو نكرة في سياق النفي لأنه مخصوص بمن يدخل الجنة بغير حساب وبمن يدخل النار ومن أول وهلة، وفي رواية زيادة: «متماسكين آخذين بعضهم ببعض» **(لا يدخل أولهم)** الجنة **(حتى يدخل آخرهم)** بأن يدخلوا صفاً واحداً دفعة واحدة **(وجوههم على صورة القمر ليلة البدر)** ليس فيه نفي دخول أحد من هذه الأمة المحمدية على الصفة المذكورة من الشبه بالقمر والجملة حالية بدون الواو **(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال أُهدي)** بضم الهمزة **(للنبي ﷺ جبة سندس)** برفع جبة نائب عن الفاعل والسندس ما رق من الديباج وهو ما ثخن وغلظ من ثياب الحرير وكان الذي أهداها أكيدر بن رومة **(وكان)** عليه الصلاة والسلام **(نهي عن)** استعمال **(الحرير فعجب الناس منها)** أي من الجبة زاد في روايةٍ فقال: «أتعجبون من هذا» قلنا: نعم، **(فقال والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا)** الثوب قال الخطابي: إنما ضرب المثل بالمناديل لأنها ليست من عليه الثياب بل تبذل في أنواع من المرافق فيمسح بها الأيدي وينفض بها الغبار عن البدن ويغطى بها ما يهدى في الأطباق، وتتخذ لفافاً للثياب، فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بعليتها. اهـ.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن في الجنة لشجرة)** اسمها طوبى كما عند أحمد والطبراني وابن حبان من حديث عتبة بن عبيد السلمي يذكر أنه ليس في الجنة دار إلا فيها غصن من أغصانها **(يسير الراكب)** الجواد المضمر السريع **(في ظلها)** أي ناحيتها **(مائة عام لا يقطعها)** وليس في الجنة شمس ولا أذى وفي نسخة في

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه مثل ذلك قال واقرؤوا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾ [الواقعة: ٣٠]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن أهل الجنة يتراءيون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءيون الكوكب الدري الغابر في أفق السماء من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا

---

أصلها وهي ظاهرة (**واقرؤوا إن شئتم** ﴿وظل ممدود﴾) [الواقعة: ٣٠] وفي رواية فبلغ ذلك كعباً فقال: صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً، إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أغصانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو خارج من أصل تلك الشجرة. ونفخ الروح مجاز عن جريان أثره فيها وهو الحياة، وفي حديث ابن عباس موقوفاً عند ابن أبي حاتم: «فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا»، قال ابن كثير: غريب وإسناده جيد قوي.

(**عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال إن أهل الجنة يتراءيون**) بفتح التحتية والفوقية فهمزة مفتوحة فتحتية مضمومة بوزن يتفاعلون (**أهل الغرف من فوقهم كما يتراءيون**) بفتح التحتية والفوقية فهمزة (**الكوكب الدري**) بضم الدال والتحتية بغير همز ولا يجوز ضم الدال مع الهمز لأنه ليس في الكلام فعيل أي الشديد الإضاءة منسوب للدر (**الغابر**) بالموحدة بعد الألف أي الباقي في الأفق بعد انتشار ضوء الفجر، وإنما يستنير في ذلك الوقت الكوكب الشديد الإضاءة وفي الموطأ: «الغائر» بالتحتية بدل الموحدة، يريد انحطاطه من الجانب الغربي قال التوربشتي: وهي تصحيف وعن الترمذي الغارب بتقديم الراء على الموحدة (**في الأفق**) أي طرف السماء (**من المشرق أو المغرب**) قال في شرح المشكاة: فإن قلت: ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغائر في الأفق؟ وأجاب بأنه للإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد، فلو اقتصر على الغابر لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغروب اللهم إلا أن يقدر المستشرف على الغروب كقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ [البقرة: ٢٢٤] أي شارفن بلوغ أجلهن لكن لا يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي نعم على التقدير كقولهم:

متقلداً سيفاً ورمحاً

وعلفتها تبناً وماءً بارداً أي طالعاً في الأفق من المشرق وغابراً في المغرب اهـ.

(**لتفاضل ما بينهم قالوا: يا رسول الله تلك**) الغرف المذكورة (**منازل الأنبياء عليهم**

رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ناركم جزء

---

**الصلاة والسلام لا يبلغها غيرهم؟ قال:)** ﷺ **(بلى والذي نفسي بيده)** أي نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ولكن قد يتفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك المنازل وفي نسخة بل التي للإضراب قال السفاقسي: والسياق يقتضي أن يكون الجواب بالإضراب وإيجاب الثاني أي بل هم **(رجال آمنوا بالله)** حق إيمانه **(وصدَّقوا المرسلين)** حق تصديقهم وكل أهل الجنة مؤمنون مصدقون لكن امتاز هؤلاء آمنوا بالصفة المذكورة، وفي حديث أبي سعيد عند الترمذي: «وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعماً»، أي زاد فضلاً يقال: أحسنت إليّ وأنعمت أي زدت على الإنعام وعنده أيضاً عن علي مرفوعاً: «أن في الجنة غُرفاً يُرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «هي لمن ألان الكلام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام»، قال الكرماني: فإن قلت حينئذ لا يبقى في غير الغرف أحد لأن أهل الجنة كلهم مصدقون مؤمنون قلت المصدقون بجميع الرسل ليسوا إلا أمة محمد ﷺ فيبقى مؤمنوا سائر الأمم فيها اهـ أي في الجنة فالغرف لهذه الأمة إذ تصديق جميع الرسل إنما يتحقق لها بخلاف غيرهم من الأمم وإن كان فيهم من صدق بما سيجيء من بعده من الرسل فهو بطريق التوقع قاله في الفتح.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: قال رسول الله ﷺ: الحمى من فيح جهنم)** أي من حرارتها حقيقة أرسلت إلى الدنيا نذيراً للجاحدين وبشيراً للمقربين أنها كفارة لذنوبهم، أو حر الحمى شبيه بحرّ جهنم ومن للجنس أو للتبعيض على كلٍ من القولين، أي من جنس الفيح حقيقةً أو حكماً أو تشبيهاً أو بعض الفيح كذلك، والفيح كما قال الليث: سطوع الحر كما يقال: فاحت القدر تفيح فيحاً إذا غلت وأصله السعة ومنه أرض فيحاء أي واسعة **(فأبردوها بالماء)** فكما أن النار تزول بالماء كذلك حرارة الحمى، وأبردوها بصيغة الجمع مع وصل الهمزة وضم الراء وهو الصحيح المشهور في الرواية وفي نسخة قطعها مفتوحة أيضاً مع كسر الراء وحكاه عياض لكن قال الجوهري: إنها لغة رديئة ولا فرق في الماء بين أن يكون ماء زمزم أو غيره، والتقييد بماء زمزم في بعض الروايات لكون الخطاب كان لأهل مكة وماء زمزم متيسر عندهم، والأولى في كيفية التبريد ما فعلته أسماء بنت أبي بكر كما في مسلم: «أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة فتصب الماء في جيبها» وفي غيره: «أنها كانت ترش على بدن المحموم شيئاً من الماء بين ثدييه وثوبه»، والصحابي ولا سيما أسماء المذكورة أعلم بمراد النبي ﷺ من غيرها،

من سبعين جزءاً من نار جهنم، قيل يا رسول الله: إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها. عن أسامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يا فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه. عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر النبي ﷺ حتى

---

والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية بدبر صاحبها بسقي الماء البارد والشديد البرودة ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد ويحتمل أن يكون ذلك لبعض الحميات دون بعض، قال في الفتح: وهذا أوجه فإن خطابه ﷺ قد يكون عاماً وهو الأكثر، وقد يكون خاصاً فيحتمل أن يكون مخصوصاً بأهل الحجاز ومن والاهم إذ كانت الحميات التي تعرض لهم عن العرضية الحادثة عن شدة الحر وهذه ينفعها الماء شرباً واغتسالاً.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: ناركم)** هذه التي توقدونها في جميع الدنيا **(جزء)** واحد **(من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل: يا رسول الله)** لم يعرف القائل **(إن كانت)** هذه النار **(لكافية)** في إحراق الكفار وتعذيب الفجار فهلا اكتفي بها **(قال)** عليه الصلاة والسلام مجيباً له إنها **(فُضلت عليهنَّ)** بضم الفاء وتشديد الضاد المعجمة أي على نيران الدنيا **(بتسعة وتسعين جزءاً كلهنَّ مثل حرِّها)**. أعاد عليه الصلاة والسلام حكاية تفضيل نار جهنم ليتميز عذاب الله من عذاب الخلق، وقال حجة الإسلام: نار الدنيا لا تناسب نار جهنم لكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار وعرف عذاب جهنم بها، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هرباً مما هم فيه. وفي رواية أحمد: «جزء من مائة جزء» والحكم للزائد وعند ابن ماجه من حديث أنسٍ مرفوعاً: «وأنها ـ يعني ـ نار الدنيا لتدعو الله أن لا يعيدها فيها».

**(عن أسامة)** بن زيد بن حارثة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُجاء الرجل)** بضم الياء وفتح الجيم **(يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابه)** جمع قتب بكسر القاف الأمعاء والاندلاق بالدال المهملة والقاف الخروج بسرعة، أي تنصب أمعاؤه من جوفه وتخرج من دبره في النار **(فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون)** له: **(يا فلان)** وفي نسخة: «أي يا فلان ما شأنك الذي أنت فيه»: **(أليس)** وفي نسخة: «ألست» **(كنت تأمر بالمعروف وتنهانا)** وفي نسخة: «وتنهى» **(عن المنكر)** والاستفهام استخباري **(قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه)** وفيه زجر عظيم للعالم الذي لم يعمل بعلمه نعوذ بالله من ذلك **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت سُحِر النبي ﷺ)** بضم السين وكسر الحاء المهملتين مبنياً

كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجوع الرجل، قال مطبوب قال ومن طبه، قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيماذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر، قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع، فقال

---

للمفعول لمّا رجع من الحديبية **(حتى كان يُخَيَّل)** بضم التحتية وفتح الخاء المعجمة مبنياً للمفعول **(إليه أنه يفعل الشيء)** من أمور الدنيا وفي رواية: «حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن» **(وما يفعله)** وفي جامع مَعمَر عن الزهري أنه لبث كذلك سنة **(حتى كان ذات يوم)** بنصب ذات ويجوز رفعها وقد قيل: إنها مقحمة وقيل: بل هي من إضافة الشيء إلى نفسه على رأي من يجيزه **(دعا ودعا)** مرتين ولمسلم من رواية ابن نمير: «فدعا ثم دعا» بالتكرير ثلاثاً وهو المعهود من عادته إذا طلب الله شيئاً **(ثم قال)** لعائشة: **(أشعرت)** أي أعلمت **(أن الله)** عز وجل **(أفتاني فيما فيه شفائي)** وللحميدي أفتاني في أمرٍ استفتيته فيه أي أجابني فيما دعوته، فأطلق على الدعاء استفتاء لأن الداعي طالبٌ والمجيب مُستفتًى أو المعنى أجابني عما سألته عنه بأن دعا أن يطلعه الله على حقيقة ما هو فيه لما اشتبه عليه من الأمر **(أتاني رجلان)** وعند الطبراني: «أتاني ملكان» وعند ابن سعد: «أنهما جبريل وميكائيل **(فقعد أحدهما)** جبريل كما جزم به الدمياطي في السيرة **(عند رأسي و)** قعد **(الآخر)** وهو ميكائيل **(عند رجلي)** بالتثنية **(فقال أحدهما)** وهو ميكائيل **(للآخر)** وهو جبريل **(ما وجع الرَّجُل)** فيه إشعار بوقوع ذلك في المنام إذ لو كان يقظةً لخاطباه وسألاه وفي رواية ابن عيينة عند الإسماعيلي: «فانتبه من نومه ذات يوم» لكن في حديث ابن عباس بسند ضعيف عند ابن سعد: «فهبط عليه ملكان وهو بين النَائم واليقظان» **(قال:)** أي جبريل لميكائيل **(مطبوب)** بفتح الميم وسكون الطاء المهملة وموحدتين بينهما واو مسحور كنوا عن السحر بالطب كما كنوا عن اللديغ بالسليم تفاؤلاً **(قال)** أي ميكائيل لجبريل **(ومن طبه؟ قال:)** جبريل لميكائيل طبه **(لبيد بن الأعصم)** بفتح اللام وكسر الموحدة والأعصم بهمزة مفتوحة فعين ساكنة فصاد مفتوحة مهملتين فميم اليهودي **(قال فيماذا؟ قال: في مشط)** بضم الميم وإسكان الشين وقد يكسر أوله مع إسكان ثانيه وقد يضم ثانيه مع ضم أوله فقط، واحد الأمشاط الآلة التي يمشط بها الشعر وفي حديث عروة عن عائشة: أنه مشطه ﷺ **(ومشاقة)** بضم الميم والقاف ما يستخرج من الكتان **(وجُفِّ طلعةٍ)** بضم الجيم وتشديد الفاء والإضافة وتنوين طلعة **(ذكر)** بالتنوين أيضاً صفة لجف وهو وعاء الطلع وغشاوه إذا جف **(قال)** ميكائيل لجبريل: **(فأين هو قال)** جبريل: هو **(في بئر ذروان)** بذال معجمة مفتوحة وراء ساكنة بئر بالمدينة في بستان بني زريق بتقديم الزاي المضمومة على الراء من اليهود وقال بعضهم: بئر أروان بهمزة بدل المعجمة

لعائشة حين رجع: نخلها كأنه رؤوس الشياطين فقلت: استخرجته؟ فقال: لا أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شراً، ثم دفنت البئر. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته.

---

وكلاهما صحيح **(فخرج إليها)** أي البئر المذكورة **(النبي ﷺ)** وفي رواية في أناسٍ من أصحابه **(ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها)** التي إلى جانبها **(كأنه)** أي النخل وفي نسخة: «كأنها» أي النخيل **(رؤوس الشياطين)** وفي رواية وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين أي في قبح المنظر فالتشبيه إنما هو لرؤوس نخلها قالت عائشة: **(فقلت: استخرجته؟ فقال:)** عليه الصلاة والسلام **(لا)** أي لم أستخرجه **(أما)** بفتح الهمزة وتشديد الميم **(أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك)** أي استخراجه **(على الناس شراً)** كتذكر السحر وتعلمه وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة، **(ثم دفنت البئر)** بضم الدال وكسر الفاء مبنياً للمفعول وفي رواية عن عروة: «فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرجه» ثم قالت: فاستخرج قال فقلت: ألا تنشرت فقال: «أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً» فأثبت استخراج السحر وجعل سؤال عائشة عن النشرة وهي التعويذ والرقية وفي رواية عمرٍ عن عائشة: أنه وجد في الطلعة تمثالاً من شمع تمثال النبي ﷺ وإذا فيه إبر مغروزة وإذا وتر فيه أحد عشرة عقدة، فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألماً ثم يجد بعدها راحة، وفيه أن السحر يؤثر بإذن الله تعالى وهو مزاولة النفوس الخبيثة لأقوال وأفعال ينشأ عنها أمور خارقة للعادة، ولا يتم: إلا باستعانة الشياطين على ذلك.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان)** إبليس أو أحد أعوانه **(أحدكم)** يوسوس في صدره **(فيقول من خلق كذا من خلق كذا)** بالتكرار مرتين **(حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه)** أي بلغ قوله من خلق ربك **(فليستعذ بالله)** من وسوسته، بأن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نَزْغ فاستعذ بالله﴾ [الأعراف: ٢٠٠] **(ولينته)** عن الاسترسال معه في ذلك وليبادر إلى قطعه بالإعراض عنه، فإنه تندفع الوسوسة عنه، لأن الأمر الطارىء بغير أصلٍ يندفع بغير نظرٍ في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه، قال الخطابي: لو أذن ﷺ في محاجته لكان الجواب سهلاً على كل موحد، ولكان الجواب مأخوذاً من فحوى كلامه، فإن أول كلامه يناقض آخره، لأن جميع المخلوقات من ملك وإنس وجن وحيوان وجماد داخل تحت اسم الخلق، ولو فُتح هذا الباب الذي ذكره للزم منه أن يقول: ومن خلق ذلك الشيء ويمتد القول إلى ما لا يتناهى، والقول بما لا يتناهى فاسد فسقط السؤال من

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال: ها إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان. عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إذا استنجح الليل أو كان جنح الليل، فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فحلوهم، وأغلق بابك واذكر اسم الله عليه، واطفىء مصباحك واذكر اسم الله، وأوك سقاءك واذكر

---

أصله. (**عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: رأيت النبي ﷺ يشير إلى المشرق فقال: ها**) بالقصر من غير همز حرف تنبيه (**إن الفتنة ههنا إن الفتنة ههنا**) مرتين (**من حيث يطلع قرن الشيطان**) نسب الطلوع لقرن الشيطان مع أن الطلوع للشمس لكونه مقارناً لطلوعها، ومراده عليه الصلاة والسلام منشأ الفتنة من جهة المشرق وهذا من أعلام نبوته ﷺ فقد وقع ذلك كما أخبر عنه.

(**عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: إذا استجنح الليل**) بسين مهملة ففوقية مفتوحة فجيم ساكنة فنون مفتوحة فحاء مهملة، أي أقبل ظلامه حين تغيب الشمس وفي نسخة إسقاط لفظ الليل (**أو**) شك (**كان جنح الليل**) بضم الجيم وكسرها وسكون النون وفي نسخة ضخم الجيم وفتحها أي طائفة منه وكان تامة، أي حصل وفي نسخة: أو قال: جنح الليل (**فكفوا صبيانكم**) أي ضموهم وامنعوهم من الانتشار ذلك الوقت (**فإن الشياطين تنتشر حينئذ**) لأن حركتهم في الليل أمكن لهم منها في النهار لأن الظلام أجمع للقوى الشيطانية، وعند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به فلذا خيف على الصبيان من إيذانهم (**فإذا ذهب ساعة من العشاء**) أي إذا ذهب بعض الظلمة لامتدادها (**فحلوهم**) بالحاء المهملة المضمومة، وفي نسخة فخلوهم بالخاء المفتوحة وضم اللام (**وأغلق بابك**) بقطع الهمزة والإفراد خطاب لمفرد والمراد به كل أحد فهو عام بحسب المعنى (**واذكر اسم الله**) أي عليه (**وأطفىء**) بقطع الهمزة أمر من الإطفاء (**مصباحك**) خوفاً من الفُوَيسقة أن تجر الفتيلة وتحرق البيت، وفي سنن أبي داود من حديث ابن عباس: «جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها وألقتها بين يدي رسول الله ﷺ على الخمرة التي كان قاعداً عليها فأحرقت منها موضع درهم والمصباح عام يشمل السراج وغيره، نعم القنديل المعلق إن أمن أمنها فلا بأس لانتفاء العلة (**واذكر اسم الله عليه وأوكىء سقاءك**) بكسر السين والمد أي اشدد فم قربتك بخيط أو غيره قال: في المصباح: الوِكاء مثل كتاب حبل يُشد به فم القربة، والجمع أوكية مثل سلاح وأسلحة وأوكيت السقاء بالألف شددت فمه بالوكاء ووكيته، من وعد لغة قليلة، والسقاء يكون للبن والماء اهـ (**واذكر اسم الله**) أي عليه (**وخَمِّر**) بالخاء المعجمة المفتوحة والميم المشددة المكسورة والراء أي غط (**إناءك**) صيانة من الشيطان لأنه لا يكشف غطاء ولا

اسم الله، وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو تعرض عليه شيئاً. عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال كنت جالس مع النبي ﷺ ورجلان يستبان، فأحدهما أحْمَرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من الشيطان فقال: وهل بي جنون.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك الشيطان[١].

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ الرؤيا الصالحة من الله،

---

يحل سقاء ولا يفتح باباً ولا يؤذي صبياً، وفي تغطية الإناء أيضاً أمن من الحشرات وغيرها ومن الوباء الذي ينزل في ليلة في السنة، إذ ورد أنه لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه، وعن الليث: والأعاجم يتقون ذلك في كانون الأول. **(واذكر اسم الله)** أي عليه **(ولو تُعرض)** بضم الراء وتكسر **(عليه)** أي على الإناء **(شيئاً)** عوداً أو نحوه تجعله عليه عرضاً بخلاف الطول إن لم تقدر على ما تغطيه به، والأمر في كلها للإرشاد فلا يثاب عليه إلا إذا قصد امتثال الشارع.

**(عن سليمان)** بضم السين مصغراً **(ابن صرد)** بضم الصاد المهملة وبعد الراء المفتوحة دال مهملة الخزاعي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان)** قال الحافظ ابن حجر: لم أعرف اسمهما **(يستبان)** يتشاتمان **(فأحدهما احْمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه)** من شدة الغضب والودج عرق في المذبح من الحلق وعبر بالجمع على حد قوله أزج الحواجب **(فقال النبي ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد)** من الغضب **(لو قال: أعوذ بالله من الشيطان)** لم يقل الرجيم **(ذهب عنه ما يجد)** لأن الغضب من نزعات الشيطان **(فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تَعَوَّذ بالله من الشيطان)** في سنن أبي داود أن الذي قال له ذلك معاذ بن جبل **(فقال وهل بي جنون؟)** ظن أنه لا يستعيذ من الشيطان إلا من به جنون ولم يعلم أن الغضب نوع من مس الشيطان، ولذا يَخْرج به عن صورته ويُزَيِّن له إفساد ماله كتقطيع ثوبه وكسر آنيته، قال النووي: وهذا كلام من لا يفقه في دين الله ولم يتهذب بأنوار الشريعة المطهرة ولعله كان من المنافقين أو من جفاة الأعراب.

**(عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: الرؤيا الصالحة من الله)** الصالحة صفة موضحة للرؤيا لأن غير الصالحة تسمى بالحلم أو مخصصة، والصلاح

---

(١) لم يكتب الشارح على هذا الحديث اهـ مصححه.

والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً، فإن الشيطان يبيت على خيشومه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر، فإنهما يطمسان البصر ويسقطان

---

إما باعتبار رؤيتها أو باعتبار تعبيرها **(والحلم)** بضم الحاء المهملة واللام وهو الرؤيا الغير الصالحة **(من الشيطان)** لأنه هو الذي يريها للإنسان ليحزنه ويسوء ظنه بربه، **(وإذا حلم أحدكم)** بفتح الحاء واللام **(حلماً)** بضم الحاء وسكون اللام **(يخافه)** في موضع نصب صفة لحلماً **(فليبصق عن يساره)** طرداً للشيطان **(وليتعوذ بالله من شرِّها)** أي الرؤية السيئة **(فإنها لا تضره. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستتر ثلاثاً)** بأن يُخرج ما في أنفه من ماء وأذًى بخنصر يده اليسرى بعد الاستنشاق، لما فيه من تنقية مجرى النفس الذي به تلاوة القرآن وبإزالة ما فيه تصح مجاري الحروف، **(فإن الشيطان يبيت على خيشومه)** حقيقة لأن الأنف أحد المنافذ التي يتوصل منها إلى القلب لا سيما وليس من منافذ الجسم ما ليس عليه غلق سواه وسوى الأذنين، وقد جاء في التثاؤب الأمر بكظمه من أجل دخول الشيطان حينئذٍ في الفم، ويحتمل أن يكون على الاستعارة فإنه ينفذ من الغبار ورطوبة الخياشيم قذر يوافق الشيطان، قاله القاضي عياض. وقال التوربشتي والبيضاوي: الخيشوم هو أقصى الأنف المتصل بالبطن المقدم من الدماغ الذي هو موضع الحس المشترك ومستقر الخيال، فإذا نام يجتمع فيه الأخلاط وييبس عليه المخاط ويكل الحس ويتشوش الفكر، فيرى أضغاث أحلام فإذا قام من نومه وترك الخيشوم بحاله استمر الكسل والكلال واستعصى عليه النظر الصحيح وعسر الخضوع والقيام على حقوق الصلاة وأدائها، ثم قال التوربشتي: ما ذكر هو من طريق الاحتمال وحق الأدب دون الكلمات النبوية التي هي مخازن لأسرار الربوبية ومعادن الحكم الإلهية، أن لا يتكلم في هذا الحديث وإخوانه بشيء فإن الله تعالى خص رسوله ﷺ بغرائب المعاني، وكاشفه عن حقائق الأشياء ما يقصر عن بيانه باع الفهم ويكل عن إدراكه بصر العقل اهـ وظاهر هذا الحديث يقتضي أن يحصل هذا لكل نائم، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بمن لم يحترز من الشيطان بشيء من الذكر، كما في حديث آية الكرسي: «ولا يقربك شيطان».

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: اقتلوا الحيات واقتلوا ذا الطُفيتين)** بضم الطاء المهملة وسكون الفاء تثنية طفية وهو الذي على ظهره خطان أبيضان **(والأبتر)** الذي لا ذنب له أو قصيره، أو الأفعى

الحبل، قال عبد الله فبينا أنا أطارد حية لأقتلها فناداني أبو لبابة لا تقتلها، فقلت: إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات، فقال: إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت وهي العوامر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم.

---

التي قدر شبر أو أكثر قليلاً (**فإنهما يطمسان البصر**) أي يمحوان نوره (**ويسقطان**) وفي نسخة ويستسقطان (**الحبل**) بفتح الحاء المهملة والموحدة أي الولد إذا نظرت إليهما الحامل، ومن الحيات نوع إذا وقع نظره على إنسان مات من ساعته وآخر إذا سمع صوته مات، وإنما أمر بقتل ذي الطفيتين والأبتر، قيل: لأن الشيطان لا يتمثل بهما. (**قال عبد الله**) بن عمر رضي الله تعالى عنهما (**فبينا**) بغير ميم (**أنا أطارد**) أي أتبع وأطلب (**حيةً لأقتلها**) أي لأن أقتلها (**فناداني أبو لبابة**) بضم اللام وتخفيف الموحدة قيل: اسمه رفاعة بكسر الراء وبالفاء ابن عبد المنذر وقيل اسمه بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة، وقيل: مصغر وقيل بمهملة وتحتية مصغر وشذّ من قال: اسمه مروان (**لا تقتلها، فقلت:**) له (**إن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل الحيات، فقال:**) وفي نسخة قال: (**إنه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت**) أي اللاتي يوجدن في البيوت لأن الجني يتمثل بها، وخصه مالك ببيوت المدينة وفي مسلم: «إن في المدينة جناً قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان». (**وهي العوامر**) أي سكانها من الجن، سميت بذلك لطول لبثهن فيها من العمر وهو طول البقاء.

(**وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: رأس الكفر نحو المشرق**) بنصب نحو لأنه ظرف وهو مستقر في محل رفع خبر المبتدأ، وفي نسخة: «قِبَل المشرِق» أي أكثر الكفرة من جهة المشرق، وأعظم أسباب الكفر منشؤه منه ومنه يخرج الدجال قال في الفتح: وفي ذلك إشارة إلى شدة كفر المجوس، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت في جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة، وكانوا في غاية القوة والتجبر والتكبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي ﷺ واستمرت الفتن من قِبَل المشرق، (**والفخر**) بالخاء المعجمة كإعجاب النفس (**والخيلاء**) بضم الخاء المعجمة وفتح التحتية ممدوداً، الكِبرْ واحتقار الغير (**في أهل الخيل والإبل والفدّادين**) بفتح الفاء والدال المهملة المشددة وحكي تخفيفها، وبعد الألف أخرى مخففة مكسورة قال في القاموس: الفداد: مالك المئين من الإبل إلى الألف والمتكثر والجمع الفدادون وهم أيضاً الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون والفلاحون، والذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم

عن عقبة بن عمرو أبي مسعود رضي الله عنه قال أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال الإيمان يمَان ههنا ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند

---

والمتكثرون من الإبل، وقال الخطابي: إن رَويته بتشديد الدال فهو جمع فداد وهو الشديد الصوت، وذلك من دأب أصحاب الإبل وإن رَوَيْتَه بتخفيفها فهو جمع الفدان وهو آلة الحرث البقر، قال في المصباح: الفداد: بالتثقيل آلة الحرث ويطلق على الثورين يحرث عليهما في القران اهـ وعلى هذا فهو على حذف مضاف أي أصحاب الفدادين وإنما ذم ذلك لأنه يشغل عن أمر الدين ويلهى عن الآخرة، وذلك يُفضي إلى قساوة القلب، وقال القرطبي: ليس في رواية الحديث إلا التشديد وهو الصحيح على ما قاله الأصمعي وغيره، وقال ابن فارس في الحديث: الجفاء والقسوة في الفدادين أي أصحاب الحروث والمواشي، **(أهل الوبر)** بفتح الواو والموحدة بيان للفدادين أي ليسوا من أهل الحضر بل من أهل البدو **(والسكينة)** بفتح السين وتخفيف الكاف، وفي القاموس بكسرها مشددة الطمأنينة، وقال ابن خالويه: السكينة مصدر سكن سكينة وليس في المصادر له شبيه إلا قولهم عليه ضريبة أي: خراج معلوم **(في أهل الغنم)** لأنهم في الغالب دون أهل الإبل في التوسيع والكثرة، وهما من أسباب الفخر والخيلاء، وعند ابن ماجه أنه ﷺ قال لأم هانىء: «اتخذي الغنم فإن فيها بركة».

**(عن عقبة بن عمرو أبي مسعود)** الأنصاري البدري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال: الإيمان يمان)** مبتدأ وخبر وأصله يمني بياء النسبة فحذفوا إحدى الياءين للتخفيف وعوضوا الألف بدلها أي الإيمان منسوب إلى أهل اليمن، وحمله ابن الصلاح على ظاهره وحقيقته لإذعانهم إلى الإيمان من غير كبير مشقة على المسلمين، بخلاف غيرهم، ومن اتصف بشيء وقوي إيمانه به نسب ذلك الشيء إليه إشعاراً بكمال حاله فيه فكذا حال أهل اليمن حينئذ وحال الوافدين منهم في حياته وفي أعقابه، كأويسٍ القرني وأبي مسلم الخَوْلاَني وشبههما ممن سلم قلبه وقوي إيمانه فكانت نسبة الإيمان إليهم بذلك إشعاراً بكمال إيمانهم من غير أن يكون في ذلك نفي له عن غيرهم، فلا منافاة بينه وبين قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان في أهل الحجاز»، ثم المراد بذلك الموجودون منهم حينئذٍ لا كل أهل اليمن في كل زمن فإن اللفظ لا يقتضيه، وصرفه بعضهم عن ظاهره فقيل: المراد به مكة لأنها من تهامة وتهامة من أرض اليمن، وقيل مكة والمدينة فإنه يروى في هذا الحديث أنه ﷺ قاله وهو بتبوك والمدينة حينئذٍ بينه وبين اليمن، وأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة لكونهما حينئذ من ناحية اليمن، وقيل المراد الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، وعورض بأن في بعض طرقه عند مسلم: «أتاكم أهل اليمن» والأنصار من جملة المخاطبين بذلك فهم إذاً غيرهم، وكذا قوله هنا أشار بيده نحو اليمن فيه إشارة إلى أن

أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً. وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «فقدت أمة من

---

المراد به أهلها حينئذٍ لا الذين كان أصلهم منها **(ههنا)** وفي بعض النسخ الإيمان ههنا بإسقاط قوله يمان، **(ألا)** بالتخفيف **(إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين)** أي المصوتين **(عند أصول أذناب الإبل)** عند سوقهم لها **(حيث يطلع قرنا الشيطان)** بالتثنية جانبا رأسه لأنه ينتصب في محاذاة مطلع الشمس حتى إذا طلعت كانت بين قرني رأسه أي جانبيه فتقع السجدة له حين تسجد عبدة الشمس **(في ربيعة ومضر)** متعلق بالفدادين، وقال الكرماني: بدل منه، وقال النووي: أي القسوة في ربيعة ومضر الفدّادين، والمراد اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر، كما قال في الحديث الآخر: «رأس الكفر نحو المشرق»، وكان ذلك في عهده ﷺ حين قال ذلك ويكون حين يخرج الدجّال من المشرق، وهو فيما بينهما منشأ الفتن العظيمة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال إذا سمعتم صياح الديكة)** بكسر الدال المهملة وفتح التحتية جمع ديك ويجمع في القلة على أدياك وفي الكثرة على ديوك وديكة **(فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً)** بفتح اللام رجاء تأمينه على دعائكم واستغفاره لكم وشهادته لكم بالتضرع والإخلاص، لتحصل الإجابة، وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين، وأعظم ما في الديك من الخواص العجيبة معرفة الأوقات الليلية والنهارية، فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال النهار والليل أو قصرا، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك، ولهذا أفتى القاضي الحسين وغيره من الشافعية بجواز اعتماد الديك المجرب في الصلاة أي بأن يجعل صوته أمارة للاجتهاد وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد أن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا الديك فإنه يدعو إلى الصلاة» قال الحليمي: فيه دليل على أن من استفيد منه خير لا ينبغي أن يسب ويستهان، بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان، وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراخه صلوا أو حانت الصلاة، بل معناه أن العادة جرت أنه يصرخ صرخات متتابعات عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرة فطره الله تعالى عليها فيُذَكِّرنا الناس بصراخه الصلاة، ولا يجوز لهم أن يصلوا بصراخه من غير دلالة سواه إلا من جرب منه ما لا يخلف فيصير ذلك له أمارة كما مر، **(وإذا سمعتم نهيق الحمار)** جمعه حمير وحمر وأحمرة **(فتعوذوا بالله من الشيطان)** أي من شره وشر وسوسته **(فإنها)** أي الحمر المدلول عليها بالحمار **(رأت شيطاناً)** وفي نسخة: «فإنه رأى شيطاناً.

بني إسرائيل لا يُدْرَى ما فعلت، وإني لا أراها إلا الفأر إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاء شربت»، فحدثت كعباً فقال: أنت سمعت النبي ﷺ يقوله؟ قلت: نعم فقال لي: مراراً فقلت: أفأقرأ التوراة؟.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء». وعنه

---

**(وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: فقِدت)** بضم الفاء وكسر القاف مبنياً للمفعول أي مسخت **(أمة)** رفع نائب فاعل طائفة **(من بني إسرائيل لا يُدرَى)** بضم التحتية وفتح الراء **(ما فعلت، وإني لا أراها)** بضم الهمزة أي لا أظنها **(إلا الفأر)** بإسكان الهمزة زاد مسلم عن ابن سيرين: مُسِخ وآية ذلك أنه **(إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب)** لأن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بني إسرائيل، **(وإذا وضع لها ألبان الشاء)** أي الغنم **(شربت)** لأنه حلال لهم كلحمها وهو دليل على المسخ، قال أبو هريرة: **(فحدثت كعباً)** هو كعب بن مانع المشهور بكعب الأحبار بذلك **(فقال)** لي **(أنت سمعت من النبي ﷺ يقوله؟)** قال أبو هريرة: **(فقلت)** له: **(نعم)** سمعته **(فقال)** وفي نسخة: قال أي كعب **(لي مراراً:)** أنت سمعته من النبي ﷺ؟ قال أبو هريرة **(فقلت)** له **(أفأقرأ التوراة؟)** بهمزة الاستفهام الإنكاري وفي نسخة بحذفها وعند مسلم: «فأنزلت علي التوراة؟ أي أنا لا أقوال إلا ما سمعته عن النبي ﷺ ولا أنقل عن التوراة، وقد اختلف في الممسوخ هل يكون له نسل أم لا، فذهب أبو إسحاق الزجاج وابن العربي إلى أن الموجود من القردة من نسل الممسوخ تمسكاً بهذا الحديث، وقال الجمهور: لا وهو المعتمد لحديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعاً: «إن الله لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك». وأجابوا عن هذا الحديث بأنه عليه الصلاة والسلام قاله قبل أن يُوحي إليه بحقيقة الأمر في ذلك، ولذا لم يجزم به بخلاف النفي فإنه جزم به كما في حديث ابن مسعود المذكور.

**(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: النبي ﷺ: إذا وقع الذباب)** بالمعجمة واحده ذبابة ولا تقل ذبانة **(في شراب أحدكم)** هو شامل لكل مائع وعند ابن ماجه من حديث أبي سعيد: «فإذا وقع في الطعام»، وعند أبي داود من حديث أبي هريرة: «إذا وقع في إناء أحدكم»، والإناء يكون فيه كل شيء عن مأكول أو مشروب، **(فليغمسه)** في رواية: «كلّه» وفيه دفع توهم المجاز من الاكتفاء بغمس بعضه والأمر للإرشاد لمقابلة الداء بالدواء **(ثم لينزعه)** وفي نسخة لينتزعه بزيادة فوقية قبل الزاي وفي رواية ثم ليطرحه، وعند البزّار أنه يغمسه ثلاثاً مع قوله بسم الله، **(فإن في أحد جناحيه)** وهو الأيسر كما قيل **(داء و)** في **(الآخر)** وهو الأيمن **(شفاء)** والجناح يذكر ويؤنث فإنهم

رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: غُفِر لامرأةٍ موسمةٍ مرَّت بكلبٍ على رأسِ ركي يلهث قد كاد يقتله العطش، فنزعت خفها فأوثقته بخمارِها فنزعت له من الماء فَغُفِر لها بذلك». وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ثم قال: اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك

---

قالوا في جمعه: أجنحة وأجنُح فالأول للمذكر كقذال وأقذلة والثاني للمؤنث كشمال وأشمُل وفي نسخة: «فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاءً»، بكسر الهمزة وسكون الحاء المهملة في الأول وضم الهمزة في الثاني على التأنيث، وفيه العطف على معمولي عاملين مختلفين، واستنبط من الحديث أن الماء القليل لا ينجس بوقوع ما لا نفس له سائلة فيه وجهه كما نقل عن الشافعي أنه قد يفضي الغمس إلى الموت سيما إذا كان المغموس فيه حاراً، فلو نجسه لما أمر به هذا إذا لم يغير الماء فإن غيره تنجس على الصحيح، ولا فرق في عدم التنجيس بين ما تعم به البلوى كالذباب والبعوض، وبين ما لا تعم كالعقارب والخنافس على الراجح، وإن كان الغمس خاصاً بالذباب لتقديم الداء فيه وهو مفقود في غيره.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: غُفِر**) بضم أوله مبنياً للمفعول أي غفر الله (**لامرأة**) لم تُسم (**موسمة**) بميم مضمومة فواو ساكنة فميم مكسورة فسين مهملة أي زانية (**مرت بكلب على رأس ركي**) بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتية بئر لم تطو (**يلهث**) بالمثلثة أي يخرج لسانه عطشاً (**قد كاد يقتله العطش فنزعت خفها**) من رجلها (**فأوثقته بخمارها**) بكسر الخاء المعجمة وهو نصيفها الذي على رأسها (**فنزعت من الماء**) أي استقت للكلب يخفها من الركية (**فغفر الله لها بذلك**) أي بسبب سقيها للكلب، وفيه أن الله تعالى يتجاوز عن الكبيرة بالعمل اليسير تفضلاً منه سبحانه وتعالى (**وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: خلق الله**) عز وجل (**آدم**) عليه السلام وفي رواية على صورته والضمير لآدم، أي أوجده على هيئته التي خلقه الله عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطواراً بل خلقه كاملاً سوياً وعورض هذا التفسير بقوله في حديث آخر خلق آدم على صورة الرحمن، وهي إضافة تشريف وتكريم لأن الله تعالى خلقه على صورة لم يشاكلها شيء من الصور في الجمال والكمال، وهو ممنوع من الصرف للعلمية أو العجمة أو وزن الفعل (**وطوله ستون ذراعاً**) بقدر ذراع نفسه أو بقدر الذراع المتعارف يومئذٍ عند المخاطبين، ورجح الثاني بأن ذراع كل أحد مثل ربعه فلو كان بذراع نفسه لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده فيكون في ذلك قبح، أو لكان طوله أربعة أذرع بذراع نفسه لا ستين، وزاد أحمد من حديث سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: «في سبعة أذرع عرضاً» (**ثم قال الله**) تعالى له: (**اذهب فسلم على أولئك**) من (**الملائكة فاستمع ما يحيونك**) من التحية فهذه (**تحيتك وتحية ذريتك**) من

وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى

---

بعدك، وفي الترمذي من حديث أبي هريرة: «لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه» الحديث إلى قوله اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس **(فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله)** وهذا أول مشروعية السلام وتخصيصه بالذكر لأنه فتح لباب المودة وتأليف لقلوب الإخوان المؤدي إلى استكمال الإيمان، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تخاببتم، أفشوا السلام بينكم»، **(فكل من يدخل الجنة)** يدخلها وهو **(على صورة آدم)** عليه السلام في الحسن والجمال والطول ولا يدخلها على صورته من السواد أو بوصف من العاهات، **(فلم يزل الخلق ينقص)** في الجمال والطول **(حتى الآن)** فانتهى التناقص إلى هذه الأمة، فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه آدم من الجمال وطول القامة. وعن ابن قتيبة: أن آدم عليه السلام كان أمرد وإنما نبتت اللحية لولده من بعده، وكان طُوالاً كثير الشعر جعداً أجمل البرية اهـ وروى البزّار وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً: إن الله تعالى خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثم تركه، حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه، حتى إذا كان صلصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول: خُلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه فكان أول من جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فقال: الحمد لله فقال الله: «يرحمك ربك». الحديث وروى أبو داود وابن حبان عن أبي موسى مرفوعاً: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، ثم قال: إن الله تعالى لما أراد إبراز آدم من العدم إلى الوجود قلبه في ستة أطوار، طور التراب وطور الطين اللازب وطور الحمأ وطور الصلصال وطور التسوية وهي جعل الخزفة التي هي الصلصال عظماً ولحماً، ولذا كان تمام أولاده بعد ستة أطوار أيضاً: النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم كسوة العظام لحماً ثم نفخ الروح فيه، وقد شرف الله تعالى هذا الإنسان على سائر المخلوقات فهو صفوة العالم وخلاصته وثمارته، قال الله تعالى: ﴿لقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء: ٧٠] و ﴿سخر لكم ما في السموات ما في الأرض جميعاً منه﴾ [الجاثية: ١٣] وقد خلقه الله تعالى واسطة بين شريف وهو الملائكة ووضيع وهو الحيوان، ولذا كان فيه قوى العالمين وأهلاً لسكنى الدارين فهو كالحيوان في الشهوة وكالملائكة في العلم والعقل والعبادة، وخصه برتبة النبوة قال ابن كثير: واختلف هل وُلد لآدم في الجنة؟ فقيل لا وقيل وُلد له فيها قابيل وأخته قال: وذكروا أنه كان يولد له في كل بطنٍ ذكر وأنثى، وفي تاريخ ابن جرير أن حواء وَلَدَت لآدم أربعين ولداً في عشرين بطناً، وقيل: مائة وعشرين بطناً في كل بطن ذكر وأنثى أو لهم قابيل وأخته قليما وآخرهم

الآن». عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله، فقال رسول الله ﷺ: «خَبَّرَني بهنَّ آنفاً جبريل»، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله ﷺ: «أما أول أشراط الساعة فنارٌ تَحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه

---

عبد المغيث وأخته أمة المغيث، وقيل: إنه لم يمت حتى رأى من ذريته من ولده وولد ولده أربعمائة ألف نسمة، وذكر السدي عن ابن عباس وغيره أنه كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج أخت قابيل فأبى فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تتزوج أختي فقال: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧] وضربه فقتله وكانت مدة حياة آدم ألف سنة، وعن عطاء الخراساني فيما رواه ابن جرير أنه لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبعة أيام.

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال بلغ عبد الله بن سلام**) بتخفيف اللام الإسرائيلي وعبد الله نصب بقوله بلغ وقوله (**مقدم**) رفع على الفاعلية وهو مصدر ميمي بمعنى القدوم (**رسول الله**) وفي نسخة النبي (**ﷺ المدينة**) نصب على الظرفية (**فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث**) من المسائل (**لا يعلمهن إلا نبي قال: ما أول أشراط الساعة**) أي علاماتها (**وما أول طعام يأكله أهل الجنة**) أي فيها (**ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه**) أي يشبه أباه (**ومن أي شيء ينزع إلى أخواله**) أي يشبههم (**فقال رسول الله ﷺ: خبرني**) بتشديد الموحدة (**بهنَّ**) أي بالمسائل المذكورة (**آنفاً**) أي سابقاً أي منذ ساعة (**جبريل**) عليه السلام (**قال:**) أنس (**فقال عبد الله**) بن سلام: (**ذاك**) أي جبريل (**عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ**) مجيباً له (**أمّا أول أشراطها فنارٌ تحرق الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت**) وهي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها وهي في غاية اللذة وقيل هي أهنأ طعام وأمرأه، وقيل: إن الحوت هو الذي عليه الأرض والإشارة ذلك إلى نفاذ الدنيا (**وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة**) أي جامعها (**فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت**) وفي نسخة: «استبقت» بهمزة وصل وتسكين السين المهملة وفوقية مفتوحة وبعد القاف تاء تأنيث وفي أخرى سبق (**ماؤها كان الشبه لها**) وفي حديث عائشة عند مسلم: «إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه، وإذا علا ماء المرأة مات الرجل أشبه أخواله» والمراد بالعلوِّ هنا السبق لأن كل من سبق فقد علا شأنه، فهو علوٌّ معنوي وقيل غير ذلك (**قال**) عبد الله بن

له وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها»، قال أشهد أنك رسول الله، قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت. فقال رسول الله ﷺ: «أي رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا فقال رسول الله ﷺ «أفرأيتم إن أسلم عبد الله»، قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا ووقعوا فيه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخنزِ اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها». عن أنس رضي الله عنه يرفعه «إن الله تعالى يقول لأهون أهل النار عذاباً لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به قال: نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك

---

سلام: (**أشهد أنك رسول الله، ثم قا: يا رسول الله إن اليهود قومٌ بهت**) بضم الموحدة وسكون الهاء وتضم جمع بهيت كقضيب وقضب وهو الذي يبهت المقول له بما يفتريه عليه من الكذب، أي كذابون ممارون لا يرجعون إلى الحق (**إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم**) عني (**بهتوني**) أي كذبوا علي (**عندك فجاءت اليهود**) إلى رسول الله ﷺ (**ودخل عبد الله**) بن سلام (**البيت، فقال رسول الله ﷺ**) لليهود: (**أي رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا وأخيرنا وابن أخيرنا**) أفعل تفضيل من الخير وفيه استعمال أفعل التفضيل بلفظ الأخير وفي نسخة: أخبرنا وابن أخبرنا بالموحدة في الأولى من الخبرة وبالتحتية في الثانية (**فقال رسول الله ﷺ: أفرأيتم**) أي أخبروني (**إن أسلم عبد الله**) بن سلام أتسلمون (**قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله**) بن سلام من البيت (**إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرُّنا وابن شرنا ووقعوا فيه**) أي في غرضه بالذم. (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم**) بخاء معجمة ساكنة فنون مفتوحة أو مكسورة فزاي أي لم ينتن واصل ذلك فيما روي عن قتادة: أن بني إسرائيل أدخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك فاستمر نتن اللحم من ذلك الوقت (**ولولا حواء**) بالهمز ممدوداً (**لم تخن أنثى زوجها**) حيث زينت لزوجها آدم الأكل من الشجرة، فسرى في أولادها مثل ذلك فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو القول.

(**وعن أنس رضي الله تعالى عنه يرفعه**) إلى النبي ﷺ (**إن الله تعالى يقول**) يوم القيامة: (**لأهون أهل النار عذاباً**) قيل: هو أبو طالب (**لو أن لك ما في الأرض من شيء كنتَ تفتدي به؟**) بالفاء من الافتداء وهو خلاص نفسه مما وقع فيه بدفع ما يملكه (**قال نعم، قال:**) الله تعالى (**فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم**) حين أخذت

بي فأبيت إلا الشرك». عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها لأنه أول من سنَّ القتل». عن زينب ابنة جحشٍ رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: «لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه». وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، قالت زينب ابنة جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كَثُر الخبث». عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك

---

الميثاق **(أن لا تشرك بي فأبيت)** إذ أخرجتك إلى الدنيا **(إلا الشرك)** أي امتنعت من كل شيء يتعلق بأمر الربوبية إلا الشرك، أو امتنعت من التوحيد إلا الشرك فإنك تلبست، وهو استثناء منقطع والمراد بالشرك مطلق الكفر بالله.

**(عن عبد الله)** هو ابن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقتل نفسٌ)** بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية مبنياً للمفعول من بني آدم **(ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول)** قابيل حيث قتل أخاه هابيل **(كِفل)** بكسر الكاف وإسكان الفاء أي نصيب **(من دمها لأنه أول من سنَّ القتل)** على وجه الأرض من بني آدم. **(عن زينب بنت جحش)** زوج النبي ﷺ **(رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ دخل عليها)** حال كونه **(فزعاً)** بكسر الزاي أي خائفاً **(يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب)** أي قرب قيل خص العرب بالذكر إشارة إلى ما وقع من قتل عثمان رضي الله تعالى عنه، أو أراد ما يتوقع من مفسدة يأجوج ومأجوج أو من الترك من المفاسد العظيمة في بلاد الإسلام **(فتح اليوم)** نصب على الظرفية **(من ردم يأجوج ومأجوج)** أي من سدهما والمراد به ما يشبه ذلك من وجوده عليه الصلاة والسلام ووجود الخليفتين بعده إلى قتل عثمان، وقيل المراد حقيقته فقد ورد أنهم يحفرون كل يوم حتى لا يبقى بينهم وبين أن يخرقوه إلا يسير فيقولون: غداً نأتي فنفرغ منه فيأتونه فيجدونه عاد كهيئته وإذا جاء الوقت قالوا: غداً إن شاء الله تعالى فإذا أتوه نقبوه وخرجوا **(مثل هذه وحلق)** بتشديد اللام وبالقاف أي حلق ﷺ **(بأصبعه)** بالتثنية وفي نسخة بالإفراد **(الإبهام والتي تليها)** وذلك عقدة التسعين في عرف أهل الحجاز والمراد التقريب لا التحديد **(فقالت)** وفي نسخة قالت **(زينب)** بنت جحش: **(قلت: يا رسول الله: أنهلك)** بكسر اللام **(وفينا الصالحون؟ قال)** عليه الصلاة والسلام: **(نعم إذا كثر الخبث)** بفتح الخاء المعجمة والموحدة وبالمثلثة الفسوق والفجور أو الزنا خاصة وأولاده، وقال بعضهم الظاهر أنه المعاصي مطلقاً.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: يقول الله تبارك وتعالى)** أي يوم القيامة كما في بعض الروايات **(يا آدم فيقول:)** وفي نسخة قال

والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله وأيُّنا ذلك الواحد قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفاً»، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فكبرنا فقال:

---

**(لبيك)** أي إجابة بعد إجابة ولزوماً لطاعتك، فهو من المصادر المثناة لفظاً ومعناها التكرير بلا حصر ومثله **(وسعديك)** أي إسعاداً لك بعد إسعاد أي مساعدة لك بالإجابة وعدم الامتناع، **(والخير في يديك)** أي منك **(فيقول)** الله تعالى له: **(أخرج)** بفتح الهمزة وكسر الراء من الناس **(بعث النار)** أي المبعوث إليها **(قال: وما بعث النار؟)** أي وما مقدار بعث النار **(قال)** الله تعالى: **(من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين)** نصب قال العيني: على التميز والمراد به معناه اللغوي وهو البيان فهو بدل أو عطف بيان من قوله بعث النار الأول، ويجوز الرفع خبر المبتدأ محذوف والأولى أن يجعل مفعولاً لمحذوف أي أخرج تسعمائة وتسعة وتسعين من كل ألف فإنه بعث النار **(فعنده)** أي عند قوله لآدم أخرج بعث النار **(يشيب الصغير)** من شدة الهول لو تصور وجوده لأن الهم يُضعِف القوي ويسرع بالشيب أو هو محمول على الحقيقة لأن كل أحد يبعث على ما مات عليه فيبعث الطفل طفلاً فإذا وقع ذلك يشيب الطفل من شدة الهول، **(وتضع كل ذاتِ حمل حملها)** لو فُرِضَ وجودُها أو أن من ماتت حاملاً فتضع حملها من الفزع، **(وترى الناس سكارى)** من الخوف **(وما هم بسكارى)** من الشراب، أو المعنى كأنهم سكارى من شدة الأمر الذي أدهش عقولهم وما هم بسكارى على الحقيقة، فقوله وما هم بسكارى بيان لإرادة معنى السكر فيما قبله فإنه إما أن يراد به التشبيه أي وترى الناس كالسكارى أو يجعل مجازاً عن الخوف والأصل وترى الناس خائفين فوضع موضعه سُكارى **(ولكن عذاب الله شديد)** تعليل لإثبات السكر المجازي لما نفى عنهم السكر الحقيقي، وهل هذا الفزع لكل أحد أو لأهل النار خاصة؟ قال قوم: الفزع الأكبر وغيره يختص بأهل النار، أما أهل الجنة فيحشرون آمنين قال الله تعالى: ﴿لا يحزُنُهم الفزع الأكبر﴾ [الأنبياء: ١٠٢] وقال آخرون: الخوف عام والله يفعل ما يشاء **(قالوا)** أي من حضر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم: **(يا رسول الله وأينا ذلك الواحد)** وفي نسخة ذاك بألف بدل اللام أي لا ندري الواحد الناجي منا من هو **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أبشروا)** بهمزة قطع وكسر المعجمة **(فإن منكم رجلاً)** بالنصب وفي نسخة بالرفع مبتدأ مؤخر فيكون اسم إن ضمير الشأن **(ومن يأجوج ومأجوج ألفاً)** بالنصب وفي نسخة بالرفع كما في سابقه، ورواية «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد» **(ثم قال)** عليه الصلاة والسلام: **(و)** الله **(الذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا)** أي أمته المؤمنون به **(ربع أهل الجنة**

«أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبرنا فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود». عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا

---

**فكبَّرْنا)** سروراً بهذه البشارة العظيمة **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا)** سروراً لذلك **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)** ولا يعارض هذا ما في الترمذي وحسنه عن بريدة مرفوعاً: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون منها من سائر الأمم» لأنه ليس فيه جزم بأنهم نصف أهل الجنة فقط وإنما هو رجاء ترجاه لأمته ثم أعلمه الله تعالى بعد ذلك أن أمته ثلثا أهل الجنة **(فكبرنا)** سروراً بما أنعم الله تعالى به وتكرير الإعطاء ربعاً ثم ثلثاً ثم نصفاً لأنه أوقع في النفس وأبلغ في الإكرام مع الحمل لهم على تجديد الشكر **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(ما أنتم في الناس)** في المحشر **(إلا كالشعرة السوداء)** بفتح العين **(في جلد ثورِ أبيض)** وفي نسخةٍ إسقاط لفظ جلد **(أو كشعرة بيضاء في جلد ثورِ أسود)** وأو للتنويع أو للشك من الراوي وهذا في المحشر كما مر، وأما في الجنة فهم نصف الناس أو ثلثاهم كما مر وفيه دلالة على كثرة يأجوج ومأجوج وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عُشر العُشر وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح، وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل، وقيل يأجوج ومأجوج اثنان وعشرون قبيلة بني ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت واحدة منهم الترك سُمُّوا بذلك لأنهم تُرِكوا خارج السد، وقيل إن مقدار العامر من الدنيا مائة وعشرون سنة وأن تسعين منها ليأجوج ومأجوج، وهم أربعون أمة مختلفوا الخلق والقدود في كل أمة ملك ولغة، ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة، وعن حذيفة مرفوعاً: «أن يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح»، والكلام فيهم طويل الذيل.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إنكم تحشرون)** عند الخروج من القبور حال كونكم **(حفاة)** بضم الحاء المهملة وتخفيف الفاء جمع حاف أي بلا خف ولا نعل **(عراة)** أي لا ثياب عليهم جميعهم أو بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً لحديث سعيد عند أبي داود وصححه ابن حبان مرفوعاً: «أن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها»، وقد يقال إن ذلك عند قيامهم من القبور ثم يحشرون كلهم عراة **(غرلاً)** بضم الغين المعجمة وإسكان الراء أي غير مختونين، والغرلة ما يقطعه الخاتن وهي القلفة **(ثم قرأ كما بدأنا أول خلقٍ نعيده)** أي نوجده بعينه بعد إعدامه مرة أخرى أو نعيد تركيب أجزائه بعد تفريقها من غير إعدام والأول أوجه لأنه تعالى شبه الإعادة بالابتداء، والابتداء

علينا إنا كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم، فأقول: كما قال العبد الصالح ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ إلى قوله ﴿الحكيم﴾. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة،

---

ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد العدم، فوجب أن تكون الإعادة كذلك **(وعداً علينا إنَّا كنَّا فاعلين)** الإعادة والبعث، وقوله وعداً نصب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة المتقدمة فناصبه مضمر أي وعدنا ذلك وعداً وقال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان يوم ولد فمن قطع منه شيء يرد إليه حتى الأقلف والآية وإن كانت مسوقة لإثبات الحشر والنشر لكنها تدل بطريق الإشارة على المعنى المراد من الحديث وهو حشرهم غرلاً **(وأول من يكسى)** من الأنبياء **(يوم القيامة إبراهيم)** بعد خشر الناس كلهم عراة أو بعضهم كاسياً، أو بعد خروجهم من قبورهم بأثوابهم التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة، ثم يكون أول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وزاد البيهقي مرفوعاً من حديث ابن عباس: «وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يُؤتى بي فأُكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر»، قيل والحكمة في كون الخليل أو من يُكسى كونه جُرِّد حين ألقي في النار، ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة هناك أفضليته على نبينا ﷺ لأن حلة نبينا ﷺ أعلى وأكمل فيجبر بنفاستها ما فات من الأولية، وكم لنبينا ﷺ من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها، ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى لكفي **(وإن ناساً)** وفي نسخة أناساً بضم الهمزة **(من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال)** وهي جهة النار **(فأقول أصحابي أصحابي)** أي هؤلاء أصحابي، وفي نسخة أصيحابي أصيحابي بالتصغير إشارة إلى قلة عددهم والتكرير للتأكيد **(فقال: إنهم لم)** بالميم وفي نسخة لن بالنون **(يزالوا مرتدين على أعقابهم)** بالكفر **(مذ)** وفي نسخة منذ **(فارقتهم)** قيل المراد بهم قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وقد ارتد بعد موته ﷺ عن الإسلام ناس ولا يقدح ذلك في الصحابة المشهورين، فإن أصحابه وإن شاع استعماله عرفاً فيمن لازمه من المهاجرين والأنصار شاع استعماله في كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة، أو المراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية **(فأقول كما قال العبد الصالح)** عيسى ابن مريم **(﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾)** أي رقيباً عليهم أمنعهم من الارتداد أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان **(إلى قوله ﴿العزيز الحكيم﴾)**.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: يلقى إبراهيم أباه آزر)**

فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول: أبوه: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله عز وجل: إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذِيخ متلطخ فيُؤخذ بقوائمه فيلقى في النار». وعنه رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم» فقالوا: ليس عن هذا نسألك قال: «فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا؟ ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهواً.

---

وهو الملقب بتارح وقيل أبوه تارح وآزر عمه (**يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة**) سواد كالدخان (**وغبرة**) غبار وتقديم الظرف للاختصاص (**فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني**) مجزوم على النهي بحذف حرف العلة (**فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني**) أي لا تهينني ولا تذلني (**يوم يبعثون فأي خزي أخزى من خزي أبي الأبعد**) من رحمة الله وعبر بأفعل التفضيل لأن الفاسق بعيد والكافر أبعد منه (**فيقول الله تبارك وتعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين**) أي وإن أباك كافر فهي حرام عليه (**ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ**) بذال وخاء معجمتين بينهما تحتية ساكنة ذكر ضبعٌ كثير الشعر والأنثى ذيخة والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة (**متلطخ**) بالرجيع أو بالدم صفة لذيخ وعند الحاكم من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: «فيمسخ الله تعالى أباه ضبعاً» (**فيؤخذ**) بضم الياء وفتح الخاء مبنياً للمفعول (**بقوائمه فيلقى في النار**) وعند ابن المنذر «فإذا رآه كذلك تبرأ منه قال: لست أبي» الحديث، وكان قبل حملته الرأفة على الشفاعة له فظهر له في هذه الصورة الشنيعة ليتبرأ منه، والحكمة في كونه مُسِخ ضبعاً دون غيره من الحيوانات أن الضبع أحمق الحيوان ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة الشيطان أشبه الضبع الموصوف بالحمق، قاله الكمال الدميري. وفي هذا الحديث دليل على أن شرف الولد لا ينفع الوالد ما لم يكن مسلماً.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قيل:**) لم يسم القائل (**يا رسول الله من أكرم الناس**) عند الله عز وجل (**قال**) عليه الصلاة والسلام: (**أتقاهم**) أي أشدهم تقوى لله (**قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله**) يعقوب (**ابن نبي الله**) إسحاق (**ابن خليل الله**) إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أشرفهم، والجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة والثانية من جهة الشرف بالنسب الصالح، وفي نسخة إسقاط ابن نبي الله الأخيرة (**قالوا: ليس عن هذا نسألك قال**) عليه الصلاة والسلام: (**فعن معادن**

عن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني الليلة آتيان فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً وإنه إبراهيم ﷺ». عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم، وأما موسى فجعدٌ آدم على جملٍ أحمر مخطوم بخلبة كأني أنظر إليه انحدر في الوادي».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم» وفي رواية عنه «بالقدوم» مخففة.

---

**العرب)** أي أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها **(تسألوني؟)** وفي نسخة تسألونني بنونين وفي أخرى تسألون، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدادات المتفاوتة، فمنها ما يقبل فيض الله تعالى على مراتب المعادن ومنها من لا يقبل ذلك **(خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام)** جملة مبينة المراد بأكرم الناس وخيارهم يحتمل أن يكون جمع خَيِّر بتشديد الياء وأن يكون أفعل تفضيل تقول في الواحد خير وأخير **(إذا فَقُهوا)** بضم القاف من فَقُهَ يفقه كظَرُف إذا صار فقيهاً أو بكسرها من فَقِه يفقه بالفتح إذا فَهِم فهو متعد والأول لازم، قال أبو البقاء: وهو الجيد هنا وأشار بذلك إلى أن التفاوت في الجاهلية بحسب الأنساب وشرف الآباء وكرم الأصل، وفي الإسلام بحسب العلم والحكمة فالإسلام يرفع التفاوت المعتبر في الجاهلية ويجعل التفاوت بحسب العلم والحكمة، فالوضيع المسلم المتحلي بالعلم أرفع منزلة من الشريف المسلم المعطل عن ذلك، فإذا جمع بينهما كان أرفع.

**(عن سمرة)** بن جندب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني الليلة)** أي في منامي **(آتيان)** أي جبريل وميكائيل عليهما السلام **(فأتينا)** أي فذهبا بي حتى أتينا **(على رجلٍ طويل لا أكاد أرى رأسه طولاً)** في السماء **(وإنه إبراهيم)** الخليل ﷺ، **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم)** يريد نفسه ﷺ فإنه كان أشبه الناس بإبراهيم **(وأما موسى فجعد)** بفتح الجيم وسكون العين المهملة مجتمع الجسم وليس المراد جعوده شعره إذ في بعض الروايات أنه رَجْل الشعر **(آدم)** بالمد من الأدمة وهي السمرة **(على جمل أحمرِ مخطوم)** بخاء معجمة مزموم بالخُطام وهو ما يوضع في مقدم فم البعير وأنفه **(بخلبة)** بخاء معجمة مضمومة فلام ساكنة فموحدة مفتوحة ليفة، وفي بعض النسخ الخلبة الليفة **(كأني أنظر إليه)** حقيقة كليلة الإسراء أو في المنام ورؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحي **(انحدر)** وفي رواية: إذا انحدر **(في الوادي)** أي وادي الأزرق وفي رواية يلبي.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: اختتن إبراهيم النبي)** وفي نسخة إسقاطها **(ﷺ وهو ابن ثمانين سنة)** جملة حالية، وعن مالك والأوزاعي

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهم في ذات الله عز وجل قوله إني سقيم وقوله:

---

فيما قاله عياض أنه اختتن وهو ابن مائة وعشرين سنة وأنه عاش بعد ذلك ثمانين سنة وقيل اختتن وهو ابن سبعين سنة وما في المتن أصح (**بالقَدُّوم**) بفتح القاف وتشديد الدال اسم قرية بالشام (**وفي رواية عنه بالقَدُوم مخففة**) اسم للقرية المذكورة أو آلة النجار التي ينحت بها، فمن رواه بالتشديد أراد الموضع ومن رواه بالتخفيف فيحتمل القرية والآلة والأكثرون على التخفيف وإرادة الآلة، وعند أبي يعلى: «أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه فأوحى الله تعالى إليه عجلت قبل أن نأمرك بآلته فقال يا رب كرهت أن أؤخر أمرك».

(**وعنه رضي الله عنه تعالى**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلاَّ ثلاث كذبات**) بفتح الذال وقيل بسكونها جمع كذبة بفتح الكاف وكسرها مع سكون الذال، وليس هذا من الكذب الحقيقي الذي يُذَمُّ صاحبه بل هو كذب صورة لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين لقصد شرعي ديني، وفي الحديث: «إن في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب»، وعند ابن أبي حاتم عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم الثلاث التي قال: «ما منها كلمة إلاَّ ما حلَّ بها عن دين الله» أي جادل ودافع، وعند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: والله إنه جادل بهن عن دين الله تعالى، وإطلاق الكذب منه في حديث الشفاعة حيث يقول وإني كنت كذبت ثلاث كذبات من شدة خوفه في ذلك الموطن العظيم لعلو مقامه، وإلاَّ فالكذب في مثل تلك المقامات الآتية جائز بل قد يجب لتحمل أخف الضررين دفعاً لأعظمهما، وقد قال الفقهاء: لو طلب ظالم وديعة عند إنسان ليأخذها وجب عليه الكذب بأن يقول لا أعلم موضعها بل يحلف على ذلك. (**ثنتين منهن**) أي من الثلاثة (**في ذات الله**) أي لأجله (**عز وجل**) متمحضتانِ من غير حظٍ لنفسه بخلاف الثالثة وهي قصة سارة فإنها تضمنت حظاً ونفعاً له فالأولى (**قوله**) لما طلبه قومه ليخرج معهم إلى متعبدهم وكان قد أحب أن يخلو بآلهتهم ليكسرها: (**إني سقيم**) أي مريض القلب بسبب إطباقكم على الكفر والشرك، أو سقيم بالنسبة إلى ما يستقبل يعني مرض الموت واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيراً أو خارج المزاج عن الاعتدال خروجاً قلما يخلو منه، أو طعين أي مطعون وكانوا يفرون من المطعون خوف العدوى، وأما قول بعضهم إنه كان يأتيه الحمى في ذلك الوقت فبعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذباً لا تصريحاً ولا تعريضاً (**و**) الثانية (**قوله**) لما كسر آلهتهم كسراً وقطعاً إلاَّ كبيراً لهم فاستبقاه، وكانت فيما قيل اثنان وسبعون صنماً بعضها منهم ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وحجر وخشب، وكان الكبير من الذهب مرصعاً بالجواهر في

بل فعله كبيرهم هذا، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة» وذكر باقي الحديث وقد تقدم حديث أم شريك رضي الله عنها أن النبي ﷺ «أمر بقتل الوزغ» وقد تقدم وزاد هنا وكان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

---

عينيه ياقوتتان تتقدان، وجعل الفأس في عنقه لعلهم إليه يرجعون فيسألونه ما بال هؤلاء مكسورة وأنت صحيح والفأس في عنقك، إذ من شأن المعبود أن يُرجع إليه أو المراد أنهم يرجعون إلى إبراهيم لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم، أو يرجعون إلى توحيد الله تعالى عند تحققهم عجز آلهتهم، فلما رجعوا من معبدهم إلى بيت آلهتهم ورأوا أصنامهم مكسورة وقالوا لإبراهيم أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: **(بل فعله كبيرهم هذا)** وهذا الإضراب عن جملة محذوفة أي لم أفعله إنما الفاعل حقيقة هو الله تعالى، وإسناد الفعل إلى كبيرهم من أبلغ التعاريض وذلك أنهم لما طلبوا منه الاعتراف ليُقْدِموا على إيذائه قلب الأمر عليهم وقال: بل فعله كبيرهم هذا لأنه عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصطفة وكان غيظه من كبيرهم أشد لما رأى من زيادة تعظيمهم له فأسند الفعل إليه لأنه السبب في استهانته لها، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى مباشره الحامل عليه، أو أن إبراهيم عليه السلام قصد تقرير الفعل لنفسه على أسلوب تعريضي وليس قصده نسبة الفعل إلى الصنم وهذا كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبتَه: أأنت كتبت هذا فقلت له: بل كتبتَه أنت تريد تقريره لك مع الاستهزاء لا نفيه عنك وإثباته له، ذكرهما الزمخشري.

**(وقال بينا)** بغير ميم **(هو)** أي إبراهيم عليه السلام **(ذات يوم وسارة)** بنت هاران ملك حران زوجته معه وزاد مسلم وكانت من أحسن الناس وجوب بينا قوله **(إذا أتى)** أي مر **(على جبار من الجبابرة)** اسمه صادوق فيما ذكره ابن قتيبة وهو ملك الأردن، أو سنان أو سفيان أبو علوان فيما ذكره الطبري، أو عمرو بن امرىء القيس بن سبأ وكان على مصر ذكره السهيلي، **(فقيل له إن ههنا رجلاً)** وفي نسخة هذا رجل **(معه امرأة من أحسن الناس فأرسل)** الجبار **(إليه)** أي إلى الخليل عليه الصلاة والسلام **(فسأله عنها فقال: من هذه)** المرأة؟ **(قال)** الخليل: **(أختي)** في الإسلام أو لعله أراد بذلك دفع إحدى الضررين بارتكاب أخفهما لأن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة لكن إن علم لها زوجاً حملته الغيرة على قتله أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخاً فإن الغيرة حينئذٍ تكون من الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به، وقيل خاف إن علم أنها زوجته ألزمه بطلاقها **(فأتى)** الخليل **(سارة، وذكر)** البخاري **(باقي الحديث وقد تقدم)** بطوله ولم يَعدُّوا من الكذب قوله: هذا ربي لأنه حكاية لقول الخصم ثم ذكر عقبه ما يدل على فساده وهو قوله لا أحب الآفلين.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا

---

**(حديث أم شريك)** غزية أو عزيلة العامرية أو الأنصارية **(رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ أمرها بقتل الأوزاغ)** يقال: جمع وزغ بفتح الواو والزاي **(وقد تقدم، وزاد هنا وكان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام)** حين ألقي في النار وكل دابة كانت في الأرض تطفئها عنه، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها «لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه»، ذكره الكمال الدميري وفي الطبراني بسندٍ ضعيفٍ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً: «اقتلوا الوزغ ولو في جوف الكعبة».

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال أول ما اتخذ النساء المنطق)** بكسر الميم وفتح الطاء بينهما نون ساكنة ما تشده المرأة على وسطها عند الشغل لئلا تعثر في ذيلها **(من قِبَل)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهة **(أم إسماعيل)** هاجر كان أبوها من ملوك القبط من حفي بفتح المهملة وسكون الفاء قرية بمصر وهي الآن كَفْرٌ صغيرٌ من الصعيد في مقابلة الأشمونين وفيها آثار عظيمة باقية **(اتخذت منطقاً)** وذلك أن سارة رضي الله تعالى عنها وهبتها للخليل صلوات الله وسلامه عليه فحملت منه بإسماعيل صلوات الله وسلامه عليه فلما وضعته غارت فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء فاتخذت هاجر منطقاً فشدت به وسطها وهربت وجرت ذيلها **(لتُعَفِّي)** بضم الفوقية وفتح العين المهملة وتشديد الفاء المكسورة أي لتخفي **(أثرها)** وتمحوه **(على سارة)** بتشديد الراء وقال الكرماني: معناه أنها تزيت بزي الخدم إشعاراً بأنها خادمتها لتستميل خاطرها وتصلح ما فسد يقال: عفا علي ما كان منه إذا أصلح بعد الفساد. اهـ وقيل إن الخليل صلوات الله وسلامه عليه شفع فيها وقال: حَلِّلي يمينك بأن تثقبي أذنيها وتخفضيها فكانت أول من فعل ذلك، وعند الإسماعيلي من رواية ابن عُليَّة: «أول ما اتخذت العرب جر الذيول عن أم إسماعيل» **(ثم جاء بها)** أي بهاجر **(إبراهيم وبابنها إسماعيل)** على البراق **(وهي ترضعه)** الواو للحال **(حتى وضعهما)** وفي نسخة فوضعهما **(عند)** موضع **(البيت)** الحرام قبل أن يبنيه **(عند دَوْحَة)** بدال وحاء مفتوحتين مهملتين بينهما واو ساكنة، شجرةٌ عظيمة **(فوق زمزم)** وفي نسخةٍ فوق الزمزم **(في أعلى)** مكان **(المسجد وليس بمكة يومئذٍ أحد)** ولا بناء **(وليس فيها ماء، فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً)** بكسر الجيم من جلد **(فيه تمر وسِقاء فيه ماء)** بكسر السين قِربة صغيرة **(ثم قفّى إبراهيم)** بفتح القاف والفاء المشددة أي ولّى حال كونه راجعاً **(منطلقاً)** إلى أهله بالشام وترك إسماعيل وأمه عليهما الصلاة

إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولا شيءٍ؟ فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا قال نعم قالت: إذاً لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه، فقال: رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم حتى بلغ يشكرون، وجعلت أم إسماعيل ترضع

---

والسلام عند موضع البيت **(فتبعته أم إسماعيل فقالت)** له: **(يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا)** وفي نسخةٍ: في هذا **(الوادي الذي ليس فيه أنيس)** وفي نسخة أنس بكسر الهمزة ضد الجن **(ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل)** إبراهيم عليه السلام **(لا يلتفت إليها فقالت له: آلله)** بمد الهمزة **(أمرك)** وفي نسخة الذي أمرك **(بهذا؟ قال:)** إبراهيم عليه السلام: **(نعم)**، وعن سعيد بن جبير أنها نادته ثلاثاً فأجابها في الثالثة فقالت له: من أمرك بهذا؟ قال: الله عز وجل **(فقالت: إذاً لا يضيعنا)** وفي رواية فقالت: حسبي **(ثم رجعت)** إلى موضع الكعبة **(فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية)** بالمثلثة وكسر النون وتشديد التحتية بأعلى مكة حيث دخل النبي ﷺ مكة **(حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت)** أي موضعه **(ثم دعا بهؤلاء الكلمات)** وفي نسخةٍ بهؤلاء الدعوات **(ورفع يديه فقال: ربِّ)** وفي نسخة ربنا وهو الموافق للتنزيل **(إني أسكنت)** ذريةً **(من ذريتي)** فالجار والمجرور صفة لمفعول محذوف أو من زائدة على طريقة الأخفش والمراد بالذرية إسماعيل ومن وُلد منه فإنَّ إسكانه متضمن لإسكانهم **(بوادٍ)** أي في وادٍ وهو مكة **(غير ذي زرعٍ)** قال في الكشاف: لا يكون فيه شي من زرع قط، كقوله قرآنا عربياً غير ذي عوج بمعنىً لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلاً استقامة لا غير اهـ قال الطيبي: هذه المبالغة يفيدها معنى الكناية لأن نفي الزرع يستلزم كون الوادي غير صالح للزرع ولأنه نكرة في سياق النفي **(عند بيتك المحرَّم)** الذي يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره، أو حرمة التعرض له والتهاون به، أو لم يزل معظماً يهابه كل جبارٍ، أو حرم من الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقاً لأنه أعتق من الطوفان، أو لأن موضع البيت حُرِّم يوم خلق السموات والأرض وحُفَّ بسبعة من الملائكة، **(حتى بلغ يشكرون)** أي تلك النعمة، قال في الكشاف: فأجاب الله تعالى دعوة خليله ﷺ فجعله حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه، ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً، وفي أي بلد من بلاد المشرق والمغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله تعالى بوادٍ غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجب أعادنا الله تعالى إلى حرمه بِمَنّه وكرمه، وفي نسخة إسقاط قوله عند بيتك المحرم.

**(وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نَفِدَ)** بكسر

إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود. حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي ﷺ فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا

---

الفاء أي فرغ (**ما في السقاء عطِشت وعطِش ابنها**) إسماعيل عليه السلام بكسر الطاء فيهما وزاد الفاكهاني من حديث أبي جهم فانقطع لبنها وكان إسماعيل حينئذٍ ابن سنتين (**وجعلت**) هاجر (**تنظر إليه يتلوى**) أي يتقلب ظهر البطن، وفي رواية يتلبط بالموحدة المشددة بعد اللام آخره طاء مهملة أي يتمرغ ويضرب بنفسه على الأرض من لبط به إذا صرع، وفي أخرى يتلمظ بميم وظاء معجمة بدل الموحدة والمهملة أي يحرك لسانه وشفتيه كأنه يموت (**فانطلقت**) هاجر حال كون انطلاقها (**كراهية أن تنظر إليه**) في هذه الحالة الصعبة (**فوجدت الصفا**) بالقصر (**أقرب جبلٍ في الأرض يليها فقالت عليه ثم استقبلت الوادي**) حال كونها (**تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا**) بفتح الموحدة من هبطت، وعند الفاكهاني من حديث أبي جهم تستغيث ربها وتدعوه (**حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها**) بفتح الطاء والراء ودرعها بكسر الدال وسكون الراء أي قميصها لئلا تعثر في ذيلها (**ثم سعت سعي الإنسان المجهود**) أي الذي أصابه الجَهد بفتح الجيم وهو المشقة (**حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت**) بالفاء، وفي نسخة ونظرت بالواو (**هل ترى أحداً فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال النبي ﷺ: فذلك سعي الناس**) بسكون العين وجر الناس، وفي نسخةٍ فذلك سعي الناس (**بينهما**) أي بين الصفا والمروة (**فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صَهِ**) بفتح الصاد وكسر الهاء منونة أو بسكونها أي اسكتي (**تريد نفسها**) لتسمع ما فيه فرج لها (**ثم تسمعت**) أي تكلّفت السماع واجتهدت فيه (**فسمعت أيضاً**) صوتاً (**فقالت: قد أسمعتَ**) بفتح التاء (**إن كان عندك غواث**) أي فأغثني فجزاء الشرط محذوف وغواث بكسر الغين المعجمة وفتح الواو مخففة بعد الألف مثلثة وروي بضم الغين وفتحها، قال في الصحاح: غوث الرجل إذا قال: واغوثاه والاسم الغوث والغواث قال الفراء: يقال أجاب الله تعالى دعاءه وغُواثه، قال: ولم يأت شيء في الأصوات بالفتح غيره وإنما يأتي بالضم مثل الدعاء والبكاء، أو بالكسر مثل النداء والصياح، وقال في القاموس: والاسم الغوث

هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تُحَوِّضُه وتقول بيدها هكذا، أو جعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف، قال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتآخذ عن يمينه وشماله، فكانت

---

والغوات بالضم وفتحه شاذ واستغاثني فأغثته إغاثة ومغوثة والاسم الغياث بالكسر اهـ ويعلم من ذلك أن الكلام على تقدير مضافٍ أي جواب غواث أو أطلقت الغواث وأرادت ما يستغاث به، ويدل له ما في الرواية الأخرى فقالت: «أغث إن كان عندك خير» **(فإذا هي بالملك)** جبريل عليه السلام **(عند موضع زمزم فبحث)** بالمثلثة **(بعقبه)** أي حفر بمؤخر رجله، قال السهيلي في تفجيره إياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيرها: إشارة إلى أنها لعقب إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وراثة وهو محمد وأمته كما قال تعالى؛ ﴿وجعلها كلمة باقيةً في عقبه﴾ [الزخرف: ٢٨] أي في أمةِ محمد ﷺ، **(أو قال بجناحه)** شك من الراوي **(حتى ظهر الماء فجعلت)** هاجر **(تُحَوِّضه)** بالحاء المهملة المفتوحة والواو المشددة المكسورة والضاد المعجمة أي تُصَيِّره كالحوض لئلا يذهب الماء **(وتقول بيدها هكذا)** حكايةَ فعلها أو هو من إطلاق القول على الفعل **(وجعلت تغرف من الماء)** بكسر الراء **(في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف)** أي ينبع كقوله تعالى ﴿وفار التنور﴾ [هود: ٤٠]، **(قال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء)** شك من الراوي **(لكانت زمزم عيناً معيناً)** بفتح الميم جارياً على وجه الأرض والقياس أن يقول معينةً والتذكير حملاً على اللفظ من عانه إذا رآه بعينه، قال ابن الجوزي: ظهور زمزم نعمة من الله تعالى محضة من غير عمل عامل فلما خالطها تحويض هاجر داخلها كسب البشر فقصرت عن ذلك. **(قال: فشربت)** هاجر **(وأرضعت ولدها فقال لها الملك)** جبريل عليه السلام: **(لا تخافوا الضَّيْعة)** بفتح الضاد المعجمة وسكون التحتية الهلاك والمراد بالجمع ما فوق الواحد، أو المراد هما وذرية إسماعيل أو أعم، وفي حديث أبي جهم: «لا تخافي أن ينفد الماء»، وعند الفاكهاني من حديث علي بن الوازع عن أيوب: «لا تخافي على أهل هذا الوادي ظمأ فإنها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى». **(فإن ههنا بيت الله)** بنصب بيت اسم إن وفي نسخة: «هذا بيت الله» **(يبني هذا الغلام وأبوه)** بحذف ضمير المفعول، وفي نسخة يبنيه بإثباتها **(وإن الله لا يُضَيِّع أهله)** بضم الياء الأولى وكسر الثانية مشددةً بينهما معجمة مفتوحة **(وكان البيت)** الحرام **(مرتفعاً من الأرض كالرابية)** بالراء وبعد الألف موحدة ثم تحتية ما ارتفع من

كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور عل ماءٍ لعهدنا بهذا النادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء، فقالوا: نعم قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم

---

الأرض، وعند ابن اسحق أنه كان مدرة حمراء». (**تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت**) هاجر (**كذلك**) تشرب وترضع ولدها ولعلها كانت تغتذي بماء زمزم فيكفيها عن الطعام والشراب.

(**حتى مرت بهم رفقة**) بضم الراء جماعة مختلطون (**من جُرْهم**) بضم الجيم والهاء بينهما راء ساكنة غير منصرف حَيٌّ من اليمن وكانت جرهم يومئذٍ قريباً من مكة (**أو أهل بيت من جرهم**) شك من الراوي حال كونهم (**مقبلين**) أي متوجهين (**من طريق كداء**) بفتح الكاف ممدوداً وهو أعلى مكة، وقيل بضم الكاف والقصر من غير تنوين وهو أسفلها (**فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً**) بالعين المهملة والفاء وهو الذي يتردد على الماء ويحوم حوله ولا يمضي عنه (**فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماءٍ لَعَهْدُنا**) بلام مفتوحة للتأكيد (**بهذا الوادي**) ظرف مستقر لا لغو (**وما فيه ماء**) الواو للحال (**فأرسلوا جَرِيًا**) بجيم مفتوحة وراء مكسورة فتحتية مشددة رسولاً واحداً لينظر هل هناك ماءٌ أم لا (**أو جَرِيَّيْن**) رسولين اثنين وسُمِي الرسول جَرِيًا لأنه يجري مجرى مُرسِله أي يجري مسرعاً في حاجته والشك من الراوي (**فإذا هم**) أي الجَرِيّ أو الجَرِيَّان ومن تبعهما (**بالماء فرجعوا**) إلى جرهم (**فأخبروهم بالماء فأقبلوا**) إلى جهة الماء (**وأم إسماعيل**) كائنة (**عند الماء فقالوا**) لها: (**أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت**) وفي نسخة قالت (**نعم**) أذنت لكم في النزول (**ولكن لا حق لكم في الماء قالوا: نعم**) لا حقَّ لنا فيه (**قال النبي ﷺ: فألفى**) بهمزة مفتوحة وسكون اللام وفتح الفاء أي وجد (**ذلك**) الحي الجرهمي (**أم إسماعيل**) بنصب أم مفعول ألفى وقيل اسم الإشارة عائد على الاستئذان والمعنى فألفى استئذان جرهم بالنزول أم إسماعيل (**وهي**) أي والحال أنها (**تحب الأنس**) بضم الهمزة ضد الوحشة ويجوز كسرها أي تحب جنسها، ونسبة الوجدان إلى الاستئذان مجاز أي وافق الاستئذان محبتها للأُنس بالناس (**فنزلوا**) عندها (**وأرسلوا إلى أهاليهم فنزلوا معهم**) بمكة.

(**حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشبَّ الغلام**) إسماعيل عليه السلام بين ولدان جرهم (**وتعلم العربية منهم**)، ظاهره يعارض حديث ابن عباس المروي في مستدرك

حين شب فلما أدرك الحلم زوجوه امرأة منهم وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد قالت: نعم جاءنا

---

الحاكم: «أول من نطق بالعربية إسماعيل»، وأجيب بأن المعنى أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام إسماعيل وروى الزبير بن بكارٍ في النسب من حديث علي رضي الله تعالى عنه بإسناد حسن: «أول من فتق الله لسانه بالعربية المُبينة إسماعيل عليه السلام»، قال في الفتح: وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأولية المطلقة بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها، قال: ويشهد لهذا ما حكى ابن هشام عن الشرقي بن قطامي: إن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حُمِيرِ وجرهم **(وأنفسهم)** بفتح الفاء والسين فعل ماضٍ من الإنفاس معطوف على تعلم والضمير فيه لإسمعيل عليه السلام أي رغبتهم فيه وفي مصاهرته، يقال أنفسني فلان في كذا أي رغّبني فيه، وقال في المصابيح: أي صار نفيساً فيهم رفيعاً يُتَنافس في الوصول إليه وحينئذٍ فقوله **(وأعجبهم حين شبَّ)** تفسير له وأما قوله في الفتح أنه أفعل تفضيل من النفاسة فبعيد والمعنى عليه وصار أنفسَهَم أي أحسنهم **(فلما أدرك الحلم زوجوه امرأة منهم)** اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة وقيل الحداء بنت سعد وقيل بنت سعد بن عملق **(وماتت أم إسماعيل)** قيل ولها من العمر تسعون سنة ودفنها بالحِجْر **(فجاء إبراهيم)** عليه الصلاة والسلام **(بعدما تزوج إسماعيل)** عليه الصلاة والسلام **(يطالع تركته)** بكسر الراء أي يتفقد حال ما تركه هناك، واستدل بعضهم بهذا على أن الذبيح إسحاق لأن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعاً وعاد إليه وقد تزوج والذبح إنما كان في الصِّغر في حياة أمه قبل تزوجه فلو كان إسماعيل الذبيح لذكره بين زمان الرضاع والتزويج، وأجيب بأنه ليس في الحديث نفي مجيئه بين الزمانين وفي حديث أبي جهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدو فيأتي مكة فيرجع فيقيل في منزله بالشام. **(فلم يجد إسماعيل)** عليه السلام **(فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا)** أي يطلب الرزق وفي الرواية الأخرى ذهب يصيد وكان عيش إسماعيل الصيد **(ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت)** له: **(نحن بشرٍ في ضيق وشدةٍ فشكت إليه فقال)** إبراهيم عليه السلام لها: **(فإذا جاء زوجك)** إسماعيل عليه السلام **(فاقرئي)** بفتح الراء **(عليه السلام)** وفي نسخة بحذف الفاء **(وقولي له يغير عتبة بابه)** بفتح العين المهملة والفوقية والموحدة كنايةً عن المرأة، **(فلما جاء إسماعيل)** عليه السلام **(كأنه آنَسَ شيئاً)** بفتح الهمزة الممدودة والنون وفي

شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد وشدة. قال: فهل أوصاك بشيء قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول: غير عتبة بابك قال ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك إلحقي بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء ثم أتاهم بعد فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله فقال: ما طعامكم قالت: اللحم قال: فما شرابكم قالت: الماء قال: اللّهم بارك لهم في اللحم والماء، قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذٍ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا

---

رواية: «فلما جاء إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد ريح أبيه»، **(فقال هل جاءكم من أحدٍ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا)** وفي رواية: «كالمستخفة بشأنه» **(فسألنا)** بفتح اللام **(عنك فأخبرته)** أنك خرجت تبتغي لنا، **(فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا في جهد)** بفتح الجيم **(وشدة قال)** إسماعيل عليه السلام: **(هل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول)** لك: **(غَيِّر عتبة بابك، قال: ذاك)** بكسر الكاف **(أبي)** إبراهيم عليه السلام **(وقد أمرني أن أفارقك إلحقي)** بفتح الحاء المهملة **(بأهلك، فطلقها وتزوج منهم)** أي من جرهم **(أخرى)** اسمها سامة بنت مهلهل وقيل بشامة بموحدة فمعجمة مخففة بنت مهلهل بن سعد بن عوف، وقيل عاتكة وقيل رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية وقيل غير ذلك.

**(فلبث)** بكسر الموحدة **(عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعده فلم يجده)** أي لم يجد إسماعيل عليه السلام **(فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا)** الرزق **(قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وَسَعة)** بفتح المهملة **(وأثنت على الله)** عز وجل **(خيراً)** بما هو أهله **(فقال لها: ما طعامكم؟ قالت اللحم)** أي لحم الصيد **(قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء)** وزاد في حديث أبي جهم: «اللبن» **(قال)** إبراهيم عليه الصلاة والسلام: **(اللهم بارك لهم في اللحم والماء، قال: النبي ﷺ ولم يكن لهم يومئذٍ حَب)** حنطة أو نحوها **(ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما)** أي اللحم والماء **(لا يخلو عليهما)** بالخاء المعجمة وفي نسخةٍ: لا يخلو أن يقال خلوت بالشيء أو خليت به إذا لم أخلط به غيره، ويقال خلي الرجل اللبن إذا شرب غيره، وقال الكرماني: أي لا يعتمدهما **(أحد)** ويداوم عليهما **(بغير مكة إلاَّ لم يوافقاه)** لما ينشأ عنهما من انحراف المزاج إلاَّ في مكة فإنهما يوافقانه، وهذا من جملة بركاتها وأثر دعاء الخليل صلوات الله وسلامه عليه، وفي حديث أبي جهم: «ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلاَّ اشتكى بطنه»، وزاد في حديث: «فقالت له: انزل رحمك الله فاطعم واشرب

لم يوفقاه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وأمريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحدٍ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن امسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال: يا أسماعيل إن الله أمرني بأمرٍ قال فاصنع

---

فقال: «إني لا أستطيع النزول، قالت: فإني أراك شعثاً أفلا أغسل رأسك وأدهنه؟ قال: بلى إن شئتِ، فجاءت بالمقام وهو يومئذٍ أبيض مثل المهاة ـ أي البلورة ـ وكان في بيت إسماعيل عليه السلام ملقىً فوضع قدمه اليمنى وقدم إليها شق رأسه وهو على دابته فغسلت شق رأسه الأيمن، فلما فرغ حولت له المقام حتى وضَع رجله اليسرى وقدم إليها برأسه فغسلت شق رأسه الأيسر»، فالأثر الذي في المقام من ذلك ظاهر فيه موضع العقب والأصبع وسبب قوله: إني لا أستطيع النزول ما روي عن ابن عباس أنه لما أراد الذهاب إلى هاجر وإسماعيل داخل سارة غيرة فقال إبراهيم عليه السلام: لا أنزل حتى أرجع إليك **(قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه)** ثم مضى إبراهيم عليه السلام **(فلما جاء إسماعيل)** عليه السلام **(قال: هل أتاكم من أحد قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه خيراً فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنَّا بخير وسعة، قال: فأوصاك بشيء؟)** على حذف حرف الاستفهام **(قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك)** زاد أبو جهم في حديثه فإن صلاح المنزل **(قال)** إسماعيل عليه السلام: **(ذاك أبي)** بكسر الكاف **(وأنتِ العتبة أمرني أن أمسكك)** زاد أبو جهم: «ولقد كنتِ عليَّ كريمةً وقد ازددت عليَّ كرامةً، فولدت لإسمعيل عليه السلام عشرة ذكور».

**(ثم لبث عنهم)** إبراهيم عليه السلام **(ما شاء الله ثم جاء)** إليهم **(بعد ذلك وإسماعيل يبري)** بفتح التحتية وسكون الموحدة وكسر الراء من غير همز **(نبلاً له)** بفتح النون وسكون الموحدة أي سهماً قبل أن يركب فيه نصله وريشه، وهو السهم العربي **(تحت دوْحةٍ)** بفتح الحاء والدال المهملتين بينهما واو ساكنة شجرة وهي التي نزل إسماعيل وأمه عليهما السلام تحتها أول ما قدما مكة مر، **(قريباً من زمزم فلما رآه)** إسماعيل عليه الصلاة والسلام **(قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد)** من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك، وفي رواية معمر قال: «سمعت رجلاً يقول: «بكيا حتى أجابهما الطير» **(ثم قال)** إبراهيم عليه السلام: **(يا إسماعيل إن الله)** عز وجل **(أمرني بأمر قال)**

ما أمرك ربك، قال: وتعينني قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وإشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولن: «ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم». عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى» قلت كم كان بينهما؟ قال:

---

إسماعيل عليه السلام **(فاصنع ما أمرك)** به **(ربك قال: وتعينني)** عليه؟ **(قال: وأعينك)** بالواو وفي نسخة فاعينك بالفاء **(قال)** إبراهيم عليه السلام: **(فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة)** بفتح الهمزة والكاف والميم أي رابية **(مرتفعةٍ على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا)** إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي نسخة: «رفع» أي إبراهيم فقط **(القواعد من البيت)** جمع قاعدة وهي الأساس، صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ورفعها هو البناء عليها فإنه ينقلها عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع **(فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء)** زاد أبو جهم: «وجعل طوله في السماء تسعة أذرع وعرضه في الأرض ـ يعني دوره ـ ثلاثين ذراعاً» وكان ذلك بذراعهم **(جاء)** إسماعيل عليه السلام **(بهذا الحجر)** أي حجر المقام **(فوضعه)** وفي الرواية الأخرى: «حتى إذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام». **(له)** أي للخليل عليه الصلاة والسلام **(فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله وهما يقولان ربنا تقبل منا)** بناءنا **(إنك أنت السميع)** لدعائنا **(العليم)** بنياتنا وقد قيل: ليس في العالم بناء أشرف من الكعبة لأن الآمر بعمارته رب العالمين، والمبلغ والمهندس جبريل الأمين عليه السلام والباني الخليل والتلميذ المعين إسماعيل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولما فرغ إبراهيم عليه السلام من بنائه جاءه جبريل فأراه المناسك كلها ثم قام إبراهيم عليه السلام على المقام فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فوقف إبراهيم عليه السلام وإسماعيل تلك المواقف، وحجه إبراهيم وسارة من بيت المقدس ثم رجعا إلى الشام وماتا بها.

**(عن أبي ذرٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قلت: يا رسول الله أي مسجدٍ وضع في الأرض أول؟)** بفتح اللام غير مصروف وبضمها لقطعه عن الإضافة كما بنيت قبل وبعد، قال: أبو البقاء وهو الوجه والتقدير: أول كل شيءٍ ويجوز النصب منصرفاً أي أيُّ مسجدٍ وضع أولاً للصلاة **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(المسجد الحرام)** قال أبو ذرٍ: **(قلت:)** يا رسول الله **(ثم أيّ؟)** بالتنوين مشدداً أي ثم أيُّ مسجد وضع بعد المسجد الحرام؟ **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(المسجد الأقصى)** مسجد بيت المقدس بني بعده وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، أي لأنه لم يكن وراءه مسجد، أو لبعده عن

«أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله فإن الفضل فيه».

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: رسول الله ﷺ: «قولوا اللَّهم صلى على محمدٍ وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمدٍ وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد». عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يُعَوِّذ

---

الأقذار والخبائث (**قلت: يا رسول الله كم كان بينهما؟**) أي كم كان بين بناء المسجدين وفي نسخةٍ إسقاط كان (**قال**) عليه الصلاة والسلام: بينهما (**أربعون سنة**) استشكل بأن الخليل عليه الصلاة والسلام بنى الكعبة وسليمان عليه الصلاة والسلام بنى الأقصى وبينهما أكثر من أربعين سنة وأجيب بأنه لا دلالة في الحديث على أن الخليل وسليمان عليهما السلام ابتدآ وضعهما لهما، بل إنما جددا ما كان أسسه غيرهما، فليس إبراهيم عليه السلام أول من بنى الكعبة ولا سليمان عليه السلام أول من بنى الأقصى، وبناء آدم عليه السلام للكعبة مشهور فجائز أن يكون لما فرغ آدم من بناء الكعبة وانتشر ولده في الأرض بنى بعضهم المسجد الأقصى، وفي كتاب التيجان لابن هشام أن آدم لما بنى الكعبة أمر الله تعالى بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، (**ثم أينما أدركتك الصلاة بعد**) أي بعد إدراك وقتها (**فصله**) بهاء السكت وفي نسخةٍ «فصلِّ» بحذفها (**فإن الفضل فيه**) أي في فعل الصلاة إذا حضر وقتها، وفي رواية زيادة: «والأرض لك مسجد» (**عن أبي حميد**) عبد الرحمن (**الساعدي رضي الله تعالى عنه أنهم**) أي الصحابة رضي الله تعالى عنهم (**قالوا:**) وفي نسخة أنه أي أبا حميد الساعدي قال: (**يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله ﷺ: قولوا اللهم صلِّ على محمد**) أي صلاةً تليق به (**وأزواجه وذريته**) أي نسله وأولاد بنته فاطمة رضي الله تعالى عنها، أي صلاة تليق بهم وفي الرواية الأخرى: «وعلى آل محمد» الراجح أن المراد بهم من حرمت عليهم الصدقة، وقيل أهل بيته وقيل الأزواج وتدخل فيهم الذرية وقيل ذرية فاطمة خاصة وقيل جميع قريش وقيل جميع الأمة وقيل الأتقياء منهم، (**كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**)، وعند ابن ماجه على آل إبراهيم في العالمين ولفظ الآل مقحم والمعنى كما سبقت الصلاة منك على آل إبراهيم نسألك الصلاة على سيدنا محمد بطريق الأولى، وبهذا التقرير يندفع الإيراد المشهور وهو أنَّ من شَرْطِ التشبيه أن يكون المشبه به أقوى والحاصل من الجواب أن التشبيه هنا ليس من إلحاق الكامل بالأكمل، بل من باب التهييج ونحوه والمراد بالبركة النمو والزيادة من الخير والكرامة، أو التطهير من العيوب والتزكية أو المراد ثبات ذلك ودوامه واستمراره من قولهم: بركت الإبل أي ثبتت على الأرض، فمعنى وبارك، أثبت

الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لامَّة». عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نحن أحق من إبراهيم إذا قال رب أرني كيف تحيي الموتى

---

وأدم لهم ما أعطيتهم من الشرف والكرامة، قال شيخ الإسلام زكريا: ولم يصرح أحد بوجوب قوله وبارك على محمد فيما عثرنا عليه غير أن ابن حزم ذكر ما يفهم وجوبها في الجملة فقال: على المرء أن يبارك عليه ولو مرة في العمر، وأن يقولها بلفظ خبر ابن مسعودٍ أو حميدٍ أو كعبٍ، وظاهر كلام صاحب المغني من الحنابلة وجوبها في الصلاة فإنه قال: وصفة الصلاة كما ذكره الخرقي، والخرقي إنما ذكر ما اشتمل عليه حديث كعب ثم قال: وإلى هنا انتهى الوجوب، والظاهر أن أحداً من الفقهاء لا يوافق على ذلك قاله المجد الشيرازي.

(**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال كان النبي ﷺ يُعَوِّذ**) بالذال المعجمة أي يرقي ويحصن (**الحسن والحسين**) ابني فاطمة (**ويقول**) لهما: (**إنَّ أباكما**) أي جدكما الأعلى وهو إبراهيم عليه السلام (**كان يُعَوِّذُ بها**) أي بالكلمات الآتية وفي نسخة: «بهما» بلفظ التثنية (**إسماعيل وإسحاق**) ابنيه عليهما السلام وهي (**أعوذ بكلمات الله**) أي كلامه على الإطلاق أو المعوذتين أو القرآن (**التامة**) صفة لازمة أي الكاملة أو النافعة أو الشافعية أو المباركة (**من كل شيطان**) إنسي وجني (**وهامَّة**) بتشديد الميم واحد الهوام وهي ذوات السُموم قال في المصباح: والهامَّة ما له سُمٌّ يقتل كالحية، قال الأزهري: قال أبو حاتم: ويقال لدواب الأرض جميعاً الهوام ما بين قملة إلى حية، ومنه حديث كعب ابن عجرة: «أيؤذيك هوامُّ رأسك» والمراد القمل على الاستعارة بجامع الأذى اهـ وقال في المختار: والهامة واحدة الهوام ولا يقع هذا الاسم إلاَّ على المخوف من الأحناش اهـ (**ومن كل عين لامَّة**) بالتشديد أيضاً التي تصيب بسوء وتطلق اللامَّة كما قال الخطابي: على كل آفة تلم بالإنسان من جنون وخبل ونحوه اهـ قال في المصباح: واللمم أيضاً طرف من جنون يسلم بالإنسان من باب قتل اهـ والكلمات الثلاثة بالتاء والهاء الساكنة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال:**) على سبيل التواضع: (**نحن أحق بالشك من إبراهيم**) وفي نسخةٍ أحق من إبراهيم (**إذ قال**) لما رأى جيفة حمارٍ مطروحةٍ على شطِّ البحر فإذا مد البحر أكل دواب البحر منها وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت وإذا ذهبت السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت، (**رب أرني كيف تحيي الموتى**) أي كيف تجمع أجزاء الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر، أو لما نظر نمروذ حين قال: ربي الذي يحيي ويميت وقال: الملعون أنا أُحيي وأُميت وأطلق محبوساً وقتل رجلاً، فقال إبراهيم عليه السلام: إن إحْيَاء الله تعالى برد الروح إلى بدنها،

قال: أو لم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي، ويرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجنِ طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي». عن

---

فقال نمروذ لعنه الله تعالى: فهل عاينته؟ فلم يقدر أن يقول نعم، وانتقل إلى تقرير آخر فقال نمروذ لعنه الله تعالى: قل لربك حتى يحيي وإلاً قتلتك فسأل الله تعالى ذلك وقيل: إن الله تعالى لما أَوْحَى إليه أنه متخذ بشراً خليلاً فاستعظم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك فقال: إلهي ما علامة ذلك قال إنه يحيي الموتى بدعائه، فلما عظم مقام إبراهيم في العبودية خطر بباله أنه الخليل فسأل إحياء الموتى، **(قال: أولم تؤمن)** بأني قادرٌ على جمع الأجزاء المتفرقة أو على الإحياء بإعادة التركيب والروح إلى الجسد؟ **(قال: بلى)** آمنت **(ولكن)** سألت **(ليطمئن قلبي)** أي ليحصل الفرق بين المعلوم بالبرهان والمعلوم عياناً، أو ليطمئن قلبي بقوة حجتي وإذا قيل لي عاينتَ أقول نعم، أو ليطمئن قلبي بأن خليل لك فظهر أن سؤال إبراهيم عليه السلام لم يكن شكاً من قبيل زيادة العلم بالعيان لأن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال، وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه في معنى الحديث: الشك يستحيل في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولو كان الشك يتطرق إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكنت الأحق به من إبراهيم وقد علمتم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يشك فحينئذٍ لم أشك أنا ولم أرتب في القدرة على الإحياء، فإبراهيم أولى بذلك وقال الزركشي: وذكر صاحب الأمثال السائرة أن أفعل يأتي في اللغة لنفي المعنى عن الشيئين، نحو الشيطان خيرٌ من زيد أي لا خير فيهما، وكقوله تعالى ﴿أهم خيرٌ أم قوم تُبَّع﴾ [الدخان: ٣٧] أي لا خير في الفريقين، وعلى هذا فمعنى قوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» أي لا شك عندنا جميعاً قال: وهو أحسن ما يُتَخَرَّج عليه هذا الحديث اهـ وكذا نقله في الفتح ولكن عن بعض علماء العربية قال في المصابيح: وهذا غير معروف عند المحققين، **(ويرحم الله لوطاً)** اسم أعجمي وصرف في المعجمة والعلمية لخفته بسكون وسطه **(لقد كان يأوي)** في الشدائد **(إلى ركن شديد)** أي إلى الله تعالى وأشار بذلك إلى قوله تعالى ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] قال الطيبي: هذا تمهيد ومقدمة للخطاب المزعج كما في قوله تعالى ﴿عفا الله عنك لمَ أذِنت لهم﴾ [التوبة: ٤٣] قال البيضاوي: استعظام لما قاله واستغراب لما بدر منه حينما أجهده قومه فقال: أو آوى إلى ركنٍ شديد، إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه وهو عصمة الله تعالى وحفظه **(ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف)** بضع سنين ما بين الثلاث إلى التسع **(لأجبت الداعي)** أي لأسرت في الإجابة بالخروج من السجن ولم أقدم طلب البراءة، قال البغوي: وصف ﷺ يوسف بالإناءة أي التأني والصبر حيث لم يبادر إلى الخروج حين جاءه رسول الملك مع طول لبثه في السجن، بل قال: ﴿ارجع إلى ربك فسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ [يوسف: ٥٠] أراد أن يقيم

سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال مرَّ النبي ﷺ على نفرٍ من أسلم ينتضلون فقال رسول الله ﷺ: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً وأنا مع بني فلان». قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم. فقال: رسول الله ﷺ: «ما لكم لا ترمون» فقالوا: يا رسول الله ترمي وأنت معهم قال: «ارموا وأنا معكم كلكم». عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها» فقالوا قد عجَّنا منها واستقينا «فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء». وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام». عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنما سمى الخضر أنه

---

الحُجَّة في حبسهم إياه ظلماً، فقال ﷺ على سبيل التواضع: لا أنه عليه الصلاة والسلام كان في الأمر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف، والتواضع لا يُصَغِّر كبيراً ولا يَضَع رفيعاً ولا يُبْطِل لذي حقٍّ حقَّه لكن يوجب لصاحبه فضلاً ويكسيه إجلالاً وقدراً انتهى.

(**عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: مر رسول الله**) وفي نسخة النبي (ﷺ **على نفر**) عدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة (**من أسلم**) القبيلة المعروفة حال كونهم (**ينتضلون**) بالضاد المعجمة يترامون على سبيل المسابقة (**فقال رسول الله** ﷺ: **ارموا بني إسماعيل**) أي يا بني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام (**فإنَّ أباكم**) إسماعيل، وأطلق عليه أباً مجازاً لأنه جدهم الأبعد (**كان رامياً وأنا مع بني فلان**) وفي نسخةٍ مع ابن فلان يعني ابن الأكوع، كما في حديث أبي هريرة عند ابن حبان في صحيحه واسمه محجن كما في الطبراني (**فأمسك أحد الفريقين بأيديهم**) عن الرمي (**فقال رسول الله** ﷺ: **ما لكم لا ترمون؟ فقالوا: يا رسول الله نرمي وأنت معهم؟ قال**) وفي نسخة فقال: (**ارموا وأنا**) بالواو (**معكم كلكم**) بالجر تأكيد للضمير المجرور.

(**عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْر**) بكسر الحاء موضع ثمود قوم صالح بين المدينة والشام (**في غزوة تبوك أمرهم**) أي أمر أصحابه (**أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا: قد عجنا منها واستقينا فأمرهم**) عليه الصلاة والسلام (**أن يطرحوا ذلك العجين**) المعجون بمائها (**ويهريقوا**) بضم الياء وفتح الهاء أي يريقوا (**ذلك الماء**)، خوفاً أن يورثهم شر به قسوةً في قلوبهم أو ضرراً في أبدانهم، وفي رواية: «فأمرهم أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة»، (**وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**

جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء». عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ نجني الكباث وإن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه قالوا أكنت ترعى الغنم قال وهل من نبي إلا وقد

---

**عليهم الصلاة والسلام)** وللطبراني بإسناد ضعيفٍ عن ابن عباس قيل: يا رسول الله من السيد؟ قال: «يوسف بن يعقوب» قالوا: فما في أمتك سيِّد؟ قال: «رجل يعطي مالاً حلالاً ورزقَ سماحةٍ» نقله له صاحب الفتح، قال في الكواكب: وأصل الكرم كثرة الخير، وقد جمع يوسف عليه الصلاة والسلام مكارم الأخلاق مع شرف النبوة، وكونه ابن ثلاثة أنبياء متناسلين ومع شرف رياسة الدنيا وملكها بالعدل والإحسان.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إنما سمي الخضر)** خضراً **(أنه)** وفي نسخة: لأنه أي الخضر **(جلس على فروة بيضاء)** ليس فيها نبات والفروة بفتح الفاء وسكون الراء: جلدة وجه الأرض **(فإذا هي)** أي الفروة البيضاء **(تهتز من خلفه خضراء)** بعد أن كانت جرداء، وعن مجاهد قيل له الخضر لأنه كان إذا صلى اخْضَرَّ ما حوله واسمه بليا بفتح الموحدة وسكون اللام وبعد التحتية ألف مقصوراً ابن ملكان بن فالغ بن عامر بن سالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، قال في الفتح: فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام لأنه كان ابن عم جد إبراهيم، وعند الدارقطني في الإفراد من طريق مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس هو ابن آدم لصلبه وهو ضعيف منقطع، وعند ابن حاتم في المعمرين أنه ابن قابيل من آدم وعند ابن لهيعة كان ابن فرعون نفسه، وقيل هو ابن بنت فرعون وقيل كان أخا إلياس، وعند السهيلي عن قوم أنه كان من الملائكة وليس من بني آدم، واختلف في نبوته فقيل نبي واحتج بعضهم لذلك بقوله وما فعلته عن أمري وأجيب باحتمال الإيحاء إلى نبيٍّ من أنبياء ذلك الزمان أن يأمر الخضر بذلك، والأكثرون كما قاله النووي على حياته بين أظهرنا، واتفق عليه سادات الصوفية كابن أدهم وبشر الحافي ومعروف الكرخي وسري السقطي والجنيدو به قال عمر بن عبد العزيز، والذي جزم به البخاري أنه غير موجود وبه قال إبراهيم الحربي وأبو بكر بن العربي وطائفة من المحدثين وعمدتهم الحديث المشهور أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد، وأجيب بأنه كان حينئذٍ على وجه البحر أو هو مخصوص من الحديث إلى غير ذلك مما سبق أوائل هذا المجموع.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كنا مع رسول الله ﷺ)** بمرِّ الظهران **(نجني الكباس)** بكاف فموحدة مفتوحتين وبعد الألف مثلثة ثمر الأراك النضيج **(وإن رسول الله ﷺ قال)** لمن معه من أصحابه: **(عليك بالأسود منه فإنه**

رعاها». عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة

---

**أطيبه قالوا أكنت ترعى الغنم؟)** إذ لا يميز بين أنواعه غالباً إلاَّ من يلزم رعي الغنم **(قال)** ﷺ: **(وهل من نبي)** موسى وغيره **(إلاَّ وقد رعاها؟)** لينتقل من سياستها إلى سياسة من يرسل إليه وتأخذ نَفسه بالتواضع وتصفية القلب بالخلوة، وفيه إشارة إلى أن النبوة لم يضعها الله تعالى في أبناء الدنيا والمترهفين منهم، وإنما جعلها في أهل التواضع قاله الخطابي وعند النسائي بإسناد رجاله ثقات: افتخر أهل الإبل والشاء فقال النبي ﷺ: «بعث موسى وهو راعي الغنم».

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: كَمل)** بفتح الميم ويجوز فيها الضم والكسر **(من الرجال كثير ولم يكمل)** بضم الميم **(من النساء إلاَّ آسية امرأة فرعون)** قيل وكانت ابنة عم فرعون، وقيل هي من العمالقة وقيل من بني إسرائيل من سبط موسى، وقال السهيلي هي عمة موسى **(ومريم ابنة عمران)** أم عيسَى قال في الكواكب: ولا يلزم من لفظ الكمال نبوتهما إذ هو يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه والمراد تناهيهما في جميع الفضائل التي للنساء، وقد نُقل الإجماع على عدم النبوة لهن اهـ وهذا معارَض بما نقل عن الأشعري أن من النساء من نُبِّيء وهن ستٌ حواء وسارة وأم موسى واسمها يوخابذ بخاء معجمة وباء موحدة وذال معجمة وقيل بالنون المكسورة بدل الموحدة وقيل أباذخا وقيل أباذخت وقيل بحانه وهاجر وآسية ومريم، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله تعالى بحكم من أمرٍ أو نهي أو بإعلامه شيئاً فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن قال الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾ [القصص: ٧]، الآية وقال تعالى بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ [مريم: ٥٨] فدخلت في عمومه وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، وأما آسية فلم يأت ما يدل على نبوتها واستدل بعضهم لنبوّتها ونبوّة مريم بالحصر في هذا الحديث، حيث قال: «ولم يكمل من النساء إلاَّ آسية ومريم» قال: لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصدِّيقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون في النساء ولية ولا صدِّيقة ولا شهيدة والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قال: لم يتنبأ من النساء إلاَّ فلانة وفلانة ولو قال: لم يثبت صفة الصدِّيقية أو الولاية أو الشهادة إلاَّ لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في غيرهن إلاَّ أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك، واحتج المانعون بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً﴾ [يوسف ١٠٩، والنحل: ٤٣، والأنبياء: ٧] وأجيب بأنه لا حجة فيه لأن أحداً

على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول إني خير من يونس بن متى» ونسبه إلى أبيه. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود عليه السلام

---

لم يدَّع فيهن الرسالة وإنما الكلام في النبوةِ فقط **(وإن فضل عائشة)** بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما **(على النساء)** أي نساء هذه الأمة **(كفضل الثريد)** بالمثلثة **(على سائر الطعام)** قيل إنما مُثِّل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولحصول الشبع منه أكثر من غيره ولأن الثريد عندهم اسم لما طبخ بلحم، ورُوِيَ: سيد الطعام اللحم، فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة والسرُّ فيه أن اللحم مع الثريد جامع بين الغِذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في المريء، فضرب مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل بالصاد والنون أي قوته وإحكامه والتحبب إلى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها، وحسبك أنها عقلت من النبي ﷺ ما لم يعقل غيرها من النساء وروت ما لم يروِ مثلها من الرجال، ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذَّها قول شاعرهم:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم ... فذاك أمانة الله الثريدُ

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ما ينبغي لعبدٍ أن يقول إني خيرٌ من يونس بن متى)** بفتح الميم والفوقية المشددة، قيل خص يونس عليه الصلاة والسلام بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة، **(ونسبه)** عليه الصلاة والسلام **(إلى أبيه)** مَتَّى وهو يرد على من قال: إن مَتَّى اسم أمه وقال ذلك ﷺ تواضعاً إن كان قاله بعد أن علم أنه سيد البشر، وقال ابن أبي جمرة يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن الخطيب لأنه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحِسِّ لأن نبينا ﷺ أسري به إلى فوق السبع الطباق، ويونس عليه الصلاة والسلام نزل به إلى قعر البحر، وقد قال نبينا: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» فهذه فضيلة وُجِدت بالضرورة فلم يبق أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تفضلوني على يونس بن متى، ولا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى» إلاَّ بالنسبة إلى القرب من الله والبعد فمحمد ﷺ وإن أسري به إلى فوق السبع الطباق واخترق الحجب، ويونس وإن نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة إلى القرب والبعد من الله تعالى على حد واحد.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: خفف على داود)** عليه الصلاة والسلام **(القرآن)** قال التوربشتي: أي الزبور وإنما قال القرآن لأنه قصد به إعجازه

القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلا من عمل يده». وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار وقال: كانت

---

من طريق القراءة، وقال غيره: قرآن كل نبي يطلق على كتابه الذي أوحى إليه، وقد دلَّ الحديث على أن الله تعالى يبسط الزمان لمن يشاء من عباده كما يطوي المكان لهم، قال النووي: إن بعضهم كان يقرأ أربع ختمات بالليل وأربع ختمات بالنهار، وكان أبو الطاهر ببيت المقدس يقرأ فيهما أكثر من عشر ختمات، وكان شيخُ الإسلام ابن أبي شريف يقرأ فيهما خمسة عشر وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلاً بالفيض الرباني، **(فكان يأمر بدوابه)** التي يركبها ومن معه **(فتسرج فيقرأ القرآن)** الزبور **(قبل أن تسرج دوابه، ولا يأكل إلاّ من عمل يده)** أي من ثمن ما كان يعمل من الدروع قال ابن أبي حاتم: كان يرفع كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف ألفين له ولأهله وأربعة آلاف يطعم بها بني إسرائيل خبز الحواري، وكان الزبور مشتملاً على التحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى وقال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكَم ومواعظ وكان داود حسن الصوت إذا أخذ في قراءة الزبور استمع إليه الإنس والجن والطير والوحش لحسن صوته.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: مثلي ومثل الناس)** بفتح الميم فيهما أي مَثَل دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما زينت لهم أنفسهم من التمادي على الباطل، **(كمثل رجلٍ استوقد ناراً)** وهي جوهر لطيف مضيءٌ حار محرق **(فجعل الفراش)** بفتح الفاء دواب مثل البعوض واحدتها فراشة، **(وهذه الدواب)** جمع دابة كالبرغش والبعوض والجندب ونحوها **(تقع في النّار)** خير جعل لأنها من أفعال المقاربة تعمل عمل كان، والفراشة هي التي تطير وتتهافت في السراج بسبب ضعف بصرها فهي بسبب ذلك تطلب ضوء النهار، فإذا رأت السراج في الليل ظنت أنها في بيت مظلم وأن السراج كوة في البيت المظلم، وتأوي إلى الموضع المضيء ولا تزال تطلب الضوءَ وترمي بنفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة أخرى حتى تحرق، قال الغزالي: ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الإنسان في الانكباب على الشهوات كالتهافت فلا يزال يرمي نفسها فيها إلى أن يُغْمَس فيها ويهلك هلاكاً مؤبداً، فليت جهل الإنسان كجهل الفراشة فإنها باغترارها بظاهر الضوء إذا أحرقت تخلصت في الحال، والإنسان يبقى في النار أبد الآباد، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «إنكم تتهافتون في النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم». وقال تعالى ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ [القارعة: ٤] فشبههم بالفراش في الكثرة والانتشار

امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما، فقالت: الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى». عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران

---

والضعف والذل والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش.

**(وقال)** أبو هريرة أو النبي ﷺ **(كانت امرأتان)** لم يسميا **(معهما ابناهما)** لم يسميا أيضاً **(جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب)** الذئب **(بابنك، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاً كما)** وفي نسخة: «فتحاً كمتاً» **(إلى داود)** عليه الصلاة والسلام **(فقضى به)** أي بالولد الباقي **(للكبرى)** أي للمرأة الكبرى منهما لكونه كان في يدها وعجزت الأخرى عن إقامة البينة، **(فخرجتا إلى سليمان بن داود فأخبرتاه)** أي بالقصة **(فقال)** قاصداً استكشاف الأمر: **(ائتوني بالسكين)** بكسر السين سميت بذلك لأنها تسكن حركة الحيوان، وتسمى أيضاً مدية بضم الميم ويجوز فتحها وكسرها لأنها تقطع مدة حياته **(أشقه بينهما فقالت الصغرى)** منهما له: **(لا تفعل)** ذلك **(يرحمك الله هو ابنها فقضى)** سليمان عليه الصلاة والسلام **(به للصغرى)** لما رأى من جزعها الدال على عظم شفقتها ولم يلتفت إلى إقرارها أنه إلى الكبرى لأنه علم أنها آثرت حياته بخلاف الكبرى فإنها أرادت موته لتشاركها صاحبتها في المصيبة، ويحتمل أنه استقرر الكبرى فأقرت به بعد ذلك للصغرى فحكم به لها بإقرار صاحبتها لا بمجرد الشفقة، فإن قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فما وجهه، فالجواب أن ذلك فتوىً من داود لا حكم أو لعلَّ في شرعهم جواز النقض والنسخ، فتكون حكومة سليمان ناسخةً لحكومةِ داود، أو أن سليمان فعل ذلك توسلاً إلى إظهار الحق فلما أقرت به الكبرى عمل بمقتضى إقرارها، أو كان بعد الحكم كما اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحق لصاحبه.

**(عن علي)** بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها)** أي الدنيا أي نساء أهلها في زمانها **(مريم ابنة عمران)** وليس الضمير راجعاً إلى مريم لأنه يصير كقولهم يوسف أحسن إخوته وقد صرّحوا بمنعه لأن أفعل التفضيل إذا أضيف وقصد به الزيادة على من أضيف له اشترط أن يكون منهم مثل: زيد أفضل الناس. فإن لم يكن منهم فلا يجوز كما في يوسف أحسن إخوته لخروجه عنهم بإضافتهم إليه، نعم يجوز رجوعه إلى مريم بتقدير مضاف أي: خير نساء زمانها مريم، وإنما جاز عود الضمير للدنيا على الوجه الأول مع أنه لم يجر لها ذكر لأنه يفسره الحال والمشاهدة، وقد رواه النسائي من حديث ابن عباس بلفظ: «أفضل نساء أهل الجنة»،

وخير نسائها خديجة». عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نساء قريش خير نساء ركبن الإبل أحناه على طفل وأرعاه على زوج في ذات يده». عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من

---

وحينئذٍ فالمعنى خير نساء أهل الجنة مريم وفي رواية خير نساء العالمين وهو كقوله تعالى ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ [آل عمران: ٤٢] وظاهره أنها أفضل من جميع النساء وذلك أن روح القدس طهرها وكلمها ونفخ في درعها، وليس هذا لأحد من النساء وصدقت بكلمات ربها ولم تسأله آية عندما بشرت كما سأل زكريا عليه السلام من الآية ولذلك سمَّاها الله تعالى صِدِّيقة فقال تعالى: ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [التحريم: ١٢] فشهد لها بالصدِّيقية والتصديق والقنوت، ويحتمل أن يكون المراد كما قال الكرماني: نساء بني إسرائيل أو من فيه مضمرة كما قال القاضي عياض. **(وخير نسائها)** أي هذه الأمة **(خديجة)** أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: نساء قريش)** مبتدأه خبره **(خير نساءٍ ركبن الإبل)** كناية عن نساء العرب خرجت مريم لأنها لم تركب بعيراً قط فلم تدخل في الموصوفات بركوب الإبل، فهي أفضل النساء مطلقاً **(وأحناه)** أي أحنى هذا الجنس يعني أشفقه **(على طفل)** بحسن التربية وغيرها، والأصل أن يقول أحناهن لكن قالوا: إن العرب لا تتكلم في مثله إلاَّ مفرداً **(وأرعاه على زوجٍ في ذات يده)** أي في ماله المضاف إليه بالأمانة وحسن التدبير في النفقة وغيرها.

**(عن عبادة)** بن الصامت **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأنَّ عيسى عبد الله)** وفي رواية: «وابن أمته» **(ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم)** أي أوصلها إليها **(وروحٌ منه)** أي ذو روح صدرت منه بأمره لجبريل أن ينفخ في درع مريم فحبلت به، أو لأنه كان يحيي الأموات أو القلوب، وذكر عيسى تعريضاً بالنصارى وإيذاناً بأن إيمانهم مع القول بالتثليث شرك محض لا يخلصهم من النار، وأنه رسوله تعريضاً باليهود في إنكارهم رسالته وانتمائهم إلى ما لايحل من قذفه وقذف أمه، وأنه ابن أمته تعريضاً بالنصارى أيضاً وتقريراً لعبوديته أي هو عبد الله وابن أمته فكيف ينسبونه إلى الله عز وجل بالبنوة؟ **(والجنة حق والنار حق)** أخبر عنهما بالمصدر مبالغة في الحقية وأنهما عين الحق كزيدٍ عدلٌ تعريضاً بمنكري دار الثواب والعقاب **(أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)** فيه أن عصاة أهل القبلة لا يُخَلَّدون في النار لعموم قوله: من شهد أن لا إله إلاَّ الله وأنه تعالى يعفو عن السيئات قبل

العمل» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللَّهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة فكلمته فأبى فأتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت من جريج فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ

---

التوبة واستيفاء العقوبة لأن قوله على ما كان من العمل حال من قوله أدخله الله الجنة، ولا ريب أن العمل غير حاصل حينئذٍ بل الحاصل حال إدخاله استحقاق ما يناسب عمله من الثواب والعقاب، لا يقال إن ما ذكر يستدعى أن لا يدخل أحد من العصاة النار، لأنَّا نقول اللازم منه عموم العفو ولا يستلزم عدم دخول النار لجواز أن يعفو عن بعضهم بعد الدخول وقبل استيفاء العذاب، وقال الطيبي: التعريف في العمل للعهد والإشارة به للكبائر يدل له نحو قوله وإن زنى وإن سرق في حديث أبي ذرٍّ وقوله: «على ما كان» حال والمعنى: من شهد أن لا إله إلاَّ الله يدخل الجنة في حال استحقاقه العذاب بموجب أعماله من الكبائر أي حال هذا مخالف للقياس في دخول الجنة فإن القياس يقتضي أن لا يدخل الجنة من شأنه هذا كما زعمت المعتزلة، وإلى هذا المعنى ذهب أبو ذرٍّ في قوله وإن زنى وإن سرق وردَّ بقوله وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لم يتكلم في المهد)** وهو ما يهيأ للصبي أن يُربَّى فيه **(إلاَّ ثلاثة)** واستشكل الحصر بما روى من كلام غير الثلاثة وأجيب باحتمال أن يكون المعنى لم يتكلم في بني إسرائيل أو قاله قبل أن يعلم الزيادة أو الثلاثة بقيد المهد الأول **(عيسى)** ابن مريم عليهما الصلاة والسلام **(و)** الثاني **(كان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج)** وفي حديث أبي سلمة: «إنه كان تاجراً وكان يُنْقِص تارة ويزيد أخرى فقال ما في هذه التجارة خير لألتمسنَّ تجارة هي خير من هذه فبنى صومعة وترهب فيها. وعند أحمد: «وكانت أمه تأتيه فتناديه فيشرف عليها فتكلمه»، **(وكان يصلي)** يوماً **(فجاءته)** بالفاء وفي نسخة جاءته بحذفها **(أمه فدعته)** فقالت: يا جريج **(فقال:)** في نفسه **(أجيبها)** وأقطع صلاتي **(أو أصلي)** فآثر الصلاة على إجابتها بعد أن دعته ثلاثاً كما في الرواية الأخرى أنها دعته ثلاثاً **(فقالت: اللهم لاتمته حتى تريه وجوه المومسات)** بضم الميم الأولى وكسر الثانية بينهما واو ساكنة الزانيات، ولم تدع عليه بوقوع الفاحشة مثلاً رفقاً منها **(فكان جريج في صومعته فتعرضت له امرأة)** راعية ترعى الغنم، أو كانت بنت ملك القرية **(فكلمته)** أن يواقعها وفي نسخةٍ وكلمته بالواو **(فأبى)** أن يفعل ذلك **(فأتت راعياً فأمكنته من نفسها)** فواقعها فحملت منه **(فولدت غلاماً فقيل: لها ممن)** هذا الغلام **(فقالت: من جريج)** زاد أحمد: «فأخذت وكان من زنى منهم قُتِلَ، وفي رواية: فذهبوا إلى الملك فأخبروه فقال: أدركوه فأتوني به **(فأتوه فكسروا)** بالفاء وفي

وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي قالوا: نبني صومعتك من ذهب قالا لا إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة فقالت: اللَّهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال: اللَّهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه» قال أبو هريرة: كأني انظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه، ثم مر بأمة فقالت اللَّهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقتِ زينبِ ولم تفعل». عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

---

نسخة بالواو (**صومعته**) بالفؤس والمساحي (**وأنزلوه**) منها (**وسَبُّوه**) زاد أحمد عن وهب بن جرير: «وضربوه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: إنك زنيت بهذه». وعند أحمد من طريق ابن رافع: «أنهم جعلوا في عنقه وعنقها حبلاً وجعلوا يطوفون بهما على الناس» وفي رواية أبي سلمة: «إن الملك أمر بصلبه» (**وتوضأ**) بالواو وفي نسخة بالفاء وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافاً لمن نقل ذلك، نعم الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخر (**وصلَّى**) بالواو وفي حديث عمران: «فصلى ركعتين» وزاد وهب بن جرير: «ودعا» (**ثم أتى الغلام وقال من أبوك يا غلام**) زاد في رواية وهب بن جرير: «فطعنه بإصبعه» وفي رواية أبي سلمة: «فأتى بالمرأة والصبي وفمه في ثديها فقال له جريج: من أبوك يا غلام؟ فنزع الغلام فاه من الثدي (**فقال**) بالفاء وفي نسخة قال بحذفها: (**الراعي**) ولم يسم وزاد في رواية وهب بن جرير: «فوثبوا إلى جريج فجعلوا يقبلونه» وفي هذا إثبات كرامات الأولياء وقوع لك لهم باختيارهم وطلبهم، (**قالوا نبني**) لك (**صومعتك من ذهب قال**) جريج: (**لا إلاَّ من طين**) كما كانت ففعلوا.

(**و**) الثالث (**كانت امرأة**) لم تسم (**ترضع ابناً لها**) لم يسم أيضاً (**من بني إسرائيل فمرَّ بها رجل**) لم يسم (**راكب ذو شارة**) بالشين المعجمة والراء المخففة أي صاحب حُسن أو هيئة أو مَلْبَسٍ يتعجب منه ويشار إليه (**فقالت**) المرأة المرضِعة: (**اللهم اجْعل ابني مثله**) في الهيئة والحسن (**فترك**) المرضع (**ثديها فأقبل**) بالفاء وفي نسخة وأقبل بالواو (**على الرجال فقال: اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه**) بفتح الميم (**قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يمص أصبعه**) فيه المبالغة بإيضاح الخبر بتمثيله بالفعل (**ثم مُرَّ**) بضم الميم وتشديد الراء مبنياً للمفعول (**بأَمَةٍ**) زاد وهب بن جرير عند أحمد: تضرب (**فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه**) المرأة (**فترك ثديها فقال**) بالفاء وفي نسخة: وقال بالواو (**اللهم اجعلني مثلها. فقالت:**) أي الأم لابنها و(**لم**) قلت (**ذلك؟**) وفي نسخة: فقالت له ذلك أي عن سبب ذلك (**فقال:**) أما (**الراكب**) فهو (**جبار من الجبابرة**) وفي رواية فإنه كافر (**و**) أما (**هذه الأمة**) فهم (**يقولون**) لها (**سرقتِ زنيتِ**) بكسر

قال رسول الله ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعدٌ عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبطٌ كأنَّه من رجاله الزط. وعنه رضي الله

---

التاء فيهما على المخاطبة للمؤنث-وفي نسخةٍ سرقتْ زنتْ بسكونها على الخبر **(و)** الحال أنها **(لم تفعل)** شيئاً من السرقة والزنا وفي رواية يقولون لها: تزني وتقول: حسبيَ الله ويقولون لها: تسرقي وتقول: حسبيَ الله. والرابع شاهد يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ [يوسف: ٢٦] وفُسِّر بأنه كان ابن خال زليخا صبياً تكلم في المهد وهو منقولٌ عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك، ونقل عن ابن عباس ومجاهد أنه كان ذا لحية ورُجِّح بأنه لو كان طفلاً لكان مجرد قوله إنها كاذبة كافياً وبرهاناً قاطعاً لأنه من المعجزات ولما احتيج أن يقول من أهلها والخامس الرضيع الذي قال لأمه وهي ماشطةُ بنت فرعون لمَّا أراد فرعون إلقاء أمه في النار اصبري يا أمه فإنَّا على الحق. رواه أحمد والبزار وابن حبان من حديث ابن عباس السادس ما في قصة الأخدود: لما أُتي بالمرأة ليلقى بها في النار أو لتكفر ومعها مرضع فتقاعست فقال لها: يا أماه اصبري فإنك على الحق. رواه مسلم من طريق صهيب السابع زعم الضحاك في تفسيره أن يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام تكلم في المهد أخرجه الثعلبي، وفي سيرة الواقدي أن نبينا ﷺ تكلم في أوائل ما ولد، وعن ابن عباس قال: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً. الحديث رواه البيهقي، وعن معيقيب اليماني قال: حججت حجة الوداع فدخلتُ داراً فيها رسول الله ﷺ ورأيت منه عجباً، جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم وُلِدَ فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام من أنا؟ قال: أنت رسول الله، قال: صدقتَ بارك الله فيك، ثم إن الغلام لم يتكلم حتى شبَّ وكنا نسميه مبارك اليمامة رواه البيهقي من حديث معرض بالضاد المعجمة.

**(عن ابن عمر)** قيل هنا غلط والصواب عن ابن عباس **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت عيسى وموسى وإبراهيم)** عليهم الصلاة والسلام أي ليلة أسري بي إلى بيت المقدس **(فأما عيسى فأحمر)** اللون وهو عند العرب الشديد البياض مع الحمرة **(جعدٌ)** بفتح الجيم وسكون العين أي جعد الشعر ضد السبط **(عريض الصدر وأما موسى فآدم)** بالمد أي أسمر كأحسن ما يرى **(جسيمٌ)** اعترضه التيمي بأن الجسيم إنما ورد في صفة الدَّجَّال وأجيب بأن الجسامة تطلق على السمن وعلى الطول فالمراد هنا طويل **(سبط)** بفتح السين وسكون الموحدة وكسرها وفتحها **(كأنه من رجال الزطّ)** بضم الزاي وتشديد الطاء المهملة، جنس من السودان أو نوع من الهنود طِوال الأجساد مع نحافة وهذا يُؤَيِّد أن معنى قوله جسيم: طويل وفي رواية رجل مضطرب وفُسِّر بخفيف اللحم، وفي أخرى كأنه من رجال شَنُوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون وبعد الواو الساكنة

عنه أنه قال: «أراني الليلة عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماءً واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح بن مريم، ثم رأيت رِجلاً وراءه جعداً قططاً أعور عين اليمني كأشبه من رأيت بابن قَطَن، واضعاً يديه على منكبي رجلٍ يطوف بالبيت فقلت من هذا؟ قالوا: المسيح الدجال». وعنه رضي الله عنه في روايةٍ أخرى قال: لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى

---

همزة مفتوحة ثم هاء تأنيث حَيٌّ من اليمن طِوال، ثم قال: ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به.

(**وعنه رضي الله عنه أنه**) ﷺ (**قال: أراني الليلة**) بفتح الهمزة أي أرى نفسي في الليلة (**عند الكعبة في المنام فإذا رجل آدم**) بالمد أي أسمر (**كأحسن ما يرى من أدم الرجال**) بضم الهمزة وسكون الدال (**تضرب لمته بين منكبيه**) بكسر اللام وتشديد الميم، وهي الشعر إذا جاوز شحمتي الأذنين وألم بالمنكبين، فإذا جاوز المنكبين فجمة، فإن قصر عنهما فوفرة (**رَجِلُ الشعر**) بكسر الجيم أي مسترسله قد سرحه ودهنه، قال ابن السكيت: شعر رَجِل: إذا لم يكن شديد الجعودة ولا سبطاً (**يقطر رأسه ماءً**) حقيقة فيكون من الماء الذي سرحه به أو كنى به عن مزيد النظافة والنضارة حال كونه (**واضعاً يديه على منكبي رجلين**) لم يسميا (**وهو يطوف بالبيت**) الحرام (**فقلت: من هذا**) الطائف؟ (**فقالوا: هذا المسيح**) عيسى (**ابن مريم**) عليهما السلام، (**ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً**) بفتح الطاء وكسرها شديد جعودة الشعر (**أعور العين اليمنى**) بإضافة أعور لتاليه من إضافة الموصوف إلى صفته وهو عند الكوفيين ظاهر، وعند البصريين تقديره عين صفحة وجهه اليمنى وفي نسخةٍ: «أعور العين اليمين» وفي حديثٍ أنَّه أعور عين اليسرى، وفي حديث حذيفة عند مسلم: «إنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة»، وجمع بأن إحدى عينيه غائرة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء إذ الأصل في العور أنه العيب (**كأشبه من رأيت**) بضم التاء وروي بفتحها (**بابن قَطَن**) بفتح القاف والطاء المهملة بعدها نون، رجلٌ من خزاعة اسمه عبد العزى هلك في الجاهلية قبل الإسلام حال كونه (**واضعاً يديه على منكبي رجلٍ يطوف بالبيت فقلت من هذا**) الذي يطوف؟ (**فقالوا:**) بالفاء وفي نسخة قالوا بحذفها: (**المسيح الدجال**) فَعَّال من أبنية المبالغة وأصل الدَّجَل: الخلط يقال: دَجَّل إذا خلط وموَّه، والدجَّال هو الذي يظهر في آخر الزمان ويدَّعي الألوهية.

(**وعنه رضي الله عنه في روايةٍ أخرى**) أنه (**قال: لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى**) أي عن عيسى: (**أحمر**) أقسم على ظنه أن الوصف اشتبه على الراوي وأن الموصوف بكونه

أحمر، ولكن قال: «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يُهادى بين رجلين ينطف رأسه ماءً أو يهراق رأسه ماءً، فقلت: من هذا قالوا: ابن مريم، فذهبت ألتفت فإذا رجل أحمر جسيم جعد الرأس أعور عينه اليمنى كأنه عينه طافية، قتل: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال، وأقرب الناس به شبهاً ابن قَطَن». عن

---

أحمر هو الدِّجَّال لا عيسى، وكأنه سمع ذلك سماعاً جزماً في وصف عيسى بأنه آدم، كما في الحديث السابق فساغ له الحلف على ذلك لما غلب على ظنه أن من وصفه بأنه أحمر فقد وهم، وقد وافق أبو هريرة على أن عيسى أحمر فظهر أن ابن عمر أنكر ما حفظه غيره والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، والآدم الأسمر وجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر **(ولكن قال: بينما)** بالميم **(أنا نائم)** رأيت أني **(أطوف بالكعبة فإذا رجل آدمُ سبط الشعر)** أي مسترسل الشعر غير جعده وفي الحديث السابق، جعد وهو ضد السبط وجمع بينهما بأنه سبط الشعر جعد الجسم لا الشعر، والمراد اجتماعه واكتنازه قال الجوهري: رَجَلٌ سَبْطُ الشعر وسبط الجسم أي حَسَنُ القدِّ والاستواء قال الشاعر:

فجاءت به سبط العظام كأنما عِمَامته بين الرجال لواء

**(يُهادَى بين رجلين)** بضم الياء وفتح الدال أي يمشي متمائلاً بينهما **(ينطُف)** بضم الطاء المهملة وروي بكسرها أي يقطر **(رأسه ماء)** نصب على التمييز **(فقلت: من هذا؟ قالوا: ابن مريم فذهبت ألتفت فإذا رجلٌ أحمر)** اللون **(جسيم جعد)** شعر **(الرأس أعور عينه اليمنى)** بالإضافة وعينه بالجر، واليمنى صفته وفي ذلك أمران: أحدهما أن قوله: أعور عينه من باب الصفة المشبهة المضافة إلى معمولها المضاف إلى ضمير الموصوف، نحو حسن وجهه وسيبويه وجميع البصريين يُجَوِّزونها على قبح في الضرورة فقط، وأجازه الكوفيون في السعة بلا قبح وهو الصحيح لوروده في هذا الحديث وفي حديث صفته ﷺ: «شَثْنُ الكفين طويل أصابعه»، على روايته بالخفض وفي حديث أم زرع صفر وشاحها ومع جوازه ففيه ضعف لأنه يشبه إضافة الشيء إلى نفسه، ثانيهما أن الصفة المشبهة لا يتبع معمولها فلا يقال: زيد حَسَنُ الوجه المشرق بجرِّ المشرق على أنه صفة للوجه، وعلل ذلك بأن معمولها لما كان سببياً غير أجنبي أشبه الضمير لكونه أبداً محالاً على الأول وراجعاً إليه والضمير لا ينعت فكذا ما أشبهه، وخَرَّج بعضهم الحديث على أن اليمنى خبر مبتدأ محذوف لا صفة لعينه وكأنه لما قيل أعور عينه قيل: أي عينيه فقيل اليمنى أي هي اليمنى وروي عينُه **بالرفع** بدلاً من قوله أعور أو مبتدأ حذف خبره تقديره: عينه اليمنى عوراء وتكون الجملة صفة كاشفة لقوله أعور **(كأن عينه عنبةٌ طافية)** بغير همزٍ أي: بارزة خرجت عن نظائرها، وفي نسخةٍ: «كأن عنبة طافية» بإسقاط عينه واحدة العيون وإثبات عنبة بالموحدة ونصبها كتاليها اسم كأن والخبر محذوف أي كان في وجهه

أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ليس بيني وبينه نبي». وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد». وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى

---

عنبة طافية، كقوله إن محلاً وإن مُرتحلاً أي إن لنا محلاً وإن لنا مُرتحلاً وأعربه الدماميني بأن قوله اليمنى: مبتدأ وقوله كأن عنبة طافية: خبره والعائد محذوف تقديره كأن فيها، ويكون هذا وجهاً آخر في دفع الأمر الثاني السابق **(فقلت)** بالفاء وفي نسخة قلت بحذفها: **(من هذا؟ قالوا: الدجال)** استشكل بأن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة وأجيب بأن المراد لا يدخلهما زمن خروجه ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي **(وأقرب الناس به شبهاً ابن قطن)** عبد العزى.

**(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى الناس بابن مريم)** قال بعضهم: وإنما كان أولى الناس به لأنه أقرب المرسلين إليه ودينه متصل بدينه ليس بينهما نبي، وإن عيسى كان مبشراً به ممهداً لقواعد دينه داعياً الخلق إلى تصديقه **(والأنبياء)** عليهُم الصلاة والسلام **(أولاد عَلاّت)** بفتح العين وتشديد اللام والعَلَّة الضرة مأخوذ من العلل وهو الشربة الثانية بعد الأولى وكأن الزوج قد عَلَّ منها بعدما كان ناهلاً من الأخرى، وأولاد العَلاَّت أولاد الضرات من رجلٍ يريد أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصل دينهم واحد وفروعهم مختلفة فهم متفقون في الاعتقاديات المسماة بأصول الدين كالتوحيد وسائر علم الكلام، مختلفون في الفروع وهي الفقهيات وأن عيسى **(ليس بيني وبينه نبي)** وهو كالشاهد لقوله: «أنا أولى الناس بابن مريم» لا يقال إنه ورد أن الرسل الثلاثة الذين أرسلوا إلى أصحاب القرية المذكورة قصتهم في سورة يس كانوا من أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام وأن جرجيس وخالد بن سنان كانا نبيين وكانا بعد عيسى، لأن هذا الحديث الصحيح يضعف ذلك.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة)** لكونه مبشراً بي قبل بعثتي وممهداً لقواعد ملتي في آخر الزمان، تابع لشريعتي ناصر لديني فكأننا واحد **(والأنبياء إخوة لعَلاَّت)** استئناف فيه دليل على الحكم السابق، وكأن سائلاً سأل عما هو المقتضى لكونه أولى الناس به فأجاب بذلك **(أمهاتهم شتى ودينهم)** في التوحيد **(واحد)** ومعنى الحديث أن حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعاً لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق وإرشادهم إلى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له، فعبر عما هو الأصل المشترك بين

ابن مريم رجلاً يسرق فقال له: أسرقت؟ قال كلا والله الذي لا إله إلا هو، فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عيني». عن عمر رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا

---

الكل بالأب ونسبهم إليه وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بالأمهات وهو معنى قوله أمهاتهم شتى ودينهم واحد، أو المراد أن الأنبياء وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالأصل الذي هو السبب في إخراجهم وإبرازهم كلاً في عصره أمر واحد وهو الدين الحق، وعلى هذا فالمراد بالأمهات الأزمنة التي اشتملت عليهم.

**(وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: رأى عيسى ابن مريم)** وفي نسخة إسقاط قوله ابن مريم **(رجلاً يسرق)** لم يسم الرجل ولا المسروق **(فقال له: أسرقت؟)** بهمزة الاستفهام وفي نسخة بحذفها **(قال: كلا)** نفي للسرقة وأكده بقوله **(والذي)** وفي نسخة: والله الذي **(لا إله إلا هو)** وفي نسخة إلا الله **(فقال عيسى: آمنت بالله)** أي صدَّقْتُ من حلف بالله **(وكذَّبْتُ)** بتشديد الذال وفي نسخة بتخفيفها **(عيني)** بالإفراد وفي نسخة وكذَّبتُ نفسي، وهذا خرج مخرج المبالغة في تصديق الحالف لا أنه كذَّب نفسه حقيقة أو أراد صدقه في الحكم لأنه لم يحكم بعلمه، وإلا فالمشاهدة أعلى اليقين فكيف يكذب عينه ويصدق قول المدعى، ويحتمل أنَّ قوله: وكذَّبت نفسي كذَّبت ما ظهر لي من كون الأخذ سرقة إذ يحتمل أن يكون لرجلٍ أخذ ماله فيه حق أو ما أذن له صاحبه في أخذه أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء، لكن يُبْعِد هذا جزمه ﷺ حيث قال: «إن عيسى رأى رجلاً يسرق» إلا أن يقَال وصفه ذلك بحسب ما ظهر له هذا كله على نسخة حذف الهمزة، أما على نسخة إثباتها فالأمر ظاهر لأن عيسى غير جازم بذلك على أنه يمكن تقديرها في النسخة المحذوفة منها، واستنبط منه منع القضاء بالعلم وهو مذهب المالكية والحنابلة مطلقاً وجوزه الشافعية إلا في الحدود.

**(عن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تطروني)** بضم التاء وسكون الطاء المهملة من الإطراء وهو المدح، أي لا تمدحوني بالباطل أو لا تجاوزوا الحد في مدحي **(كما أطرت النصارى)** عيسى **(ابن مريم)** في ادعائهم إلهيَّتهُ وغيرها **(فإنما أنا عبده)** ورسوله **(فقولوا: عبد الله ورسوله)** فإن قلت: هل ادعى أحد في نبينا عليه الصلاة والسلام ما ادعى في عيسى؟ أجيب بأنهم قد كادوا أن يفعلوا نحو ذلك حين قالوا له عليه الصلاة والسلام: أفلا نسجدُ لكِ؟ فقال: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» فنهاهم عما عساه أن يبلغ بهم من العبادة.

نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم». عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً فأما الذي يرى الناس أنها النار فماءٌ بارد وأما الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه عذب بارد».

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن رجلاً حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنامت فأجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها،

---

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم**) في الصلاة (**منكم**) كما في مسلم أنه يقال صلِّ بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة لهذه الأمة قال ابن الجوزي: لو تقدم عيسى عليه الصلاة والسلام إماماً لوقع في النفس إشكال، ولقيل أتره نائباً أو مبتدئاً شرعاً فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله ﷺ: «لا نبي بعدي»، وقال الطيبي: معنى الحديث أنه يؤمكم عيسى حال كونكم في دينكم وصحح المولى سعد الدين التفتازاني أنه يؤمهم ويقتدى به المهدي لأنه أفضل، فإمامته أولى، وهذا يعكر عليه حديث مسلم السابق وقال بعضهم: معناه أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل، وفي حديث ابن عمر عند مسلم: أن مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله سبع سنين، وفي حديث ابن عباس عند نعيم بن حماد في كتاب الفتن: أنه يتزوج في الأرض ويقيم بها تسع عشرة سنة، وعنه بإسناد فيه متهم عن أبي هريرة أنه يقيم بها أربعين سنة.

(**عن حذيفة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن مع الدجَّال إذا خرج ماءً وناراً فأما الذي**) وفي نسخة التي (**يرى الناس أنها النار فماءٌ باردٌ، وأمَّا الذي يرى الناس أنه ماء بارد فنار تحرق فمن أدرك**) ذلك منكم (**فليقع في الذي يرى أنها نار فإنه**) ماء (**عذب بارد**). وفي مسلم عن أبي هريرة: «وأنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها جنة هي النار». وهذا من فتنته التي امتحن الله تعالى بها عباده ثم يفتضحه الله تعالى ويظهر عجزه.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن رجلاً**) لم يسم (**حضره الموت فلما يئس من الحياة أوصى أهله إذا أنا مِتُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً وأوقدوا فيه**) أي في الحطب (**ناراً**) وألقوني فيها (**حتى إذا أكلت**) أي النار (**لحمي وخَلَصتْ**) بفتح اللام أي وصلت (**إلى عظمي فامتَحَشَتْ**) بفتح الفوقية والحاء المهملة والشين المعجمة وفي نسخة: فامتُحِشَتْ بضم التاء وكسر الحاء أي احترقت (**فخذوها**) أي العظام المحروقة (**فاطحنوها ثم انظروا يوماً راحاً**) براء مفتوحة بعدها ألف فحاء مهملة

ثم انظروا يوماً راحاً فاذروه في اليم ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر الله له. عن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قالت: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم».

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سَنَن من قبلكم شبراً

---

منونة كثير الريح **(فاذروه)** بالذال المعجمة ووصل الهمزة أي طَيِّروه **(وفي اليم)** أي البحر **(ففعلوا)** أي ما أوصاهم به **(فجمعه الله)** وفي نسخة: فجمعه بإسقاط لفظ الجلالة **(فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك فغفر الله له)** وكان ذلك الرجل نباشاً للقبور يسرق الأكفان كما رواه حذيفة عن النبي ﷺ.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء)** أي تتولى أمورهم كما تفعل الولاة برعاياهم حال كونهم **(كلما هلك نبي خلفه)** بفتح اللام المخففة أي قام مقامه **(نبي)** يغير لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة إلى غير ذلك كإنصاف الظالم من المظلوم **(وإنه لا نبي بعدي)** يجيء فيفعل كما يفعلون **(وسيكون خلفاء)** بعدي **(فيكثرون)** بالمثلثة المضمومة والتحتية المفتوحة **(قالوا: فماذا تأمرنا؟)** الفاء جواب شرط محذوف أي إذا كثر بعدك الخلفاء فوقع التشاجر والتنازع بينهم فما تأمرنا نفعل **(قال:)** عليه الصلاة والسلام **(فُوا)** بضم الفاء أمر من الوفاء **(ببيعة الأول فالأول)** الفاء للتعقيب والتكرير والاستمرار، ولم يرد به زمان واحد بل الحكم هذا عند تعدد كل زمان وبيعة، قاله الطيبي. وقال في الفتح: إذا بويع خليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة. قال النووي: سواء عقدوا للثاني عالمين بالأول أم لا، وسواء كانوا في بلد واحد أو أكثر، وسواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا هذا هو الصواب الذي عليه الجُمهور، وقيل تكون لمن عقدت له في بلد الإمام دون غيره، وقيل يُقْرَع بينهما قال: وهما قولان فاسدان، وقال القرطبي في هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها وسكت عن بيعة الثاني، وقد نُصَّ عليه في حديث عرفجة في صحيح مسلم حيث قال: «فاضربوا عنق الآخر **(أعطوهم)** بهمزة قطع مفتوحة **(حقهم)** من السمع والطاعة فإن في ذلك إعلاء كلمة الدين وكف الفتن والشر، وهذا كالبدل من قوله فُوا ببيعة الأول **(فإن الله)** أي أعطوهم حقهم فإن لم تعطوهم حقهم فإن الله **(سائلهم)** يوم القيامة **(عما استرعاهم)** ويثيبكم بما لكم عليهم من الحقوق.

**(وعن أبي سعيد)** سعد بن مالك الخدري **(رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: لتتّبعنَّ)** بتشديد الفوقية الثانية وكسر الموحدة وضم العين المهملة وتشديد النون **(سَنن من**

بشير وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال النبي ﷺ: «فمن»؟.

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال بلِّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مَقْعَدَه من النَّار».

---

**قبلكم)** بفتح السين سبيلهم ومنهاجهم **(شِبراً بشبر وذراعاً بذراع)** بالذال المعجمة وشبراً نصب بنزع الخافض أي: تتبعن سنن من قبلكم اتباع شبرٍ مُتَلَبِّسٍ بشبرٍ وذراعٍ متلبس بذراعٍ، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم في المخالفات والمعاصي لا في الكفر، وكذا قوله **(حتى لو سلكوا جحر)** بضم الجيم وسكون الحاء المهملة **(ضبٍ لسلكتموه)** هو حيوان بري معروف يشبه الورل، قال ابن خالويه: إنه يعيش سبعمائة سنة فصاعداً ولا يشرب الماء، وقيل: إنه يبول في كل أربعين يوماً قطرةً ولا يسقط له سِنٌّ، وذكر ابن أبي الدنيا عن أنسٍ أن الضب ليموت في جحره هُزَالاً من ظلم ابن آدم، والعرب تقول: هو قاضي الطير والبهائم لأنها اجتمعت عليه لما خلق الإنسان فوصفوه له فقال تصفون خلقاً يُنْزِل الطائر من السماء ويُخْرِج الحوت من البحر، فمن كان ذا جناح فليطر ومن كان ذا مِخْلَبٍ فليحتفر. وخص جحر الضب بذلك لشدة ضيقه ورداءته ومع ذلك فإنهم لاقتصاصهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا مثل هذا الضيق الرديء لوافقوهم، قاله ابن حجر. **(قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟)** بالنصب بتقدير تعني أو نحوه وبالجر بدل من المجرورة بالإضافة، ويجوز من حيث العربية الرفع أي هم اليهود والنصارى **(قال النبي ﷺ)** وفي نسخة إسقاط التصلية: **(فمن؟)** استفهام إنكاري أي ليس المراد غيرهم.

**(عن عبد الله بن عمرو)** أي ابن العاصي **(رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: بلِّغوا عني ولو آية)** من القرآن، والمراد بالآية العلامة الظاهرة أي ولو كان المُبَلَّغ فعلاً أو إشارة أو نحوهما **(وحدِّثوا عن بني إسرائيل)** أي عما وقع لهم من الأعاجيب وإن استحال مثلها في هذه الأمة كنزول النار من السماء لأكل القربان مما لا تعلمون كذبه **(ولا حرج)** أي لا ضيق عليكم في التحديث عنهم، لأنه كان عليه الصلاة والسلام زجرهم عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور أذن لهم، أو أن قوله أولاً: حدثوا صيغة أمر تقتضي الوجوب فأشار إلى عدمه وأن الأمر للإباحة بقوله ولا حرج أي في ترك التحديث أو أن المراد دفع الحرج عن الحاكي لما في أخبارهم من ألفاظ مستبشعة كقولهم: اجعل لنا إلهاً واذهب أنت وربك، أو المراد جواز التحديث عنهم بأي صيغة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الاتصال في التحديث عنهم بخلاف الأحكام المحمدية فإن الأصل فيها التحديث بالاتصال، **(ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده)** بسكون اللام أي فليتخذ مقعده **(من النار)** أي فيها، والأمر هنا معناه الخبر أي أن الله تعالى يبوئه مقعده من النار أو أمر على سبيل التهكم أو

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرح فجزِعَ فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة». عن أبي هريرة رضي الله

---

دعاء على معنى بوأه الله، نعم لو نقل العالم معنى كلامه عليه الصلاة والسلام بلفظ غير لفظه لكنه مطابق لمعنى لفظه كان جائزاً عند المحققين كما ذُكر في محله.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: إن اليهود والنصارى لا يصبغون)** شيب اللحية والرأس **(فخالفوهم)** أي واصبغوا بغير السواد، لما في مسلم من حديث جابرٍ أنه ﷺ قال: غيروه وجنبوه السواد وقد اختار النووي تحريم الصبغ بالسواد نعم يُستثنَى المجاهد اتفاقاً.

**(عن جُندب)** بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال وضمها **(ابن عبد الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: كان فيمن كان قبلكم)** من بني إسرائيل أو من غيرهم **(رجلٌ)** قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه **(به جرحٌ)** بضم الجيم وسكون الراء بعدها حاء مهملة في يده **(فجزع)** بفتح الجيم وكسر الزاي أي لم يصبر على ألمه **(فأخذ سكيناً)** بكسر السين **(فحز)** بالحاء المهملة والزاي المشددة أي قطع من غير إبانة **(بها يده فما رقأ)** بفتح الراء والقاف والهمزة أي لم ينقطع **(الدم حتى مات قال الله عز وجل)** وفي نسخة: تعالى بدل عز وجل **(بادرني عبدي بنفسه)** أي استعجل الموت **(حرت عليه الجنة)** لأنه استحل ذلك فكفر به فيكون مخلداً بكفره لا بقتله نفسه، أو كان كافراً في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره، أو حرمت عليه الجنة في وقتٍ ما كان الوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يُعَذَّبُ فيه الموحدون ثم يخرجون، أو جنة مُعَيَّنة كالفردوس مثلاً أو غير ذلك مما يطول ذكره، وقال الطيبي: وليس في قوله حرمت عليه الجنة ما يدل على الدوام والإقناط الكُلّي ولما كان الإنسان بصدد أن يحمله الضجر والغضب على إتلاف نفسه ويُسَوِّلُ له الشيطان أن الخطب فيه يسير وأنه أهون من قتل نفسٍ أخرى محرمةٍ، أَعْلَمَ ﷺ أن ذلك في التحريم كقتل سائر النفوس المحرمة. انتهى واستشكل قوله بادرني بنفسه إذ مقتضاه أن من قُتِل فقد مات قبل أجله، وليس أحد يموت بأي سبب كان إلا بأجله وقد علم الله تعالى أن يموت بالسبب المذكور وما علمه لا يتغير. أجيب أنه لما وُجِدَت منه صورة المبادرة بقصده ذلك واختياره له والله جل وعلا لم يطلعه على انقضاء أجله واختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة بعصيانه، والحديث أصل كبير في تعظيم قتل النفس سواء كانت نفس الإنسان أو غيره، لأن نفسه ليست ملكه أيضاً فيتصرف فيها على حسب اختياره.

عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن ثلاثةً من بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا الله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى، الأبرص فقال: أي شيءٍ أحب إليك؟ قال لونٌ حسن وجلدٌ حسن قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال الإبل فأعطاه ناقة عشراء فقال يبارك لك فيها، وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ فقال: شعر حسن

---

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن ثلاثة من بني إسرائيل**) لم يسموا (**أبرص**) وهو الذي ابيَضَّ ظاهر بدنه لفساد مِزاجه (**وأقرع**) وهو من ذهب شعر رأسه بآفة (**وأعمى**) وهو الذي ذهب بصره، وفي نسخة تقديم الأعمى على الأقرع (**بدا لله**) بفتح الموحدة والمهملة المخففة بغير همز كما هو رواية الأكثرين، أي سبق في علم فأراد إظهاره لا أنه ظهر له بعد أن كان خافياً إذ ذاك محال في حق الله تعالى، وضبطه بعضهم بالهمز وخطَّأ الضَبْطَ الأول وليس كذلك، فقد ثبتت الرواية به ووُجِّه، وأولى ما يحمل عليه كما في الفتح أن المراد: قضى الله أن يبتليهم وحكم به أو تعلقت إرادته لأن البداء هو الظهور وتعلق الإرادة سبب له كما يدل لذلك رواية مسلم: «أراد الله تعالى أن يبتليهم» وقال البرماوي تبعاً للكرماني: بدأ بالهمز الله رفع فاعل أي حكم وأراد (**أن يبتليهم**) أي يختبرهم وفي نسخة عز وجل (**فبعث إليهم مَلِكاً فأتى الأبرص**) الذي ابيَضَّ جسده (**فقال**) له: (**أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن وجلدٌ حسن قد قذرني الناس**) بفتح القاف وكسر الذال المعجمة والياء نصب على المفعولية أي اشمأزوا من رؤيتي وعَدُّوني مُستقذراً وكرهوني وفي نسخة: «قذرونيَ الناس» وهي على لغة أكلوني البراغيث (**قال: فمسحه الملك فذهب**) البرص وفي نسخة فذهب عنه (**وأعطي**) بالواو وفي نسخة فأعطي بالفاء (**لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال:**) له الملك أيضاً (**أي المال**) بدون واو وفي نسخة وأي المال بالواو (**أحب إليك؟ قال:**) أحب إليَّ (**الإبل فأعطاه ناقةً عشراء**) بضم العين وفتح المعجمة والراء ممدوداً، الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر من يوم طروقها الفحل، وهو من أنفس الإبل (**فقال:**) له الملك أيضاً (**يُبارَك لك فيها**) بضم التحتية وفي رواية بارك الله لك فيها (**وأتى**) الملك (**الأقرع**) الذي ذهب شعر رأسه (**فقال:**) له (**أي شيءٍ أحب إليك؟ قال: شعرٌ حسن ويذهب هذا عني**) وفي نسخة ويذهب عني هذا بالتقديم والتأخير (**قد قذرني الناس**) كرهوني (**قال: فمسحه**) الملك على رأسه (**فذهب**) قرعه (**وأعطى**) بضم الهمزة (**شعراً حسناً**) ثم (**قال:**) له (**أي المال أحَبُّ إليك؟ قال: البقر قال: فأعطاه بقرةً حاملاً وقال**) له: (**يُبارَك لك فيها وأتى الأعمى فقال:**) له (**أي شيء أحبُّ إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري فأبصر به الناس، قال فمسحه**) الملك على عينيه (**فرد الله إليه بصره**) ثم (**قال**) له: (**فأي المال أحب إليك؟ قال**)

ويذهب عني هذا قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب وأعطي شعراً حسناً قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر قال: فأعطاه بقرة حاملاً وقال: يبارك لك فيها، وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأي المال أحب إليك قال: الغنم فأعطاه شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا، فكان لها وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكين تَقَطَّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ عليه في سفري فقال له: إن الحقوق كثيرة فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك

---

له: **(الغنم، فأعطاه شاة والداً)** ذات ولد أو حاملاً **(فأنتج)** بهمزة مضمومة وهي لغةٌ قليلة، والمشهور عند أهل اللغة نُتِجَ بضم النون من غير همز **(هذان)** أي صاحب الإبل والبقر **(وولد)** بفتح الواو وتشديد اللاّم **(هذا)** أي صاحب الشاة قال الكرماني: وقد راعى عرف الاستعمال حيث قال فيهما: أنتج وفي الشاة وِلد **(فكان لهذا)** الذي اختار الإبل **(وادٍ)** قد امتلأ **(من الإبل)** وفي نسخة: من إبلٍ **(ولهذا)** الذي اختار البقر **(وادٍ)** قد امتلأ **(من البقر)** وفي نسخة: من بقرٍ **(ولهذا)** الذي اختار الغنم **(وادٍ)** قد امتلأ **(من الغنم)** وفي نسخة: من غنم.

**(ثم إنه)** أي الملك **(أتى الأبرص)** الذي كان مسحه فذهب برَصَه **(في صورته وهيئته)** التي كان عليها لما اجتمع عليه وهو أبرص **(فقال)** له: إني **(رجلٌ مسكين)** وفي روايةٍ: «وابن سبيلٍ» **(تقطعت بي الحبال في سفري)** وفي رواية: «به الحبال في سفره» بحاء مهملة مكسورة ثم موحدة خفيفة جمع حبل، والمراد الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق أو المستطيل من الرمل، ولبعض رواة البخاري بالجيم وهو تصحيف، وفي رواية لمسلم: «بي الحيال» بالتحتية جمع حيلة **(فلا بلاغ)** أي فلا كفاية **(اليوم إلا بالله)** أي ليس لي بلاغ أي ما أبلغ به غرضي إلا بالله **(ثم بك)** ثم هنا للترتيب في التنزل لا للترقي، وهذا ونحوه من الملائكة معاريض لا أخبار كما قال إبراهيم: هذا ربي وأختي ويَصِحُّ أن يكون إخباراً ولا كذب لأنَّ المراد أنه بتلك الصفة بحسب ما يظهر من حاله، أو أبيح ذلك لمصلحة الابتلاء كما أبيح مثله لدفع الظلم **(أسألك بـ)**الله **(الذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال)** الكثير **(بعيراً أتبلغ عليه)** وفي نسخة به **(في سفري)** وأتبلغ بهمزة وفوقية وموحدة ولام مشددة مفتوحات ثم معجمة من البُلغة وهي الكفاية والمعنى أتوصل به إلى مرادي **(قال:)** وفي نسخةٍ: فقال **(له: إن الحقوق كثيرة فقال له)** الملك: **(كأني أعرفك ألم تكن أبرص يَقذرك الناس)** بفتح التحتية والذال المعجمة من باب علم يعلم

الله؟ فقال: لقد ورثت لِكابرٍ عن كابر فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصَيَّرَكَ الله إلى ما كنت، وأتى الأعمى في صورته فقال رجلٌ مسكين وابن سبيل وتقطعت بي الجبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك؟. عن

---

حال كونك **(فقيراً فأعطاك الله فقال)** له: **(لقد ورثت)** هذا المال **(لكابرٍ عن كابر)** وفي نسخة كابراً عن كابر بإسقاط اللام والنصب أي ورثته عن آبائي وأجدادي حال كون كل واحد منهم كبير أُورث عن كبير، فكذَّب وجحد نعمة الله **(فقال)** الملك له: **(إن كنت كاذباً)** في مقالتك هذه **(فصيرك الله عز وجل إلى ما كنت)** من البرص والفقر، والجملة جواب الشرط وأدخل الفاء في الفعل الماضي لأنه دعاء، وعبر بالماضي لقصد المبالغة في الدعاء عليه والشرط ليس على حقيقته لأن الملك لم يشك في كذبه بل هو مثل قول العامل إذا تشرف في عمالته: إن كنت عملت فاعطني حقي. **(وأتى)** الملك **(الأقرع)** الذي مسح رأسه فذهب قرعه **(في صورته وهيئته)** التي كان عليها أولاً **(فقال)** له **(مثل ما قال لهذا)** الأبرص: إني رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري الخ وسأله بقرة **(فرد عليه)** بالفاء وفي نسخة ورد بالواو أي فرد الرجل الأقرع على الملك **(مثل ما رد عليه هذا)** الأبرص، فقال: إن الحقوق كثيرة الخ وفي نسخةٍ إسقاط هذا **(فقال)** له الملك: **(إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت)** عليه من القرَع والفقر. **(وأتى)** الملك **(الأعمى)** الذي مسح عينيه فعاد بصره **(في صورته وهيئته)** التي كان عليها أولاً **(فقال إني رجلٌ مسكين وابن السبيل)** وفي نسخة وابن سبيل، **(وتقطعت بي الحبال في سفري)** وفي نسخة: «به الحبال في سفره» **(فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بـ)**الله **(الذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، قال:)** وفي نسخة: فقال: **(قد كنت أعمى فرد الله تعالى)** علي **(بصري وفقيراً)** وفي رواية زيادة: «فأغناني» **(فخذ ما شئت)** وفي رواية زيادة: «ودع ما شئت» **(فوالله لا أحمدك اليوم لشيء أخذته لله)** بالحاء المهملة والميم أي لا أحمدك على ترك شيء تحتاج إليه من مالي، كقوله وليس على طول الحياة تندم أي على فوت طول الحياة، وفي رواية لا **أَجهِدُك** بالجيم الساكنة والهاء بدل الحاء المهملة والميم وبشيء بالباء الموحدة بدل اللام وهي أكثر روايات مسلم، أي لا أشق عليك في ردّ شيءٍ تطلبه مني أو تأخذه ولما أشكل معنى الرواية الأولى على بعضهم أسقط الميم فصار لا أحدّكَ بتشديد الدال أي لا أمنعك ولا يخفى ما في ذلك من التكلف، **(فقال)** الملك له: **(أمسك**

أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كان في بني إسرائيل رجلٌ قتل تسعة وتسعين إنساناً ثم خرج يسأل، فأتى راهباً فسأله فقال له: هل من توبة. قال: لا فقتله فجعل يسأل فقال: له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت. فناء بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي وقال: قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب

---

**مالك فإنما ابتليتم)** أي اختبركم الله تعالى **(فقد رضي الله عنك)** وفي نسخة رضي عنك بإسقاط الفاعل مع بناء الفعل للمفعول وقيل للفاعل **(وسَخِط)** بكسر الخاء **(على صاحبيك)** بالتثنية.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: كان في بني إسرائيل رجلٌ)** لم يسم **(قتل تسعة وتسعين إنساناً)** أي ظُلماً كما في الطبراني **(ثم خرج يسأل)** وعند مسلم: فسأل عن أعلم أهلِ الأرض فَدُلَّ على راهبٍ **(فأتى راهباً)** من النصارى لم يسم وفيه دليل على ذلك وقع بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام فإن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه، **(فسأله فقال له: هل)** لي **(من توبة)** وفي نسخة هل توبةٌ؟ أي بعد هذه الجريمة العظيمة، وفي الحديث إشكال بالنسبة لشرعنا لأنَّا إن قلنا: لا فقد خالفنا نصوصنا وإن قلنا: نعم فقد خالفنا نصوص الشرع فإنَّ حقوق بني آدم لا تسقط بالتوبة بل توبتها أداؤها إلى مستحقيها والاستحلال منها: والجواب أن الله تعالى إذا رَضِيَ عنه وقَبِلَ توبته يُرضِي عنه خصمه **(قال)** له الراهب: **(لا)** توبة لك بعد أن قتلت تسعة وتسعين إنساناً ظُلماً **(فقتله)** وكمل به مائة **(فجعل يسأل)** هل لي من توبة؟ أو عن أعلم أهل الأرض يسأله عن ذلك **(فقال له رجل:)** راهب لم يسم أيضاً بعد أن سأله فقال: إني قتلت مائة إنسان فهل لي من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة **(ائت قرية كذا وكذا)** اسمها نصرة كما عند الطبراني وزاد في روايةٍ فانْطَلَقَ حتى إذا نصف الطريق **(فأدركه الموت فناء)** بنونٍ ومدٍ وبعد الألف همزة أي مال **(بصدره نحوها)** أي نحو القربة وهي نصرة التي توجه إليها للتوبة وحكي فنأى بغير مد قبل الهمزة وبإشباعها بوزن سعى أي بَعُد بصدره عن الأرض التي خرج منها **(فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب)** وعند مسلم فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، **(فأوحى الله إلى هذه)** القرية وهي نصرة **(أن تقربي)** منه **(وإلى هذه)** القرية التي خرج منها وهي كفرة كما عند الطبراني **(أن تباعدي وقال:)** للملائكة **(قيسوا ما بينهما)** فقيس **(فوُجِدَ)** بضم الواو مبنياً للمفعول **(إلى هذه)** القرية وهي نصرة **(أقرب)** بفتح الموحدة وفي نسخةٍ فَوُجِدَ له هذه أقرب **(بشير)** وأقرب في هذه النسخة رفعٌ على ما لا يخفى وفي روايةٍ فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي

بشير فغفر له». عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال. له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجلٍ فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقاً».

---

أراد، وعند الطبراني: فوجدوه أقرب إلى دير التوابين بأنملة (**فَغُفِرَ له**) واستنبط منه أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمان المعصية والتحول عنها كلها والاشتغال بغيرها وغير ذلك مما يطول ذكره.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: اشترى رجلٌ من رجلٍ**) من بني إسرائيل لم يُسَمَّعا (**عَقاراً له**) بفتح العين المهملة أي داراً كما صرح بذلك في حديث وهب بن منبه، والعَقار كما في القاموس: يطلق على المنزل والقصر والمنهدم منه والبناء المرتفع والضيعة ومتاع البيت الذي لا يُبتذل إلا في الأعياد ونحوها، (**فوجد الرجل الذي اشترى العَقار في عَقاره جرةً فيها ذهب فقال له الذي اشترى العَقار: خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع**) أي لم أشتر (**منك الذهب**) وفي نسخة: إسقاط منك (**وقال الذي**) كانت (**له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها**) لا يخفى أن هذا الاختلاف في المعقود عليه فالمشتري يقول: هو الأرض وحدها والبائع يقول: هو الأرض وما فيها أي وقع التصريح بذلك ويحتمل أن يكون العقد وقع منهما على الأرض خاصة، واعتقد البائع دخول ما فيها ضمناً واعتقد المشتري عدم الدخول (**فتحاكما إلى رجلٍ**) هو داود بن سليمان[١] كما قاله وهب بن منبه وقيل إن ذلك وقع في زمن ذي القرنين من بعض قضائه، (**فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد**) بفتح الواو والمراد الجنس والمعنى ألكل منكما ولد (**فقال أحدهما:**) وهو المشتري (**لي غلام وقال الآخر:**) وهو البائع (**لي جارية**) أي بنت (**قال**) لحاكم: (**أنكحوا**) أنتما والشاهدان (**الغلام الجارية وأنفقوا**) أنتما ومن تستعينان به كالوكيل (**على أنفسهما منه**) أي على الزوجين من الذهب (**وتصدقا**) منه بأنفسكما من غير واسطة لما فيه من الفضل، ومذهب الشافعية أنه إذا باع أرضاً لا يدخل فيها ذهب مدفون فيها كالكنوز، كبيع دارٍ فيها أمتعة، بل هو باقٍ على ملك البائع إن ادَّعاه وإلا فلمن ملك منه، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى المُحِيي للأرض فيكون له وإن لم يدعه.

---

(١) المشهور أن داود والد سليمان لا ولده فليعلم اهـ مصححه.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قيل له: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني «أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وإنَّ الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد». عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه

---

**(عن أسامة)** بضم الهمزة **(ابن زيد)** بن حارثة **(رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في)** شأن **(الطاعون؟)** وهو كما قال الجوهري على وزن فاعول من الطعن عدلوا به عن أصله ووضعوه دالاً على الموت العام كالوباء **(فقال)** أسامة: **(قال رسول الله ﷺ: الطاعون رجس)** بالسين المهملة أي عذاب **(أرسل على طائفة)** هم قوم فرعون **(من بني إسرائيل)** لما كثر طغيانهم **(أو قال)** عليه الصلاة والسلام: **(على من كان قبلكم)** شك من الراوي **(فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه)** بسكون القاف وفتح الدال **(وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فراراً)** أي لأجل الفرار أما لأجل التجارة ونحوها فهو مباح **(منه)** أي من الطاعون لأنه إذا خرج الأصِحَّاء وهلك المرضى فلا يوجد من يقوم بأمرهم، وقيل غير ذلك فالخروج بقصد الفرار حَرُمَ كالدخول، وقيل مباح فقد نقل ابن جرير الطبري أن أبا موسى الأشعري كان يبعث بنيه إلى الأعراب من الطاعون، وكان الأسود بن هلال ومسروق يَفِرَّان منه، وعن عمرو بن العاص أنه قال: تفرقوا من هذا الرِّجز في الشعاب والأودية ورؤوس الجبال، ولم يدخل عمر الشام لما أُخبِرَ بأن فيها طاعوناً فقال له أبو عبيدة: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرني)** بالإفراد **(أنه عذاب يبعثه الله)** عز وجل **(على من يشاء)** من الكفار **(وإنّ الله جعله رحمة للمؤمنين)** وشهادة كما في حديث آخر **(ليس من أحدٍ يقع الطاعون فيمكث في بلده)** التي وقع الطاعون فيها ولا يخرج منها حال كونه **(صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد)** وإن مات بغير الطاعون ولو في زمنه، وقد علم أن درجات الشهداء متفاوتة فيكون كمن خرج من بيته على نية الجهاد في سبيل الله فمات بسبب آخر غير القتل، وفضل الله واسع ونية المؤمن أبلغ من عمله.

**(عن)** عبد الله **(ابن مسعود رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كأني أنظر إلى رسول الله**

فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللَّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمونِ.
عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة».

---

ﷺ) حال كونه (**يحكي نبياً**) أي عن نبي (**من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه**) وهذا النبي من أنبياء بني إسرائيل، وقيل هو نوح عليه السلام لما رواه ابن أبي حاتم أن قوم نوح كانوا يبطشون به فيختنقونه حتى يُغشى عليه (**ويقول**) إذا أفاق: (**اللهم**) وفي نسخة إسقاطَها (**اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**) فإن صح أن المراد نوح فلعل هذا كان في ابتداء الأمر ثم لما يئس منهم قال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دَيَّاراً﴾ [نوح: ٢٦] وقد جرى لنبينا ﷺ نحو هذا يوم أحد رواه ابن حبان في صحيحه من حديث سهل بن سعد.

(**عن ابن عمر**) عبد الله (**رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: بينما**) بالميم (**رجلٌ**) زاد مسلم ممن كان قبلكم قال السهيلي: هو الهيزن رجل من أعراب فارس وقال غيره هو قارون (**يجر إزاره من الخيلاء**) بالمد أي التكبر عن تخيل فضيلةٍ تراءت له من نفسه وجواب بينما قوله: (**خسف به**) بضم الخاء المعجمة وكسر المهملة (**فهو يتجلجل**) بجيمين بينهما لام ساكنة وآخره أخرى أي يسيخ (**في الأرض**) مع اضطراب شديد وتدافع من شقٍ إلى شقٍ لأن التجلجل وهو السيوخ في الأرض مع حركة واضطراب يقال: ساخت الأرض بهم إذا انخسفت وهو مثل الغرق في الماء (**إلى يوم القيامة**) وفيه أن الخيلاء من الكبائر المنهى عنها.

# مناقب قريش

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه

---

## باب مناقب قريش(١)

بالصرف على الأصح على إرادة الحيِّ ويجوز عدمه على إرادة القبيلة، وهم من ولد النضر بن كنانة وهو الصحيح أو من ولد فهر بن مالك بن النضر وهو قول الأكثر، وأول من نسب إلى قريش قصي بن كلاب وقيل غير ذلك وقيل سموا باسم دابة في البحر من أقوى دوابه لقوتهم والتصغير للتعظيم، وقيل غير ذلك والمناقب جمع مَنْقَبة وهي كما في القاموس: المفخرة، وقال التبريزي: المناقب المكارم واحدتها مَنْقَبة كأنها تنقب الصخرة من عظمها وتنقب قلب الحسود، وفي أساس البلاغة: ذو مناقب وهي المخابرة والمآثر.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ)** أنه **(قال: تجدون الناس معادن)** كمعادن الجواهر زاد الطيالسي في الخير والشر **(خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا)** بضم القاف وكسرها أي في الدين ووجه الشبه اشتمال المعادن على جواهر مختلفة من نفيس وخسيس وكذلك الناس، فمن كان شريفاً في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شرفاً وفي قوله إذا فَقُهوا إشارةً إلى أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه في الدين **(وتجدون خير الناس)** أي من خيرهم **(في هذا الشأن)** أي في الولاية خلافة أو إمارة **(أشدهم له كراهية)** لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم وما يترتب عليه من مطالبة الله تعالى للقائم بذلك من حقوقه وحقوق عباده، وكراهية نصب على التمييز وأشدهم مفعول ثان لتجدون **(وتجدون شر الناس ذا الوجهين)** نصب ذا مفعول ثانٍ لتجدون وهو المنافق **(الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)** قال الله تعالى:

---

(١) يرى القارىء خلافاً في موضع الترجمة بين النسخة التي بالهامش ونسخة الشارح والأقرب إلى الصواب نسخة الهامش اهـ مصححه.

ويأتي هؤلاء بوجه». وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقُهوا، تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه». عن معاوية رضي الله عنه وقد بلغه أن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية فقام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم

﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ [النساء: ١٤٣] فإن قلت هذا يقتضي الذم على ترك طريقة المؤمنين وطريقة الكفار، والذم على ترك طريقة الكفار غير جائز. أجيب بأن طريقة الكفار وإن كانت خبيثة إلا أن طريقة المنافقين أخبث منها، ولذا ذم المنافقين في تسع عشرة آية.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: الناس تبع لقريش في هذا الشأن)** الخلافة والإمارة لفضلهم على غيرهم قيل هو خبر بمعنى الأمر ويدل له قوله في حديثٍ آخر: «قدموا قريشاً ولا تَقَدَّمُوها» أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح ولكنه مرسل وله شواهد **(مسلمهم تبعٌ لمسلمهم)** فلا يجوز الخروج عليهم **(وكافرهم تبعٌ لكافرهم)** قال الكرماني: هو إخبار عن حالهم في متقدم الزمان يعني أنهم لم يزالوا متبوعين في زمان الكفر وكانت العرب تقدم قريشاً وتعظمهم، وزاد في فتح الباري لِسُكْنَاها الحرم فلما بُعِثَ النبي ﷺ ودعا إلى الله تعالى توقف غالبُ العرب عن اتِّباعه فلما فُتِحت مكة وأسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجا، **(والناس)** وفي نسخة: إسقاط الواو **(معادن)** المعدن الشيء المستتر في الأرض فتارة يكون نفيساً وتارة يكون خسيساً وكذلك **(خيارهم في الجاهلية)** أي من اتصف منهم بمحاسن الأخلاق كالكرم والفقه والحِلم **(خيارهم في الإسلام إذا فقُهوا)** بضم القاف وكسرها **(تجدون من خير الناس)** بكسر الميم حرف جر **(أشد الناس)** وفي نسخةٍ أشدهم **(كراهية لهذا الشأن)** أي الولاية **(حتى يقع فيه)** فتزول عند الكراهية لما يُرى من إعانة الله تعالى له على ذلك لكونه غير راغب ولا سائل، وحينئذ فيأمن على دينه ممن[1] كان يخاف عليه أو المراد إذا وقع لا يجوز الكراهية.

**(عن معاوية)** بن أبي سفيان **(رضي الله تعالى عنه وقد بلغه أن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنهما يحدث أنه سيكون مَلِك)** قيل اسمه: جِهْجَاه بن قيس الغِفَاري **(من قطحان)** بفتح القاف وسكون الحاء وفتح الطاء المهملتين هم جماع اليمن **(فغضب معاوية)** من قوله ذلك **(فقام)** خطيباً **(فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد**

(١) لعلها مما اهـ.

يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تأثر عن رسول الله ﷺ، فأولئك جهالكم فإياكم والأماني التي تضل أهلها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحدٌ إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين». عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم

---

**فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر)** بالمثناة والمثلثة ولا تُروى **(عن رسول الله ﷺ، فأولئك جُهَّالكم فإيَّاكم والأماني التي تضل أهلها)** بتشديد ياء الأمانيّ جمع أمنية وهي المتمنيات أي المظنونة، وقول العيني المراد بالأماني التلاوة صحيح لأن التلاوة دالة على الأمور المتمنيات، أي المظنونة، والمعنى إيَّاكم وقراءة ما في الصحف التي تؤثر عن أهل الكتاب، وكان ابن عمرو قد قرأ التوراة وتعلم من أهلها، وإلا فلو حدَّث عن النبي ﷺ لم ينكر عليه معاوية لأنه لم يكن مُتَّهَماً لكن يُعارِض ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً من خروج القحطاني ولكن سكوت عبد الله ابن عمرو يُشْعِر بأنه لم يكن عنده في ذلك حديث معروف **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول إن هذا الأمر)** أي الخلافة **(في قريش)** يستحقونها دون غيرهم **(لا يعاديهم أحد)** في ذلك **(إلا كَبَّه الله على وجهه)** وفي نسخة أكَبَّه بالهمز وهذا الفعل من النوادر فإن ثلاثيه متعدٍ فإذا دخلت عليه الهمزة صار لازماً على عكس المعهود في الأفعال **(ما أقاموا)** أي مدة إقامتهم **(الدين)** فإن لم يقيموا الدين لا يسمع لهم ولا يكن هذا الأمر فيهم، أو المراد بقوله إن هذا الأمر في قريش أنهم يستحقونه دون غيرهم ولا يلزم من الاستحقاق الإعطاء ويصح أن يقيد استحقاقهم لها بإقامة الدين فإن لم يقيموه لم يستحقوها وهذا الذي أنكره معاوية على ابن عمرو، قد صح من حديث أبي هريرة عند البخاري عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه». ولا تناقض بين الحديثين كما تقرر لأن خروج هذا القحطاني إنما يكون إذا لم تُقِم قريشٌ الدين فيدال عليهم في آخر الزمان، واستحقاقهم الخلافة لا يمنع وجودها في غيرهم، وقول الكرماني فإن قلت: فما قولك في زماننا حيث ليست الحكومة لقريش؟ قلت في بلاد المغرب الخلافة منهم وكذا في مصر خليفة، اعترضه العيني بأنه لم يكن في المغرب خليفة وليس في مصر إلا الاسم وليس له حل ولا ربط ثم قال: ولئن سلَّمنا ما قاله فيلزم منه تعداد الخلافة ولا يجوز إلا خليفة واحد لأن الشارع أمر بتبعية الإمام والوفاء ببيعته ثم من نازعه يضرب عنقه.

**(عن ابن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يزال هذا الأمر)** أي الخلافة **(في قريش)** يستحقونها **(ما بقي منهم اثنان)** ولمسلم **ما بقي في الناس اثنان** قال النووي: **فيه دليل ظاهر على أن الخلافة مستحقة لقريش فلا يجوز عقدها لغيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمان الصحابة ومن بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة، وقد بيَّن ﷺ أن الحكم مستمر إلى آخر الزمان**

اثنان». عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان فقال: يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة، فقال النبي ﷺ: «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ: «قريش والأنصار وجُهينة ومُزينة وأَسْلَم وأَشْجَع وغِفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله».

عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليس من رجلٍ ادعى

---

ما بقي الناس اثنان وقد ظهر ما قاله صلوات الله وسلامه عليه من زمنه إلى الآن وإن كان المتغلبون من غير قريش ملكوا البلاد وقهروا العباد، لكنهم معترفون بأن الخلافة من قريش فاسم الخلاف باقٍ فيهم، فالمراد من الحديث مجرد التسمية بالخلافة لا الاستقلال بالحكم، أو أن قوله لا يزال الخ خبر بمعنى الأمر.

**(عن جبير بن مطعم)** النوفلي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان)** وهو من بني عبد شمس وفي رواية إلى رسول الله ﷺ **(فقال)** أي عثمان وفي رواية فقلنا: **(يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا)** من الإعطاء **(وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة)** في الانتساب إلى عبد مناف لأن عبد شمس ونوفلاً وهاشماً والمطلب بنوه **(فقال النبي ﷺ: إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيءٌ واحد)** وفي نسخة سِيٌّ واحد بسين مهملة مكسورة وتشديد التحتية يقال هذا سِيّ هذا أي مثله ونظيره، وفي نسخة: أحد بغير واو مع همزة الألف واستشكل بأن لفظ أحد إنما يستعمل في النفي تقول ما جاءني أحداً ما في الإثبات فيقال: جاءني واحد.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قريش)** بنو النضر أو فهر بن مالك بن النضر **(والأنصار)** والأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة **(وجهينة)** بضم الجيم وفتح الهاء وسكون التحتية وفتح النون ابن زيد بن ليث بن سويد **(ومُزينة)** بضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتية وفتح النون قبيلة من مضر **(وأسلم)** بلفظ أفعل التفضيل قبيلة أيضاً **(وأشجع)** بالشين المعجمة الساكنة والجيم المفتوحة والعين المهملة قبيلة من غطفان **(وغِفار)** بكسر العين المعجمة وفتح الفاء المخففة وبالراء من كنانة **(موالي)** بفتح الميم وتشديد التحتية أي أنصاري المختصون بي، وهو خبر المبتدأ الذي هو قريش وما عطف عليه، وفي روايةٍ موالي بالتخفيف والمضاف إليه محذوف أي موالي الله ورسوله ويدل عليه قوله **(ليس لهم مولى)** ومتكفل لهم ومسؤول لأمورهم وفي نسخة بالجمع والتخفيف **(دون الله)** أي أمر الله **(ورسوله)** ﷺ وفي ذلك فضيلة ظاهرة لهؤلاء لأنهم كانوا أسرع دخولاً في الإسلام.

**(عن أبي ذر)** هو جُندب بن جُنادة على وزن فقارة **(رضي الله تعالى عنه أنه سمع**

لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ومن ادعى قوماً ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار».

عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أعظم الفرا أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينه ما لم تره، أو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: غِفار غفر

---

**النبي ﷺ يقول: ليس من رجلٍ ادعى)** بتشديد الدال أي انتسب **(لغير أبيه)** واتخذه أباً **(وهو)** أي والحال أنه **(يعلمه)** غير أبيه **(إلاَّ كفر بالله)** وهذا في المستحل لذلك مع علمه بالتحريم أو ورد على سبيل التغليظ لزجر فاعله وفي نسخة إلاَّ كفر أي النعمة **(ومن ادعى قوماً)** أي انتسب إلى قوم **(ليس فيهم نسب له)** أي قرابةٍ أو نحوها وفي نسخة إسقاط لفظ له **(فليتبوأ مقعده من النار)** خبر بلفظ الأمر أي هذا جزاؤه، وقد يعفى عنه أو يتوب فيسقط، وقيد بالعلم لأن الإثم إنما يترتب على العالم بالشيء المتعمد له فلا بد منه في الحالتين إثباتاً ونفياً.

**(عن واثلة بن الأسقع)** بالقاف ابن كعب الليثي **(رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن من أعظم الفِرا)** بكسر الفاء وفتح الراء مقصوراً ويمد جمع فرية أي من أعظم الكذب والبهت **(أن يدَّعي)** بتشديد الدال أي ينتسب **(الرجل إلى غير أبيه أو يُرى عينه ما لم تَرَ)** بالإفراد في عينه ويُري بضم أوله وكسر ثانيه من أُرِي أي ينسب الرؤيا إلى عينه كأن يقول: رأيت في منامي كذا وكذا ولا يكون قد رآه فيتعمد الكذب، وإنما زيد التشديد في هذا على الكذب في اليقظة لأنه في الحقيقة كذب عليه تعالى فإنه الذي يرسل ملك الرؤيا بالرؤيا ليريه المنام ولأنّ الرؤيا جزء من النبوة والنبوة لا تكون إلاَّ وحياً والكاذب في الرؤيا يدَّعي أن الله تعالى أراه ما لم يره وأعطاه جزءاً من النبوة لم يُعْطَه، والكاذب على الله أعظم فرية ممن يكذب على غيره **(أو يقولَ)** نُصِب عطفاً على السابق وفي نسخةٍ: أو تقولَ بالفوقية والقاف وتشديد الواو المفتوحات أي افترى **(على رسول الله ﷺ ما لم يقل)** وقد يكون في كذبه نسبة شرع إليه ﷺ والشرع غالباً إنما هو على لسان الملك فيكون الكاذب في ذلك كاذباً على الله وعلى الملك.

**(عن)** عبد الله **(بن عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما **(أن رسول الله ﷺ قال على المنبر: غِفَار)** غير مصروف باعتبار القبيلة **(غَفَرَ الله لها)** ذَنْبَ سَرِقة الحاجِّ في الجاهلية، وفيه إشعار بأن ما سلف منها مغفور، **(وأسلم سالمها الله)** عز وجل بفتح اللام من المسالمة وترك الحرب، ويحتمل أن يكون قوله غفر الله لها وسالمها خبرين يراد بهما الدعاء، أو هما خبران على بابهما ويؤيده **(وعُصية)** بضم العين وفتح الصاد المهملتين

الله لها وأسلم سالمها الله، وعصية عصت الله ورسوله». عن أبي بَكْرَة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس قال للنبي ﷺ إنما تابعك سُراق الحجيج من أسلم وغِفار ومزينة وجهينة قال النبي ﷺ: «أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة وجهينة خيراً من بني تميم ومن بني عامر وأسد وغطفان خابوا وخسروا» قال: نعم قال: «والذي نفسي بيده أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار وشيءٌ من مزينة وجهينة أو قال شيء من جهينة أو مزينة خيرٌ عند الله أو قال يوم القيامة

---

وتشديد التحتية وهي بطن من بني سُلَيم منسوب إلى عصية (**عصت الله ورسوله**) بقتلها القراء ببئر معونه وهذا إخبار ولا يجوز حمله على الدعاء نعم فيه إشعار بإظهار الشكاية منهم وهي تستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان، وما أحسن هذا الجناس في قوله غفار غفر الله لها الخ وألذه على السمع وأعلقه بالقلب وأبعده عن التكلف وهو من الاتفاقات اللطيفة.

(**عن أبي بَكْرَة**) بسكون الكاف نُفيع بن الحارث بن كِلْدَة بفتحتين (**رضي الله تعالى عنه أن الأقرع بن حابس**) بحاء مهملة بعدها ألف فموحدة مكسورة فسين مهملة والأقرع بالقاف التميمي (**قال للنبي ﷺ: إنما بايعك**) بالموحدة والتحتية وفي نسخةٍ إنما تابعك بالمثناة الفوقية وبعد الألف موحدة (**سُرَّاق الحجيج**) بضم السين المهملة وتشديد الراء المفتوحة (**من أَسْلَم وغِفار ومُزينة وجُهينة فقال النبي ﷺ**) للأقرع: (**أرأيت**) أي أخبرني (**إن كان أسلم وغفار ومزينة وجهينة خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان**) وجواب أن قوله (**خابوا**) بالموحدة (**وخسروا**) أي حصلت لبني تميم ومن عطف عليها الخيبة وهي عدم الوقوع على الصواب والخسارة، وهي فقد الحاصل من الخير والتقدير أخابوا لرواية مسلم فحذف همزة الاستفهام، (**قال**) الأقرع: (**نعم**) خابوا وخسروا إن كان أسلم ومن عُطِف عليها خيراً من بني تميم ومن عُطِف عليها، (**قال**) رسول الله ﷺ: مُثبِتاً للشرط ليحصل الجزاء (**والذي نفسي بيده إنهم**) أي أسلم ومن عُطِف عليها (**لخير منهم**) بلام التأكيد، وفي نسخة لأَخْيَر بهمزة زائدة بوزن أفعل وأراد به المبالغة في الخير وهي لغة قليلة في خيرٍ وشر والكثير استعمالهما دون همزةٍ، وعند مسلم خيرٌ بلا لام ولا همزة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: أسلم وغِفَار**) بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء وهم بنو غِفَار بن مليل بميم ولامين مصغر ابن ضمرة ابن بكر بن عبد مناف بن كِنانه منهم أبو ذرٍّ الغِفَاري (**وشيءُ**) أيَ وبعض (**من مُزينة**) بضم الميم وفتح الزاي وسكون التحتية بعدها نون اسم امرأة عمرو بن أد وهي مزينة بنت كلب ابن وبرة منهم عبد الله بن مغفل المزني (**وجُهينة**) بضم الجيم وفتح الهاء ابن زيد منهم عقبة بن عامر الجهني، (**أو قال شيء من جهينة أو مزينة**) والشك من الراوي هل جمع

من أسد وتميم وهوازن وغطفان». وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق الناس بعصاه». عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجلٌ لعاب فكسع أنصارياً فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال:

---

بينهما أو اقتصر على أحدهما، وفي قوله: شيء تقييد لما أطلق في حديث أبي بكرة السابق، (**خيرٌ عند الله**) عز وجل (**أو قال: يوم القيامة**) بالشك أيضاً وهو أيضاً تقييد لما أطلق في الحديث السابق، لأن ظهور الخيرية إنما يكون في ذلك الوقت (**من أسد**) بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، (**وتميم**) بن مُرّ بضم الميم وتشديد الراء بن أُد بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة ابن طابخة بالموحدة والخاء المعجمة ابن إلياس بن مضر، (**وهوازن**) هم بنو عامر المذكورون في الرواية السابقة، لأن عامر بن صَعصَعة بفتح الصادين وتسكين العين المهملات ابن معاوية بن بكير بن هوازن، (**وغطفان**) بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة وتخفيف الفاء ابن سعد بن قيس بن عيلان بالعين المهملة ابن مضر.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان**) قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه وجوز القرطبي أنه جهجاه المذكور في مسلم (**يسوق الناس بعصاه**) كالراعي الذي يسوق غنمه، كناية عن الملك وخروجه يكون بعد المهدي، ويسير على سيرته رواه أبو نعيم بن حماد في الفتن.

(**عن جابر**) هو عبد الله الأنصاري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: غزونا مع النبي ﷺ**) غزوة المُرَيْسيع سنة ستٍ (**وقد ثاب**) بالمثلثة والموحدة بينهما ألف اجتمع ورجع (**معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجلٌ**) هو جهجاه بن قيس الغفاري (**لَعَّاب**) بفتح اللام وعين مهملة مشددة وبعد الألف موحدة أي مزاح بصيغة المبالغة من اللعب، وقيل: كان يلعب بالحراب كالحبشة (**فكَسَعَ**) بفتح الكاف والمهملتين أي ضرب (**أنصارياً**) هو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي على دبره، قال الزركشي: الكَسْعُ: أن تضرب دبره بيدك أو رجلك اهـ (**فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعَوْا**) بسكون الواو بعد فتح بصيغة الجمع أي استغاثوا بالقبائل يستنصرون بهم على عادة الجاهلية، وفي بعض النسخ تداعَوَا بفتح العين والواو بالتثنية والمشهور في الاستعمال تداعياً بالياء عوض الواو (**وقال الأنصاري: يا للأنصار**) وفي نسخة: يا آل الأنصار بفصل اللام (**وقال المهاجري: يا للمهاجرين**) وفي نسخة: يا آل المهاجرين بالفصل أيضاً (**فخرج النبي ﷺ**) عليهم (**فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية ثم قال: ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال:**) جابر

«ما بال دعوى أهل الجاهلية»؟ ثم قال: «ما شأنهم» فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال: فقال النبي ﷺ: «دعوها: فإنها خبيثة». وقال عبد الله بن أبي ابن سلول أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال عمر: ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه».

## قصة خزاعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف أبو خزاعة». وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عمرو بن

---

**(فقال النبي ﷺ: دعوها)** يعني دعوى الجاهلية **(فإنها خبيثة)** أي قبيحة منكرة مؤذية لأنها تؤدي إلى الغضب والتقاتل في غير الحق وتؤول إلى النار، **(وقال عبد الله بن أبي)** بالتنوين **(ابن سلول)** بالرفع صفة لعبد الله وسلول بفتح اللام أمه، رأس المنافقين **(أقد)** بهمزة الاستفهام **(تداعَوْا علينا)** بفتح العين وسكون الواو أي استغاث المهاجرون علينا **(لئن)** بفتح اللام وبعدها همزة مكسورة وفي نسخةٍ بياء بدلها **(رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ)** يريد نفسه **(منها الأذلَّ)** يريد النبي ﷺ وأصحابه، **(فقال عمر)** رضي الله تعالى عنه **(ألا)** بالتخفيف **(تقتل)** بالمثناة الفوقية وفي نسخةٍ بالنون **(يا رسول الله هذا الخبيب؟)** لعبد الله بن أبي واللام متعلقة بقوله: قال عمر أي قال لأجل عبد الله أو للبيان نحو هيت لك وفي نسخةٍ يعني عبد الله **(فقال النبي ﷺ: لا)** تقتله **(يتحدث الناس)** استئناف لا تعلق له بقوله لا **(أنه)** يريد نفسه الشريفة ﷺ **(كان يقتل أصحابه)** أي وفي ذلك تنفير الناس عن الدخول في الدين بأن يقولوا لإخوانهم ما يُؤَمِّنكم إذا دخلتم في دينه أن يدَّعِي عليكم كفر الباطن فيستبيح بذلك دماءكم وأموالكم.

## قصة خزاعة

بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي بعد الألف عين مهملة **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: عمرو)** بفتح العين وسكون الميم مبتدأ **(ابن لحي)** بضم اللام وفتح الحاء المهملة مصغراً اسمه ربيعة **(ابن قمعة)** بفتح القاف وسكون الميم وفتحها مخففةً وروي بكسر القاف مع كسر الميم مشددة **(ابن خِنْدِف)** بكسر الخاء المعجمة والدال المهملة بينهما نون ساكنة وآخره فاء، غير مصروف، لأنها أم القبيلة وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ولقبت بخندف لأن زوجها إلياس بن مضر والد قمعة لما مات حزنت عليه حزناً شديداً بحيث هجرت أهلها ودارها وساحت في

عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب».

## قصة إسلام أبي ذرٍ رضي الله عنه وقصة زمزم

عنِ ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفارٍ فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل كلمه

---

الأرض حتى ماتت، فكان من رأى أولادها الصغار يقول: من هؤلاء؟ فيقول: بنو خِنْدِف إشارة إلى أنها ضيعتهم وذهبت عنهم، والخندف الهرولة واشتهر بنوها بالنسب إليها دون أبيهم قال قائلهم:

أمـــي خِـــنْـــدِف وإلـــيـــاس أبـــي

وخبر المبتدأ الذي هو عمر وهو قوله **(أبو خزاعة)** بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي المخففة وبالمهملة، وهذا يؤيد قول من قال: إن خزاعة من مضر، وقيل: خزاعة هو عمرو بن ربيعة وربيعة هذا هو لحي بن حارثة بن عمر والملقب من يقيا بن عامر ماء السماء بن الغطريف ابن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وهذا مذهب من يرى أن خزاعة من اليمن وجمع بعضهم بين القولين، فزعم أن حارثة بن عمر ولما مات قمعة ابن خندف كانت امرأته حاملاً بلحي فولدته عند حارثة فتبناه فنُسب إليه، فعلى هذا هو ابن مضر بالولادة ومن اليمن بالتبني، وقال ابن الكلبي في سبب تسميته خزاعة: إن أهل سبأ لما تفرقوا بسبب سيل العرم نزل بنو مازن على ماء يقال له غسام فمن أقام به فهو غساني، وانخزعت منهم بنو عامر بن لحي عن قومهم فنزلوا مكة وما حولها فسموا خزاعة وتفرقت سائر الأزد، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولـمـا نـزلـنـا بـطـن مـر تـخـزعـت خـزاعـة مِـنَّـا فـي جـمـوع كـراكـر

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال النبي ﷺ: رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي)** هذا مغاير لما سبق من نسب عمرو بن لحي إلى مُضر، فإن عامراً هو ابن ماء السماء بن سبأ وهو جد عمرو بن لحي عند من ينسبه إلى اليمن، ويحتمل أنه ينسب إليه بطريق التبني كما سبق **(يجر قُصْبَه)** بضم القاف وسكون المهملة وبالموحدة أي أمعاءه **(في النار وكان)** أي عمرو **(أول من سيب السوائب)** أي أول من ابتدع هذا الرأي الخبيث وجعله ديناً.

## قصة إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه وقصة زمزم

وفي بعض نسخ الأصل تقديم ذلك على الأحاديث التي قبله والخطب يسير **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: قال أبو ذر)** الغفاري: **(كنت رجلاً من)** حَيّ **(غَفارٍ فبلغنا أن رجلاً)** يعني النبي ﷺ **(قد خرج)** أي ظهر **(بمكة)** حال كونه **(يزعم أنه**

وائتني بخبره، فانطلق فلقيه ثم رجع فقلت: ما عندك فقال: والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر، فقلت له: لم تشفني من الخبر فأخذت جراباً وعصاً ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد، قال: فمر بي علي فقال: كأن الرجل غريب قال: قلت: نعم قال: فانطلق إلى المنزل قال: فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أخبره فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لا أسأل عنه وليس أحد يخبرني عنه بشيء، قال فمر بي علي فقال: أما نال للرجل أن يعرف منزله بعد؟ قال: قلت: لا قال: انطلق

---

**نبي)** يأتيه الخبر من السماء، **(فقلت لأخي)** أنيس: **(انطلق إلى هذا الرجل)** الذي يزعم أنه نبي فإذا اجتمعت به **(كَلِّمه)** ولمسلم واسمع قوله **(وائتني بخبره فانطلق)** أنيس حتى أتى مكة **(فلقيه)** ﷺ وسمع قوله، **(ثم رجع)** إلى أخيه أبي ذر قال: **(فقلت)** أي لأنيس: **(ما عندك)** من خبره عليه الصلاة والسلام **(فقال والله لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير وينهى عن الشر)** ولمسلم رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر، قال أبو ذر: **(فقلت له: لم تشفني من الخبر)** أي لم تجىء بخبر يشفيني من جرض الجهل **(فأخذت)** بقصر الهمزة وتاء المتكلم وفي نسخةٍ فآخذ بمد الهمزة وضم الخاء من غير تاء **(جراباً)** بكسر الجيم **(وعصاً)** ولمسلم أنه تزود وحمل شقة له فيها ماء قال: **(ثم أقبلت إلى مكة فجعلت لا أعرفه)** بفتح الهمزة وسكون العين وكسر الراء **(وأكره أن أسأل عنه)** قريشاً فيؤذوني **(وأشرب من ماء زمزم)** وعند مسلم من حديث عبد الله بن الصامت وما كان لي طعام إلاّ ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عُكَنُ بطني وما وجدت على كبدي سخنةَ جوعٍ، أي رقة الجوع وضعفه وهزاله-فإنه لكثرة سمنه انثنت عُكَنُ بطنه أي طياته جمعَ عُكْنَة وهي طية البطن من السمن، **(وأكون في المسجد)** الحرام **(قال: فمر بي علي)** هو ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه **(فقال:)** لي **(كأن الرجل غريب فقلت: نعم)** غريب **(قال: فانطلق معي إلى المنزل، فانطلقت معه لا يسألني عن شيءٍ ولا أخبره)** عن شيء **(فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لا أسأل عنه)** عليه الصلاة والسلام **(وليس أحد يخبرني عنه بشيء، قال: فمر بي علي)** ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه **(فقال: أما نال)** بنون فألف أي أما آن **(للرجل أن يعرف منزله بعد؟)** أي أما جاء الوقت الذي يعرف الرجل فيه منزله، بأن يكون له منزل معين يسكنه أو أراد دعوته إلى بيته للضيافة، وتكون إضافة المنزل إليه بملابسة إضافته له فيه، أو أراد إرشاده إلى ما قدم إليه وقصده أي أما جاء وقت إظهار المقصود من الاجتماع بالنبي ﷺ والدخول في منزله ويكون على فهم ذلك منه بقرينة، **(قال)** أبو ذر: **(قلت)** له: **(لا)** أي لا أقصد التوطن ثَمَّ، أو لا أرب لي في الضيافة والمبيت بمنزلك بل أهم من ذلك وهو التفتيش على المقصود، أو لا أسأل

معي قال: فقال: ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة؟ قال: فقلت له: إن كتمت علي أخبرتك قال فإني أفعل قال: قلت له: بلغنا أنه قد خرج ههنا رجلٌ يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه، فقال، له أما إنك قد رشدت هذا وجهي إليه فاتبعني أدخل حيث أدخل فإني إن رأيت أحداً أخافه عليك قمت إلى الحائط كأبي أصلح نعلي وامض أنت، فمضى ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له أعرض علي الإسلام فعرضه، فأسلمت مكاني فقال لي يا أبا ذر أكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل، فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم فجاء إلى المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن

---

قريشاً عنه ﷺ ظاهراً خوف الأذِيَّة **(قال)** على: **(فانطلق)** بالفاء وفي نسخة انطلق بدونها **(معي، قال:)** فانطلقت معه **(فقال لي: ما أمرك)** بسكون الميم **(وما أقدمك هذه البلدة قال)** أبو ذر: **(قلت له: إن كتمت عليَّ أخبرتك)** بذلك وفي رواية: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، **(قال: فإني أفعل)** ما ذكرته **(قال: قلت له: بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجلٌ يزعم أنه نبي فأرسلت أخي ليكلمه)** ويأتيني بخبره **(فرجع)** بعد أن أتاه وسمع قوله **(ولم يشفني من الخبر فأردت أن ألقاه فقال)** أي له كما في بعض النسخ: **(أما)** بالتخفيف **(إنك قد رُشِدْتَ)** بضم الراء وكسر المعجمة وفي نسخة بفتح الراء وفي أخرى بفتحهما **(هذا وجهي)** أي توجهي **(إليه)** ﷺ **(فاتَّبِعْني)** بتشديد الفوقية وكسر الموحدة **(أدخل)** بضم الهمزة مجزوم بالأمرِ **(حيث أدخل)** بفتح الهمزة مضارع، **(فإنّي إن رأيت أحداً أخافه عليك فقمت)** بالفاء وفي نسخة قمت بدونها **(إلى الحائط كأني أصلح نعلي)** بسكون الياء **(وامضِ أنت)** بهمزة وصل. قال أبو ذر: **(فمضى علي ومضيت معه حتى دخل ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له)** ﷺ: **(اعرض علي الإسلام فعرضه)** عَليَّ **(فأسلمت مكاني، فقال لي)** ﷺ: **(يا أبا ذر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل)** بهمزة قطع وفتح الموحدة[1] مجزوم على الأمر **(فقلت)** له: **(والذي بعثك بالحق لأصرُخَنَّ)** أي لأرفعنَّ **(بها)** أي بكلمة التوحيد صوتي **(بين أظهرهم)** وإنما لم يمتثل الأمر لأنه علم بالقرائن أنه ليس للإيجاب، **(فجاء)** أبو ذر **(إلى المسجد وقريشٌ)** أي والحال أن قريشاً **(فيه فقال: يا معشر قريش)** بسكون العين وفي نسخة يا معاشر قريش **(إني)** وفي نسخة أنا **(أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فقالوا:)** يعني قريشاً **(قوموا**

---

(١) صوابه بكسر الموحدة وقوله مجزوم على الأمر ليس كذلك بل هو فعل أمر مبني على السكون لا محل له من الإعراب اهـ مصححه.

محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء فقاموا فضربت لأموت فأدركني العباس فأكب علي ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غِفار ومتجركم وممركم على غِفار فاقلعوا عني، فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء فصنع بي مثل ما صنع بالأمس وأدركني العباس فأكب علي وقال مثل مقالته بالأمس، قال: فكان هذا أول إسلام أبي ذر رحمه الله.

وعنه رضي الله عنه قال لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل ينادي يا بني عدي ببطون قريش.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن حسان النبي ﷺ في هجاء المشركين

---

**إلى هذا الصابىء)** بالهمز أي الذي انتقل من دين إلى دين، أو الذي ارتكب الجهل **(فقاموا)** إليه قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه: **(فضُربت)** بضم الضاد المعجمة مبنياً للمفعول **(لأموت)** أي لأن أموت يعني فضربوه ضرب الموت **(فأدركني العباس)** بن عبد المطلب **(فأكب)** بتشديد الموحدة أي رمى نفسه **(عليَّ)** ليمنعهم أن يضربوني **(ثم أقبل عليهم)** فقال **(ويلكم تقتلون)** بدون همزة الاستفهام وفي نسخة أتقتلون بهمزة الاستفهام **(رجلاً من غِفار ومتجركم وممركم على غفار؟)** بالصرف وعدمه **(فأقلعوا)** بالقاف الساكنة أي فكوا **(عني؛ فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس)** من كلمة الإسلام **(فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء فصُنع بي)** بضم الصاد مبنياً للمفعول وفي نسخة إسقاط لفظ بي **(مثل)** بالرفع **(ما صنع بي بالأمس)** من الضرب **(فأدركني)** بالفاء وفي نسخة وأدركني بالواو **(العباس فأكبَّ علي وقال مثل مقالته بالأمس قال)** ابن عباس: **(فكان هذا)** الذي ذكر **(أول إسلام أبي ذر رضي الله تعالى عنه)**.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] جعل النبي ﷺ يدعوهم)** أي عشيرته **(قبائل قبائل)** يا بني فلان يا بني فلان كل قبيلة بما تُعرَف به **(فينادي يا بني فِهر)** بكسر الفاء ابن مالك بن النضر **(يا بني عَدِي)** بفتح العين المهملة وكسر الدال ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر **(ببطون قريش)** بالموحدة، وفي نسخةٍ لبطون قريش باللام بدل الموحدة، وفي رواية: «يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله **يا** بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله»، أي من عذابه بأن تسلموا وتتسلموا من العذاب، فيكون ذلك كالشراء وكأنهم جعلوا الطاعة ثمن النجاة، وأما قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ [التوبة: ١١١]، فمعناه أن المؤمن بايع باعتبار تحصيل الثواب والثمن الجنة.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: استأذن حسان)** بن ثابت الشاعر **(النبي**

قال: «كيف بنسبي». قال حسان لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين. عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب».

---

ﷺ **في هجاء المشركين قال)** عليه الصلاة والسلام: **(كيف نسبي؟)** أي كيف تهجوهم ونسبي مجتمع بهم **(فقال حسان: لأسُلْنك)** أي لأُخَلِص نسبك منهم أي من نسبهم بحيث يختص الهجو بهم دونك **(كما تُسَلُّ الشعرة)** بضم التاء الفوقية وفتح السين مبنياً للمفعول، وفي نسخة كما يسل الشعر بالتحتية والشعر بالتذكير **(من العجين)** لأن الشعر إذا سلت منه لا يعلق بها منه شيء لنعومتها.

**(عن جبير)** بالجيم **(ابن مطعم)** بضم الميم وكسر العين **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لي خمسة أسماء)** فإن قلت إن المقرر في علم المعاني أن تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر وقد وردت الروايات بأكثر من ذلك، حتى قال ابن العربي إن له ﷺ ألف اسم أجيب بأنه لم يرد الحضر فيها فالظاهر أنه أراد خمسة أسماء اختص بها أو خمسة أسماء مشهورة عند الأمم السابقة **(أنا محمد)** اسم مفعول منقول من الصفة على سبيل التفاؤل أنه سيكثر حمده، إذ المحمد في اللغة هو الذي يُحْمد حمداً بعد حمدٍ ولا يكون مفعل مثل مُمَدَّح إلاَّ لمن تكرر منه الفعل مرة بعد أخرى **(وأنا أحمد)** وفي نسخةٍ: «وأحمد» منقول من الصفة التي معناها التفضيل، ومعناه أحمد الحامدين لربه وهي صيغة تنبىء عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى والاسمان اشتُقَّا من أخلاقه المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى بهما، قال الأعشى يمدح بعضهم:

إلى الماجد القرم الجواد المحمدي

أي الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة أو من اسمه تعالى المحمود، كما قال حسان:

وشُقّ له من اسمه ليجلّه ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

وهل سمي بأحمد قبل محمد أو بالعكس قال عياض: بالأول لأن أحمد وقع في الكتب السابقة ومحمد في القرآن ولأنه حَمِد ربه قبل أن يحمده الناس، وإليه ذهب السهيلي وغيره وقال بالثاني: ابن القيم، **(وأنا الماحي)** بالحاء المهملة أي **(الذي يمحو الله بي الكفر)** أي محاه وأزاله، لأنه بُعِثَ والدنيا مظلمة بغياهيب الكفر فأتى ﷺ بالنور الساطع حتى محاه، فَسُمِّيَ ﷺ بذلك لشبهه بالبحار الماحية للأدران، **(وأنا الحاشر الذي يُحْشَر الناس)** يوم القيامة **(على قدمي)** ضبطوه بتخفيف الياء وتشديدها مفرداً ومثنىً، أي على أثري لأنه أوَّلُ من تنشق عنه الأرض، وفي روايةٍ: «وأنا حاشِرٌ بعثت مع الساعة»،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد».
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: مثلي ومثل الأنبياء كرجلٍ بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة».

---

**(وأنا العاقب)** لأنه جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي، وفي بعض الروايات زيادة على ذلك، ففي رواية نافع بن جبير أنها ستة فذكر الخمسة المذكورة وزاد: «الخاتم» رواه ابن سعد، وفي حديث حذيفة: «أحمد ومحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة» رواه الترمذي وابن سعد، وقد جمع القسطلاني في كتاب المواهب اللدنية أكثر من أربعمائة مُرَتَّبَةً على حروف المعجم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا)** بالتخفيف للتنبيه **(تعجبون كيف يصرف الله عني شتم)** كفار **(قريش ولعنهم)** بسكون العين **(يشتمون)** بسكون المثناة الفوقية[1] قال في المختار: الشتم السب وبابه ضرب **(مذمماً)** بضم الميم الأولى وفتح الثانية كالآتية **(ويلعنون مذمماً)** يريدون بذلك تعريفهم إياه بمذمم مكان محمد وكانت العوراء زوجة أبي لهب تقول:

مذمماً قلينا  ودينه أبينا  وأمره عصينا

**(وأنا محمد)** أي كثير الخصال الحميدة التي لا غاية لها فمذمم ليس باسمه ولا يُعرف به، فكان الذي يقع منهم مصروفاً إلى غيره.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله)** وفي نسخة: النبي **(ﷺ: مَثَلي)** مبتدأ **(ومَثَل الأنبياء قبلي)** عطف عليه **(كرجلٍ)** خبره أي كمثل رجلٍ **(بنى داراً فأكملها وأحسنها إلاَّ موضع لِبَنَة)** بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون ويجوز كسر اللام وسكون الموحدة قطعة طين تُعجن وتُيبس ويُبنَى بها من غير إحراق **(فجعل الناس يدخلونها)** أي الدار **(ويتعجبون)** بالفوقية بعد التحتية أي من حسنها **(ويقولون لولا موضع اللبنة)** برفع موضع مبتدأ خبره محذوف مع جواب الشرط أي لولا موضع اللَّبنة موجود لكان بناء الدار كاملاً، وفي روايةٍ زيادة: «وأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء» وظاهره أن المشبه به هو الرجل والمشبه الأنبياء فيلزم عليه تشبيه مُفردٍ بمتعددٍ إلاَّ أن يقال إنه جعل الأنبياء كلهم كواحد فيما قصد من التشبيه، إذ المقصود من بعثتهم ما تم إلاَّ باعتبار الكل، فكذلك الدار لا تتم إلاَّ بجميع اللبنات، أو أن التشبيه ليس

---

(١) صوابه بكسر المثناة اهـ مصححه.

في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه زيادة إلا موضع لبنة من زاوية وقال في آخره: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين. عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: وهو ابن أربع وتسعين جلداً معتدلاً قد علمت ما متعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ أن خالتي ذهبت بي إليه فقالت: يا رسول الله إن ابن أختي شاك فادع الله له، قال: فدعا لي. عن عقبة بن الحرث رضي الله عنه قال صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي فرأى

---

من باب تشبيه المفرد بالمفرد بل هو تشبيه تمثيلي فيؤخذ وصف من جميع أحوال المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به فيقال شَبَّهَ حَال الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشاد الناس إلى مكارم الأخلاق بحال دارٍ أسس قواعدها ورفع بنيانها وبقي منها موضع لَبِنَة فنبينا ﷺ بعث لتتميم مكارم الأخلاق، كأنه هو تلك اللبنة التي بها إصلاح ما بقي من الدار **(وفي رواية عن أبي هريرة زيادة: إلاَّ موضع لبنةٍ من زاوية)** زاد مسلم من طريق هَمَّام: «من زواياه» وهذا يرد قول إن اللبنة المشار إليها كانت في أس الدار المذكورة وأنه لولا وضعها لانقضت تلك الدار، فإن الظاهر كما في فتح الباري أن المراد بها مكملة محسنة وإلاَّ لاستلزم أن يكون الأمر بدونها ناقصاً وليس كذلك، فإن شريعة كل نبي بالنسبة إليه كاملة فالمراد هنا النظر الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع، **(وقال في آخرها: فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء)** أي آخرهم الذي ختمهم أو خُتِموا به على قراءة عاصم بالفتح وقيل من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل يكون على دينه مع أن المراد أنه آخر من نُبىء.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين)** سنة وقيل ستين وقيل خمس وستين. **(عن السائب بن يزيد)** بن سعد الكِندي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال وهو ابن أربع وتسعين)** سنة **(جلداً:)** بفتح الجيم وسكون اللام أي قوياً معتدلاً غير منحنٍ مع كِبَرِ سِنِّه **(قد علمت)** بتاء المتكلم وهو مقول القول **(ما مُتِعتُ به)** بضم الميم وتاء المتكلم أيضاً مبنياً للمفعول **(سمعي)** بدل من ضمير به **(وبصري)** عطف عليه **(إلاَّ بدعاء رسول الله ﷺ، وذلك أن خالتي)** قال الحافظ بن حجر: لم أقف على اسمها **(ذهبت بي إليه)** ﷺ **(فقالت له: يا رسول الله إن ابن أختي شاكٍ)** بمعجمة وتخفيف الكاف فاعل من الشكوى وهي المرض **(فادع الله له)** وفي نسخةٍ إسقاط له **(قال)** السائب: **(فدعا لي)** ﷺ.

**(عن عقبة بن الحارث)** بن عامر القرشي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: صلَّى أبو**

الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي وعلي يضحك. عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه فقيل له: صفه لنا، فقال: كان أبيض قد شمط، وأمر لنا النبي ﷺ بثلاث عشرة قلوصاً قال فقبض النبي ﷺ قبل أن نقبضها.

عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ ورضي عنه قيل له: أرأيت النبي ﷺ

---

**بكر)** الصدِّيق **(رضي الله تعالى عنه العصر ثم خرج يمشي)** زاد الإسماعيلي بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعليٍّ رضي الله تعالى عنه يمشي إلى جانبه **(فرأى)** أبو بكرٍ **(الحسن)** بفتح الحاء ابن علي رضي الله تعالى عنهما **(يلعب مع الصبيان)** وكان عمره إذ ذاك سبع سنين، ولعبه محمول على اللائق به إذ ذاك **(فحمله على عاتقه وقال: بأبي بأبي)** مرتين وفي نسخة مرة واحدة أي أفديه بأبي، أو هو قَسَمٌ إلاَّ أنه لا يراد به معنى القسم وإن كان على صورته هو **(شبيه بالنبي)** ﷺ بسكون التحتية من النبي مخففة، وفي نسخة بتشديدها **(لا شبيه بعلي)** بالسكون وبالتخفيف أو التشديد كسابقه يعني علياً أباه **(وعلي)** أي والحال أن علياً **(يضحك)** فيه إشعار بتصديقه له.

**(عن أبي جُحَيفة)** بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وهب بن عبد السُّوائي بضم السين المهملة وبعد الواو ألف فهمزة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال رأيت النبي ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه)** وفي حديث أنسٍ أنَّ الحسين بضم الحاء المهملة كان أشبههم بالنبي ﷺ وجُمِع بينهما بأن الحسن كان يشبهه بما بين الصدر إلى الرأس والحسين أسفل من ذلك **(فقيل له:)** أي لأبي جُحيفة **(صفه)** ﷺ **(لنا فقال: كان أبيض)** اللون **(قد شَمِط)** بفتح الشين المعجمة وكسر الميم أي صار سواد شعره مخالطاً للبياض، ولمسلم عن أبي جحيفة رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء وأشار إلى عنفقته **(وأمر لنا النبي ﷺ)** أي لأبي جحيفة وقومه من بين سُواء على سبيل جائزة الوفد **(بثلاثة عشر)** بإثبات التاء المثلثة وفتح الشين وإسقاط التاء كذا في أكثر النُسخ قال ابن مالكٍ: وصوابه بثلاث عشرة بحذف التاء من الثلاث وإثباتها في عشرة وأصلح مَا هنا على الصواب، قال في المصابيح: ولا يُبعد التذكير على إرادة التأويل **(قلوصاً)** بفتح القاف الأنثى من الإبل **(قال)** أبو جحيفة: **(فقُبض)** بضم القاف أي توفي **(النبي ﷺ قبل أن نقبضها)** بنون قبل القاف وفي رواية ذهبنا نقبضها فأتانا موته فلم يعطونا شيئاً فلما قام أبو بكر قال: من كانت له عند رسول الله ﷺ عِدَةٌ فليجئني، فقمت إليه فأخبرته فأمر لنا بها.

**(عن عبد الله بن بسر)** بضم الموحدة وسكون السين المهملة المازني **(صاحب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنه)** أنه **(قيل له أرأيت)** بهمزة الاستفهام **(النبي ﷺ)** نصب على المفعولية **(كان شيخاً؟)** نصب خبر كان، ويجوز كون أرأيت بمعنى أخبرني والنبي رفع

كان شيخاً قال: كان في عنفقته شعرات بيض. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ربعة من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم ليس بجعد قطط ولا سبط رَجِل، أنزل عليه وهو ابن أربعين فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه وبالمدينة عشر سنين، وقبض وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

---

على الابتداء وقوله: كان شيخاً خبره وهو استفهام بحذف الأداة ويؤيد ذلك روايةٍ، قلت شيخ كان رسول الله ﷺ أم شاب؟ **(قال: كان في عنفقته شعرات بيض)** أي لا تزيد على عشرة لا يراده بصيغة جمع القلة وقيل إنها كانت سبعة عشر.

**(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان رسول الله ﷺ ربعه من القوم)** بفتح الراء وسكون الموحدة أي مربوعاً والتأنيث باعتبار النفس وفسَّره بقوله: **(ليس بالطويل ولا بالقصير)** وزاد البيهقي عن علي: وهو إلى الطول أقرب، وعن عائشة: لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول الإطالة ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسب ﷺ إلى الربعة رواه ابن عساكر **(أزهر اللون)** أي أبيض مُشْرَبٌ بحمرة كما صرح به في حديث أنسٍ من وجهٍ آخر عند مسلم والإشراب خلط لون بلون كأنه أحد اللونين سُقيَ الآخر يقال: بياض مُشْرَب بحمرة بالتخفيف فإذا شدَّد كان للتكثير والمبالغة وهو أحسن الألوان **(ليس بأبيض أمهق)** بهمزة مفتوحة وميم ساكنة وهاء مفتوحة ثم قاف أي ليس بأبيض شديد البياض كلون الجص **(ولا آدم)** بالمد أي ولا شديد السمرة وإنما يخالط بياضه الحمرة والعرب تطلق على كل من كان كذلك أسمر كما في حديث أنس المروي عند أحمد والبزار وابن منده بإسناد صحيح: إن النبي ﷺ كان أسمر فالمراد بالسُمْرَة الحمرة التي تخالط البياض **(ليس)** شعره **(بجعد)** بفتح الجيم وسكون المهملة **(قطط)** بفتح القاف وكسر الطاء الأولى وفتحها أي ولا شديد الجعودة كشعر السودان **(ولا سبط)** بفتح السين المهملة وكسر الموحدة وروي بسكونها من السبوطة ضد الجُعُودة أي ولا بمسترسلٍ فهو متوسط بين الجعودة والسبوطة **(رَجِل)** بفتح الراء وكسر الجيم وهو بالجر كما في أكثر النُسَخ قال بعضهم: وهو وهم إذ لا يصح أن يكون وصفاً للسبط المنفي عن صفة شعره ﷺ وفي نسخةٍ بالرفْع خبرٌ لمحذوفٍ أي وهو رَجِل أي مسترسل **(أنزل عليه)** الوحي **(وهو ابن أربعين)** سنة سواء وذلك إنما يستقيم على القول بأنه وُلِد في شهر ربيع الأول وهو المشهور وبُعث فيه **(فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه)** الوحي **(وبالمدينةَ عشر سنين)** قيل مقتضاه أنه عاش ستين سنةً قال الزركشي: وهذا قول أنسٍ والصحيح أنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة لأنه تُوفي وعُمُره ثلاث وستون سنة، وأجاب في المصابيح بأن أنساً لم يقتصر على قوله فلبث بمكة عشر سنين بل قال فلبث بمكة عشر

وفي رواية عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق وليس بالآدم، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة وذكر تمام الحديث. عن البراء رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير. عن أنس رضي الله عنه أنه سئل هل خضب النبي ﷺ؟ قال: لا إنما كان شيء في صدغيه.

---

سنين ينزل عليه الوحي وهذا لا يُنافي أن يكون أقام بها أكثر من هذه المدة ولكنه لم ينزل عليه إلاَّ في العشر ولا يخفى أن الوحي فتر في ابتدائه سنتين ونصفاً، وأنه أقام في ابتدائه ستة أشهر يرى الرؤيا الصالحة فهذه ثلاث سنين لم يوحَ إليه في بعضها أصلاً، وأُوحي إليه في بعضها مناماً فيحمل قول أنسٍ على أنه لبث بمكة ينزل عليه الوحي في اليقظة عشْرَ سنين واستقام الكلام لكن يقدح في هذا الجمع قوله في حديث أنس من طريقٍ أخرى: وتوفاه الله على رأس ستين **(وقُبِضَ)** وفي نسخةٍ إسقاطها **(وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء)** أي بل دون ذلك، وفي حديث عبد الله بن بسر السابق كان في عنفقته شعرات بيض بصيغة جمع القلة وجمع القلة لا يزيد على عشرة لكن خصه بعنفقته الكريمة فيحتمل أن يكون الزائد على ذلك في صدغيه كما في حديث البراء، لكنْ في حديث أنسٍ من طريقِ حُمَيدٍ قال: لم يبلغ ما في لحيته من الشيب عشرين شعرة قال حُمَيد: وأومأ إلى عنفقته سبع عشرة رواه ابن سعد بإسنادٍ صحيح، وعنده أيضاً بإسنادٍ صحيح عن أنسٍ من طريق ثابت ما كان في رأس النبي ﷺ ولحيته إلاَّ سبع عشرة أو ثماني عشرة **(وفي روايةٍ عنهَ)** أنه **(قال كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن)** قال البيضاوي أي الظاهر البيِّن طوله من بان إذا ظهر، وقال ابن الأثير المفرط طولاً **(ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق)** أي الكريه البياض، بل كان أزهر اللون أي أبيض مشرباً بحمرةٍ **(وليس بالآدم)** بالمد أي الشديد السمرة، **(وليس)** شعره **(بالجعد القطط)** أي الشديد الجعودة **(ولا بالسبط)** بسكون الموحدة أو بكسرها، ولا بالمسترسل بل كان وسطاً بينهما **(بعثه الله على رأس أربعين سنةٍ)** وهذا يتجه على القول بأنه وُلِدَ في ربيع الأول بُعث في رمضان فيكون له تسعٌ وثلاثون سنة ونصف سنة ويكون قد ألغى الكسر **(وذكر باقي الحديث)** السابق.

**(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم)** وفي نسخة: وأحسنه **(خَلْقاً)** بفتح الخاء وسكون اللام على الأصح، وضبطه بعضهم بضم المعجمة وسكون اللام وبعضهم بضمها أيضاً والخلق بالضم الطبع والسجية**(ليس بالطويل البائن)** أي المفرط في الطول فهو اسم فاعل من بان إذا ظهر أو من بان إذا فارق سواه بإفراط طوله**(ولا بالقصير)** بل كان رَبعة.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سُئل هل خضب النبي ﷺ)** شعره **(قال: لا)** لم

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه رأيته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه. وفي رواية عنه رضي الله عنه أنه قيل له: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال لا بل مثل القمر. عن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ يصلي بالبطحاء وبين يديه عنزة. قد تقدم هذا الحديث وفي هذه الرواية قال: فجعل الناس يأخذون

---

يخضبه **(إنما كان شيء)** أي قليل من الشيب **(في صدغيه)** بضم الصاد وإسكان الدال المهملتين بعدهما معجمة والتثنية ما بين الأذن والعين ويطلق على الشعر المتدلي من الرأس في ذلك الموضع، أي فلم يحتج إلى أن يخضب وهذا كما نبه عليه في الفتح مغاير للحديث السابق: أن الشيب كان في عنفقته وجمع بينهما بحديث مسلم عن أنس: لم يخضب ﷺ وإنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ، أي متفرق قال: وعرف من مجموع ذلك أن الذي شاب من عنفقته أكثر مما شاب من غيرها.

**(عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ مربوعاً)** يقال رجل رَبْعةً ومربوع إذا كان بين الطويل والقصير **(بعيد ما بين المنكبين)** أي عريضٌ أعلى الظهر **(له شعر)** في رأسه **(يبلغ شحمة أذنه)** بالإفراد وفي نسخة بالتثنية أي ما لان منها **(رأيته في حلة)** قال في القاموس: الحُلة بالضم إزار ورداء ولا يكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة **(حمراء)** أي منسوجة بخيوط حُمْرٍ مع السود كسائر البرود اليمانية، وليست كلها حمراء لأن الأحمر البحت منهي عنه أشد النهي، كذا قاله القسطلاني وهو تابع في ذلك لبعض الحنفية والمعروف من مذهب الشافعي خلافه **(لم أر شيئاً قط أحسن منه)** إذ حقيقة الحُسْنِ الكامل فيه لأنه الذي تم معناه دون غيره، **(وفي رواية عنه أنه قيل له أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف)** في الطول واللمعان، ولما لم يكن السيف شاملاً للطرفين قاصراً في تمام المرآة عن الاستدارة والإشراق الكامل والمَلاَحة ردَّه رداً بليغاً بقوله: **(قال: لا بل مثل القمر)** في الحُسْنِ والمَلاَحة والتدوير وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين التدوير واللمعان، وعند مسلم من حديث جابر بن سَمُرة، قال: لا بل مثل الشمس، أي في نهاية الإشراق والقمر أي في الحسن وزاد: وكان مستديراً تنبيهاً على أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً الاستدارة والحُسْن لأن التشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة فقط.

**(عن أبي جُحيفة)** بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبعد التحتية الساكنة فاء وهب بن عبد الله السُّوائي **(رضي الله تعالى عنه أنه رأى النبي ﷺ يصلي)** بالهاجرة وهي وسط النهار عند شدة الحرّ وهو في قبة حمراء من أدم **(بالبَطحاء)** هو المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصا والمراد به هنا المكان المسمى بالأبطح في ظاهر مكة **(وبين يديه عَنَزَة)** بفتحات أقصر من الرمح وأطول من العصا فيها زج **(قد تقدم)** أي في الوضوء **(هذا الحديث وفي**

يديه فيمسحون بها وجوههم، قال فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت فيه». عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه.

---

هذه الرواية **قال: فجعل الناس يأخذون يديه)** بالتثنية **(فيمسحون بها)** بالإفراد وفي نسخة بهما بالتثنية **(وجوههم)** تبركاً **(قال:)** أبو جُحيفة **(فأخذت بيده فوضعتها على وجهي فإذا هي أبرد من الثلج)** لصحة مِزاجه الشريف وسلامته من العلل **(وأطيب رائحةً من المسك)** وكانت هذه صفته عليه الصلاة والسلام وإن لم يَمَسَّ طيباً حتى كان إذا مَرَّ في طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطيب، وقالوا: مَرَّ رسول الله ﷺ من هذه الطريق كما رواه أبو نعيم والبزار بإسناد صحيح، ولله در القائل:

فـمـن طـيـبـه طـابـت لـه طـرقـاتـه

وقالت عائشة: كان عرقه في وجهه مثل الجُمان أطيب من المسك الأذخر رواه أبو نعيم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً)** بفتح القاف الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحدٍ، وقيل هو الوقت سمي قرناً لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم، وهو مصدر قرنت ثم جُعل اسماً للوقت أو لأهله، والقرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل مائة **(حتى كنت من القرن الذي كنت منه)** وفي نسخة فيه وحتى غاية لقوله بعثت والمراد بالبعث التقلب في أصلاب الآباء أباً فأباً قرناً فقرناً حتى ظهر في القرن الذي وُجِد فيه، أي انتقلت أولاً من صلب أبي إسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بني هاشم، فالفاء في قوله قرناً فقرناً للترتيب في الفضل على سبيل الترقي في الآباء من الأبعد إلى الأقرب، فالأقرب، كما في قولهم خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يسدل)** بفتح التحتية وسكون السين وكسر الدال المهملتين ويجوز ضم الدال أي يرسل **(شعره)** أي شعر ناصيته على جبهته **(وكان المشركون يفرقون)** بكسر الراء ورُوي بضمها **(رؤوسهم)** أي يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئاً على جبهتهم **(وكان)** بالواو وفي نسخة فكان بالفاء **(أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم وكان)** بالواو وفي نسخة فكان بالفاء **(رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب)** لأنهم كانوا على بقية من دين الرسل، فكانت موافقتهم أحب

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال لم يكن النبي ﷺ فاحِشاً ولا مُتَفَحِّشاً وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً». عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي

---

إليه ﷺ من موافقة عباد الأوثان **(فيما لم يؤمر فيه بشيء)** أي فيما لم يخالف شرعه، **(ثم فرق)** بتخفيف الراء **(رسول الله ﷺ رأسه)** أي شعر رأسه أي ألقاه على جانبي رأسه، فلم يترك منه شيئاً على جبهته بعد ما سدل لأمر أُمِرَ به.

**(عن عبد الله بن عمرو)** بفتح العين المهملة ابن العاصي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً)** أي ناطقاً بالفحش وهو الزيادة على الحد في الكلام السيِّىء **(ولا مُتفحشاً)** أي ولا مُتكلفاً للفحش نفي عنه ﷺ قول الفُحش والتفوه به طبعاً وتكلفاً **(وكان)** ﷺ **(يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)** حُسْنُ الخلق اختيار الفضائل واجتناب الرذائل، وهل هو غريزة أو مكتسب واستدل قائل الأول بحديث ابن مسعود عند البخاري: «أن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم».

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: ما خُيِّر)** بضم الخاء المعجمة وكسر التحتية المشددة **(رسول الله ﷺ بين أمرين)** من أمور الدنيا **(إلا أخذ)** أي اختار **(أيسرهما)** أي أسهلهما، وأبهم فاعل خُيِّرِ ليكون أعم من قِبَل الله تعالى ومن قِبَل المخلوقين **(ما لم يكن)** أيسرهما **(إثماً)** أي يُفضي إلى الإثم **(فإن كان)** الأيسر **(إثما كان)** ﷺ **(أبعد الناس منه)** وذلك كالتخيير بين المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيها فإن المجاهدة إن كانت بحيث تجر إلى الهلاك لا تجوز، وكالتخيير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يُخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف وإن كانت السعة أسهل منه، قال في الفتح: والإثم على هذا أمر نسبي لا يراد منه معنى الخطيئة لثبوت العصمة. **(وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه)** خاصة كعفوه عن الرجل الذي جفا في رفع صوته عليه وقال: إنكم يا بني عبد المطلب مطل. رواه الطبراني، وعن الآخر الذي جذبه بردائه حتى أثَّر في كتفه. رواه البخاري **(إلا أن تُنْتَهكَ)** بضم الفوقية وسكون النون وفتح الفوقية الثانية والهاء أي لكن إذا انتهكت **(حرمة الله)** عز وجل **(فينتقم لله)** عز وجل لا لنفسه ممن ارتكب تلك الحرمة **(بها)** أي بسببها لا يقال إنه انتقم لنفسه حيث أمر بقتل عبد الله بن خطل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما ممن كان يؤذيه لأنه مع ذلك كانوا ينتهكون حرمات الله تعالى.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما مسست)** بكسر السين المهملة الأولى

ﷺ، ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدْرها. وفي رواية وإذا كره شيئاً عرف في وجهه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه. عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يحدِّث حديثاً لو عده العاد لأحصاه.

وعنها رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث

---

وتفتح وتسكين الثانية **(حريراً ولا ديباجاً)** بكسر الدال المهملة وتُفتح وهذا من عطف الخاص على العام لأن الديباج نوع من الحرير **(ألين من كف النبي ﷺ)** وفي حديث ابن أبي هالة عند الترمذي في صفته عليه الصلاة والسلام أنه كان شثن الكفين أي غليظهما، في خشونة وجُمع بينهما بأن المراد اللين في الجلد والغلظ في العظام فيكون قوي البدن ناعمه **(ولا شممت)** بفتح الشين المعجمة وكسر الميم الأولى وتفتح وتسكين الثانية **(ريحاً قط أو)** قال: **(عَرفاً قط)** بفتح العين المهملة وبعد الراء الساكنة فاء بالشك من الراوي **(أطيب من ريح أو)** قال: **(عرف النبي ﷺ)** بالفاء أيضاً ووقع في بعض الروايات أو عَرَق بفتح الراء وبدل الفاء قاف وعلى هذا فأو للتنويع لكن المعروف الأول وهو الريح الطيب.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال كان النبي ﷺ أشد حياءً)** نصب على التمييز، وهو تغير وانكسار عند خوف ما يعاب ويذم **(من العذراء)** بالذال المعجمة البكر، لأن عذرتها وهي جلدة البكارة باقية إذا دُخِل عليها وعذرة الجارية بكارتها مثل غرفة وغرف **(في خدرها)** أيْ سترها الذي يكون بجنب البيت وهو بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة، وهو من باب التتميم لأن العذراء في الخلوة يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه، لأن الخلوة مظنة وقوع الفعل بها ومحل وجود الحياء منه ﷺ في غير حدود الله عز وجل. **(وفي روايةٍ وإذا كره)** ﷺ **(شيئاً عُرِف)** كراهته **(في وجهه)** لتغيره بسبب ذلك.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً)** مباحاً **(قط)** أي كأن يقول مالح أو قليل الملح أو نحو ذلك **(إن اشتهاه أكله وإلا)** أي وإن لم يشتهه **(تركه)** فإن كان حراماً عابه وذمه ونهى عنه، وأما قوله للضب لا آكله ولم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه فبيان لكراهته لا إظهارٌ لعيبه. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عَدَّه العاد لأحصاه)** لمبالغته ﷺ في الترتيل والتفخيم بحيث لو أراد المستمع عد كلماته أو حروفه لأمكنه ذلك لوضوحه وبيانه، لا يقال فيه اتحاد الشرط والجزاء لأنه كقوله تعالى: ﴿وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤ والنحل: ١٨] وقد فُسِّر بلا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها **(وعنها رضي الله تعالى عنها)** أنها

كسردكم. عن أنس رضي الله عنه يحدث عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في مسجد الحرام، فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم، وقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك فلم يرهم حتى جاؤوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي ﷺ نائمةٌ عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء.

وعنه رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في

---

(**قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم**) أي لم يكن يتابع الحديث بحديثٍ استعجالاً له بل كان يتكلم بكلام واضح مفهوم على سبيل التأني خوف التباسه على المستمع، وقد يعيد الكلمة ثلاثاً لتُفهم عنه وسبب قولها ذلك أن أبا هريرة جلس إلى جانب حجرتها يسرد الحديث عن رسول الله ﷺ فانكرت عليه ذلك وبينت أن الترتيل في الحديث أولى من السرد.

(**عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه**) حال كونه (**يحدث عن ليلة أسري بالنبي ﷺ من مسجد الكعبة**) إلى بيت المقدس أنه (**جاءه**) وفي نسخة جاء (**ثلاثة نفر**) من الملائكة قال ابن حجر: لم أتحقق أسماءهم وقال غيره هم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم الصلاة والسلام، ولم يذكر لذلك مستَنَداً يعول عليه (**قبل أن يوحى إليه**) استشكل بأن الاسراء إنما كان بعد المبعث بلا ريب فكيف يقول قبل أن يوحى إليه فهو غلط ممن روي عن أنسٍ، وأجيب على سبيل الصحة بأنه لم يأت عقب تلك الليلة بل بعد سنين لأنه إنما أسري به قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك (**وهو**) ﷺ (**نائمٌ في المسجد الحرام**) بتنكير الأولى وتعريف الثاني بين اثنين حمزة وجعفر (**فقال: أولهم**) أي أول النفر (**أيهم هو**) أي أيُّ الثلاثة محمد ﷺ (**فقال: أوسطهم هو خيرهم**) يعني النبي ﷺ لأنه كان نائماً بين الاثنين (**وقال آخرهم**) أي آخر النفر الثلاثة: (**خذوا خيرهم**) للعروج به إلى السماء (**فكانت تلك**) أي القصة لم يقع في تلك الليلة غير ما ذكر من الكلام (**فلم يرهم**) عليه الصلاة والسلام (**حتى جاؤوا**) إليه (**ليلةً أخرى فيما يرى قلبه، والنبي ﷺ نائمةٌ عيناه ولا ينام قلبه**) تمسك بهذا من قال: إنه رؤيا منام ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك إليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها، وقد قال بعضهم رواية أنه كان نائماً زيادة مجهولة (**وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فتولاه**) عليه الصلاة والسلام (**جبريل ثم عرج به إلى السماء**) كذا ساقه هنا مختصراً تبعاً لأصله ويأتي إن شاء الله تعالى مع مباحثه في موضعه. (**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: أُتي النبي ﷺ**) بضم الهمزة وكسر الفوقية مبنياً للمفعول والنبي نائب عن الفاعل (**بإناءٍ**) فيه ماء (**وهو**) أي والحال أنه (**بالزوراء**) بفتح الزاي وسكون الواو بعدها راء فألف

الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ، فتوضأ القوم قيل لأنس كم كنتم قال ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة. عن عبد الله رضي الله عنه قال كنَّا نعد الآيات بركةً وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فقل الماء فقال: «اطلبوا فضلة من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء، ثم قال: «حي على الطهور المبارك والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

ممدود موضع بسوق المدينة (**فوضع يده في**) ذلك (**الإناء فجعل الماء ينبع**) بضم الموحدة وتفتح وتكسر أي يخرج (**من بين أصابعه**) ﷺ أي من نفس لحمه الكائن بين أصابعه، أو من بينهما بالنسبة إلى رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر والأول أوجه (**فتوضأ القوم قيل لأنس: كم كنتم قال:**) كنا (**ثلاثمائة**) بالنصب خبر لكان المقدرة وفي نسخة بالرفع خبر لمحذوف (**أو**) للشك (**زهاء**) بضم الزاي ممدوداً أي قدر (**ثلاثمائة**) وفي رواية سبعين وفي أخرى ثمانين وجمع بينهما بتعدد الواقعة وإنما أُتي بالماء لئلا يُظَنَّ أنه ﷺ موجِد للماء والإيجاد إنما هو لله تعالى لا لغيره.

(**عن عبد الله**) بن مسعود (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: كنا نعد الآيات**) التي هي خوارق العادات (**بركة**) من الله تعالى (**وأنتم تعدونها**) كلها (**تخويفاً**) مطلقاً والتحقيق أن بعضها بركة كشِبَع الجيش الكثير من الطعام القليل وبعضها تخويف ككسوف الشمس وكأنهم تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ [الإسراء: ٥٩] أي من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له (**كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر**) في الحديبية كما جزم به البيهقي أو خيبر كما عند أبي نعيم في الدلائل (**فقلَّ الماء فقال**) ﷺ: (**اطلبوا فضلةً من ماء**) لئلا يُظنَّ أنه ﷺ مُوجد للماء (**فجاؤوا بإناءٍ فيه ماء قليل فأدخل يده**) المباركة (**ثم قال: حيَّ**) بفتح الياء (**على الطَهور**) بفتح الطاء أي هلموا إلى الماء مثل حي على الصلاة ويجوز ضم الطاء والمراد الفعل أي تطهروا (**المبارك**) أي الذي أمده الله ببركة نبيه ﷺ (**والبركة**) مبتدأ خبره (**من الله**) عز وجل قال ابن مسعود: (**فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ**) أي من نفسِ اللحم الذي بينها على ما مر (**ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل**) أي في حالة الأكل في عهده ﷺ غالباً، وعند الإسماعيلي: كنا نأكل مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا أقواماً نعالهم الشعر**) بفتح العين وسكونها يعني يجعلون نعالهم من حبال ضفرت من الشعر، أو المراد طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، ولمسلم: «يلبسون الشعر ويمشون في الشعر»، وقال ابن دحية المراد القندس الذي

قال: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وقد تقدم الحديث بطوله وقال في آخر هذه الرواية: «وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحبُّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله».

وعنه رضي الله عنه قال؛ قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر».

---

يلبسونه في الشرابيش أي أهداب الثوب قال: وهو جلد كلب الماء **(وقد تقدم الحديث بطوله)** أي في الجهاد ومن جملته: «وحتى تقاتلوا التُرك صغار الأعين» إلخ ما يأتي والترك قيل إنهم من ولد سام بن نوح وقيل من ولد يافث وبلادهم ما بين مشارق خُراسان إلى مغارب الصين وبين ما يلي الهند إلى أقصى المعمور **(وقال في آخر هذه الرواية وليأتين على أحدكم زمان)**أي بعد موته ﷺ **(لأن يراني)** فيه **(أحبُّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله)** فكل أحدٍ من الصحابة فمن بعدهم من المؤمنين يتمنى رؤيته عليه الصلاة والسلام ولو فقد أهله وماله **(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزاً)** بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بالزاي المعجمة **(وكرمان من الأعاجم)** بفتح الكاف وقيل بكسرها وسكون الراء وفي نسخة خور كرمان بالراء المهملة مضافاً إلى الكرمان وصوَّبه الدارقطني وحكاه عن الإمام أحمد وقال بعضهم: إنه تصحيف وقيل إذا أضيف فبالمهملة وإذا عطف فبالزاي المعجمة لا غير، واستشكل هذا مع ما سبق من قوله: «تقاتلوا الترك» لأن خوز وكرمان ليسا من بلاد الترك، أما خوز فمن بلاد الأهواز وهي من عراق العجم، وأما كرامان فبلدة من بلاد العجم أيضاً بين خراسان وبحر الهند، ويحتمل أن يكون هذا الحديث غير حديث قتال الترك ولا مانع من اشتراك الصنفين في الصفات المذكورة أعني قوله **(حمر الوجوه فطس الأنوف)** جمع أفطس والفُطوسَة تطامن قصبة الأنف وانتشارها وفي رواية السابقة ذلف الأنوف بضم الذال المعجمة وسكون اللام وبعدها فاء جمع أذلف أي صغير الأنف مستوي الأرنبة **(صغار الأعين كأنّ وجوههم المجَانُّ)** بفتح الميم والجيم المخففة وبعد الألف نون مشددة جمع مجن بكسر الميم أي الترس **(المطرقة)** بضم الميم وشكون الطاء وفتح الراء المخففة وهي التي ألبست الطراق وهي جلدة تقدر على قدر الدرقة وتلصق عليها فكأنها ترس على ترس، فشبهها بالترس لبسطها وتدويرها بالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها، قال الكرماني: فإن قلت أهل هذين الإقليمين أي خوز وكرمان ليسوا على هذه الصفات. وأجاب بأنه إما أن بعضهم كانوا بهذه الأوصاف في ذلك الوقت أو سيصيرون كذلك فيما بعد وإما بأنهم بالنسبة للعرب كالتوابع للترك وقيل إن بلادهم فيها موضع اسمه

وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يهلك الناس هذا الحي من قريش». قالوا: فما تأمرنا قال: «لو أن الناس اعتزلوهم». وعنه أيضاً

---

كرمان، أو قيل ذلك لأنهم كانوا يتوجهون من هاتين الجهتين. وقال في شرح المشكاة: لعل المراد بهما صنفان من الترك كأن أحد أصول أحدهما من خوز وأحد أصول الآخر من كرمان فسماهم ﷺ باسمه، وإن لم يشتهر ذلك عندنا كما نسبهم إلى قنطوراء وهي أمة كانت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام **(نعالهم الشعر)** قال الحافظ ابن حجر وقد ظهر مصداق هذا الخبر وقد كان مشهوراً في زمن الصحابة حديث: «اتركوا الترك كما تركوكم». فروى الطبراني عن معاوية أنه لما جاءه كتاب عامله أنه وقع في الترك وهزمهم غضب معاوية من ذلك ثم كتب إليه: لا تقاتلهم حتى يأتيك أمري فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الترك تجلي العرب حتى تلقحهم بمنابت الشيح» ثم قال: فأنا أكره قتالهم لذلك، وقاتل المسلمون الترك في خلافة بني أمية وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدوداً إلى أن انفتح ذلك شيئاً فشيئاً وكثر السبي منهم وتنافس فيهم الملوك لما فيها من الشدة والبأس حتى كان عسكر المعتصم منهم، ثم غَلَبَ الأتراكُ على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحدٍ إلى أن خالط المملكة الديلم، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضاً فملكوا بلاد العجم ثم غلب على تلك الممالك سبكتكين ثم آل سلجوق فامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية، وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغُزُّ فخربوا البلاد وفتكوا في العباد، ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتر وكان خروج جنكزخان بعد الستمائة فاستعرت بهم الدنيا ناراً خصوصاً المشرق بأسره حتى لم يبق بلدٌ منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المعتصم آخر خلفائهم على أيديك في سنة ست وخمسين وستمائة، ثم لم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان اللفك ومعناه الأعرج واسمه تمر بفتح المثناة الفوقية وضم الميم فطرق الديار الشامية وعاث فيها وخرَّب دمشق حتى صارت خاويةً على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن أخذه الله تعالى وتفرق بنوه البلاد وظهر بذلك مصداق قوله ﷺ.

**(وعنه أيضاً رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يُهلك)** بضم الياء وكسر اللام من الإهلاك **(الناس)** بالنصب مفعول للفعل وقوله **(هذا الحي)** رفع على الفاعلية **(من)** بعض **(قريش)** وهم الأحداث منهم بسبب طلبهم الملك والحرب لأجله لا كل قريش **(قالوا)** وفي نسخة قال: **(فما تأمرنا)** يا رسول الله **(قال: لو أن الناس اعتزلوهم)** أي بأن لا يداخلوهم ولا يُقاتلوا معهم ويفروا بدينهم من الفتن لكان خيراً لهم.

في رواية قال: سمعت الصادق المصدوق يقول: «هلاك أمتي على يدي غلمةٍ من قريش إن شئت أن أسميهم بني فلان وبني فلان».

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير. وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن» قلت وما دخنه قال: «قوم

---

**(وعنه أيضاً رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت الصادق المصدوق)** ﷺ **(يقول: هلاك أمتي)** الموجودين إذ ذاك ومن قاربهم لا كل الأمة إلى يوم القيامة **(على يدي)** بسكون التحتية **(غِلمة)** بكسر الغين وسكون اللام جمع غلام وهو الطار الشارب **(من قريش إن شئت)** وفي نسخة شئتم **(أن أسميهم بني فلان وبني فلان)** وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يعرف أسماءهم ولكن كان ذلك من الجراب الذي لم يحدث به وهم بنو مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، وكان بعض من روى عن أبي هريرة يخرج إلى بني مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم، وعند ابن أبي شيبة أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه كان يمشي في السوق ويقول اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان، قال في الفتح: وفي هذه إشارة إلى أن أول الأغيلمة كان في سنة ستين وهو كذلك فإن يزيد بن معاوية استُخلف فيها وبقي إلى سنة أربعٍ وستين فمات ثم وَلّى ولده معاوية ومات بعد أشهرٍ. وقال الطيبي: رآهم ﷺ في منامه يلعبون على منبره صلوات الله وسلامه عليه، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] أنه رأى في المنام أن وَلَدَ الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

**(عن حذيفة بن اليمان)** العبسي بالموحدة حليف الأنصار **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان النَّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني)** بنصب مخافة على التعليل وأن مصدرية والشر الفتنة ووهن عرى الإسلام واستيلاء الضلال وفُشُوُّ البدعة والخير عكسه يدل عليه قوله: **(فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير)** أي ببعثتك وتشييد مباني الإسلام وهدم قواعد الكفر والضلال **(فهل بعد هذا الخير من شر؟)** وفي رواية من فتنة **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(نعم قلت:)** يا رسول الله **(وهل بعد ذلك)** وفي نسخة بعد هذا **(الشرِّ من خير؟ قال: نعم وفيه)** أي الخير **(دخن)** بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة آخره نون أي كدر أي غير صافٍ ولا خالص، وقال النووي كالقاضي عياض قيل: المراد بالخير بعد الشر أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، قال حذيفة: **(قلت:)** يا رسول الله **(وما**

يهدون بغير هدىً تعرف منهم وتنكر»، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام، قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك». عن علي رضي الله عنه قال إذا حدثتكم عن

---

**دخنه)** أي كدره **(قال: قومٌ يهدون)** الناس بفتح الياء التحتية **(بغير هدًى)** بفتح فسكون فتنوين بكسر أو بضم الهاء وتنوين الدال وفي نسخة هديي بفتح الهاء وسكون الدال المهملة والإضافة إلى ياء المتكلم فيصير بياءين الأولى مكسورة والثانية ساكنة لا يستنون بسنتي **(تعرف منهم وتنكر)** أي تعرف منهم الخير فتنكره، أو تعرف منهم أشياء موافقةً للشرع وتنكر منهم أشياء مخالفة له، وهو من المقابلة المعنوية فهو راجع إلى قوله وفيه دخن والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام **(قلت: فهل بعد ذلك الخير)** المشوب بالكدر **(من شر؟ قال)** عليه الصلاة والسلام: **(نعم دعاة)** بضم الدال المهملة جمع داعٍ **(على)** وفي نسخة إلى **(أبواب جهنم)** أي باعتبار ما يؤول إليه شأنهم أي يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس فلذا كان بمنزلة أبواب جهنم **(من أجابهم إليها)** أي النار أي الخصال التي تؤول إليها **(قذفوه فيها)** أي النار، وقيل المراد بالشر بعد الخير الأمراء بعد عمر بن عبد العزيز كالخوارج والقرامطة قال حذيفة: **(قلت: يا رسول الله صفهم)** أي الدعاة **(لنا فقال)** عليه الصلاة والسلام **(هم من جلدتنا)** بجيم مكسورة فلام ساكنة فدال مهملة مفتوحة أي من أنفسنا وعشيرتنا من العرب أو من أهل ملتنا **(ويتكلمون بألسنتنا)** قال القابسي: أي من أهل لساننا من العرب، وقيل يتكلمون بما قال الله تعالى ورسوله ﷺ من المواعظ والحكم وليس في قلوبهم شيء من الخير يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، قال حذيفة: **(قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)** بكسر الهمزة أي أميرهم ولو جار، وعند مسلم تسمع وتطيع وإن ضُرب ظهرك وأُخذَ مالك **(قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام)** يجتمعون على طاعته **(قال)** عليه الصلاة والسلام إن لم يكن لهم إمام يجتمعون إليه **(فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض)** بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة أي ولو كان الاعتزال بالعض **(بأصل شجرة)** فلا تعدل عنه **(حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)** العض، قال التوربشتي: أي تتمسك بما تقوى به عزيمتك على اعتزالهم ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكاً، وقال الطيبي: هذا شرط تعقب به الكلام تتميماً ومبالغةً أي اعتزل الناس اعتزالاً لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض أصل الشجرة افعل فإنه خير لك

رسول الله ﷺ فلأن أخر السماء أحب إلى من أن أكذب عليه وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن

---

وقال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة لك فعليك بالعزلة والصبر على تحمل شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم كقوله في الحديث الآخر: «عضوا عليها بالنواجذ».

**(عن علي)** بن أبي طالب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخر)** بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة أي أسقط **(من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة)** بفتح الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ويجوز ضم فسكون وضم ففتح كهمزة وفتحهما جمع خادع، وكسرٌ فسكون فهي خمسة، وتكون بالتورية وبخُلفِ الوعد وذلك من المستثنى الجائز المخصوص من المُحرم المأذون فيه رِفقاً للعباد وليس للعقل في تحريمه ولا تحليله أثر إنما هو إلى الشارع **(سمعت النبي)** وفي نسخة رسول الله **(ﷺ يقول يأتي في آخر الزمان قوم حُدَثاء الأسنان)** بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وبالمثلثة ممدوداً والأسنان بفتح الهمزة أي صغارها **(سفهاء الأحلام)** أي ضعفاء العقول **(يقولون من قول خير البرية)** وهو القرآن كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق يقرؤون القرآن وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا لله وانتزعوها من القرآن لكنهم حملوها على غير محملها **(يمرقون من الإسلام)** أي يخرجون منه سريعاً من غير حظ ينالهم منه وفيه حجة لمن يكفر الخوارج **(كما يمرق السهم)** إذا رماه رامٍ قوي الساعد **(من الرمية)** بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتية فعيلة بمعنى مفعولة، وهي الصيد المرمي، والمرق سرعة نفوذ السهم من الرمية حتى يخرج من الطرف الآخر، ومنه مرق البرق لخروجه بسرعة فشبه مروقهم من الإسلام بالسهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه ولشدة سرعة خروجه لقوة سادع الرامي لا يعلق بالسهم من جسد الصيد شيء، كما في رواية: «قد سبق الفرث والدم» أي جاوزهما ولم يتعلق فيه منهما شيء بل خرجا بعده كذلك هؤلاء لم يتعلق بهم شيء من الإسلام **(لا يجاوز إمانهم حناجرهم)** بالحاء المهملة ثم النون وبعد الألف جيم جمع حنجرة بوزن قسورة، وهي رأس الغلصمة بالغين المعجمة المفتوحة واللام والصاد المهملة منتهى الحلقوم حيث تراه بارزاً من خارج الحلق، والحلقوم مجرى الطعام والشارب وقيل الحلقوم مجرى النفس والمريء مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم، والمراد أنهم مؤمنون بالنطق لا بالقلب **(فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإنَّ في قتلهم**

قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة». عن خباب بن الإرث رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فَيُجْعَل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا

---

**أجراً)** وفي نسخة فإن قتلهم أجر **(لمن قتلهم يوم القيامة)** لسعيهم في الأرض بالفساد واحتج السبكي لتكفيرهم بأنهم كفروا أعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبي ﷺ في شهادته لهم بالجنة، واحتج للقرطبي لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنهم يخرجون من الإسلام ولم يتعلقوا منه بشيء كما خرج السهم من الرمية». ولذا قاتلهم علي رضي الله تعالى عنه وقتلهم وطلب الرجل الذي جعله النبي ﷺ علامة عليهم فوُجد في القتلى واسمه نافع وقيل ذو الخويصرة إحدى عضديه مثل ثدي المرأة.

**(عن خباب)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى **(ابن الارت)** بهمزة وراء مفتوحتين وتشديد المثناة الفوقية **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: شكونا إلى رسول الله)** وفي نسخة النبي **(ﷺ وهو)** أي والحال أنه **(متوسد بردة له في ظِل الكعبة وقلنا)** وفي نسخة فقلنا **(له:)** يا رسول الله **(ألا)** بالتخفيف للتحريض **(تستنصر لنا)** أي تطلب لنا من الله تعالى النصر على الكفار **(ألا)** بالتخفيف أيضا **(تدعو الله لنا قال)** عليه الصلاة والسلام: **(كان الرجل فيمن قبلكم)** من الأنبياء وأممهم **(يُحفر له في الأرض فيجعل فيه)** أي في المحفور **(فيجاء)** بضم التحتية وفتح الجيم ممدوداً **(بالميشار)** بكسر الميم وسكون التحتية وبالنون موضعها وفي نسخة بالهمزة يقال نشرت الخشبة وأشرتها قال في المختار وأشر الخشبة بالمنشار مكسور مهموز وبابه نصر وضرب وقال في باب الراء: ونشر الخشبة قطعها بالمنشار وقال في المصباح[1]: «وأشر الخشبة أشراً من باب قتل شقها لغة في النون والمئشار بالهمز من هذه والجمع مآشر ثم قال: وفيه لغة بالواو فيقال: وشرت الخشبة نشراً فهي منشورة واسم الآلة ميشار بالكسر **(فيوضع على رأسه فيشق)** بضم التحتية وفتح المعجمة **(باثنتين)** بعلامة التأنيث **(وما يصده ذلك)** أي وضع المنشار على مفرق رأسه وفي نسخة إسقاط لفظ ذلك **(عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد)** جمع مشط بضم الميم وتكسر **(ما دون لحمه)** أي تحته أو عنده **(من عظم أو عصب ما)** وفي نسخة وما **(يصده ذلك عن دينه والله ليُتِمن)** بضم التحتية[2] وكسرالفوقية من الإتمام والكمال واللام للتأكيد **(هذا الأمر)** بالرفع وفي نسخةٍ لَيَتِمَّنَّ بفتح التحتية هذا الأمر بالرفع أيضاً

---

(١) النقل غير صحيح فليراجع المصباح وإني راجعته طبعة ميرى فوجدت الأمر كما نبهت.
(٢) لم يظهر لي هذا الوجه ولعله خطأ اهـ مصححه.

الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عزّ وجلّ أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون». عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ أفتقد ثابت بن قيس فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلَم لك علمه فأتاه الرجل فوجده جالساً في بيته منكساً رأسه فقال: ما شأنك قال شرٌّ كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار فأتى الرجل فأخبره أنه قال كذا وكذا فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «أذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة».

---

وفي أخرى بضم التحتية من ليتمن ونصب الأمر على المفعولية وحذف الفاعل أي ليكملن الله أمر الإسلام (**حتى يسير الراكب من صنعاء**) بفتح الصاد المهملة وسكون اللام وبعد العين ألف ممدودة، قاعدة اليمن ومدينة العظماء (**إلى حَضْرَمَوت**) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء والميم وسكون الواو بعدها فوقية بلدة باليمن أيضاً بينها وبين صنعاء مسافةٌ بعيدة قيل أكثر من أربعة أيام، أو المراد صنعاء الشام فيكون أبلغ في البعد، والمراد نفي الخوف من الكفار على المسلمين كما قال: (**لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه**) عطف على الجلالة الشريفة (**ولكنكم تستعجلون**) تمام هذا الأمر مع أن له وقتاً معلوماً.

(**عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنَّ النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس**) أي ابن شماس خطيبه ﷺ وخطيب الأنصار (**فقال رجلٌ**) هو سعيد بن عبادة وقيل سعد بن معاذ وقيل عاصم بنَ عدي العجلاني وقيل أبو مسعود البدري: (**يا رسول الله أنا أعلم لك**) أي لأجلك (**علمه**) أي خبره (**فأتاه**) الرجل (**فوجده جالساً في بيته**) وفي نسخةٍ فوجد بدون ضمير، فجالساً حال وكذا قوله (**منكساً رأسه**) بكسر الكاف المشددة (**فقال**) له: (**ما شأنك؟**) أي ما حالك (**فقال:**) ثابت حالي (**شرٌ، كان يرفع صوته**) التفات من الحاضر إلى الغائب، وكان الأصل **أن** يقول: كنت أرفع صوتي (**فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله**) أي بطل والأصل حبط عملي فهو التفات كما مر (**وهو من أهل النار فأتى الرجل**) النبيَّ ﷺ (**فأخبره أنه**) أي ثابتاً (**قال: كذا وكذا**) يعني حبط عمله وهو من أهل النار (**فرجع**) الرجل إلى ثابت (**المرة الآخرة**) بمد الهمزة وكسر المعجمة من عنده ﷺ (**ببشارة عظيمة فقال:**) له النبي ﷺ (**اذهب إليه**) أي إلى ثابتٍ (**فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة**)، وعن أنسٍ فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان في بعضنا بعض انكشاف فأقبل وقد تكفن وتحنط فقاتل حتى قُتل فَظَهر بذلك مصداق قوله ﷺ: إنه من أهل الجنة لكونه استشهد وليس هذا مخالفاً لقوله ﷺ أبو بكر في الجنة وعمرِ في الجنة إلى آخر العشرة لأن التخصيص بعدد لا ينافي الزائد.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر فسلم الرجل فإذا ضبابة أو سحابة غشيته، فذكره للنبي ﷺ فقال: «اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن».

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده فقال وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال: لا بأس طهورٌ إن شاء الله فقال له لا بأس طهورٌ إن شاء الله تعالى قال: قلت طهور؟ كلا بل هي حمى تفور أو تثور على شيخٍ كبير تزيره القبور فقال النبي ﷺ فنعم إذاً. عن أنس رضي الله عنه قال

---

(**عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قرأ رجل**) هو أُسيد بن حُضير (**الكهف**) وفي رواية البقرة وظاهره التعدد ويحتمل أن يكون قرأ البقرة والكهف جميعاً أو من كل منهما (**وفي الدار الدابة**) أي فرسه وكانت قراءته ذلك بالليل (**فجعلت تنفر**) بنون وفاء مكسورة (**فسلم**) الرجل، قال الكرماني: دعا بالسلامة كما يقال اللهم سلم أو فوض الأمر إلى الله تعالى ورضي بحكمه أو قال: السلام عليك أو سلم من الصلاة وخرج منها (**فإذا ضبابة**) بضاد معجمة مفتوحة وموحدتين بينهما ألف سحابة تغشى الأرض كالدخان، وقال الداودي: الغمام الذي لا مطر فيه (**أو**) قال: (**سحابة غشيته**) شك من الراوي (**فذكره**) أي ما وقع له (**للنبي ﷺ فقال: إقرأ فلان**) قال النووي: معناه كان ينبغي لك أن تستمر على القراءة، وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائهما فليس أمراً له بالقراءة في حال التحديث، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر لما رأى ما رأى (**فإنها**) أي الضبابة المذكورة (**السكينة**) وهي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان رواه الطبراني وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه، وقيل لها رأسان وعن مجاهد رأس الهِر وعن الربيع بن أنس لِعينيها شعاع وعن وهب هي روح من روح الله تعالى وقيل غير ذلك واللائق هنا الأول (**نزلت للقرآن أو**) قال: (**تنزلت للقرآن**) والإخبار بذلك من معجزاته ﷺ.

(**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي**) قيل هو قيس ابن أبي حازم كما في ربيع الأبرار للزمخشري كان يظهر الإسلام (**يعوده**) جملة حالية (**وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده**) وفي نسخةٍ إسقاط التصلية (**قال لا بأس**) عليك هو (**طهور**) لك من ذنوبك أي مطهرة (**إن شاء الله**) تعالى هذا يدل على أن طهور دعاء لأخبر (**فقال**) عليه الصلاة والسلام (**له**) أي للأعرابي: (**لا بأس طهور إن شاء الله تعالى قال**) أي الأعرابي مخاطباً له ﷺ: (**قلت: طهوراً كلاً**) أي ليس بطهور (**بل هي حمى**) وفي نسخةٍ: بل هو أي المرض حمى (**تفور**) بالفاء أي يظهر حرُّها ووهجها وغليانها (**على شيخ كبير تزيره القبور**) بضم الفوقية وكسر الزاي من أزاره إذا حمله على

كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض، فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا، فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمدٍ وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم، فألقوه خارج القبر فحفروا له فأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه. عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي ﷺ: «هل لكم من أنماط؟ قلت وأن يكون لنا الأنماط قال أما إنه سيكون لكم الأنماط». فأنا أقول لها يعني امرأته أخرى عني

---

الزيارة (**فقال له النبي ﷺ: فنعم إذاً**) بالتنوين قال في شرح المشكاة الفاء مرتبة على محذوف ونعم تقدير لما قال: يعني أرشدتك بقولي لا بأس عليك طهور إلى أن الحمى تُطَهِّرك وتُنَقِّي ذنوبك فاصبر واشكر الله عليها فأبيْتَ إلا اليأس والكفران فكان كما زعمت، وما اكتفيت بذلك بل رددت نعمة الله قاله غضباً عليه اهـ وزاد الطبراني أن النبي ﷺ قال للأعرابي: إذا أبيت فهي كما تقول وقضاء الله كائن فما أمسى من الغد إلا ميتاً.

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: كان رجلٌ نصرانياً**) لم يسم وفي مسلم أنه من بني النجار أي وتنصر كما تنصر ورقة من قريش، (**فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ**) الوحي (**فعاد نصرانياً**) كما كان، ولمسلم: فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه (**فكان يقول**) لعنه الله تعالى: (**ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله**) ولمسلم فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم (**فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض**) بفتح الفاء وقيل بكسرها أي طرحته ورمته من داخل القبر إلى خارجه لتقوم الحجة على من رآه، ويدل على صدقه ﷺ (**فقالوا**) أي أهل الكتاب (**هذا**) أي الرمي (**فعلُ محمدٍ وأصحابه لما هرب منهم**) وفي رواية لما لم يرض دينهم (**نبشوا عن صاحبنا**) قبره (**فألقوه**) خارجه (**فحفروا له فاعمقوا**) بالعين المهملة أي أبعدوا (**له في الأرض ما استطاعوا فاصبح وقد**) وفي نسخة: قد (**لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمدٍ وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لمَّا هرب منهم**) وفي نسخة إسقاط: لما هرب منهم (**فألقوه**) خارج القبر (**فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا فاصبح وقد**) وفي نسخة: قد (**لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس**) بل من رب الناس (**فألقوه**) وعند مسلم فتركوه منبوذاً.

(**عن جابر**) بن عبد الله الأنصاري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ**) أي لجابر رضي الله تعالى عنه لما تزوج: (**هل لكم من أنماط؟**) بفتح الهمزة وسكون النون آخره طاء مهملة ضرب من البسط له خمل دقيق واحدة نمط، قال جابر رضي الله تعالى عنه: (**قلت: وأين**) أي ومن أين (**يكون لنا الأنماط قال ﷺ أما**) بالتخفيف (**إنها**

أنماطك فتقول: ألم يقل النبي ﷺ أنها ستكون لكم الأنماط فأدَعُها. عن سعد بن معاذٍ رضي الله عنه أنه قال لامية بن خلف: إني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك قال: إياي؟ قال: نعم قال والله ما يكذب محمد إذا حدَّث فقتله الله ببدر في الحديث قصة هذا مضمون الحديث منها. عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن

---

**ستكون)** وفي نسخة: إنه سيكون **(لكم الأنماط)** قال جابر رضي الله تعالى عنه: **(فأنا أقول لها يعني امرأته)** سهلة بنت سعد بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية كما ذكره ابن سعد **(أخري عني أنماطك)** وفي نسخة عنّا **(فتقول)** أي امرأته **(ألم يقل النبي ﷺ إنها ستكون لكم الأنماط)** استدلت على اتخاذها بإخباره ﷺ بأنها ستكون مع أن الإخبار بأن الشيء سيكون لا يقتضى إباحته إلا أن استند المستدل به إلى التقرير، فتقول أخبر الشارع بأنه سيكون ولم ينه عنه فكأنه أقره وفي مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: خرج رسول الله ﷺ في غزاته فأخذت نمطاً فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه فجذبه حتى هتكه فقال: «إن الله لم يأمرنا أن نكسوا الحجارة والطين»: قالت: فقطعت منه وسادتين فلم يعب على ذلك فيؤخذ منه أن الأنماط لا يكره اتخاذها لذاتها بل لما يعرض لها، وأيضاً فالإخبار المذكور من قبيل البشارة والبشارة بها تدل على إباحة إتخاذها **(قال)** جابر رضي الله تعالى عنه **(فأدعها)** أي أترك الأنماط بحالها مفروشة.

**(عن سعد بن معاذ)** الأنصاري الأشهلي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال لأمية بن خلف)** بالتنوين أي لما قدم سعد إلى مكة معتمراً ونزل على أمية **(إني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتِلك قال:)** أمية **(إياي)** يقتل **(قال:)** أي سعد: **(نعم)** إياك **(قال)** أمية: **(والله ما يكذب محمد إذا حدث)** أي لأنه كانه موصوفاً عندهم بالصدق فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال أخي اليثربي؟ قالت: وما قال؟ قال زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي قالت: فوالله ما يكذب محمد فلما جاء الصريخ وخرج أهل مكة إلى بدر قالت له امرأته أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فأراد أن لا يخرج معهم فقال له أبو جهل إنك من أشراف الوادي أي مكة فسر يوماً أو يومين فسار معهم يومين **(فقتله الله عز وجل يوم بدر)** أي في وقعتها **(وفي الحديث قصة هذا مضمون الحديث منها)** وهي أن سعداً كان يطوف بالبيت عند انتصاف النهار وغفلة الناس فقال أبو جهل: من هذا الذي يطوف بالكعبة؟ فقال: أنا سعد فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه؟ فقال سعد: نعم، فتلاحيا فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي فقال سعد والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام، فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم وجعل بمسكه، فغضب سعد فقال دعنا عنك فإني سمعت محمداً الخ الحديث.

جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام فقال النبي ﷺ لأن سلمة رضي الله عنها: «من هذا»؟ أو كما قال قالت: هذا دحية قالت: أيم الله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر عن جبريل أو كما قال: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت الناس مجتمعين في صعيد فقام أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم

---

**(عن أسامة بن زيد)** حِبُّ رسول الله ﷺ **(رضي الله عنهما أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة)** هند بنت أبي أمية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها **(فجعل)** عليه الصلاة والسلام **(يحدث)** رجلاً عنده **(ثم قام)** الرجل **(فقال النبي ﷺ لأم سلمة رضي الله تعالى عنها)** يستفهمها عن الذي كان يحدثه هل عرفت أنه ملك أم لا **(من هذا؟)** يستفهم **(أو كما قال)** شك من الراوي في اللفظ مع بقاء المعنى **(قال:)** الراوي **(قالت: هذا دحية)** بن خليفة الكلبي وكان جبريل عليه السلام يأتي كثيراً في صورته **(قالت أم سلمة: أيم الله)** بهمزة قطع من غير واو **(ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ بخبر جبريل)** بالموحدة وفتح الخاء وفي نسخة يخبر عن جبريل بضم التحتية بصيغة المضارع **(أو كما قال)** قال في الفتح: ولم أقف في شيءٍ من الروايات على بيان هذا الخبر في أي قصة ويحتمل أن يكون في قصة بني قريظة، فقد وقع في الدلائل للبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها رأت النبي ﷺ يُكلِّم رجلاً وهو راكبٌ فلما دخل قلت: من هذا الرجل الذي كنت تكلمه؟ قال: من تشبهيه؟ قالت بدحية بن خليفة، قال: ذاك جبريل أمرني أن أمضي إلى بني قريظة اهـ فَلْيُتأمل وفي الأصل تقديم هذا الحديث على الذي قبله.

**(عن عبد الله)** بن عمر بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: رأيت الناس)** في المقام **(مجتمعين في صعيد فقال أبو بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه، وفي رواية أن النبي ﷺ قال: رأيت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليبٍ فجاء أبو بكر **(فنزع)** بنونٍ فزاي وعين مهملة مفتوحات أي أخرج الماء من البئر للاستقاء **(ذنوباً)** بفتح الذال المعجمة دلواً مملوءاً ماءً **(أو ذنوبين)** شك من الراوي وفي روايةٍ ذنوبين من غير شك **(وفي نزعه)** أي استقائه **(ضعف)** بسكون العين المهملة وضم الفاء منونة وفي نسخة بضم العين المهملة وفتح الفاء **(والله يغفر له)** أي أنه على مهلٍ ورفق وليس فيه حط من فضيلته بل هو إشارة إلى ما فُتح في زمانه من الفتوح، وكانت قليلةً لاشتغاله بقتال أهل الردة قصر مدة خلافته فهذا إخبار عن حاله في قِصَرِ مدة خلافته والإضطراب الذي وُجِد في زمانه من أهل الردة فدعا له ﷺ بالمغفرة ليتحقق السامعون أن الضعف الذي وجدَ في نزعه هو من مقتضى تغير الزمان وقلة الأعوان لا أن ذلك منه رضي الله تعالى عنه، وقول

أخذها عمر فاستحالت بيده غرباً فلم أر عبقرياً في الناس يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن» . وعنه رضي الله عنه أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن

---

من قال: إن المراد الإشارة إلى مدة خلافته، قال الحافظ بن حجر رضي الله تعالى عنه: فيه نظر لأنه ولي سنتين وبعض سنة فلو كان ذلك المراد لقال ذنوبين أو ثلاثة، ويؤيده ما عند الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن مسعود في نحو هذه القصة فقال النبي ﷺ: فاعبرها يا أبا بكر فقال ألي الأمر من بعدك ثم يليه عمر قال: «كذلك عبرها الملك» **(ثم أخذها)** أي الذنوب **(عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه **(فاستْحالت)** أي انقلبت بيده **(غرباً)** بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة دلواً عظيمة أكبر من الذنُوب وفيه إشارة إلى عِظَم الفتوح التي كانت في زمنه رضي الله تعالى عنه وكثرتها، وكان كذلك بفتح الله تعالى عليه البلاد والأموال والغنائم، ومصَّر الأمصار ودَوَّنَ الدواوين لطول مدته **(فلم أرَ عبقرياً)** بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وفتح القاف وكسر الراء وتشديد التحتية أي كاملاً قوياً يا سيداً يقال هذا عبقري القوم كما يقال سيدهم وكبيرهم وقويهم، وقيل الأصل أن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه إليها ثم اتسع فيه فسمى به السيد والكبير والقوي وهو المراد هنا **(في الناس يفري)** بفتح التحتية وسكون الفاء وبالراء **(فرِيَّة)** بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد التحتية أي يعمل عمله ويقوى قوته **(حتى ضرب الناس بعطن)** بفتح العين والطاء المهملتين آخره نون مناخ الإبل إذا صدرت عن الماء والعطن للإبل كالوطن للناس، لكن غلب على مبركها حول الحوض وقال ابن الأنباري معناه حتى رووا وأرووا إبلهم وأبركوها وضربوا لها عطناً أي لتشرب عللاً بعد نهل وتستريح فيه، وقال القاضي عياض، ظاهر هذا الحديث أنه عائد إلى خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، وقيل: يعود إلى خلافتهما معاً لأن أبا بكر رضي الله تعالى عنه جمع شمل المسلمين أولاً بدفع أهل الردة وابتداء الفتوح في زمانه ثم عهد إلى عمر رضي الله تعالى عنه فكثرت في خلافته الفتوح واتسع أمر الإسلام واستقرت قواعده.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا أن رجلاً منهم)** أي من اليهود لم يسم **(وامرأة)** منهم أيضاً **(زنياً)** واسم المرأة بسرة بضم الموحدة وسكون السين المهملة وعند أبي داود عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: زنى رجلُ من اليهود بامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي فإنه بُعِثَ بالتخفيف فإن أفتانا بفتياً دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله عز وجل وقلنا: فُتيا نبي من أنبيائك، قال: فأتوا النبي ﷺ وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا: يا أبا القاسم ما ترى في رجل وامرأة قد زنيا.**(فقال لهم رسول الله ﷺ)** ليلزمهم بما بعتقدونه في كتابهم **(ما تجدون في**

الرجم» فقالوا: نفضحهم ويجلدون، فقال عبد الله ابن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ: «اشهدوا».

عن عروة البارقي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أعطاه ديناراً يشتري له به شاة

---

**التوراة في شأن الرجم)** أي في حكمه ولعله أوحى إليه أن حكم الرجيم فيها ثابت على ما شُرع لم يلحقه تبديل **(فقالوا: نفضحهم)** بفتح النون والضاد المعجمة بينهما فاء ساكنة من الفضيحة أي نكشف مساويهم للناس، وقيل يسوِّد وجه الفاعل ويركب حماراً معكوساً **(ويُجلدون)** بضم أوله وفتح ثالثه مبنياً للمفعول **(فقال عبد الله بن سلام:)** بتخفيف اللام الخزرجي من بني يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام وشهد له النبي ﷺ **(كذبتم إنَّ فيها الرجم)** أي على الزاني المحصن وفي نسخةٍ للرجم بلام الابتداء **(فأتوا بالتوراة)** بفتح الهمزة والفوقية **(فنشروها فوضع أحدهم)** هو عبد الله بن صوريا الأعور **(يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا)** أي اليهود: **(صدق)** ابن سلام **(يا محمد فيها)** أي التوراة **(آية الرجم فأمر بهما)** أي بالزانيين **(رسول الله ﷺ فرُجِما)** وعند أبي داود فدعا رسول الله ﷺ بالشهود فجاء أربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل المرود في المكحلة فأمر بهما فرُجِما فصار الرجل يحني أي يعطف على المرأة يقيها الحجارة.

**(عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: انشق القمر على عهد النبي)** وفي نسخة رسول الله (ﷺ) أي في زمنه وفي أيامه وكان ذلك بمنىً ومعه المشرك والمؤمن **(شقتين)** بكسر الشين وتفتح أي نصفين فصار قمرين وزاد أبو نعيم في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: فلقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنىً ونحن بمكة **(فقال النبي ﷺ اشهدوا)** من الشهادة، وإنما قال ذلك لأنها معجزة عظيمة لا يعدلها شيء من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما رأى أبو جهل ذلك قال: هذا سحر محمد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ [القمر: ٢] فلما جاء الناس من الآفاق كلهم أخبروا، وانشقاق القمر من أمهات المعجزات وأجمع عليه المفسرون وأهل السُّنة وروي عن جماعة كثيرة من الصحابة.

**(عن عروة)** بن الجعد ويقال: ابن أبي الجعد وقيل اسم أبيه عياض **(البارقي)** بالموحدة والقاف الصحابي الكوفي وهو أول قاضٍ بها **(رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ**

فاشترى له به شاتين فباع إحداهما بدينار وجاءه بدينار وشاة فدعا له بالبركة في بيعه فكان لو اشترى التراب لربح فيه.

---

**أعطاه ديناراً ليشتري له به شاةً فاشترى له به)** أي بالدينار **(شاتين)** وعند أحمد عن عروة قال: عرض للنبي ﷺ جلب فأعطاني ديناراً فقال: أي عروة ائت الجلب فاشتر لنا شاةً قال: فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار **(فباع إحداهما بدينار وجاءه)** وفي نسخةٍ فجاءه بالفاء بدل الواو **(بدينارٍ وشاة فدعا)** عليه الصلاة والسلام **(له بالبركة في بيعه)** وفي رواية أحمد فقال: «اللهم بارك له في صفقته» **(وكان لو اشترى التراب لربح فيه)** ولأحمد قال: فلقد رأيتني أقف بكناسة الكوفة فأربح أربعين ألفاً قبل أن أصل إلى أهلي، وتمسك بهذا الحديث من جوَّز بيع الفضولي لأنه باع الشاة الثانية من غير إذن وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك وهو مذهب مالك في المشهور عنه وأبي حنيفة وبه قال الشافعي في القديم فينعقد البيع ويتوقف على إجازة المالك فإن أجاز نفد وإن رد لغا، والجديد أنه باطل لحديث لا تبع ما لا تملك وأجيب عن حديث عروة على تقدير صحته باحتمال أن يكون عروة وكيلاً في البيع والشراء معاً.

# فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم

ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

---

## فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم

**(ومن صحب النبي ﷺ)** في زمن نبوته ولو ساعة **(أو رآه)** في حال حياته ولو لحظة أو مر أحدهما على الآخر ولو نائماً **(من المسلمين)** العقلاء ولو أنثى أو عبداً أو غير بالغ أو جِنِّياً أو ملكاً على القول ببعثته إلى الملائكة **(فهو من أصحابه)** خبر المبتدأ الذي هو من الموصول وقُرِن بالفاء لأن الموصول في معنى الشرط، وأوفى قوله أو رآه للتقسيم والضمير المنصوب للنبي ﷺ أو للصاحب والاكتفاء بمجرد الرؤية من غير مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة مذهب الجمهور من المحدثين والأصوليين لشرف منزلته ﷺ، إذا رآه مسلم أو رأى مسلماً لحظة طُبِع قلبه على الاستقامة، لأنه بإسلامه تهيأ للقبول فإذا قابل ذلك النور المحمدي أشرق عليه فظهر أثره في قلبه وعلى جوارحه وأصل الصحبة كثرة المعاشرة وقيل تتناول ساعةً فأكثر، وعليه يكون أهل الحديث قد نقلوا الاستعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة، وعدَّ في الإصابة من حضر معه عليه الصلاة والسلام حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينهما من الأعراب وكانوا أربعين ألفاً من الصحابة لحصول رؤيتهم ﷺ، وإن لم يرهم هو بل ومن كان مؤمناً به في زمن الإسراء إن ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كُشِف له في ليلته عن جميع من في الأرض فرآه وإن لم يلقه لحصول الرؤية من جانبه ﷺ وأما ابن أم مكتوم وغيره ممن كان من الصحابة أعمى فيدخل في قوله ومن صحب، وكذا في قوله أو رآه النبي ﷺ على ما لا يخفى، وقول بعضهم بعدم دخوله في عبارة البخاري مبني على نسخته التي وقف عليها وهي ورآه بواو العطب فيكون التعريف مركباً من الصحبة والرؤية معاً، فلا يدخل الأعمى لكن الموجود في جميع النسخ المعتمدة أو التي للتقسيم، وأما الصغير الذي لا يميز كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري ممن حَنَّكه ودعا له ﷺ ومحمد بن أبي بكر الصديق المولود قبل وفاته ﷺ بثلاثة أشهر وأيام فهو وإن لم يصح نسبة الرؤية إليه صحابي من حيث أن النبي ﷺ رآه، ثم إن التقييد بالإسلام يُخرج من رآه في حال الكفر فليس بصاحب على المشهور ولو أسلم كرسول قيصر، وزاد الحافظ ابن حجر تبعاً

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال ﷺ: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر» رضي الله عنه:

عن عمار رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر.

---

لشيخه الزين العراقي في التعريف ومات على الإسلام ليخرج من ارتد بعد أن رآه مؤمناً ومات على الردة كابن خطل، فلا يسمى صحابياً بخلاف من مات بعد ردته مسلماً في حياته لله أو بعده سواء لقيه ثانياً أم لا وتعقب بأنه يسمى قبل الردة صحابياً ويكفي ذلك في صحة التعريف إذ لا يشترط فهي الاحتراز عن المنافي العارض، ولذا لم يحترزوا في تعريف المؤمن عن الردة العارضة في بعض أفراده فمن زاد في التعريف أراد تعريف من يسمى صحابياً بعد انقراض الصحابة لا مطلقاً وإلا لزم أن لا يسمى الشخص صحابياً في حال حياته ولا يقول بهذا أحد كذا قرره الجلال المحِلي رحمه الله تعالى.

(**عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: أتت امرأة**) قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمها (**إلى النبي ﷺ**) زاد في رواية فكلمَتْهُ في شيء ولم يسم ذلك الشيء (**فأمرها أن ترجع إليه قالت: ارأيت**) أي أخبرني وفي رواية فكلمته في شيء فأمرها بأمرٍ، فقالت: أرأيت يا رسول الله (**إن جئت ولم أجدك**) قال جبير بن مطعم أو غيره من الرواة (**كأنها تقول الموت**) أي إن جئت فوجدتك قدْمِتَّ ماذا أفعل (**قال النبي ﷺ**) وفي نسخة قال عليه الصلاة والسلام: (**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**) قال ابن بطال استدل النبي ﷺ بظاهر قولها إن لم أجدك أنها أرادت الموت فأمرها باتيان أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكأنه اقترن بسؤالها حالة أفهمت ذلك وإن لم تنطق به قال في الفتح وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله كأنها تقول الموت، وفي رواية كأنها تريد الموت وفي أخرى كأنها تعني الموت، لكن قولها فإن لم أجدك أعم في النفي من حالة الحياة وحالة الموت، ودلالته لها على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مطابقة لذلك العموم، وفيه إشارة إلى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه هو الخليفة بعد النبي ﷺ، ولا يعارَض هذا جزم عمر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ لم يتخلف لأن مراده نفي النص على ذلك صريحاً، وفي الطبراني حديث قلنا يا رسول الله إلى من ندفع صدقات أموالنا بعدك قال: «إلى أبي بكر الصديق» وهذا لو ثبت كان أصرح من هذا الحديث في أن الخليفة بعده أبو بكر لكن إسناده ضعيف (**عن عمار**) بن ياسر (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: رأيت رسول الله ﷺ وما معه**) ممن أسلم (**إلا خمسة أعبد**) بلال زيد بن حارثة وعامر بن فُهيرة وأبو فُكَيهة مولى صفوان بن أمية بن خلف وعبيد بن زيد الحبشي وذكر بعضهم عمار بن ياسر بدل أبي فكيهة (**وامرأتان**) خديجة أم المؤمنين وأم أيمن أو سُميَّة (**وأبو بكر**) الصديق رضي الله

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ إذا أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ﷺ أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال: يا رسول الله إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أَثَم أبو بكر فقالوا: لا فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين

---

تعالى عنه وكان أول من أسلم من الأحرار البالغين رضي الله تعالى عنه.

**(عن أبي الدرداء)** عُويمر بضم العين مصغراً آخره راء ابن زيد بن قيس الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر)** رضي الله تعالى عنه حال كونه **(آخذا بطرف ثوبه حتى أبْدَى)** بألف بعد الدال من غير همز أي أظهر **(عن ركبته)** بالإفراد وفيه أن الركبة ليست عورةً **(فقال النبي ﷺ)** لما رآه: **(أمَّا)** بالتشديد **(صاحبكم)** يعني أبا بكرٍ رضيَ الله تعالى عنه وفي نسخة صاحبك بالإفراد يخاطب أبا الدرداء **(فقد غامر)** بغين معجمة مفتوحة وبعد الألف ميم مفتوحة أيضاً فراء أي خاصَمَ ولابس الخصومةَ وقسيم أما صاحبكم محذوف تقديره نحو قوله وأما غير فلا أعلمه **(فسلمَّ)** رضي الله تعالى عنه على النبي ﷺ **(وقال)** يا رسول الله **(إنه كان بيني وبين ابن الخطاب)** عمر رضي الله تعالى عنه **(شيء)** وفي روايةٍ محاورة بالحاء المهملة أي مراجعة، وعند أبي يعلى من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه: معاتبة **(فأسرعت إليه)** بالكلام الغليظ **(ثم ندمت)** على ذلك **(فسألته أن يغفر لي)** ما وقع مني **(فأبى علي)** وعند أبي نُعيم في الحلية من طريق محمد بن المبارك: فتبعته إلى البقيع حتى خَرَج من داره **(فأقبلت إليك فقال:)** النبي ﷺ **(يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً)** أيَ أعادَ هذه الكلمات ثلاث مرات **(ثم إن عمر)** رضي الله تعالى عنه **(ندم)** على ذلك **(فأتى منزل أبي بكر)** رضي الله تعالى عنه ليزُيل ما وقع بينه وبينه **(فسأل)** أهله **(أثَمَّ أبو بكر)** بفتح الهمزة والمثلثة أي أهنا أبو بكر **(فقالوا)** مجيبين له: **(لا فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمَعَّر)** بالعين المهملة المشددة أي تذهب نضارته من الغضب وفي نسخة يتمغر بالغين المعجمة **(حتى أشفق)** أي خاف **(أبو بكر)** أن ينال عمر من رسول الله ﷺ ما يكرهه **(فجثا)** بالجيم والمثلثة أي برك أبو بكر رضي الله تعالى عنه **(على ركبتيه)** بالتثنية **(فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم)** منه في ذلك **(مرتين)** قال الكرماني: ظرف لقال أو كنت وإنما قال ذلك لأنه الذي بدأ **(فقال رسول الله)** وفي نسخة النبي **(ﷺ إن الله بعثني إليكم فقلتم كذب)** وفي نسخة: «كذَبْت» **(وقال: أبو بكر صدق)** وفي نسخة: «صدَقْتَ»

فما أوذي بعدها. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك: قال: «عائشة»، فقلت من الرجال؟ فقال «أبوها»، فقلت ثم من قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالاً.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا

---

**(وواساني)** وفي نسخة: وأساني وفي أخرى وأساني بهمزة بدل الواو والأول أوجه لأنه من المواساة **(بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي)** بإضافة تاركو إلى صاحبي وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور عنايةً بتقديم لفظ الإضافة، وفي ذلك جمع بين الإضافتين إلى نفسه تعظيماً للصِدِّيق رضي الله تعالى عنه، ونظيره قراءة ابن عامر ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهُم شركائِهم﴾ [الأنعام: ١٣٧] بنصب أولادهم وخفض شركائهم وفصل بين المضافين بالمفعول، وفي رواية: «هل أنتم تاركون» بالنون قال أبو البقاء: وهي الوجه لأن الكلمة ليست مضافة لأن حرف الجر منع الإضافة وربما يجوز حذف النون في موضع الإضافة ولا إضافة هنا، قال: والأشبه أن حذفها من غلط الرواة اهـ ولكن لا ينبغي نسبة الرواة إلى الخطأ مع ما ذكر وورود أمثلة لذلك **(مرتين)** أي قال: هل أنتم تاركو لي صاحبي مرتين **(فما أوذي)** أبو بكر **(بعدها)** أي بعد هذه القصة لما أظهره النبي ﷺ من تعظيمه.

**(عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل)** بفتح السين المهملة الأولى وكسرِ الثانية سنة سبع قال عمرو: **(فأتيته فقلت)** وعند ابن سعد: أنه وقع في نفس عمرو لما أمَّره ﷺ على الجَيش في هذه الغزوة وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنه أنه مقدم عنده في المنزلة عليهم فقال: يا رسول الله **(أي الناس أحب إليك؟ قال:)** عليه الصلاة والسلام: **(عائشة)** رضي الله تعالى عنها، قال عمرو: **(فقلت: من الرجال؟ قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أبوها)** أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(قلت: ثم من)** أحب إليك بعده **(قال عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(فعدَّ رجالاً)** وزاد البخاري في رواية: فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم وعند الترمذي من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أنه قيل لها أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت أبو بكر، في آخره قالت أبو عبيدة بن الجراح قال في الفتح: فيمكن أن يفسر بعض الرجال الذين أبهموا في هذا الحديث بأبي عبيدة.

**(عن عبد الله بن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: من جر ثوبه خيلاءَ)** أي لأجل الخيلاء أي الكِبْرِ **(لم ينظر الله إليه)** نظر رحمةٍ **(يوم**

أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء». عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج قال: فقلت: لألزمنَّ رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب، وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشفت عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونَنَّ بواب رسول الله ﷺ اليوم فجاء أبو بكر رضي الله عنه فدق الباب فقلت من هذا؟ فقال: أبو بكر

---

القيامة، **فقال أبو بكر)** رضي الله تعالى عنه: **(إنَّ أحد شِقَّي)** بكسر الشين المعجمة أي جانبي **(ثوبي يسترخي)** بالخاء المعجمة وكان سبب استرخائه نحافة جسم أبي بكر رضي الله تعالى عنه **(إلا أن أتعاهد ذلك منه)** أي إذا غفلت عنه استرخى **(فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خيلاء)** فيه لأنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقاً، وهل كراهة ذلك للتحريم أو للتنزيه فيه خلاف.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس **(الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج)** منه قال أبو موسى **(فقلت لألزَمنَّ)** بفتح اللام آخره نون توكيد ثقيلة **(رسول الله ﷺ ولأكونَنَّ)** بفتح اللام وبالنون الثقيلة أيضاً **(معه يومي هذا، قال:)** الراوي **(فجاء)** أبو موسى رضي الله تعالى عنه **(المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا)** له: **(خَرَجَ وَجَّهَ)** بفتح الواو والجيم المشددة بصيغة الماضي أي توجه أو وجه نفسه **(ههنا)** وفي نسخة: وَوَجَّه بواو العطف وفي أخرى وَجْه بسكون الجيم مضافاً إلى ههنا إلى جهة كذا، قال أبو موسى: **(فخرجت)** من المسجد **(على إثره)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة ورُوي بفتحهما **(أسأل عنه)** عليه الصلاة والسلام **(حتى)** وجدته **(دخل بئر أريس)** بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون التحتية بعدها مهملة، مصروف، بستان بالقرب من قباء، قال أبو موسى: **(فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قُفها)** بضم القاف وتشديد الفاء حافة البئر أو الدكة التي حولها **(وكشف عن ساقيه)** الكريمتين **(ودلاهما)** أي أرسلهما **(في البئر فسلمت عليه)** سلام الله وصلاته عليه **(ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواباً للنبي)** وفي نسخة: بواب رسول الله **(صلى الله عليه وسلم اليوم)** وفي نسخةٍ إسقاط لفظِ اليوم أي ولم يأمره بذلك كما جاء في بعض الروايات، وهذا معارض لما في صحيح أبي عوانة فقال لي: «يا أبا موسى أملك على الباب» فانطلق فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقعد على قف البئر ولما عند الترمذي: فقال لي «يا أبا موسى أملك على الباب، فلا يدخل علي أحد» وجمع النووي بينهما بإحتمال أنه عليه الصلاة والسلام أمره بحفظ الباب أولاً إلى أن

فقلت: على رسلك ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت إن يرد الله بفلان خيراً ـ يريد أخاه ـ يأت به فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال: «ائذن له وبشره بالجنة»، فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة

---

يقضي حاجته ويتوضأ لأنها حالة يُسْتَتَرُ فيها، ثم حفظ الباب أبو موسى بعد ذلك من تلقاء نفسه اهـ وأما قوله: فقلت: لأكونن، فقال في الفتح: فيُحْتمل أنه لما حدث نفسه بذلك صادق أمر النبي ﷺ أن يحفظ عليه الباب، **(فجاء أبو بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه **(فدفع الباب)** مستأذناً في الدخول **(فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر فقلت: على رسلك)** بكسر الراء أي تمهل وتأن **(ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن)** في الدخول عليك **(فقال: ائذن له وبشره بالجنة فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر)** رضي الله تعالى عنه **(فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلّى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه)** موافقة له عليه الصلاة والسلام وليكون أبلغ في بقائه عليه الصلاة والسلام على حالته وراحته، بخلاف ما إذا لم يفعل ذلك فربما استحى منه فرفع رجليه الشريفتين، قال أبو موسى رضي الله تعالى عنه: **(ثم رجعت فجلست)** على الباب **(وقد كنت)** قبل **(تركت أخي)** أبا بردة عامراً وأخي أبارَهم **(يتوضأ ويلحقني فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يريد أخاه)** أبا بُردة أو أبارهم وله أخ ثالث اسمه محمد وأشهرهم أبو بردة وأسمه عارم وأبو رهم واسمه مجدي **(يأت به فإذا إنسان يحرك الباب)** مستأذناً **(فقلت له: من هذا؟ فقال:)** هذا **(عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه وقلت)** وفي نسخة فقلت: **(هذا عمر بن الخطاب يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت:)** له **(ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة)** وفي رواية زيادة فحمد الله **(فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف على يساره ودلّى رجليه في البئر)** وفي نسخةٍ إسقاط قوله: فدخل **(ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأت به)** يريد أخاه **(فجاء إنسان يحرك الباب)** مستأذناً **(فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان فقلت: على رسلك وجئت)** وفي نسخةٍ فجئت **(إلى النبي)** وفي نسخةٍ إلى رسول الله **(ﷺ فأخبرته)** وفي رواية فسكت هنيهة **(فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوىً تصيبه)** هي البلية التي صار بها شهيد الدارين أي المحاصرة والقتلِ وغيره، **(فجئته وقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى**

فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلانٍ خيراً يأت به فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان فقلت: على رسلك فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه»، فجئته فقلت له: أدخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملىء فجلس وجاهه من الشق الآخر. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد

---

**تصيبك)** وفي رواية فحمد الله ثم قال: الله المستعان وفيه تصديق للنبي ﷺ فيما أخبر به **(فدخل فوجد القف قد مُلىء)** بالنبي ﷺ والعمرين **(فجلس وجِاهَهُ)** عليه الصلاة والسلام بضم الواو وكسرها أي مقابلة **(من الشق الآخر)** قال بعضهم: فأولتها أي جمعية الصاحبين مع النبي ﷺ ومقابلة عثمان له قبورهم من جهة كون العمرين مصاحبين له عند الحفرة المقدسة لا من جهة أن أحدهما في اليمين والأخرى في اليسار وأن عثمان في البقيع مقابلاً لهم قال النووي رحمه الله تعالى: وهذا من باب الفراسة الصادقة.

**(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك **(الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: لا تسبوا أصحابي)** شامل لمن لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبُّهم حرام من محرمات الفواحش، ومذهب الجمهور أن من سبهَّم يعزر ولا يقتل وقال بعض المالكية يقتل ونقل عياض في الشفاء عن مالك بن أنس وغيره أن من أبغض الصحابة وسبَّهم فليس له في فيء المسلمين حق ونوزع بآية الحشر ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ [الحشر: ١٠] وقال: من غاظ أصحاب محمدٍ فهو كافر، قال الله تعالى ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح: ٢٩] وروي في حديث: «من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً وقال المولى سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالى: إن سبهم والطعن فيهم إن كان مما يخالف الأدلة القطعية فكفرُ كقذفِ عائشة رضي الله تعالى عنها وإلا فبدعة وفسق، وقد قال ﷺ: الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن أذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» **(فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً)** زاد في بعض الروايات: «كل يوم» **(ما بلغ)** من الفضيلة والثواب **(مُدَّ أحدهم)** من الطعام الذي أنفقه **(ولا نَصيفه)** بفتح النون وكسر الصاد المهملة بوزن رغيف النصف، وفيه أربع لغات نصف بكسر النون وضمها وفتحها ونصيف بزيادة تحتية أي نصف المد وذلك لما يقار به من مزيد الإخلاص وصِدْقِ النِّية

أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: «أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم

---

وكمال النفس، وقال الطيبي: ويمكن أن يقال فضيلتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعِظَم موقعها كما قال تعالى ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح﴾ [الحديد: ١٠] أي قبل فتح مكة وهذا في الإنفاق فكيف بمجاهدتهم وبذلهم أرواحهم ومهجهم، والخطاب في قوله: لا «تسبوا» لغير الصحابة من المسلمين المفروضين في العقل جعل من سيوجد كالموجود الحاضر وجودهم المترقب، وقيل الخطاب للصحابة الموجودين في زمنه ﷺ لأن المخاطب هو خالد بن الوليد حيث كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنها شيء فسبه خالد وهو من الصحابة الموجودين إذ ذاك باتفاق، وحينئذ فالمراد بقوله أصحابي أصحاب مخصوصون ونهى بعض من أدرك النبي ﷺ وخاطبه عن سب من سبقه يقتضي نهي من لم يدركه ﷺ ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب أولى، وتُعُقِّبَ بأنَّ الحديث الذي فيه قصةُ خالدٍ رضي الله تعالى عنه لا يدل على أنه المخاطب بذلك فإنَّ الخطاب لجماعة ولئن سلمنا أنه المخاطب فلا نُسَلِّم أنه كان إذ ذاك صحابياً بالاتفاق، إذ يحتاج إلى دليلٍ ولا يظهر ذلك إلا بالتاريخ، ولكن عند مسلم عن أبي سعيد: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما شيء فسبَّه خالد فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي» وهذا ظاهر في أن المخاطب خالد كما قال الحافظ، أما كونه إذ ذاك مسلماً فيُنْظر[1] وهذا الحديث مقدم في الأصل على الذي قبله.

(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنَّ النبي ﷺ صَعِد) بكسر العين أي علا (أحداً) الجبل المعروف بالمدينة (وأبو بكر) مرفوع عطفاً على الضمير المستكِن في صَعِدَ لوجود الفاصل أو بالابتداء وما بعده وهو قوله (وعمر وعثمان) عطف عليه أي وأبو بكر وعمر وعثمان صَعِدوا معه قال في المصابيح: والأول أولى (فرجف) أي اضطرب (بهم) أحد (فقال) له عليه الصلاة والسلام (أُثبت أحد) منادى حذفت أداته أي يا أحد ونداؤه خطابه وهو يحتمل المجاز والحقيقة لكن الظاهر الحقيقة كقوله: «أحد جبل يحبنا ونحبه» (فإنما عليك نبي وصديق) أبو بكر رضي الله تعالى عنه (وشهيدان) عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما قال ابن المنير قيل الحكمة في ذلك أنه لما رجف أراد النبي ﷺ أن يبين أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى عليه الصلاة والسلام لما حرفوا الكَلِم وأن تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب فلهذا نَصَّ على مقام النبوة والصدِّيقية

---

(١) كيف لا يكون مسلماً والحديث يثبت له ثواباً إلا أنه لا يبلغ ثواب سابقه في الإسلام ولا شك أن إثبات الثواب يستلزم أنه كان مسلماً إذا ذاك فإن الكافر لا ثواب له والحديث بلغ المنتهى في إظهار فضل أصحاب الرسول ﷺ اهـ مصححه.

فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إني كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيراً مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر»، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما فالتفتُّ فإذا علي بن أبي طالبِ رضي الله عنه. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «رأيتني يدخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال

---

والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك فاستقر وما أحسن قول بعضهم:

ومال حراء تحته فرحاً به ... فلولا مقال اسكن تضعضع وانقضا

**(عن ابن عباس رضي الله عنهما)** أنه **(قال: إني لواقف)** بلام التأكيد المفتوحة **(في قوم فدعوا الله)** وفي نسخةٍ: يدعون الله بتحتية بدل الفاء وسكون الدال وضم العين **(لعمر ابنَ الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(وقد وُضِعَ على سريره)** لما مات والجملة حالية من عمر **(إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول)** لعمر بن الخطاب **(يرحمك الله)** وفي نسخة رحمك الله بصيغة الماضي **(إني كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك)** النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله تعالى عنه فتدفن معهما **(لأني كثيراً)** اللام للتعليل أو مؤكدة وكثيراً ظرف زمان وعامله كان تقدم عليه **(مما)** بزيادة من والتقدير أجد كثيراً مما وفي نسخة ما **(كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت أنا وأبو بكرٍ وعمر)** وفي نسخة كنت وأبو بكر وعمر عطف على المرفوع المتصل بدون تأكيد ولا فاصل وفيه خلاف بين البصريين والكوفيين **(وفعلت وأبو بكر وانطلقت وأبو بكر وعمر فإن كنت)** بفاء وسكون النون وفي نسخةٍ وإني كنت بواو وكسر النون المشددة بعدها تحتية **(لأرجو أن يجعلك الله معهما)** في الحجرة **(فالتفتُّ فإذا هو)** أي القائل **(علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه)** وفيه بيان فضيلة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال قال: النبي ﷺ رأيتني)** بضمير المتكلم وهو من خصائص أفعال القلوب أي رأيت نفسي في المنام **(دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصَاء)** بضم الراء وبالصاد المهملة ممدوداً مصغراً سهلة بنت ملحان الأنصارية **(امرأة أبي طلحة)** زيد بن سهل الأنصاري والرميصاء صفة لها لرمص كان بعينها **(وسمعت خَشْفَةً)** بخاء معجمة مفتوحة وشين ساكنة وفاء مفتوحة وفي نسخة: فتح الشين أي صوتاً ليس بشديد أو حركة وقع القدم **(فقلت: من هذا؟ فقال:)** جبريل أو غيره من الملائكة **(بلال)** وفي نسخة هذا بلال ويحتمل أن يكون القائل هذا بلال نفسه

ورأيت قصر بفنانه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك فقال عمر بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار. عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ فقال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت» قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم إن لم أعمل بمثل أعمالهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم من

---

**(ورأيت)** فيها **(قصراً)** وعند الترمذي من ذهب **(بفِنائه)** بكسر الفاء ما امتدَّ خارجه من جوانبه **(جارية فقلت: لمن هذا؟)** القصر **(فقال:)** أي الملك وفي نسخةٍ: فقالوا: أي الملائكة وفي أخرى فقالت: أي الجارية **(لعمر)** بن الخطاب **(فأردت أن أدخله فأنظر إليه)** بنصب أنظر **(فذكرت غيرتك)** بفتح الغين المعجمة قال في المختار: الغَيرة مصدر قولك غار الرجل على أهله، وفي المصباح: غار الرجلِ على امرأته غَضِب من فعلها من باب تَعِب وفي رواية: فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلاَّ عِلمي بغيرتك **(فقال عمر:)** رضي الله تعالى عنه أفديك **(بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار)** الأصل أعليها أغار منك فهو من باب القلب.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أنَّ رجلاً)** هو ذو الخويصرة وقيل أبو موسى الأشعري **(سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟)** تقوم **(قال:)** عليه الصلاة والسلام له **(وماذا أعددت لها)** سلك من السائل أسلوب الحكيم وهو أن يجيب المسؤول السائل بما حقه أن يسأل عنه، كما في قوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الأهلة﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية لأنه سأل عن وقت الساعة فمقتضى الجواب أنها تقوم وقت كذا لكن لما كان هذا لا ينبغي السؤال عنه أجابه بما حقه أن يسأل عنه وهو **(قال:)** الرجل **(لا شيء إلاَّ أني أحب الله ورسوله قال)** وفي نسخة فقال عليه الصلاة والسلام له: **(أنت مع من أحببت)** بحسن نيتك من غير زيادة عمل أي مصاحبة في الجنة، بحيث يتمكن كل واحد منهما من رؤية الآخر وإن بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك، هذا هو المراد من هذه المعية لا كونهما في درجة واحدةٍ **(قال أنس فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم)** ولم يفرح الصحابة بشيء كفرحهم بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت».

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: كان فيمن قبلكم)** وفي نسخةٍ: «لقد كان قبلكم» **(من بني إسرائيل رجالٌ يكلمون)** بفتح اللام المشددة أي

بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يك من أمتي أحد منهم فعمر». عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه جار رجل من أهل مصر فقال له: هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال: نعم فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد قال: نعم قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال: نعم قال: الله أكبر قال: ابن عمر تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وكان وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ

---

تكلمهم الملائكة، وفي رواية: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحَدِّثون» بتشديد الدال المهملة المفتوحة أي ملهمون أو يُلقى في روعهم الشيء قبل الإعلام به فيكون كالذي حدَّثه غيره به أو يجري الصواب على لسانهم من غير قصد **(من غير أن يكونوا أنبياء)** أو المعنى يكلمون في أنفسهم وإن لم يروا متكلماً في الحقيقة وحينئذٍ فيرجع إلى الإلهام **(فإن يك)** وفي نسخة يكن **(من)** وفي نسخة في **(أمتي أحد منهم فعمر)** أي فهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وفي نسخةٍ: «منهم أحد» وفي أخرى إسقاط منهم وليس قوله فإن يك للترديد بل للتأكيد كقولك إن لم يكن لي صديق ففلان إذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، وإذا ثبت أن هذا وجد في غير هذه الأمة المفضولة فوجوده في هذه الأمة الفاضلة أحرى.

**(عن عبد الله بن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(جاء رجل)** زمن الحج **(من أهل مصر)** قيل هو يزيد بن بشر السكسكي وقيل العلاء بن عرار وقيل حكيم **(فقال له: هل تعلم أن عثمان فرَّ يوم)** غزوة **(أحد؟ قال)** ابن عمر: **(نعم، قال)** وفي نسخة فقال الرجل: **(تعلم أنه تغيب)** بالغين المعجمة أي غاب **(عن)** غزوة **(بدر ولم يشهد)** وقعتها؟ **(قال)** ابن عمر: **(نعم، قال)** الرجل: **(تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان)** تحت الشجرة في الحديبية **(فلم يشهدها؟ قال)** ابن عمر: **(نعم، قال)** الرجل: **(الله أكبر)** مستحسناً لجواب ابن عمر لكونه مطابقاً لمعتقده **(قال ابن عمر)** مجيباً له ليزيل اعتقاده: **(تعال أبيِّن لك)** بالجزم **(أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عز وجل عفا عنه وغفر له)** في قوله تعالى: ﴿ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم﴾ [آل عمران: ١٥٥] **(وأما تغيبه عن بدرٍ فإنه كانت)** وفي نسخة كان **(تحته بنت رسول الله ﷺ)** رُقية براء مضمومة وقاف مفتوحة وتحتية مشددة **(وكانت مريضة)** فأمره النبي ﷺ بالتخلف هو وأسامة بن زيد كما في مستدرك الحاكم وأنها ماتت حين وصل زيد بن حارثة بالبشارة وكان عمرها عشرين سنة **(فقال له رسول الله ﷺ إنَّ لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه)** فقد حصل له المقصود الأخروي والدنيوي **(وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من**

عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان فقال له ابن عمر اذهب بها الآن معك. عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة قال: فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال: «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين وتسبحاً ثلاثاً وثلاثين وتحمداً ثلاثة وثلاثين فهو خير لكما من خادم».

---

**عثمان لبعثه)** عليه الصلاة والسلام **(مكانه)** أي مكان عثمان **(فبعث رسول الله ﷺ عثمان)** إلى أهل مكة ليعلم قريشاً أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً **(وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة)** فشاع في غيبة عثمان أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي ﷺ حينئذٍ تحت الشجرة أن لا يفروا **(فقال النبي ﷺ بيده اليمنى)** أي مشيراً بها **(هذه يد عثمان)** أي بدلها **(فضرب بها على يده)** اليسرى **(فقال: هذه)** البيعة **(لعثمان)** أي عنه ولا ريب أن يده ﷺ لعثمان خير من يده لنفسه **(فقال له)** أي للرجل **(ابن عمر: اذهب بها)** أي الأجوبة التي أجبتك بها **(الآن معك)** حتى يزول عنك ما كنت تعتقده من عيب عثمان.

**(عن علي رضوان الله تعالى عليه أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى)** في يدها **(من أثر الرحا)** بغير همزٍ مقصور وفي روايةٍ زيادة مما تطحن **(فأتى النبي ﷺ سَبي)** بالرفع فاعل أتى بفتح الهمزة ورُوي بضمها مبنياً للمفعول بسبي جار ومجرور **(فانطلقت إليه)** فاطمة رضي الله تعالى عنها تسأله خادماً **(فلم تجده)** عليه الصلاة والسلام **(فوجدت عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(فأخبرتها)** بذلك **(فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة)** إليه لتسأله خادماً **(قال)** علي: **(فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا)** أي اضطجعنا على الأرض للنوم **(فذهبت لأقوم فقال)** ﷺ: **(على مكانكما)** أي الزما مكانكما **(فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه)** بالتثنية **(على صدري وقال: ألا)** بفتح الهمزة وتخفيف اللام **(أُعَلِّمُكُما خيراً مما سألتماني)** زاد أحمد: قالا: بلى، قال: كلمات عَلَّمَنيهنَّ جبريل **(إذا أخذتما مضاجعكما)** زاد مسلم من الليل **(تُكَبِرا)** بلفظ المضارع وحذف النون للتخفيف أو أنَّ إذا تعمل عمل الشرط وفي نسخةٍ: «تكبران» بإثباتها وفي أخرى: «فَكَبِّرا» بصيغة الأمر **(أربعاً وثلاثين وتسبحا)** بصيغة المضارع وحذف النون وفي نسخة «وتسبحان» بإثباتها وفي أخرى: «وسبحا» بلفظِ الأمر **(ثلاثاً وثلاثين وتحمدا)** بصيغة المضارع وحذف النون وفي نسخة: بإثباتها وفي أُخرى: «واحمدا» بلفظ الأمر **(ثلاثةً)** وفي نسخة ثلاثاً

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف قال: أو هل رأيتني يا بني قلت: نعم قال: كان رسول الله ﷺ قال: «من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم»؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: ﴿فداك أبي وأمي﴾.

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض

---

**(وثلاثين)** والواو لا تقتضي ترتيباً فلا مخالفة بين ما هنا وبين الروايات الأخر التي فيها تقديم التسبيح على التحميد وتأخير التكبير وجعله أربعاً وثلاثين باعتبار زيادة لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويحتمل أن هذا خاص بما يقال عند النوم **(فهو خير لكما من خادم)** قال ابن تيمية: فيه أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه إعياء لأن فاطمة رضي الله تعالى عنها شكت التعب من العمل فأحالها ﷺ على ذلك. وقال عياض: معنى الخيرية أن عمل الآخرة أفضل من أمور الدنيا، وقيل غير ذلك.

**(عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كنت يوم الأحزاب)** لما حاصر قريش ومن معهم المسلمين بالمدينة وحفر الخندق لذلك **(جُعِلتُ)** بضم الجيم وكسر العين وسكون اللام **(أنا وعِمر بن أبي سَلمة)** بضم العين القرشي المخزومي المدني ربيب النبي ﷺ وأمه أم سلمة **(في النساء)** يعني نسوة النبي ﷺ **(فنظرت فإذا أنا بالزبير)** أبيه **(على فرسه يختلف)** أي يجيء ويذهب **(إلى بني قريظة)** اليهود **(مرتين أو ثلاثاً)** بالشك **(فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف)** أي تجيء وتذهب إلى بني قريظة **(قال وهل رأيتني)** وفي نسخةٍ: أوهل بزيادة الهمزة والاستفهام للتقرير **(يا بني؟ قلت:)** وفي نسخةٍ قال: **(نعم)** رأيتك **(قال: كان رسول الله قال: من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم)** بتحتية ساكنة بعد الفوقية وفي نسخةٍ فيأتني بحذفها **(فانطلقتُ)** إليهم **(فلما رجعت)** بخبرهم **(جمع لي رسول الله ﷺ أبويه)** في الفداء تعظيماً وإعلاماً لقدري لأن الإنسان لا يفدي إلاَّ من يعظمه فيبذل نفسه له **(فقال: فداك أبي وأمي)** وفي ذلك منقبة عظيمة للزبير وهو ابن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي يجتمع مع النبي ﷺ في قصي وينسب إلى أسد فيقال القرشي الأسدي، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ أسلمت وهاجرت وأسلم هو رضي الله تعالى عنه وهو ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ثمان سنين، وحضر يوم اليرموك وفتح مصر مع عمرو بن العاص وشهد الجمل مع عائشة رضيَ الله تعالى عنها وقُتِل بوادي السباع راجعاً من حرب أهل الجمل سنة ست وثلاثين رضي الله تعالى عنه.

**(عن طلحة بن عُبيد الله)** بضم العين وفتح الموحدة ابن عثمان بن عمير بن عمرو بن

تلك الأيام التي قاتل فيهن غيري وغير سعد. وعنه رضي الله عنه أنه وقى النبي ﷺ بيده فضرب فيها حتى شلت.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال جمع لي النبي ﷺ أبويه يوم أحد.

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي

---

عامر بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب يجتمع مع النبي ﷺ في مُرَّة بن كعب ومع أبي بكر في كعب بن سعد بن تيم وكان يقال له طلحة الخير وطلحة الجود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لم يبق مع نبي الله)** وفي نسخةٍ مع النبي **(ﷺ في بعض تلك الأيام)** أي أيام وقعة أحد **(التي قاتل فيها)** المشركين **(غيري وغير سعد)** بن أبي وقاص **(وعنه رضي الله تعالى عنه أنه وقى)** بفتح الواو والقاف المخففة **(النبي ﷺ)** لما أراد بعض المشركين أن يضر به يوم أحد **(بيده فضرب فيها حتى شلت)** بفتح المعجمة واللام المشددة وضم الشين خطأ، أو قليل أو لغة رديئة والشلل نقص في الكف وبطلان لعملها وليس معناه القطع كما زعم بعضهم، وفي الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سَرَّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»، وكان ممن أنزل الله فيه عز وجل قوله: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ [الأحزاب: ٢٣] رواه الترمذي وعنده أيضاً من حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: «سَمِعَتْ أُذني من في رسول الله ﷺ وهو يقول: «طلحة والزبير جاراي في الجنة»، قتل رضي الله تعالى عنه يوم الجمل سنة ست وثلاثين، ذكر أن علياً رضي الله عنه وقف على مصرعه وبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه ثم قال: إني لأرجو أن أكون أنا وأنت ممن قال الله تعالى فيهم ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧].

**(عن سعد بن أي وقاص)** بتشديد القاف واسم أبي وقاص ملك بن أُهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع مع النبي ﷺ في كلاب بن مرة، وأهيب جد سعد عم آمنة أم رسول الله ﷺ أخو أبيها وهب شهد سعد بدراً والحديبية وسائر المشاهد وكان مجاب الدعوة، توفي سنة خمس وخمسين عن ثلاث وثمانين سنة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال جمع لي رسول الله ﷺ)** في التفدية **(أبويه)** فقال فداك أبي وأمي **(يوم أحد)** كما فعل ذلك للزبير.

**(عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما أن علياً خطب بنت أبي جهل)** جُويرية بضم الجيم وقيل العوراء **(فسمعت بذلك فاطمة)** رضي الله تعالى عنها **(فأتت رسول الله ﷺ فقالت له: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك)** إذا أوذين **(وهذا علي ناكح)**

ناكح بنت أبي جهل فقام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: «أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وإن فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجلٍ واحدٍ فترك علي الخطبة». وعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال: «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي». عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بعث النبي ﷺ بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته فقال النبي ﷺ: «إن تطعنوا في إمارته

---

أي يريد أن ينكح (**بنت أبي جهل**) وأطلق عليه اسم ناكح مجازاً باعتبار قصده له، (**فقام رسول الله ﷺ**) خطيباً ليشيع الحكم الذي سيقرره ويأخذوا به على سبيل الوجوب أو الأولوية، قال المسور: (**فسمعته حين تشهد يقول أما بعد أنكحت**) وفي نسخة إني أنكحت (**أبا العاص**) لقيط (**ابن الربيع**) أي ابنته ﷺ زينب أكبر بناته وكان ذلك قبل النبوة (**فحدثني وصدقني**) بتخفيف الدال بعد الصاد أي في حديثه، ولعله كان شرط عليه أن لا يتزوج على زينب فلم يتزوج عليها وكذلك علي فإن يكن كذلك فيحتمل أن يكون نسي ذلك الشرط (**وإن فاطمة بضعة**) بفتح الموحدة فقط وسكون المعجمة ويجوز في اللغة كسرها وكذا ضمها وهي القطعة من اللحم وفي نسخة مضغة بميم بدل للوحدة وغين معجمة بدل المهملة (**مني وإني أكره أن يسوءها**) أحد علي أو غيره (**والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله**) أبي جهل أو غيره (**عند رجل واحد فترك علي الخِطبة**) بكسر الخاء المعجمة. ذكر المحب الطبري عن بعضهم: إن الله حرم على علي أن ينكح على فاطمة مدة حياتها لقوله تعالى ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] وقال أبو علي السبخي في شرح التلخيص: يحرم التزويج على بنات النبي ﷺ.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر صهراً له من بني عبد شمس**) هو أبو العاص بن الربيع والصِهر بالكسر قال في القاموس: زوج بنت الرجل وزوج أخته والأختان أصهار أيضاً وهم جمع خَتَن وهو كل من كان من قِبَل المرأة كالأبِ والأخ (**فأثنى عليه**) خيراً (**في مصاهرته إياه فأحسن**) الثناء (**قال: حدَّثني فصدَقني**) فتخفيف الدال (**ووعدَني**) أنه يرسل إليَّ زينب أي لما أسر ببدر مع المشركين وفُدِيَ وشرط عليه ﷺ أن يرسلها له (**فوفى لي**) بذلك بتخفيف الفاء، وأسر أبو العاص مرة أخرى وأجارته زينب فأسلم وردَّها النبي ﷺ إلى نكاحه وولدت له أمامة التي كان يحملها ﷺ وهو يصلي.

(**عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: بَعَثَ النبي ﷺ بعثاً إلى أطراف الروم**) حيث قُتِل زيد بن حارثة والد أسامة المذكور وهو البعث الذي أمر بتجهيزه

فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده». عن عائشة رضي الله عنها

---

عند موته عليه الصلاة والسلام وأنفذه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعده **(وأمر)** بتشديد الميم **(عليهم أسامة بن زيد فَطَعن بعض الناس في إمارته)** بكسر الهمزة وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة ابن النعمان وسلمة بن أسلم، فتكلم قوم في ذلك وكان أشدهم في ذلك كلاماً عياش بن أبي ربيعة المخزومي فقال: أيستعمل هذا الغلام على المهاجرين، فكثرت المقالة في ذلك فسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعض ذلك فرد على من يتكلم وجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً فخطب **(فقال النبي ﷺ إن تطعُنوا في إمارته)** بضم العين وقال الكرماني: يقال طعن بالرمح واليد يطعن بالضم وطعن في العرض والنسب يطعن بالفتح وقيل: هما لغتان فيهما، قال في المختار طعنه بالرمح وطعن في السن كلاهما من باب نصر وطعن فيه أي قدح من باب نصر ثم قال: والفراء يُجيز فتح العين من يطعن في الكل اهـ **(فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه)** زيد **(من قبل)** في غزوة مؤتة، قال الطيبي: هذا الجزاء إنما يترتب على الشرط بتأويل السببية في التوبيخ، أي طعنكم الآن فيه سبب لأن أخبركم أن ذلك من عادة الجاهلية وهجِّيراهم ومن ذلك طعنكم في أبيه من قبل، نحو ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف: ٧٧] وسبب الطعن في إمارتهما أنهما كانا من الموالي وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن أتباعهم كل الاستنكاف، فلما جاء الله عز وجل بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدرٌ بالسابقة والهجرة والعلم وَالتُّقى، عُرف حقهم، المحفوظون من أهل الدين فأما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرئاسة من العرب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك، لا سيما أهل النفاق فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة التكبر عليه وكان عليه الصلاة والسلام بعث زيداً أميراً على عدة سرايا، وأعظمها جيش مؤتة، وسار تحت رايته فيها نجباء الصحابة وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله ﷺ، ثم أمر أسامة في مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم وكأنه رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة أنه يمهد الأرض وتوطئة لمن يلي الأمر بعد لئلا ينزع أحد يداً من طاعته وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها، **(وايم الله إن كان)** زيد **(لخليقاً)** بالخاء المعجمة المفتوحة والقاف أي والله إن الشأن، وفي نسخةٍ: وايم الله لقد كان خليقاً **(للإمارة)** أي حقيقاً بها **(وإن كان لِمَنْ أحب النَّاسِ إليَّ)** في بعض النسخ إسقاط اللام من لمن لعدم التباس أن المخففة بالنافية لأن الموضع هنا غير صالح للنفي بخلاف ما لو كان صالحاً له، نحو إن علمتك لفاضلاً فتتعين اللام إذ لو حذفت لم يتيقن الإثبات لصلاحية الموضع

قالت: دخل علي قائف والنبي ﷺ شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارثة مضطجعان فقال: إن هذا الأقدام بعضها بعض فسُرَّ بذلك النبي ﷺ وأعجبه فأخبر به عائشة.

وعنها رضي الله عنها أن امرأة من بني مخزوم سرقت، فقالوا: من يكلم النبي ﷺ فيها فلم يجترىء أحد أن يكلمه فكلمه أسامة بن زيد فقال: إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه لو كانت فاطمة لقطعت يدها.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ كان يأخذه والحسن فيقول: «اللهم أحبهما فإني أحبهما».

---

للنفي وترك العمل، فإن عملت لم يحتج للام كما هو مقرر في محله **(وإنَّ هذا)** أي أسامة ابن زيد **(لمن أحب الناس إلى بعده)** أي بعد أبيه زيد وفي الحديث جواز إمارة المولى وتولية الصغير على الكبير والمفضول على الفاضل.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: دخل عَليّ قائف)** قبل نزول الحجاب أو بعده وهي محتجبة والقائف هو الذي يُلحِق الفروع بالأصول بالشبه والعلامات، والمراد به هنا مُجَزِّزٌ بالجيم والزاي المشددة بعدها زاي أخرى بوزن محدث المدلجي **(والنبي ﷺ وسلم شاهد وأسامة بن زيد وزيد بن حارث مضطجعان)** تحت كساءٍ وأقدامهما ظاهرة **(فقال)** القائف وهو مجزز: **(إن هذه الأقدام)** أي أقدام أسامة وأبيه **(بعضها من بعض قال)** الراوي: **(فَسُرَّ بذلك)** بما قاله القائف **(النبي ﷺ وأعجبه)** فإن بعض الناس كان يطعن في نسبه أسامة لزيد لكونه أسود وزيد أبيض وفيه العمل بالقيافة عند الاشتباه لأن النبي ﷺ سُرَّ بذلك ولا يُسَرُّ بباطل، قاله الشافعي وخالف أبو حنيفة وأصحابه لقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء: ٣٦] وعن مالك العمل بذلك في الإماء دون الحرائر.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أن امرأةً)** تسمى فاطمة بنت الأسود **(من بني مخزوم سرقت)** حلياً في غزوة الفتح وقيل قطيفة **(فقالوا: من يكلم النبي ﷺ فيها)** حتى لا يقطع يدها **(فلم يجترىء)** أي يتجاسر **(أحدٌ أنْ يُكَلِّمَهُ في ذلك فكلمه أسامة بن زيدٍ فقال)** عليه الصلاة والسلام له ولغيره: **(إن بني إسرائيل كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه)** فلم يقطعوا يده **(وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه)** وفي نسخةٍ: حذف فيهم **(لو كانت)** أي السارقة **(فاطمة)** بنته ﷺ **(لقطعتُ يدها)** وخص المثل بفاطمة رضي الله تعالى عنها لأنها كانت أعز أهله، وفيه منقبة عظيمة لأسامة.

**(عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أنَّ النبي ﷺ كان يأخذه والحسن)** بن علي ابن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنهما **(فيقول: اللهم أحبهما)** بفتح الهمزة وكسر الحاء

عن حفصة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «إن عبد الله رجل صالح».

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه جلس إلى جنبه غلام في مسجدٍ بالشام وكان قد قال: اللهم يسر لي جليساً صالحاً فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره؟

ـ يعني حذيفة ـ قال بلى قال: أليس فيكم الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ من الشيطان ـ يعني عماراً ـ قال: بلى قال: إليس فيكم صاحب السواك أو السرار؟ قال: بلى قال: كيف كان عبد الله يقرأ ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا

---

وفتح الموحدة المشددة **(فإني أحبهما)** بضم الهمزة والموحدة وهذه منقبة عظيمة لأسامة والحسن.

**(عن حفصة)** أم المؤمنين **(رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال لها)** لما قصَّت عليه رؤيا رآها أخوها وهي أنه رأى ملكين أخذاه فذهبا به إلى النار فجعل يقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقيهما ملك آخر فقال له: لن تُراع فقصها على حفصة فقصتها على النبي ﷺ: **(إن عبد الله)** أخاك **(رجلٌ صالح)** وفي رواية: «نِعْمَ الرجل عبد الله لو كان يصلي بالليل»، قال سالم مولاه: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلاَّ قليلاً وبلغ من العُمُر ستاً وثمانين سنة وقد تقدم الحديث مطولاً في فضل من تعار من الليل.

**(عن أبي الدرداء)** عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي **(رضي الله تعالى عنه أنه جلس إلى جنبه غلام)** اسمه علقمة بن قيس النخعي **(في مسجدِ بالشام وكان قد قال)** ذلك الغلام عند دخول المسجد: **(اللهم يسر لي جليساً صالحاً)** فجلس إلى أبي الدرداء **(فقال أبو الدرداء)** له: **(ممن أنت؟ قال)** الغلام وهو علقمة: **(من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحب السِرِّ الذي لا يعلمه غيره؟)** من معرفة المنافقين باسمائهم، وكان عمر رضي الله تعالى عنه إذا مات أحد تبع حذيفة فإن صلى على جنازته صلى عليها عمر وإلاَّ ترك **(يعني حذيفة)** بن اليمان الأنصاري **(قال)** الغلام: **(بلى، قال)** أبو الدرداء: **(أليس فيكم الذي أجاره الله على لسان نَبِيّه من الشيطان)** أن يُغويه **(يعني عماراً)** بفتح العين وتشديد الميم ابن ياسر أبي اليقظان، أسلم هو وأبوه قديماً وعذباً في الله وهاجر عمار الهجرتين وصلى إلى القبلتين وقتل بصِفِّين سنة سبع وثلاثين **(قال)** الغلام: **(بلى، قال)** أبو الدرداء: **(أليس فيكم صاحب السواك والوسادة)** وفي نسخةٍ: والوساد وفي رواية: أو السرار بالشك وهو بكسر السين بعدها راآن بينهما ألف من السر وقد كان ﷺ لا يحجبه إذا جاء ولا يخفى عنه سره **(قال)** الغلام: **(بلى، قال)** أبو الدرداء: **(كيف كان عبد الله)** بن مسعود **(يقرأ ﴿والليل إذا يغشى والنَّهار إذا تجلَّى﴾ [الليل: ١و٢] قال)** الغلام: **(والذكر والأنثى)**

تجلى﴾ [الليل: ١ ـ ٢] قال ﴿والذكر والأنثى﴾ [الليل: ٣] قال ما زال بي هؤلاء حتى كادوا يستزلوني عن شيء سمعته من رسول الله ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة أمين وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». عن أنسٍ رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي رضي الله عنهما. عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

بحذف وما خلق وبالجر **(قال)** أبو الدرداء: **(ما زال بي هؤلاء)** أي أهل الشام **(حتى كادوا يستنزلوني)** وفي نسخة يستنزلونني بنونين **(عن شيء سمعته من رسول الله ﷺ)** وهو قوله والذكر والأنثى بدون وما خلق، وفي رواية والله: لقد كان أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلي. فيَّ بتشديد الياء قيل إنها نزلت كذلك ثم أنزل ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ [الليل: ٣] فلم يسمعه ابن مسعود ولا أبو الدرداء وسمعه سائر الناس وأثبت في المصحف.

**(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ لكل أمة أميناً)** أي ثقةً رضياً **(وإن أميننا أيتها الأمة)** قال القاضي عياض: هو بالرفع على النداء والأفصح أن يكون منصوباً على الاختصاص وعلى الرغم فالمراد الاختصاص وإن كانت صورته صورة النداء أي أخص هذه الأمة بأن أمينها **(أبو عُبيدة)** بضم العين وفتح الموحدة عامر ابن عبد الله **(بن الجراح)** بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الألف حاء مهملة، قتل الجراح كافراً يوم أحد ويقال: إن ابنه قتله وتُوفي أبو عبيدة وهو أمير على الشام من قبل عمر بن الخطاب بالطاعون سنة ثمانية عشرة، وكان طويلاً نحيفاً أترم الثنيتين لكونه انتزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه رسول الله ﷺ من حلق الدرع بفيه فوقعت ثنيتاه، وهذه الصفة أعني الأمانة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لكن السياق مُشعِرٌ بأن له مزيداً في ذلك، وهكذا إذا خص رسول الله ﷺ أحداً من أجلاء الصحابة بفضيلة أشعر بأن له فيها قدراً زائداً على غيره كوصف عُثمان بالحياءِ وعلياً بالقضاءِ ونحو ذلك.

**(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأيت النبي ﷺ والحسن)** بفتح الحاء **(ابن علي على عاتقه)** بين منكبيه وعنقه، والواو في والحسن للحال **(يقول)** أي على عاتقه حال كونه يقول: **(اللهم إني أحبه فأحِبَّه)** بفتح الهمزة في الأخير وضمها في الأول والباء مضمومة في الأول مفتوحة في الثاني ويجوز ضمها أيضاً. **(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لم يكن أحدٌ أشبهَ بالنبي ﷺ من الحسن بن علي)** بفتح الحاء **(رضي الله عنهما)** ولا يعارض هذا قول علي في صفته ﷺ لم أرَ قبله ولا بعده مثله لأن النفي يحمل على العموم والإثبات على المعظم

وسأله رجلٌ عن المحُرِم يقتل الذباب، فقال: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ: «هما ريحانتاي من الدنيا».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة». وفي رواية «اللهم علمه الكتاب». عن أنسٍ رضي الله عنه أن

---

فالمراد الشبه في بعض الأعضاء وإلاً فتمام حسنه ﷺ منزه عن الشريك كما قال البوصيري:

منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

**(عن ابن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما وسأله)** أي والحال أنه سأله **(رجلٌ)** من أهل العراق كما عند الترمذي **(عن المُحْرِم)** بالحج أو العمرة **(يقتل الذباب)** ماذا يلزمه إذا قتله وهو مُحْرِم **(فقال)** أي ابن عمر متعجباً من كونهم يسألون عن الشيء الحقير ويُفَرِّطون في الشيء الخطير: **(أهل العراق يسألون عن الذباب)** بضم المعجمة والموحدتين بينهما ألف أي ما يلزم المحرم إذا قتله **(وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله وقد قال النبي ﷺ: هما)** أي الحسنان **(رَيحَاني من الدنيا)** بلفظ الإفراد وفي نسخةٍ: «ريحنتاي» بتاء فوقية بعد النون بلفظ التثنية، ووجه الشبه أن الولد يشم ويقبل، وعند الترمذي من حديث أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يدعو الحسن والحسين فيشمهما ويضمهما إليه، وعند الطبراني: «هما ريحانتاي من الدنيا أشمهما». وقوله من الدنيا كقوله ﷺ: «حُبِّبَ إلي من دنياكم الطيب والنساء» أي هما نصيبي منها ثم يحمل أن يكون ابن عمر أجاب السائل عن خصوص ما سأل عنه، لأنه لا يحل له كتمان العلم ويحتمل أنه لم يجبه لعلمه أنه متعنت في سؤاله.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة وفي رواية: اللهم علِّمه الكتاب)** بدل قوله الحكمة، وعند البغوي في معجمه: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»، وعند الضحاك: «علمه تأويل القرآن» ولذا قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: أن ابن عباسٍ أعلم الناس بما أنزل الله على محمد ﷺ، واختلف في الحكمة فقيل هي الإصابة في القول والعمل وقال مالك: هي معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له، وقال الشافعي: هي سنة رسول الله ﷺ لأنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه الحكمة فوجب أن يكون المراد منها شيئاً خارجاً عن الكتاب وليس ذلك إلاً السنة، وقيل: هن الفصل بين الحق والباطل والحكيم هو الذي يُحْكِم الأشياء ويتقنها، وقال مقاتل: تفسير الحكمة في القرآن العظيم على أربعة أوجه: أحدها مواعظ القرآن قال تعالى: ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ٢٣١] يعني الموعظة، وثانيها الفهم والعلم قال تعالى: ﴿وآتيناه

النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة وذكر باقي الحديث وقد تقدم ثم قال: «فأخذها يعني الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: «استقرؤوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبي حذيفة وأُبيٍّ بن كعب ومعاذ بن جبل».

---

الحكمة﴾ [ص: ٢٠]، وثالثها النبوة، ورابعها القرآن بما فيه من عجائب الأسرار قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال ابن عادل: وعند التحقيق ترجع هذه الأمور إلى العلم.

(**عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نعى زيداً**) بن حارثة (**وجعفراً**) أي ابن أبي طالبٍ (**وابن رواحة**) بفتح الراء والواو والمخففة عبد الله أي أخبر الناس بموتهم في غزوة مؤتة قبل أن يأتيهم خبرهم وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أرسل سريةً إليها واستعمل عليهم زيداً وقال: «إن أصيبَ فجعفرٌ فإن أُصيب فابن رواحةً» فخرجوا وهم ثلاثة آلاف فتلاقوا مع الكفار فاقتتلوا فكان كما قال عليه الصلاة والسلام (**وذكر**) البخاري (**باقي الحديث**) وهو أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب (**وقد تقدم**) في الجنائز (**ثم قال**) هنا: (**حتى أخذها يعني الراية سيفٌ من سيوف الله عز وجل وفي الجنائز فأخذها خالد بن الوليد من غير إمرة**) أي من غير تأمير منه ﷺ لكنه رأى المصلحة في ذلك فأخذ الراية (**حتى فتح الله عليهم**) على يده فانحاز بالمسلمين حتى رجعوا سالمين، وفي حديث أبي قتادة ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تَنصُره»، فمن يومئذٍ سمي سيف الله وعند ابن حبان والحاكم عن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صَبَّه على الكفار».

(**عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرؤوا القرآن**) أي اطلبوا قراءته (**من أربعةٍ من عبد الله بن مسعود فبدأ به و**) من (**سالم مولى أبي حذيفة**) أي مولى امرأته تبناه أبو حذيفة لما تزوجها فنسب إليه واسم أبي حذيفة مهشم وقيل هشيم وقيل غير ذلكِ (**و**) من (**أُبيّ بن كعب**) من (**معاذ بن جبل**) وإنما خَصَّ هؤلاء الأربعة لأنَّهم أكثر ضبطاً للفظ القرآن وأتقن تلاوة وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهة وغيرهم اقتصر على أخذ بعضهم من بعض، أو لأنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده من تقدم هؤلاء الأربعة وأنهم أقرأ من غيرهم، وليس المراد أنه لم يجمعه غيرهم فقد جمعه أيضاً في عهده ﷺ أبو الدرداء وزيد

عن عائشة رضي الله عنها أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم ثم ذكر باقي الحديث وقد تقدم في كتاب التيمم.

عن عائشة رضي الله عنهما قالت: كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ

---

ابن ثابت وأبو زيد الأنصاري وسعد بن عبيد وغيرهم كما هو مبسوط في كتب القراءات.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنَّها استعارت من**) أختها (**أسماء قِلادة**) بكسر القاف قيل كان ثمنها اثني عشر درهماً (**فهلكت**) أي ضاعت (**فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها**) وتقدم في التيمم رجلاً وفُسِّر بأسيد بن حضير (**فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء**) لم يُعلم عين تلك الصلاة (**فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك**) الذي وقع لهم من فقد الماء وصلاتهم بغير وضوء (**إليه**) ﷺ (**فنزلت آية التيمم**) التي في سورة المائدة (**ثم ذكر باقي الحديث وقد تقدم في كتاب التيمم**) وهو قول أُسيد بن حُضير لعائشة جزاك الله خيراً فوالله ما نزل بك أمر قط إلاَّ جعل الله لك منه مخرجاً وللمسلمين فيه بركة، وفيه بيان فضل عائشة الصدِّيقة بنت الصديق وكنيتها أم عبد الله بعبد الله بن الزبير ابن أختها. وقولٌ إنها أسقطت من النبي ﷺ سقطاً لم يثبت وولدت في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو نحوها، ومات النبي ﷺ ولها نحو ثمانية عشر عاماً وعاشت بعده قريباً من خمسين عاماً، فأكثر الناس الأخذ عنها ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئاً كثيراً، وقد حفظت عنه ﷺ كثيراً حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها، وقال عروة بن الزبير ما رأيت أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة، وهي أفضل نسائه ﷺ ما عدا خديجة على الصحيح.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كان يوم بُعاث**) بضم الموحدة وتخفيف العين المهملة وبعد الألف مثلثة أو بالغين المعجمة، أو هو تصحيف أو بالوجهين كما حكاه عياض أو بالمعجمة فقط عند بعضهم، غير مصروف للتأنيث والعلمية لأنه اسم بقعة على ميلين من المدينة، وقع فيها حرب بين الأوس والخزرج، وكان سبب ذلك أن من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف فَقَتَلَ رجل من الأوس رجلاً حليفاً للخزرج فأرادوا أن يُقِيِّدُوه أي يأخذوا قوده فامتنعوا فوقع الحرب بينهم لذلك، قيل بقيت الحرب بينهم مائة وعشرين سنة، حتى جاء الإسلام وكان رئيس الأوس حُضيراً أولد أُسيد وكان أيضاً فارسَهم، وقال أبو أحمد العسكري كان يوم بعاثٍ قبل قدومه ﷺ المدينة بخمس سنين، وقُتِل حُضَير وكثير من رؤسائهم وأشرافهم وكان ذلك اليوم (**يوماً قدَّمه الله لرسوله**) وفي نسخةٍ زيادة ﷺ إذ لو كانوا أحياء لاستكبروا عن مبايعته ﷺ ومنع حبِ

فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لولا الهجرة لكنت من الأنصار».

عن البراء رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله».

---

رياستهم عن حُبِ دخول رئيسٍ عليهم **(فقَدِم رسول الله ﷺ)** المدينة **(و)** الحال أنه **(قد افترق ملؤهم)** أي جماعتهم **(وقُتلت)** بضم القاف مبنياً للمفعول **(سَرَوَاتهم)** بفتح السين المهملة والراء والواو خيارهم وأشرافهم **(وجُرِّحوا)** بضم الجيم وتشديد الراء المكسورة بعدها حاء مهملة من الجرح وفي نسخةٍ: وخرجوا بخاء معجمة فراء مفتوحتين فجم من الخروج أي خرجوا من أوطانهم في أخرى بجيمين أي اضطربت أقوالهم من قولهم جرج الخاتم إذا جال في الكف وفي أخرى بفتح المهملة ثم جيم من الحرج وهو ضيق الصدر **(فقدَّمه الله)** بتشديد الدال أي ذلك اليوم **(لرسوله)** في بعض النسخ زيادة ﷺ **(في)** أي لأجل **(دخولهم)** أي الذين تأخروا **(في الإسلام)** فكان قتل من قتل من أشرافهم ممن كان يأنف أن يدخل في الإسلام من مقدمات الخير، وقد كان بقي منهم من هذا النحو عبد الله ابن أبي ابن سلول، وقصته في أنفته وتكبره مشهورة لا تخفى، وقد علمت أن في تعليلية كهي في قوله تعالى: ﴿فذلكنَّ الذي لمتُنَّني فيه﴾ [يوسف: ٣٢] وقوله: ﴿لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾ [النور: ١٤] وفي الحديث: «دخلت امرأة النار في هرة».

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال لولا الهجرة)** أمر ديني وعبادة مأمور بها **(لكنت أمراً من الأنصار)** أي لانتسبت إلى دارهم المدينة أو لتسميت باسمهم وانتسبت إليهم كما كانوا يتناسبون بالحِلف، لكنَّ خصوصية الهجرة سبقت فَمُنِعْتُ من ذلك وهي أعلى وأشرف فلا تتبدل بغيرها، وقيل غير ذلك ومراده بذلك تألفهم واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحداً منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها، وليس المراد الانتقال عن نسب آبائه لأنه يمتنع قطعاً لا سيما ونسبه عليه الصلاة والسلام أشرف الأنساب، وكذا ليس المراد النسب الاعتقادي فإنه لا معنى للانتقال إليه.

**(عن البراء)** بن عازبٍ **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: الأنصار)** الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة وأمهم قيلة بفتح القاف وسكون الياء التحتية، وتسميتهم بذلك إسلامية لا جاهلية **(لا يحبهم)** كلهم **(إلا مؤمن)** أي كامل الإيمان **(ولا يبغضهم)** كلهم من جهة نُصرتهم للرسول عليه الصلاة والسلام **(إلا مُنافق)** وفي مستخرج أبي نعيم من حديث البراء: «من أحبَّ الأنصار فبحبي أحبَّهم، ومن أبغض الأنصار

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين من عرسٍ فقام النبي ﷺ مُمْثَلاً فقال: «اللهم أنتم من أحب الناس إلي» قالها ثلاث مرات.

وعنه رضي الله عنه في رواية قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس

---

فببغضي أبغضهم» وهو يؤيد ما تقرر بقولنا من جهة نصرتهم الخ، والتقييد بكلهم مُخْرِج لمن أبغض بعضهم لمعنًى يسوغ البغض له **(فمن أحبهم أحبه الله)** أي أنعم عليه ورحمه وأراد له الخير **(ومن أبغضهم أبغضه الله)** أي أراد عقابه وشقاوته وإنما خُصُّوا بذلك لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيوائه ﷺ ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، فكان صنعهم لذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين إذ ذاك من عرب وعجم والعداوة تَجُرُّ البُغْضَ وأيضاً ما اختصوا به موجِبٌ للحسد والحسد يجر البغض، فمن ثَمَّ حذر ﷺ من بغضهم ورغب في تحيتهم حتى جعل ذلك من الإيمان والنفاق حيث قال في الرواية الأخرى: «آية الإيمان حُبُّ الأنصار وآية النِفاقُ بغض الأنصار» تنويهاً بفضلهم وهذا جارٍ في بقية الصحابة، فتجب محبتهم لتشييدهم أركان الدين وإن وقع من بعضهم لبعض بغض بسبب الحروب الواقعة بينهم فذاك من غير هذه الجهة بل لما طرأ من المخالفة، ومن ثم لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق وإنما حالهم في ذلك حال المجتهدين في الأحكام للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحد.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأى النبي ﷺ النساء والصبيان مقبلين من عُرس)** بضم العين والراء ويجوز في اللغة إسكان الراء وهو الزفاف، ويقال: طعام الزفاف **(فقام النبي ﷺ مُمْثلاً)** بضم الميم الأولى وإسكان الثانية مع كسر المثلثة وفتحها أي منتصباً قائماً، قال في المصباح: ومَثُلَ بين يديه مُثُولاً من باب قعد انتصب قائماً اهـ وفي نسخةٍ مُمثَّلا بضم الميم الأولى وفتح الثانية وتشديد المثلثة المفتوحة أي مُكَلِّفاً نفسه ذلك وطالباً ذلك منها، وفي رواية مُمْتَنّاً بمثناة فوقية بعد الميم الساكنة الثانية ثم نون مشددة أي مشتداً قوياً يقال: متن الشيء متانة بالضم اشتد وقوي، وقيل معناه قياماً طويلاً أو هو من الإمتنان لأن من قام له عليه الصلاة والسلام فقد امتن عليه بشيء لا أعظم منه، فكأنه قال يمتن عليهم بمحبته ويؤيده قوله **(فقال: اللهم أنتم مِنَ أَحَبَّ الناسِ إلي قالها ثلاث مرات)** وتقديم لفظ اللهم للتبرك أو للاستشهاد بالله على صدقه.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها)** ولم يسم وهو ولا أمه **(فكلَّمَها رسول الله ﷺ)** أي ابتدأها بالكلام تأنيساً لها، أو أجابها عما سألته عنه **(فقال)** النبي ﷺ **(والذي نفسي بيده إنَّكم)** أيها الأنصار **(أحَبَّ الناس إليَّ)** أي من أحبهم فحرف التبعيض مقدر كما دل عليه الحديث السابق فلا

إلي» مرتين. عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قالت الأنصار يا رسول الله لكل نبي أتباع وإنا قد اتبعناك فادع الله أن يجعل أتباعنا منا فدعا به. عن أبي حميد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن خير دور الأنصار» فذكر الحديث وقد تقدم ثم قال: قال: سعد بن عبادة للنبي ﷺ يا رسول الله خير دور الأنصار فجعلنا آخراً فقال أو ليس يحسبكم أن تكونوا من الخيار». عن أُسيد بن حُضَير رضي الله عنه أن رجلاً

---

تعارض بينه وبين قوله أبو بكر في جواب من قال: مَن أَحَبُّ الناسِ إليك قال أبو بكر **(مرتين)** أي قال ذلك القول مرتين.

**(عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال)** وفي نسخة قالت: **(الأنصار: يا رسول الله لكل نبي أتباع)** بفتح الهمزة وسكون الفوقية **(وأنا قد اتبعناك)** بوصل الهمزة وتشديد الفوقية **(فادع الله أن يجعل أتباعنا)** بفتح الهمزة وسكون الفوقية أي حلفاءنا وموالينا **(مِنَّا)** أي متصلين بنا فيقال لهم الأنصار مقتفين آثارنا بإحسان، ليكون لهم ما جعل لنا من العزِّ والشرف ويدخلوا في الوصية بالإحسان لنا وغير ذلك **(فدعا)** عليه الصلاة والسلام **(به)** أي بالذي سألوه فقال: «اللهم اجعل اتباعهم منهم، وفيه التنبيه على شرف صحبة الأخيار وقد صح: «المرء مع من أحب» وتأمل تأثير الصحبة في كل شيء حتى البواشق وهي ذكران الصقور بالصحبة وقعت على أيدي الملوك وحتى الحطب بصحبة النَّجَّار يعتق من النار فعليك بصحبة الأخيار.

**(عن أبي حُمَيد)** الساعدي **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن خير دور الأنصار)** أي منازلهم وكانت كل قبيلة منهم تسكن محلة فسميت تلك المحلة داراً أي خير قبائلهم من باب إطلاق المحل وإرادة الحالّ، أو خيريتها سبب خيرية أهلها **(فذكر)** البخاري **(الحديث)** وهو دار بني النجار ثم بني عبد الأشهل ثم دار بني الحارس ثم بني ساعدة وفي كل دور الأنصار خير **(وقد تقدم)** في كتاب الزكاة **(ثم قال)** البخاري هنا: **(فقال سعد)** هو ابن عبادة[1] **(للنبي ﷺ)** لما قال له بعض أهل قبيلته ألم تر أن نبي الله ﷺ خَيَّرَ الأنصار فجعلنا آخراً في الذكر **(يا رسول الله خُيِّرَ)** بضم الخاء المعجمة مبنياً للمفعول **(دور الأنصار)** برفع دور نائباً عن الفاعل أي فضل بعض قبائلها على بعض **(فجُعِلْنا)** بضم الجيم مبنياً للمفعول مع سكون اللام **(آخراً)** أي في الذكر **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(أوَ لَيس)** بفتح الواو **(بحسبكم)** بموحدة قبل الحاء وسكون السين أي أو ليس بكافيكم **(أن تكونوا من الخِيَار)** جمع خير الذي بمعنى أفعل التفضيل وهو تفضيلهم على سائر القبائل.

**(عن أُسيد بن حُضير)** بضم الهمزة وفتح السين المهملة في الأول وضم الحاء

---

(١) في نسخة الهامش ابن عبادة من المتن اهـ مصححه.

من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلاناً، قال: «ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» وفي رواية عن أنس «وموعدكم الحوض». عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلنا ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله ﷺ: من يَضُم أو يضيف هذا فقال رجلٌ من الأنصار: أنا فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت ما عندنا إلا قوت صبيانٍ فقال: هيئي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها

---

المهملة وفتح الضاد المعجمة في الثاني مصغرين (**رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار**) قيل هو أسيد الراوي (**قال: يا رسول الله ألا تستعملني**) أي ألا تجعلني عاملاً على الصدقة أو على بلدٍ (**كما استعملت فلاناً**) قيل هو عمرو بن العاص (**قال**) عليه الصلاة والسلام: (**ستلقون بعدي أثرة**) بضم الهمزة وسكون المثلثة أو بفتحهما أي استئثاراً لغيركم عليكم أي بأن يستأثر عليكم بأمور الدنيا ويفضل عليكم غيركم قيل إن ذلك وُجِد في زمن معاوية (**فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وفي رواية: عن أنسٍ وموعدكم الحوض**) «الذي ترد عليه أمتي آنيته عدد نجوم السماء» كما في مسلم وهو قبل الصراط على الصحيح وقيل بعده وقيل له حوض قبله وحوض بعده.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رجُلاً**) هو أبو هريرة (**أتى النبيَ ﷺ**) وفي روايةٍ فقال: يا رسول الله أصابني الجَهد (**فبعث إلى نسائه**) أمهات المؤمنين يطلب منهن ما يُضَيِّفه به (**فقلن: ما معنا**) أي ما عندنا (**إلا الماء، فقال النبي**) وفي نسخة رسول الله (ﷺ: **من يضم**) إليه في طعامه (**أو يضِيف**) بكسر الضاد المعجمة وسكون التحتية والشك من الراوي (**هذا**) الرجل (**فقال رجل من الأنصار:**) يا رسول الله (**أنا**) أضيفه (**فانطلق به إلى امرأته فقال**) لها: (**أكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت**) له: (**ما عندنا إلا قوت صبيانٍ**) بالتنوين وفي نسخةٍ صبياني بالياء وفي مسلم فقال رجلٌ من الأنصار يقال له أبو طلحة، وعلى هذا فالمرأة أم سليم والأولاد أنس وإخوته، لكن استبعد الخطيب أن يكون أبو طلحة هذا هو زيد بن سهل عم أنس بن مالك زوج أمه، فقال: هو رجل من الأنصار لم يعرد اسمه ووجهه أن هذا الرجل المَضِيْف ظَهر من حاله أنه كان قليلَ ذات اليد فإنه لم يجد ما يُضَيِّف به إلا قوت أولادِهِ، وأبو طلحة زيد بن سهل كان أكثر أنصاري بالمدينة مالاً وقيل هو ثابت بن قيس وقيل عبد الله بن رواحة (**فقال**) لها: (**هيئي طعامك وأصبحي سراجك**) بهمزة قطع وموحدة بعد الصاد المهملة أي أوقديه وفي نسخة وأصلحي باللام بدل الموحدة (**ونوِّمي صبيانك إذا أرادوا عشاءً**) **قال في** المصابيح: فيه نفوذ فعل الأب على الابن وإن كان منطوياً على ضررٍ إذا كان ذلك من طريقة النظر، وأن القول فيه قول

تصلح سراجها فاطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ فقال ضحك الله الليلة وعجب من فعالكما، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: ٩] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ أبو بكر والعباس رضي الله عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا فدخل على النبي ﷺ فأخبره بذلك قال: فخرج النبي ﷺ وقد عصب على

---

الأب والفعل فعله لأنهم نَوَّموا الصبيان جياعاً إيثاراً لقضاء حق الرسول ﷺ في إجابة دعوته والقيام بحق ضَيْفِه **(فهيَّأت)** زوجة الأنصاري **(طعامها وأصبحت)** بالموحدة أي أوقدت **(سراجها ونوَّمت صبيانها)** بغير عشاءٍ **(ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا)** أي الأنصاري وزوجته **(يريانه)** بضم أوله **(أنهما)** وفي رواية كأنهما **(يأكلان فباتا طاويين)** أي بغير عشاء وأكل الضيف **(فلما أصبح غداً إلى رسول الله)** ضمن جواب لما وهو قوله غدا معنى الإقبال أي لما دخل الصباح أقبل على رسول الله **(ﷺ فقال)** له ﷺ: **(ضحك الله الليلة أو)** قال: **(عجب من فَعالكما)** بفتح الفاء اسم للفعل الحسن كالجود والكرم وقد يستعمل في القبيح وبكسرها إذا كان الفعل بين اثنين بمعنى أنه مصدر فاعل مثل قاتل قتالاً قال في المختار الفَعل بالفتح مصدر فعل يفعل والفِعل بالكسر الاسم والجمع الفعال مثل قدْحٌ وقَداح والفَعَال بالفتح الكرم والفَعال أيضاً مصدر فعل وكانت منه فِعْلة حسنة أو قبيحة اهـ وفي المصباح: فَعَلْتُه فَعْلاً بالفتح فانفعل والاسم الفِعل بالكسر وجمعه فِعال بالكسر أيضاً مثل قَدْحْ وقِدَاحْ والفَعْلة بالفتح المرة والفِعَال مثل سَلاَم الوصف الحسن والقبيح أيضاً فيقال هو قبيح الفَعَال وحسن الفَعَال ويكون مصدراً أيضاً فيقال فَعَلَ فَعَالاً مثل ذَهب ذَهاباً اهـ ونسبة الضحك والتعجب إلى الباري جلَّ وعلا مجازية والمراد بهما الرضى بصنيعهما **(فأنزل الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾)** [الحشر: ٩] أي فاقة وقال في النهاية الخصاصة الجوع والضعف وأصلها الفقر والحاجة إلى الشيء، والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض أي ويؤثرون مفروضة خصاصتهم، والمعنى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

**(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: مرَّ أبو بكر)** الصدِّيق **(والعباس)** بن عبد المطلب **(رضي الله تعالى عنهما بمجلسٍ من مجالس الأنصار)** والنبي ﷺ في مرض موته **(وهم)** أي والحال أنهم **(يبكون، فقال)** العباس أو الصديق لهم **(ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا)** أي الذي كنا نَجلسه معه ونخاف أن يموت ونفقد مجلسه فبكينا لذلك **(فدخل)** العباس وأبو بكر **(على النبي ﷺ فأخبره بذلك)** الذي وقع

رأسه حاشية برد، قال فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة منعطفاً بها على منكبيه عليه عصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولى

---

من الأنصار **(قال)** أنس **(فخرج النبي ﷺ و)** الحال أنه **(قد عَصَب)** بتخفيف الصاد المهملة **(على رأسه حاشية بُرْدٍ)** بضم الموحدة وسكون الراء نوع من الثياب معروف وفي نسخةٍ بُردةٍ بزيادة هاء التأنيث وحاشية نصب مفعول عصب **(قال)** أنس **(فصعِد)** عليه الصلاة والسلام بكسر العين **(المنبر ولم يصعَده)** بفتح العين **(بعد ذلك اليوم فحمِد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي)** بفتح الكاف وكسر الراء والشين المعجمة أي جماعتي **(وعيبتي)** بفتح العين المهملة وسكون التحتية وفتح الموحدة وتاء التأنيث أي موضع سرِّي مأخوذ من عيبة الثياب وهي ما يحفظ فيها، قال القزاز: ضرب المثل بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه والعيبة ما يحوز فيها الرجل نفائس ما عنده يعني أنهم موضع سره وأمانته، وقال ابن دريد: هذا من كلامه ﷺ الموجَز الذي لم يسبق إليه **(وقد قضوا الذي عليهم)** من الإيواء والنصرة له عليه الصلاة والسلام كما بايعوه ليلة العقبة **(وبقي الذي لهم)** وهو دخول الجنة كما وعدهم ﷺ إذا آووه ونصروه **(فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا)** بفتح الواو **(عن مُسيئهم)** وهذا في غير الحدود أمَّا فيها فهم كغيرهم.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ وعليهِ ملحفة)** بكسر الميم وسكون اللام وفتح الحاء المهملة حال كونه **(مُتعطفاً)** بالفوقية الميم المفتوحة وتشديد الطاء وفي نسخة: مُنعطفاً بنون ساكنة أي مرتدياً **(بها على منكبيه)** بفتح الميم وكسر الكاف وفتح الموحدة **(وعليه عصابة)** بكسر العين وقد عصب بها رأسه من وجعها **(دسماء)** بالرفع صفة لعصابة أي سوداء **(حتى جلس على المنبر فحمِد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال)** بعد الثناء: **(أما بعد أيها الناس فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار)** أي الذين آووه ﷺ ونصروه وهذا أمر لا يشركهم فيه غيرهم لأنه قد انقضى زمانه فكلما مضى منهم أحد مضى من غير بدل بخلاف غيرهم فيكثر غيرهم ويقلون **(حتى يكونوا كالمَلْحِ)** بكسر الميم **(في الطعام)** من القلة ووجه الشبه أن الملح بالنسبة إلى جملة الطعام جزءٌ يسير منه وكذلك الأنصار بالنسبة للمهاجرين وأولادهم الذين انتشروا في البلاد وملكوا الأقاليم فمن ثُم قال ﷺ للمهاجرين: **(فمن وَلِيَ منكم)** أيها المهاجرون **(أمراً)** مفعول به **(يضر فيه)** أي

منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم».

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ». عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي. إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ [البينة: ١] قال: وسماني الله قال نعم فبكى.

---

في ذلك الأمر (**أحداً أو ينفعه**) صفة كاشفة لأمراً (**فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم**) مخصوص بغير الحدود كما سبق وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام لأن الموجود الآن ممن ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ممن يتحقق نسبه إليه أضعاف ممن يوجد من قبيلتي الأوس والخزرج ممن يتحقق نسبه إليهم، وقس على ذلك ولا التفات إلى كثرة من يدعي أنه منهم من غير برهان، قاله في الفتح. (**فاقبلوا**) بفتح الموحدة من (**محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**) قال في الفتح: في غير الحدود وحقوق الناس اهـ (**عن جابر**) بن عبد الله الأنصاري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتز العرش**) الرحماني أي تحرك حقيقة (**لموت سعد بن معاذ**) بالذال المعجمة كبير الأوس فرحاً بقدوم رُوحه وخلق الله تعالى فيه تمييزاً إذ لا مانع من ذلك، أو المراد اهتز أهل العرش وهم حملته فحذف المضاف، ويؤيده حديث الحاكم أن جبريل قال: من هذا الميت الذي فُتِحَتْ له أبواب السماء واستبشر به أهلها، أو المراد باهتزازه ارتياحه لروحه واستبشاره بصعودها لكرامته، ومنه قولهم فلان يهتز للمكارم ليس مرادهم اضطراب جسمه وحركته وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها، وقيل جعل الله اهتزاز العرش علامةً للملائكة على موته، أو المراد الكناية عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فتقول أظلمت الأرض لموت فلان وقامت له القيامة، وقيل المراد بالعرش السرير الذي حمل عليه رُدَّ بأنه ورد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ فإضافته إلى الرحمن تقتضي أن المراد به الجسم المخصوص وبأن لا فضيلة في اهتزاز سريره إذ كل سرير يهتز إذا تجاذبته أيدي الرجال، نعم يحتمل أن يراد اهتزاز حملة سريره فرحاً بقدومه على ربه.

(**عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ لأُبَيٍّ**) بضم الهمزة ثم فتح فتشديد ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار واسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري الخزرجي العامري، شهد العقبة وبدراً وكان عمر يقول أُبي سيد المسلمين، وتوفي سنة ثلاثين رضي الله تعالى عنه (**أن الله**) عز وجل (**أَمرني أن أقرأ عليك**) سورة (**لم يكن الذين كفروا**) وفي نسخة زيادة: من أهل الكتاب أي قراءة إبلاغ وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار، وقيل حكمة قراءته عليه تعلم أُبيٍّ ألفاظه وصفة أدائه ومواضع الوقوف وصنيع النغم فإن نغمات القرآن على

عن أنسٍ رضي الله عنه قال جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبي ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت فقيل لأنس: من أبو زيد قال: أحد عمومتي.

عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو

---

أسلوب ألفه الشرع وقرره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره، ولكل ضربٍ من النغم أثر مخصوص في النفوس فكانت القراءة عليه ليعلمه لا ليتعلم منه اهـ **(قال)** أُبيّ: **(وسماني الله)** لك يا رسول الله والمعنى على الاستفهام **(قال)** عليه الصلاة والسلام **(نعم)** سماك لي وعند الطبراني: قال: «نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى» **(قال)** أنس: **(فبكى)** أُبَيّ فرحاً وسروراً وخوفاً أن لا يقوم بشكر النعمة، وإنما استفسره بقوله وسماني لأنه جواز أن يكون أمره أن يقرأ على رجل من أمته غير معين فاختاره هو، وخص هذه السورة بالذكر كما قال القرطبي: لما احتوت عليه من التوحيد والرسالة والإخلاص والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء، وذكر الصلاة والزكاة والمعاد وبيان أهل الجنة والنار مع وجازتها.

**(عن أنس)** الأولى أن يقول فيه وفيما بعده وعنه **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال جَمع القرآن)** أي استظهره حفظاً **(على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أُبي)** هو ابن كعب الخزرجي **(ومعاذ بن جبل)** الخزرجي **(وأبو زيد)** أوس أو ثابت بن زيد أو سعد بن عبيد بن النعمان **(وزيد بن ثابت)** بالمثلثة ابن الضحاك الأنصاري الخزرجي كان أعلم الناس بالفرائض ومن أعلم الصحابة والراسخين في العلم ومن أفكه الناس إذا خلا مع أهله، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة إحدى عشرة سنة وتوفي سنة خمس وأربعين وصلى عليه مروان بن الحكم، **(فقيل لأنسٍ من أبو زيد)** المذكور **(قال)** هو **(أحد عمومتي)** وتقدم الخلاف في اسمه وقيل اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زَعور بفتح الزاي وبالمهملة بالراء ابن حرام بالحاء والراء المهملتين الأنصاري، قال الواقدي: ويرجحه قول أنس أحد عمومتي لأنه أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بالضادين المعجمتين ابن زيد بن حرام فإن قلتَ قد جمع القرآن غيرهم أيضاً، أجيب بأن مفهوم العدد لا ينفي الزائد وخص هؤلاء الأربعة بالذكر، قال النووي: لأنهم تفرغوا لأخذ القرآن عنه ﷺ مشافهة وغيرهم اقتصر على أخذ بعضهم عن بعض، أو أنهم تفرغوا ليُؤْخَذَ عنهم أو أنه ﷺ أخبر بما يكون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من تقدم هؤلاء الأربعة وأنهم أقرأ من غيرهم وقد مر نظير ذلك.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال لما كانَ يوم)** وقعة **(أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة)** زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي اشتهر بكنيته

طلحة بين يدي النبي ﷺ مَحجُوب عليه بحجفة له وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديد القد يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً وكان الرجل يمر ومعه الجعبة من النبل فيقول انثرها لأبي طلحة فأشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك ولقد رأيت

---

وكان زوج أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك، روي أنه لما خطبها قالت: يا أبا طلحة ما مثلك يُرَد لكنك امرؤ كافِرٌ وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهري لا أسألك غيره فأسلم فكان ذلك مهرُها. توفي سنة إحدى وثلاثين أو أربع وثلاثين أو إحدى وخمسين، **(بين يدي النبي ﷺ)** والواو في وأبو طلحة للحال وهو مبتدأ خبره **(مجوب)** بفتح الميم وضم الجيم وسكون الواو وبضم الميم وفتح الجيم وكسر الواو مشددة آخره موحدة فيهما أي مترس **(عليه)** زاده الله شرفاً لديه **(بَحَجَفَةٍ)** بفتح الحاء المهملة والجيم والفاء أي بترس **(له)** من جلد ولا خشب فيه وقوله بحجفة متعلق بقوله مجوب كما لا يخفى **(وكان أبو طلحة رجلاً رامياً)** بالقوس **(شديد القد)** بإضافة شديد إلى القد بكسر القاف وتشديد الدال، وهو سير من جلد لم يدبغ قال في المختار: القد بالكسر سير يُقد من جلد غير مدبوغ اهـ والمراد به هناك وتر القوس أي شديد وتر القوس في النزع والمد قاله الزركشي، ولذا أتبعه بقوله **(فكَسَرَ)** وفي نسخة يَكْسِرُ بتحتية مفتوحة فكاف ساكنة **(يومئذٍ قوسين)** نصب على المفعولية **(أو ثلاثاً)** بالنصب عطفاً عليه أي من شدته وفي نسخة تَكَسَّرَ بفوقية فكاف مفتوحتين وتشديد المهملة المفتوحة على وزن تَفَعَّلَ ليدل على كثرة الكسر يومئذٍ، قوسان رفع فاعل تكسر أو ثلاث رفع أيضاً عطفاً على سابقه، وفي أخرى شديداً بالنصب لقدٌ بلام التأكيد وكلمة قد للتحقيق وهي لا تناسب فكسر بالفاء، قال في الفتح: ورُوي شديد المَدِّ بالميم المفتوحة بدل القاف وتشديد الدال، وقال الكرماني وتبعه البرماوي: وفي بعضها اليَدّ أي بالتحتية بدل القاف **(وكان الرجل يمر)** بأبي طلحة **(ومعه الجعبة)** بفتح الجيم وسكون العين المهملة أي الكنانة مملوءة **(من النبل)** بفتح النون وسكون الموحدة أي السهام، قال في المصباح: الجعبة للنشاب والجمع جِعاب مثل كلبة وكِلاب وجعبات أيضاً مثل سجدات **(فيقول)** النبي ﷺ **(انشرها)** بنون ساكنة فمعجمة مضمومة وفي نسخة انثرها بالمثلثة بدل الشين المعجمة **(لأبي طلحة)** ليرمي بها **(فأشرف النبي)** ﷺ أي اطلع من فوق حال كونه **(ينظر إلى القوم)** وهم يرمون **(فيقول)** له **(أبو طلحة يا نبي الله)** أفديك **(بأبي أنت وأمي لا تُشرف)** بالشين المعجمة والجزم على النهي أي لا تطلع **(يصيبك)** بالرفع أي لا تشرف فإنه يصيبك **(سهم من سهام القوم)** من الأعداء، وفي رواية يُصِبْكَ بالجزم على رأي الكسائي المشهور حيث أجاز: لا تكفرْ تدخلْ النار ولا تَدْنُ من الأسد يأكلْك بالجزم على معنى لا تكفر فإنك إن تكفر تدخل النار، ولا تدن من الأسد فإنك إن تدنُ منه يأكلْك، والجمهور يقدرون فعل

عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى خدم سواقهما تنقزان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة مرتين أو ثلاثاً.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت ﴿وشهد

---

الشرط منفياً فلذلك لا يصح عندهم التركيب المذكور لكن حيث ثبتت الرواية الصحيحة بذلك وكان يصح تخرجها على رأي إمام من أئمة العربية جليل المكانة خرجت عليه، ولا يقطع بخطئها لمخالفتها لمذهب الجمهور خلافاً لبعضهم **(نحري دون نحرك)** قال الكرماني النحر الصدر أي صدري عند صدرك أي أقف ههنا بحيث يكون صدري كالترس لصدرك قال أنس: **(ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكرٍ و)** أمي **(أم سليم)** زوج أبي طلحة رضي الله تعالى عنهم **(وإنهما لمشمرتان)** بكسر الميم مع التثنية أثوابهما **(أرى)** بفتح الهمزة أي أبصر **(خدم سواقهما)** بضم السين جمع ساق مجرور بإضافة خدم إليه وهو بفتح الخاء المعجمة وبالدال المهملة جمع الخدمة وهي الخلخال أو أصل الساق، وكان ذلك قبل نزول الحجاب حال كونهما **(تنقزان القِرَب)** بفتح الفوقية وسكون النون وضم القاف وبعد الزاي ألف فنون أي تثبان وتقفزان من سرعة السير والقرب نصب واعترض بأن تنقز غير متعد وأجاب بعضهم على نزع الخافض أي تثبان بالقرب، وضبطه بعضهم تنقزان بضم حرف المضارعة وكسر القاف من أنقز فعداه بالهمز وعليه فيصح نصب القرب على المفعولية، وفي نسخة تنقلان باللام بدل الزاي وفي المصابيح: أن القرب مفعول باسم فاعل منصوب على الحال محذوف أن تنقزان جاعلين القرب **(على متونهما)** أي ظهورهما **(تفرغانه)** بضم حرف المضارعة أي الماء **(في أفواه القوم)** من المسلمين المقاتلين **(ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانها)** بالتأنيث وفي نسخة تفرغانه **(في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يدي)** بالإفراد وفي نسخةٍ بالتثنية **(أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثاً)** زاد مسلم في روايته: من النعاس، وفي رواية للبخاري في موضعٍ آخر عن أبي طلحة أنه قال: كنت فيمن يغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يديَ مِراراً، يسقط وأخذه ويسقط وآخذه.

**(عن سعد بن أبي وقاص)** أحد العشرة المبشرة بالجنة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد)** وقوله **(يمشي على الأرض)** صفة مؤكدة لأحد كما في قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ [هود: ٦] لمزيد التعميم والإحاطة **(أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام)** استشكل هذا بأنه ﷺ قال لجماعة أنهم من أهل الجنة غير ابن سلام وأجيب بأن التقدير يمشي على الأرض الآن بعد موت العشرة المبشرة ما

شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله﴾ [الأحقاف: ١٠] الآية. عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه رأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فقيل له: إرقه قلت: لا أستطيع فأتاني منصف فرفع ثيابي

---

عدا سعداً المذكور ويدل لذلك رواية: ما سمعت النبي ﷺ يقول لحيٍ يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة، وأجاب النووي بأن سعداً قال ما سمعت ونفي سماعه لذلك لا يدل على نفي البشارة لغيره وإذا اجتمع النفي والإثبات فالإثبات مقدم عليه اهـ وقال الكرماني ما سمعت لم ينف أصل الأخبار لغيره بالجنة **(قال)** سعد بن أبي وقاص **(وفيه)** أي في عبد الله بن سلام **(نزلت هذه الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾)** [الأحقاف: ١٠] كذا قال الجمهور إن الشاهد هو عبد الله بن سلام وعورض بأن ابن سلام إنما أسلم بالمدينة والأحقاف مكيةٍ، وأجيب بأنها مكية إلا قوله وشهد إلى آخر الآيتين ومعنى الآية أخبروني ماذا تقولون إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أيها المشركون وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، والمثل صلة يعني عليه أي على أنه من عند الله فآمن الشاهد واستكبرتم عن الإيمان به، وقيل الشاهد التوراة ومثل الفرقان هو التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر، لأن التوراة مشتملة على البشارة بمحمد ﷺ، والقرآن مصدق للتوراة قيل إن قوله قال وفيه نزلت الخ مدرج من كلام مالك بن أنس، وقيل من جملة الحديث ويدل لذلك حديث الترمذي وابن حبان عن عوف أنها نزلت في عبد الله بن سلام.

**(عن عبد الله بن سَلاَم)** بتخفيف اللام ابن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليفاً لهم من بني قينقاع وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، وكان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ حين أسلم عبد الله، وكانَ إسلامه لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، وفي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «إنه عاشر عشرة في الجنة»، وتوفي سنة ثلاث وأربعين **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتها عليه و)** هي أني **(رأيت كأني في روضة)** هي كما في المصباح الموضع المعجب بالزهر جمعها رياض وروضات بسكون الواو وفي لغةٍ بفتحها، وقال في المختار: الروضة من البقل والعشب وجمعها روض ورياض اهـ **(ذكر)** ابن سلام الراوي **(من سعتها)** بفتح السين **(وخضرتها)** شيئاً عظيماً قلَّ أن يوجد ذلك في المحسوس **(وسطها)** بفتح السين **(عمود من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عُرْوَة)** بضم العين وسكون الراء المهملتين وفتح الواو وهي ما يُستمسك بها كعروة القميص وعروة الكوز أي أذنه، وجمعها عُرًى مثل مُدْيَة ومُدًى **(فقيل له)** وفي نسخةٍ له على الالتفات: **(إرق)** وفي نسخة أرقه بهاء السكت **(فقلت)** وفي نسخة قلت: **(لا**

من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاها فأخذت بالعروة فقيل لي: استمسك فاستيقظت وأنها لفي يدي فقصصتها على النبي ﷺ قال: تلك الروضة روضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة الوثقى فأنت على الإسلام حتى تموت.

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على أحدٍ من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم

---

**أستطيع)** أن أرقه **(فأتاني منصَف)** بكسر الميم وسكون النون وفتح الصاد المهملة بعدها فاء وقيل بفتح الميم وكسر الصاد والأول أشهر أي خادم وفي روايةٍ وَصِيْف مكان مِنصَف، والوَصِيْفُ الخادم الصغير ذكراً كان أو أنثى، قال في المصباح: والوصيف الغلام دون المراهق والوصيفة الجارية كذلك، والجمع وصفاء ووصائف مثل كريم وكرماء وكريمة وكرائم اهـ **(فرفع ثيابي من خلفي فرقيت)** بكسر القاف **(حتى كنت في أعلاها فأخذت بالعروة فقيل له استمسك)** بها **(فاستيقظت)** أي تيقظت من منامي **(و)** الحال **(أنها)** أي العروة **(لفي يدي)** بالإفراد وبالتثنية أي قبل أن أتركها ويحتمل أن المراد أنه استيقظ وهي في يده حقيقة وتكون رؤياه هذه كشفاً كشفها الله تعالى له كرامة له وقدرة الله صالحة لذلك **(فقصصتها على النبي ﷺ فقال)** وفي نسخة قال: **(تلك الروضة روضة الإسلام)** أي جميع ما يتعلق بالدين مثل الروضة **(وذلك)** وفي نسخة: وأما **(العمود)** فهو **(عمود الإسلام)** أي أركانه الخمسة أو كلمة الشهادة وحدها **(وتلك العروة العروة الوثقى)** وفي نسخة: «وتلك العروة الوثقى» أي الإيمان قال تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة: ٢٥٦] أي الثابتة القوية أو المحكمة **(فأنتَ على الإسلام حتى تموت)** ولذا كانت الصحابة إذا رأوه يقولون هذا رجل من أهل الجنة لكنه كان ينكر عليهم ويقول والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لم يعلم تواضعاً منه وإيثاراً للخمول وكراهة للشهرة.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت ما غِرت)** بكسر الغين المعجمة وسكون الراء من الغيرة وهي الحمية والأنفة يقال: رجل غَيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فَعُولاً يشترك فيه المذكّر والمؤنث وما نافية **(على أحدٍ من نساء النبي ﷺ)** وما في قولها **(ما غِرت)** مصدرية أو موصولة أي مثل غَيْرَتي أي مثل التي غرتها **(على خديجة)** بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية أول من أسلم اتفاقاً، وكانت له ﷺ وزير صدق عندما بعث، فكان لا يسمع شيئاً من المشركين يكرهه من ردهم عليه وتكذيبهم له إلا فرّج الله تعالى بها عنه تثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه، واختارها الله تعالى له ﷺ لما أراد بها من كرامته وكانت في الجاهلية تُسمى

يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد». عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام

---

الطاهرة، تزوجها ﷺ وسنة خمس وعشرون سنة في قول الجمهور وكانت قبله عند أبي هالة النباش بن زياد التميمي حليف بني عبد الدار وتُوفِّيَت على الصحيح بعد النبوة بعشر سنين في شهر رمضان فأقامت معه ﷺ خمساً وعشرين سنة **(وما رأيتها)** وقد كانت رؤيتها لها ممكنة لأنه كان لها عند موتها ست سنين فيحمل النفي بقيد اجتماعهما عنده ﷺ **(ولكن)** سبب الغيرة **(كان النبي)** ﷺ **(يكثر ذِكرها)** فكثرة ذكرها تدل على محبته لها لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، وفي روايةٍ: من كثرة ذكره، إياها وثنائه عليها **(وربما ذبح)** عليه الصلاة والسلام **(الشاة ثم يُقطِّعها أعضاءَ ثم يبعثها في صدائِقِ خديجة)** أي أصدقائها بدليل الرواية الأخرى: فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن. أي ما يكفيهن ويشبعهن وهذا أيضاً من أسباب الغيرة لما فيه من الإشعار باستمرار حُبِّه لها حتى كان يتعهد أصدقاءها **(فربما قلت له: كأن)** وفي نسخةٍ كأنه بهاءٍ بعد النون المشددة **(لم يكن في الدُنيا امرأة إلا خَديجة)** وفي نسخةٍ إسقاط امرأة **(فيقول)** عليه الصلاة والسلام: **(إنها كانت وكانت)** كرر مرتين ولم ترد به التثنية ولكن ليتعلق كل مرة من خصائصها ما يدل على فضلها كقوله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] ولم يذكر هنا متعلقه للشهرة تفخيماً وقدروه بنحو كانت فاضلة وكانت عاقلة **(وكان لي منها ولد)** وعند أحمد من طريق مسروق عن عائشة: «آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله تعالى ولدها إذ حرمني أولاد النساء» الحديث وقد كان جميع أولاده عليه الصلاة والسلام منها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أتى جبريل)** عليه الصلاة والسلام **(النبي ﷺ)** وعند الطبراني أنَّ ذلك كان وهو بحراء **(فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت)** أي إليك **(معها إناء فيه إِدام)** بكسر الهمزة **(أو)** قال **(طعام)** وعند الطبراني إنه كان حساء **(أو)** قال **(شراب)** والشك من الراوي **(فإذا هي أتتك فاقرأ)** بهمزة وصل وفتح الراء **(عليها السلام من ربها)** جلَّ وعلا **(ومني)** وهذا لعمر الله خاصة لم تكن لسواها، زاد الطبراني فقالت: هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام. وزاد النسائي من حديث أنس: وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته. فجعلت مكان رد السلام على الله تعالى الثناء عليه تعالى، ثم غايرت بين ما يليق بالله وبين ما يليق بغيره، وهذا يدل على

من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال: اللهم هالة قالت: فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها؟. عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند بنت عتبة

---

وفور فهمها كما لا يخفى **(وبشِّرْها ببيت في الجنة من قصب)** أي لؤلؤ مجوف كما في الكبير للطبراني وفي الأوسط من القصب المنظوم بالدُّرِّ واللؤلؤ والياقوتِ الأحمر **(لا صَخَبَ)** بالصاد المهملة والخاء المعجمة والموحدة المفتوحة أي لا صياح فيه **(ولا نصب)** بفتح النون والصاد أي تعب، نفى عنه ما في بيوت الدنيا من آفة جلبة الأصوات وتعب تهيئتها وإصلاحها، والحكمة في نفي هاتين الصفتين كما قاله السهيلي أنه ﷺ لما دعا إلى الإيمان أجابت خديجة طوعاً فلم تحوجه إلى رفع الصوت من غير منازعة ولا تعب، بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها، وصورة حالها رضي الله تعالى عنها.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: استأذنت هالة بنت خويلد)** زوج الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، والد أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبي ﷺ **(أخت خديجة)** بنت خويلد **(على رسول الله ﷺ)** في الدخول عليه بالمدينة وكانت قد هاجرت إلى المدينة، ويحتمل أن تكون دخلت عليه بمكة حيث كانت عائشة معه في بعض أسفاره **(فَعَرف استئذان خديجة)** أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها فتذكر خديجة بذلك **(فارتاع)** بفوقية أي فزع **(لذلك)** والمراد لازمه أي تغير، قال في الفتح: ووقع في بعض الروايات فارتاح بالحاء المهملة أي اهتز لذلك سروراً **(فقال اللهم)** اجعلها **(هالة)** نصب على المفعولية ويجوز الرفع بتقدير هذه هالة وفي نسخة: هالةً بفتح ثم نصب منوناً **(قالت)** عائشة: **(فِغِرْتُ فقلت: ما)**أي أي شيءٍ **(تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين)** بجر حمراء، وجوز أبو البقاء الرفع على القطع والنصب على الحال وهو تأنيث أحمر، والشدق بكسر الشين وفتحها جانب الفم وجمع المفتوح شدوق كفِلس وفلوس، والمكسورَ أشداق كحَمْل وأحمال وصفتها بالدَرَدِ وهو سقوط الأسنان من الكبر فلم يبق بشدقيها بياض إلا حمرة الشفتين **(هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها)** في حديث عائشة من طريق ابن نجيح عند أحمد والطبراني قالت عائشة: فقلت: قد أبدلك الله بكبيرة السن حديثةَ السن، فغضب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير. وهذا يريد قول السفاقسي أن في سكوته عليه الصلاة والسلام على ذلك دليلاً على فضل عائشة على خديجة إلا أن يكون المراد بالخيرية هنا حسن الصورة وصِغَر السنّ.

فقالت: يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك، قال: وأيضاً والذي نفسي بيده وباقي الحديث قد تقدم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى

---

**(عن عائشة)** الأولى أن يقول وعنها رضي الله تعالى عنها أنها **(قالت: جاءت هند)** بالصرف وعدمه **(بنت عتبة)** بن ربيعة بن عبد شمس القرشية العبشمية والدة معاوية بن أبي سفيان أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان وأقرها ﷺ على نِكاحها، وكانت امرأة ذات أَنَفَةٍ ورأي وعقل وشهدت أحداً كافرة فلما قُتِل حمزة مَثَّلَتْ به وشقت كبده فلاكتها فلم تطق وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصدِّيق وهي القائلة للنبي ﷺ لما شرط على النساء في المبايعة ولا يسرقن ولا يزنين: وهل تزني الحرة، رضي الله تعالى عنها **(فقالت)** وفي نسخة قالت: **(يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض من أهل خِبَاءٍ أحبُّ إليَّ أن يَذِلوا)** بفتح التحتية وكسر المعجمة **(من أهل خبائك)** بكسر الخاء المعجمة وفتح الموحدة مع المد خيمة من وبر أو صوف ثم أطلقت على البيت كيف كان **(ثم ما أصبح اليوم عليَّ ظهر الأرض أهل خباءٍ أحبُّ)** بالنصب وروي بالرفع **(إلى أن يعزو)** بلفظ الجمع وفي نسخة بالإفراد **(من أهل خِبائك قال)** النبي ﷺ: **(وأيضاً)** ستزيدين من ذلك ويتمكن الإيمان في قلبك فيزيد حبك لرسول الله ﷺ ويقوى رجوعك عن بغضه **(والذي نفسي بيده وباقي الحديث تقدم)** في النفقات وهو أنها قالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مِسِّيك فهل عليَّ حرج من أن أطعم من الذي له عيالنا؟ قال: لا أراه إلا بالمعروف.

**(عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو)** بفتح العين وسكون الميم **(ابن نُفيل)** بضم النون وفتح الفاء ابن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وبالياء التحتية بن عبد الله بن قُرط بضم القاف بن رزاح بفتح الراء والزاي بعدها حاء مهملة ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي العَدوي والد سعيد ابن زيد أحد العشرة وابن عَمِّ عمر بن الخطاب يجتمع معه في نفيل **(بأسفل بَلْدَح)** بفتح الموحدة وسكون اللام وفتح الدال وآخره حاء مهملتين وادٍ قُبيل مكة من جهة المغرب، مكان في طريق التنعيم وقيل وادٍ، فيه الصرف وعدمه **(قبل أن ينزل)** بفتح أوله وروي بضمه **(على النبي ﷺ الوحي، فقدمت إلى النبيِّ ﷺ سُفرة)** بضم السين مرفوع نائب عن الفاعل، قال ابن الأثير: السفرة طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يُحْمَل في جلد مستدير، فنقل اسم الطعام إلى الجلد وسمي به كما سميت المزادة راوية وغير ذلك من الأسماء

أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيد بن عمر وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له. وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا من كان

---

المنقولة (**فأبى زيدٌ**) بن عمرو بن نفيل (**أن يأكل منها ثم قال زيد**) مخاطباً للذين قدَّموا السفرة: (**إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم**) جمع نصب بالمهملة وضمتين وهي أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام (**ولا آكل إلاَّ مما ذُكِر اسم الله عليه**) أي لم يذبح على اسم الأصنام واستشكل بأن النبي ﷺ كان أولى بذلك من زيد، وأجيب بأنه ليس في الحديث أنه ﷺ أكل منها، وعلى تقدير كونه ﷺ أكل منها فيحتمل أنه كان قبل تحريمها، وزيد إنما فعل ذلك برأيٍ رآه لا بشرع بلغه وإنما كان عند أهل الجاهلية بقايا من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في شرعه تحريم الميتة لا تحريم ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه، وتحريم ما لم يذكر اسم الله عليه إنما نزل في الإسلام، والأصح أن الأشياء قبل الشرع لا توصف بِحِلّ ولا حُرمة، قاله السهيلي. واستُضْعِف بأن الظاهر أنه كأن في شرع إبراهيم عليه الصلاة والسلام تحريم ما ذبح لغير الله تعالى لأنه كان عدو الأصنام، وأجاب ابن بطال بأن السفرة كانت لقريش فقدموها للنبي ﷺ فأبى أن يأكل منها، وقدمها النبي ﷺ لزيد بن عمرو فأبى أن يأكل منها، وتعقبه في الفتح فقال هو محتمل لكن لا أدري من أين له هذا الجزم بذلك فإني لم أقف عليه في رواية أحد، وقال الخطابي: كان النبي ﷺ لا يأكل مما يذبحون للأصنام ويأكل مما عدا ذلك وإن كانوا لا يذكرون اسم الله تعالى عليه اهـ وظاهره أن المراد بذكر الله تعالى التسمية وليس كذلك كما مَرَّ (**وأن**) بفتح الهمزة عطف على أن النبي إلخ (**زيد بن عمرو**) المذكور (**كان يَعِيبُ**) بفتح أوله (**على قريش ذبائحهم**) التي يذبحونها لغير الله تعالى (**ويقول لهم الشاة خلقها الله تعالى وأنزل لها من السماء الماء**) لتشربه (**وأنبت لها من الأرض**) الكلأ لتأكله (**ثم تذبحونها على غير اسم الله**) تعالى (**إنكاراً لذلك**) الفعل (**وإعظاماً له**) ونصب إنكاراً على أنه مفعول لأجله وإعظاماً عطف عليه روى البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد خرج زيد بن عمرو وورقة يطلبان الدِّين حتى أتيا الشام فتنصَّر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهباً فعرض عليه النصرانية فامتنع الحديث، وفيه قال سعيد بن زيد فسألت أنا وعمر رسول الله ﷺ عن زيد فقال غفر الله تعالى له ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم، قيل إنه مات قبل المبعث بخمس سنين عند بناء قريش الكعبة، وقيل إنه كان بالشام فبلغه مخرج النبي ﷺ فأقبل يريده فقُتِل في الطريق رحمه الله تعالى.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قالا ألا**) بالتخفيف للاستفتاح (**من كان حالفاً**) أي من أراد أن يحلف (**فلا يحلف**) بالجزم (**إلاَّ بالله**) أي كوالله وكرب العالمين

حالفاً فلا يحلف إلا بالله»، فكانت قريش تحلف بآبائها فقال: «لا تحلفوا بآبائكم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل

---

والحي الذي لا يموت ومن نفسي بيده، أو بصفته الذاتية كعظمته وعزته وكبريائه وكلامه لا بغيره، لأن الحَلِفَ يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصةً به تعالى فلا يضاهى به غيره **(وكان قريش تحلف بآبائها)** بأن يقول الواحد منهم وأبي أفعل هذا أو وأبي لا أفعل هذا أو وحق أبي أو وتُربة أبي **(فقال)** لهم ﷺ **(لا تحلفوا بأبائكم)** لأنه من أيمان الجاهلية والحَلِف بذلك مكروه.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر)** من إطلاق الكلمة على الكلام وهو مجاز مهمل عند النحويين مستعمل عند المتكلمين، وهو من باب تسمية الشيء باسم جزئه على سبيل التوسع ولمسلم من طريق شعبة عن عبد الملك: «أنَّ أصدق بيت» وله أيضاً: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب» **(كلمة لَبِيْد)** بفتح اللام وكسر الموحدة بن رَبِيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن الجعفري العامري، من فحول الشعراء مخضرم أي أدرك الجاهلية والإسلام وَفَدَ على رسول الله ﷺ سنةً وَفَد قومُه بنو جعفرٍ فأسلم وحسن إسلامه وأنشدت عائشة رضي الله تعالى عنها قوله:

ذهـب الـذيـن يـعـاش فـي أكـنـافـهـم     وبـقـيـت فـي خَـلَـفٍ كـجـلـد الأجـرب

فقالت: يرحم الله لبيداً كيف لو أدرك زماننا هذا **(ألا)** بالتخفيف استفتاحية **(كل شيءٍ)** مبتدأ مضاف للنكرة وهو يفيد استغراق أفرادها نحو كل نفس ذائقة الموت **(ما خلا الله)** نصب بخلاً وخبر المبتدأ قوله: **(باطلٌ)** بالتنوين أي فإن أي كل شيءٍ سِوَى الله تعالى جائز عليه الفناء لذاته، ولا يحتاج لزيادة قولنا وصفاته لأنها ليست غيراً كما أنها ليست عيناً وبقية البيت.

وكـــل نـــعـــيـــم لا مـــحـــالـــة زائـــل

وهو من قصيدة من بحر الطويل وجملتها عشرةُ أبياتٍ وقال له عمر بن الخطاب: أنشدني شيئاً من شعرك فقال: ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمني الله تعالى البقرة وآل عمران، وتُوفي بالكوفة في إمارة الوليد بن عقبة عليها في خلافة عثمان عن مائة وأربعين سنة وقيل وسبع وخمسين سنة وهو القائل:

ولـقـد سـئـمـت مـن الـحـيـاة وطـولـهـا     وسـؤال هـذا الـنـاس كـيـف لـبـيـد

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم».

---

**(وكاد أُمَيَّة)** بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التحتية **(ابن أبي الصلت)** بفتح الصاد وسكون اللام بعدها فوقية واسمه ربيعة بن عوف الثقفي أي قارب **(أن يُسلِم)** بضم التحتية وسكون السين المهملة وكسر اللام وفي نسخةٍ يسلم بالرفع أي في شعره ففي حديث مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفْتُ النبيَّ ﷺ فقال: «هل معك من شعر أميَّة؟ قلت: نعم فأنشدته مائة بيت، فقال: لقد كاد يسلم في شعره». وكان أمية يتعبد في الجاهلية ويؤمن بالبعث وأدرك الإسلام ولم يسلم وقيل: إنه دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد.

# باب مبعث النبي ﷺ

محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة

---

## باب مبعث النبي ﷺ

مصدر ميمي مِن البعث وهو الإرسال (**محمد بن عبد الله**) الذي تكلمت فيه الخصال المحمودة، وهو اسم مفعول على الصفة على سبيل التفاؤل أنه سيكثر حَمدهُ وسائر أوصافه عليه الصلاة والسلام راجعة إليه وتوفي أبوه بعد شهرين من حمله، أو وهو في المهد أو وهو ابن شهرين والأول أشهر (**ابن عبد المطلب**) اسمه شيبة الحمد لأنه وُلِدَ وفي رأسه شيبةٌ ولُقِّب بِعبد المطَّلب لأن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيئة بذة أي رثة فكان يُسأل عنه فيقول: هو عبدي حياءً من أن يقول ابن أخي وعاش مائة وأربعين سنة (**ابن هاشم**) واسمه عمرو وقيل له هاشم لأنه هشم الثريد بمكة لقومه في زمن المجاعة (**ابن عبد مناف**) بفتح الميم وتخفيف النون (**ابن قصي**) بضم القاف تصغير قَصي أي بعيد، لأنه بَعُدَ عن عشيرته في بلاد قضاعة حتى احتملته أمه، وصُغِّر على فُعَيل لأنهم كرهوا اجتماع يا آت فحذفوا إحداهن وهي الثانية التي تكون في فَعيل فيبقى على وزن فُعيل مثل فُلَيس واسمه مجمع وقال الشافعي: يزيد (**ابن كِلاَبْ**) بكسر الكاف وتخفيف اللام لقب بذلك لمحبته الصيد وكان أكثر صيده بالكلاب، قاله المهلب وغيره واسمه حكيم أو عروة (**بن مرة**) منقول من اسم الحنظلة قاله السهيلي (**ابن كعب**) وهو أول من جمع يوم العروبة وكان فصيحاً خطيباً قيل وسُمِي كعباً لستره على قومه ولين جانبه لهم منقول من كعب القدم وقيل لارتفاعه على قومه وشرفه فيهم (**ابن لؤي**) بالهمزة في الأكثر تصغير اللائي وهو الثور الوحشي (**ابن غالب**) بالمعجمة وكسر اللام (**ابن فِهر**) بكسر الفاء وسكون الهاء وهو من الحجارة الطويل أو الأملس، قيل واسمه قريش فهو أبو قريش ومن لم يكن من ولده فليس بقُرَشي، وقال آخرون: أصل قريش النضر محتجين بحديث الأشعث بن قيس الكِنْدي قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وَفْدِ كِنْدَة فقلت: ألستم مِنَّا يا رسول الله؟ قال: «لا نحن بنو النضر بن كِنانة لا تدنوا منا ولا ننتفي من أبينا» قال الأشعث والله لا أسمع أحداً نفي قريشاً من النضر بن كنانة إلاَّ جلدته وقيل فِهر اسمه

ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن مزار بن معد بن عدنان. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين، ثم توفى ﷺ.

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد سئل عن أشد ما صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه

---

وقريش لقبه، وقيل أمه سَمَّتهُ قريشاً وسماه أبوه فِهراً **(بن مالك بن النَّضِر)** بفتح النون وسكون الضاد المعجمة سمي بذلك لوَضَاءَتِه وجماله وإشراق وجهه **(ابن كنانة)** سُمي باسم وعاء السهام **(ابن خزيمة)** بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين مُصغراً **(ابن مُدرِكة)** بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر الراء **(ابن إلياس)** بكسر الهمزة وسكون اللام إفعال من قولهم أليس للشجاع الذي لا يفر، قاله ابن الأنباري. وقال غيره: هو بهمزة وصل وهو ضد الرجاء **(ابن مضر)** بضم الميم وفتح الضاد المعجمة قيل سُمي به لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر أي الحامض أو لأنه كان يمضر القلوب بحسنه وجماله **(ابن نزار)** بكسر النون وفتح الزاي وبعد الألف راء من النزر وهو القليل لأنه كان فريد قومه **(ابن مَعَدّ)** بفتح الميم والعين وتشديد الدال **(ابن عدنان)** بوزن فعلان من العدن وهو الإقامة، روي أبو جعفر بن حبيب في تاريخه المُجيز من حديث ابن عباس قال: كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلا تذكروهم إلاَّ بخير. وروى الزبير بن بكار من وجه آخر مرفوعاً: «لا تسبوا مضر ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين»، وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد بن المسيب وقد اقتصر البخاري من هذا النسب الشريف على عدنان لما وقع من الاختلاف فيمن بين عدنان وبين إبراهيم الخليل وفيمن بين إبراهيم وآدم وأخرج الترمذي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان، وقالت عائشة: ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان إلى ما وراء قحطان، وقال ابن جريج عن القاسم بن أبي مرة عن عكرمة أضلت نزار نسبتها من عدنان.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: أُنزل على النبي ﷺ)** الوحي **(وهو ابن أربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة)** بعد الوحي منها مدة الفترة والرؤيا الصالحة في النوم **(ثم أُمر)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم تُوفِّيَ ﷺ)** عن ثلاث وستين سنة على الصحيح.

**(عن ابن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما وقد سُئل عن أشد ما صنعه المشركون بالنبي ﷺ قال: بينما)** وفي نسخةٍ بينا بغير ميم **(النبي ﷺ يُصلّي في حجر الكعبة)** بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم **(إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط)** بضم العين من

ودفعه عن النبي ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ﴿ربي الله﴾ الآية.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد سئل من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: إنه آذنت بهم شجرة. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ الإداوة لوضوئه وحاجته قد تقدم وزاد في هذه الرواية قوله ﷺ: «إنه أتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً».

---

عقبة والميم من معيط وقتل عقبة كافراً بعد بدر **(فوضع ثوبه)** أي ثوب النبي ﷺ ولعله رداءه **(في عنقه)** المكرم **(فخنقه)** به **(خنقاً)** بسكون النون **(شديداً فأقبل أبو بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه **(حتى أخذ بمنكبه)** بفتح الميم وكسر الكاف أي بمنكب عقبة **(ودفعه عن النبي ﷺ وقال)** عند دفعه: **(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله الآية)** أي لأن يقول قيل وقت أن يقول، والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر، لكن اعترض بعضهم هذا بأن تقدير هذا الوقت لا يجوز إلاّ مع المصدر المصرح به تقول جئتك صياح الديك أي وقت صياحه، ولو قلت أجيئك إن صاح أو أن يصيح لم يصح كما نص عليه النحويون، وهذا الاستفهام على سبيل الإنكار لأنه ما زاد على أن قال ربي الله وقد جاءنا بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة.

**(عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وقد سئل من آذن)** بالمد أي من أَعلم **(النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال)** ابن مسعود: **(إنه آذنت)** بالمد أي أعلمت **(بهم شجرة)** وفي مسند إسحاق بن راهويه سَمُرة بدل قوله شجرة قيل إن النبي ﷺ رآهم وظاهر القرآن أنه لم يرهم واختُلِفَ فيهم فقيل هم رهط زوبعة وأصحابه، وقيل كانوا سبعة ثلاثة من أرض نجران وأربعة من أهل نَصِّيْبِيْن قرية باليمن غير التي بالعراق الآتية، وقيل إن الذين أتوه بمكة جِنَ نَصِّيْبِيْن والذين أتوه بنخلة جن نِيْنَوى، وقال عِكرمة كانوا اثني عشر ألفاً من جزيرة الموصل.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يحمل مع النبي ﷺ الإداوة)** بكسر الهمزة إناء صغير من جلد يتخذ للماء وفي نسخة إداوةً **(لوضوئه وحاجته)** فبينما هو يتبعه بها فقال: من هذا فقال أنا أبو هريرة قال: ائتني أحجاراً أستنفض بها ولا تأتني بعظم ولا روثة فأتيته بأحجارٍ أحملها في طرف ثوبي حتى وضعتها إلى جنبه ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت ما بال العظم والروثة؟ قال: «هما من طعام الجن» **(قد تقدم)** هذا في كتاب الطهارة **(وزاد في هذه الرواية وأنه أتاني وَفْدُ جِن نَصِّيبِيْن)** بفتح النون وكسر الصاد المهملة بعدها تحتيتان ساكنتان بينهما موحدة مكسورة آخره نون بلدة مشهورة بالجزيرة، وقال السفاقسي: بالشام، وقال في الفتح: وفيه تَجَوُّز فإن الجزيرة بين الشام

عن أم خالد بنت خالد رضي الله عنها قالت: قدمت من الحبشة وأنا جويرية فكساني رسول الله ﷺ خميصة لها أعلام، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده ويقول: «سناه سناه».

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه

---

والعراق (**وَنِعْمَ الجِنُّ فسألوني الزاد**) يحتمل أن يكون في هذه الليلة أو فيما مضى (**فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلاً وجدوا عليها طعاماً**) وفي نسخة طُعماً بضم الطاء وسكون العين من غير ألف والذي يتحصل من الأخبار أنَّ وِفادة الجِنَّ عليه عليه الصلاة والسلام مرات: ببطن نخلة وهو يقرأ القرآن، فلما سمعوه قالوا: انصتوا وكانوا سبعة أحدهم زوبعة، وبالحجون وأخرى ببقيع الغرقد وفي هذه الليالي حضر ابن مسعود وخَطَّ عليه، وخارج المدينة وحضرها الزبير بن العوام وفي بعض أسفاره حضرها بلال بن الحارث.

(**عن أم خالد**) اسمها أمة بفتح الهمزة والميم المخففة وبالهاء وخالد هو ابنها ابن الزبير بن العوام (**بنت خالد**) أي ابن سعيد بن العاص أنها (**قالت: قَدِمت من الحبشة وأنا جويرية فكساني رسول الله ﷺ خَميصة**) بفتح الخاء المعجمة وبالصاد المهملة كساء من خز (**لها أعلام فجعل رسول الله ﷺ يمسح الأعلام بيده**) الكريمة (**ويقول سناه سناه**) مرتين أي هذا الثوب حسن حسن.

(**عن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك**) أبي طالب أي أي شيء دفعته عنه (**فإنه**) وفي نسخة فوالله (**كان يحوطك**) أي يصونك ويحفظك ويذب عنك (**ويغضب لك**) أي لأجلك (**قال**) عليه الصلاة والسلام: (**هو في ضَحْضَاح**) بفتح الضادين المعجمتين وحاءين مهملتين أولهما ساكنة يبلغ كعبه (**من نار**) وأصله مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين وأستعير للنار (**ولولا أنا**) شفعت فيه (**لكان في الدرك الأسفل من النار**) أي أقصى قعرها، وقال ابن مسعود: الدَرْك الأسفل توابيت من حديد مقفلة في النار، وقال أبو هريرة، بيت يقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم.

(**عن أبي سعيد**) سعد بن مالك بن سنان (**الخدري**) بالدال المهملة (**رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ وذُكر**) بضم الذال المعجمة وكسر الكاف (**عنده عمه**) أبو طالب

فقال: «لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه».

## حديث الإسراء والمعراج

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما

---

**(فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضَحْضَاح من النار)** بضادين معجمتين مفتوحتين بينهما حاء مهملة، وهو مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ثم أستعير النار **(يبلغ كعبيه يغلي)** بفتح التحتية وسكون المعجمة وكسر اللام **(منه دماغه)** بكسر الدال واحد الأدمغة كسلاح وأسلحة وفي رواية: «أم دماغه» أي أصلها وفي أخرى: «يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه»، قال السهيلي من باب النظر في حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان معه ﷺ بجملته متحزباً له إلاَّ أنه كان متثبتاً بقدميه على ملة عبد المطلب حين قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسُلِّط العذاب على قدميه خاصة لتثبته إياهما على ملة آبائه.

## حديث الإسراء والمعراج

الإسراء هو السير ليلاً يقال أسرى وسرى بمعنى واحد قال في المختار وسرى يسري سُرى بالضم وأسرى أيضاً أي سار ليلاً وبالألف والياء لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بهما قال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿والليل إذا يسر﴾ [الفجر: ٤] اهـ وفي المصباح سرَيْتُ الليل وسرَيْت به سِرياً والاسم السِراية إذا قطعته بالسير وأسريت بالألف لغة حجازية ويتعدى الثلاثي بالهمزة والباء فيقال: أسريت زيداً وسريت به ويتعدى الرباعي بالباء فيقال أسريت به اهـ وبهذا يندفع قول السهيلي. إن سرى لازمٌ وأسرى متعدٍ وإن حَذْفَ مفعوله للدلالة عليه والمعراج بكسر الميم مِفْعال من العروج وهو الصعود بأنه آلة له، وقال في الصحاح: عرج في الدرجة والسلم يعرج عروجاً أي ارتقى، والمِعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع معارج ومعاريج مثل مفاتح ومفاتيح اهـ وسميت بليلة المعراج لصعود النبي ﷺ فيها، والجمهور على وقوع الإسراء والمعراج معاً في ليلةٍ واحدة في اليقظة بجسده المكرم ﷺ، وقيل وقع ذلك مرتين مرة في المنام تَوطئة وتمهيداً ومرة في اليقظة وذهب الأكثرون إلى أنه كان في ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وقيل كان في رجب وعن الزهري أنه كان بعد البعث بخمْس سنِين ورجحه القرطبي والنووي، وعند أبي شيبة من حديث جابر وابن عباس قالا: وُلِد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وفيه بعث وفيه عرج به إلى السماء وفيه مات.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ**

كذبني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه. عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: «بينما أنا في الحطيم وربما قال: في الحجر مضطجعا إذا أتاني آت فقد قال وسمعته يقول فشق ما بين هذه إلى هذه ـ قال الراوي من ثغرة نحره إلى شعرته ـ فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهبٍ مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم

---

**يقول لما كذَّبني)** بتشديد الذال المعجمة وفي نسخة كذبتني بتاء التأنيث بعد الموحدة **(قريش)** أي لما أخبرهم أنه جاء بيت المقدس في ليلة واحدة ورجع **(قمت في الحجر)** بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم **(فجلا الله)** بالجيم وتخفيف اللام أو تشديدها أي كشف **(لي بيت المقدس)** بأن أزال الحجاب بيني وبينه **(فطفقت)** بكسر الفاء وسكون القاف أي شرعت وجعلت **(أخبرهم عن آياته)** أي علاماته **(وأنا أنظر إليه)** وفي حديث ابن عباس: «فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وُضِعَ عند دار عقيل فَنَعَتُّه وأنا أنظر إليه». رواه البزار وفي الدلائل للبيهقي من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن أبي سلمة قال: افتتن ناسٌ يعني عقب الإسراء فجاء ناس لأبي بكر فذكروا له فقال: أشهد أنه صادق فقالوا: أَوَ تصدقه أنه أتى الشام في ليلةٍ واحدة ثم رجع إلى مكة قال: نعم أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء، قال: فسمي بذلك الصدِّيق.

**(عن مالك بن صَعصَعة)** بفتح الصادين المهملتين وسكون العين المهملة الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أن نبي الله)** وفي نسخة رسول الله **(ﷺ حدَّثهم)** أي الصحابة **(عن ليلة أسري به)** فيها بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(فقال: بينما)** بالميم **(أنا)** كائن **(في الحطيم)** أي الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم **(وربما قال: في الحجر)** أي بدل الحطيم والشك من الراوي وفي رواية بينا أنا عند البيت وهي أعم **(مضطجعاً)** نصب على الحال **(إذا أتاني آت)** هو جبريل عليه السلام **(فَقَدَّ)** بالفاء والقاف والدال المهملة المشددة المفتوحات أي شق طولاً **(قال: وسمعته)** ظاهره أن ضمير قال لمالك وضمير سمعته للنبي ﷺ وليس كذلك بل الأوّل لقتادة والثاني لأنس الراويين عن مالك المذكور كما يعلم من كلام الأصل **(يقول: فشقَّ ما بين هذه إلى هذه، قال الراوي)** عن أنس وهو قتادة **(يعني)** أنس باسم الإشارة **(من ثُغرة نحره)** بمثلثة مضمومة وسكون المعجمة بعدها الموضع المنخفض بين الترقوتين **(إلى شعرته)** بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة عانته أو منبت شعرها **(فاستخرج قلبي ثم أُتيت)** بضم الهمزة **(بطست)** بفتح الطاء وسكون السين المهملة **(من ذهب)** قبل تحريم استعماله أو يقال المستعمل له الملائكة وهم غير مكلفين أو أن ما وقع في تلك الليلة ملحق بأيام الآخرة **(مملوءة)** بالتأنيث على لفظ الطست لأنها مؤنثة وبالجر على الصفة **(إيماناً)** نصب على التمييز وملؤه بذلك حقيقة وتجسيد المعاني جائز كتمثيل الموت كبشاً أو هو مجاز من باب التمثيل كما مثلت له

حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ـ قال: الراوي: وهو البراق ـ يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد

---

الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالحسي **(فغسل)** بضم الغين أي غسل جبريل **(قلبي)** وفي روايةٍ بماء زمزم لأنه أفضل المياه وفيه تقوية القلب **(ثم حُشِيَ)** بضم المهملة وكسر المعجمة إيماناً وحكمة وفي رواية: «ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه» **(ثم أعيد)** موضعه من الصدر المقدس وإنما أُتى بالطست لأنه أشهر آلات الغسل عرفاً وكان من ذهب لأنه أعلى الأواني الحسية وأصفاها وحكمة الغسل ليقوى القلب على استحلاء الأسماء الحسنى والثبوت في المقام الأسنى وقد وقع شق صدره الشريف عليه الصلاة والسلام أربع مرات: الأولى عند حليمة لنزع العلقة التي قيل له عندها هذه حظ الشيطان منك، ولذا نشأ على أكمل الأحوال من العصمة، والثانية وهو ابن عشر كما ذكره ابن حجر الهيتمي والشيخ علي الأجهوري في قصة الإسراء، والثالثة عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء لزيادة الكرامة وليتلقى الوحي بقلبٍ قوي على أكمل الأحوال من التقديس، والرابعة ليلة الإسراء وروي خامسةً ولم تثبت عند المحدثين ليكون لكل طَوْرٍ من أطواره كمال يخصه، وقد أنكر القاضي عياض رحمه الله تعالى شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان وهو صغير في بني سعد عند مرضعته حليمة، وتعقبوه بأن ذلك وقع ليلة الإسراء أيضاً كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، وما يتوهم من أن ذلك محال لما فيه من شق البطن وإخراج القلب المؤديين إلى الموت لا محالة مردود بأنه قد وقع له في ذلك من الخوارق ما يدهش المسامع فسبيلنا الإيمان به والتسليم من غير أن يتكلف إلى التوفيق بين المنقول والمعقول، ونحن بحمد الله تعالى لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في خبر الصادق إلاّ في الأمر المحال على القدرة **(ثم أتيت)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(بدابةٍ دون البغل وفوق الحمار أبيض)** اللون والتذكير للركوب وعند الثعلبي بسند ضعيف من حديث ابن عباس: «لها خد كخد الإنسان عُرْفٌ كعرف الفَرس وقوائمٌ كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وكان صدرها ياقوتة حمراء». **(قال الراوي: وهو البراق يضع خَطْوه)** بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة **(عند أقصى طرفه)** بفتح المهملة وسكون الراء بعدها فاء أي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره، وهو يدل على أنه كان يمشي على وجه الأرض وروى ابن سعد عن الواقدي بأسانيده: «له جناحان» ولعله يشعر بأنه يطير بين السماء والأرض **(فحملت عليه)** بضم الحاء مبنياً للمفعول **(فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا)** فيه حذف صرَّح به البيهقي في دلائله من حديث أبي سعيد ولفظه: «فإذا بدابة كالبغل يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلي، فركبته الحديث. قال: ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصليت

قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من

---

ثم أتيت بالمعراج. وعند ابن إسحاق: «ولم أر قط شيئاً أحسن منه وهو الذي يَمُدُّ إليه الميت عينيه إذا احتضر» وفي رواية كعب: «فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل»، وفي شرف المصطفى لابن سعد أنه منضد باللؤلؤ عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة، وعند ابن أبي حاتم من رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس. «فلم ألبث إلاَّ يسيراً حتى اجتمع ناسٌ كثير ثم أذَّن مؤذن فأقيمت الصلاة» ـ أي أمر بالتهيؤ والقيام لها وإن لم يكن بالكلمات المخصوصة ـ «فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم» ولا ينافي ذلك رواية فتدافعوا أي دفع كل صاحبه للتقدم حتى قدموا محمداً لأن نسبة التقديم إليهم في ذلك مجاز عن رضاهم بفعل جبريل وسرورهم به، وعند أحمد من حديث ابن عباس: فلما أتى النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه، والظاهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كانت قبل العروج ثم عُرِج به إلى السماء الدنيا **(فاستفتح جبريل)** أي طلب الفتح بالقرع لا بالصوت **(فقيل)** وفي نسخة قيل: **(من هذا)** الذي يقرع الباب؟ **(قال جبريل قيل)** وفي نسخة: قال، أي خازن السماء وعند البيهقي فانطلق بي جبريل إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له إسماعيل، تحت يده اثنا عشر ألف ملك، وفي معراج الغيطي: أنه يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض إلاَّ يوم موت النبي ﷺ وبين يديه سبعون ألف ملك، جنده مائة ألف ملك اهـ وكون مسكنه الهواء لا ينافي كونه موكلاً بباب السماء والقائل: من هذا؟ هو أو بعض أعوانه، **(ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟)** أي للعروج به والمعنى على الاستفهام **(قال)** جبريل: **(نعم)** أرسل إليه **(قيل: مرحباً به)** أي أصاب رحباً وسعة وكنى بذلك الانشراح، واستنبط منه ابن المنير ردَّ السلام بغير لفظ السلام، وتُعُقِّب بأن ذلك ليس رداً للسلام لأنه كان قبل فتح الباب **(فَنِعْمَ المجيء جاء)** قال ابن مالك: فيه حذف الموصول أو الموصوف استغناء عنه بالصلة أو الصفة والتقدير: فنعم المجيء الذي جاء، أو فَنِعْمَ المجيء مجيءٌ جاء، وفاعل نِعْمَ هو المجيء والمخصوص بالمدح هو الموصول أو الموصوف، ولا يخفى ما في ذلك من التكلف حيث أسند المجيء إلى نفسه بالأولى أن يجعل المخصوص بالمدح محذوفاً ففي الكلام تقديم وتأخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه أو التقدير: فنعم المجيء هو، ثم استأنف فقال: جاء أي الخازن **(ففتح)** الباب **(فلما خلصت)** بفتح اللام أي وصلت **(فإذا فيها آدم فقال)** له جبريل: **(هذا أبوك آدم فسلِّم عليه)** لأن المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل منه **(فسلمت عليه فردَّ عليَّ السلام ثم قال)** له آدم: **(مرحباً بالابن الصالح**

هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي صالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فلسمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح فلما

---

**والنبي الصالح ثم صعد بي)** جبريل **(حتى أتى السماء الثانية فاستفتح)** جبريل بابها **(فقيل)** وفي نسخةٍ: قيل: **(من هذا)** الذي يقرع الباب؟ **(قال: جبريل قيل ومن معك؟ قال)** جبريل: **(محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال)** جبريل **(نعم)** أرسل إليه **(قيل: مرحباً به فنعم المجيء)** الذي **(جاء)** أو نعم المجيء مجيءُ جاء على ما مرَّ **(ففتح)** الخازن الباب **(فلما خلصت إذا بيحيى)** بن زكريا **(وعيسى)** ابن مريم **(وهما ابنا الخالة)** لأن أم يحيى أشياع بنت ناقوذ بالذال المعجمة أخت حنة بالحاء المهملة والنون المشددة بنت ناقوذ أم مريم وذلك أن عمران بن ماثان تزوج حنة وزكريا تزوج أيشاع فولدت أيشاع يحيى وولدت حنة مريم فتكون أيشاع خالة مريم وحنة خالة يحيى فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار، وليس عمران هذا أبا موسى لأن بينهما فيما قيل ألف وثمانمائة سنة وفي نسخةٍ ابنا خالةٍ قال النووي نقلاً عن الأزهري: أنه يقال: ابنا خالة ولا يقال: ابنا عمة ويقال ابنا عم ولا يقال ابنا خال إذ لا يكون شخصان كل منهما ابن عمة الآخر إلاَّ في ندور كما لا يكون شخصان كل منهما ابن خال الآخر إلاَّ في ندور أيضاً **(قال)** جبريل عليه السلام: **(هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما فسلمتُ)** عليهما **(فردا)** عليَّ السلام **(ثم قالا)** لي: **(مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد)** جبريل **(بي إلى السماء الثالثة فاستفتح)** جبريل الباب **(فقيل)** له وفي نسخة قيل: **(من هذا)** الذي استفتح؟ **(قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال)** جبريل: معي **(محمد قيل: وقد أرسل إليه؟)** للعروج به **(قال: نعم قيل: مرحباً به فَنِعْم المجيء)** الذي **(جاء ففُتح)** بضم الفاء الثانية مبنياً للمفعول أي لنا **(فلما خلصت إذا يوسف قلت: من هذا؟ قال: يوسف فسلِّم عليه فسلمت عليه فردَّ)** عليَّ السلام **(ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي)** جبريل **(حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح)** جبريل **(قيل)** له: **(من هذا؟ قال: جبريل قيل)** وفي نسخة قال: **(ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم)** أرسل إليه **(قيل: مرحباً به**

خلصت إذا إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل من معك؟ قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد عليه ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي، ثم

---

**فنعم المجيء**) الذي (**جاء ففُتح**) بضم الفاء الثانية مبنياً للمفعول أي لنا (**فلما خلصت إذا**) وفي نسخة فإذا (**إدريس، قال**) جبريل: (**هذا إدريس فسلِّم عليه فسلمت عليه**) وفي نسخة إسقاط عليه (**فردَّ**) علي السلام (**ثم قال**) لي: (**مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح**) فيه رد على النسابة في قولهم: إن إدريس جد نوح وإلاّ لقال والابن الصالح كما قال آدم (**ثم صعد**) جبريل (**بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح**) جبريل (**قيل**) له: (**من هذا**) الذي استفتح (**قال: جبريل قيل**) وفي نسخة قال: (**ومن معك؟ قال**) جبريل: (**محمد**) وفي نسخةٍ: ﷺ (**قيل وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فَنِعْمَ المجيء جاء، فلما خلصت فإذا هرون قال: هذا هرون فسلِّم عليه فسلمت عليه فردَّ**) عليَّ السلام (**ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي**) جبريل (**حتى أتى السماء السادسة فاستفتح**) جبريل (**قيل: من هذا» قال: جبريل قيل: ومن**) وفي نسخة قال: من (**معك؟ قال:**) معي (**محمد قيل: وقد**) وفي نسخة قد بإسقاط الواو (**أرسل إليه؟ قال: نعم قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى**) قال في المصابيح: إن الفاء فيه وفي فإذا إبراهيم زائدة (**قال**) جبريل (**هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فردَّ**) عليَّ السلام (**ثم قال**) لي: (**مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت**) بالجيم والزاي أي موسى (**بكى قيل**) وفي نسخة فقيل له وفي نسخة قال: (**له وما يبكيك**) يا موسى (**قال أبكي لأن غلاماً بُعِث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر من**) وفي نسخة: ممن (**يدخلها من أمتي**) وليس بكاؤه حسداً حاشاه الله تعالى بل كان أسفاً على ما فاته من الأجر المترتب عليه رفع درجته بسبب ما حصل له من كثرة مخالفة أمته المخالفة المفضية لتنقيص أجورهم المستلزم ذلك لنقص أجره لأن لكل نبي مثل أجر جميع من اتبعه، ومراده بقوله غلام أنه صغير السن بالنسبة إليه وقد أنعم الله تعالى عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره (**ثم**

صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام فقال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قِلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة. وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع إلى البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من

---

صَعد) جبريل **(بي إلى السماء السابعة فاستفتح قيل مَن هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم)** الخليل عليه السلام **(قال)** جبريل **(هذا أبوك)** إبراهيم **(فسلم عليه فسلمت)** عليه **(فردَّ)** عليَّ السلام **(وقال)** وفي نسخة فقال: وفي أخرى قال: **(مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح)** وقد استشكل كون الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم بالأرض، وأجيب بأن أرواحهم تشكلت في صورة أجسادهم أو حضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً **(ثم رُفِعتُ إلى سدرة المنتهى)** التي ينتهي إليها ما يعرج من الأرض فيقبض منها وما يهبط من فوق فيقبض منها ورفعت بضم الراء وكسر الفاء وفتح العين وتسكين الفوقية وإلى جار ومجرور وسدرة بالرفع نائب فاعل وضبطه بعضهم بسكون العين وضم الفوقية وإلى الجارة وسدرة جُرَّ بها، وجمع بين الروايتين بأنه رفع إليها وظهرت له كل الظهور حتى اطلع عليها كل الاطلاع، **(فإذا نبقها)** بكسر الموحدة ثمر السدر **(مثل قلال)** بكسر القاف **(هَجَر)** بفتح الهاء والجيم اسم بلدٍ لا ينصرف للعلمية والتأنيث، ومراده أن ثمرها في الكبر كالجرار التي تصنع بها وكانت معروفة عند المخاطبين فلذا وقع التمثيل بها، وفي نسخةٍ: «الهَجَر» بالتعريف **(وإذا وَرَقها مثل آذان الفِيَلة)** بكسر الفاء وفتح التحتية، جمع فيل، قال في المصباح: الفيل معروف والجمع أفيال وفيول وفيلة مثل عنبة اهـ ويعلم منه أن ضبط الزركشي له بفتح الفاء والياء سهو **(قال)** لي جبريل: **(هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار)** تخرج من أصلها **(نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا)** المذكور من الأنهار **(يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة)** ويجريان من أصل سدرة المنتهى. ثم يسيران حيث شاء الله تعالى ثم ينزلان إلى الأرض ثم يسيران فيها وقال مقاتل الباطنان السلسبيل والكوثر **(وأما الظاهران فالنِّيل)** نهر مصر **(والفُرات)** بالمثناة الفوقية خطاً ووقفاً لا بالهاء نهر بغداد **(ثُمّ رُفِع إليَّ البيت المعمور فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك)** زاد في

عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بم أمرت قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فوضع عني عشراً، فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع

---

رواية: «إذا خرجوا لم يعودوا» **(ثم أُتيت بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ وإناءٍ من عسلٍ فأخذت اللبنَ)** فشربت منه **(فقال)** جبريل: **(هي الفطرة)** ملة الإسلام **(التي عليها أنت وأمتك)** وسمي اللبن فِطرةً لأنه يفطر جوف الرضيع أي يشقه إذ هو أول شيء يفتح له فمه، والفُطور الشقوق وفي روايةٍ: «ولو أخذت الخَمرَ غوت أمتك» وعند البيهقي عن أنسٍ: «ولو شربت الماء غرقت أمتك»، وفي مسلم إن إتيانه بالآنية كان ببيت المقدس قبل المعراج، ويحتمل أن الآنية عُرِضت عليه مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس ومرة عند وصوله إلى سدرة المنتهى **(ثم فرضت)** بالبناء للمفعول **(على الصلاة)** بالإفراد وفي نسخة الصلوات بالجمع **(خمسين صلاة كل يوم وليلة)** وفي الرواية السابقة: «ثمَّ عُرِجَ بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريف الأقّلام، ففرض الله تعالى على أمتي خمسين صلاة» **(فرجعت فمررت على موسى فقال: بِمَ)** وفي نسخة بما بزيادة ألف **(أُمرت؟)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول قال عليه الصلاة والسلام **(قلت)** له: **(أمِرت بخمسين صلاة كل يوم وليلة، قال)** موسى: **(إن أمتك لا تستطيع)** أن تصلي **(خمسين صلاة كل يوم)** وليلة **(وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك)** أي إلى محلِّ مناجاته **(فاسأله التخفيف لأمتك)** قال عليه الصلاة والسلام: **(فرجعت)** إلى ربي **(فوضع عني عشراً)** من الخمسين **(فرجعت إلى موسى)** فأخبرته **(فقال مثله)** أي أن أمتك لا تستطيع **(فرجعت فوضع عني عشراً)** من الأربعين **(فرجعت إلى موسى فقال: مثله فرجعت فوضع عني عشراً)** من الثلاثين **(فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات)** بالإضافة وفي نسخة بعشر بالتنوين **(كل يوم)** وليلة **(فرجعت)** إلى موسى وفي نسخة إسقاط فرجعت **(فقال)** موسى **(مثله، فرجعت وأمرت بخمس صلوات كل يوم)** وليلةٍ **(فرجعت إلى موسى، فقال: بِمَ)** وفي نسخة بما بالألف بعد الميم **(أمرت؟ قلت بخمس صلوات كل يوم قال)** موسى **(إن أمتك لا تستطيع خمس**

خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قلت: سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم؛ قال: فلما جاوزت ناداني منادٍ أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وقد تقدم حديث الإسراء أنس في أول كتاب الصلاة وفي كل واحد منهما ما ليس في الآخر. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس قال: والشجرة الملعونة في القرآن هي شحرة الزقوم.

---

**صلوات كل يوم)** وليلة **(وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك)** قال عليه الصلاة والسلام: **(قلت)** له وفي نسخة فقلت له: **(سألت ربي حتى استحييت فلا أرجع)** فإني إن رجعت صرت غير راضٍ ولا مُسَلِّم **(ولكن)** وفي نسخةٍ ولكني **(أرضى وأُسَلِّم)** قال عليه الصلاة والسلام: **(فلما جاوزت)** موسى **(ناداني)** وفي نسخة نادى **(منادٍ أمضيت فريضتي)** أي تعلقت إرداتي بهذا القدر الذي فرضته فلا أنقص عنه **(وخففت عِن عبادي)** وهذا من أقوى ما يستدل به على أنه كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة كما قال في الفتح **(وقد تقدم حديث الإسراء عن أنس في أول كتاب الصلاة وفي كل واحدِ منهما)** أي من الحديثين **(ما ليس في الآخر)** فلذا رواه عنه في الموضعين.

(**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في)** تفسير **(قوله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] قال هي رؤيا عين أُرِيَها النبي)** وفي نسخة رسول الله **(ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس)** تمسك بهذا من قال إن الإسراء كان في المنام لأن الرؤيا اسم لما يكون في المنام وإضافة الرؤيا إلى العين للاحتراز عن رؤيا القلب، ومن قال كان في اليقظة فسَّرَ الرؤيا بالرؤية وهذا هو الراجح، إذ لو كان الإسراء مناماً ما كذَّبته قريش فيه وإذا كان ذلك في اليقظة وكان المعراج في تلك الليلة لزم أن يكون في اليقظة أيضاً، إذ لم يقل أحد أنه نام لما وصل إلى بيت المقدس ثم عُرِج به وهو نائم وإنما كان في اليقظة **(قال)** ابن عباس أيضاً: **(والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم)** واختاره ابن جرير قال: لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة، فإن قلت ليس في القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم أجيب بأن المعنى والشجرة الملعونة آكلوها وهم الكفار فإنه قال: ﴿فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ [الصافات: ٦٦] فوصفت بلعن آكليها على المجاز ولأن العرب تقول: لكل طعام مكروه وضار ملعون، ولأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوُعِكْت فتمزق شعري فوفر جُمَيْمَة فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإن لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتني إليهن فاصلحن من شأني فلم يُرَ عني إلا رسول الله ﷺ ضحى فأسلمتني إليه وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين.

---

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: تزوجني)** أي عقدة عَليَّ **(النبي ﷺ وأنا بنت سِتِّ سنين فَقَدِمنا المدينة)** أنا وأمي أم رومان وأختي أسماء بعد النبي ﷺ وأبي بكر **(فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج)** وفي نسخة ابن خزرج **(فوُعِكت)** بضم الواو وسكون الكاف أي حممت **(فتمزق)** بالزاي أي انقطع وفي نسخة تمرَّق بالراء المشددة أي انتتف **(شعري فوَفَر)** بتخفيف الفاء أي كثر وفيه حذف تقديره ثم نصلت من الوعك فتر بي شعري فكثر **(جُمَيْمَة)** بضم الجيم وفتح الميمين بينهما تحتية ساكنة مصغر جمة بضم الجيم وهي ما سقط من شعر الرأس تحت المنكبين فإذا كان إلى شحمة الأذنين سمي وفرة وجميمة بالرفع على الفاعلية وروي بالنصب بمحذوف أي فصار جميمة **(فأتتني أمي أم رومان)** زينب الفراسية **(وإني لفي أرجوحة)** بضم الهمزة وسكون الراء وضم الجيم وبعد الجيم حاء مهملة نوع من لعب الصغار وهي حبل يشد في كل من طرفيه خشبة فيجلس واحد على طرف وآخر على الآخر ويحركان فيميل أحدهما بالآخر، قال في المصباح: والأرجوحة أفعولة بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان وهو بأن يوضع وسط خشبة على تلٍّ ويقعد غلمان على طرفيها والجمع أراجيح والمرجوحة بضم الميم لغة فيها ومنعها في البارع انتهى **(ومعي صواحب لي)** يغير تنوين **(فصرخت بي فأتيتها لا)** وفي نسخةٍ ما **(أدري ما تريد بي)** وفي نسخةٍ مني **(فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج)** بالنون والجيم مع فتح الهمزة والهاء وبضم الهمزة وكسر الهاء أي أتنفس نفساً عالياً متتابعاً من الإعياء قال في المختار: النهج بفتحتين تتابع النفس وبابه طَرِبَ **(حتى سكن بعض نفسي)** بفتح الفاء **(ثم أخذَتْ شيئاً من ماءٍ فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار)** لم يعرف أسماؤهن **(في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر)** أي خير حظ ونصيب، قال النووي في شرح مسلم: الطائر الحظ يطلق على الخطة من الخير والشر، والمراد هنا على أفضل خطة وبركة اهـ **(فأسلمتني إليهنَّ فأصلحن من شأني فلم يَرُعني)** بفتح التحتية وضم الراء وسكون العين المهملة أي فلم يفجأني **(إلاّ رسول الله ﷺ)** قد دخل علي **(ضحىً)** على غير علم **(فأسلمتني)** النسوة الأنصاريات **(إليه)** وعند أحمد: **توقفت بي على الباب حتى سكنت**

وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: أريتك في المنام مريتن أرى أنك في سرقة من حرير ويقال هذه امرأتك، فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول إن يك هذا من عند الله يمضه.

## هجرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة

عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قالت: لم أعقل أبوي قط إلا وهما

---

نفسي الحديث وفيه: فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير وعنده رجالٌ ونساء من الأنصار فأجلستني في حجره ثم قالت: تولَّ يا رسول الله بارك الله لك فيهم فوثب الرجال والنساء وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا **(وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين)** وكان ذلك في شوال من السنة الأولى أو الثانية وقولها في حديث أحمد: وبنى بي يرد قول الجوهري في الصحاح: العامة تقول: بنى بأهله وهو خطأ وإنما يقال: بنى على أهله وذلك لأن الأصل فيه أن الداخل بأهله كان يضرب عليه قبةً ليلة الدخول ثم قيل لكل داخل بأهله بانٍ.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال لها: أُرِيتُك)** بضم الهمزة **(في المنام مرتين)** وفي رواية ثلاث مراتٍ **(أرى)** بفتح الهمزة والراء **(أنك)** بكسر الكاف **(في سَرَقةٍ)** بفتح السين المهملة والراء والقاف أي في قطعة **(من حرير)** والمراد أنه رأى صورتها **(ويقال)** وفي نسخة ويقول أي جبريل **(هذه امرأتك فاكشف)** بهمزة وصل والجزم فعل أمر **(عنها)** أي عن وجهها وفي نسخة فأكشف كشف بهمزة قطع والرفع فعل مضارع **(فإذا هي أنت)** وفي رواية: «فإذا أنت» هي أي مثل هذه الصورة التي رأيتها في المنام وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كقوله كنت أن العقرب أشد لدغة من الزنبور فإذا هو هي أي فإذا الزنبور مثل العقرب، فحذف الأداة مبالغة في حصول التشابه **(فأقول إن يكن هذا من قبل الله يمضه)** بضم أوله قال في شرح المشكاة: هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الأمر المدل بصحته تقديراً لوقوع الجزاء وتحققه، ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره: إن كنت سلطاناً انتقمت منك، أي السلطنة مقتضية للانتقام، وقيل وجه ذلك التردد في أنها هي رؤيا وحي على ظاهرها وحقيقتها أو رؤيا وحي لها تعبير وأما قول بعضهم إن وجه ذلك التردد هل هي زوجته في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط فبعيد لما رواه ابن حبان في آخر الحديث هي زوجته في الدنيا والآخرة، وكذا قول بعضهم يحتمل أن ذلك قبل البعثة لأن ظاهرها قوله فإذا هي أنت يشعرُ أنه كان قد رآها وعرفها قبل ذلك والواقع أنها ولدت قبل البعثة.

## هجرة النبي ﷺ

بإذن الله تعالى في ذلك بقوله تعالى: ﴿وقل رب أدخلني مُدخل صِدق﴾ [الإسراء: ٨٠] بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً **(وأصحابه)** أبي بكر وعامر بن فُهيرة

يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد لقيه ابن الدُّغُنَّة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر فقال: أبو بكر

---

وصاحبين له من مكة **(إلى المدينة)** وقد كان هاجر بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم وغيره، وذلك أنه ﷺ كان يعرض نفسه على القبائل كل موسم فلقي عند العقبة بمنىً ست نفر من الخزرج فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا فقالوا إنا تركنا قومنا وبينهم حروب فندعوهم إلى ما دعوتنا إليه فلعل الله تعالى أن يجمعهم بك، فإذا اجتمعت كلمتهم عليك وتبعوك فلا أحد أعزَّ منك، وانصرفوا إلى المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها ذِكر رسول الله ﷺ فَلَمَّا كان من العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً منهم خمسة من الستة الأول فبايعوه عند العقبة على بيعة النساء، وبعث معهم ﷺ ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يعلم من أسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام، فأسلم على يد مصعب خلق كثير من الأنصار، ثم خرج جماعة كثيرة ممن أسلم من الأنصار يريدون لقاءه ﷺ في جملة قوم كفار منهم، فوافوا مكة فواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق فبايعوه عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم ونساءهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه، وكان المبايعون تلك الليلة سبعين رجلاً وامرأتين.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها زوج النبي ﷺ)** أنها **(قالت: لم أعقل أبوي)** بكسر القاف وتشديد ياء أبويَّ أي أبا بكر وأم رومان **(قط إلاّ وهما يدينان الدين)** بكسر الدال أي دين الإسلام **(ولم يمرَّ علينا يوم إلاّ يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشيةً فلما ابْتَلَى المسلمون)** بأذى الكفار من قريش بحصرهم بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب وأذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة **(خرج أبو بكر)** رضي الله تعالى عنه حال كونه **(مهاجراً نحو أرض الحبشة)** يلحق من سبقه من المسلمين ممن هاجر إليها **(حتى بلغ)** ولأبي ذر حتى إذا بلغ **(برك الغماد)** بفتح الموحدة وحُكي كسرها وسكون الراء بعدها كاف والغماد بكسر الغين المعجمة، وحكي ضمها وتخفيف الميم وبعد الألف دال مهملة، موضع على خمسة أميال من مكة إلى جهة اليمن وهناك موضع آخر باليمن أوله بالكسر لكن آخره راء مهملة، وهو عند بئر برهوت الذي يقال إن أرواح الكفار تكون فيها **(لقيه ابن الدُّغُنَّة)** بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة وتخفيف النون ورُوي بفتح الغين وروي بضم الدال وبضمها والغين وتشديد النون ونسبت هذه لكن بزيادة أداة التعريف لأهل اللغة، والأولى للرواة وهو اسم أمه واسمه الحارث بن يزيد وليس هو ربيعة بن رفيع خلافاً لمن وهم **(وهو سيد القارة)** بالقاف وتخفيف الراء قبيلة مشهورة من بني الهون بالضم والتخفيف ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر **(فقال)**

أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة: فإن مثلك لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنالك جارٍ ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشيةً في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرجِ مثله ولا يخرج أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكَلَّ ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا: لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا

---

له: (**أين تريد يا أبا بكر؟ فقال**) له (**أبو بكر: أخرجني قومي**) أي تسببت قريش في إخراجي (**فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي**) بهمزة مفتوحة فسين مكسورة وحاء مهملتين بينهما تحتية ساكنة ولم يذكر له وجه مقصده لأنه كان كافراً (**فقال له ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرُج**) بفتح أوله وضم ثالثه من الخروج (**ولا يُخرَج**) بضم ثم فتح من الإخراج (**إنك**) وفي نسخة: أنت (**تَكسب المعدوم**) بفتح تاء تكسب أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك وفي نسخة: المعدّم بضم أوله وكسر الدال من غير واو (**وتصل الرَّحم**) أي القرابة (**وتحمل الكلَّ**) بفتح الكاف وتشديد اللام أي الذي لا يستقل بأمره أو الثقيل أي صاحب الأثقال أي الأحمال (**وَتقري الضيف**) بفتح الفوقية من الثلاثي (**وتُعين على نوائب الحق**) أي حوادثه فوصفه بمثل ما وصفت خديجة النبي ﷺ به وهو يدل على اشتهار أبي بكر بالصفات البالغة من أنواع الكمال (**فأنا لك جارٌ**) أي مجير أمنع من يؤذيك (**ارجع**) وفي نسخة فارجع (**واعبد ربك ببلدك**) أي مكة (**فرجع**) أبو بكر (**وارتحل معه ابن الدغنة**) لمكة (**فطاف ابن الدغنة عشيةً في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرُج مثله**) من وطنه باختياره على نية الإقامة بغيره مع ما فيه من المنافِع المتعدية لأهل بلده (**ولا يُخرَج**) بضم أوله وفتح ثالثه أي لا يخرجه أحد بغير اختياره لما أذكره (**أَتُخرِجون رجلاً**) استفهام إنكاري (**يَكسب المعدوم**) وفي نسخة المعدم (**ويَصِلُ الرحم ويحمل الكَلَّ ويَقري الضيف ويُعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة**) بكسر الجيم أي لم ترد عليه قوله في جوار أبي بكر فأطلق التكذيب وأراد لازمه فإن من كذبك فقد ردَّ قولك (**وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد**) عطف على محذوف تقديره مر أبا بكر لا يتعرض إلى شيء وليبعد من جاء إليه فليعبد (**ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك**) الذي يقرؤه ويتعبد به (**ولا يَستَعِلنُ به**) بل يخفيه (**فإنا نخشى أن يفتن**) بكسر التاء بذلك (**نساءَنا وأبناءَنا فقال ذلك**) القول الذي قالوه (**ابن الدغنة لأبي بكر**

يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكرٍ فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكّاءَ لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن الصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربَّه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان، قالت

---

**فلبث أبو بكر بذلك)** أي مكث على ما شرطوه عليه **(يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره)** قال الحافظ ابن حجر: ولم يقع لي تعيين قدر زمان المدة التي أقام فيها أبو بكر على ذلك **(ثم بدا لأبي بكر)** أي ظهر له رأيٌ غير الرأي الأول **(فابتنى مسجداً بفِناء داره)** بكسر الفاء والمد أي أمامها **(وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن)** كله أو بعضه **(فينقذف)** بتحتية مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة فذال معجمة مكسورة بعدها فاء وروي فيتقذَّف بالتاء الفوقية بدل النون وتشديد المعجمة المفتوحة بوزن يتفعل أي يتدافعون على أبي بكر فيقذف بعضهم بعضاً فيتساقطون عليه، وروي فيتقصَّف بالصاد المهملة أي يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر، قال الخطابي: وهو المحفوظ يُروى فينْقَصِف بنون ساكنة بدل الفوقية وكسر الصاد أي يسقط **(عليه نساء المشركين وأبناؤهم فيعجبون)** وفي نسخة وهم يعجبون **(منه وينظرون إليه وكان أبو بكرٍ رجلاً بكاءَ)** بتشديد الكاف أي كثير البكاء **(لا يملك عينيه)** من رقة قلبه **(إذا قرأ القرآن)** إذا ظرفية والعامل فيها لا يملك أو شرطية والجزاء مقدر أي إذا قرأ القرآن لا يملك عينيه **(وأفزعَ ذلك)** أي أخاف ما فعل أبو بكر من صلاته وقراءته **(أشراف قريش من المشركين)** على نسائهم وأبنائهم أن يميلوا إلى الإسلام لما يعلمون من رقة قلوبهم **(فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقَدِم عليهم)** أي على أشراف قريش من المشركين وفي نسخةٍ عليه أي على أبي بكر **(فقالوا)** أي أشراف قريش: **(إنا كنا أجرنا)** بهمزة مقصورة فجيم فراء مهملة **(أبا بكر بجوارك)** أي بسبب جوارك وفي نسخة أجزنا بالزاي أي أبحنا قال في الفتح: والأول أوجه **(على أن يعبد ربه في داره وقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فأعلن بالصلاة)** وفي نسخة وأعلن الصلاة **(والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يَفْتِن نساءنا وأبناءنا)** بفتح التحتية وكسر الفوقية ونصب ما بعده على المفعولية وفي نسخة بضم أوله وفتح ثالثه مبنياً للمفعول فما بعده رفع **(فانهه)** بهمزة وصل فعل أمر أي عن ذلك **(فإن أحبَّ أن يقتصرَ على أن يعبد ربه في داره فَعَلَ وإن أبى)** أي امتنع **(إلاَّ أن يعلن بذلك فسله)** بفتح السين وسكون اللام من غير همز **(أن يرد إليك ذمتك)** أي عهدك **(فإنا قد كرهنا أن نخفرك)**

عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخفِرت في رجلٍ عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل، والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله ﷺ على رسلك فإني أرجو أن يأذن لي فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟ قال: نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط، أربعة أشهر قالت عائشة: فبينما

---

بضم الميم وسكون الخاء وكسر الفاء رباعي من الإخفار أي ننقض عهدك **(ولسنا مقرين)** وفي نسخة بمقرين **(لأبي بكر الاستعلان)** خوفاً على نسائنا وأبنائنا **(قالت عائشة: فأتى)** ابن الدغنة **(إلى أبي بكر فقال)** له: **(قد علمت الذي عاقدت لك عليه)** بتاء المتكلم **(فإما أن تقتصر على ذلك)** الذي عاقدت لك عليه **(وإما أن تُرجع إليَّ)** بتشديد الياء **(ذمتي)** أي عهدي **(فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخفِرت)** بضم الهمزة وكسر الفاء **(في رجل عقدت له)** عهداً بينه وبين غيره **(فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل)** أي بحمايته **(والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة)** جملة حالية **(فقال النبي ﷺ للمسلمين: إني أُريت)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين)** تثنية لابة بتخفيف الموحدة قال الراوي **(وهما الحَرَّتان)** بالحاء المهملة وتشديد الراء تثنية حَرَّة وهي أرض ذات حجارة سود، ولا يعارض هذا رواية أبي موسى عن النبي ﷺ رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخيل فذهب وهلي أي ظني إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب، قال ابن التين: كان النبي ﷺ أُرِيَ الهجرةَ بصفة تجمع المدينة وغيرها ثم أرى الصفة مختصة بالمدينة فتعينت **(فهاجر من هاجر قِبَل المدينة)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهتها **(ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة)** إلى مكة فهاجر **(إلى المدينة)** لما سمعوا استيطان المسلمين بها والمراد بعامتهم معظمهم لا جميعهم لأن جعفراً ومن معه تخلفوا بالحبشة **(وتجهز أبو بكر)** رضي الله تعالى عنه **(قبل المدينة)** أي يريد جهة المدينة **(فقال له رسول الله ﷺ: على رِسْلِكَ)** بكسر الراء وسكون السين أي مهلك وعند ابن حبان فقال اصبر **(فإني أرجو أن يؤذن لي)** في الهجرة **(فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك)** أي الإذن **(بأبي أنت وأمي)** وفي نسخةٍ: بإسقاط وأمي **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(نعم)** أرجوه **(فحبس)** أي منع أبو بكر **(نفسه)** من الهجرة **(على رسول الله ﷺ)** أي لأجله **(ليصحبه)** في الهجرة **(وعلف)** أبو بكر **(راحلتين)** تثنية راحلة من الإبل القوي على السير وحمل الأثقال **(كانتا عنده ورق السمر)** بفتح السين المهملة والميم قال

نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال أبو بكر: فداء له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت عائشة: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فقال النبي ﷺ، لأبي بكر: أخرج من عندك فقال أبو بكر إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله قال: فإني قد أذن لي في الخروج فقال: أبو بكر الصحبة بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله ﷺ: نعم قال: أبو بكر فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال: رسول الله ﷺ بالثمن، قالت: عائشة فجهزناهما أحسن الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين، قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ

---

الراوي: **(وهو الخبط)** بفتح الخاء المعجمة والموحدة ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر **(أربعة أشهر قالت عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(فبينما نحن يوماً جلوسٌ في بيتِ أبي بكر في نحر الظهيرة)** أي أول الزوال عند شدة الحر **(قال قائل)** قال في المقدمة يحتمل أن يفسر بعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وفي الطبراني أن قائل ذلك أسماء بنت أبي بكر **(لأبي بكر هذا رسول الله ﷺ)** حال كونه **(متقنعاً)** أي مغطياً رأسه **(في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال: أبو بكر فداء)** بكسر الفاء وبالهمزة وفي نسخةٍ فدا من غير همز **(له أبي وأمي والله ما جاء به في هذه الساعة إلاَّ أمر)** حدث **(فقالت عائشة: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن)** في الدخول **(فأذن له)** أبو بكر فدخل **(فقال النبي: ﷺ لأبي بكر: أخرج مَنِ عِندك)** بهمزة قطع مفتوحة وكسر الراء **(فقال أبو بكر إنما هم أهلك)** يريد عائشة وأمها **(بأبي أنت يا رسول الله قال)** عليه الصلاة والسلام: **(فإني)** وفي نسخة فإنه **(قد أُذِن لي)** بضم الهمزة وكسر الذال المعجمة **(في الخروج)** أي إلى المدينة **(فقال أبو بكر)** أريد **(الصحبة)** وبالرفع خبر لمبتدأ محذوف أي الذي أطلبه الصحبة **(بأبي أنت يا رسول الله قال رسول الله ﷺ: نعم)** الصحبة التي تطلبها تحصل إن شاء الله تعالى **(قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين قال رسول الله ﷺ: بالثمن)** أي لا آخذ إلاَّ بالثمن وعند الواقدي إن الثمن كان ثمانمائة وإن الراحلة هي القصوى وأنها كانت من بني قشير وعند ابن إسحاق: إنها الجدعاء **(قالت عائشة: فجهزناهما أَحَثَّ الجهاز)** بالحاء المهملة والمثلثة أفعل تفضيل من الحث أي أسرع، وفي نسخة: أحبَّ بالموحدة والجِهاز بفتح الجيم وكسرِها ما يحتاج إليه في السفر ونحوه **(وصنعنا)** وفي نسخةٍ: ووضعنا **(لهما سفرةً)** أي زاداً **(في جراب)** بكسر الجيم وعند الواقدي أنه كان في السفرة شاة مطبوخة **(فقطعت أسماء بنت أبي بكرٍ قطعة من نطاقها)** بكسر النون ما يشد به الوسط **(فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين)** بالتثنية وفي نسخةٍ ذات النطاق بالإفراد، والمحفوظ أنها شقت نطاقها نصفين فشدَّت بأحدهما الزاد وشدَّت فم القربة بالآخر

وأبو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحرٍ فيصبح مع قريش بمكة كبائتٍ فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستأجر

---

فسميت ذات النطاقين، وعلى نسخةٍ: الإفراد يكون المراد به نطاق الجراب الذي هو النصف الآخر وإلاَّ فلا وجه للخصوصية إذ هي ذات النطاق قبل ذلك **(قالت)** عائشة **(ثم لحِق)** بكسر الحاء **(رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ)** بالتنوين **(في جبل ثور)** بالمثلثة المفتوحة وكان خروجهما من مكة يوم الخميس **(فَكَمَنَا)** بفتحات وفي نسخة فمكثا **(فيه ثلاث ليال)** وخرجا منه يوم الاثنين **(يبيت عندهما)** في الغار **(عبد الله بن أبي بكر)** الصدِّيق رضي الله تعالى عنهما **(وهو غلام شاب ثَقِفٌ)** بفتح المثلثة وكسر القاف وتسكن وتفتح بعدهما فاء حاذق **(لَقِنٌ)** بلام مفتوحة وقاف مكسورة فنون بمعنى السريع الفهم **(فيدلج)** بضم الياء وسكون الدال وروي بتشديد الدال المفتوحة يقال أدلج الرجل إذا سار في أول الليل وقيل كله وأدَّلج بتشديد الدال إذا سار في آخره أي يخرج **(من عندهما بِسَحَرٍ فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها)** لشدةِ رجوعه بِغَلَسٍ **(فلاَ يَسْمَعُ أَمْراً يُكَادَانِ به)** بضم التحتية مبني للمفعول أي يطلب لهما فيه المكروه، وفي نسخة: يكتادان بضم التحتية وفوقيه بعد الكاف بوزن يفتعلان من الكيد مبنيٌ للمفعول أيضاً **(إلاَّ وعاه)** أي حفظه **(حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى)** أي يحفظ **(عليهما عامر بن فهيرة)** بضم الفاء مصغر **(مولى أبي بكر)** الصدِّيق **(منحة)** بكسر الميم وسكون النون وفتح المملة شاة تحلب إناء بالعداوة وإناء بالعشي **(من غنم)** كانت لأبي بكرٍ **(فيُرِيحُها)** أي الشاة أو الغنم **(عليهما حين تذهب ساعة من العشاء)** كل ليلة فيحلبان ويشربان **(فيبيتان في رِسْلٍ)** بكسر الراء وسكون المهملة أي متلبسين به ومصاحبين له، كقولك: بات فلان في عافية **(وهو لبن منحتهما)** أي الطري **(ورضيفهما)** بفتح الراء وكسر الضاد المعجمة بعدها تحتية ساكنة ففاء مكسورة مجرور عطفاً على المضاف إليه ومرفوع عطفاً على قوله وهو لبن وهو الموضوع فيه الحجارة المحماة لتذهب وخامته وتفله **(حتى ينعق)** بفتح أوله وكسر ثالثه المهملة أي يصيح **(بهما)** في التثنية أي يسمع النبي ﷺ والصدِّيق رضي الله تعالى عنه صوته إذا زجر غنمه، وفي نسخة بها أي بالغنم أي يصيح بها ويزجرها **(عامر بن فهيرة بِغَلَسٍ)** هو الظلام آخر الليل وفي نسخةٍ إسقاط ابن فهيرة **(يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث)** التي أقاما فيها بالغار، وفي رواية فيصبح في رعيان الناس كبائت فلا يفطن له **(واستأجر**

رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هادياً خريتاً والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل قال، سراقة بن جعشم جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله، أو أسره فبينما أنا جالس في مجلسٍ من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه

---

**رسول الله ﷺ وأبو بكر رَجُلاً)** هو عبد الله بن أريقط بالقاف والطاء مُصغراً **(من بني الديل)** بكسر الدال المهملة وسكون التحتية بعدها لام **(وهو)** أي الرجل الذي استؤجر **(من بني عبد بن عدي)** أي ابن الديل بن بكر بن عبد مناف من بني كنانة وقيل من بني عدي بن عمرو **(هادياً)** يهديهما إلى الطريق **(خِرِّيتا)** بكسر الخاء المعجمة والراء المشددة بعدها تحتية ساكنة ففوقية ونصبهما صفة لرجل قال الراوي: **(والخريت)** هو **(الماهر بالهداية)** أي العارف بها حال كونه **(قد غمس)** بغين معجمة فسين مهملة مفتوحات أي غمس يده مع غيره في شيء تأكيداً للعهد **(حِلْفاً)** بكسر الحاء المهملة وبعد اللام الساكنة فاء **(في آل العاص بن وائل السهمي)** بفتح السين المهملة وسكون الهاء يعني أنه حَليف لهم وأخذ بنصيب من عقدهم، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيديهم في دسم أو خلوق أو شيء يكون فيه تلويث تأكيداً للحلف **(وهو)** أي الرجل الذي استأجراه **(على دين كفار قريش)** ولم يثبت إسلامه في طريق صحيح وجزم الشامي بأنه أسلم بعد ذلك **(فأمناه)** بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم أي ائتمناه **(فدعا إليه راحلتيهما ووعداه غار ثورٍ بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صُبْحَ ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدَّليل)** هو عبد الله بن أريقط **(فأخذ بهم طريق السواحل)** بالسين والحاء المهملتين بينهما واو فألف أسفل من عسفان **(قال سراقة)** بن مالك **(بن جُعْشُم)** بضم الجيم والشين المعجمة بينهما عين مهملة ساكنة: **(جاءنا رُسُلٌ)** بضم الراء والسين ويجوز إسكانها وفي نسخة رسول بالإفراد **(كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر)** أي بسببهما **(دِية كل واحدٍ منهما)** وهي مائة ناقة **(لمن قتله أو أسره)** الضمير لكل وفي نسخةٍ مَن بإسقاط اللام على حذف الجار أو هو مبتدأ خبره محذوف أي من قتله أو أسره فله مثل ذلك **(فبينما)** بالميم **(أنا جالس في مجلسٍ من مجالس قومي)** بني مدلج **(إذ أقبل)** وفي نسخةٍ: إسقاط إذ **(رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً)** بمد الهمزة وكسر النون أي الآن **(أَسوِدة)** بكسر الواو بعد المهملة الساكنة أي أشخاصاً **(بالساحل أراها)** بضم

قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت في المجلس ساعةً ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت بزجة الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي فرسي فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو

---

الهمزة أي أظنها (**محمداً وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم فقلت له إنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً**) لم يعرف اسمهما (**انطلقوا**) بفتح اللام (**بأعيننا**) أي في نظرنا معاينة (**يبتغون ضالة لهم ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت**) منزلي (**فأمرت جاريتي**) قال ابن حجر لم أعرف اسمها (**أن تخرج بفرسي**) وزاد بعضهم ثم أخذت قداحي بكسر القاف أي الأزلام فاستقسمت بها فخرج الذي أكره لا تضره، وكنت أرجو أن أرده وآخذ المائة ناقة (**وهي من وراء أكمة**) أي رابية مرتفعة (**فتحبسها عليَّ**) بتشديد التحتية (**وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فحططت**) بالمهملات (**بزُجّه الأرض**) بضم الزاي والجيم المشددة المكسورة، الحديد الذي في أسفل الرمح، أي نكست أسفله وفي نسخةٍ فخططت بالخاء المعجمة أي خفضت أعلاه وجررت زُجّه على الأرض فخططتها به من غير قصدِ خطها لئلا يظهر الرمح إن أمسك زجه ونصبه (**وخفضت عاليه**) لئلا يظهر بريقه لمن بعد منه فينذر به وينكشف أمره لأنه كره أن يتبعه أحد فيشركه في الجعالة (**حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها**) بتخفيف الفاء وروي بتشديدها أي أسرعت بها السير (**تقرب**) بتشديد الراء المفتوحة أو المكسورة (**بي**) والتقريب ضرب من الاسراع وهو كما قال الأصمعي أن ترفع يديها معاً وتضعهما معاً (**حتى دنوت منهم وعثرت**) بالواو وفي نسخة فعثرت بالفاء والمثلثة (**بي فرسي فخررت**) بالخاء المعجمة أي سقطت (**عنها**) أي عن فرسي (**فقُمت فأهويت يدي**) أي بسطتها (**إلى كنانتي**) وهو وعاء السهام (**فاستخرجت منها الأزلام**) جمع زَلَم بفتح الزاي واللام أقلام، كانوا يكتبون على بعضها نعم وعلى بعضها لا وكانوا إذا أرادوا أمراً استقسموا بها، فإذا خرج السم الذي عليه نعم خرجوا مثلاً وإذا خرج الآخر لم يخرجوا، ومعنى الاستقسام معرفة قسمي الخير والشر (**فاستقسمت**) بالفاء وفي نسخة واستقسمت بالواو (**بها أضرهم أم لا**) أي طلبت معرفة الضر والنفع بالأزلام أي التفاؤل (**فخرج الذي أكره**) أي لا تضرهم (**فركبت فرسي وعصيت الأزلام**) الواو للحال أي فلم ألتفت إلى ما خرج من الذي أكره (**تقرب بي**) فرسي (**حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر**) رضي الله عنه (**يكثر الإلتفات ساخت**) بالسين

لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عثان ساطع في المساء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم إخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قالا أخف عنا فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة من أديم ثم مضى رسول الله ﷺ، فلقي الزبير في ركب

---

المهملة والخاء المعجمة أي غاصت (**يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين**) وزاد الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر، لمنخريها (**فخررت عنها ثم زجرتها**) على القيام (**فنهضت فلم تكد تخرج**) بضم أوله (**يديها**) من الأرض، وفي رواية: فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله ﷺ فقال اللهم اصرعه فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم أي تُصوت (**فلما استوت قائمة إذ لأثر يديها عُثَان**) بالعين المهملة المضمومة فمثلثة مفتوحة وبعد الألف نون دخان من غير نار، وهو مبتدأ خبره قوله لأثر يديها مقدماً، وفي نسخة: غبار بالغين المعجمة والموحدة آخره راء (**ساطع**) أي منتشر (**في السماء مثل الدخان**) الحاصل من النار (**فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره**) أي لا تضرهم (**فناديتهم بالأمان**) وعند ابن إسحاق فناديت القوم أنا سراقة بن مالك بن جعشم انظروني أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه (**فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم فوقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ فقلت له: إن قومك**) قريشاً (**قد جعلوا فيك الدية**) أي يدفعونها لمن يقتلك أو يأسرك (**وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس**) أي قريش (**بهم**) من الحرص على الظفر بهم وغير ذلك (**وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني**) أي النبي وأبو بكر أي لم ينقصاني شيئاً (**ولم يسألاني**) شيئاً (**إلاَّ أن قال**) لي النبي ﷺ: (**أخفِ عنا**) بفتح الهمزة وسكون المعجمة بعدها فاء، أمر من الإخفاء، وفي رواية أنه قال: يا نبي الله مُرني بمَ شِئْتَ قال: «فقِفْ مكانك لا تتركَنْ أحداً يلحق بنا» فكان سراقة أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له أي يدفع عنه الأذى بمثابة السلاح، قال سراقة (**فسألته**) عليه الصلاة والسلام (**أن يكتب لي كتاب أمن**) بسكون الميم ليأمن على نفسه وماله لما رأى من ظهور أمر رسول الله ﷺ (**فأمر**) عليه الصلاة والسلام (**عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم**) بفتح الدال، وفي نسخة: من أدِيم بكسر الدال بعدها تحتية جلد مدبوغ، زاد ابن إسحاق: فأخذته فجعلته في كِنانتي ثم رجعت (**ثم مضى رسول الله ﷺ**) ومن معه إلى جهة مقصده (**فلقي الزبير**) بن العوّام (**في ركب من المسلمين كانوا تجاراً**)

من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياباً بيض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أو في رجل من يهود على أطم من من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول فقام أبو

---

بفتح التاء وكسرها مع تخفيف الجيم وتشديدها، قال في المصباح: تجر تجراً من باب قتل واتجر والاسم التجارة وهو تاجر والجمع تجر مثل صاحب وصحب وتجار بضم التاء مع التثقيل وكسرها مع التخفيف اهـ حال كونهم **(قافلين)** أي راجعين **(من الشام فكسا الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بيضٍ)** من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل الذي كساهما هو طلحة بن عبيد الله وجمعَ بينهما بأن كلاً من الزبير وطلحة وقع منه أنه كساهما، **(وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج)** أي بخروج كما في بعض النسخ **(رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يَغدُون)** بسكون المعجمة أي يخرجون **(كل غداة إلى الحرة)** بالحاء المهملة المفتوحة وتشديد الراء **(ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا)** أي رجعوا **(يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم)** له عليه الصلاة والسلام **(فلما أووا إلى بيوتهم أوفى)** بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الفاء أي طلع **(رجل من يهود)** لم يسم **(إلى أُطُم)** بضم الهمزة والطاء المهملة أي حصن **(من آطامهم لأمر ينظر إليه فبَصُر)** بفتح الموحدة وضم المهملة **(برسول الله ﷺ وأصحابه)** حال كونهم **(مبيضين)** بفتح الموحدة والتحتية المشددة بعدها ضاد معجمة عليهم الثياب البيض، ويحتمل كما قال السفاقسي أن يريد مستعجلين يقال بايض أي متعجل ويدل عليه قوله **(يزول بهم السراب)** أي المرئي في شدة الحرِّ كأنه ماء، حتى إذا جئته لم تجده شيئاً كما قال تعالى في كتابه أي يحوِّلهم عن مكانهم بسرعة بحسب ما يتراءى للناظر أو يظهرون فيه تارة ويخفون أخرى **(فلم يملك اليهودي)** نفسه **(أن قال)** أي عن قوله **(بأعلى صوته يا معشر العرب)** وفي نسخة يا معاشر بألف بعد العين **(هذا جدكم)** بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة أي حظكم وصاحب دولتكم **(الذي تنتظرون)** السعادة بمجيئه **(فثار المسلمون)** بالمثلثة **(إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة)** أي الأرض التي عليها الحجارة السود **(فعدل بهم)** بتخفيف الدال **(ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف)** بفتح العين وسكون الميم ابن مالك بن الأوس ومنازلهم بقباء **(وذلك)** وفي نسخة وكان **(يوم الاثنين من شهر ربيع الأول)** أَوَّله أو لليلتين خلتا منه أو لاثنتي عشرةَ ليلةِ خلت منه أو لثلاثِ عشرةَ خلت منه **(فقام أبو بكر للناس)**

بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً: فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك، فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر سعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم

---

يتلقاهم **(وجلس رسول الله ﷺ صامتاً وطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر)** أي يسلم عليه يظنه النبي ﷺ **(حتى أصابت الشمس رسول الله فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه)** ﷺ **(بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك)** وعند موسى بن عقبة: فطفق مَن جاء من الأنصار مِمن لم يُكن يراه يحسبه أبا بكر حتى إذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشيء يُظِله **(فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة)** وفي روايةٍ: أربع عشرة **(ليلة وأسس المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى)** وهو مسجد قباء **(وصلى فيه رسول الله ﷺ)** أيام مقامه بقباء **(ثم ركب راحلته)** من قباء من الغد يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف **(فسار يمشي معه الناس)** وفي نسخةٍ: مع الناس وفي رواية: فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحَفُّوا أي أحدقوا دونهما بالسلاح **(حتى بركت)** راحلته **(عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة)** وعند سعيد بن منصور حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد **(وهو يصلي فيه يومئذٍ رجالٌ من المسلمين وكان)** موضع المسجد **(مِربداً)** بكسر الميم وفتح الموحدة بينهما راء ساكنة **(للتمر)** يجفف فيه **(لسُهيل)** بالتصغير **(وسهل)** ابني رافع بن عمرو **(غلامين يتيمين في حَجْر)** بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم ويجوز كسر الحاء، قال في المصباح: وحَجْر الإنسان بالفتح وقد يكسر حضنه وهو ما دون إبطه إلى الكشح، وهو في حَجره أي كنفه وحمايته والجمع حجور **(سعد)** وفي نسخة: أسعد **(بن زرارة)** وكان أسعد من السابقين إلى الإسلام من الأنصار وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه **(فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله)** تعالى **(المنزل)** وفي روايةٍ فأقبل يسير حتى نزل بجانب دار أبي أيوب **(ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما)** أي اشتراه **(ثم بناه مسجداً وطَفِقَ)**

اللَّبِن في بنيانه ويقول: وهو ينقل اللَّبِن هذا الحِمالُ لا حِمالُ خيبر. هذا أبر ربنا وأطهر ويقول إن الأجر أجر الآخرة. فارحم الأنصار والمهاجرة.

عن أسماء رضي الله عنها أنا حملت بعبد الله بن الزبير قالت: فخرجت وأنا مُتِم فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بها ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حكه بتمرة، ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولوده ولد في

---

بكسر الفاء (**رسول الله ﷺ ينقل معهم اللِّبِنْ**) بفتح اللام وكسر الباء الموحدة أي الطوب غير المحرق (**في بُنيانه ويقول وهو ينقل اللبن: هذا الحِمال**) بكسر الحاء المهملة وفتح الميم مخففة وروي بفتح الحاء المهملة أي هذا المحمول من اللِبن أبرُّ عند الله وأطهر عند الله (**لا حِمال**) بكسر الحاء وروي بفتحها (**خيبر**) أي التي يحمل منها من التمر والزبيب ونحوهما الذي يغتبط به حاملوه، قال القاضي عياض: وروي جمال بالجيم المفتوحة قال وله وجه والأظهر الأَول (**هذا أبرُّ**) أي أبقى ذخراً عند الله وأكثر ثواباً وأدوم نفعاً يا (**ربنا وأطهر**) بالطاء المهملة أي أشدُّ طهارةً من حِمال خَيبر وهذا البيت من بحر الرجز قاله عليه الصلاة والسلام غير قاصدٍ بذلك الشعر، فالممتنع في حقه ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده، وأما جواب بعضهم بأن الرجز ليس بشعر ولا يقال لصاحبه شاعر بل راجز، فمردود كما يُعلم من كلام العَروضيين حيث عدوه من جملة بحور الشعر المشهورة على الصحيح على أنه يمكن جعله من مشطور السريع ودخله الكسف والخبن فيكون شعراً باتفاق (**ويقول**) أيضاً.

إن الأجـــــر أجـــــر الآخـــــره فـــارحـــم الأنـــصـــار والـــمـــهـــاجـــره

بكسر الجيم جماعة المهاجرين وفي نسخة الأجر أجرة الآخر إلى آخره، وفي أخرى: اللهم إن الأجر إلخ، وهو غير موزون، ولم يتمثل ﷺ ببيت شعر تام غير هذين.

(**عن أسماء**) بنت أبي بكر الصديق (**رضي الله تعالى عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير**) بن العوام رضي الله تعالى عنه بمكة (**قالت: فخرجت**) من مكة مهاجرة إلى المدينة (**وأنا متم**) بضم الميم الأولى وكسر الفوقية وتشديد الميم الثانية، أي والحال أني أتممت مدة الحمل الغالبة وهي تسعة أشهر (**فأتيت المدينة فنزلت بقباء**) بالصرف (**فولدت بها ثم أتيت به**) أي بعبد الله (**رسول الله ﷺ**) بالمدينة (**فوضعته**) بسكون العين المهملة، وفي نسخة: فوضعه عليه الصلاة والسلام (**في حَجره**) بفتح الحاء المهملة على ما مر (**ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل**) بالفوقية والفاء أي عن ريقه (**في فيهِ**) أي في في عبد الله (**فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنَّكه**) بحاء مهملة ونون مشددة وكاف مفتوحات (**بتمرة**) بالفوقية وسكون الميم كالسابقة بأن مضغها ودلك بها حنكه (**ثم دعا له وبَرَّكَ عليه**) بفتح الموحدة والراء المشددة بأن قال له: بارك الله فيك أو اللهم بارك فيه

الإسلام. عن أبي بكر رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت يا رسول الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا قال: «اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما». عن البراء رضي الله عنه قال: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرآن الناس، فقدم بلال وسعيد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر ابن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن قدم رسول الله ﷺ، فما قدم

---

**(وكان)** عبد الله **(أول مولود وُلد في الإسلام)** يعني بالمدينة من المهاجرين.

**(عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال كنت مع النبي ﷺ في الغار)** بجبل ثور **(فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم)** كفار قريش **(فقلت يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره)** أي أماله إلى تحتٍ، قال في القاموس طأطأ رأسه طامنه وخفضه فتطأطأ **(رآنا، قال)** عليه الصلاة والسلام: **(اسكت يا أبا بكر)** نحن **(اثنان الله ثالثهما)** في معاونتهما وتحصيل مرادهما.

**(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أول من قدم علينا)** من المهاجرين المدينة **(مُصعب بن عمير)** بضم الميم وسكون الصاد وفتح العين المهملتين آخره موحدة وعمير بضم العين مصغراً ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي القرشي العبدري، ونزل على حبيب بن عدي وكان النبي ﷺ قد أمره بالهجرة والإقامة وتعليم من أسلم من أهل المدينة **(وابن أم مكتوم)** عمر الأعمى المؤذن واسم أمه عاتكة، وكان قدومه بعد مصعب **(وكانوا يُقرِؤون الناس)** القرآن بلفظ الجمع فيهما والمراد به ما فوق الواحد وفي نسخةٍ وكانا يقرآن بالتثنية فيهما **(فقدم بلال)** المؤذن ابن رباح وأمه حمامة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(وسعد)** بسكون العين ابن أبي وقاص أحد العشرة رضي الله تعالى عنه **(وعمار بن ياسر)** بالتحتية والسين المهملة بينهما ألف واختلف في عمار هل هاجر للحبشة أم لا، فإن يكن فهو ممن هاجر الهجرتين **(ثم قدم عمر بن الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(في عشرين من أصحاب النبي ﷺ)** وسمى منهم ابن إسحق كما ذكره في عيون الأثر زيد بن الخطاب وعمرو بن عبد الله بن سراقة وخُنيس ابن حذافة السهمي وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله السهمي حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي وبني البكير أربعتهم إياساً وعاقلاً وعامراً وخالداً حلفاءهم من بني سعد بن ليث وعياش بن أبي ربيعة، ونزل هؤلاء الثلاثة عشر على رفاعة بن عبد الدار بن زهير في بني عمرو بن عوف بقباءٍ، قال في الفتح: فلعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم وزاد ابن حامد في مغازيه الزبير **(ثم قدم النبي ﷺ)** وأبو بكر وعامر بن فهيرة، ونزلوا على كلثوم بن الهدم فيما قاله ابن شهاب كما حكاه الحاكم ورجحه **(فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم)** أي كفرحهم فالنصب على نزع

حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] في سور من المفصل. عن العلاء ابن الحضرمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث للمهاجر بعد الصدر».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود».

---

الخافض (**برسول الله ﷺ حتى جعل الإماء**) جمع أمة (**يقلن قدم رسول الله ﷺ**) وعند الحاكم عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه: فخرجت جوارٍ من بني النجار يضربن بالدفوف وهنَّ يقلنَ:

نحن جَوارٍ من بني النجار يا حبذا محمد من جار

(**فما قدم**) عليه الصلاة والسلام (**حتى قرآت**) سورة (**سبح اسم ربك الأعلى في**) أي مع (**سورٍ**) أخرى (**من المفصل**) وأوله الحجرات كما صححه النووي في دقائق منهاجه، ويؤخذ من الحديث كما قال ابن كثير أن سورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] مكية كلها.

(**عن العلاء بن الحضرمي**) الصحابي الجليل (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث**) أي ثلاث ليال ترخص الإقامة فيها (**للمهاجر بعد**) طواف (**الصدر**) بفتح الصاد المهملة والدال، ويسمى طواف الإفاضة وطواف الركن، وهو بعد الرجوع من منىً فلا تجوز الإقامة بمكة بعد الثلاث للمهاجر وهذا كان قبل الفتح، أما بعده فلا حرج عليه لانقطاع حكم الهجرة حينئذٍ.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال لو آمن بي عشرة من اليهود**) مُعَيَّنين (**لآمن بي اليهود**) كلهم وعند الإسماعيلي لم يبق يهودي إلاَّ أسلم وزاد أبو سعيد في شرف المصطفى ﷺ، قال كعب رضي الله تعالى عنه: هم الذين سماهم في سورة المائدة، وقال الكرماني فإن قلت ما وجه صحة هذه الملازمة وقد آمن به من اليهود عشرة وأكثر منها أضعافاً مضاعفة ولم يؤمن الجميع. وأجاب بأنَّ «لو» للمضي فمعناه لو أسلم في الزمان الماضي كقبل قدومه ﷺ المدينة أو عقب قدومه مثلاً عشرة لتبعهم الكل، وقال في فتح الباري: والذي يظهر أنَّهم الذين كانوا حينئذٍ رؤساء ومن عداهم تبعاً لهم فلم يسلم منهم إلاَّ القليل، كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه وكان من المشهورين بالرئاسة في اليهود عند قدوم النبي ﷺ من بني النضير، أبو ياسر بن أخطب وأخوه حيي ابن أخطب وكعب بن الأشرف ورافع بن أبي الحقيق ومن بني قينقاع عبد الله بن حنيف وفَنْحاص ورفاعة بن يزيد ومن قريظة الزبير بفتح الزاي بن باطيا وكعب بن أسد وشمويل ابن يزد، فهؤلاء لم يثبت إسلام واحد منهم وكان كل منهم رئيساً في اليهود ولو أسلم تبعه جماعة منهم.

# كتاب المغازي

## غزو العشيرة

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال:

---

## كتاب المغازي

الغزوُ القَصْد والطَّلَب يقال: غزاه غزواً أراده وطلبه، وقصده، وغزا العدو سار إلى قتالهم وانتهابهم، والمغازي مناقب الغزاة قاله في القاموس، وقال غيره المغازي جمع مغزى والمغزى يصلح أن يكون مصدراً تقول غزا غزواً ومغزىً ومغزاةً وأن يكون موضع الغزو والمراد هنا الأول أي ما وقع من قصد النبي ﷺ للكفار بنفسه أو بجيش من قِبَلِهِ ويصح إرادة الثاني أي المواضع التي وقع فيها الغزوُ.

## بسم الله الرحمن الرحيم

## غزوة العشيرة

بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة أو السين المهملة **(عن زيد بن أرقم)** بن زيد الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قيل له)** أي قال له أبو إسحق السُّبَيْعِي **(كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة)** غزوة خرج فيها بنفسه، لكن روى أبو يعلى بإسناد صحيح من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه أن عدد غزواته ﷺ إحدى وعشرون غزوة ففات زيد بن أرقم ذكر غزوتين منها ويحتمل أن يكون هما الإبواء وبواطاً ولعلهما خفيا عليه لصغره، ولذا قال ابن إسحق أول ما غزا النبي ﷺ الأبواء، بفتح الهمزة وسكون الموحدة ممدوداً لقرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مَقدَمِه المدينة ثم بُواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو آخرها طاء مهملة جبل من جبال جهينة بقرب ينبع، وكانت في ربيع الأول سنة اثنين، ثم العشيرة ببطن ينبع وكانت في جمادى الأولى سنة اثنين أيضاً، وذكر الواقدي أن هذه السفرات الثلاث كان عليه الصلاة والسلام يخرج فيها ليلقى تجار قريش حين يمرون إلى الشام ذهاباً وإياباً، وبسبب ذلك كانت وقعة بدر

تسع عشرة قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة قيل: فأيهم كانت أول؟ قال: العشيرة أو العشير.

## قصة غزوة بدر

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به لقي النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال:

---

ولم يقع في الغزوات الثلاثة حرب، وعند ابن سعد المغازي سبع وعشرون غزوة وقاتل ﷺ بنفسه منها في ثمانٍ بدرٌ ثم أحد ثم الأحزاب ثم بني المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف كما قال موسى بن عقبة، وأهمل عد قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب لكونها كانت في أثرها وأفردها غيره لأنها كانت وقعة منفردة بعد هزيمة الأحزاب **(قيل)** أي قال أبو إسحق السبيعي **(كم غزوتَ أنت معه قال: سبع عشرة)** غزوة **(قيل فأيهم كانت أول)** حق العبارة أن يقول فأيهن أو فأيها بتأنيث الضمير ولذا وقع في الترمذي: فأيتهن أو يقول فأيهم كان بالتذكير في الثاني وأوّل ذلك بعضهم على حذف مضاف أي فأي غزواتهم **(قال: العشيرة أو العسيرة)** بالمعجمة في الأولى والمهملة في الثانية مع الهاء فيها، وفي نسخةٍ بالمهملة مع الهاء في الأولى والمعجمة بلا هاء في الثانية، وفي أخرى بالعكس وفي أخرى المعجمة في الأولى والمهملة في الثانية مع حذف الهاء فيهما والتصغير في الكل، وفي أخرى العَشِيرة بفتح العين وكسر الشين المعجمة، ولم يختلف أهل المغازي في أنها أول الغزوات وأنها منسوبة إلى المكان الذي وصلوا إليه واسمه العشير أو العشيرة يُذكّر ويؤنث، وكان قد خرج إليها ﷺ يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة ليغنمها فوجدها قد مضت فبسبب ذلك كانت وقعة بدر كما مر.

## قصة غزوة بدر

قرية مشهورة نُسِبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها، أو بدر اسم بئر بها سميت بذلك لاستدارتها، أو لصفاء مائها فكان البدر يُرى فيها.

**(عن ابن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: شهدت من المقداد بن الأسود)** رضي الله تعالى عنه **(مشهداً)** نسب إلى الأسود لأنه كان تبناه في الجاهلية وإلاً فاسم أبيه عمرو بفتح العين ابن ثعلبة الكِنْدي ويجب حذف ألف ابن خطاً لوقوعه بين علمين وإن لم يكن الثاني أباً للأول حقيقة خلافاً لمن وهِم في ذلك **(لأن أكون صاحبه)** بفتح اللام ونصب صاحبه خبر أكون، وفي نسخة: أنا صاحبه بزيادة أنا مع الرفع والنصب أي صاحب المشهد أي قائل تلك المقالة التي قالها **(أحب إليَّ مما عُدِل)** بضم العين وكسر الدال أي وزن **(به)** أي من شيء يقابله من الدنيويات أو الثواب أو أعم من ذلك **(لقي**

لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسره.

عن البراء رضي الله عنه قال: كان عِدة أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدراً عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر بضعة عشر وثلاثمائة قال البراء: لا

---

النبي ﷺ **وهو يدعو على المشركين)** الواو في وهو للحال **(فقال:)** يا رسول الله **(لا تقول)** بنون الجمع **(كما قال قوم موسى)** له **(اذهب أنت وربك فقاتلا)** قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما أو تقريره: اذهب أنت وربك يعينك فإنا لا نستطيع قتال الجبابرة، وقال السمرقندي أنت وسيدك هرون لأن هرون كان أكبر منه بسنتين أو ثلاث سنين **(ولكنَّا نقاتل)** عدوك **(عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه)** أي استنار **(وسره)** عليه الصلاة والسلام أي قول المقداد رضي الله تعالى عنه، وذكر ابن إسحق أن المقداد قال ذلك لما وصل ﷺ إلى الصفراء وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً وأن أبا سفيان نجا بمن معه فاستشار الناس، فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال فأحسن، ثم عمر رضي الله تعالى عنه كذلك ثم المقداد فذكر نحو ما قاله في هذا الحديث، وزاد والذي بعثك بالحق نبياً لو سلكت برك الغماد لجالدنا معك من دونه، فقال: أشيروا علي قال فعرف أنه يريد الأنصار وكان يَتَخَوَّف أن لا يوافقوه لأنهم لم يبايعوه إلاَّ على نصرته ممن يقصده لا أن يسير بهم إلى العدو، فقال له سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه امض يا رسول الله فيما أمرت به فنحن معك قال فسره قوله ونشطه.

**(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كانت عدة أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً)** أي وقعتها **(عدة أصحاب طالوت)** بعدم الصرف للعلمية والعجمة من ذرية بنيامين شقيق يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام، وقصته مذكورة في القرآن **(الذين جازوا)** بزاي مضمومة بعد الألف من غير واو، وفي روايةٍ بالواو وفي نسخةٍ أجازوا **(معه النهر)** وهو نهر فلسطين **(بضعة عشر وثلاثمائة)** وفي روايةٍ وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً وستين والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين، ولمسلم: لما كان يوم بدرٍ نظر الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر، وعند ابن سعد وخرج رسول الله ﷺ إلى بدر في ثلاثمائة رجل وخمسة عشر رجلاً المهاجرون منهم أربعة وسبعون، وسائرهم من الأنصار، وتخلف ثمانية لعلة ضرب رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم منهم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه تخلف على امرأته رقية، وتخلف طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد رضي الله عنهما بعثهما رسول الله ﷺ يتجسسان خبر العير، وأبو لبابة خلفه على المدينة وعاصم بن عدي خلفه على أهل العالية، والحرث بن خاطب رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيءٍ بلغه عنهم، والحرث بن الصمة وقع فَكُسِر

والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمن. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ينظر ما صنع أبو جهل»، فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال: أأنت أبو جهل قال: فأخذ بلحيته، قال: وهل فوق رجل قتلتموه أو رجل قتله قومه. عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: إن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر

---

بالروحاء فرده إلى المدينة، وخوات بن جُبير كذلك وفسر بعضهم البعض بثلاثة **(قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلاّ مؤمن)** قوله لا والله جواب كلام محذوف أي هل كان بعضهم غير مؤمن أو لا زائدة وإنما حلف تأكيداً للخبر.

**(عن أنس)** بن مالك **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله)** وفي نسخة النبي (ﷺ: **مَن ينظر ما صنع أبو جهل)** أي ما وقع له وفي روايةٍ أنه قال: من يأتينا بخبر أبي جهل **(فانطلق ابن مسعود)** رضي الله تعالى عنه **(فوجده قد ضربه ابنا عفراء)** بفتح العين المهملة وسكون الفاء وفتح الراء بعدها همزة ممدودة معاذ ومعوذ، وفي مسلم: إن الذين قتلاه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء، وهو ابن الحارث وعفراء أمه وهي ابنة عبيد بن ثعلبة النجارية **(حتى برد)** بفتح الموحدة والراء أي مات أو صار في حال من مات ولم يبق فيه سوى حركة المذبوح ويؤيد هذا التفسير الأخير قوله **(قال أأنت)** بهمزة الاستفهام وفي نسخةٍ بحذفها **(أبو جهل)** بواو الرفع قال بعضهم: وهو من إصلاح الرواة وإلاّ فالرواية أبا جهل بالألف بدل الواو على لغة من يُلزم الأسماء الستة الألف في كل حال كقوله:

إن أبـــاهـــا وأبـــا أبـــاهـــا

أو النصب على النداء أي أنت مصروع أو أنت المقتول الذليل يا أبا جهل، وفي مسلم حتى برك بالكاف بدل الدال أي سقط وكذا هو عند أحمد قال عياض: وهذه أولى لأنه قد تكلم مع ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، فلو مات لم يتكلم مع ابن مسعود **(قال)** أنس رضي الله تعالى عنه **(فأخذ)** أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه **(بلحيته)** متشفياً منه بالقول والفعل لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى **(قال)** أبو جهل وفي نسخة فقال: **(وهل فوق)** أي أكثر من **(رجلٍ قتلتموه)** أي لا عار عليَّ في قتلكم إياي قاله النووي **(أو)** قال: هل فوق **(رجل قتله قومه)** شك من الراوي، وفي رواية أنه قال: فلو غير أَكَّارٍ قتلني بفتح الهمزة وتشديد الكاف آخره راء أي زراع لأن قاتليه من الأنصار وهم عمَّال في أرضهم ونخلهم، وقصده بذلك استنقاص المباشر لقتله، وبما قبله تسلية نفسه بأن الشريف إذا قتله قومه لم يكن ذلك عاراً عليه فلا معارضة بينهما. وعن ابن إسحق زعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كان يقول: قال لي أبو جهل: لقد ارتقيت يا رُوَيعي الغنم مرتقىً صعباً، قال: ثم احتززت رأسه ثم جئت به إلى

بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طَوي من أطواء بدرٍ خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليالٍ فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم «يا فلان بن فلان يا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنَّا قد وجدنا ما وعد نار بنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما

---

رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله ﷺ: الله الذي لا إله غيره؟ قلت: نعم والله الذي لا إله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ فحمِد الله تعالى.

**(عن أبي طلحة)** زيد بن طلحة الأنصار **(رضي الله تعالى عنه أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدرٍ)** بعد الفراغ من القتال **(بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد)** كفار **(قريش)** بفتح الصاد المهملة أي من ساداتهم وشجعانهم ممن قتله الله عز وجل من السبعين **(فقُذِفُوا)** بضم القاف وكسر المعجمة مبنياً للمفعول أي طرحوا **(في طوىّ)** بفتح الطاء المهملة وكسر الواو وتشديد التحتية بئر مطوية أي مبنية بالحجارة **(من إطواء بدرٍ خبيث)** أي غير طيب **(مخبث)** بضم الميم وكسر الموحدة من أخبث إذا اتخذ أصحاباً خبثاً وطرح باقي السبعين في مواضع أخرى، وعند الواقدي كما نبَّه عليه في الفتح: إن القَلِيْبَ المذكور كان قد حفره رجل من بني النجار فناسب أن يُلقى فيه هؤلاء الكفار **(وكان)** ﷺ **(إذا ظهر)** أي غلب **(على قوم أقام بالعَرْصَة)** بفتح العين وسكون الراء كل موضع واسع لأبناء فيه **(ثلاثَ ليالٍ فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر)** عليه الصلاة والسلام **(براحلته فشدَّ عليها رحلها ثم مشى وتبعه أصحابه)** بفتح الفوقية وكسر الموحدة وفي نسخةٍ واتبعه بأَلِفٍ بعد الواو وتشديد الفوقية وفتح الموحدة **(وقالوا: ما نرى)** بضم النون أي ما نظن **(ينطلق)** عليه الصلاة والسلام **(إلاَّ لبعض حاجته حتى قام على شفة)** وفي نسخة شفير **(الرَّكيّ)** أي طرف البئر والركي بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد التحتية البئر قبل أن تُطوى، ويُجمع بينه وبين السابق بأنها كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركي **(فجعل)** عليهما الصلاة والسلام **(يناديهم)** أي قتلى كفار قريش **(بأسمائهم وأسماء آبائهم)** توبيخاً لهم **(يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان)** وعند أحمد وابن إسحق عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام، ولم يكن أمية ابن خلف في القليب لأنه كان ضخماً فانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه، والظاهر أنه كان قريباً من القليب فناداه مع نادى من رؤسائهم **(أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا)** أي علمنا وتيقنا **(ما وعدنا ربنا)** من الثواب **(حقاً فهل وجدتم ما**

تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم».

عن رفاعة بن رافع الزرقي وكان ممن شهد بدراً قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «لا من أفضل المسلمين» أو

---

**وعد)** أي ما وعدكم **(ربكم)** من العذاب **(حقاً)** وحذف كم لدلالة ما وعدنا عليه **(قال)** أبو طلحة **(فقال عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مستفهماً: **(يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟)** وفي نسخة فيها **(فقال النبي)** وفي نسخة رسول الله (ﷺ **والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)** أي من القتلى الذين أُلقوا في القليب قال قتادة قد أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله ﷺ توبيخاً وتنديماً لهم وقال السبكي في حياة الأنبياء والشهداء: أن كل الموتى لهم حظ من الحياة ليدركوا النعيم والعذاب، وعند النفخة الأولى يفتر عنهم وعند النفخة الثانية يقول الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموت اهـ وحينئذٍ فلا حاجة لقول قتادة أحياهم الله تعالى إلخ وأما قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [الروم: ٥٢] الذي استندت إليه عائشة في نفي الحديث المذكور وقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق» فأجيب عنه[١] بأن المراد أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة وقال السهيلي إذا جاز أن يكونوا في هذه الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رؤوسهم على قول الأكثر أو بآذان قلوبهم وقد تمسك به من يقول إن السؤال يتوجه على الروح والجسد، ورده من قال إنما يتوجه على الروح فقط بأن الاستماع يحتمل أن يكون لأذن الرأس وأذن القلب فلم يبق فيه حجة اهـ وقد أنكر عذاب القبر بعض المعتزلة والروافض محتجين بأن الميت جماد لا حياة له ولا إدراك فتعذيبه محال، وأجيب بأنه يجوز أن يخلق الله تعالى في جميع الأجزاء أو في بعضها نوعاً من الحياة قدر ما يُدرِك ألم العذاب وهذا لا يلزم منه إعادة الروح وإلى الجسد ولا أن يتحرك ويضطرب أو يرى أثر العذاب عليه، حتى أن الغريق في الماء والمأكول في بطن الحيوانات والمصلوب في الهواء يعذب وإن لم نطلع نحن عليه.

**(عن رفاعة)** بكسر الراء وتخفيف الفاء **(ابن رافع الزرقي)** الأنصاري **(رضي الله عنهما وكان ممن شهد بدراً)** أنه **(قال جاء جبريل)** عليه الصلاة والسلام **(إلى النبي ﷺ**

---

(١) الآية مخرجة على التمثيل أي انك لا ينتفع بك الكفار كما لا ينتفع الموتى فالذي أراد أنها بعيدة عن هذا النزاع اهـ مصححه.

كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ ويوم بدر: «هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب». عن الزبير رضي الله عنه قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكنى أبو ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعَنَزةِ فطعنته في عينه فمات، قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهَد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها، فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه إياها، فلما قُبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه إياها فلما

---

**فقال: «ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟ قال)** النبي ﷺ: **(من أفضل المسلمين أو)** قال **(كلمة نحوها)** شك من الراوي **(قال)** جبريل عليه الصلاة والسلام **(وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)** من أفضل الملائكة.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ يوم بدرٍ: هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)** وعند ابن إسحق: أن النبي ﷺ خفق خفقة ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا الغبار». وعند سعيد بن منصور من مرسل عطية بن قيس أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي ﷺ بعدما فرغ من بدرٍ على فرس حمراء معقود الناصية قد عصب الغبار ثنيته عليه درعه وقال: يا محمد إن الله عز وجل بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى أفرضيت؟ قال: نعم.

**(عن الزبير)** بن العوام **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لقيت يوم)** وقعة **(بدر عبيدة بن سعيد بن العاص)** بضم العين في الأول مصغراً وكسرها في الثاني **(وهو مدجج)** بضم الميم وفتح الدال المهملة وفتح الجيم الأولى وكسرها مشددة فيهما أي مغطىً بالسِّلاح بحيث **(لا يرى منه إلاَّ عيناه)** وفي القاموس: المدجج الشاكي السلاح وفي المختار الدُجَّة بوزن الحجة بشدة الظلمة وليلة ديجوج مظلمة انتهى فشبه السلاح بظلمة الليل اهـ **(وهو يكنَّى)** بضم التحتية وسكون الكاف وفتح النون **(أبو)** وفي نسخة أبا **(ذات الكَرِش)** بفتح الكاف وكسر الراء وهو لذات الظلف والخف وكل مجتر كالمعدة للإنسان ويطلق على العيال والجماعة **(فقال: أنا أبو ذات الكَرِش فحملت عليه بالعنزة)** بفتح العين المهملة والنون والزاي كالحربة **(فطعنته في عينه فمات قال)** الزبير: **(فوضعت رجلي)** بالإفراد **(عليه ثم تمطأت)** بالهمزة، وروي تمطيت بالياء التحتية أي مددت يدي مداً شديداً بالحربة **(فكان الجهد)** بفتح الجيم وحكى ضمها **(أن نزعتها)** أي العنزة أي كانت المشقة العظيمة في نزعها **(وقد انثنى طرفاها)** أي انعطفا **(فسأله)** أي الزبير **(إياها رسول الله ﷺ)** أي سأله أن يعطيه العنزة عارية **(فأعطاه)** أي الزبير إياها عارية **(فلما قبض رسول الله أخذها)** أي

قبض أبو بكر سألها إياه عمر فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياهاه، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل.

عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: دخل على النبي ﷺ غداة بُني عليَّ وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائي يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد فقال النبي ﷺ: «لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين»؟ عن أبي طلحة رضي الله عنه وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة». عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب النبي

---

الزبير لأنها كانت عارية ثم طلبها أبو بكر (**فأعطاه إياها، فلما قبض طلبها عمر فأعطاه إياها، فلما قبض طلبها عثمان فأعطاه إيَّاها فلما قتل وقعت عند عليٍّ ثم كانت بعده في بنيه فطلبها عبد الله بن الزبير منهم فكانت عنده حتى قتل**).

(**عن الربَيِّع**) بضم الراء وفتح الباء وتشديد التحتية المكسورة (**بنت معوِّذ**) بكسر الواو المشددة بعدها معجمة ابن عفراء الأنصارية (**رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت دخل عليَّ النبي ﷺ غداةَ**) بالنصب على الظرفية مضاف لقوله (**بُنِيَ**) بضم الموحدة وكسر النون مبنياً للمفعول (**عليَّ**) بالتشديد أي دَخل عليها زَوْجها إياس بن بكير (**وجُويريات**) بضم الجيم والواو للحال (**يضربن بالدُّف**) بضم الدال وتفتح وتشديد الفاء حال كونهن (**يندبن**) بضم الدال يقال ندبت المرأة الميت ندباً من باب قتل إذا عددت محاسنه أي يذكرن (**من قتل من آبائي يوم بدر**) وفي نسخةٍ ببدر بأحسن أوصافهم بما يهيج البكاء والشوق وكان قتلِ أبوها معوذ وعمها عوف أو معاذ قتلهما عكرمة بن أبي جهل وأطلقت على عمها الأُبوة تغليباً (**حتى قالت جارية**) منهن: (**وفينا نبي يعلم ما**) يكون (**في غدٍ فقال**) لها (**النبي ﷺ: لا تقولي هكذا**) فيه كراهية نسبة الغيب إلى الخلق (**وقولي ما كنت تقولين**) القصد بذلك الإعراض عن مدحه عليه الصلاة والسلام لا تقريرها على الندب لأنه مكروه أو حرام.

(**عن أبي طلحة رضي الله تعالى عنه وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه قال لا تدخل الملائكة**) غير الحفظة (**بيتاً فيه كلب**) لا يحل اقتناؤه أو أعم، وامتناعهم من الدخول لأكله النجاسة وقبح رائحته (**ولا صورة**) أي صورة التماثيل التي فيها الأرواح لما فيها من مضاهاة الخلق جلّ وعلا، والجمهور على التحريم، أما صورة الشجر ورحال الإبل فليس بحرام لكن يمنع دخول ملائكة الرحمة في ذلك البيت. (**عن عبد الله بن عمر**) ابن الخطاب (**رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: تأيمت حفصة بنت عمر**) بفتح الهمزة

ﷺ قد شهد بدراً توفي بالمدينة قال عمر: فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر قال: أنظر في أمري فلبثت ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت غمر فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال لعلك وجدت على حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك قلت: نعم قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها. عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في

---

وتشديد التحتية المفتوحة **(من)** زوجها **(خُنيس بن حذافة)** بضم الخاء المعجمة وفتح النون وبعد التحتية الساكنة سين مهملة وحذافة بالحاء المهملة المضمومة والذال المعجمة والفاء ابن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو القرشي **(السهمي)** بالسين المهملة أي صارت لا زوج لها بموته **(وكان)** خَنيس **(من أصحاب النبي ﷺ قد شهد بدراً تُوفِّي بالمدينة)** من جراحة أصابته في وقعة أُحد قاله في الإصابة، وقيل بعد بدر قال في الفتح: ولعله أولى فإنهم قالوا: إنه ﷺ تزوجها بعد خمسةٍ وعشرين شهراً من الهجرة وفي رواية بعد ثلاثين شهراً، وفي أخرى بعد عشرين شهراً، وكانت أحد بعد بدر بأكثر من ثلاثين شهراً وجزم ابن سعد بأنه مات بعد قدومه عليه الصلاة والسلام من بدر، وبه جزم ابن سيد الناس **(قال عمر فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت)** له: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر قال عثمان **(سأنظر)** أي أتفكر **(في أمري فلبثت ليالي)** أي ثم لقيته **(فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي)** أي وقتي **(هذا قال عمر: فلقيت أبا بكرٍ فقلت)** له: **(إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر)** أي سكت **(فلم يرجع إلَي شيئاً)** بفتح التحتية وكسر الجيم وهو تأكيد لرفع المجاز لاحتمال أن يُظنَّ أنه صمت زماناً طويلاً ثم تكلم **(فكنت عليه)** أي على أبي بكر **(أوجد)** بالجيم أي أشد موجدة أي غضباً **(مني على عثمان)** لكونه أجابه أولاً ثم اعتذر له ثانياً بخلاف أبي بكر لم يجبه بشيء **(فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجِدْتَ)** أي غضبت **(على حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع)** أي فلم أُعِد **(إليك)** جواباً **(قلت نعم فقال إنه لم يمنعني أن أُرجع إليك)** جواباً **(فيما عرضت)** عليَّ **(إلاَّ أني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ)** زاد ابن عساكر، أبداً **(ولو تركها)** عليه الصلاة والسلام **(لقبلتُها)** وفيه فضل كتمان السرّ فإذا أظهره صاحبه ارتفع الحرج.

**(عن أبي مسعود)** عقبة **(البدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ:**

ليلة كفتاه» عن المقداد بن عمرو الكندي حليف بني زهرة وكان ممن شهد بدراً قال: قلت لرسول ﷺ: أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يَديَّ بالسيف فقطعها ثم لازمني بشجرةٍ فقال: أسلمت لله أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله» قلت: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها فقال رسول الله ﷺ: «لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال». عن جبير بن مطعم رضي الله

---

**الآيتان من آخر سورة البقرة)** هما قوله تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ إلى آخر السورة (**من قرأهما في ليلة كفتاه**) من شر الإنس والجنّ أو أغنتاه عن قيام الليل بالقرآن.

(**عن المقداد بن عمرو**) بفتح العين ابن ثعلبة بن مالك بن ربيعة (**الكِنْدي**) بكسر الكاف (**حَلِيف بني زُهرة**) بضم الزاي وسكون الهاء بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر (**وكان ممن شهد بدراً رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قلت لرسول الله ﷺ**) وفي نسخة قلت: يا رسول الله (**أرأيت**) أي أخبرني (**إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب إحدى يدَيَّ بالسيف فقطعها ثم لاذ**) بالذال المعجمة أي التجأ واحتضن (**مني بشجرةٍ فقال: أسلمت لله**) أي دخلت في الإسلام وعند مسلم: أنه قال لا إله إلاّ الله (**أأقتله يا رسول الله؟**) بهمزة الاستفهام (**بعد أن قالها**) أي كلمة أسلمت لله (**فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يَدَيّ ثم قال ذلك بعد أن قطعها، فقال رسول الله ﷺ: لا تقتله فإن قَتَلْتَه فإنه بمنزلتك**) أي مثلك (**قبل أن تقتله**) لأنه صار مسلماً معصوم الدم فقد جب الإسلام ما كان منه من قطع يدك (**وإنك بمنزلته**) أي مثله (**قبل أن يقول كلمته**) أسلمت لله (**التي قالها**) أي إنَّ دمك صار مباحاً بالقصاص كما أن دم الكافر مباح بحق الدين، فوجه الشبه إباحة الدم وإن كان الموجب مختلفاً أو أنك تكون آثماً كما هو آثماً في حال كفره، فيجمعكما اسم الإثم وإن كان سبب الإثم مختلفاً أو المعنى إن قَتَلْتَهُ مُستَحِلاً قتله، وتعقب بأن استحلاله للقتل إنما هو عن اجتهاد ساعده المعنى بتأويل أنه أسلم خوفاً من القتل، ومن ثَمَّ لم يوجب ﷺ قوداً ولا دية، بَيَّن ﷺ أن من قالها فقد عَصَم دمه وماله وقال وهلا شققت عن قلبه إشارة إلى نكتة الجواب، والمعنى أن هذا الظاهر مضمحل بالنسبة إلى القلب لأنه لا يطلع على ما فيه إلاّ الله تعالى، ولعل هذا أسلَم حقيقة وإن كان تحت السيف ولا يُمكن دفع هذا الاحتمال فحيث وجدت الشهادتان حكم بمضمونهما بالنسبة إلى الظاهر وأمر الباطن إلى الله تعالى، فالإقدام على قتل المتلفظ بهما مع احتمالِ أنه صادقٌ فيما أخبر به عن ضميره فيه ارتكاب ما لعله يكون ظلماً له فالكف عن القتل أولى، لأنه ﷺ ليس له غرض في إزهاق الروح

عنه أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له».

## حديث بني النضير

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حاربت النضير وقريظة فأجْلَى بني النضير وأقرَّ قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم

---

بل في الهداية والانقياد فإن لم يحصل ذلك تعين إزهاق الروح لزوال مفسدة الكفر من الوجود مع التلفظ بكلمة الحق لم تتعذر الهداية حصلت أو لم تحصل في المستقبل، فمادة الفساد الناشىء عن الكفر قد زالت بانقياده ظاهراً ولم يبق إلاَّ الباطن وهو مشكوك ومرجو ولو مآلاً فقد لاح من حيث المعنى وجه قبول الإسلام اهـ مُلخصاً من المصابيح فيما نقله عن التاج السبكي.

**(عن جبير بن مُطعم)** بن عدي **(رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال في أساري بدر: لو كان المُطعم)** بضم الميم وكسر العين المهملة **(ابن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى)** بنونين مفتوحتين بينهما فوقية ساكنة جمع نتن كزَمِن يجمع على زَمْنَى والمراد قتلى بدر الذين صاروا جيفاً **(لتركتهم)** أحياء ولم أقتلهم من غير فداء إكراماً **(له)** واحتراماً وقبولاً لشفاعته، لما كانت له عنده ﷺ من اليد حين رجع من الطائف في جواره، وعند ألفاكهي بإسناد حسن مرسل: إن المطعم بن عدي أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح وقام كل واحد منهم عند ركن من الكعبة فبلغ ذلك قريشاً فقالوا له أنت الرجل الذي لا تُخْفَر له ذمة، ولما حصرت قريش بني هاشم ومن معهم من المسلمين في الشِّعب كان المطعم بن عدي من أشد من قام في نقض الصحيفة التي كانت اكتتبتها قريش على بني هاشم ومن معهم ومات المطعم قبل وقعة بدر.

## حديث بني النضير

بفتح النون وكسر المعجمة قبيلة كبيرة من اليهود كان النبي ﷺ وادعهم على أن لا يقاتلهم.

**(عن ابن عمر رضي الله عنهما)** أنه **(قال: حاربت النضير وقريظة)** أي بنو قريظة بالظاء المعجمة المشالة أي النبي ﷺ، فالمفعول محذوف وفي نسخةٍ قريظة والنضير وكان ذلك على رأس ستة أشهر من وقعة بدرٍ قبل وقعة أحد **(فأجلى)** بهمزة مفتوحة وجيم ساكنة فلام مفتوحة أي أخرج رسول الله ﷺ **(بني النضير)** من أوطانهم مع أهلهم وأولادهم **(وأقر طريظة)** في منازلهم **(ومن عليهم)** ولم يأخذ منهم شيئاً **(حتى حاربت)** أي إلى أن حاربته ﷺ **(قريظة)** فحاصرهم خمسْة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف

وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة، وعنه رضي الله عنه قال: حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ [الحشر: ٥]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان إلى

---

الله تعالى في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكمه ﷺ **(فقتل رجالهم وقسّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين)** بعد أن أخرج الخُمس فأعطى الفارس ثلاثة أسهم وكانت الخيل ستة وثلاثين **(إلا بعضهم)** أي بعض قريظة **(لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم)** بمد الهمزة وتخفيف الميم وروي بتشديدها والقصر أي جعلهم آمنين **(واسلموا وأجلى)** ﷺ **(يهود المدينة كلهم بني قينقاع)** بقافين مفتوحتين بينهما تحتية ساكنة فنون مضمومة وتكسر وتفتح وبعد الألف عين مهملة **(وهم رهط عبد الله بن سلام)** بالتخفيف **(ويهود بني حارثة)** بنصب يهود عطفاً على السابق **(و)** أجلى **(كل يهودٍ)** بالتنوين **(بالمدينة)** وفي نسخة: كل يهودي بالمدينة بتحتية بعد الدال ثم موحدة وفي أخرى كل يهودي المدينة بحذف الموحدة وإجلاء بني النضير هو المراد بقوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ [الحشر: ٥] أي عند أول الحشر أي أن هذا أول حشرهم إلى الشام وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام وعن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباسٍ: سورة الحشر فقال: قل: سورة النضير أي لأنها نزلت فيهم وذكر الله تعالى فيها الذي أصابهم من النقمة.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: حرّق)** بتشديد الراء **(رسول الله ﷺ نخل بني النضير)** وفي نُسخَةٍ نخل النضير بإسقاط بني **(وقطع)** الأشجار وفيه جواز قطع شجر الكفار وإحراقه وبه قال عبد الرحمن بن القاسم ونافع مولى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ومالك والثوري والشافعي وأحمد وإسحاق والجمهور قاله النووي في شرح مسلم **(وهي البويرة)** بضم الموحدة وفتح الواو وسكون التحتية وفتح الراء بعدها هاء تأنيث موضع نخل بني النضير بقرب المدينة الشريفة **(فنزلت ما قطعتم من لينة)** هو بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قيل أي شيءٍ قطعتم وأنت الضمير العائد إلى ما في قوله **(أو تركتموها)** لأنه في معنى اللينة واللينة هي أنواع التمر كلها إلا العجوة وقيل كرائم النخل وقيل كل الأشجار للينها، وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعاً وياء اللينة بدل عن واو قلبت ياء لكسر ما قبلها **(قائمةً على أصولها فبإذن الله)** قطعها وتركها أي بمشيئته.

**(عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها قالت: أرسل أزواج النبي ﷺ عثمان)** بن عفان رضي الله تعالى عنه **(إلى أبي بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه **(يسألنه**

أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله فكنت أنا أردهن، فقلت لهن: ألا تتقين الله ألم تعلمن أن النبي ﷺ كان يقول: «لا تُورَّث ما تركنا صدقة» يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد في هذا المال فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهن.

## قتل كعب بن الأشرف

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب ابن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله»؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله قال: «نعم» قال: فأذن لي أن أقول شيئاً قال: «قل» فأتاه محمد بن

---

**ثمنهن)** أي الثمن الذي لهن **(مما أفاء الله على رسوله)** من أموال بني النضير وغيرها فإنَّ ذلك كان خاصاً به ﷺ كما هو مذهب الجمهور، وعند الشافعية يُخمس خمسة أخماس لآية الأنفال حملاً للمطلق على المُقيَّد وقد كان عليه الصلاة والسلام يقسم له أربعة أخماسه وخمس خمسه ينفق منه على أهله نفقةَ سنَةٍ وما بَقي يُنفِقه في السلاح والكراع ومصالح المسلمين ولكل من الأربعة المذكورين معه في الآية خمس خمس، وأما بعده فيصرف ما كان له من خمس الخمس لمصالحنا ومن الأخماس الأربعة للمرتزقة **(فكنت أنا أردُّهن فقلت لهن ألا تتقين)** بالتخفيف **(الله ألم تعلمن أن النبي ﷺ كان يقول لا نورِّث ما تركناه صدقة)** بالرفع خبر المبتدأ الذي هو ما وفي نسخة، ما تركنا بحذف العائد أي الذي تركناه صدقة **(يريد)** عليه الصلاة والسلام **(بذلك نفسه)** وكذا غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدليل آخر وهو قوله في الحديث الآخر: نحن معاشر الأنبياء لا نُورِّثْ **(إنما يأكل آل محمد في هذا المال)** من جملة من يأكل منه لا أنه لهم بخصوصهم كما مر **(فانتهى أزواج النبي ﷺ إلى ما أخبرتهن)** بسكون الفوقية أي لم يطلبن بعد ذلك من هذا المال شيئاً وإنما طلبه عليٌّ والعباس من عمر رضي الله تعالى عنهم فدفعه عمر لهما ثم غلب عليه عليٌّ ومنع العباس منه فكان بيده ثم بيد أولاده من بعده.

## قتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكان في ربيع الأول في السنة الثالثة كما عند ابن سعد **(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ لكعب بن الأشرف)** أي من يستعد وينتدب لقتله **(فإنه قد آذى الله ورسوله)** بهجائه للرسول وللمسلمين وتحريض قريش عليهم وفي رواية فإنه قد آذاني بشعره وقوى المشركين **(فقام محمد بن مَسلَمة)** بفتح الميم واللام من مسلمة الأنصاري أخو بني عبد الأشهل **(فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله)** استفهام استخباري **(قال)** عليه الصلاة والسلام **(نعم)** أُحِبُّ ذلك **(قال)**: يا رسول الله **(فأذن لي أن أقول شيئاً)** يسر كعباً مما يتعلق بك **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(قل)** وعند ابن عبد البر فرجع محمد بن مسلمة فمكث أياماً مشغول النفس بما وعد

مسلمة فقال إن هذا الرجل قد سألنا صدقة وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك أستسلفك قال: وأيضاً والله لتملنه قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم أرهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: أرهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فأرهنوني أبناءكم، قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رُهِنَ بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمة فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم فقالت

---

رسول الله ﷺ من قتل ابن الأشرف، فأتى أبا نائلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش والحارث بن أوس بن معاذ وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعد به رسول الله ﷺ من قتله لابن الأشرف فأجابوه إلى ذلك فقالوا: كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول: قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حِلٍّ **(فأتاه)** أي أتى كعباً **(محمد بن مَسلمةَ فقال)** له: يا كعب **(إن هذا الرجل)** يعني النبي ﷺ **(قد سألنا صدقة)** مفعول ثانٍ لسأل زاد الواقدي ونحن لا نجد ما نأكل **(وإنه قد عنَّانا)** بفتح العين وتشديد النون الأولى أي أتعبنا وكلفنا المشقة **(وإني قد أتيتك أستسلفك)** أي أطلب منك أن تسلفني شيئاً **(قال)** كعب **(وأيضاً)** أي زيادة على ما ذكرت **(والله لَتُملُّنَّهُ)** بفتح الفوقية والميم وضم اللام وفتح النون المشددتين أي لتزيدنَّ ملالتكم وضجركم **(قال)** محمد بن مسلمة: **(إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه)** أي نتركه **(حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه)** أي أمره مع قومه **(وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين)** بفتح الواو كسرها والوسق كما في القاموس: حِمل بعير وهو ستونَ صاعاً والصاع أربعة أمداد وكل مد رطل وثلث، وأو للتنويع وقيل للشك من الراوي **(قال)** كعب **(نعم أرهَنوني)** بهمزة وصل وفتح الهاء وقيل بهمزة قطع وكسر الهاء أي أعطوني رهنا على التمر الذي تريدونه **(قالوا: أي شيء تريد)** أي نرهنك **(قال ارهَنوني)** بهمزة وصل مع فتح الهاء **(نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا)** بفتح النوان من رهن الثلاثي قيل ويضمها من أرهن **(وأنت أجمل العرب)** والنساء يملن إلى الصور الجميلة، زاد ابن سعد: ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك **(قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسَبُ)** بضم التحتية وفتح المهملة **(أحدهم)** بالرفع مفعول نائب عن الفاعل **(فيقال رُهِن)** بضم الراء وكسر الهاء **(بوسق أو وسقين، هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللأمَةَ)** بالهمزة وإبدالها ألفا أي الدرع وقيل السلاح ومراده أن لا ينكر كعب السلاح وعليهم إذا أتوه وهو معهم كما في رواية الواقدي **(فواعده أن يأتيه فجاءه)** محمد بن مسلمة **(ليلاً ومعه أبو نائلة)** بنون وبعد الألف همزة سلكان بن أم سلامة **(وهو أخو كعب من الرضاعة)** ونديمه في الجاهلية **(فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم)** وفي نسخةٍ فنزل إلينا وعند ابن إسحاق

له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة قالت: إني أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد ابن مسلمة معه رجلين وفي روايةٍ أبو عبس بن جبر والحرث بن أوس وعباد بن بشر

---

وابن عمر أن محمد بن مسلمة والأربعة المذكورين قدموا إلى كعب قبل أن يأتوا أبا نائلة سلكان، فلما أتاه قال له: ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك سرّاً فاكتمها عني قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدٍ وقطعت عنا السبيل حتى جاع العيال وجهدت الأنفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن أم سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول، فقال سلكان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك، قال: أترهنوني أبناءكم ونساءكم؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا أنت أجمل العرب، وكيف نرهنك نساءنا أم كيف نرهنك أبناءنا فيعير أحدُهم فيقال: رُهِن بوسق أو وسقين إن معي أصحاباً على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة أي الدرع ما فيه وفاء، فقال: إن في الحلقة لوفاء فرجع أبو نائلة إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويأتوا رسول الله ﷺ. ففعلوا واجتمعوا عند رسول الله ﷺ فمشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم، وقال: انطلقوا على اسم الله تعالى وقال: اللهم أعنهم، ورجع عنهم وكانت ليلة مقمرة حتى أتوا إلى حصنه فهتف به أبو نائلة اهـ ففيه أن الذي خاطب بذلك كعباً أولاً هو أبو نائلة، وهو الذي هتف به وهو يخالف رواية الصحيح من أنه محمد بن مسلمة فيحتمل كما في الفتح أن يكون كل منهما كلمة في ذلك وقال في المصابيح: إن محمد بن مَسلَمة وكلامه مع كعب كان أولاً عند المفاوضة في حديث الاستسلاف وركونه لرضيعه أبي نائلة إنما هو في ثاني الحال عند نزوله إليهم من الحصن **(فقالت له امرأته)** لم يقف الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى على تسميتها **(أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة، قالت)** أي امرأة كعب له: **(إني أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم)** كناية عن طالب شر وعند ابن إسحاق فقالت: والله إني لأعرف في صوته الشر **(قال)** كعب **(إنما هو أخي محمد بن مَسلَمة ورضيعي أبو نائلة إن الكريم إذا)** وفي نسخة لو **(دُعي إلى طعنة بليل لأجاب قال)** الراوي: **(ويدخل)** بفتح التحتية وضم المعجمة **(محمد بن مسلمة معه رجلين)** وفي نسخة ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين بضم التحتية وكسر المعجمة **(وفي رواية)** أن الذين دخلوا مع محمد بن مسلمة وأبي نائلة **(أبو عبس)** بفتح العين المهملة وبعد الموحدة الساكنة مهملة واسمه عبد الرحمن **(بن جبر)** بفتح الجيم وسكون الموحدة ضد الكسر الأنصاري الأشهلي **(والحارث بن أوس)** واسم جده معاذ **(وعباد)**

فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة ثم أشمكم فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب فقال عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال أتأذن لي قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه.

## قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال سلام بن أبي الحقيق

عن البراء رضيء الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي

---

بفتح العين وتشديد الموحدة (**ابن بشر**) بموحدة مكسورة ومعجمة ساكنة ابن وقش السابق ذكرهم (**فقال**) محمد بن مسلمة لهم: (**إذا ما جاء**) كعب (**فإني قائل بشعره**) أي أجذبه والعرب تطلق القول على غير الكلام مجازاً وفي نسخةٍ فإني مائل بشعره (**فأشمه**) بفتح الشين المعجمة وقد تضم، قال في المختار: شَمَّ الشيء يشمه بالفتح شماً وتشميما أيضا، وشم من باب ردَّ لغة فيه اهـ وفي المصباح: شمَمْتُ الشيء أشُمُّهُ من باب تعب وشَممْتُهُ شَمَّاً من باب قتل لغة فيه اهـ (**فإذا رأيتموني استمسكت**) أي تمكنت (**من رأسه فدونكم**) أي فخذوه بأسيافكم (**فاضربوه وقال مرة: ثم أُشِمكم**) بضم الهمزة وكسر الشين أي أمكنكم من الشم (**فنزل إليهم**) كعب من حصنه حال كونه (**متوشحاً**) بثوبه (**وهو يَنفح**) بفتح الياء التحتية وكسر الفاء وفتحها وآخره حاء مهملة أي يفوح (**منه ريح الطيب فقال**) محمد بن مسلمة لكعب: (**ما رأيت كاليوم ريحاً أي أطيب**) وكان حديث عهد بعرس (**فقال**) كعب (**عندي**) طيب (**أعطر نساء العرب**) وفي نسخة سيد العرب قيل هو تصحيف وقيل على حذف مضاف أي نساء سيد العرب وعند الواقدي: إن كعباً كان يدَّهِن بالمسك الفتيت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه (**فقال**) محمد بن مسلمة لكعب: (**أتأذن لي أن أشم رأسك؟**) بفتح الهمزة والشين المعجمة على ما مر (**قال: نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال**) له مرة ثانية (**أتأذن لي**) أن أشم رأسك؟ (**فقال: نعم فلما استمكن**) أي تمكن (**منه**) محمد بن مسلمة (**قال**) لأصحابه (**دونكم**) أي خذوه بأسيافكم (**فقتلوه ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه**) بقتله.

## قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق

بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى مصغراً اليهودي (**ويقال**) اسمه (**سلام**) بتشديد اللام ابن أبي الحقيق (**عن البراء**) بن عازب (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال بعث رسول الله ﷺ رهطاً**) ما دون العشرة من الرجال وعند الحاكم: إنهم كانوا أربعة فيهم عبد

رجالاً من الأنصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه وكان في حصنٍ له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم فإني مطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على

---

الله بن عتيك، وعند غيره خمسة عبد الله بن عتيبة الذكواني ومسعود بن سنان الأسلمي وعبد الله بن أنيس بضم الهمزة الجهني وأبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله ﷺ وخُزاعي بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وبالعين المهملة ابن الاسود الأسلمي وأمر بتشديد الميم **(عليهم عبد الله بن عتيك)** بفتح العين المهملة وكسر الفوقية وسكون التحتية بعدها كاف الأنصاري ابن قيس بن الأسود بن سلمة بكسر اللام **(وكان أبو رافع)** اليهودي **(يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه)** وهو الذي حزَّب الأحزاب يوم الخندق، وعند ابن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من بطون العرب بالمال الكثير على رسول الله ﷺ **(وكان)** أبو رافع **(في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا)** بفتح الدال والنون أي قربوا **(منه وقد غابت الشمس وراح الناس بِسَرحِهم)** بالموحدة وفتح السين وكسر الحاء المهملتين بينهما راء ساكنة أي رجعوا بمواشيهم التي ترعى وتسرح وهي السائمة من الإبل والبقر والغنم **(قال)** وفي نسخةٍ: فقال **(عبد الله)** بن عتيك **(لأصحابه)** وهم عبد الله بن عتبة بضم العين المهملة الذكواني ومسعود بن سنان الأسلمي حليف بني سلمة، وعبد الله بن أنس بضم الهمزة مصغراً الجهني الأنصاري فارس رسول الله ﷺ، وخُزاعي بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي وبالعين المهملة ابن أسود السلمي **(اجلسوا مكانكم فإني منطلق)** إلى حصن أبي رافع **(ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل)** إلى الحصن **(فأقبل)** ابن عتيك **(حتى دنا من الباب ثم تَقَنَّعَ)** أي تغطى **(بثوبه)** ليخفي شخصه كي لا يُعرف **(كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس فهتف به)** أي ناداه **(البوَّاب يا عبد الله)** لم يَرِد به العلم بل المعنى الحقيقي لأن الناس كلهم عبيد الله تعالى **(إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب)** وفي رواية فتلطفت أن أدخل الحصن ففقدوا حماراً لهم، فخرجوا بقيس يطلبونه فخشيت أن أُعرف فغطيت رأسي ورجلي وجلست كأني أقضي حاجة، ثم نادى صاحب الباب من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه **(فدخلت فكمنت)** بفتح الميم والكاف أي اختبأت وفي رواية ثم اختبأت في مربط حمار عند باب الحصن. **(فلما دخل الناس أغلق الباب)** أي الذي يفتحه ويغلقه **(ثم علق)** بالعين المهملة واللام المشددة **(الأغاليق)** بالمهزة المفتوحة والغين المعجمة أي المفاتيح التي

وتد قال فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رفع يسمر عنده وكان في علالي له فلما ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل قلت إن القوم نُذِروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت فقلت يا أبا رافع فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لأمك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت ظبة في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت

---

يغلق بها ويفتح (**على وتد**) بفتح الواو وكسر الفوقية وفي نسخةٍ بتشديد الدال وأصله وتد فأدغم الفوقية بعد قلبها دالاً في تاليها (**قال**) ابن عتيك (**فقمت إلى الأقاليد**) بالقاف أي المفاتيح (**فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يُسْمَر**) بضم أوله وسكون ثانيه مبنياً للمفعول أي يتحدث (**عنده**) بعد العشاء (**وكان في عَلالي**) بفتح العين المهملة وتخفيف اللام وبعد الألف لام أخرى مكسورة فتحتية مفتوحة مشددة جمع علية بضم العين وكسر اللام المشددة وهي الغرفة (**فلما ذهب أهل سَمَره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليَّ**) بتشديد التحتية (**من داخل قلت إن القوم**) بكسر النون مخففة وهي الشرطية دخلت على فعل محذوف يفسره ما بعده مثل ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ (**نَذِروا**) بِكسر الذال المعجمة أي علموا (**بي لم يخلصوا**) بضم اللام (**إلي**) بتشيد التحتية (**حتى أقتله فانتهت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسْط عياله**) بسكون السين (**لا أدري أين هو من البيت فقلت**) بالفاء قبل القاف وفي نسخة باسقاطها (**يا أبا رافع**) لأعرف موضعه، وفي نسخة: إسقاط حرف النداء (**فقال: من هذا؟ فأهويت**) أي قصدت (**نحو صاحب الصوت فأضربه ضربة بالسيف**) بلفظ المضارع وكان الأصل أن يقول ضربه مبالغةً لاستحضار صورة الحال (**وأنا**) أي والحال أني (**دَهِش**) بفتح الدال المهملة وكسر الهاء بعدها شين معجمة، وفي نسخةٍ دَاهِش بألف بعد الدال (**فما أغنيت شيئاً**) أي فلم أقتله (**وصاح**) أبو رافع (**فخرجت من البيت فأمكث**) بهمزة قبل الميم آخره مثلثة (**غير بعيد ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت؟ يا أبا رافع فقال: لامُك الويل**) مبتدأ مؤخر أي الويل لأمك وهو دعاء عليه (**إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال**) ابن عتيك: (**فأضربه ضربة أثخنته**) بفتح الهمزة وسكون المثلثة وفتح الخاء المعجمة والنون بعدها فوقية أي الضربة، وفي نسخةٍ بسكون النون وضم الفوقية أي بالغت في جراحته (**ولم أقتله ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه**) بالمعجمة غير المشالة وموحدتين بينهما تحتية ساكنة بوزن رغيف، قال الخطابي: هكذا يُروى وما أراه محفوظاً وإنما هو ظبة السيف بضم

أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي فقلت النجاء فقد قتل الله أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال لي أبسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها قط.

---

الظاء المشالة المعجمة وفتح الموحدة المخففة بعدها تاء تأنيث، قال في المحكم: الظبة حد السيف والسِنان والنَّصل والخِنْجَر وما أشبه ذلك، والجمع ظباة وظُبون بالضم والكسر وظباً كهدىً ثم قال الخطابي: والضبيب لا معنى له هنا لأنه سيلان الدم من الفم وروي صبيب بالصاد المهملة المفتوحة قال بعضهم: وأظنه تحريفاً (**حتى أخذ في ظهره**) وفي رواية ثم جئت وغيرت صوتي كهيئة المغيث فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه ثم أنكفىء عليه حتى سمعت صوت العظم (**فعرفت**) حينئذٍ (**اني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجْلِي**) بالإفراد (**وأنا أرى**) بضم الهمزة أي أظن (**أني قد انتهيت**) إلى الأرض وكان ضعيف البصر (**فوقعت في ليلةٍ مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة**) بتخفيف الصاد، وفي رواية: ثم رجعت دَهِشاً حتى أتيت السُلَّم أريد أن أنزل فأسقط منه فانخلعت رجلي فعصبتها، ولا معارضة بينهما لاحتمال أنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق أو المراد من كل منهما مجرد اختلال الرجل (**ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج**) وفي نسخةٍ لا أبرح (**الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا فلما صاح الديك**) وفي رواية فلما كان في وجه الصبح (**قام الناعي**) بالنون والعين المهملة أي المخبر بموته (**على السور فقال: أنعي**) بفتح الهمزة والعين قال السفاقسي: هي لغية والمعروف أنعوا (**أبا رافع تاجر الحجاز**) أي أخبرته بموته قال الأصمعي: إن العرب إذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرساً فقال: يعني فلان (**فانطلقت إلى أصحابي فقلت لهم: النجاء**) بهمزة ممدودة منصوب مفعول مطلق والمد أشهر إذا أُفرِد فإن كرر قُصِرَ أي أسرعوا (**فقد قتل الله تعالى أبا رافع فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته**) بما واقع (**فقال**) لي (**ابسط رجلك**) التي كسر ساقها (**فبَسطت رجلي فمسحها**) بيده المباركة (**فكأني**) نسخة: فكأنها أي رجلي، وفي أخرى فكأنما بالميم بدل الهاء (**لم أشتكها قط**) ولا يعارض ذلك رواية: فلما كان في وجه الصبح صعدت الناعية فقالت: أنعي أبا رافع فعمت أمشي ما بي قَلبة بفتح القاف واللام أي تقلب واضطراب من جهة علة الرجل فأدركت أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشرته لأن لا يلزم من عدم التقلب عوده إلى حالته الأولى وعدم بقاء الأثر فيها، ولعله اشتغل عن شدة الألم والاهتمام به بما في قلبه من الفرح، ثم لما أتى النبي ﷺ ومسح عليه زال عنه جميع الآلام.

## غزوة أحد

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد: أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات في يده ثم قاتل حتى قتل.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه عليهما ثياب بيض كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد.

---

## غزوة أحد

بضم أوّله وثانيه جبل كانت عنده الواقعة العظيمة، وكانت في شوّال سنة ثلاث وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل ومعهم مائتان فرس، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى الخيل صفوان بن أمية أو عمرو بن العاص، وعلى الرَّجَّالة عبد الله بن ربيعة وكان فيهم مائة رامٍ، وكان المسلمون مع رسول الله ﷺ سبعمائة وفرسه عليه الصلاة والسلام وفرس أبي بردةَ بن نيار، وقتل من المسلمين وسبعون وقيل مائة وقيل إن السبعين من الأنصار خاصةً، وثبت ﷺ وما زال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين منهم أبو بكر، وسبعة من الأنصار ولما خلص العد إليه صار يرمي بالحجارة حتى وقع لشقه واصيبت رباعيته وشج وجهه وكُلِمَتْ شفته وجعل الدم يسيل على وجهه الشريف، وقال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال.

**(عن جابر)** بن عبد الله الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رجل)** قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه وقال غيره هو عمير بن الحُمام بضم المهملة وتخفيف الميم الأولى ابن الجموح الأنصاري السلمي، محتجاً حديث مسلم أن عمر بن الحمام أخرج تمراتٍ فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة. ثم قاتل حتى قتل، واعترض بأن عميراً هذا قُتِل ببدر وهو أول قتيل قُتِل من الأنصار في الإسلام في حربٍ وما هنا في يوم أحدٍ قال في الفتح: فالظاهر أنهما قِصَّتان وقعتا لرجلين **(للنبي ﷺ يوم)** غزوة **(أحدٍ: أرأيت)** أي أخبرني **(إن قُتِلْتُ فأين أنا؟ قال)** رسول الله ﷺ: **(في الجنة فألقى)** الرجل **(تمراتٍ)** كانت **(في يده ثم قاتل حتى قُتِل)** رضي الله تعالى عنه.

**(عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم)** وقعةِ **(أحد ومعه رجلان)** هما جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام كما في مسلم **(يقاتلان)** الكفار **(عنه)** عليه الصلاة والسلام **(عليهما ثياب بِيض كأشد القتال)** الكاف

وعنه رضي الله عنه قال: نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد فقال: «ارم فداك أبي وأمي».

عن أنس رضي الله عنه قال: شج النبي ﷺ يوم أحد فقال: «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»؟ فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: «اللَّهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً»، بعد ما يقول سمع الله لمن

---

زائدة أو للتشبيه أي كأشد قتال بني آدم **(ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ)** وهذا يَرُدُّ قول من قال: إن الملائكة لم تقاتل معه إلا يوم بدرٍ وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نثل)** بالنون والمثلثة واللام أي استخرج **(لي رسول الله ﷺ كِنانته)** بكسر الكاف وتخفيف النون وهي جعبة النبل **(يوم أحدٍ فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(إرم فداك أبي وأمي)** بكسر الفاء وتفتح أي لو كان لي إلى الفداء سبيل لفديتك بأبوي اللذين هما عزيزان عندي، والمراد من التفدية لازمها وهو الرضا أي ارم مرضياً عنك، وعند الحاكم أنَّ سعداً قال: لما جال الناس يوم أحدٍ تلك الجولة تنحيت فقلت: أذود عن نفسي فأما أن أنجو وإما أن أستشهد فإذا رجلٌ محمرٌ وجهه وقد كاد المشركون أن يركبوه، فملأ يده من الحصار فرماهم وإذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي: يا سعد هذا رسول الله ﷺ يدعوك، فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى وأجلسني أمامه فجعلت أرمي فذكر الحديث.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: شُجَّ النبي ﷺ يوم أحد)** في رأسه وكُسِرت رباعيته **(فقال)** وهو يمسح الدم عن وجهه: **(كيف يفلح قوم شجوا نبيهم)** وهو يدعوهم إلى الله تعالى **(فنزل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾)** [آل عمران: ١٢٨] والجار والمجرور خبر ليس مقدم وشيء اسمها ومن الأمر حال من شيء لأنها صفة منه والجملة معترضة بين المعطوف وهو ﴿أو يتوب عليهم﴾ والمعطوف عليه وهو ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ [آل عمران: ١٢٧] والمعنى إن الله تعالى مالك أمرهم فإمَّا أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر ليس لك من الأمر شيء أي إنما أنت مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة)** وفي نسخةٍ: في الركعة **(الأخيرة من الفجر)** بعد أن شُجَّ وكُسِرَت رباعيته يوم أحد يقول: **(اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً)** صفوان بن أمية بن خلف الجمحي وسُهيل بن عمر والقرشي العامري والحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي يقول ذلك **(بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد)** بدون واو وفي نسخةٍ: «ولك

حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾إلى قوله ﴿فإنهم ظالمون﴾ [آل عمران: ١٢٨].

## قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

عن عبيد الله بن عدي بن الخيار أنه قال، لوحشي: ألا تخبرنا بقتل حمزة قال: نعم إنَّ حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر فقال لي: مولاي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر قال: فلما أن خرج الناس عام عينين وعينين

---

الحمد» بالواو (**فأنزل الله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾** إلى قوله: **﴿فإنهم ظالمون﴾**) وزاد أحمد والترمذي فتيب عليهم كلهم أي لأن الثلاثة أسلموا يوم الفتح وحسن إسلامهم، ولعل ذلك هو السِّرُّ في نزول قوله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وقد ذكر المؤلف تبعاً لأصله سببين في نزول الآية، ويحتمل أنها نزلت في الأمرين جميعاً فإنهما كانا في قصةٍ واحدة، وقيل سبب نزولها أنه ﷺ لما صعب عليه ما فعلوه بحمزة رضي الله تعالى عنه من المُثْلَةِ قال: لأمثِّلنَّ بسبعين منهم فنزلت. وقيل أراد أن يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت لعلمه تعالى بإسلام أكثرهم، وقيل أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا فنزلت. قال القفال: وكل هذه الأشياء حصلت يوم أحدٍ فنزلت الآية عند الكلِّ، فلا يمتنع حملها على الكل وقيل إنها نزلت في قصة القرَّاء الذين بعثهم عليه الصلاة والسلام إلى بئر معونة في صَفَر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن، فقتلهم عامر بن الطفيل وقنت عليه الصلاة والسلام شهراً يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن، لكن قال في اللباب: أكثر العلماء متفقون على أنها في قِصَّة أحد.

## قتل حمزة بن عبد المطلب

سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه (**عن عُبيد الله**) بضم العين (**ابن عدي بن الخِيار**) بكسر الخاء المعجمة وتخفيف التحتية ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي (**أنه قال لوحشي**) بفتح الواو وسكون الحاء المهملة وكسر الشين المعجمة وتشديد التحتية ابن حرب الحبشي مولى جبير بن مُطعِم: (**ألا تخبرنا**) الضمير لعبيد الله ومن معه، وفي نسخةٍ: تخبرني (**عن قتل**) وفي نسخةٍ: بقتل (**حمزة؟ قال**) وحشي: (**نعم إن حمزة قتل طُعيمة بن عدي بن الخِيار ببدر**) أي في وقعتها وطُعيمة بضم الطاء وفتح العين المهملة مُصغراً، قال الدمياطي وتبعه في التنقيح: إنما هو طُعَيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأما عدي بن الخيار فهو ابن أخي طعيمة لأنه عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل ابن عبد مناف (**فقال لي: مولاي جُبَير بن معطم: إن قتلت حمزة بعمي**) أي طعيمة بن عدي وفيه تَجَوُّز كما مر (**فأنت حُر قال: فلما أن خرج الناس**) يعني قريشاً (**عام عَيْنَيْن**)

جبل بحيال أحد بينه وبينه وادٍ خرجت مع الناس إلى القتال فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مُقَطِّعة البُظُور أتحاد الله ورسوله ﷺ، قال: ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة قال: فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّته حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسولاً فقيل لي إنه لا يهيج الرسل قال:

---

تثنية عين أي عام واقعة أحد **(وعينين جبل بحيال)** بكسر الحاء المهملة بعدها تحتية جبل **(أحد)** أي من ناحيته **(بينه وبينه وادٍ)** وهذا تفسير من بعض الرواة **(خرجتُ مع الناس)** أي قريش **(إلى القتال فلما اصطفوا)** وفي نسخة أن اصطفوا **(للقتال خرج سِباع)** بكسر السين المهملة وتخفيف الموحدة ابن عبد العزى الخزاعي **(فقال: هل من مبارز فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال)** له: **(يا سِباع يا ابن أم أَنمار)** بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم وبعد الألف راء هي أمه، وكانت مولاة لشريق بن عمر الثقفي والد الأخنس **(مُقطِّعة البُظُور)** بضم الموحدة والظاء المعجمة جمع بَظر وهو اللحمة التي تقطع من فرج المرأة الكائنة بين أستيها عند ختانها، وكانت أمه تختن النساء بمكة فعيره بذلك فمقطعة بكسر الطاء المهملة وفتحها خطأ **(أتحاد الله ورسوله)** بفتح الهمزة وضم الفوقية وفتح الحاء المهملة وبعد الألف دال مهملة مشددة، أي تعاندهما وتعاديهما وفي القاموس: وحادَّة غاضبه وعاداه أو خالفه **(قال)** وحشي **(ثُمَّ شدَّ)** حمزة **(عليه)** أي على سِباع فقتله **(فكان كأمس الذاهب)** صفة كاشفة أي كان مثله في العدم **(قال)** وحشي **(وكمنت)** بفتح الميم أي اختبأت **(لحمزة)** أي لأجل أن أقتله **(تحت صخرةٍ)** وفي بعض الروايات: أنه انكشف الدرع عن بطنه **(فلما دنا)** أي قرب **(مني رميته بِحَرْبَتي فأضعها في ثُنَّتِهِ)** بضم المثلثة وتشديد النون بعدها فوقية أي في عانته وقيل هي ما بين السرة والصدر إلى العانة **(حتى خرجت من بين وركَيه)** بالتثنية **(قال: فكان ذاك)** الرمي بالحربة **(العهد به)** كناية عن موت حمزة **(فلما رجع الناس)** أي قريش من أحدٍ **(رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا)** أي ظَهَر **(فيها الإسلام ثم خرجت)** منها **(إلى الطائف)** هارباً فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة **(فأرسلوا)** أي أهل الطائف **(إلى رسول الله ﷺ)** عام ثمانٍ **(رُسُلاً)** بالجمع وفي نسخة رسولا بالإفراد **(وقيل)** بالواو وفي نسخةٍ: فقيل بالفاء **(لي أنه لا يهيج الرسل)** بفتح حرف المضارعة أي لا ينالهم منه مكروه وعند ابن إسحاق فلما مخرج وفد أهل الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا ضاقت على الأرض وقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فإني لفي ذلك إذ قال لي رجلٌ ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه

فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: «أنت وحشي» قلت: نعم قال: «آنت قتلت حمزة؟ آنت قتلت حمزة؟» قلت: قد كان من الأمر ما قد بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني» قال: فخرجت فلما قُبِض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب فقلت: لأخرجَن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافىء به حمزة، قال: فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان فإذا رجل قائم في ثلمة جدارٍ كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فأضعها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته.

---

**(قال: فخرجت معهم حتى قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ فلما رآني قال)** لي: **(آنت وحشي؟)** بمدِّ الهمزة **(قلت: نعم قال: آنت قتلت حمزة آنت قتلت حمزة؟)** مرتين **(قلت: قد كان من الأمر)** أي في شأن قتله **(ما بلغك)** وفي نسخةٍ: ما قد بلغك بإثبات قد **(فقال)** وفي نسخة قال عليه الصلاة والسلام: **(فهل تستطيع أن تُغيِّبَ)** بضم الفوقية وفتح المعجمة وتشديد التحتية المكسورة **(وجهك عني؟ قال: فخرجت)** من عنده **(فلما قُبض رسول الله ﷺ فخرج مُسيلمة الكذاب)** بكسر اللام صاحب اليمامة على أثر وفاة النبي ﷺ وادَّعى النبوة وجمع جموعاً كثيرة ليقاتِل الصحابةَ رضي الله تعالى عنهم وجهَّز له الصدِّيق رضي الله تعالى عنه جيشاً وأمَّر عليهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه **(فقلت لأخرُجنَّ إلى مسيلمة لَعَلِّي أقتله فأُكافىء به حمزة)** بالهمزة أي أساويه وأقابله به وهو تأكيد وخوف وإلا فلا ريب أن الاسلام يجب ما قبله **(فخرجتُ مع الناس)** الذين جهزهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقتال مسيلمة **(فكان من أمره)** أي مسيلمة **(ما كان)** وهو ما ذكر في قوله **(فإذا رجل)** أي مسيلمة **(قائم في ثَلْمَةِ جِدارٍ)** بفتح المثلثة وسكون اللام أي خلل جدارٍ قال في المختار: الثَلْمَة الخَلَلُ في الحائط وغيره وقد ثلمه من باب ضَرَبَ فانثلم وتثلم اهـ كذا قاله الشراح هنا، لكن عبارة المصباح تفيد أنه بضم المثلثة ونصها الثلمة في الحائط وغيره الخلل والجمع ثلم مثل غرفة وغرف وثلمت الإناء ثلماً من باب ضرب كسرته من حافته فانثلم وتثلم اهـ **(كأنه حمل أورق)** أي أسمر لونه كالرماد **(ثائر الرأس)** أي منتشر شعرها **(فرميته بحربتي)** التي قتلتُ بها حمزة **(فأضعها)** وفي نسخةٍ: فوضعتها **(بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب إليه رجل من الأنصار)** وهو عبد الله ابن زيد بن عاصم المازني، وقيل عدي بن سهل وقيل أبو دجانة والأول أشهر **(فضربه بالسيف على هامته)** أي رأسه فقالت جارية على ظهر بيت تندبه: وأمير المؤمنين قتله العبد الأسود وإنما ذكرته بلفظ الإمرة وإن كان يدعي الرسالة، لما رأته من أن أمور أصحابه الذين آمنوا به كلها كانت إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته، اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أصاب رسول الله ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال: «من يذهب في أثرهم»؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما.

---

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: اشتدَّ غضب الله على قومٍ فعلوا بنبيه يشير إلى كسر رباعيته)** أي اليمنى السفلى، والرباعية بفتح الراء وتخفيف الموحدة السن التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات، وكان الذي كسر رباعيته ﷺ عتبة بن أبي وقاص أخو سعد وجَرَح شفته السفلى **(اشتد غضب الله)** عزَّ وجلَّ **(على رجلٍ يقتله رسول الله)** وفي نسخةٍ زيادة قوله: ﷺ **(في سبيل الله)** كما قتل ﷺ في وقعة أحد أُبيِّ بن خلف الجمحي وخرج بقوله في سبيل الله من قتله في حَدٍّ أو قِصاص، وفي روايةٍ عن ابن عباس اشتد غضب الله على قومٍ أدموا وجه نبي الله ﷺ أي جرحوه حتى خرج منه الدم، وكان الذي جرح وجهه الشريف ابن قَمِئَة فدخلت حلقتان من حِلَق المغفر في وجنتيه فانتزعهما أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنه وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنتيه ﷺ ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام: «من مسَّ دمي دَمَه لم تصبه النار»، وعاقب الله عتبة بن أبي وقاص بأنه لم يولد من نسله ولد فيبلغ الحِنْثَ إلا وهو أبخر أو أهتم أي مكسور الثنايا يعرف ذلك في عقبه، وسلَّط الله تعالى على ابن قَمِئَةَ تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: لما أصاب نبي الله)** نصب على المفعولية وفي نسخة رسول الله **(ﷺ ما أصاب يوم أحدٍ وانصرف)** بالواو في نسخة: فانصرف بالفاء **(المشركون)** وفي نسخةٍ: عنه المشركون **(خاف أن يرجعوا)** إليهم لما بلغه أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أُحُد فبلغوا الرَوحاء ندموا وهموا بالرجوع **(فقال)** وفي نسخة: قال **(من يذهب في إثرهم)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة وعند ابن إسحاق أنهم إنما خرجوا مرهباً للعدوِّ وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم **(فانتدب)** أي فأجاب **(منهم سبعون رجلاً)** ممن حضر وقعة أحد **(كان فيهم أبو بكر)** الصدِّيق **(والزبير)** بن العوام **(رضي الله تعالى عنهما)** وكان فيهم أيضاً كما في الطبراني عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة وابن مسعود رضي

## غزوة الخندق وهي الأحزاب

عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب في الكدية فعاد كثيباً أهيل. عن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: قال

---

الله تعالى عنهم، وعند ابن إسحاق وغيره أنهم لما بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثلاثة أميال ألقى الله عز وجل الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت هذه الآية ﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم﴾ [آل عمران: ١٧٢].

## غزوة الخندق

سُميت بالخندق الذي حُفر بأمره عليه الصلاة والسلام وإشارَة سلمان رضي الله تعالى عنه، وعمل فيه ﷺ بنفسه ترغيباً للمسلمين **(وهي الأحزاب)** جمع حزب وهم طوائف المشركين من قريش وغطفان واليهود ومن معهم الذين اجتمعوا على حرب المسلمين، وكانوا فيما قال ابن إسحاق عشرة آلاف والمسلمون ثلاثة آلاف، وكانت في شوَّال سنة أربعٍ وقيل خمسٍ من الهجرة **(عن جابر)** بن عبد الله الأنصاري **(رضي تعالى عنه)** أنه **(قال: أنَّا)** بتشديد النون **(يوم الخندق نحفر إذ عرضت كدية شديدة)** بكاف مضمومة فدال مهملة ساكنة فتحتية قطعة صلبة من الأرض لا يعمل فيها المعول وفي نسخة كبدة بكسر الكاف وسكون التحتية وفتح الدال المهملة القطعة الشديدة الصلبة من الأرض أيضاً، وفي أخرى كبدة بكاف مفتوحة مكسورة بمعنى ما قبلها **(فجاؤوا النبي ﷺ، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال)** ﷺ: **(أنا نازل)** في الموضع الذي فيه الكدية **(ثم قال)** عليه الصلاة والسلام **(وبطنه معصوب)** من الجوع **(بحجر)** مشدودٍ عليه بعصابة خشية انحناء صلبه الكريم بواسطة خلاء الجوف، وإذا وضع الحجر فوق البطن مع شد العصابة عليه لم يحصل ذلك لسكون حرارة الجوع ببرد الحجر **(ولبثنا)** بالمثلثة أي مكثنا **(ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً)** أي شيئاً من مأكول أو مشروب والجملة اعتراض أو ردت لبيان السبب في ربطه ﷺ الحجرَ على بطنه **(فأخذ النبي ﷺ المعول)** بكسر الميم وسكون العين المهملة وفتح الواو بعدها لام المِسحاة **(فضرب في الكدية فعاد)** المضروب **(كثيباً)** بالمثلثة رَمْلا **(أهْيَل)** بهمزة مفتوحة فهاء ساكنة فتحية مفتوحة فلام، وفي رواية أهْيَم بدل اللام بالميم أي سائلاً.

**(عن سلمة بن صرد)** بضم الصاد وفتح الراء بعدها دال مهملات ابن الجون بفتح الجيم الخزاعي الصحابي المشهور **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ يوم)**

النبي ﷺ يوم الأحزاب: «نغزوهم ولا يغزوننا». عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعد».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد ابن معاذ فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتى على حمارٍ فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» ثم قال: «هؤلاء نزلوا على حكمك» فقال: تُقتل مقاتلتهم وتُسبي ذراريهم قال: «قضيت بحكم الله عز وجل» وربما قال: «بحكم المِلك».

---

غزوة **(الأحزاب)** لما انصرفت قريش: **(نغزوهم ولا يغزونا)** بإسقاط نون الجمع من غير ناصب ولا جازم وهي لغة فاشية، وفي نسخةٍ: «يغزوننا» بإثباتها وهذا من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام فكان كما قال، فإنه اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها وكان ذلك سبب فتح مكة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: لا إله إلا الله وحده أعز جنده ونصر عبده)** النبي ﷺ **(وغلب الأحزاب)** الذين جاؤوا من مكة وغيرها يوم الخندق **(وحده فلا شيء بعده)** أي إنما جميع الأشياء بالنسبة إلى وجوده تعالى كالعدم، أو كل شيءٍ يفنى وهو الباقي فهو بعد كل شيء فلا شيء بعده.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال نزل بنو قريظة)** أي من موضعهم وهو حصنهم الذي كانوا فيه **(على حكم سعد بن معاذ)** أي بعد أن حاصرهم ﷺ خمسة عشر يوماً أشد الحصار ورموا بالنبل، وكان سعد مريضاً وكان قد دعا الله عز وجل أن لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة **(فأرسل إليه النبي ﷺ فأتى على حمار فلما دنا)** أي قرب **(من المسجد)** الذي كان أعده ﷺ في بني قريظة أيام حصارهم، وقال في المصابيح: إن قوله من المسجد متعلق بمحذوف أي فلما ذنا آتياً من المسجد، فإن مجيئه إلى النبي ﷺ كان من مسجد المدينة **(قال)** ﷺ **(للانصار: قوموا إلى سيدكم)** سعد بن معاذ زاد في مسند أحمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «فأنزلوه» **(ثم قال)** ﷺ: **(هؤلاء)** أي بنو قريظة **(نزلوا على حكمك)** أي على أن تحكم فيهم أي رضوا بحكمك **(فقال)** سعد يا رسول الله **(تُقتَلُ)** بفتح الفوقية الأولى وضم الثانية **(مقاتلتُهم)** بكسر الفوقية الأولى أي المقاتلين منهم وهم الرجال **(وتُسبى)** بفتح الفوقية وكسر الموحدة **(ذراريهم)** بتشديد التحتية وهم النساء والصبيان **(قال)** ﷺ: **(قضيتَ)** فيهم **(بحكم الله عز وجل وربما قال)** ﷺ **(بحكم الملك)** بكسر اللام والشك من الراوي في أي اللفظين قال عليه الصلاة والسلام وهما بمعنىً.

## غزوة ذات الرقاع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في الخوف في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاةٍ ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا.

---

## غزوة ذاتِ الرقاع

بكسر الراء بعدها قاف فألف فعين مهملة وهي بعد خيبر كما سيأتي، قال ابن إسحاق: وغزا ﷺ نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، حتى نزل نخلاً مكان على يومين من المدينة وفي غزوة ذات الرقاع فلقي بها جمعاً من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد أخاف الناسُ بعضهم بعضاً حتى صلى ﷺ بالناس صلاة الخوف وانصرف الناس، وقيل: وقع فيها قتال.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في)** حالة **(الخوف)** زاد السراج أربع ركعات صلى بهم ركعتين ثم ذهبوا ثم جاء أولئك فصلّى بهم ركعتين **(في غزوة)** السفرة **(السابعة)** من غزواته عليه الصلاة والسلام التي وقع فيها القتال **(غزوة ذاتِ الرقاع)** بجر غزوة بدل من سابقه، الأولى بدر والثاني أحد والثالثة الخندق والرابعة قريظة والخامسة المريسيع والسادسة خيبر، فيلزم أن تكون ذات الرقاع بعد خيبر للتنصيص على أنها السابعة وقيل أنها كانت بعد قريظة، لكن الذي جنح إليه البخاري أنها كانت بعد خيبر وذكره لها قبل خيبر إما من تصرف الرواة أو إشارةً إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين كما أشار إليه البيهقي.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة)** وفي نسخةٍ في غزوةٍ **(ونحن ستة نفر)** قال ابن حجر رحمه الله تعالى: لم أقف على أسمائهم وأظنهم من الأشعريين **(بيننا بعير)** واحد **(نعتقبه)** أي نركبه عقبة بأن يركب هذا قليلاً ثم ينزل فيركب الآخر بالنوبة على آخرهم **(فنَقِبَت)** بنون مفتوحة فقاف مكسورة فموحدة مفتوحة بعدها فوقية أي رقَّت وتقرضت وقطعت الأرض جلود **(أقدامنا)** من الحفاء **(ونقبت قدماي وسقطت أظفاري)** لذلك **(فكنا نلُف)** بضم اللام **(على أرجلنا الخِرَق فسميت غزوة ذاتِ الرقاع)** لعصبهم الخِرَق على أرجلهم، وهي الرقع وقيل لأنهم رقعوا فيها راياتهم، وقيل سميت باسم شجرة بذلك الموضع وقيل باسم جبل نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان من حمرة وصفرة وسواد فسميت به، والله أعلم.

عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه وكان ممن شهد مع رسول الله ﷺ يوم ذات الرقاع صلى صلاة الخوف إنَّ طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائماً وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ ﷺ قِبَل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة فعلق بها سيفه قال جابر: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده أعرابي جالس فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو

---

**(عن سهل بن أبي حثمة)** بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة، واسم أبيه عبد الله وأبو حثمة جده واسمه عامر بن ساعدة **(رضي الله تعالى عنه وكان ممن شهد النبي ﷺ يوم)** غزوة **(ذات الرقاع صلَّى صلاة الخوف، إنَّ طائفة صفَّت معه)** عليه الصلاة والسلام **(و)** صفت **(طائفة وجاه العدو)** بكسر الواو وضمها أي جعلوا وجوههم تلقاءه **(فصلى)** ﷺ **(بـ)** الطائفة **(التي معه ركعة ثم ثبت)** عليه الصلاة والسلام حال كونه **(قائماً وأتموا)** أي الذين صلى بهم الركعة **(لأنفسهم)** ركعةً أخرى **(ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى)** التي كانت وجاه العدو **(فصلى بهم)** عليه الصلاة والسلام **(الركعة التي بقيت من صلاته)** عليه الصلاة والسلام **(ثم ثبت)** عليه الصلاة والسلام **(جالساً)** ولم يخرج من صلاته **(وأتموا لأنفسهم)** الركعة الأخرى **(ثم سلَّم بهم)** عليه الصلاة والسلام فقد حازت معه فضيلة التحلل، كما حازت الأولى فضيلة التحرم.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قِبَلَ نجد)** أي جهتها **(فلما قَفَل)** أي رجع **(رسول الله ﷺ أدركتهم القائلة)** أي شدة الحر في وسط النهار **(في وادٍ كثير العضاه)** بكسر العين المهملة وفتح الضاد المعجمة المخففة وبعد الألف هاء، شجر عظيم له شوك كالطلح والعوسج **(فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَة)** بسين مهملة وراء مفتوحتين بينهما ميم مضمومة شجرة كثيرة الورق يُستظل بها، وكانت عادتهم أنهم إذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له عليه الصلاة والسلام لينزل تحتها يستظل بها **(فعلَّق بها سيفه قال جابر)** رضي الله تعالى عنه: **(فنمنا نومة ثم إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس)** بين يديه واسمه غورث بن الحارث بفتح الغين المعجمة وسكون الواو وفتح الراء بعدها مثلثة **(فقال رسول الله ﷺ: إن هذا)** الأعرابي **(اخترط سيفي)** أي سهَّله

في يده صلتاً فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت الله فها هوذا جالس». ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ.

## غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل، فأردنا أن نعزل وقلنا: نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل

---

من غمده **(وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده)** حال كونه **(صلْتاً)** بفتح الصاد المهملة وسكون اللام بعدها فوقية بمعنى مصلوتاً أي مجرداً من غمده **(فقال لي: من يمنعك مني)** أن أقتلك به؟ **(قلت: الله)** يمنعني منك **(فها هوذا جالس)** وعند ابن إسحاق بعد قوله الله: فدفع جبريل عليه الصلاة والسلام في صدره فوقع السيف من يده فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنعك مني»؟ قال: لا أحد **(ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ)** استئلافا للكفار ليدخلوا في الإسلام وعند الواقدي أنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير.

## غزوة بني المصْطَلِق

بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المشالة المهملتين وكسر اللام بعدها قاف لقب جزيمة بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خُزاعة بضم الخاء وفتح الزاي المخففة المعجمتين حيٌّ من الأسد، سموا بذلك لأنهم تخزَّعوا أي تخلفوا عن قومهم وأقاموا بمكة، ولقب جزيمة بالمصْطَلِق لحُسْنِ صوته وهو أول من غنَّى من خزاعة، وأصل مصطلق مصتلق بالتاء الفوقية فأبدِلت طاءً لأجل الصاد **(وهي غزوة المُرَيْسِيْع)** بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتية وكسر السين المهملة بعدها تحتية ساكنة فسين مهملة مصغر مرسوع بئر أو ماء بخزاعة بينه وبين الفرع نحو يوم، وفيها سقط عقد عائشة رضي الله تعالى عنها ونزلت آية التيمم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس ورجحه الحاكم وغيره وجزم بالأول الطبري، قال أهل المغازي، وخرج رسول الله ﷺ ومعه بَشَرٌ كثير وثلاثون فرساً، فحملوا على القوم حملةً واحدة فما انفلت منهم إنسان بل قُتِل عشرة وأسر سائرهم وغاب ثمانية وعشرين يوماً وكان في تلك الغزوة حديث الإفك.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال)** لما سألوه عن العزل **(خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتهينا النساء واشتدت)** وفي نسخةٍ: واشتد **(علينا العُزْبة)** بضم المهملة والزاي الساكنة فقد الأزواج والنكاح، يقال: عزب الرجل يعْزُب من باب قتل يقتل عزبةً وزان الغرفة، وعُزُوبة إذا لم يكن له أهل فهو وعَزَبٌ بفتحتين وامرأة عَزَبٌ أيضاً، ولا يقال: رجل أعزب كما قاله أبو حاتم

أن نسأله، فسألناه عن ذلك فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة.

## غزوة أنمار

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال رأيت النبي ﷺ في غزوة أنمار يصلي على راحلته متوجهاً قبل المشرق متطوعاً.

## غزوة الحديبية

وقول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨]

---

قال الأزهري: وأجازه غيره وقياسه أن يقال: امرأة عزباء مثل أحمر وحمراء قاله في المصابيح وفي القاموس: العَزَب محركة من لا أهل له ولا تقل أعزب أو قليل والاسم العُزْبة والعُزُوْبة مضمومتين والفعل عزب كنصر وتَعَزَّبَ ترك النكاح اهـ **(وأحببنا العزل)** وهو نزع الذكر من الفرج قبل الإنزال خوفاً من الاستيلاد المانع من البيع ونحن نحب الأثمان **(فأردنا أن نعزل وقلنا نعزل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا قبل أن نسأله)** عن الحكم **(فسألناه عن ذلك فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(ما عليكم)** بأس **(أن لا تفعلوا)** أي ليس عدم الفعل واجباً عليكم بل هو جائز، فيكون العزل كذلك إذ لو كان واجباً لامتنع العزل أولاً زائدة أي لا بأس عليكم في فعله **(ما من نسمة)** أي نفسٍ **(كائِنة)** في علم الله أي مقدر وجودها **(إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة)** في الخارج فما قدره الله عزَّ وجلَّ لا بد منه عزلتم أو لم تعزلوا.

## غزوة أنمار

بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الميم بعدها ألف فراء ويقال غزوة بني أنمار وهي قبيلة **(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: رأيت النبي ﷺ في غزوة أنمار يصلي على راحلتِه)** حال كونه عليه الصلاة والسلام **(متوجها قِبَل المشرق)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة المشرق حال كونه عليه الصلاة والسلام **(متطوعاً)** وهذا الحديث مرَّ في باب صلاة التطوع على الدواب وغيرها، وليس فيه ذكر قصة أنمار فلا معنى لذكره هنا على ما يخفى.

## غزوة الحُدَيْبية

بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون التحتية الأولى وكسر الموحدة وتخفيف التحتية الثانية وقد تشدد بئر قرب مكة **(وقول الله عز وجل: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين**

عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض». وكنا ألفاً وأربعمائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة.

---

**إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] عن البراء)** بن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال تَعُدُّون أنتم الفتح)** أي في قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ [الفتح: ١] **(فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن بعد الفتح)** الأعظم **(بيعة الرضوان يوم الحُديبية)** لأنها كانت مبدأ الفتح العظيم المُبين لما ترتب على الصلح الذي وقع من الأمن ودفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول في الأسلام والوصول إلى المدينة، كما وقع لخالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه وعمرو بن العاص وغيرهما، وتتابعت الأسباب إلى أن كَمُل الفتح **(كنا مع النبي ﷺ أربع عشر مائة)** بسكون الشين المعجمة لم يقل ألفاً وأربعمائة إشعاراً بأنهم كانوا منقسمين إلى المئات وكانت كل مائة ممتازة عن الأخرى **(والحديبية بئر)** أي على مرحلة من مكة كما مر **(فنزحناها ولم نترك فيها قطرة)** من ماء **(فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها)** أي حرفها **(ثم دعا بإناء من ماءٍ فتوضأ ثم مضمض ودعا)** الله تعالى **(ثم صَبَّه فيها)** أي صبَّ الماء الذي توضأ ومضمض به في البئر **(فتركناها غير بعيد)** وفي روايةٍ أنه قال: «ائتوني بدلوٍ من مائها» فأُتي به فبصق ودعا ثم قال: «دعوها ساعةً» **(ثم إنها أصدرتنا)** أي أرجعتنا وقد روينا **(ما شئنا)** أي القدر الذي أردنا شُربه **(نحن ورِكابنا)** أي أبلُنا التي نسير عليها، وفي روايةٍ أخرى أنهم قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشربه إلا ما في ركوتك، فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قيل لجابركم كنتم يومئذٍ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة، وهذا من معجزاته ﷺ.

**(عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض)** فيه أفضلية أصحاب الشجرة على غيرهم من الصحابة، وعثمان رضي الله تعالى عنه منهم وإن كان حينئذٍ غائباً بمكة لأنه ﷺ بايع عنه فاستوى معهم، فلا حجة في الحديث للشيعة في تفضيل علي على عثمان، قال جابر رضي الله تعالى عنه: **(وكنا ألفا وأربعمائة ولو كنت أُبصر اليوم)** يعني أنه كان عمي في آخر عمره **(لأريتكم مكان الشجرة)** التي وقعت بيعة الرضوان تحتها، ولا ينافي ذلك ما تقدم عن

عن سويد بن النعمان وكان من أصحاب الشجرة قال: كان رسول الله ﷺ وأصحابه أتوا بسويق فلاكوه. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يسير مع النبي ﷺ ليلاً فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ ثم سأله فمل يجبه ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن وجئت رسول الله ﷺ فسلمت فقال: «لقد أنزلت

---

جابر أيضاً من أنهم كانوا ألف وخمسمائة لأنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال: ألفا وخمسمائة جبر الكسر ومن قال: ألف وأربعمائة ألغاه، وأما قول عبد الله بن أبي أوفى ألفا وثلاثمائة فمحمول على ما اطَّلع عليه واطَّلع غيره على زيادةٍ لم يطلع هو عليها، والزيادة من الثقة مقبولة أو العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة، والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك، قال البيهقي: إن رواية من قال ألفا وأربعمائة أصح. وأغرب ابن إسحاق فقال: إنهم كانو سبعمائة أخذاً من قول جابر نحرنا البدنة عن عشرة وكانوا نحروا سبعين بدنة، ولا دلالة فيه لاحتمال أنهم نحروا غير البُدْنِ مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلا.

**(عن سُويد)** بضم السين **(ابن النعمان)** بن مالك الأنصاري وهو من أصحاب الشجرة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أتى النبي ﷺ بسويق)** هو دقيق الشعير أو البر المحمص **(فلاكوه)** أي مضغوه وأداروه بأفواههم، وذلك في غزوة خيبر وذُكر هنا لأن سويداً من أصحاب الشجرة.

**(عن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنه أنه كان يسير مع النبي ﷺ ليلاً)** وكان ذلك في سفر الحديبية كما عند الطبراني **(فسأله عمر عن شيءٍ فلم يجبه)** لاشتغاله بالوحي **(ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه)** ولعله ظنَّ أنه عليه الصلاة والسلام لم يسمعه فلذا كرر عليه السؤال **(فقال عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يخاطب نفسه: **(ثكلتك)** بفتح المثلثة وكسر الكاف أي فقدتك **(أُمُك)** يقال ثكلت المرأة ولدها ثكلاً من باب تعب فقدته **(يا عمر)** وفي نسخةٍ إسقاط يا عمر **(نَزَرْتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات)** بتخفيف الزاي أي الحجب عليه أو راجعته وأتيت بما يكره من سؤالك، ورُوي نزَّرت بتشديد الزاي على المبالغة **(كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن فما نَشِبت)** بكسرِ الشين المعجمة أي فما لبثت **(أن سمعت صارخاً)** لم يسم **(يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل)** وفي نسخةٍ قد نزل **(فيَّ)** بتشديد الياء وفي نسخة في أي بسببي **(قرآن وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه)**

علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ ﴿إنا فتحنا لك فتحر مبيناً﴾ [الفتح: ١].

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما قال: لما خرّج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه قال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال: «أشيروا أيها الناس علي أترون أن أميل إلى

---

وفي نسخةٍ إسقاط عليه فقال عليه الصلاة والسلام: **(لقد أُنزل عليَّ الليلة سورة لهي أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس)** لما فيها من البشارة بالمغفرة وأفعل لا يُراد به المفاضلة **(ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً)** قال في المصباح: فتحت الباب فتحاً خلاف أغلقته، وفتح الحاكم بين الناس قضى فهو فاتحٌ وفتح مبالغة، وفتح السلطان البلاد غلبها وتملكها قهراً، وفتح الله على نبيه نصره وفي المختار: فتح الباب فانفتح وبابه قطع، والفتاح الحاكم تقول: افتح بيننا أي احكم والفتح النصر وبابهما قطع اهـ المقصود من ذلك. ثم قيل: هو فتح مكة وقد نزلت مرجعه ﷺ من الحديبية، والمعنى إنَّا ظفرناك بمكة وجعلناك غالباً عليها قاهراً لها، وجيء به على لفظ الماضي لأن ذلك لتحققه بمنزلة الواقع وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علوِّ شأن المُخْبَر به ما لا يخفى، أو المعنى إنا قضينا لك قضاءً بَيِّناً على أهلِ مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابلٍ لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة، أو المعنى إنا نصرناك على عدوِّك نصراً مبيناً، وقيل هو صلح الحديبية فإنه حصل بسببه الخير الذي لا مزيد عليه.

**(عن المَسْور بن مخرمة)** بالفتح الميم وسكون الخاء المعجمة بعدها راء **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية وبعثَ عيناً)** أي جاسوساً **(من خُزاعة)** اسمه بُسحر بن سفيان بضم الموحدة وسكون السين المهملة كما ذكره ابن عبد البر **(وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط)** بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة بعدها مهملتان بينهما ألف موضعٌ تلقاء المدينة ورواه بعضهم بالإعجام والإهمال **(أتاه عينه)** بُسْر **(فقال: إن قريشاً جمعوا لك)** بتخفيف الميم **(جموعاً وقد جمعوا لك الأحابيش)** بالحاء المهملة وبعد الألف موحدة آخرة شين معجمة جماعات من قبائلَ شتى وقال الخليل: أحياء من القارة انضموا إلى بني ليثٍ في محاربتهم قريشاً قبل الإسلام، وقال ابن دريد: حلفاءُ قريشٍ تحالفوا تحت جبلٍ يُسمى حبيشاً فسموا بذلك **(وهم مقاتلوك وصادُوك)** بتشديد الدال **(عن البيت)** الحرام **(ومانعوك)** من الدخول إلى مكة **(فقال)** ﷺ: **(أشيروا عليَّ أيها الناس أتَرَون)** بفتح

عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت؟ فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين وإلا تركناهم محروبين، قال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال: «امضوا على اسم الله» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن أباه أرسله يوم الحديبية ليأتيه بفرسٍ كان عند رجلٍ من الأنصار فوجد رسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمرو وعمر يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة قال فانطلق وذهب ومعه حتى بايع رسول الله ﷺ فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل أبيه. عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال كنَّا مع النبي ﷺ حين اعتمر فطاف فطفنا معه وصلى وصلينا معه وسعى بين الصفا والمروة فكنا نستره من أهل مكة لا يصيبه أحد بشيء.

---

التاء (**أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء**) الكفار (**الذين يريدون أن يصدونًا عن البيت فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً**) أي جاسوساً (**من المشركين**) يعني الذي بعثه عليه الصلاة والسلام أي غايته إنا كنا كمن لم يبعث الجاسوس ولم يغير الطريق وواجههم بالقتال (**وإلا**) أي بأن لم يأتونا (**تركناهم محروبين**) بالراء المهملة والموحدة أي مسلوبين منهوبين الأموال والعيال (**قال أبو بكر: يا رسول الله إنك خرجت عامداً إلى هذا البيت لا تريد قتل أحدٍ ولا حربِ أحدٍ فتوجَّه له**) أي للبيت (**فمن صدَّنا عنه قاتلناه قال**) ﷺ: (**امضوا على اسم الله**) أي مستعينين به.

(**عن ابن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله تعالى عنهما أن أباه أرسله يوم الحديبية ليأتيه بفرس**) له ليقاتل عليه (**كان عند رجل من الأنصار**) قال ابن حجر لم أقف على اسمه ولعله الذي آخى النبي ﷺ بينه وبينه (**فوجد رسول الله ﷺ يبايع**) الناس (**عند الشجرة وعمر لا يدري بذلك فبايعه**) ﷺ (**عبد الله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر**) إلى أبيه (**وعمر يستلئم للقتال فأخبره أنَّ رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة، قال: فانطلق عمر وذهب معه حتى بايعت رسول الله ﷺ**) مع أبي مرةً أخرى (**فهي التي يتحدث الناس أن عبد الله أسلم قبل أبيه**) وليس كذلك وإنما الواقع أنه بايع قبل أبيه.

(**عن عبد الله بن أبي أوفى**) علقمة (**رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: كنا مع النبي ﷺ حين اعتمر**) عمرة القضاء (**فطاف**) بالبيت (**فطفنا معه وصلى فصلَّينا**) بالفاء وفي نسخةٍ: وصلينا بالواو (**معه وسعى بين الصفا والمروة فكنا نستره من**) مشركي (**أهل مكة لا**) أي لئلا (**يصيبه أحدٌ بشيء**) يؤذيه.

## غزوة ذي قرد

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ. فذكر الحديث بطوله وقد تقدم وقال هنا في آخره: قال: ثم رجعنا ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة.

## غزوة خيبر

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فَسِرْنا ليلاً فقال رجلٌ من القوم لعامر: يا عمر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

---

## غزوة ذي قرد

بفتح القاف والراء وحُكِيَ ضم القاف ونسب للغويين والأول للمحدثين ماءٌ على نحو بريدٍ مما يلي غطفان، قيل: كانت قبل خيبر بثلاث ليالٍ وقيل كانت في ربيع الأول سنة ستٍّ قبل الحديبية. **(عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خَرجت)** من المدينة نحو الغابة **(قبل أن يُؤذَن)** بفتح الذال المشددة **(بالأولى)** وهي صلاة الصبح **(وكانت)** بالتاء وفي نسخةٍ: وكان بدونها **(لِقاح رسول الله ﷺ)** بكسرِ اللام جمع لِقحة وهي الناقة ذات اللبن وكانت عشرين لِقحةً **(ترعى بذي قرد، قال: فلقيني غلامٌ لعبد الرحمن بن عوف)** لم يسمَّ أو هو رباح الذي كان يخدمه ﷺ **(فقال لي: أخذت لِقاح رسول الله ﷺ فذكر الحديث بطوله)** وهو أنه لما أخبره بذلك صرخ ثلاث صرخاتٍ أسمع ما بين لابتي المدينة ثم ذهب أثر العدو واستنقذ منهم اللِّقاح وأخذ منهم ثلاثين بردةٍ ثم لحقه النبي ﷺ في خمسمائة أو سبعمائة فقال له: يا نبي الله قد حميت القوم الماء أي منعتهم من شربه وهم عطاش فابعث إليهم الساعة، فقال له: يا ابن الأكوع ملكت فاسجح **(وقد تقدم)**. ذلك **(وقال هنا في آخره: قال: ثم رجعنا)** إلى المدينة **(ويردفني رسول الله ﷺ ناقته)** العضباء **(حتى دخلنا المدينة)**.

## غزوة خيبر

وهي مدينةٌ ذات حصون ومزارع على ثمانية بُرُدٍ من المدينة الشريفة إلى جهة الشام.

**(عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم)** هو أسيد بن حضير **(لعامر)** عم سلمة بن الأكوع: **(يا عامر ألا تُسمِعُنَا من هُنَيْهاتِكَ)** بهاءين أولاهما مضمومة بعدنا نون مفتوحة فتحتية ساكنة

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق»؟ قالوا: عامر بن الأكوع قال: «يرحمه الله» قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به فأتينا خيبر فحاصرناهم

---

مُصغر هَنَة، وفي نسخةٍ: هنياتك بهاء واحدة مضمومة وتشديد التحتية أي من أراجيزك، وعند ابن إسحاق أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع وهو عم سلمة بن الأكوع واسم الأكوع سنان: «انزل يا ابن الأكوع فاحْدِ لنا من هُنياتك»، ففيه أنه ﷺ هو الذي أمره بذلك **(وكان عامر رجلاً شاعراً)** وفي نسخةٍ: حدَّاءً **(فنزل يحدو بالقوم يقول: اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلّينا)** قال في الفتح في هذا القسم زحاف الخزم بمعجمتين وهو زيادة سبب خفيف في أوله، وأكثر هذا الرجز قد تقدم في الجهاد من حديث البراء بن عازب وأنه من شِعر عبد الله بن رواحة، فيحتمل أنْ يكون هو وعامر تواردا على ما تواردا منه بدليل ما وقع لكلٍّ منهما مما ليس عند الآخر، أو تمثل عامر ببعض ما سبقه إليه ابن رواحة **(فاغفر فداء لك)** بكسر الفاء والمد والمخاطب بذلك النبي ﷺ إذ لا يُتصور أن يقال مثل ذلك في حقه تعالى وهو كلام معترض بين اغفر ومفعوله وهو **(ما اتقينا)** بالفوقية المشددة أي ما تركناه من الأوامر وفي نسخةٍ: ما أبقينا من الإبقاء بالموحدة أي ما خلَّفنا وراءنا مما اكتسبناه من الآثام **(وألْقِيَنْ)** يا الله **(سكينة علينا وثبِّت الأقدام)** أي أقدامنا فلا تزلزلها **(إن لاقينا)** العدو ويحتمل أن يكون المخاطب في جميع ذلك هو النبي ﷺ، ومعنى اغفر والقِيَنْ وثبت سل ربك أن يغفر وأن يُلقيَ سكينةً وأن يُثبت الأقدام وحينئذٍ فقوله اللهمَّ لم يقصد به الدعاء وإنما افتتح به الكلام ولا يخفى ما في ذلك من البُعد **(إنا إذا صيح)** بكسر الصاد المهملة وتسكين للتحتية **(بنا)** أي إذا دُعِينا إلى القتال أو إلى الحق **(أتينا)** بالتاء الفوقية وفي نسخةٍ: أبينا بالموحدة بدل الفوقية أي إذا دُعينا إلى غير الحق امتنعنا ويؤيد الأول قوله **(وبالصياح عوَّلوا)** وفي نسخةٍ: أعولوا **(علينا)** أي بالصوت العالي قصدونا واستعانوا علينا **(فقال: رسول الله ﷺ: من هذا السائق)** للإبل **(قالوا:)** يا رسول الله **(عامر بن الأكوع)** فقال عليه الصلاة والسلام: **(يرحمه الله)** وعند أحمد فقال: غفر لك ربك، قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد **(فقال رجل من القوم)** هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في مسلم: **(وَجَبْت)** أي ثبتت له الشهادة بدعائك له **(يا نبي الله لولا)** أي هلا **(أمتعتنا به)** أي ابقيته لنا لنتمتع به **(فأتينا خيبر)** أي أهل خيبر **(فحاصرناهم حتى**

حتى أصابتنا مخمصة شديدة ثم إن الله تعالى فتحها عليهم فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة فقال النبي ﷺ: «ما هذه النيران على أي شيء توقدون» قالوا: على لحم قال: «على أي لحم» قالوا: لحم حمر الأنسية قال النبي ﷺ: «أهريقوها وأكسروها فقال رجل يا رسول الله أو نهريقها ونغسلها قال: «أوذاك» فلما تضافَّ القوم كان سيف عامر قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه قال: فلما قفلوا قال سلمة رآني رسول الله ﷺ وهو آخذ بيدي قال: مالك؟ قلت له: فداك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله قال النبي ﷺ: «كذب من قاله إن له لأجرين وجمع بين

---

**أصابتنا مخمصة)** أي مجاعة **(شديدة ثم إن الله فتحها عليهم)** حصناً حصناً وكان أولها فتحاً حصنُ ناعم **(فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فُتِحت عليهم أوقدوا نيراناً كثيرة فقال النبي ﷺ ما هذه النيران على أي شيءٍ توقدون قالوا: نوقدها على لحم قال: أيُ لحمٍ)** أي على أي أنواع اللحم توقدونها **(قالوا لحم حُمُرٍ إنسية)** بكسر الهمزة وسكون النون أوَ بفتح الهمزة والنون صفة حُمُرٍ ولحم بالجر بدل مما قبله، وروي بالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو لحمٌ ويجوز النصب بنزع الخافض أي على لحم حمر وهو بضمتين جمع حمار **(فقال)** ﷺ: **(أهريقوها)** بهمزة مفتوحة وسكون الهاء أي أريقوها والهاء زائدة وفي نسخةٍ: هريقوها بالهاء بدل الهمزة **(واكسروها فقال رجلٌ)** لم يسم أو هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: **(يا رسول الله أو)** بسكون الواو **(نَهريقها)** بضم النون **(ونغسلها؟ قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أوْ)** بسكون الواو **(ذاك)** أي الغسل **(فلما تصافَّ القوم)** بتشديد الفاء أي للقتال **(كان سيف عامر)** أي ابن الأكوع **(قصيراً فتناول به ساق يهودي ليضربه)** به **(ويرجع)** أي فرجع **(ذباب سيفه)** أي عامر أي طرفه الأعلى أو حده **(فأصاب عين ركبة عامر)** أي طرف ركبته الأعلى وعند أحمد فلما قدِمنا خيبر خرج ملكهم مِرحب يخطر بسيفه فبرز له عامر فاختلفا ضربتين فوقع سيف مِرحب في ترسِ عامرٍ فذهب عامر يسفل له أي يضربه من أسفل فرجع سيف عامر على نفسه **(فمات منه فلما قفلوا)** أي رجعوا من خيبر **(قال سلمة)** بن الأكوع **(رآني رسول الله ﷺ وهو آخذٌ بيدي)** وفي نسخة: يديَّ بإسقاط الجار **(قال مالك)** وعند قتيبة رآني رسول الله ﷺ شاحباً بمعجمة ثم مهملة وموحدة أي متغير اللون، ولإياس: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي **(قلت له: فداك أبي وأمي زعموا أنَّ عامراً حَبِط عمله)** لأنه قتل نفسه، وفي روايةٍ: إياس: بطلَ عمل عامرٍ قتل نفسه، وسمي من القائلين في بعض الروايات أسيد بن حضير **(قال رسول الله ﷺ كذب من قاله وإن)** وفي نسخة: إن باسقاط الواو **(له لأجرين)** أجر الجهاد في الطاعة وأجر الجهاد في سبيل الله، واللام للتأكيد وفي نسخةٍ: أجرين بإسقاطها **(وجمع)** عليه الصلاة

إصبعيه إنه لجاهد مُجاهِدٌ قل عربي مشى بها مثله» وفي رواية «نشأ بها». عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ـ تقدم في الصلاة وزاد هنا ـ فقتل النبي ﷺ المقاتلة وسبى الذرية.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ لخيبر أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم»، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي: «يا عبد الله بن قيس» قلت: لبيك رسول الله

---

والسلام (**بين أصبعيه إنه لجاهدٌ**) أي مرتكب للمشقة واللام للتأكيد (**مجاهد**) في سبيل الله بكسر الهاء والتنوين فيهما بلفظ اسم الفاعل والأول مرفوع على الخبرية والثاني تابع للتأكيد كقولهم: جادٍ مجد وبعضهم ضبط الأول بفتح الهاء والدال بلفظ الماضي والثاني بكسر الهاء اسماً منصوباً بذلك الفعل جمعا لمجهدة (**قلَّ عربي مشى**) بالميم والقصر (**بها**) أي بالأرض أو بالمدينة أو الحرب أو الخصلة (**مثله**) أي مثل عامر (**وفي روايةٍ نشأ بها**) بالنون بدل الميم وبالهمزة آخره فعلٌ ماضٍ أي شبَّ بها وكَبُر.

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر**) أي قريباً منها (**ليلاً تقدم في**) كتاب (**الصلاة**) وتمامه: وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقر بهم حتى يصبح، فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوه قالوا: محمدٌ والله والخَميس، فقال النبي ﷺ خرِبت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (**وزادَ هُنا**) في بعض الروايات (**فَقَتَلَ النبي ﷺ المقاتلة**) بكسر التاء الأولى أي الرجال (**وسبي الذرية**) وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها خصوصية له عليه الصلاة والسلام.

(**عن أبي موسى**) عبد الله بن قيس (**الأشعري رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أشرف**) بالشين المعجمة والفاء (**الناسُ على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير**) قائلين (**الله أكبر**) مرة واحدة وفي نسخةٍ مرتين (**لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أربِعوا على أنفسكم**) بكسر الهمزة وفتح الموحدة أي أرفقوا وأمسكوا عن الجهر واعطفوا على أنفسكم بالرفق وكفوا عن الشدة (**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً**) يسمع السر وأخفى (**قريباً**) ليس غائباً، وهذا كالتعليل لقوله لا تدعون أصم (**وهو معكم**) بالعلم والقدرة عموماً وبالفضل والرحمة خصوصاً (**وأنا خلف**) أي وراء (**دابة رسول الله ﷺ فسمعني**) ﷺ (**وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله**) أي لا تحول عن معصية الله ولا قوة على طاعته إلا به، وقيل أصل الحول الحيلة فقلبت واوه ياءً لانكسار

قال: «لا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضرب بسيفه، فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله ﷺ أما إنه من أهل النار فقال رجل، من القوم: أنا صاحبه قال: فخرج معه كلما وقف

---

ما قبلها، والمعنى لا يوصل إلى تدبير أمر وتغيير حالٍ إلا بمشيئتك ومعونتك **(فقال لي)** ﷺ: **(يا عبد الله بن قيس قلتُ: لبيك يا رسول الله)** وفي نسخةٍ رسول الله بحذف أداة النداء **(قال: ألا أدلك على كلمةٍ من كنز الجنة)** وفي نسخةٍ من كنز من كنوز الجنة **(قلت: بلى يا رسول الله)** دُلَّنِي **(فِداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله)** والكنز في العُرْفِ المال الكثير الذي يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ، وأطلق عليه الصلاة والسلام على هذه الكلمة كنزاً لعزتها ونفاستها باشتمالها على التوحيد الخفي لأنها دلت على نفي الحيلة والحركة والاستطاعة عما من شأنه ذلك وأثبتت ذلك لله تعالى على سبيل الحصر، وبإيجاده واستعانته وتوفيقه لم يخرج شيء عن ملكه وملكوته.

**(عن سهل بن سعد)** الساعدي **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون)** أي في خيبر كما في بعض الروايات **(فاقتتلو، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره)** أي رجع بعد فراغ القتال في ذلك اليوم **(ومال الآخرون)** أي أهل خيبر **(إلى عسكرهم)** وفي أصحاب رسول الله **(رجل)** قيل هو قزمان بضم القاف وسكون الزاي الظَفَري بفتح المعجمة والفاء نسبة لبني ظفر بطن من الأنصار، وكنية أبو الغَيْراق بغين معجمة مفتوحة فتحتية ساكنة آخره قاف **(لا يدع لهم)** أي لا يترك لليهود نسمة **(شاذَّة)** بشين وذال مشددة معجمتين التي تكون مع الجماعة ثم تفارقهم **(ولا فاذّة)** بالفاء والمعجمة أيضاً التي لم تكن اختلطت بهم أصلاً فالمعنى أنه لا يرى نسمة منهم **(إلا أتَّبعها)** بتشديد الفوقية **(يضربها بسيفه)** يقتلها قال سهل بن سعد الساعدي: **(فقلت)** وفي نسخة فقيل: وفي أخرى فقال: **(ما أجزأ)** بجيم وزاي أي ما أغنى **(منَّا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان)** هو على سبيل المالغة فقد كان في القوم من كان فوقه في ذلك **(فقال رسول الله ﷺ أما)** بالتخفيف استفتاحية فتكسر الهمزة من قوله **(إنه من أهل النار)** لنفاقه باطناً وعند الطبراني من حديث أكتم الخزاعي قلنا: يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟ قال: ذلك إخبات النفاق **(فقال رجلٌ)** من القوم هو أكتم بن أبي الجون الخزاعي **(أنا صاحبه)** أي لأَتَّبِعَنَّه كما في بعض الروايات **(قال:**

وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحاً شديد فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله ﷺ قال: «وما ذاك» قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ هم، ذلك: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة، وفي رواية فقال النبي ﷺ: «قم يا بلال فأذن أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر».

---

**فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرِحَ الرجل**) قزمان (**جُرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه**) أي مقبضه (**بالأرض وذبابه**) بمعجمة مضمومة أي طرفه (**بين ثدييه ثم تحامل**) أي مال (**على سيفه**) زاد أكتم حتى خرج من ظهره (**فقتل نفسه**) وفي روايةٍ فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فنحر بها نفسه، ولا تَنافي بينهما لتعدد الواقعة كما قال السفاقسي، ولاحتمال أن يكون نحر نفسه بسهمه فلم تزهق روحه وإن كان قد أشرف على القتل فاتكأ حينئذٍ على سيفه استعجالاً للموت وحينئذٍ فلا تعدد (**فخرج الرجل**) الذي اتبعه (**إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله قال**) ﷺ: (**وما ذاك؟**) أي ما سبب هذه الشهادة حينئذٍ (**قال: الرجل الذي ذكرت آنفا**) بمد الهمزة وكسر النون أي سابقاً (**إنَّه من أهل النار فأعظم الناس ذلك**) الذي قلته أي استعظموه (**فقلت: أنا لكم به**) أتَّبِعُه حتى أرى ماله (**فخرجت في طلبه ثم جُرِح جُرحاً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ**) عند ذلك: (**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو**) أي يظهر (**للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**) فيه التحذير من الاغترار بالأعمال، قال المهلب: هذا الرجل ممن أعلمنا ﷺ أنه نَفَذ فيه الوعيد من الفساق، ولا يلزم منه أن كلَّ من قتل نفسه يُقضى عليه بالنار، وقال السفاقسي: يحتمل أن يكون قوله: «وهو من أهل النار» إن لم يُغْفَر له، ويحتمل أنه إخبارٌ عنه بأنه سيرتد أو يستحل قتل نفسه (**وفي روايةٍ فقال النبي ﷺ: قم يا بلال**) وفي نسخةٍ: «قم يا فلان» وهو بلال أو عمر بن الخطاب كما في مسلم أو عبد الرحمن بن عوف كما عند البيهقي، ويحتمل أنهم نادوا جميعاً في جهات مختلفة كما قاله في فتح الباري (**فأذِّن**) بتشديد الذال المعجمة المكسورة (**أنْ**) وفي نسخةٍ: أنه (**لا يدخل الجنة إلا

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: ضربت ضربة في ساقي يوم خيبر فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالٍ يبني عليه بصفية فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان من خبز ولا لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالانطاع فبسطت فألقي عليها التمر والأقط والسمن فقال المسلمون إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين وإن لم يحجبها فهي ما ملكت يمينه فلما ارتحل وطأها خلفه ومد

---

**مؤمن)** فيه تنبيه وإشعار بسلب الإيمان عن هذا الرجل **(إن الله يؤيد)** وفي نسخةٍ: ليؤيد **(الدين بالرجل الفاجر)** الذي قتل نفسه أو اللام للجنس لا للعهد فيعم كل فاجرٍ أيَّد الدين وساعده بوجه من الوجوه، وما تقدم من أن هذه القصة كانت بخيبر كما هو ظاهر سياق البخاري هو الصواب، وقيل كانت بحنين وقيل كانت بأحد.

**(عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ضُرِبت ضربةً في ساقي)** أي ساق رجلي **(يوم خيبر فأتيت النبي ﷺ فنفث فيها)** أي الضربة أي في موضعها **(ثلاث نفثات)** بالمثلثة بعد الفاء فيهما جمع نفثة وهي فوق النفخ ودون التفل بريقٍ خفيف وغيره **(فما اشتكيتها حتى الساعة)** بالجر على أنَّ حتى جارة وبالنصب بتقدير زمان أي فما إشتكيتها زماناً حتى الساعة.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالٍ)** بأيامها **(يَبني عليه)** أي يدخل عليه **(بصفية)** أي بقصد أن يدخل على صفية لأنها كانت حائضاً وهي بنت حُيي بن أخطب الإسرائيلية، وقد قُتِل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكانت عروساً فاصطفاها ﷺ لنفسه لأنه كان له صفي المغنم قبل قسمته، قيل: وكان اسمها زينب قبل أن تُسبى فلما صارت من الصفي سميت صفية **(فدعوت المسلمين إلى وليمته)** عليه الصلاة والسلام **(وما كان فيها من خبزٍ ولا لحم وما كان فيها إلا أن أمر)** عليه الصلاة والسلام **(بلالاً بالأنطاع)** أي بأن تُبسط الأنطاع أي السفر **(فبسطت فألقي عليها التمر والأقط والسمن)** أي وخُلِط بعضه ببعض ويسمى ذلك حيساً **(فقال المسلمون)** هل هي **(إحدى أمهات المؤمنين)** الحرائر **(أو مما ملكت يمينه قالوا)** وفي نسخة فقالوا: **(إن حَجَبها فهي إحدى أمهات المؤمنين)** لأن ضرب الحجاب إنما هو على الحرائر لا على ملك اليمين **(وإن لم يَحَجُبها فهي مما ملكت يمينه فلما ارتحل)** عليه الصلاة والسلام **(وطأ)** أي أصلح **(لها)** ما تحتها للركوب **(خلفه ومد الحجاب)** وفي روايةٍ: فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب أي يجعل لها عباءةً حوية، وهي كساء محشوٌ يُدار

الحجاب. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل الحمر الإنسية».

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة

---

حول الراكب، وفي مغازي أبي الأسود عن عُروَة: فوضع رسول الله ﷺ لها فخذه لتركب فأجَلَّت رسول الله ﷺ أن تضع رجلها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه وركبت.

**(عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى)** نهي تحريم **(عن متعة النساء)** وهي النكاح إلى أجلٍ سمي بذلك لأن الغرض منه مجرد التمتع دون التوالد وغيره من أغراض النكاح، وكان جائزاً في أول الإسلام كأكل الميتة ثم حُرِّم **(يوم خيبر)** ورخَّص فيه عام الفتح أو عام حجة الوداع ثم حُرِّم إلى يوم القيامة، وقد علم مما تقرر أن يوم خيبر ظرف للنهي لا للمتعة إذ لم يقع في يوم خيبر تمتع بالنساء، لكن قال ابن عبد البر: إن ذكر النهي يوم خيبر غلط، وقال السهيلي: لا يعرفه أحد من أهل السير. **(و)** نهى ﷺ **(عن أكل لحوم الحُمُر الإنسية)** بكسر الهمزة وسكون النون أو بفتح الهمزة والنون وفي نسخة حُمُر الإنسية بإسقاط أل وفتح الهمزة والنون، وفي روايةٍ الحُمُر الأهلية وفي أخرى ورخَّص في أكل الخيل، وسبب النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية نجاستها وقيل احتياج الناس إليها في الحمل في ذلك الوقت وفيه نظرٌ لاقتضائه جوازه في غير ذلك الوقت وليس كذلك، وقيل لأنها لم تُخَمَّسْ وقيل لأنها كانت تأكل العذرة أي النجاسة وفيهما نظر أيضاً لأن التبسط في المأكولات قبل القسمة جائز وأكل العذرة يوجب الكراهة لا التحريم.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قَسَم النبي ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً)** أي إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم سهم له وسهمان للفرس، فإن لم يكن له فرس فله سهم واحد هكذا فسره نافع مولى ابن عمرو لا يزاد الفارس على ثلاثة وإن حضر بأكثر من فرس كما لا ينقص عنها، وقال أبو حنيفة: لا يُسْهَم للفارس إلا سَهْمٌ واحد ولفرسه سهم وقد مر ذلك في كتاب الجهاد.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: بلغنا مخرج رسول الله ﷺ)** بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة مصدر ميمي بمعنى خروجه أي بعثته أو هجرته، وعلى الثاني يحتمل أنه بلغتهم الدعوة فأسلموا وتأخروا في بلادهم حتى وقعت الهدنة والأمان من خوف الكفار **(ونحن)** أي والحال أنا **(باليمن فخرجنا)** حال كوننا **(مهاجرين إليه أنا وإخوان لي أنا أصغرهم أحدهما أبو بُردة)** عامر بن قيس **(والآخر**

والآخر أبورهم في ثلاثة وخمسين من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر وكان أناس من الناس يقولون لنا يعني لأهل السفينة سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها، فقال عمر: حين رأى أسماء من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس قال عمر: الحبشية هذه؟ البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم قال: سبقنا بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت: كلا والله كنت مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنّا في دارٍ أو في أرض البعداء البغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وايم الله لا أطعم

---

**أبو رُهْم)** بضم الراء وسكون الهاء ابن قيس الأشعريان **(في ثلاثة وخمسين)** أو اثنين وخمسين رجلاً **(من قومي)** الأشعريين **(فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا إلى النجاشي)** ملك الحبشة **(بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب)** رضي الله تعالى عنه بها **(فأقمنا معه)** ثم **(حتى قدمنا جميعاً)** وجملة من كان مع جعفر كما قال ابن إسحق ستة عشر منهم امرأته أسماء بنت عميس وخالد بن أبي سعيد بن العاص وامرأته وأخوه عمرو بن سعيد ومعيقيب بن أبي فاطمة **(فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر)** زاد في بعض الروايات فأسهم لنا ولم يُسْهِم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهدها معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فإنه قَسَم لهم معه، وعند البيهقي أنه ﷺ كلّم المسلمين قبل أن يقسم لهم فأشركوهم **(وكان أناس من الناس)** منهم عمر رضي الله تعالى عنه **(يقولون لنا يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة ودخلت أسماء بنت عميس)** مع زوجها جعفر **(وهي ممن قدم معنا)** من أصحاب السفينة **(على حفصة)** بنت عمر **(زوج النبي ﷺ)** حال كونها **(زائرةً وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر فدخل عمر على ابنته)** حفصة **(وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماءَ)** لابنته حفصة: **(من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: آلحبشية هذه؟)** بمد همزة الاستفهام لسكناها فيها **(آلبحرية هذه؟)** لركوبها البحر أي أهي التي كانت في الحبشة أهي التي جاءت من البحر **(قالت أسماء: نعم قال)** عمر لها: **(سبقناكم بالهجرة)** إلى المدينة **(فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت)** أسماء **(وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دارٍ أو)** للشك **(في أرض البُعَداء)** بضم الموحدة وفتح العين والدال المهملتين ممدوداً ودار وأرض بغير تنوين لاضافتهما إلى البعداء **(البُغَضَاء)** بضم الموحدة وفتح الغين والضاد المعجمتين ممدوداً جمع بعيد وبغيض **(بالحبشة وذلك في الله وفي رسوله)** وفي نسخةٍ: وفي (ﷺ) أي

طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك للنبي ﷺ وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا قال: «فما قلت له»؟ قالت: قلت له كذا وكذا قال: «ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان». وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار ومنهم حكيم إذا لقي الخيل أو قال العدو قال لهم إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم». وعنه رضي الله عنه قال:

---

لأجلهما وطلب رضاهما (**وايم الله**) بهمزة وصل (**لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ونحن كنَّا نُؤذَى ونخاف**) بضم النون فيهما مبنيين للمفعول وبالذال المعجمة (**وسأذكر ذلك للنبي ﷺ واسأله والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي ﷺ قالت له: يا رسول الله إن عمر قال كذا وكذا، قال: فما قلت له؟ قالت: قلت له: كذا وكذا قال**) عليه الصلاة والسلام: (**ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة**) إلى المدينة (**ولكم أنتم**) تأكيد لضمير الخفض (**أهل السفينة**) نصب على الاختصاص أو النداء بحذف أداته ويجوز الخفض بدلاً من الضمير (**هجرتان**) إلى النجاشي وإليه عليه الصلاة والسلام، قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى الأشعري وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً أي أفواجاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: إني لأعرف أصوات رِفقة الأشعريين بالقرآن**) بتثليث راء رفقة وضمها أشهر (**حين يدخلون**) منازلهم (**بالليل**) أي إذا خرجوا إلى المسجد أو لشغلٍ ما ثم رجعوا، وما قيل من أن الصواب حين يرحلون بالراء والحاء المهملتين بدل الدال والخاء المعجمة ليس بشيء لأن تلك الرواية مستقيمة فلا وجه للعدول عنها، وقد يقال: وجه العدول أن ظاهر الحديث أنَّ القصة في السفر وذلك يؤيد ما قيل من أن الصواب ما ذكر (**وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم**) صفة لرجل من الأشعريين وقيل علم عليه (**إذا لقي الخيل أو قال العدو**) بالشك (**قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم**) بفتح التحتية وضم الظاء المعجمة وروي بضم التاء والظاء المكسورة أي تنتظروهم من الانتظار أي أنه لفرط شجاعته كان لا يفر من العدو بل يواجههم ويقول لهم إذا أرادوا الانصراف: انتظروا الفرسان حتى يأتوكم ليحثهم على القتال، وهذا بالنسبة إلى قوله العدو وأما بالنسبة إلى الخيل فيحتمل أن يريد بها خيل المسلمين، ويشير بذلك إلى أن أصحابه كانوا رجَّاله فكان يأمر الفرسان أن ينتظروهم ليسيروا إلى العدو جميعاً، قاله في الفتح.

قدمنا على النبي ﷺ بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال وماتت بسرف.

## غزوة موتة من أرض الشام

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر النبي ﷺ في غزوة موتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة». قال ابن عمر كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

---

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال: قدمنا على النبي ﷺ)** مع جعفر ومن معه من الحبشة **(بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا)** عليه الصلاة والسلام **(ولم يقسم لأحد لم يشهد الفتح غيرنا)** الأشعريين ومن معهم وجعفر ومن معه كما مر.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ تزوج ميمونة)** بنت الحارث الهلالية **(وهو مُحْرِم)** بعمرة القضية وكان الذي زوجها منه العباس بن عبد المطلب وكانت أختها أم الفضل تحته **(وبنى بها وهو حلال وماتت)** بعد ذلك **(بسرف)** أي بالموضع الذي بنى بها فيه وهو على عشرة أميال من مكة سنة إحدى وخمسين، وهذا خصوصية له عليه الصلاة والسلام حيث نكحها وهو محرم على أنَّ أكثر الروايات أنه كان حلالاً.

## غزوة مُؤتة

بضم الميم وسكون الواو من غير همز للأكثر **(من أرض الشام)** بالقرب من أرض البلقاء في جمادى الأولى سنة ثمانٍ.

**(عن ابن عمر)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال أمر النبي ﷺ)** بتشديد الميم **(في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: إن قتل زيد فجعفر)** أي ابن أبي طالب أميرهم **(وإنْ قُتِل جعفر فعبد الله بن رواحة)** أميرهم **(قال ابن عمر كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا)** أي طلبنا **(جعفر بن أبي طالب)** بعد أن قتل **(فوجدناه في القتلى ووجدنا في جسده)** وفي نسخةٍ ما في جسده **(بضعاً وتسعين من طعنةٍ)** برمحٍ **(ورميةٍ)** بسهم وفي روايةٍ أن عبد الله بن عمر وقف على جعفر فعدّ به خمسين بينَ طعنةٍ وضربةٍ ليس منها شيءٌ في دبره يعني في ظهره لمزيد شجاعته، ولا تنافي بين الروايتين لأن التخصيص بعدد لا ينفي الزائد أو أن الخمسين كانت بصدره والأخرى بجسده كله، أو أن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام فإن ذلك لم يذكر في رواية الخمسين.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله فكف الأنصارى فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوذاً فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات علينا أبو بكر ومرةً علينا أسامة رضي الله عنهما.

---

**(عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: بعثَنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة)** بالإفراد قبيلة ويقال لها الحرقات نسبة إلى الحرقة، وهو في الأصل لقب رجل اسمه جهش بن عامر بن ثعلبة بن مودعة بن جهينه وسمي الحرقة لأنه حرق قوماً بالقتل فبالغ في ذلك والجمع باعتبار بطون تلك القبيلة **(فصبحنا القوم فهزمناهم فلحقتُ)** بالفاء وفي نسخة ولحقت بالواو **(أنا ورجل من الأنصار)** قال في المقدمة لم أعرف اسم الأنصاري ويحتمل أن يكون أبا الدرداء ففي تفسير عبد الرحمن بن يزيد ما يرشد إليه **(رجلا منهم)** هو مرداس بن عمرو ويقال فهيد الفدكي **(فلما غشيناه)** بكسر المعجمة **(قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري عنه وطعنته)** بالواو وفي نسخةٍ بالفاء **(برمحي حتى قتلته فلما قدمنا)** المدينة **(بلغ النبي ﷺ)** قتلي له بعد قوله كلمة التوحيد **(فقال: يا أسامة أقتلته)** بهمزة الاستفهام الإنكاري **(بعد ما قال لا إله إلا الله)** المستلزمة للإقرار برسالة الرسول لأنه كان إذ ذاك يقاتلهم على أن يقولوها فيمتنعوا من ذلك لاستلزامها الإقرار له بالرسالة **(قلت)** يا رسول الله **(كان متعوذاً)** من القتل **(فما زال)** عليه الصلاة والسلام **(يكررها)** أي كلمة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله **(حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت من قبل ذلك يوم)** وهذا على سبيل المبالغة لا الحقيقة، وقيل تمنى إسلاماً لا ذنب فيه قال الخطابي: ويشبه أن يكون أسامة تأول قوله تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ [غافر: ٨٥] قيل ولم يُنقل أنه عليه الصلاة والسلام ألزمه بدية ولا غيرها ونقل بعضهم أنه أمره بالدية.

**(عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: غزوت مع النبي ﷺ سبعَ غزوات)** بالموحدة بعد السين غزوة الحديبية وخيبر ويوم حُنين ويوم القرَد وغزوة الفتح والطائف وتبوك وهي آخرهن، وفي روايةٍ تسع غزوات بفوقية قبل السين بزيادة غزوة وادي القرى التي وقعت بعد خيبر وعمرة القضاء **(وخرجت فيما يبعث من البعوث)** جمع بعث وهو الجيش **(تسع غزوات)** بفوقية قبل السين **(مرةً علينا أبو بكر)** الصديق أميراً إلى

## غزوة الفتح في رمضان

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمة المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد وهو ماء بين عسفان وقديد أفطر وأفطروا.

---

بني فُزارة وأخرى إلى بني كِلاب وثالثة إلى الحج **(ومرةً علينا أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما)** وكانت إمارة أسامة إلى الحرقات وإلى أُبْنَى بضم الهمزة وسكون الموحدة ثم نون مفتوحة مقصورة من نواحي البلقاء، وهذه خمسة ذكرها أهل السير وبقيت أربعة لم يذكروها ويُحتمل أن يكون في هذا الحديث حذف أي ومرة علينا غيرهما والله أعلم.

## غزوة الفتح

أي فتح مكة لنقض أهلها العهد الذي وقع بالحديبية في رمضان سنة ثمان.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان)** لليلتين خلتا منه **(من المدينة)** وصَبَّح مكة لثلاث عشرة خلت منه فأقام في الطريق اثني عشر يوماً **(ومعه عشرة آلاف)** وعند ابن إسحق في اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار وأَسْلَمْ وغِفار ومُزينة وجُهينة وسُليم، وجمع بين الروايتين بأن العشرة آلاف من نفس المدينة ثم تلاحق به الألفان **(وذلك على رأس ثمان سنين)** وفي نسخةٍ: ثماني بالياء **(ونصف من مقدمه)** عليه الصلاة والسلام **(المدينة)** قيل الصواب على رأس سبع سنين ونصف لأن الهجرة كانت في ربيع الأول فتلك السنة ناقصة شهرين تكمل شهرين أو ثلاثة من السنة الثامنة وهي المحرم وصفر وربيع، ومنه إلى رمضان نصف سنة فهي سبعٌ ونصف وأجيب بأن المشهور في التاريخ أن أول السنة المحرم وإذا دخل من السنة الثامنة شهران أو ثلاثة أطلق عليها سنة مجازاً من تسمية البعض باسم الكل ويقع ذلك في آخر ربيع الأول ومن ثم إلى رمضان نصف سنة أو يقال كان آخر شعبان تلك السنة آخر سبع سنين ونصف من أول ربيع الأول، فلما دخل رمضان دخلت سنة أخرى وأول السنة يصدق عليه أنه رأسها فصحَّ أنَّه رأس ثمان سنين ونصف، أو أن رأس الثمان كان أول ربيع الأول وما بعده نصف سنة كذا قرره في الفتح **(فسار)** عليه الصلاة والسلام **(بمن معه)** وفي نسخةٍ: هو ومن معه **(من المسلمين إلى مكة)** حال كونه عليه الصلاة والسلام **(يصوم رمضان ويصومون حتى بلغ الكدِيد)** بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الأولى **(وهو ما بين عسفان وقديد)** بضم القاف مصغراً **(أفطر)** عليه الصلاة والسلام **(وأفطروا)** أي الصحابة الذين كانوا معه وكان بعد العصر كما في مسلم، وكان قد شق على الناس الصوم فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر وهذا ناسخٌ لعموم قوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥].

وعنه رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حنين والناس مختلفون فصائم ومفطر فلما استوى على راحلته دعا بإناء من لبن أو ماء فوضعه على راحته أو على راحلته ثم نظر إلى الناس فقال المفطرون للصوام: أفطروا.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشاً خرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران فإذا هم بنيران كأنها نيران

---

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حُنين)** بالحاء المهملة المضمومة والنون المفتوحة بعدها تحتية ساكنة فنون أخرى وادٍ بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً، والمحفوظ المشهور أن خروجه عليه الصلاة والسلام لحنين إنما كان في شوال سنةَ ثمانٍ وأن مكة فُتحت في سابع عشر رمضان وأقام عليه الصلاة والسلام بها تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين، فيكون خروجه إلى حنين في شوال بلا ريب، وقول بعضهم أن المراد أن ذلك كان في غير زمن الفتح وكان في حجة الوداع أو غيرها مردودٌ بأنَّ حنيناً لم تكن إلا في شوال عقب الفتح اتفاقاً، وأجيب عن الإشكال بأجوبة أولاها ما قاله الطبري أن المراد من قوله: خرج عليه الصلاة والسلام في رمضان إلى حنين، أنه قصد الخروج إليها وهو في رمضان فذكرا الخروج وأراد القصد للخروج، وهذا شائع ذائع في الكلام **(والناس مختلفون فصائم)** أي فبعضهم صائم **(و)** بعضهم **(مفطر)** لاختلافهم في كونه عليه الصلاة والسلام كان صائماً أو مفطراً **(فلما استوى على راحلته دعا بإناءٍ من لبنٍ أو ماءٍ)** بالشك من الراوي **(فوضعه على راحته)** أي كفه **(أو راحلته)** بالشكِّ أيضاً وفي نسخةٍ: أو على راحلته وفي أخرى على راحلته أو راحته بالتقديم والتأخير **(ثم نظر إلى الناس)** ليروه عليه الصلاة والسلام وفي نسخةٍ إسقاط إلى فالناس رفع على الفاعلية **(فقال المفطرون للصُوَّام)** بضم الصاد وتشديد الواو بعدها ألف، وفي نسخة للصُوام بإسقاط الألف جمع صائم: **(أفطروا)** بهمزة قطع مفتوحة وكسر الطاء زاد الطبري في تهذيبه يا عصاة، وهذا الحديث انفرد به البخاري.

**(عن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح)** وهذا مرسل لأن عروة تابعي **(فبلغ ذلك)** المسير **(قريشاً)** بمكة **(خرج أبو سفيان)** صخر **(بن حرب وحكيم بن حزام)** بكسر الحاء المهملة **(وبُدَيل)** بضم الموحدة وفتح الدال المهملة **(ابن ورقاء)** براء ساكنة فقاف مفتوحة الخُزاعي من مكة **(يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران)** بفتح الظاء المعجمة وسكون الهاء بلفظ التثنية ومر بفتح الميم وتشديد الراء موضع قرب مكة، وهو المسمى الآن بوادي فاطمة **(فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة)** التي كانوا يوقدونها فيها ويكثرون منها، وعند ابن

عرفة فقال: أبو سفيان ما هذه لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان فلما سار قال: للعباس احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة قال: يا عباس من هذه قال: هذه غِفار، قال: مالي ولغفار ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك ثم مرت سليم فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية

---

سعد أنه ﷺ أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار **(فقال أبو سفيان: ما هذه النار والله لكأنها نيران)** ليلة **(عرفة)** في كثرتها **(فقال بُديل بن ورقاء: نيران بني عمرو)** بفتح العين يعني خُزاعة وعمرو هو ابن لحي **(فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم)** وقد سُمِّي منهم في السِّيَر عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وعند ابن عائذٍ وكان رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلاً تقبض العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي، فلما دخل أبو سفيان أصحابه عسكر رسول الله ﷺ أخذتهم الخيل تحت الليل **(فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان)** رضي الله تعالى عنه **(فلما سار)** عليه الصلاة والسلام **(قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حَطْم الخيل)** بالحاء والطاء الساكنة المهملتين والخيل بالخاء المعجمة بعدها تحتية أي ازدحامها، وفي نسخةٍ خطم بالخاء المعجمة الجبل بالجيم والموحدة أي أنف الجبل لأنه ضَيِّقٌ فيرى الجيش كله ولا يفوته رؤية أحد منهم **(حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي)** وفي نسخةٍ رسول الله **(ﷺ تمر كَتِيبَةً كَتِيبَةً على أبي سفيان)** بمثناه فوقية بعد الكاف القطعة من العسكر، فعيلة من الكتب وهو الجمع **(فمرت كتيبةٌ فقال)** وفي نسخة قال: **(يا عباس من هذه)** الكتيبة؟ **(قال)** وفي نسخةٍ: فقال: **(هذه غِفارٍ قال)** أبو سفيان: **(مالي ولغفار)** بالصرف وعدمه أي ما كان بيني وبينهم حرب، **(ثم مرَّت جُهينة)** بضم الجيم وفتح الهاء مصغر جهنة **(فقال)** وفي نسخةٍ قال: **(مثل ذلك)** القول الأول، **(ثم مرَّت)** كتيبةُ **(سعد ابن هُذَيم)** بضم الهاء وفتح الذال المعجمة والمعروف سعد هذيم بالإضافة قال في الفتح: ويصح الآخر على المجاز **(فقال)** أبو سفيان **(مثل ذلك)** القول الأول، **(ثم مرَّت)** وفي نسخةٍ ومرت **(سُلَيم)** بضم السين وفتح اللام **(فقال)** أبو سفيان **(مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم يرَ)** أبو سفيان **(مثلها)** في الكثرةِ **(فقال من هذه)** القبيلة؟ **(قال)** العباس: **(هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية)** التي للأنصار **(فقال سعد بن عبادة)** حامل راية الأنصار؟ **(يا أبا سفيان اليوم)** بالرفع والنصب **(يوم**

فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت قبيلة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: قال كذا وكذا فقال: «كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة»، قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون فقال العباس للزبير: يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول

---

**(الملحمة)** بفتح الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة أي يوم حرب لا يوجد فيه مخلص، أو يوم القتل والمراد المقتلة العظمى **(اليوم)** نصب على الظرفية **(تُسْتَحلُّ)** بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية والحاء المهملة مبنياً للمفعول **(الكعبة فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذِمار)** بالذال المعجمة المكسورة وتخفيف الميم آخره راء الهلاك أو حين الغضب للمحرم والأهل يعني الأنتصار لمن بمكة قاله غلبةً وعجزاً، وقيل أراد حبذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي عن المكروه، وفي مغازي الأموي أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ لما حاذاه: أَمرتَ بقتل قومك؟ قال: لا فذكر له سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرَّحِم، فقال: «يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشاً»، فأرسل إلى سعدٍ فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس **(ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب)** عدداً **(فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه)** من المهاجرين وكانت الأنصار أكثر عدداً منهم، وعند الحميدي في مختصره وهي أجل الكتائب بالجيم بدل القاف من الجلالة وهي مُساوية للأولى لأن المراد قلة العدد لا الاحتقار لأن ذلك لا يُظنُّ بمسلم اعتقاده ولا توهمه، بل التصريح بأن النبي ﷺ كان في هذه الكتيبة التي هي أقل عدداً مما سواها من الكتائب قاضٍ بجلالة قدرها وعِظَم شأنها ورجحانها على كل شيءٍ سواها ولو كان ملء الأرض بل وأضعاف ذلك، فقولَ بعضهم إن الثانية أظهر غير ظاهر **(وراية النبي)** وفي نسخةٍ: رسول الله **(ﷺ مع الزبير بن العوام)** رضي الله عنه **(فلما مرَّ رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال)** لرسول الله ﷺ: **(ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال)** عليه الصلاة والسلام: **(ما قال)** سعد؟ أبو سفيان: **(قال: كذا وكذا)** أي اليوم يوم الملحمة **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(كذب سعد)** فيه إطلاق الكذب على الاختبار بغير ما سيقع ولو بناه قائله على غلبة الظن وقوة القرينة **(ولكن هذا يومٌ يُعظِّم الله تعالى فيه الكعبة)** أي بإظهار الإسلام وأذان بلال على ظهرها وإزالة ما كان فيها من الأصنام ومحو الصور التي كانت فيها وغير ذلك **(ويومٌ تُكسى فيه الكعبة)** لأنهم كانوا يكسونها في مثل ذلك اليوم **(قال)** أي عروة: **(وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون)** بالحاء المهملة المفتوحة والجيم المخففة المضمومة موضع قريب من مقبرة مكة **(فقال العباس للزُّبَير)** بعد فتح مكة: **(يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله ﷺ أن**

الله ﷺ أن تركز الراية، قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كداء، ودخل النبي ﷺ من كدي فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذٍ رجلان: حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري.

عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع. عن عبد الله رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول:

---

**تَرْكُز)** بفتح الفوقية وضم الكاف **(الراية قال)** أي عروة: **(وأمر رسول الله ﷺ)** يومئذٍ خالد ابن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداء) بفتح الكاف والمد **(ودخل النبي ﷺ من كُدَى)** بضم الكاف والقصر وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة أن خالدا رضي الله تعالى عنه دخل من أسفل مكة والنبي ﷺ من أعلاها **(فقُتِلَ)** بضم القاف وكسر التاء **(من خيل خالد بن الوليد)** وفي نسخةٍ إسقاط ابن الوليد **(يومئذٍ رجلان حبيش بن الأشعر)** بحاء مهملة مضمومة فموحدة مفتوحة فتحتية ساكنة فشين معجمة وهو لقبه واسمه خالد بن سعد، والأشْعَرْ بشين معجمة وعين مهملة الخُزاعي وهو أخو أمّ معبد التي مرَّ بها النبي ﷺ مهاجراً **(وكُرْز بن جابر)** بضم الكاف بعدها راء ساكنة فزاي **(الفهري)** بكسر الفاء وسكون الهاء وكان من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرح النبي ﷺ في غزوةِ بدرِ الأولى ثم أسلم قديماً وبعثه النبي ﷺ في طلب العرنيين، وذكر ابن إسحق أن أصحاب خالد بن الوليد لقوا أناساً من قريش منهم سُهيل بن عمرو وصفوان بن أمية، كانوا تجمعوا بالخندمة بالخاء المعجمة والنون مكان أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين. فتناوشوهم شيئاً من القتال فقُتِل من خيل خالد أبو مسلمة بن الميلاء الجهني، وقُتِل من المشركين اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر وانهزموا.

**(عن عبد الله بن مُغَفَّل)** بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء المفتوحة المُزَني **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأيت رسول الله ﷺ على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح)** حال كونه **(يُرجِّع)** صوته بالقراءة **(قال)** أي الراوي عن عبد الله بن مغفل وهو معاوية بن قرة: **(لولا أن يجتمع الناس حولي لرَجَّعْتُ كما رَجَّع)** عبد الله بن مغفل يحكي قراءة النبي ﷺ، وعند الحاكم لقرأت بذلك اللحن الذي قرأ به النبي ﷺ.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب)** بضم النون والصاد المهملة ما ينصب للعبادة من دون الله عز وجل **(فجعل)** عليه الصلاة والسلام **(يطعُنها)** بضم العين على الأرجح، قال في المصباح: طعنه بالرمح طعناً من باب قتل، ثم قال: وأجاز الفراء يطعَن بالفتح

جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد.

عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه قال: كنا بماء ممر الناس وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس ما للناس ما هذا الرجل فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى إليه كذا فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يغري في صدري وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق فلما كانت وقعة أهل الفتح

---

لمكان حرف الحلق (**بعود في يده ويقول: جاء الحق**) الإسلام أو القرآن (**وزهق الباطل**) الكفر أي اضمحل وتلاشى (**جاء الحق وما يُبدِىء الباطل وما يعيد**) أي زال الباطل وهلك لأن الإبداء والإعادة من صفات الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك فالمعنى جيء الحق وهلك الباطل، وقيل الباطل الأصنام وقيل إبليس لأنه صاحب الباطل أو لأنه هالك، كما قيل له الشيطان من شاط إذا هلك أي لا يخلق الشيطان ولا الصنم أحداً ولا يبعثه فالمُنْشِىءُ والباعث هو الله تعالى لا شريك له، وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: يطعن في عينيه بِسِيَةِ القوس وفي صحيح ابنِ حبان: فيسقط الضم ولا يمسه، وعند الفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: فلم يبق وَثَن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة في الأرض قد شد لهم إبليس لعنه الله تعالى أقدامها بالرصاص، وفعل ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ولإظهار أنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئاً.

(**عن عمرو**) بفتح العين (**ابن سَلِمَة**) بكسر اللام ابن قيس، وقيل ابن نُفَيْع الجرمي اختلف في صحبته (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: كنّا بماءٍ**) أي موضع نزل به (**ممرِّ النَّار**) بتشديد الراء مجرور صفة الماء أي موضع مرورهم (**وكان ينزل بنا الرّكبان فنسألهم ما للناس ما للناس؟**) بالتكرار مرتين (**ما هذا الرجل؟**) أي يسألون عن النبي ﷺ وعن حال العرب معه (**فيقولون: يزعم أن الله أرسله أوحى**) أي أوحى الله (**إليه**) وفي نسخةٍ: أو أوحى بالشك من الراوي (**كذا**) وفي نسخةٍ: بكذا بالباء والقصد من ذلك حكاية ما كانوا يخبرونهم به مما سمعوه من القرآن، وفي مستخرج أبي نعيم فيقولون، نبي يزعم أن الله أرسله وأن الله أوحى إليه كذا وكذا (**فكنت أحفظ ذلك**) وفي نسخةٍ ذاك (**الكلام**) ولأبي داود: وكنت غلاماً فحفظت من ذلك قرآناً كثيراً، (**فكأنما**) بالفاء وفي نسخةٍ وكأنما بالواو (**يُغرَى**) بضم التحتية وسكون الغين المعجمة وفتح الراء من التغرية أي كأنما يلصق (**في صدري**) ورُوي بفتح الغين وتشديد الراء، وفي روايةٍ يقر بقاف مفتوحة وراء مشددة من القرار وفي أخرى يُقرَى بزيادة ألف مقصورة من التقرية أي يُجمع وفي أخرى يُقرأُ بسكون القاف آخره همزة مضمومة من القراءة (**وكانت العربَ تلَوَّم**) بفتح اللام والواو المشددة وأصله بتاءين فخذفت إحداهما تخفيفاً أي تنتظر وتتربص (**بإسلامهم الفتح**) أي فتح مكة (**فيقولون: اتركوه وقومه**) قريشاً (**فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق فلما كانت**

بادر كل قوم بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقاً فقال صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني فقالت امرأة من الحي ألا تغطوا عنا إست قارئكم فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أنه كان بيده ضربة قال: ضربتها مع رسول الله ﷺ يوم حنين.

## غزوة أوطاس

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر

---

وقعة أهل الفتح بادر) أي أسرع (كلُّ قوم بإسلامهم وبدر) أي أسرع (أبي قومي بإسلامهم فلما قدم) أبي (قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقاً فقال) عليه الصلاة والسلام لهم (صلوًا كذا وكذا في حين كذا وكذا وصلوا كذا وكذا في حين كذا وكذا) وفي نسخةٍ: «صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلاة كذا في حين كذا» (فإذا حضرت الصلاة فَلْيُؤَذِّن لكم أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآناً) ولأبي داود أنهم قالوا: يا رسول الله من يَؤُمُّنا؟ قال: «أكثركم جمعاً للقرآن» (فنظروا) في الحيِّ (فلم يكن أحدٌ أكثر قرآناً مني لما كنت أتلقى) من القرآن (من الركبان فقدَّموني بين أيديهم) أصلي بهم (وأنا ابن ستٍ أو سبع سنين، وكانت عليَّ بردة) أي شملة أو كساء أسود مُرَبَّع (كنت إذا سجدت تقلصت) بقاف ولام مشددة وصاد مهملة أي انجمعت وتكشفت (عني، فقالت امرأة من الحيِّ: ألا تُغَطُّوا) بحذف النون حالة الرفع قال ابن مالك إنه ثابت في الكلام الفصيح نثره ونظمه وفي نسخةٍ ألا تُغَطُّون (عنا إست قارِئكم) أي عجزه (فاشتروا) زاد أبو داود: لي قميصاً عُمَانياً بضم العين مخففاً نسبة إلى عُمَان من البحرين (فقطعوا لي قميصا فما فرحت بشيءٍ فرحي بذلك القميص) وبهذا تمسك الشافعية في إمامة الصبيِّ المُميِّز في الفريضة، ولا يستدل به على عدم شرط ستر العورة في الصلاة لأنها واقعة حال، فيحتمل أن يكون ذلك قبل علمهم بالحكم.

(عن عبد الله بن أبي أوفى) بفتح الهمزة والفاء الأسلمي (رضي الله تعالى عنهما أنه كان بيده ضَرْبة) وفي رواية ضربة على ساعده فقيل له: ما هذه الضربة؟ (فقال: ضُرِبْتُها) بضم الضاد مبنياً للمفعول (مع رسول الله ﷺ يوم حُنين) بدل على أنه شهد حنيناً وكذا غيرها من المشاهد وأول مشاهده الحديبية.

## غزوة أوطاس

بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها طاء وسين مهملتان بينهما ألف وادٍ في ديار

على جيش إلى أوطاس فانتهى إليهم فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر فرُمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته فانتهيت إليه فقلت: يا عم من رماك فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي ألا تثبت فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحب قال فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي أقرىء النبي ﷺ السلام وقل له استغفر لي واستخلفني أبو عامر على الناس

---

هوازن، وفيه عسكروا، أي اجتمعوا هم وثقيف ثم التقوا بحنين.

(**عن أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من**) وقعة (**حنين بعث أبا عامر**) عُبَيْد بن سُلَيم بن حصار الأشعري وهو عم أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أميراً (**على جيشٍ إلى أوطاس**) في طلب الفارّين من هوازن يوم حنين إلى أوطاس فانتهى إليهم (**فلقي دُرَيد بن الصمة**) بضم الدال مصغر الدرد بالمهملتين والراء، والصمة بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم الجشمي بالجيم المضمومة والشين المعجمة المفتوحة (**فقُتِل**) بضم القاف مبنياً للمفعول (**دُريد**) قتله ربيعة بن رفيع بن وهبان بن ثعلبة السُّلَمي فيما جزم به ابن إسحق، أو الزبير بن العوام كما يُشعِرُ به حديث عند البزار عن أنس بإسنادٍ حسن (**وهزم الله**) تعالى (**أصحابه**) أي أصحاب دُرَيد (**قال**) أبو موسى الأشعري: (**وبعثني**) رسول الله ﷺ (**مع أبي عامر**) عُبَيْد أي عمه إلى من التجى إلى أوطاس (**فَرُمِيَ أبو عامر في ركبته رماه جُشَمِي**) أي رماه رجل جشمي بجيم مضمومة فشين معجمة مفتوحة وميم مكسورة فياء نسب لبني جُشَم وهو أوفى أو العلاء ابنا الحارث كما عند ابن هشام (**بسهم فأثبته**) بقطع الهمزة أي السهم (**في ركبته**) قال أبو موسى: (**فانتهيت إليه فقلت**) له (**يا عَم من رماك**) بهذا السهم (**فأشار إلى أبي موسى**) هو التفات وكان الأصل أن يقول: إليَّ (**فقال: ذاك قاتلي الذي رماني**) قال أبو موسى (**فقصدت**) أي توجهت (**له فلحقته فلما رآني وَلَّى**) بفتح الواو واللام المشددة أي أدبر (**فاتَّبعتُه**) بتشديد الفوقية وهمزة الوصل أي سرت في أثره (**وجعلت أقول له: إلا**) بالتخفيف (**تستحي**) بسكون الحاء المهملة وزيادة تحتية مكسورة وفي نسخةٍ بحذفها وكسر الحاء أي من فرارك (**ألا تثبت**) عند اللقاء (**فكف**) عن التَّوَلِّي (**فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته ثم قلت لأبي عامر قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم**) بوصل الهمزة وكسر الزاي (**فنزعته فنزا**) بالنون والزاي من غير همز أي انصب (**منه**) أي من موضع السهم (**الماء، قال: يا ابن أخي أقرىء النبي ﷺ**) عني (**وقل له استغفر لي**) بلفظ الطلب والمعنى أن أبا عامر سأل أبو موسى أن يسأل النبي ﷺ أن

فمكث يسيرا ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته على سرير مرمل وعليه فراش قد أثر رمال السرير في ظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقال: قال له استغفر لي فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: «اللّهم اغفر لعبيدك أبي عامر»، ورأيت بياض أبطيه ثم قال: اللّهم اجعله يوم القيامة فوق كثيرٍ من خلفك من الناس»، فقلت: ولي فاستغفر فقال: «اللّهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً.

## غزوة الطائف في شوال سنة ثمان

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل على النبي ﷺ وعندي مخنث

---

يستغفر له، قال أبو موسى: **(واستخلفني أبو عامر على الناس)** أميراً **(فمكث يسيراً ثم مات)** رضي الله تعالى عنه ثم قاتلهم أبو موسى حتى فتح الله عز وجل عليه قال: **(فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته)** حال كونه **(على سريرٍ مُرمَّل)** بضم الميم الأولى والثانية بينهما راء ساكنة، وروي بفتح الراء والميم الثانية مشددة أي منسوج بحبل ونحوه **(وعليه فراش)** قيل إنَّ ما ساقطة أي ما عليه فراش ويحتمل أن المعنى وعليه فراش رقيق فلا ينافي قوله **(قد أثَّر رمال السرير بظهره وجنبيه)** بفتح الموحدة على التثنية **(فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وأنه قال: قل له)** ﷺ: **(استغفر لي فدعا عليه الصلاة والسلام بماءٍ فتوضأ ثم رفع يديه فقال: اللهم أغفر لعُبَيْدِك أبي عامر ورأيت بياض إبطيه)** فيه رفع اليدين في الدعاء خلافاً لمن خصه بالاستسقاء **(ثم قال)** ﷺ: **(اللهم اجعله)** في المرتبة **(يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس)** بيان لسابقه لأن الخلق أعم وفي نسخةٍ ومن الناس قال أبو موسى **(فقلت: وليَ فاستغفر)** يا رسول الله **(فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مُدْخَلاً كريماً)** بضم الميم وفتحها وكلاهما بمعنى المكان والمصدر وكريماً حسناً.

## غزوة الطائف

قال في القاموس: هي بلاد ثقيف في وادٍ أول قُرَاها لَقِيْم بفتح اللام وآخرها الرهط وهما جبلان معروفان، ثم سُمِّيَت بذلك لأنها طافت على الماء في الطوفان، أو لأن جبريل طاف بها على البيت أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله عز وجل إلى الحجاز بدعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، أو لأنِ رجلاً من الصدف أصاب دماً بحضر موت ففر إلى وج وهو وادٍ بصحراء الطائف وحالف معود بن معتب وكان له مال عظيم فقال: هل لكم أن أبني لكم طوفاً عليكم يكون لكم رداً من العرب؟ فقالوا: نعم فبناه وهو الحائط المطيف.

فسمعته يقول لعبد الله بن أمية: «يا عبد الله أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان» وقال النبي ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئاً، قال: «إنا قافلون إن شاء الله» فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا

---

(**عن أم سلمة**) هند بنت أمية المخزومي أم المؤمنين (**رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مُخَنّث**) بضم الميم وفتح الخاء المعجمة والنون بعدها مثلثة وبكسر النون أفصح والفتح أشهر وهو من فيه إنخناس أي تكسر وتثنٍ كالنساء (**فسمعه**) عليه الصلاة والسلام (**يقول لعبد الله بن أبي أمية**) وفي نسخةٍ: ابن أمية (**يا عبد الله أرأيت**) أي أخبرني (**إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان**) بن سلمة بادِيَة بتحتية مفتوحة بعد الدال مهملة وقيل بالنون بدل التحتية، أسلمت وسألت رسول الله ﷺ عن الاستحاضة، وتزوجها عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه وأسلم أبوها أيضاً بعد فتح الطائف (**فإنها تُقبِل بأربع**) من العُكَن بضم العين وفتح الكاف (**وتُدْبِر بثمان**) منها والعكنة بضمِّ العين ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا، قال في المصباح: العُكْنة الطي في البطن من السِمَن والجمع عُكَنْ مثل غرفة وغرف وربما قيل أعكان، وتَعَكَّن البطن صار ذا عُكَن اهـ والمراد أن أطراف العُكَن الأربع التي في بطنها تظهر ثمانية في جنبيها إذا أدبرت، ولم يقل ثمانية والأطراف مذكرة لأنه لم يُذكَر وعند حذف المعدود يجوز التذكير والتأنيث في العدد، أو أنه جعل كُلاً من الأطراف عُكْنة تسمية للجزء باسم الكل فأنَّثَ بهذا الاعتبار (**وقال النبي ﷺ لا يدخلن**) بسكون اللام وفتحها (**هؤلاء**) المخنثون (**عليكنَّ**) وفي نسخة: عليكم بالميم بدل النون ثم أجلاه من المدينة إلى الحمى، فلما وَلِيَ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة قيل له: إنه قد ضَعُفَ وكَبُرَ واحتاجَ فأذن له أن يدخل في كل جمعةٍ فيسأل الناس ويَرُدُّ إلى مكانه، وكان اسمه هِيْت بكسر الهاء وسكون التحتية بعدها فوقية، وقيل هيت لقبه واسمه ماتع بفوقية وعين مهملة وهو مولى عبد الله ابن أمية المذكور.

(**عن عبد الله بن عمر**) بضم العين وفتح الميم ابن الخطاب وقيل بفتح العين وسكون الميم ابن العاص (**رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: لما حاصر النبي ﷺ الطائف**) وكان ثقيف قد رموا حِصْنَهم وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم، قال ابن سعد: وكانت مُدَّةُ حصارهم ثمانية عشر يوماً ويُقال خمسة عشر يوماً، وقال ابن هشام: سبعة عشر يوماً وقيل أربعين يوماً وقيل غير ذلك (**فلم ينل منهم شيئاً**) وذكر أهل المغازي أنهم رموا على المسلمين سكك الحديد

نفتحه وقال مرة: نقفل فقال: «اغدوا على القتال» فغدوا فأصابهم جراح فقال: «إنا قافلون غداً إن شاء الله» فأعجبهم فضحك النبي ﷺ.

عن سعد وأبي بكرة رضي الله عنهما قالا سمعنا النبي ﷺ يقول من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام وفي رواية أما أحدهما فأول من رمي بسهم في سبيل الله وأما الآخر فكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى النبي ﷺ وفي رواية فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف.

---

المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوماً فاستشار النبي ﷺ نوفل بن معاوية الديلمي فقال: هم ثعلب في حُجْرٍ إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(إنا قافلون)** أي راجعون إلى المدينة **(إن شاء الله)** تعالى **(فثقل)** ذلك **(عليهم)** أي على الصحابة **(وقالوا: نذهب ولا نفتحه، وقال مرة)** ثانية: **(نقفُل)** بضم الفاء أي نرجع **(فقال)** ﷺ: **(اغدوا على القتال)** أي سيروا أول النهار لأجل القتال **(فغدوا)** فلم يفتح عليهم **(فأصابهم جِرَاحٌ)** لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولا تصل السهام إليهم لكونهم أعلى السور، فلما رأو ذلك تبين لهم تصويب الرجوع **(فقال)** النبي ﷺ: **(إنا قافلون غداً إن شاء الله)** تعالى **(فأعجبهم)** ذلك حينئذٍ **(فضحك النبي ﷺ)** أي تبسم متعجباً من حالهم حيث رضوا بالرجوع بعد ما ثقل عليهم ذلك.

**(عن سعد بن أبي وقاص وأبي بَكْرَة)** نُقَيْع **(رضي الله تعالى عنهما)** أنهما **(قالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: من ادعى)** أي انتسب **(إلى غير أبيه وهو يعلم)** أنه غير أبيه **(فالجنة عليه حرام)** إن استحل ذلك أو خرج مخرج التغليظ **(وفي روايةٍ: أما أحدهما)** وهو سعد **(فأول من رَمَى بسهم في سبيل الله وأما الآخر)** وهو أبو بَكْرَة **(فكان تسور حصن الطائف)** أي صعد إلى أعلاه ثم تدلى منه **(في أناس)** من عَبِيْدِ أهل الطائف أسلموا **(فجاء)** أبو بَكْرَة **(إلى النبي ﷺ وفي رواية فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف)** أي من أهله، وعند الطبراني أن أبا بَكْرَة تدلى بِبَكْرَةٍ فَكُنِّيَ أبا بَكْرَة لذلك، وسُمِّيَ في السِّيَر ممن نزل من حصن الطائف من عبيدهم فأسلم مع أبي بَكْرة المنبعث عبد عثمان بن عامر بن معتب، ومرزوق والأزرق زوج سمية والدة زياد ابن عبيد، والأزرق وأبو عقبة وكان لكلدة الثقفي، ووردان وكان لعبد الله بن ربيعة، ويخنس النَّبَّال وكان لابن مالك الثَّقَفي وإبراهيم بن جابر وكان لحرث الثقفي، وبشَّار وكان لعثمان بن عبد الله ونافع مولى الحارث بن كِلدة ونافع مولى غيلان بن سلمة الثَّقَفي، قال في الفتح: ولم أعرف اسم الباقين، والقصد من الرواية الثانية بيان عدد من أبهم في الرواية قبلها.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة، ومعه بلال فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني فقال له: «أبشر» فقال: قد أكثرت علي من أبشر فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: «رد البشرى فاقبلا أنتما» قالا: قبلنا ثم دعا بقدح فيه ماءٌ فغسل يديه ووجهه فيه ومج فيه ثم قال: «اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»، فأخذا القدح ففعلا فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلاً لأمكما فأفضلا لها منه طائفة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جمع النبي ﷺ ناساً من الأنصار فقال: «إن قريشاً حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون

---

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجِعرانه)** بكسر الجيم وسكون العين وقد تكسر وتشدد الراء **(بين مكة والمدينة)** كذا وقع هنا في البخاري، قال الداودي: وهو وهم والصواب بين مكة والطائف، وبه جزم النووي وغيره **(ومعه بلال)** المؤذن **(فأتى النبي ﷺ أعرابي)** قال ابن حجر رحمه الله تعالى: لم أقف على اسمه **(فقال ألا تنجز)** أي ألا توفي **(لي ما وعدتني)** من غنيمة حُنين وكان ذلك وعداً خاصاً به **(فقال)** ﷺ **(له: أبشر)** بقطع الهمزة أي بقرب الموعود به أو بالثواب الجزيل على الصبر **(فقال)** الأعرابي: **(قد أكثرت عليَّ من أبشر، فأقبل)** عليه الصلاة والسلام **(على أبي موسى الأشعري وبلال)** المؤذن رضي الله تعالى عنهما **(كهيئة الغضبان فقال)** لهم: **(ردَّ)** الأعرابي **(البشرى فاقبلا)** بفتح الموحدة **(أنتما)** البشرى **(قالا قبلنا)** ها يا رسول الله **(ثم عاد)** عليه الصلاة والسلام **(بقدَح فيه ماء فغسل يديه)** بالتثنية **(ووجهه ومجَّ فيه ثم قال: اشربا منه وأفرغا)** بقطع الهمزة وكَسر الراء أي صبا **(على وجوهكما ونحور كما وأبشروا)** بقطع الهمزة **(فأخذ القدح فَفعلا)** ما أمرهما به ﷺ **(فنادت أم سلمة)** أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها **(من وراء الستر أن أفْضِلا)** بقطع الهمزة وكسر الضاد المعجمة **(لأمكما)** تعني نفسها **(فأفْضَلا)** بقطع الهمزة وفتح الضاد المعجمة **(لها منه طائفة)** أي بقية.

**(عن أنس)** بن مالك **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: جمع النبي ﷺ ناساً من الأنصار)** لما قسم غنائم حنين على قريش ولم يقسم للأنصار شيئاً منها، وقالوا: يغفر الله لرسوله ﷺ يُعطي قريشاً ويتركنا وأسيافنا تقطر من دمائهم **(فقال)** لهم **(إن قريشاً حديث عهد بجاهلية)** بإفراد حديث والمعهود حديثو بالواو **(ومصيبة)** من نحو قتل أقاربهم وفتح بلادهم **(وإني أريد أن أجْبُرهم)** بفتح الهمزة وسكون الجيم وضم الموحدة من الجبر ضد الكسر، وفي نسخةٍ: «أجيزهم» بضم الهمزة وكسر الجيم بعدها تحتية فزاي من الجائزة

أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم» قالوا: بلى. قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار».

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجلٍ منا أسيره

---

**(وأتألفهم)** للإسلام **(أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم؟)** وفي نسخةٍ: إسقاط التصلية وفي روايةٍ أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبوا برسول الله ﷺ **(قالوا: بلى)** أي رضينا، وذكر الواقدي أنه حينئذٍ دعاهم ليكتب لهم بالبحرين يكون لهم خاصة بعده دون الناس وهو يومئذٍ أفضل ما فتح عليه من الأرض فأبوا وقالوا لا حاجة لنا بالدنيا قيل[1] وإنما لم يعطهم من تلك الغنيمة لأنهم انهزموا فلم يرجعوا حتى وقعت الهزيمة على الكفار **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(لو سلك الناس وادياً)** هو ما بين الجبلين **(وسَلَكَتِ الأنصار شِعباً)** بكسر الشين المعجمة وسكون المهملة هو الطريق في الجبل **(لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار)** بالشك من الراوي وفي رواية: «ولو سلك الناس وادياً وشعباً سلكت وادي الأنصار وشِعبها» وفي أخرى: «ولو سلك الناس وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم» وأشار عليه الصلاة والسلام إلى ترجيحهم بحسن الجوار والوفاء بالعهد لا وجوب متابعته إياهم إذ هو ﷺ المتبوع المطاع لا التابع المطيع، فما أكثر تواضعه ﷺ.

**(عن عبد الله بن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد)** رضي الله تعالى عنه عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين، عند جميع أهل المغازي في ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار **(إلى بني جذيمة)** بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة بعدها تحتية ساكنة ابن عامر بن عبد مناة بن كِنانة داعياً إلى الإسلام لا مقاتلاً **(فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحْسِنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا)** بالهمز الساكن فيهما أي خرجنا من الشرك إلى دين الإسلام، فلم يكتف خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه إلا بالتصريح بذكر الإسلام أو فهم أنَّهم عدلوا عن التصريح أنفة منهم ولم ينقادوا **(فجعل خالد يقتل منهم ويأسر)** بكسر السين وفي نسخةٍ إسقاط منهم **(ودفع إلى كلِّ رجلٍ مِنّا)** أي من الصحابة الذين كانوا معه في

---

(١) هذا يجب رده مع قولهم للرسول وسيوفنا تقطر وسكوته على ذلك اهـ مصححه.

حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه فرفع النبي ﷺ يده وقال: «اللَّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين.

عن علي رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني قالوا: بلى قال: فاجمعوا إلي حطبا فجمعوا فقال: أو قدوا ناراً فأوقدوها، فقال: ادخلوها فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون فررنا إلى النبي ﷺ من النار فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما

---

السرية (**أسيره حتى إذا كان يوم**) بالتنوين أي وُجِد يوم من الأيام أو تركه مضافاً إلى قوله (**أمر خالد أن**) أي بأن (**يقتل كل رجل**) وفي نسخة كل إنسان (**منَّا أسيره**) وعند ابن سعد فلما كان السَحَر نادى خالد من كان معه أسير فليضرب عنقه، قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما (**فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي**) المهاجرين والأنصار (**أسيره**)وعند ابن سعد أن بني سُلَيم قتلوا من في أيديهم (**حتى قدمنا إلى النبي ﷺ فذكرناه**) أي الخبر (**فرفع النبي ﷺ يديه**) بالتثنية وفي نسخة بالإفراد (**وقال**) بالواو في نسخةٍ: فقال بالفاء: (**اللهم إني أبرأ إليك**) أي أتبرأ وألتجىء إليك (**مما صنع خالد**) قال ذلك (**مرتين**) وإنما نقم عليه الصلاة والسلام على خالدٍ استعجاله في شأنهم وترك التثبت في أمرهم إلى أن يعرف المراد من قولهم صبأنا، ولم يَرَ عليه قوداً لأنه تأَوَّل أنه كان مأموراً بقتالهم إلى أن يسلموا.

(**عن علي**) بن أبي طالب (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: بعث النبي ﷺ سَرِيَّة**) يقال لها سرية عبد الله بن حُذافة بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة بعدها ألف ففاء السهمي، وعلقمة بن مُجزِّز بضم الميم وفتح الجيم وكسر الزاي الأولى المشددة المُدلجي بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام والجيم، ويقال إنها سرية الأنصار (**واستعمل عليها رجلاً من الأنصار**) هو عبد الله بن حذَافة السهمي (**وأمرهم أن يطيعوه فغضب**) أي عليهم ولمسلم: فأغضبوه في شيءٍ (**فقال**) وفي نسخةٍ قال (**أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى قال: فأجمعوا لي حطباً فجمعوا**) أي الحطب (**فقال: أوقدوا**) بفتح الهمزة وكسر القاف (**ناراً فأوقدوها، فقال: أدخلوها**) وفي روايةٍ فقال: عزمت عليكم لما جمعتم حطباً وأوقدتم ناراً ثم دخلتم فيها (**فَهَمُّوا**) بفتح الهاء وضم الميم المشددة قيل معناه حزنوا من الهمِّ وهو الحزن والأولى أن يكون معناه قصدوا بدليل رواية فلما هَمُّوا بالدخول فيها فقاموا ينظر بعضهم إلى بعض (**وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار فما زالوا حتى خَمَدَت النار**) بفتح الميم وتكسر انطفأ لهبها

خرجوا منها إلى يوم القيامة الطاعة في المعروف عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال: وبعث كل واحد منهما على مِخْلاف قال: واليمن مِخلافان، ثم قال: «يُسِّرا ولا تعسِّرا وبشِّرا ولا تنفرٌا». فانطلق كل واحد منهمّا إلى عمله قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من

---

**(فسكن غضبه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لو دخلوها:)** أي لو دخلوا النار التي أوقدوها ظانِّين أنها لا تضرهم بسبب طاعتهم أميرهم **(ما خرجوا منها)** لأنهم كانوا يموتون فلم يخرجوا منها **(إلى يوم القيامة)** وقيل الضمير في قوله دخلوها للنار التي أوقدوها، وفي قوله: ما خرجوا منها لنار الآخرة ففي الكلام شِبْه استخدامٍ، والمراد بقوله: إلى يوم القيامة التأبيد يعني لو دخلوها مستحلين لارتكابهم ما نُهِيَ عنهَ من قتل أنفسهم، وفيه كما قال بعضهم أن التأويل الفاسد لا يعذر به صاحبه **(الطاعة)** للمخلوق **(في)** الأمر **(المعروف)** لا المنكر، أو المراد بالمعروف الأمر المعروف شرعاً بأن لا يكون منهياً عنه، وفي الحديث أنَّ الأمر المطلق لا يعم جميع الأحوال لأنه ﷺ أمرهم أن يطيعوا الأمير فحملوا ذلك على عموم الأحوال حتى في حال الغضب وفي حال الأمر بالمعصية، فَبَيَّن لهم عليه الصلاة والسلام أن الأمر بطاعته مقصور على ما كان منه في غير معصية، وقد ذكر ابن سعد في طبقاته أن سبب هذه السَرِيَّة أنه بلغه ﷺ أن ناساً من الحبشة قصدوا جدة فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ربيع الآخر سنة تسع في ثلاثمائة فانتهى بهم إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم، فأمر عبد الله بن حذافة على من تعجل.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ بعثه ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال)** الراوي **(وبعث كل واحد منهما على مخلاف)** بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة آخره فاء الكورة الإقليم والرُسْتاق بضم الراء وسكون السين المهملة وفتح الفوقية آخره قاف بلغة أهل اليمن **(قال)** الراوي **(واليمن مخلافان)** وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن وجهة أبي موسى السفلى **(ثم قال)** عليه الصلاة والسلام لهما **(يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرَا)** الأصل أن يقال بشِّرا ولا تُنْذِرا وأنِّسَا ولا تُنَفِّرَا فجمع بينهما ليعم البشارة والنذارة والتأنيس والتنفير، فهو من باب المقابلة المعنوية قاله الطيبي، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: ويظهر أن النكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل بلفظ التنفير وهو اللازم، وأُتيَ بالذي بعد على العكس الإشارة إلى أن الإنذار لا يُنْفَى مطلقاً بخلاف التنفير فاكتفى بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير، فكانه قال: إن أنذرتم فليكن بغير تنفير كقوله تعالى: ﴿فقولا له قولا ليناً﴾ [طه: ٤٤] **(فانطلق كل واحد منهما)** أي من أبي موسى ومعاذ رضي الله تعالى عنهما **(إلى عمله قال)** الراوي: **(وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً)** في

صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبة أبي موسى فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد سلامه قال: لا أنزل حتى يقتل قال: إنما جيء به لذلك فانزل قال ما أنزل حتى يقتل فأمر به فقتل ثم نزل فقال: يا عبد الله كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقاً، قال فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم فأقرأ ما كتب الله لي فاحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

---

الزيارة (**فسلم عليه فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى فجاء**) معاذ رضي الله تعالى عنه (**يسير على بغلته حتى انتهى إليه**) أي إلى أبي موسى (**وإذا**) بالواو وفي نسخة فإذا بالفاء (**هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجلٌ عنده**) قال ابن حجر رحمه الله تعالى: لم أقف على اسمه لكن في رواية سعيد بن أبي بردة رضي الله تعالى عنه أنه يهودي (**قد جُمِعَتْ يداه إلى عنقه**) جملة حالية من رجل أو صفة له (**فقال له معاذ**) أي لأبي موسى وفي نسخة إسقاط له: (**يا عبد الله بن قيس أيم هذا**) بفتح الياء والميم بغير إشباع أي أي شيء هذا، وأصله أيما وأي استفهامية وما بمعنى شيء فحذفت الألف تخفيفاً، وفي نسخةٍ أيُّما بضم الياء (**قال**) أبو موسى هذا رجل كفر بعد إسلامه قال معاذ (**لا أنزل**) أي عن بغلتي (**حتى يقتل، قال**) أبو موسى: (**إنما جيء به لذلك فانزل**) بهمزة وصل مجزوم على الأمر (**قال: ما أنزل حتى يُقْتَل فأمر به**) أبو موسى (**فقُتِل ثم نزل فقال**) لأبي موسى: (**يا عبد الله كيف تقرأ القرآن؟ قال**) أبو موسى: (**أتفوقه تفوقاً**) بالفاء ثم القاف أي أقرؤه شيئاً بعد شيءٍ في آناء الليل والنهار يعني لا أقرؤه مرة واحدةً بل افرق قراءته على أوقاتٍ مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تُحْلَب ثم تترك ساعة حتى تدر ثم تحلب (**قال**) أبو موسى: (**فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم**) بالفاء (**وقد قضيت جزئي من النوم**) بضم الجيم وسكون الزاي بعدها همزة مكسورة فياء أي أنه جزأ الليل أجزاء جزءاً للنوم وجزءاً للقراءة والقيام، ولا شك في صحة هذا المعنى فلا حاجة لقول بعضهم الوجه أن يقال أربى بفتح الهمزة والراء أي حاجتي (**فأقرأ ما كتب الله لي فاحتسبت نومتي كما احتسبت قومتي**) بهمزة وصل وفتح السين وسكون الموحدة بعدها فوقية بصيغة الماضي فيهما، وفي نسخةٍ فأحسب بفتح الهمزة وكسر السين من غير فوقية في أحسب في الموضعين بصيغة الفعل المضارع، وفي روايةٍ فاحتسب بزيادة التاء أي أطلب الثواب في الراحة كما أطلبه في التعب لأن الراحة إذا قُصِدَ بها الإعانة على العبادة حصل الثواب.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة تصنع بها فقال: وما هي؟ قال: البتع والمزر فقال كل مسكر حرام.

عن البراء رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه فقال مرّ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل، فكنت فيمن عقب معه قال: فغنمت أواقي ذوات عدد.

عن بريدة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد ليقبض الخمس وكنت أبغض علياً وقد اغتسل فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا فلما قدمنا على النبي

---

**(عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن فسأله)** أي سأل أبو موسى النبيَّ ﷺ **(عن أشرِبة تُصنع بها)** أي باليمن **(فقال)** عليه الصلاة والسلام له: **(وما هي قال: البِتْع)** بكسر الموحدة وسكون الفوقية بعدها عين مهملة وهو نبيذ العسل **(والمِزْر)** بكسر الميم وسكون الزاي بعدها راء نبيذ الشعير **(فقال)** عليه الصلاة والسلام **(كل مسكرٍ حرام)** اتفاقاً.

**(عن البراء)** ابن عازب **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: بَعَثَنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن)** بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجِعرانة **(قال: ثم بعث علياً بعد ذلك مكانه)** أي مكان خالد **(فقال له)** عليه الصلاة والسلام **(مُر أصحاب خالد من شار منهم أن يُعَقِّب)** بضم الياء وفتح العين وتشديد القاف المكسورة أي يرجع معك إلى اليمن بعد أن رجع منه **(فليُعَقِّب)** أي يرجع **(ومن شاء فليُقْبِل)** بضم التحتية وكسر الموحدة **(فكنت فيمن عَقَّب معه)** بتشديد القاف **(قال)** البراء **(فغنمت أواقي)** بتشديد الياء ويجوز تخفيفها، وفي نسخةٍ: أُواقٍ كحوارٍ حذفت الياء استثقالاً **(ذوات عددٍ)** أي كثيرة قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على تحريرها.

**(عن بُرَيْدَة)** بن الحُصَيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة آخره موحدة مصغراً الأسلمي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: بعث النبي ﷺ علياً إلى خالد)** وفي نسخةِ ابنِ الوليد رضي الله تعالى عنهما **(ليقبض الخمس)** أي خمس الغنيمة قال بريدة: **(وكنت أبْغِضُ علياً)** رضي الله تعالى عنه لأنه رآن أخذ من المغنم جارية **(وقد اغتسل)** فظن أنه غَلَّها ووَطِئَها، وفي روايةٍ بعث علياً رضي الله تعالى عنه إلى خالد بن الوليد لِيَقْسِمَ الخُمس وفي أخرى ليقسم الفيء، فاصطفى عليٌّ رضي الله تعالى عنه لنفسه مسبيةً أي جاريةً ثم أصبح ورأسه يقطر **(فقلت لخالدٍ)** رضي الله تعالى عنه **(ألا ترى إلى هذا)** يعني علياً رضي الله تعالى عنه **(فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك)** الذي رأيت من

ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «يا بريدة أتبغض علياً» قلت: نعم قال: «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من

---

عليٌ رضي الله تعالى عنه (**له**) عليه الصلاة والسلام (**فقال: يا بُرَيدة أَتُبْغِضُ علياً؟ فقلت: نعم قال لا تُبْغِضْهُ**) زاد أحمد وإن كنت تحبه فازدد له حباً، وله أيضاً لا تقع في عليٍّ فإنه مني وأنا منه وهو وليُّكم بعدي (**فإن له في الخمس أكثر من ذلك**) الذي أخذه وهو الجارية، قال الحافظ ابن حجر: إنما أَبْغَضَ عليًا لأنه رآه أخذ من المغنم فظن أنه غلَّ، فلما أعلمه رسول الله ﷺ أنه أخذ أقل من حقه أحبه حباً شديداً اهـ وفي بعض الطرق أن بُرَيدَةَ قال: فما كان في الناس أحد أحبَّ إليَّ من عليٍّ رضي الله تعالى عنه، ولعل الجارية كانت بِكراً وغير بالغ فأدّى اجتهاده رضي الله تعالى عنه إلى عدم الاستبراء، ويحتمل أن اغتساله لم يكن عن وِطء بل إما عن احتلام أو مباشرة بغير وِطءٍ، وفيه جواز التسري على بنت النبي ﷺ بخلاف التزوج عليها.

(**عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: بعث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيْبَةٍ**) بضم الذال المعجمة مصغر ذهبة، وهي القطعة من الذهب قاله الخطابي، وتُعُقِب بأنها كانت تِبراً فالتأنيث باعتبار معنى الطائفة أو أنه قد يؤنث الذهب في بعض اللغات (**في أديم مقروظ**) بالقاف والظاء المعجمة أي مدبوغ بالقرظ (**لم تحصل**) بضم التاء وفتح الحاء وتشديد الصاد المهملتين أي لم تخلص الذهبية (**من ترابها**) المعدني بالسبك (**قال: فَقَسَّمَها بين أربعة نفر**) يتألفهم بذلك (**بين عيينة بن بدر**) نسبة إلى جده لأنه عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري (**وأقرع بن حابس**) الحنظلي ثم المجاشي قال ابن مالك فيه شاهد على أن ذا الألف واللام من الأعلام الغالبة قد يُنزعان عنه في غير نداء ولا إضافة ولا ضرورة، وقد حكى سيبويه عن العرب هذا يوم اثنين مبارك (**وزيد الخيل**) باللام ابن مهلهل الطائي أحد بني نبهان وقيل له زيد الخيل لكرائم الخيل التي كانت عنده، وسماه النبي ﷺ زيد الخير بالراء بدل اللام وأثنى عليه وأسلم وحَسُنَ إسلامه ومات في حياة النبي ﷺ (**والرابع إما علقمة**) بن عُلاثة بضم العين المهملة وتخفيف اللام والمثلثة العامري (**وإما عامر بن الطفيل**) العامري وجزم بعضهم بالأول لأن الثاني مات قبل ذلك كافراً (**فقال رجل من أصحابه**) لم يسم وكأنه أُبهِم سَترَاً عليه (**كنّا نحن أحق بهذا**) القسم (**من هؤلاء**) الأربعة (**فبلغ ذلك**) القول

هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله، قال: «ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله»، قال: ثم ولى الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا لعله أن يكون يصلي فقال خالد وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه قال رسول الله ﷺ: «إني لم أؤمر أن أنقب قلوب النّاس، ولا أشق بطونهم» قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ فقال: «إنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما

---

**(النبي ﷺ فقال: ألا تأْمَنُوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً قال: فقام رجلٌ غائر العينين)** بغين معجمة وتحتية بوزن فاعل أي عيناه داخلتان في محاجرهما لاصقتان بقعر الحدقة **(مشرف الوجنتين بضم الميم وسكون الشين المعجمة وبعد الراء فاء أي بارزهما (ناشز الجبهة))** بشين وزاي معجمتين أي مرتفعهما **(كث اللحية)** أي كثير شعرها **(محلوق الرأس)** موافقاً لسيما الخوارج في ذلك الوقت من التحليق مخالفاً للعرب في توفيرهم شعورهم **(مُشَمِّر الإزار)** بفتح الميم واسمه فيما قيل ذو الخويصرة التميمي ورجَّح السهيلي أن أسمه نافع كما في أبي داود وقيل حرقوص بن زهير كما جزم به ابن سعد **(فقال يا رسول الله اتق الله، قال)** عليه الصلاة والسلام: **(ويلك أو لستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله ثم وَلَّى الرجل قال خالد بن الوليد)** رضي الله تعالى عنه: **(يا رسول الله ألا أضرب عنقه)** وفي روايةٍ فقال عمر رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله أئذن لي فيه فأضرب عنقه، ولا منافاة بينهما لاحتمال أن يكون كل منهما قال ذلك **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(لا)** تفعل **(لعله أن يكون يُصَلِّي، قال خالد)** بن الوليد رضي الله تعالى عنه: **(وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس بقلبه، قال رسول الله ﷺ: إني لم أومر أن أنْقُب)** بفتح الهمزة وسكون النون وضم القاف بعدها موحدة، وضبطه بعضهم بضم الهمزة وفتح النون وتشديد القاف مع كسرها أي أبحث وأفتش **(عن قلوب الناس)** وفي نسخةٍ: قلوب الناس بإسقاط عن **(ولا أشق بطونهم قال: ثم نظر)** عليه الصلاة والسلام **(إليه)** أي إلى الرجل **(وهو مقف)** أي مولٍ قفاه وروي بإثبات الياء بعد الفاء المشددة بناء على أن الوقف في مثله بالياء وهو وجه صحيح قرأ به ابن كثير في وال وواق لكن الوقف بحذفها أقيس وأكثر ولا يجوز في الوصل إلا الحذف، ومن أثبتها وقفاً اثبتها خطأً رعاية للوقف، وعليه تتخرج تلك الرواية والجملة حالية **(فقال)** عليه الصلاة والسلام بالفاء وفي نسخة وقال بالواو **(إنه يخرج من ضِئْضِئِي)** بضادين معجمتين مكسورتين الثانية مكتنفة بهمزتين أولاهما ساكنة وفي نسخةٍ من صِئْصِئَيْ بصادين مهملتين وهما بمعنى أي

يمرق السهم من الرمية» وأظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود».

## غزوة ذي الخلصة

تقدم حديث جرير رضي الله عنه في ذلك وقول النبي ﷺ له ألا تريحني من ذي الخلصة وذكر في هذه الرواية قال جابر وكان ذو الخلصة بيتاً في اليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب يعبد ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام فقيل له

---

من نسل (**هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً**) لمواظبتهم على تلاوته فلا يزال لسانهم رطباً بها، أو هو من تحسين الصوت بها (**لا يجاوز حناجرهم**) أي لا يرفع في الأعمال الصالحة فليس فيه حظ إلا مروره على لسانهم فلا يصل إلى حلوقهم فضلاً عن أن يصل قلوبهم حتى يتدبروه بها (**يمرقون من الدين**) أي الإسلام (**كما يمرق السهم**) أي كخروجه إذا نفذ من الجهة الأخرى (**من الرمية**) بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتية الصيد المرمي (**وأظنه**) عليه الصلاة والسلام (**قال: لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل ثمود**) أي لأستأصلنهم كاستئصال ثمود أي أهلكهم عن آخرهم.

## غزوة ذي الخَلْصَة

بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة اسم للصنم الذي في البيت المسمى بذي الخَلْصَة، وقيل اسم البيت الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة، وحكى المبرد كما في الفتح أن موضع ذو الخلصة صار مسجداً جامعاً لبلدة يقال لها الغيلان من أرض خثعم (**تقدم**) في الجهاد (**حديث حابر**) بن عبد الله البجلي (**رضي الله تعالى عنه في ذلك وقول النبي ﷺ ألا**) بتخفيف اللام (**تريحني**) أي تريح قلبي لأنه لم يكن شيء أتعب لقلبه عليه الصلاة والسلام من بقايا ما يُشْرَكُ به من دون الله (**من ذي الخلصة**) وكانوا يسمونه الكعبة اليمانية لكونه باليمن بخلاف الذي بمكة فإنهم كانوا يسمونه الكعبة الشامية، قال جرير: فقلت: بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك النبي ﷺ فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري فقال: «اللهم ثَبِّتْهُ واجعله هادياً مهدياً»، قال: فما وقعت عن فرس بعد (**وذكر في الرواية قال جابر: وكان ذو الخلصة بيتاً في اليمن لخثعم**) بفتح الخاء المعجمة وسكون المثلثة بوزن جعفر قبيلة من اليمن ينسبون إلى خثعم بن أنمار بفتح الهمزة وسكون النون ابن إِراش بكسر الهمزة وتخفيف الراء وبعد الألف شين معجمة ابن عنز بفتح العين المهملة وسكون النون بعدها زاي (**وبُجيلة**) بفتح الموحدة وكسر الجيم اسم امرأة نسب إليها القبيلة المشهورة (**وفيه**) أي في البيت (**نصب**) بضمتين حجر ينصب يذبحون عليه (**تعبد ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يَسْتَقْسِمُ بالأزلام**) أي يطلب القسمة من الخير

إن رسول رسول الله ﷺ ههنا فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك فكسرها وشهد. وعنه رضي الله عنه قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال لي ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك لقد مرّ علي أجله منذ ثلاث وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قِبَل المدينة فسألناهم فقالوا: قُبِض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون فقالا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله تعالى ورجعا إلى اليمن.

---

والشر بالأقداح **(فقيل له إن رسولَ رسول الله ﷺ ههنا فإن قدر عليك ضرب عنقك فبينما)** بالميم **(هو يضربُ بها)** أي بالإزلام **(إذ وقف عليه جرير فقال)** له جرير رضي الله عنه: **(لتَكْسِرَنَّها ولَتَشْهَدَنَّ)** بسكون اللام وبعد الدال نون توكيد ثقيلة، وفي نسخةٍ ولتشهدا بتنوين الدال **(أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك فكسرها وشهد)** أن لا إله إلا الله.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع)** بفتح الكاف واللام المخففة وبعد الألف عين مهملة اسمه اسميفع بسكون السين المهملة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الفاء بعدها عين مهملة، ويقال أيفع بن ماكوراً ويقال ابن خوشب بن عمرو **(وذا عمرو)** بفتح العين وكانا من ملوك اليمن، وكان جرير رضي الله تعالى عنه قضى حاجته فأقبل راجعاً يريد المدينة وكان أيضاً قد عزما على التوجه إلى المدينة، قال جرير رضي الله تعالى عنه **(فجعلت أحدثهم)** أي ذا كلاع وذا عمرو ومن معهما **(عن رسول الله ﷺ فقال)** أي لجرير **(ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك)** يعني النبي ﷺ **(لقد مر على أجله منذ ثلاث)** أي إن أخبرتني بهذا فقد أخبرتك بهذا فالإخبار الأوَّل سبب للثاني ومعرفة ذي عمرو بوفاته عليه الصلاة والسلام إما بطريق الكهانة أو أنه كان من المحدثين أو باطِّلاع على بعض الكتب القديمة، وأما كونه بسماع من بعض القادمين سراً فبعيد لأنه لو كان مستفاداً من غير لما احتاج إلى بناء ذلك على ما ذكره جرير رضي الله تعالى عنه **(وأقْبلا معي)** متوجهين إلى المدينة **(حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهتها **(فسألناهم فقالوا: قُبِض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه **(والناس صالحون فقالا)** ذو كلاع وذو عمرو **(أخبر صاحبك)** أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(أنا قد جِئنا ولعلنا سنعود)** إليه **(إن شاء الله تعالى ورجعا إلى اليمن)** ثم لما بعث أبو بكر الصدِّيق رضي الله تعالى عنه أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما يستنفر أهل اليمن إلى الجهاد رحل ذو الكلاع ومن معه إلى المدينة.

## غزوة سيف البحر

وهم يتلقون عيراً لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل وأمر عليهم أبا عبيدة ابن الجراح وهم ثلاثمائة فخرجنا وكنا ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودي تمر فكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً حتى فني فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة فقيل له ما تغني عنكم تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظرب فأكل منه القوم ثمان عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصب ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت

---

## غزوة سيف البحر

بكسر السين المهملة وسكون التحتية بعدها فاء أي ساحله **(وهم يتلقون)** أي يرصدون **(عِيراً)** بكسر العين المهملة أي إبلاً تحمل ميرة قال في المصباح: والعير بالكسر الإبل تحمل الميرة ثم غلب على كل قافلة **(لقريش وأميرهم أبو عبيدة)** عامر وقيل عبد الله ابن عامر **(بن الجراح)** الفهري القرشي رضي الله تعالى عنه.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال لما)** وفي نسخةٍ إسقاطها **(بعث رسول الله ﷺ بعثاً)** سنة ثمان **(قبل الساحل)** أي جهته **(وأمّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم)** أي الجيش **(ثلاثمائة فخرجنا)** فيه التفات من الغيبة إلى التكلم **(فكنا)** بالفاء وفي نسخة وكنا بالواو **(ببعض الطريق فني الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع)** بفتحات وفي نسخة بضم الجيم وكسر الميم **(فكان)** الذي جمعه **(مزوَدَي تمر)** المزود بكسر الميم ما يجعل فيه الزاد، وقال في المصباح: والمِزْوَد بكسر الميم وعاء التمر يعمل من أدم وجمعه مزاود، ومعلوم أن المثنى تابع للمفرد فضبط بعضهم ما هنا بفتح الميم والواو ليس في محله **(فكان يقوتنا)** بفتح القاف وكسر الواو المشددة **(كل يومٍ قليلاً قليلاً)** بالنصب على المفعولية وفي روايةٍ: يقوتنا بضم القاف وسكون الواو كل يومٌ قليلٌ قليلٌ بالرفع على الفاعلية **(حتى فَنِيَ)** ما في المزود من الزاد العام **(فلم يكن يصيبنا)** مما جمع ثانياً من الأزواد الخاصة **(إلا تمرةً تمرةً فقيل له)** أي لجابرٍ رضي الله تعالى عنه **(ما تُغني عنكم تمرتكم)** وفي نسخة تمرة **(فقال: لقد وجدنا فقدها)** مؤثِّراً **(حين فنيت)** بفتح الفاء **(ثم انتهينا إلى)** ساحل **(البحر فإذا حوت مثل الظَرِب)** بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء الجبل الصغير **(فأكل منه)** أي الحوت وفي نسخة منها باعتبار كونه دابة **(القوم ثمانٍ)** وفي نسخةٍ ثماني **(عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين)** بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام **(من أضلاعه)** أن ينصبا **(فنصبا)** كان الأصل أن يكون فنصبتا بالتاء لكنه غير حقيقي

تحتهما فلم تصبهما. وعنه رضي الله عنه في رواية أنه قال: فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منه نصف شهرٍ، وادَّهنا من ودكه حتى ثابت إلينا أجسامنا وفي رواية أخرى فقال: أبو عبيدة كلوا فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: «كلوا رزقا أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم فأتاه بعضهم بعضو فأكله».

---

التأنيث (**ثم أمر براحلة**) أن تُرحل (**فرحلت**) بتخفيف الحاء وتشديدها (**ثم مُرَتْ**) بضم الميم وتشديد الراء مبنيا للمفعول أي مَرَّ بها راكبها (**تحتها**) أي تحت الضلعين (**فلم تصبهما**) الراحلة مع راكبها لعظمهما.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه في روايةٍ أنه قال: وألقى البحر لنا دابة**) من السمك (**يقال لها العنبر**) يتخذ من جلدها الأتراس (**فأكلنا منه**) أي من الحوت (**نصف شهر**) في الرواية السابقة ثمان عشرة ليلةٍ ولا منافاة لأن القائل بالزيادة ضبط ما لم يضبطه الآخر القائل بهذا الثاني، ولعله ألغى الزائد وهو الثلاثة (**وادَّهنا**) بهمزة وصل وتشديد الدال المهملة (**من وَدَكِهِ**) بفتح الواو وبالدال المهملة أي من شحمه (**حتى ثابت**) بالمثلثة وبعد الألف موحدة ففوقية أي رجعت (**إلينا أجسامنا**) إلى ما كانت عليه من القوة والسِمَن بعد ما هزلت من الجوع (**وفي روايةٍ أخرى فقال أبو عبيدة: كلوا**) من الحوت فأكلنا (**فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال: كلوا رِزقا أخرجه الله**) عز وجل لكن (**أطعمونا إن كان معكم**) منه شيء (**فآتاه**) بالمد أي أعطاه (**بعضهم بعضو**) منه (**فأكله**) وفيه حِلُّ ميتة السمك وغير ذلك مما لا يخفى، وكان في تلك السرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكان يسمي ذلك الجيش جيش الخبط لأكلهم الخبط من شدة الجوع وهو بفتح الخاء المعجمة والموحدة بعدها طاء مهملة ورق السلم، ولما أصابهم الجوع قال قيس بن سعد بن عبادة: من يشتري منا تمراً بجزور يوفيني الجزور ههنا وأوفيه التمر بالمدينة، فجعل عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: واعجباه لهذا الغلام لا مال له بدين فيما لغيره، فابتاع خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر فنحر في مواطن ثلاثة كل يوم جزوراً، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه فقال أتريد أن تَخفر ذِمَّتَك ولا مال لك، فلما قدم قيس لقيه سعد رضي الله تعالى عنه فقال ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، قال ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال أصبت. قال: ثم ماذا؟ قال نحرت، قال: أصبت قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيت قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري قال: وَلِمَ؟ قال: زعم أنه لا مال لي وإنما المال لأبيك قال: فتلك أربع حوائط أدناها حائط فخذ منه خمسين وسقاً، وسميت الدابة المتقدمة بالعنبر لأن العنبر الذي يشم يخرج من جوفها، قيل إنه ينبت في قعر البحر وله رائحة طيبة فتقصده تلك الدابة لزكاء ريحه وهو سُمُّها فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر فيخرج العنبر من بطنها وهو يُقَوِّي القلب والدماغ وينفع من الفالج واللقوة البلغم الغليظ.

## وفد بني تميم

عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمرِّ القعقاع بن معبد بن زرارة فقال عمر: بل أمِّر الأقرع ابن حابس قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي قال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت.

## وقد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد

---

## وفد بني تميم

ابن مُر بضم الميم وتشديد الراء ابن أذ بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة ابن طابخة؟ وحدة مكسورة وخاء معجمة مفتوحة ابن إلياس بن مضر، وقد كانت الوفود بعد رجوعه عليه الصلاة والسلام من الجِعرانة في أواخر سنة ثمانٍ وما بعدها، وعند ابن هشام أنَّ سنةَ تِسعٍ كانت تُسَمَّى سنة الوفود.

**(عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قدم رَكْب من بني تميم على النبي ﷺ)** وسألوه أن يُؤَمِّر عليهم أحداً **(فقال أبو بكر)** الصدِّيق رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله **(أَمِّر القعقاع)** بفتح القافين **(ابن معبد بن زُرارة)** بضم الزاي عليهم **(فقال عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: **(بل أَمِّر)** عليهم **(الأقرعَ بن حابس)** يا رسول الله **(فقال أبو بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه: **(ما أردت إلا خلافي)** أي ليس قصدك إلا مخالفة قولي **(قال عمر)** بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: **(ما أردت خلافك فتماريا)** أي تحاولا وتخاصما **(حتى أرتفعت أصواتهما)** بحضرته عليه الصلاة والسلام **(فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت)** الآية.

## وفد بني حَنِيْفَة

ابن لجيم بالجيم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل قبيلة مشهورة ينزلون اليمامة بين مكة والمدينة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال بعث النبي ﷺ خيلاً)** أي فرسان خيل وهو من ألطف المجازات وأبدعها، فهو على حذف مضافٍ وفي الحديث: «يا خيل الله إركبي» أي فرسان خيل الله **(قِبَل نجد)** أي جهتها **(فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له:**

فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «ما عندك يا ثمامة»: فقال: عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة»؟ قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة»؟ قال عندي ما قلت لك فقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك فأصبح دينك حب الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن

---

**ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة)** وفي نسخةٍ: «ماذا عندك» فيحتمل أن تكون ما استفهامية وذا موصلة أي ما الذي استقر عندك من الظن فيما أفعل بك، أو أن تكون مركبة من ما وذا مبتدأ وعندك خبر أي أيُّ شيءٍ عندك فظن خيراً **(فقال: عندي خير يا محمد)** لأنك لست ممن يظلم بل يُحْسِن ويُنعِمْ **(إن تقتلني تقلت ذا دم)** بالمهملة وتخفيف الميم أي إن تقتل تقتل من عليه دم مطلوب وهو مستحق عليه فلا عيب عليك في قتله وفعل الشرط إن كرر في الجزاء دل على فخامة الأمر وفي نسخةٍ: ذَم بالمعجمة وتشديد الميم أي ذا ذِمة، واعترِض بأن فيها قلباً للمعنى لأنه إذا كان ذا ذِمة يمتنع قتله، وأجيب بان معناه الحرمة في قومه **(وإن تُنْعِم تُنعِم على شاكرٍ وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فَتُرِك)** بضم الفوقية أي فتركه النبي ﷺ **(حتى كان الغد)** وفي نسخةٍ: إسقاط فترك **(ثم قال له)** عليه الصلاة والسلام **(ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر فتركه)** عليه الصلاة والسلام **(حتى كان بعد الغد فقال له ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي ما قلت لك)** اقتصر في اليوم الثاني على أحد الأمرين وحذفهما في اليوم الثالث، وفيه دليل على حذفه لأنه قدَّم أول يوم أشق الأمرين عليه وهو القتل لما رأى من غضبه ﷺ في اليوم الأول، فلما رأى أنه لم يقتله رجا أن يُنْعِم عليه فاقتصر على قوله إن تُنْعِم، وفي اليوم الثالث اقتصر على الإجمال تفويضاً إلى جميل خُلُقه ولطفه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا أدْعَى للاستعطاف والعفو **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(أطلقوا ثمامة)** فأطلقوه **(فانطلق إلى نجلٍ)** بالجيم أي ماء مستنقع وفي نسخةٍ: نخلٍ بالخاء **(قريبٍ من المسجد فاغتسل)** منه **(ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد ما كان الله على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين إليَّ، والله ما كان من بلد أبغض إليَّ من**

خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال قائل: صبوت قال لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: «لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وإني لأراك الذي أريت

---

**بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إليّ، وإن خيلك)** أي فرسانك **(أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي)** وفي نسخةٍ: رسول الله (ﷺ) بما حصل له من الخير العظيم بالإسلام ومحو ما كان قبله من الذنوب العِظام **(وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل)** لم يعرف اسمه: **(صَبَوْتَ)** أي خرجت من دينٍ إلى دين **(قال: لا)** وفي نسخةٍ: لا والله **(ولكن أسلمت مع محمدٍ ﷺ)** وهذا من أسلوب الحكيم كأنه قال: ما خرجت من الدين لأنكم لستم على دين بل استحدثت دين الله عز وجل وأسلمت مع رسول الله ﷺ رب العالمين، فإن قلتَ: مع تقتضي استحداث المصاحبة لأن معنى المعية المصاحبة وهي مفاعلة وقد قيد الفعل بها فيجب الاشتراك فيه، أجيب بأنه لا يَبْعُد ذلك فلعله وافقه فيكون منه ﷺ استدامة ومنه استحداث **(ولا والله)** فيه حذف والتقدير والله لا أرجع إلى دينكم **(ولا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ)** زاد ابن هشام ثم خرج إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى النبي ﷺ إنك تأمر بصلة الرحم فكتب إلى ثمامة أن يُخَلِّي بينهم وبين الحمل إليهم.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قَدِم مسيلمة الكذاب)** بكسر اللام ابن ثمامة بن كبير بالموحدة ابن حبيب بن الحارث من بني حنيفة، وكان فيما قاله ابن إسحق ادَّعى النبوة سنة عشرٍ وقدم مع قومه **(على عهد رسول الله)** وفي نسخةِ النبي (ﷺ) المدينة **(فجعل يقول إن جعل لي محمد الأمر)** أي أمر النبوة بأن يكون خليفة **(من بعده تبعته وقدمها في بشر كثيرٍ من قومه)** بني حنيفة **(فأقبل إليه رسول الله ﷺ)** ليتألفه وقومه رجاء إسلامهم وليبلغه ما أنزل الله تعالى **(ومعه)** عليه الصلاة والسلام **(ثابت بن قيس بن شماس)** خطيب الأنصار **(وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد)** من النخل **(حتى وقف على مسيلمة في أصحابه)** فكلَّمه في الإسلام فطلب مسيلمة أن يكون له شيء من أمر النبوة **(فقال)** عليه الصلاة والسلام **(لو سألتني هذه القطعة)** من الجريد **(ما أعطيتكها ولن تعدُوَ أمر الله فيك)** أي لن تتجاوز حكمه **(ولئن أدبرت)** عن طاعتي **(ليعقرنك الله)** أي ليُهْلِكَنَّكَ

فيه ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني»، ثم انصرف عنه، قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحى إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة». عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم أتيت بخزائن الأرض فوضع في كفي سواران من ذهب فكبرا علي فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فذهبا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة».

---

**(وإني لأراك)** بفتح الهمزة وضمها **(الذي أُرِيت)** بضم الهمزة وكسر الراء في منامي **(فيه ما رأيت وهذا ثابت يجيبك عني)** لأنه الخطيب فاكتفى عليه الصلاة السلام بما قاله له وأخبره أنه إن كان يريد الإسهاب في الخطاب فهذا الخطيب يقوم بذلك **(ثم انصرف)** ﷺ **(قال ابن عباس)** رضي الله تعالى عنهما **(فسألت عن قولِ رسول الله ﷺ إنك أرى)** بفتح الهمزة وفي نسخة بضمها **(الذي أُرِيت)** بضم الهمزة وكسر الراء **(فيه ما رأيت، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينا)** بغير ميم **(أنا نائم)** وجواب بينا قوله **(رأيت في يدي)** بتشديد الياء بالتثنية **(سوارين من ذهب)** صفة لهما **(فأهَمَّنِي)** أي أحزنني **(شأنهما)** لأن الذهب من حلية النساء فيشعر بالضعف **(فأوحي إلي)** وحي إلهام أو بواسطة الملك **(في المنام أن انفخهما)** بهمزة وصل **(فنفختهما فطارا)** لحقارة أمرهما ففيه إشارة إلى اضمحلال أمرهما **(فأولتهما كذابين)** لأن الكذب وضع الشيء في غير موضعه **(يخرجان)** أي تظهر شوكتهما ودعواهما النبوة **(بعدي أحدهما العنسي)** بفتح العين وسكون النون وكسر السين المهملة من بني عنس **(والآخر مسيلمة)** الكذاب.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: بينا)** بغير ميم **(أنا نائم فأُوتِيت)** بضم الهمزة وكسر الفوقية وفي نسخة: «أوتيت» بغير فاء **(بخزائن الأرض)** وهو ما فتح على أمته من الغنائم من ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما، أو المراد معادن الأرض فيها الذهب والفضة **(فوضع)** بضم الواو وكسر الضاد المعجمة **(في كفي)** بالإفراد **(سواران من ذهب فَكَبرُا)** بضم الموحدة أي عظما وثقلا **(عليَّ فأوحى الله إلى)** وفي نسخة فأُوحي إلى **(أن انفخهما)** بهمزة وصل **(فنفختهما فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما، صاحب صنعاء)** الأسود العنسي **(وصاحب اليمامة)** مسيلمة الكذاب، وصاحب في الموضعين بالنصب والرفع وكان الأسود يقال له ذو الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر وجهه، وقيل هو اسم شيطانه لكن ذكر البيهقي أنه كان له شيطانان يقال لأحدهما سُحَيق بمهملتين وقاف وللآخر شُقَيق بمعجمة وقافين مع التصغير فيهما، وكانا يخبرانه

## قصة أهل نجران

عن حذيفة رضي الله عنه قال جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه، لا تفعل فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال: «لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «هذا أمين هذه الأمة» وفي رواية عن أنس رضي الله عنه عن

---

بكل شيءٍ يحدث في أمور الناس، وكان باذان عامل النبي ﷺ بصنعاء فمات فجاء شيطان الأسود فأخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء، وتزوج امرأة العامل فدخل عليه رجل يقال له فيروز فقتله وأخرج المرأة وما أخذه من المتاع، وأرسلوا الخبر إلى المدينة فوافى ذلك قبل وفاة النبي ﷺ بيوم وليلة، فأتاه الوحي فأخبر أصحابه ثم جاء الخبر إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

## قصةُ أهل نَجْرَان

بفتح النون وسكون الجيم بلد كبير على سبع مراحل من مكة.

**(عن حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: جاء السيد)** بفتح السين وكسر التحتية المشددة واسمه الأيهم بفتح الهمزة وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها ميم أو شرحبيل **(والعاقب)** بالعين المهملة والقاف والموحدة واسمه عبد المسيح **(صاحبا نجران)** أي من أكابر نصارى نجران وحُكَّامهم وكان السيد رئيسهم والعاقب صاحب مشورتهم **(إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه)** أي يباهلاه وكان معهما أيضاً أبو الحارث بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم، وكان النبي ﷺ فيما ذكره ابن سعد دعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ما أقول فهلم اباهلكم **(فقال: أحدهما)** قيل هو السيد **(لصاحبه)** أي العاقب وقيل العاقب الذي قال للسيد: **(لا تفعل)** ذلك **(فوالله لئن كان نبياً فلاعننا)** بنونين وفي نسخةٍ فلاعنَّا بتشديد النون **(لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا)** ثم **(قالا)** بعد أن انصرفا ولم يسلما ورجعا وقالا: لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت ونصالحك، فصالحهم على ألف حُلَّةٍ في رجب وألف حلة في صفر ومع كل حلة أُوقية **(إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال)** عليه الصلاة والسلام **(لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين)** أي حقيقا بالأمانة **(فاستشرف له)** أي لقوله عليه الصلاة والسلام **(أصحاب رسول الله ﷺ فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة وفي روايةٍ عن أنس رضي الله تعالى عنه لكلِّ أمةٍ أمين)** أي ثقة رَضِي **(وأمين هذه الأمة)** المحمدية **(أبو عبيدة بن الجراح)**.

النبي ﷺ قال: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح».

## قدوم الأشعريين وأهل اليمن

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ نفرٌ من الأشعريين فاستحملناه فأبى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحلمنا ثم لم يلبث النبي ﷺ أن أتي بنهب إبل فأمر لنا بخمس ذود فلما قبضناها قلنا تغفلنا النبي ﷺ يمينه لا نفلح بعدها أبداً فأتيته فقلت: يا رسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا قال: أجل

ولكن لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير منها» وفي رواية «وتحللتم». عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدةً وألين قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية

---

## قدوم الأشعريين

سنة سبع عند فتح خيبر أي أبي موسى وأصحابه (و) بعض (**أهل اليمن**) وهم وفد حِمْيَرَ سنة الوفُود وهي سنة تسعٍ، وليس المراد اجتماعهما في الوفادة.

(**عن أبي موسى**) الأشعري رضي الله تعالى عنه أنه (**قال: إنَّا أتينا النبي ﷺ**) ونحن (**نفر من الأشعريين**) أو نفر بدل مما قبله (**فاستحملناه**) أي طلبنا منه أن يحملنا وأثقالنا على إبل في غزوة تبوك (**فأبى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا ثم لم يلبث ﷺ أن أتى**) بضم الهمزة (**بنهب إبِلٍ**) من الغنيمة أي إبل منهوبة أي مغنومة (**فأمر لنا بخمس ذُوَدٍ**) بالإضافة وفتح الذال المعجمة ما بين الثنتين إلى التسعة من الإبل (**فلما قبضناها قلنا تغفلنا**) بالغين المجعمة وتشديد الفاء وسكون اللام (**ﷺ يمينه**) أي كنا سببا في غفلته عن يمينه حيث أعطانا ولو كان متذكراً لها لم يعطنا (**لا نفلح بعدها أبداً فأتيته فقلت يا رسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا**) بفتح اللام (**وقد حملتنا قال: أجل**) أي نعم حلفت وحملتكم وفي روايةٍ زيادة أفنسيت (**ولكن لا أحلف على يمين**) أي محلوف يمين أو متعلق يمين وهو المحلوف عليه، ولمسلم أمرٌ بدل يمين (**فأرى**) بفتح الهمزة (**غيرها خيراً منها**) أي من الخصلة المحلوف عليها (**إلا أتيت الذي هو خير منها**) وفي روايةٍ وتحللتها أي تحللت منها.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال**) يخاطب أصحابه وفيهم الأنصار (**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدةً وألين قلوباً**) قال الخطابي: وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين لأن الفؤاد غِشاء القلب فإذا رَقَّ نفذ القول وخلص إلى ما وراءه فإذا صادف قلباً ليِّناً علق به وتجمع فيه وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخلٍ اهـ وقيل الفؤاد والقلب مترادفان كما عليه أهل اللغة فكرر ليناط به معنىً غير المعنى السابق، فإن الرقة مقابلة للغِلَظِ واللين

والفخر والخيلاء في أهل الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم».

## حجة الوداع

حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن صلاة النبي ﷺ في الكعبة قد تقدم وذكر

---

مقابلٌ للشدة والقسوة، فوصفه أولاً بالرقة يشير إلى التخلق مع الناس وحسن العشرة مع الأهل والإخوان قال تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وثانياً باللين يؤذن بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيه وصاحبه مقيم على تعظيم أمر الله عز وجل، وقال البيضاوي: الرِّقة ضد الغِلظِ والصفاقة واللين مقابل القسوة استعير لأحوال القلب، فإذا نأى عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر بالآيات والنُذُر يوصف بالغِلظِ فكان شغافه صفيقاً لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلباً لا يؤثِّر فيه الوعظ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين فكان حجا به رقيقاً لا يأبى نفوذ الحقّ وجوهرُه ليِّناً يتأثر للنصح اهـ ولما وصفهم ﷺ بذلك اتبعه بما هو كالنتيجة والغاية فقال **(الإيمان يمان)** مبتدأ وخبر وأصله يمنى بياء النسبة فحذفت الياء تخفيفاً وعُوِّض عنها الألف أي الإيمان منسوب إلى أهل اليمن **(والحكمة)** معرفة الشرائع وكل كلام وافق الحق **(يمانية)** بتخفيف الياء فقلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة، والأظهر كما قال في الفتح: أن المراد بهم من يُنسبُ إلى جهة اليمن بالسُّكْنَى والمشاهد في كل عصر من أحوال سكان تلك الجهة أن غالبهم رِقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غِلاظ القلوب والأبدان، وعند البزار من حديث ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما: بينا رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قال: «الله أكبر إذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقيةً قلوبهم حسنةً طاعتهم، الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية»، وعن جُبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض» رواه أحمد والبزار وأبو يعلى **(والفخر)** أي الإعجاب بالنفس **(والخيلاء)** أي التكبر واحتقار الغير **(في أصحاب الإبل وَالسكينة)** أي المسكنة **(والوقار)** أي الخضوع **(في أهل الغنم)** قال: البيضاوي: في تخصيص الخُيلاء بأصحاب الإبل والوقار بأهل الغنم ما يدل على أن مخالطة الحيوان ربما تؤثر في النفس وتعدي إليها هيآت وأخلاقاً تناسب طباعها وتلائم أحوالها.

## حجة الوداع

سُمِّيت بذلك لأنه ﷺ ودَّع الناس فيها وبعدَها وتسمى أيضاً بِحَجَّة الإسلام لأنه لم يُحجَّ من المدينة بعد فرض الحج غيرها، وحَجَّة البلاغ لأنه بلَّغ الناس الشرع في الحج قولاً وفعلاً، وحَجَّة التمام والكمال.

- **(حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن صلاة النبي في الكعبة قد تقدم)** في

في هذه الرواية قال: وعند المكان الذي صلى فيه مرمرة حمراء.

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة وأنه حج بعد ما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها حجة الوداع. عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة

---

كتاب الصلاة وهو أنه دخل هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة وأغلقوا عليهم الباب، ومكثوا في الكعبة نهاراً طويلاً ثم خرج عليه الصلاة والسلام وابتدر الناس الدخول فسبقهم ابن عمر فوجد بلالاً قائماً من وراء الباب، فسأله عن مكان صلاة النبي ﷺ فقال: صلى بين ذينك العمودين المقدَّمين، وكان البيت على ستة أعمدة كل عمودين في سطر، فصلَّى بين العمودين من السطر المقدم واستقبل بوجهه الجدار الذي يَستقبل الداخل، وجعل باب البيت خلف ظهره **(وذكر في هذه الرواية)** أنه **(قال: وعند المكان الذي صلى فيه مَرْمَرَةٌ حمراء)** براءين أولهما ساكنة وميمين مفتوحتين واحدة المرمر جنس من الرخام نفيسٌ معروف وكان ذلك عام الفتح وحينئذٍ فهو دخيل هنا.

**(عن زيد بن أرقم رضي الله)** تعالى **(عنه أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة)** بالفوقية قبل السين، ومراده الغزوات التي خرج فيها ﷺ بنفسه سواءٌ قاتل أو لم يقاتِل لكن في روايةِ أبي يعلى بإسناد صحيح: أنها إحدى وعشرون ففات زيد بن أرقم ثنتان ولعلهما الأبواء وبواط، وكان أول مغازية العشيرة وفي طبقات ابن سعد أن عدد مغازية التي غزاها بنفسه سبع وعشرون غزوة، وكانت سراياه التي بعث فيها غيره سبعاً وأربعين سِرِّية، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات بدراً وأُحُداً والمُريسيع والخندق وقُريظة وخيبر وفتح مكة وحنيناً والطائف، وفي بعض الروايات أنه قاتل في بني النضير، ولكنَّ الله عز وجل جعلها له نفلاً خاصةً وقاتل في غزوة وادي القِرى مُنْصَرَفَه من خيبر وقُتِل بعض أصحابه، وقاتل في الغابة وقال الحافظ ابن حجر: وقرأت بخط مَغْلَطايْ أنَّ مجموع الغزوات والسرايا مائة قال وهو كما قال اهـ **(وإنه حجَّ بعدما هاجر)** من المدينة **(حجةً واحدة لم يحج بعدها)** لأنه تُوفي في أول العام التالي **(حَجَّة الوداع)** بنصب حجَّة بدل من الأولى ويجوز الرفع بتقدير هي، وحج قبل أن يهاجر حجات كثيرة لأنه لم يترك الحج وهو بمكة قط، واعتمر بعد فرض العمرة أربع عُمَرٍ كما مر.

**(عن أبي بَكْرَة)** نُفَيْع بن الحارث **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال)** يوم النحر في حجة الوداع **(الزمان)** هو اسم لقليل الوقت وكثيره وأراد به ههنا السنة **(قد استدار)** أي دار **(كهيئة)** وفي نسخة: «كهيئته» بهاء بعد الفوقية أي مثل حالته **(يوم خلق الله السموات والأرض)** وفي نسخةٍ إسقاط لفظ الجلالة والكاف صفة مصدر محذوف أي استدار استدارة كهيئته ودار واستدار بمعنى طاف حول الشيء، والمراد أنه عاد إلى

اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس ذا الحجة؟ قلنا بلى قال فأي بلدٍ هذا»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس البلدة»؟ قلنا: بلى قال: فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: «أليس يوم النحر»؟ قلنا: بلى قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم

---

الموضع الذي ابتدأ منه، وذلك أن العرب كانوا يؤخرون المُحَّرم إلى صفر مثلاً وهو النسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٣٧] ليقاتلوا فيه ويفعلون ذلك كل سنة بعد سنة، فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة، فلما كانت تلك السنة عاد إلى زمنه المخصوص به فدارت السنة كهيئتها الأولى (**السنة اثنا عشر شهراً**) جملة مُبَيِّنَة للجملة الأولى والمعنى أن الزمان في انقسامه إلى الأعوام والأعوام إلى الأشهر عاد إلى أصل الحساب والوضع الذي اختاره الله عز وجل ووصفه يوم خلق السموات والأرض (**منها أربعة حُرُم ثلاثة**) وفي نسخة ثلاث (**متواليات ذو القعدة**) سمي بذلك للقعود عن القتال فيه (**وذو الحجة**) للحج فيه (**والمحرم**) لتحريم القتال فيه وواحد فرد (**و**) هو (**رجب مضر**) عطف على قوله ثلاثة وأضافه إلى مُضَر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من محافظة سائر العرب ولم يكن يستحله أحد من العرب (**الذي بين جُمادى**) بضم الجيم وفتح الدال (**وشعبان**) قاله تأكيداً وإزاحة للريب الحاصل فيه من النسيء (**أيُّ شهرٍ هذا**) أتى بذلك ليذكرهم حرمة الشهر ويقررها في نفوسهم ليبين عليه الصلاة والسلام ما أراد تقريره (**قلنا: الله ورسوله أعلم**) مراعاةً للأدب وتحرزاً عن التقديم بين يدي الله تعالى ورسوله وتوفقاً فيما لا يُعلم الغرض من السؤال عنه (**فسكت**) ﷺ (**حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال**) عليه الصلاة والسلام (**أليس ذا الحِجَّة؟**) بالنصب خبر ليس وفي نسخة ذو الحجة بالرفع خبر لمحذوف والجملة خبر ليس (**قلنا: بلى**) يا رسول الله (**قال: فأَيُّ بلدٍ هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننَّا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس**) هو (**البلدة**) الحرام؟ بالتأنيث وهو بالنصب خبر ليس يريد مكة والألف واللام للعهد (**قلنا: بلى قال: فأيُّ يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يومَ النحر؟ قلنا: بلى قال: فإن دماءكم**) أي دماء بعضكم وكذا قوله (**وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**) والعرض موضع المدح والذم من الإنسان أي الأفعال الحميدة أو الذميمة سواء كانت في نفسه أو في سلفه ولما كان موضع العِرض النفس قال من قال: العرض النفس إطلاقا للمحل على الحال ولما كان المدح نسبة الشخص إلى الأخلاق الحميدة، والذم نسبة إلى الذميمة سواء كانت

هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا تراجعوا بعدي ضُلاَّلا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ألا هل بلغت» مرتين.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ حلق رأسه في حجة الوداع وأناس من أصحابه وقصر بعضهم.

## غزوة تبوك وهي غزوة العسرة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ اسأله

---

أو لا قال من قال: العرض الخلق إطلاقاً لاسم اللازم على الملزوم، وأيضاً الأفعال الحميدة أو الذميمة لا تنشأ إلا عن الأخلاق النفسانية، وشبه ذلك في التحريم بيوم النحر وبمكة وبذي الحِجَّة فقال: **(كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)** لأنهم كانوا يعتقدون أنها محرمة أشد التحريم لا يستباح منها شيء، وكانوا يستبيحون دماءهم وأموالهم في الجاهلية في غير الأشهر الحرم ويحرمونها فيها، فبين ﷺ بذلك التشبيه أنها محرمة عليهم أبداً كحرمة تلك الأشياء، فهو من تشبيه ما لم تجرِ العادة به بما جرت به العادة كقوله تعالى: ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾ [الأعراف: ١٧١] **(وستلقون ربكم)** يوم القيامة **(فيسألكم عن أعمالكم ألا)** بالتخفيف **(فلا ترجعوا بعدي ضُلاَّلاً)** بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام الأولى **(يضرب بعضكم رقاب بعض)** بتنافسكم على الدنيا وهو بيان للضَّلال، فينبغي أن يحمل على العموم وأن يقال: فلا يَظلم بعضكم بعضاً فلا تسفكوا دماءكم ولا تهتكوا أعراضكم ولا تستبيحوا أموالكم، ونظيره في الإطلاق وإرادة العموم قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ [النساء: ١٠] **(ألا)** بالتخفيف **(ليُبَلِّغ الشاهد الغائب)** القول المذكور أو جميع الأحكام **(فلعلَّ بعض من يبلغه)** بفتح الموحدة واللام المشددة **(أن يكون أوعى له من بعض من سمعه، ألا هل بلغت)** قالها **(مرتين)**.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبيَّ ﷺ حَلَقَ رأسه)** أي شعرها **(في حَجَّة الوداع)** والحلاَّق مَعْمَر بن عبد الله بن نضلة بن عوف، وعند أحمد أنه استدعى الحلاَّق فقال له وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه: يا معمر أمكنك رسول الله ﷺ من شحمة أذنه وفي يدك الموسى، قال: فقلت: أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعم الله عز وجل عليَّ ومنته، قال: «أجل». وفي الصحيحين أنه حلق الشق الأيمن فقسمه بين من يليه ثم قال: «احلق الشق» الآخر، فقال أين أبو طلحة فأعطاه إيَّاه، ولا حمد وقلَّم ﷺ أظفاره وقسَّمها بين الناس.

## غزوة تبوك

بفتح الفوقية وتخفيف الموحدة المضمومة موضع بينه وبين الشام إحدى عشرة

الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم فقال والله لا أحملكم على شيء ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي ابن عبد الله بن قيس فأجبته فقال أجب رسول الله ﷺ يدعوك فلما أتيته قال: «خذ هذين القرينين وهذين القرينين» لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد «فانطلق بهن إلى أصحابك فقل إن الله أو قال إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء فاركبوهن» فانطلقت إليهم بهن فقلت إن النبي ﷺ يحملكم

---

مرحلة، لا ينصرف للتأنيث والعلمية وبالصرف على إرادة الموضع **(وهي غزوة العسرة)** بضم العين وسكون السين المهملة لما وقع فيها من العسرة في الماء والظَّهر والنفقة وهي آخر غزواته ﷺ وكانت في رجب من سنة تسعٍ قبل حجة الوداع اتفاقاً، فذكرها هنا وبعدها تبعاً للأصل خطأ من النساخ.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أرسلني أصحابي إلى النبي ﷺ أسأله الحُملان لهم)** بضم الحاء المهملة وسكون الميم أي ما يركبون عليه ويحملهم **(إذ هم)** يحملون **(معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك فقلت: يا نبي الله إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء ووافقته)** أي صادفته **(وهو غضبان ولا أشعر)** أي والحال أني لم أكن أعلم غضبه **(ورجعت)** أي إلى أصحابي حال كوني **(حزيناً من منع النبي ﷺ)** أن يحملنا **(ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه)** أي غضب **(عليَّ فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي)** أي بالذي **(قال النبي ﷺ فلم ألبث)** بفتح الهمزة والموحدة بينهما لام ساكنة آخره مثلثة **(إلا سويعة)** بضم السين المهملة وفتح الواو مصَغَّر ساعة وهي جزء من الزمان أو من أربعةٍ وعشرين جزءاً من اليوم والليلة **(إذ سمعت بلالاً ينادي أين)** وفي نسخةٍ: أي **(عبد الله بن قيس)** أي يا عبد الله **(فأجبت، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيته قال: خذ هذين القرينين)** تثنية قرين وهو البعير المقرون بآخر **(وهذين القرينين)** وفي نسخةٍ: «هاتين القرينتين وهاتين القرينتين» أي الناقتين **(لستة أبعرة)** لعله قال هذين القرينين ثلاثاً فذكره الراوي مرتين اختصاراً، لكن قوله في الرواية الأخرى فأمر لنا بخمس ذُوَد مخالف لما هنا فيحمل على التعدد، أو يكون زادهم على الخمس واحداً والعدد لا ينافي الزائد **(ابتاعهن حينئذ من سعد)** قيل ابن عبادة **(فانطلق)** بكسر اللام والجزم على الأمر **(بهنَّ إلى أصحابك فقل)** لهم **(إن الله أو قال: إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء)** الأبعرة **(فاركبوهن فانطلقت إليهم بهنَّ)** أي إلى أصحابي بالأبعرة **(فقلت: إن رسول الله ﷺ يحملكم على هؤلاء،**

على هؤلاء ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ فقالوا لي والله إنك عندنا لمصدق ولنفعلن ما أحببت فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطاؤهم بعد فحدثوا بمثل ما حدثهم به أبو موسى.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً رضي الله عنه فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء فقال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي».

---

**ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى مَن سَمِع مقالة رسول الله ﷺ، لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ فقالوا: والله إنك عندنا**) وفي نسخةٍ إسقاط لفظ الجلالة (**لمُصَدَّق**) بفتح الدال المشددة (**ولنفعلنَّ ما أحببت**) أي الذي أحببت من إرسال أحدنا إلى من سمع (**فانطلق أبو موسى بنفرٍ منهم ثم أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم أعطاهم بعد فحدثهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى**) رضي الله تعالى عنه.

(**عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ خرج إلى تبوك**) وكان السبب في ذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته وغيره أن المسلمين بلغهم من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعاً وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، فندب النبي ﷺ إلى الخروج وأعلمهم بجهة غزوهم، وعند الطبراني أن عثمان رضي الله تعالى عنه كان قد جهَّز عيراً إلى الشام فقال: يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أُوقية فقال عليه الصلاة والسلام ولا يضر عثمان ما يعمل بعدها (**واستخلف**) على المدينة (**علياً**) بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (**فقال أتُخَلِّفَني في النساء والصبيان فقال**) ﷺ (**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من**) أخيه (**موسى**) حين خلفه في قومه بني إسرائيل لما خرج إلى الطور، وقد تمسكت الروافض وسائر فرق الشيعة بهذا في أن الخلافة كانت لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وصى له بها، وكفَّرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يَقُم في طلب حقه، **ولا** حجة لهم في الحديث ولا متمسك لهم به لأنه ﷺ إنما قال هذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ويؤيده أن هرون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لأنه تُوفي قبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة وبيَّن بقوله (**إلاَّ أنَّه ليس نبي**) وفي نسخةٍ لا نبي (**بعدي**) إن اتصاله به ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في الرتبة، ثم إنها إما أن تكون في حياته أو بعد مماته فخرج بعد مماته

## حديث كعب بن مالك رضي الله عنه
## وقول الله عزّ وجلّ ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾

عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدرٍ وإن كانت بدر أذكر في الناس منها كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما

---

لأن هرون مات قبل موسى فتعين أن تكون في حياته عند خروجه إلى غزوة تبوك كمسير موسى إلى مناجاته ربه عز وجل، ولما سار عليه الصلاة والسلام إلى تبوك تخلف ابن أُبي ومن كان معه ووصل النبي ﷺ إلى تبوك ولحقه بها أبو ذر وأبو خيثمة ولحقه بها وفد أذرح ووفد ايلة فصالحهم ﷺ على الجزية، ثم قفل ﷺ من تبوك ولم يلق كيداً وقدم المدينة في شهر رمضان.

## حديث كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه
## وقول الله عز وجل ﴿وعلى الثلاثة﴾

كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ﴿الذين خُلِّفوا﴾ عن غزوة تبوك[1] **(عن كعب بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلفت في غزوة بدرٍ ولم يعاتب)** بفتح التاء **(أحد)** بالرفع نائب فاعل وفي نسخةٍ ولم يعاتب بكسر التاء أحداً بالنصب **(تخلف عنها)** أي عن غزوة بدر **(إنما خرج رسول الله ﷺ)** إلى بدر **(يريد عير قريش)** بكسر العين الإبل التي تحمل الميرة كما مر **(حتى جمع الله بينهم)** أي بين المسلمين **(وبين عدوِّهم)** كفار قريش **(على غير ميعاد)** أي فلم تكن مقصودةً بالقتال حتى يكون التخلف عنها مذموماً **(ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة)** بمنىً مع الأنصار **(حتى تواثقنا)** بالمثناة ثم المثلثة أي تعاهدنا وتعاقدنا **(على الإسلام)** والإيواء والنصر وذلك قبل الهجرة **(وما أحبُّ أن لي بها)** أي بدلها **(مشهد بدر وإن كانت بدرٍ أذْكَر)** أي أعظم ذكراً **(في الناس منها)** لأن ظهور الإسلام كان سببه التعاقد تلك الليلة **(كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني)** وفي نسخةٍ: إسقاطها **(حين تخلفت عنه)** عليه الصلاة والسلام **(في تلك الغزوة)** أي

---

(١) هذا مخالف لتفسير كعب نفسه في هذا الحديث اهـ مصححه.

اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه يستخفي له ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس

---

غزوة تبوك (**والله ما اجتمعت عندي قبله**) أي قبل زمن تلك الغزوة (**راحلتان قط**) واستمر عدم اجتماعهما (**حتى جمعتهما في تلك الغزاة**) أي الغزوة كما في بعض النسخ (**ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها**) بفتح الواو والراء المشددة أي أوهم أنه يريد غيرها والتورية أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد (**حتى كانت تلك الغزوة أي غزوة تبوك غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً**) بفتح الميم والفاء آخره زاي أي فلاة لا ماء فيها (**وعدواً كثيراً**) وذلك أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة وهرقل رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء (**فجلَّى**) بالجيم واللام المشددة ويجوز تخفيفها أي أوضح (**للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهبة عدوهم**) بضم الهمزة وسكون الهاء أي ما يحتاجون إليه في السفر والحرب، وفي نسخةٍ: أُهبة غزوهم بدل عدوهم (**فأخبرهم**) عليه الصلاة والسلام (**بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب**) بالتنوين (**حافظ**) بالتنوين أيضاً صفة لما قبله وفي مسلم بالإضافة والمراد به الديوان وفي روايةٍ: أنهم يزيدون على عشرة آلاف ولا يجمعهم ديوانٌ حافظ، وعند الحاكم: إنهم كانوا زيادةً على ثلاثين ألفاً وذكر الواقدي أنه كان معه عشرة آلاف فرسٍ فتحمل رواية الحاكم على إرادة عدد الفرسان، وقيل كانوا أكثر من ذلك (**قال كعب**) بن مالك: (**فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه**) وفي نسخةٍ أن (**يستخفي له**) تغيبه أي لا يظهر لكثرة الجيش (**ما لم ينزل**) بفتح أوله وكسر ثالثه (**فيه وحي الله**) الذي يخبر عن المغيبات (**وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال**) وفي روايةٍ: في قيظٍ شديدٍ في ليالي الخريف والناس خارفون في نخيلهم (**وتجهز رسول الله والمسلمون معه فطفقت**) أي فأخذت (**أغدوا**) بالغين المعجمة (**لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً**) من جهازي (**فأقول في نفسي: أنا قادر عليه**) متى شئت (**فلم يزل يتمادى بي**) الحال (**حتى اشتد بالناس الجِدُّ**) بكسر الجيم وبالرفع فاعل وهو الجهد في الشيء والمبالغة فيه، وفي نسخةٍ

الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدَّر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب»؟ فقال رجل من بني سَلِمة يا رسول الله حبسه بُرداه ونظره في عِطفه فقال معاذ بن جبل بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول ﷺ قال

---

حتى اشتد الناس بالرفع على الفاعلية الجِدُّ بالنصب على نزع الخافض أو نعت لمصدر محذوف أي اشتد الناس الاشتداد الجِدّ أي البليغ (**فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً**) بفتح الجيم (**فقلت أتجهز بعده**) عليه الصلاة والسلام (**بيوم أو يومين ثم ألحقهم فغدوت**) بالغين المعجمة (**بعد أن فصلوا**) بالصاد المهملة (**لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل بي حتى أسرعوا**) بالسين المهملة، وفي نسخةٍ أشرعوا بالشين المعجمة قال الحافظ ابن حجر: وهو تصحيف (**وتفارط الغزو**) بالفاء والراء والطاء المهملتين أي فات وسبق (**وهممت أن أرحل فأدركهم**) بالنصب عطفاً على أرحل (**وليتني فعلت**) ذلك (**فلم يُقدَّر لي ذلك**) فيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوِّف بها لئَلا يُحْرَمَها قال كعب: (**فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً**) بفتح الميم وسكون الغين بعدها ميم أخرى مضمومة فواو فصاد مهملة (**عليه النفاق**) أي يظن به النفاق ويتهم به وأن صلتها فاعل أحزنني أو للتعليل أي أحزنني طوافي في الناس لأني لا أرى إلا رجلاً منافقاً (**أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من بني سلِمة**) بكسر اللام وهو عبد الله بن أنيس السَّلَمي بفتح السين واللام كما قال الواقدي قال في الفتح: وهو غير الجهني الصحابي المشهور (**يا رسول الله حبسه برداه**) تثنية برد (**ونظره في عطفه**) بكسر العين المهملة مع الإفراد وفي نسخةٍ بالتثنية أي جانبيه، كناية عن كونه معجباً بنفسه ذا زهو وتكبر أو لباسه أو كني به عن حُسنه وبهجته والعرب تصف الرِداء بصفة الحسن وتسميه عِطْفاً لوقوعه على عِطف الرجل (**فقال معاذ بن جبل**) رضي الله تعالى عنه: (**بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ**) فبينما هو كذلك رأى رجلاً منتصبا يزول به السراب فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة فإذا هو أبو

كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي فطفِقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيءٍ فيه كذب، فأجمعت صِدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادماً وكان إذا قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفِقوا يعتذرون، إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى، فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المُغْضَب ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست

---

خيثمة سعد بن أبي خيثمة الأنصاري، وعند الطبراني أنه قال: تخلفت عن رسول الله وسلم فدخلت حائطاً فرأيت عريشاً قد رُشَّ بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بإنصاف رسول الله ﷺ في السموم والحر وأنا في الظل والنعيم فقمت إلى ناضحٍ لي وتمرات وخرجت فلما طلعت على العسكر فرآني الناس فقال النبي ﷺ كن أبا خَيثمة فجئتُ فدعا لي.

(**قال كعب**) بن مالك: (**فلما بلغني أنه**) ﷺ (**توجه قافلاً**) أي راجعاً إلى المدينة (**حضرني همي فطفقت**) أي أخذت وشرعت (**أتذكر الكذب**) وعند ابن أبي شيبة: وطَفِقْتُ أُعِدُّ العذر لرسول الله ﷺ إذا جاء وأهيىء الكلام (**وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي**) أي صرت أستشير أهلي وأستخرج ما عندهم من الرأي من ذلك (**فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً**) أي قد دنا قدومه (**زاح**) بالزاي المعجمة وبالحاء المهملة أي زال (**عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه**) أي من سخطه (**بشيءٍ أبداً فيه كذب فأجمعت صدقه**) أي جزمت به وعقدت عليه صدقي، ولابن أبي شيبة، عرفت أنه لا ينجيني منه إلا الصدق (**فأصبح رسول الله ﷺ قادماً**) أي في رمضان كما قال ابن سعد (**وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع**)) وفي نسخةٍ فيركع (**فيه ركعتين**) فركعهما (**ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون**) الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم عن غزوة تبوك (**فطفقوا يعتذرون**) أي يظهرون العذر (**إليه**) صلوات الله وسلامه عليه (**ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلاً**) من منافقي الأنصار قال الواقدي: وإن المُعَذِّرين من الأعراب كانوا أيضاً اثنين وثمانين رجلا من غِفار وغيرهم وإن عبد الله ابن أُبي ومن أطاعه من قومه من غير هؤلاء كانوا عدداً كثيراً والبضع بكسر الموحدة وسكون الضاد المعجمة ما بين ثلاث إلى تسعٍ على المشهور (**فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم**) أي ظواهرهم (**وبايعهم واستغفر لهم وَوَكل**) بفتحات مع التخفيف (**سرائرهم إلى الله تعالى**) قال كعب (**فجئته**) ﷺ (**فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب**) بفتح الضاد

بين يديه فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك»؟ فقلت بلى والله يا رسول الله، الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذرٍ ولقد أعطيت جَدَلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذبٍ ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخِطَكَ عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدقٍ تَجِد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمت وثار رجال من بني سَلِمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا نكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذِّبَ نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم: رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟

---

المعجمة (**ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه**) وعند ابن عائذ في مغازيه فأعرض عنه فقال: يا نبي الله لم تعرض عني فوالله ما نافقت ولا ارتبت ولا بدلت (**فقال لي: ما خلفك**) عن الغزو (**ألم تكن قد ابتعت ظهرك**) أي اشتريت راحلتك (**قلت**: **بلى والله يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه ولقد أعطيت جَدَلاً**) بفتح الجيم والدال المهملة أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلي بما يقبل ولا يرد (**ولكني والله لقد علمت أني لئن حدثتك اليوم حديث كَذِبٍ ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ ولئن حدثتك**) وفي نسخةٍ: اليوم (**حديث صدق تَجِدُ**) بكسر الجيم أي تغضب (**علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله**) عزَّ وجلَّ عني (**لا والله ما كان لي من عذرٍ والله ما كنتُ قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال: رسول الله ﷺ: أمَّا**) بتشديد الميم (**هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك**) بما شاء، (**فقمت**) فمضيت (**وثار رجال**) بالمثلثة أي وثبوا (**من بني سَلِمة**) بكسر اللام (**فاتبعوني**) بوصل الهمزة وتشديد الفوقية (**فقالوا لي والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت**) أي عن عدم الاعتذار (**إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون**) بفتح اللام، وفي نسخةٍ: المتخلِفون بالفوقية وكسر اللام (**قد كان كافِيَك**) بفتح التحتية (**ذنبك**) أي من ذنبك (**استغفار رسول الله ﷺ**) لك برفع استغفار بقوله كافيك لأن اسم الفاعل يعمل عمل فعله (**فوالله ما زالوا يؤنبونني**) بالهمزة المفتوحة فنون مشددة فموحدة مضمومة ونونين أي يلومونني لوماً عنيفاً وفي نسخةٍ: يؤنبوني (**حتى أردت أن أرجع فأكذِّب نفسي ثم قلت لهم: هل لقي هذا**) التخلف (**معي أحد؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت**) لما تخلفا من غير عذر (**فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من**

قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أسوة، فمضيت حين ذكر وهما لي ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً فأما

---

**هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع)** بضم الميم وتخفيف الراءين **(العمري)** بفتح العين المهملة وسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس **(وهلال بن أمية الواقفي)** بتقديم القاف على الفاء نسبةً إلى بني واقف بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس، وعند ابن أبي حاتم أن سبب تخلف الأول أنه كان له حائط حين زها فقال في نفسه: قد غروت قبلها فلو أقمت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك، وإن الثاني كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أقمت هذا العام عندهم، فلما تذكر قال اللهم لك عليَّ أن لا أرجعَ إلى أهلي ولا مالي **(فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما أسوة)** بضم الهمزة وكسرها، وقد نازع بعضهم في شهودها بدراً بأن أهل السير لم يذكروا واحدا منهما فيمن شهدها ولكن المثبت مقدَّم على النافي وإنما لم يهجر ﷺ حاطِباً ولا عاقبه مع كونه جسَّ عليه بل قال لعُمر لما هم بقتله: «وما يدريك لعل الله أطلع على أهل بدر فقال أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وذنب الجسِّ أعظم من ذنب التخلف لأنه قَبِل عذره في أنه إنما كاتب قريشاً خشيةً على أهله وولده بخلافِ تخلف كعب وصاحبيه فإنهم لم يكن لهم عذر أصلاً قال كعب: **(فمضيت حين ذكروهما لي)** أي الرجلين **(ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه)** بالرفع أي خصوصاً لثلاثٍ كقولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، وقال السيرافي: إنه مفعول فعل محذوف أي أخصُّ الثلاثة وخالفه الجمهور فقالوا: أي منادى والثلاثة صفة وإنما أوجبوا ذلك لأنه في الأصل كان كذلك فَنُقِل إلى الاختصاص ولك ما نقل من باب إلى باب فإعرابه بحسب أصله كأفعال التعجب **(فاجتَنَبَنَا الناس)** بفتح الموحدة **(وتغيروا لنا حتى تنكرت)** أي تغيرت **(في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف)** لتوحشها عليَّ وهذا يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتى يجده في نفسه، قال السهيلي: وإنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية لأنه في حقِّ الأنصار خاصة فرض عين لأنهم كانوا بايعوا على ذلك ومصداق قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً ... على الجهاد ما بقينا أبدا

فكان تخلفهم عن الغزو كبيرةً لأنه كالنكث لبيعتهم اهـ وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمنه ﷺ **(فلبثنا على ذلك خمسين ليلة)** استنبط منه جواز

صاحباي فاستكانا وقعد في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدهم فكنتُ أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا، ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما ردّ علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك

---

الهجران فوق ثلاث وأما النهي عن الهجران فوق ثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً أي لعذر شرعي (**فأما صاحباي**) مرارة وهلال (**فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم**) أي أقواهم (**وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف**) أي أدور (**في الأسواق لا يكلمني أحد وآتي رسول الله ﷺ فأسلمُ عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه بردِّ السلام علي أم لا**) وإنما لم يجزم بتحريك شفتيه عليه الصلاة والسلام بالسلام لأنه لم يكن يديم النظر إليه من الخجل (**ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر**) بالسين المهملة والقاف أي أنظر إليه في خفيةٍ (**فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبل**) عليه الصلاة والسلام (**إليَّ وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال على ذلك من جَفْوَة الناس**) بفتح الجيم وسكون الفاء أي من إعراضهم (**مشيت حتى تسورت**) أي علوت (**جدار حائط أبي قتادة**) الحرث بن ربعي الأنصاري رضي الله تعالى عنه أي بستانه (**وهو ابن عمي**) لأنه من بني سَلِمة، وليس هو ابن عمه أخي أبيه الأقرب (**وأحبُّ الناس إليَّ فسلمتُ عليه فوالله ما رد عليَّ السلام**) لعموم النهي عن كلامهم (**فقلت: يا أبا قتادة أُنْشِدُك**) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة أي أسألك (**بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته**) بفتح المعجمة أي فسألته بالله كذلك (**فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم**) وليس هذا تكليماً لكعب لأنه لم ينوِ به ذلك لأنه منهي عنه، بل أظهر اعتقاده فلو حلف لا يكلم زيداً فسأله عن شيءٍ فقال: الله ورسوله أعلم ولم يُرِد جوابه ولا اسماعه لم يحنث (**ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار**) للخروج من الحائط (**قال: فبينا**) بغير ميم (**أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي**) بفتح النون والموحدة وكسر الطاء المهملة فلاح (**من أنباط الشام**) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة وكان نصرانياً ولم يسم (**ممن قدم بالطعام يبيعه**

فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني رفع إلي كتاباً من ملك غسان فإذا فيه أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قرأتها وهذا أيضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال كعب فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا ولكن لا يقربك» قالت إنه والله ما به حركة إلى شيء

---

بالمدينة يقول: **من يدلني على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له إلي)** يعني ولا يتكلمون بقولهم مثلاً هذا كعب مبالغة في هجره والإعراض عنه **(حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسَّان)** بفتح الغين المعجمة وتشديد السين جبلة بن الأيهم، أو هو الحارث ابن أبي شمر وعند ابن مردويه: «فكتب إليّ كتاباً في سرقة من حرير» **(فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله)** أي لا ينبغي لك أن تسكن **(بدار هوانٍ ولا مضْيَعةٍ)** بسكون الضاد المعجمة أي بحيث يَضِيْع حقك **(فالحق)** بفتح الحاء المهملة **(بنا نواسك)** بضم النون وكسر السين المهملة من المواساة **(فقلت لما قرأتها)** أي الصحيفة المكتوب فيها: **(وهذه أيضاً من البلاء)** وعند ابن أبي شيبة: «قد طَمِعَ فيَّ أهل الكفر» **(فتيممت)** أي قصدت **(بها التنور)** بفتح الفوقية أي الذي يخبز فيه **(فسجرته)** بالسين المهملة المفتوحة والجيم أي أوقدته **(بها)** وهذا يدل على قوة إيمانه وشدة محبته ﷺ ورسوله على ما لا يخفى، وعند ابن عائذٍ أنه شكى حاله إلى رسول الله ﷺ وقال: «ما زال إعراضك عني حتى رغب فيَّ أهل الشرك» **(حتى إذا مضت أربعون ليلةً من الخمسين إذا رسولٌ لرسول الله ﷺ)** وفي نسخةٍ إسقاط اللام، قال الواقدي هو خزيمة بن ثابت، قال: هو الرسول إلى مرارة وهلال بذلك **(يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك)** عَمْرَة بنت جُبير بن صخر بن أمية الأنصارية، أم أولاده الثلاثة أو هي زوجته الأخرى خَيْرَة بفتح الخاء المعجمة بعدها تحتية ساكنة **(فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا بل اعتزلها)** بكسر الزاي مجزوماً بالأمر **(ولا تقربها)** معطوف عليه **(وأرسل إلى صاحبيَّ)** بتشديد الياء **(مثل ذلك، فقلت لامرأتي: إلحقي)** بفتح الحاء **(بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله)** تعالى **(في هذا الأمر)** فلحقت بهم قال كعب: **(فجاءت امرأة هلال بن أمية)** خولة بنت عاصٍ **(رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل ترضى أن أخدمه قال: لا ولكن لا يقربك)** بالجزم على

والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال الذي ذكر الله تعالى قد ضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب ابن مالك أبشر قال فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن

---

النهي (**قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيءٍ والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا**) قال كعب: (**فقال لي بعض أهلي**) قال في الفتح: لم أقف على أسمه واستشكل هذا مع نهيه ﷺ الناس عن كلام الثلاثة، وأجيب بأنَّ النهي ليس شاملاً لكلِّ أحدٍ بل مخصوص بمن عدا من تدعو حاجة هؤلاء إلى مخالطته وكلامه من زوجةٍ وخادمٍ ونحو ذلك، ألا ترى أنه ﷺ أذن لزوجة هلال في خدمته ومعلوم أنه لا بد في ذلك من مخالطةٍ وكلام فلم يكن النهي شاملاً لكل أحدٍ، وأما جواب بعضهم بأنه عبَّر بالقول عن الإشارة أي فأشار إليَّ بعض أهلي ففيه نظر لأنه ليس المقصود بعدم المكالمة عدم النطق باللسان فقد بل المراد ما يعم الإشارة المفهمة لأنها بمنزلته (**لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك**) لتخدمك (**كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه**) كان ممن لم يشمله النهي قال كعب: (**فقلت والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجلٌ شاب**) أي قوي على خدمة نفسي (**فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت**) بفتح الميم (**لنا خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا**) أيها الثلاثة (**فلما صلَّيتُ صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيتٍ من بيوتنا فبينا**) بغير ميم (**أنا جالس على الحال التي ذكر**) الله تعالى (**قد ضاقت عليَّ نفسي**) أي قلبي لا يسعه أُنسٌ ولا سرور من فَرطِ الوحشة والغم (**وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت**) أي برحبها أي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمره كأنه لا يجد فيها مكاناً يقر فيه قلقاً وجزعاً، وإذا كان هؤلاء لم يأكلوا مالاً حراماً ولا سفكوا دماً حراماً ولا أفسدوا في الأرض وأصابهم ما أصابهم، فكيف من هو واقع في الفواحش والكبائر وجواب بينا قوله: (**سمعت صوت صارخٍ أوْفَى**) بالفاء مقصوراً أي أشرف (**على جبلِ سَلْعْ**) بفتح السين المهملة وسكون اللام (**بأعلَى صوته يا كعب بن مالك أبشر**) بهمزة قطع، وكان الذي أوفى على سَلْع أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فصاح قد تاب الله على كعب (**قال**) كعب: (**فحررت ساجداً**) شكراً لله عزَّ وجلَّ (**وعرفت أن قد جاءْ فرج وآذن**) بالمد أي أعلم (**رسول الله ﷺ**

رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قِبَل صاحبي مبشرون وركض إلى رجل فرساً وسعى ساع من سلم فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنوني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله» قال:

---

**بتوبة الله)** تعالى **(علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا)** أيها الثلاثة بتوبة الله تعالى علينا **(وذهب قِبَل)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي جهة **(صاحبيَّ)** مرارة وهلال **(مبشرون)** يبشرونهما **(وركض إليّ)** بتشديد الياء أي استحث **(رجل فرساً)** للعدو، وعند الواقدي أنه الزبير بن العوام **(وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل)** هو حمزة بن عمرو الأسلمي رواه الواقدي، وعند ابن عائذ أن اللذين سعيا أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لكنَّه صدَّره بقوله: زعموا **(وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته)** هو حمزة السُّلَمي **(يبشرني نزعت له ثوبي)** بتشديد الياء بالتثنية **(فكسوته إياهما ببشراه)** لي بتوبة الله تعالى على **(والله ما أملك)** من الثياب **(يومئذٍ غيرهما)** وقد كان له مال غيرهما كما صرح به فيما يأتي **(واستعرت ثوبين)** أي من أبي قتادة كما عند الواقدي **(فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً)** أي جماعةً جماعةً **(يهنوني)** وفي نسخةٍ: «يهنونني» **(بالتوبة ويقولون: لتهنك)** بكسر النون **(توبة الله تعالى عليك قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس، فقام إليَّ)** بتشديد الياء **(طلحة بن عبيد الله)** بضم العين أحد العشرة المبشرة بالجنة **(يهرول)** أي يسير سيراً بين المشي والعدو **(حتى صافحني وهناني والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره)** وكانا أخوين في الله تعالى آخى رسول الله ﷺ بينهما قاله البرماوي، وتعقب بأن الذي ذكره أهل المغازي أنه كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخاً في إخوة المهاجرين فهو أخو أخيه، وقد يقال لا مانع من مؤاخاته لكل منهما **(ولا أنساها لطلحة)** أي هذه الخصلة وهي اعتناؤه به بقيامه إليه وملاقاته مهنياً له، أي لا أزال أذكر إحسانه إليَّ بذلك فأنا رهينة بذلك **(قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمك)** أي سوى يومِ إسلامه فهو مستثنى تقديراً وإن لم

«لا بل من عند الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك» قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر فقلت: يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول ﷺ إلى يومي هذا كذباً

---

ينطق به، أو أن يوم توبته مكمل ليوم إسلامه فيوم إسلامه بدأ به سعادته ويوم توبته مكمل لها، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خيرٌ من يوم إسلامه المجرد عنها وهو خير مما قبله من بقية الأيام، فيكون يوم توبته خيراً من جميع أيامه بهذا الاعتبار **(قال)** كعب: **(قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله)** تعالى؟ **(قال: بل من عند الله)** تعالى زاد ابن أبي شيبة: «أنتم صدقتم فصدقكم» **(وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ)** بضم السين وتشديد الراء مبنياً للمفعول **(استنار وجهه حتى كأنه قِطعة قمر)** قيل: قال قطعة قمرٍ احترازاً من السواد الذي في القمر، أو إشارةً إلى موضع الاستنارة وهو الجبين الذي يظهر فيه السرور، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: مسروراً تُبرِق أسارير وجهه، وكأن التشبيه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبه ببعض القمر **(وكذا يُعرَف ذلك منه)** أي الذي يحصل من استنارة وجهه عند السرور **(فلما جلست بين يديه)** ﷺ **(قلت: يا رسول الله إنَّ من توبتي أن أنخلع)** أي أخرج **(من)** جميع **(مالي صدقة)** تطلق الصدقة على ما يتصدق به كما في قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [التوبة: ١٠٣] وتطلق اسم مصدر بمعنى التصدق، وعلى الأول يكون نصبها على الحال من مالي وعلى الثاني يجوز انتصابها على الحال من أنخلع لأن معنى أنخلع أتصدق، ويجوز أن تكون اسم مصدر في موضع الحال أي متصدقاً وقول بعضهم إنها مصدر فيه تساهل **(إلى الله وإلى رسوله)** أي صدقةً خالصةً لله ولرسوله ﷺ فإلى بمعنى اللام وفي نسخةٍ وإلى رسول الله **(قال رسول الله ﷺ: أمسِك عليك بعض مالك فهو خير لك)** إنما أمره بذلك خوفاً عليه من تضرره بالفقر وعدم صبره على الإضافة **(فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله إن الله نجاني بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدِّثَ إلا صدقاً ما بقِيت)** بكسر القاف **(فوالله لا أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله)** بالموحدة الساكنة أي أنعم عليه أو اختبره **(في صدق)** أي بسبب صدقِ **(الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ وسلم أحسن مما أبلاني)** أي مما أنعم علي أو اختبرني، قال في المختار: وبلاه الله تعالى اختبره يبلوه بلاءً بالمد، وهو يكون بالخير والشر وأبلاه إبلاءً حسناً وابتلاه أيضاً اهـ والمراد بأفعل التفضيل نفي الأفضلية لا

وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩] فوالله ما أنعم الله علي من نعمةٍ قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحدٍ فقال الله عزّ وجلّ ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ إلى قوله ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٦٥ ـ ٩٦] قال كعب وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله عزّ وجلّ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة: ١١٨] وليس الذي ذكر الله ما خلفنا عن الغزو وإنما

---

نفي المساواة لأنه شاركه في ذلك هلال ومرارة (**وما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً**) لما وجدت من بركة الصِّدق (**وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت وأنزل الله**) تعالى (**على رسوله ﷺ: لقد تاب الله على النبي**) أي تجاوز الله عنه إذنه للمنافقين في التخلف كقوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾[التوبة: ٤٣] (**والمهاجرين والأنصار**) وفي نسخةٍ إسقاط والأنصار، وفي الآية حثٌّ على التوبة وأن ما من مؤمن إلا وهو محتاج إليها حتى النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار (**إلى قوله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾**) أي في إيمانهم دون المنافقين، أو مع الذين لم يتخلفوا (**فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط بعد أن**) وفي نسخةٍ: بعد إذ (**هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون**) أي أن أكون (**كذبته**) فلا زائدة كقوله تعالى: ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾ [الأعراف: ١٢] أي مخافة أن أكون كذبته (**فأهلِك**) بكسر اللام والنصب أي فأن أهلك (**كما هلك الذين كذبوا فإن**) أي وإنما هلكوا لأن (**الله تعالى قال: للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرَّ ما قال لأحد**) أي قال قولاً شرَّ ما قال بالإضافة أي شرَّ قولٍ قاله لأحد من الناس (**فقال الله عز وجل: ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾**) أي رجعتم إليهم من الغزو (**إلى قوله تعالى: ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾**) أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله عز وجل ساخطاً عليهم وكانوا عرضةً لعاجل عقوبته وآجلها (**قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له**) أن تخلفهم كان لعذر (**فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ**) بالجيم والهمزة آخره أي آخر (**رسول الله ﷺ أمرنا**) أيها الثلاثة (**حتى قضى الله**) تعالى (**فيه**) بالتوبة (**فبذلك قال الله**) عز وجل: (**﴿وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا﴾ وليس الذي ذكر الله تعالى مما خُلِّفنا**) بضم الخاء وكسر اللام المشددة وسكون الفاء أي ليس مأخوذاً من تخلفنا، أو ليس من أجل

هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل بعدما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».

## مرض النبي ﷺ ووفاته

عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارَّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارَّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله يلحقه فضحكت. وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعت النبي

---

تخلفنا (**عن الغزو وإنما هو**) بالواو وفي نسخةٍ: إنما هو بإسقاط الواو (**تخليفه**) بالخاء المعجمة (**إيانا وإرجاؤه**) أي تأخيره (**أمرنا عمن حلف له**) ﷺ (**واعتذر إليه فقبل منه**) اعتذاره أي هو مأخوذ من التخليف أي التأخير، فالمراد أنهم خُلِّفوا عن التوبة لا عن الغزو، وهذا تفسير منه لمعنى الآية بحسب ما أدّى إليه فهمه رضي الله تعالى عنه وإن كان الثاني محتملاً بل هو المتبادر والله تعالى أعلم.

## مرض النبي ﷺ ووفاته

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة**) ابنته (**عليها السلام في شكواه**) أي مرضه (**الذي قُبِض فيه**) وفي نسخةٍ: التي قُبِض فيها بالتأنيث على لفظ شكواه (**فسارَّها بشيءٍ فبكت ثم دعاها فسارَّها**) وفي نسخةٍ: بشيءٍ (**فضحكت فسألناها**) وفي نسخةٍ إسقاط الضمير (**عن ذلك**) أي عن سبب البكاء والضحك (**فقالت**) بعد وفاته ﷺ (**سارَّني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي تُوفِي فيه فبكيت ثم سارَّني فأخبرني أني أول أهله**) وفي نسخةٍ: أول أهل بيته (**يلحقه**) وفي نسخةٍ: يتبعه (**فضحكت**) بسكون الكاف، وفي روايةٍ: أن الذي سارَّها به فضحكت هو إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة، وقد اتُفِقَ على أن فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت أول من مات من أهل بيته ﷺ بعده حتى من أزواجه.

(**وعنها رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كنت أسمع**) أي من النبي ﷺ كما في الرواية الآتية (**أنه لا يموت نبي**) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (**حتى يُخَيَّر**) بضم أوله مبنياً للمفعول أي يخيره الله تعالى (**بين**) المقام في (**الدنيا و**) الارتحال منها إلى (**الآخرة فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحة**) بضم الموحدة وتشديد

ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحة يقول: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم﴾ [النساء: ٦٩] فظننت أنه خير. وعنها رضي الله عنها. قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير» فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى» فقلت: إذاً لا يختارنا فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح. وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى

---

الحاء المهملة غلظ وخشونة تعرض في مجاري النفس فيغلظ الصوت (**يقول: مع الذين أنعم الله عليهم الآية فظننت أنه**) عليه الصلاة والسلام (**خُيِّر**) بين ما تقدم.

(**وعنها رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: إنه لم يُقبض نبيٌ قط حتى يُرى مقعده من الجنة ثم يُحَيَّا**) بضم التحتية الأولى وتشديد الثانية بينهما حاء مهملة مفتوحة أي يسلَّم إليه الأمر، أو يملك في أمره، أو يسلَّم عليه سلام الوداع (**أو يخير**) بين الدنيا والآخرة والشك في الراوي (**فلما اشتكى**) أي مرض (**وحضره القبض ورأسه على فخذي غُشِيَ عليه فلما أفاق شَخَصَ**) بفتح الشين والخاء المعجمتين أي ارتفع (**بصره نحو سقف البيت ثم قال: اللهم في الرفيق الأعلى**) وفي رواية: «أسأل الله تعالى الرفيق الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل» وظاهره أن الرفيق المكان الذي يحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقيل الرفيق الجماعة من الأنبياء الذين يسكنون أعلى عَلِّيين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليل وقيل المعنى ألحقني بالرفيق الأعلى أي بالله تعالى يقال: الله تعالى رفيقٌ بعباده من الرِفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً: «أن الله عز وجل رفيقٌ يحب الرِفق» رواه مسلم وأبو داود، ويحتمل أن يراد به حظيرة القدس (**فقلت إذاً لا يختارنا**) وفي نسخةٍ: إذاً لا يجاورنا أي في الدنيا (**فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا**) به (**وهو صحيح**) وفي مغازي أبي الأسود عن عروة أن جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه في تلك الحالة فخيره.

(**وعنها رضي الله تعالى عنها أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى**) أي مَرِضَ (**نفث**) بالمثلثة أي أخرج الريح من فمه مع شيء من رِيقه (**على نفسه**) أي لأجل تحصين نفسه (**بالمعوذات**) أي مع قراءة المعوذات بكسر الواو والمشددة سورة الإخلاص واللتين بعدها فهو من باب التغليب، أو المراد الفلق والناس وجُمِع باعتبار أن أقل الجمع اثنان، أو المراد الكلمات المعوذات بالله من الشيطان والأمراض (**ومسح**) الشرَّ (**عنه بيده**) لتصل بركة القرآن واسم الله تعالى إلى بشرته المقدسة (**فلما اشتكى**) ﷺ (**وَجَعَه الذي تُوفي فيه**

وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه.

وعنها رضي الله عنها قالت: أصغيت إلى النبي ﷺ قبل أن يموت وهو مسند إلى ظهره فسمعته يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق». وعنها رضي الله عنها في رواية قالت: مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺفي وجعه الذي توفي فيه فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً فأخذه بيده عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال علي إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لا أسألها رسول

---

**طفقت)** وفي نسخة فطفقت **(أنفث عليه)** أي لأجله **(بالمعوذات التي كان ينفث)** بكسر الفاء فيهما **(وأمسح بيد النبي ﷺ)** لبركتها **(عنه)** أي نيابة عنه أو أطرد عنه الشر.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: أصغيت)** بالصاد المهملة الساكنة والغين المعجمة أي أملت سمعي **(إلى النبي ﷺ قبل أن يموت وهو مسند إلى ظهره فسمعته يقول: اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق)** أي الأعلى وهمزة ألحقني قطع.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما أن عَلِيَّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه خرج من عند النبي)** وفي نسخةٍ: رسول الله **(ﷺ في وجعه الذي تُوُفي فيه)** وفي نسخةٍ: منه **(فقال الناس)** له **(يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً)** بالهمزة والياء اسم فاعل من بَرِىء المريض إذا أفاق من المرض **(فأخذ بيده)** أي بيد علي **(عباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فقال له: أنت والله بعد ثلاث)** أي بعد ثلاثة أيام **(عبد العصا)** أي تصير مأموراً بموته ﷺ وولاية غيره **(وإني والله لأُرى)** بضم الهمزة أي لأظن **(رسول الله ﷺ سوف يُتَوَفَّى من وجعه هذا إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت)** وذكر ابن إسحق عن الزهري أن هذا كان يوم قُبِضَ رسول الله ﷺ ثم قال العباس لعلي **(اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله)** وفي نسخةٍ: فَلْنَسْأله بسكون اللامين **(فيمن هذا الأمر)** أي الخلافة **(إن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا)** الخليفة بعده وعند ابن سعد من مرسل الشعبي فقال علي: «وهل يطمع في هذا الأمر غيرنا» **(فقال علي إنّا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها)** بفتح العين **(لا**

الله ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل على عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناولته فاشتد عليه، فقلت: لينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته فأمَرَّه وكانت بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله

---

**يعطيناها الناس بعده)** أي وإن لم بمنعناها بأن سكت فيحتمل أن تصل إلينا في الجملة **(وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ)** أي لا أطلبها منه، وفي مرسل الشعبي: فلما قُبِضَ رسول الله ﷺ قال العباس لعلي: أبسط يدك أبايعك يبايعك الناس، فلم يفعل. وفي فوائد أبي الطاهر الذُهَلي بإسنادٍ جلي علي: «يا ليتني أطعت عباساً يا ليتني أطعت عباساً».

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت تقول: إن من نعم الله تعالى عليَّ أنَّ رسول الله ﷺ تُوفيَ في بيتي وفي يومي ورأسه بين سَحْرِي)** بفتح السين وسكون الحاء المهملتين وبضم السين قال في المصباح: السَحْر الرئة وقيل ما لصق في الحلقوم والمريء من أعلى البطن، وقيل كل ما يعلق بالحلقوم من قلب وكبد ورئة وفيه ثلاث لغاتٍ وزان فَلْس وسَبَب وقُفْل وكل ذي سحر مفتقرٌ إلى الطعام وجمع الأولى سُحُور مثل فلس وفلوس وجمع الثانية والثالثة أسحار اهـ **(ونحري)** بالحاء المهملة موضع القِلادة من الصدر، والجمع نحور مثل فَلْس وفلوس، وتطلق النحور على الصدور كما في المصباح والمراد أن رأسه الشريف بين أعلى صدرها وتحت ذقنها كما يدل له رواية ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي، والحاقنه بالحاء المهملة والقاف المكسورة والنون المخففة: النقرة التي بين الترقوة وحبل العنق، والذاقنة بالذال المعجمة والقاف المكسورة: طرف الحلقوم **(وإن الله قد جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل)** وفي نسخةٍ إسقاط الواو وهي أولى لأن القصد به بيان سبب اجتماع ريقها مع ريقه **(عليَّ)** بتشديد الياء **(عبد الرحمن بن أبي بكرٍ وبيده سِوَاك)** وفي نسخةٍ: السِّواك، وكان جريدةً رطبةً كما في بعض الروايات **(وأنا مسندةٌ رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته)** أي السِّواك **(فاشتد عليه)** الوجع **(فقلت أُلَيِّنُه لك فأشار برأسه أن نعم، فلينته وفي رواية: فقضِمته ثم مضغته وقضِمته)** بكسر الضاد المعجمة أو بفتح الصاد المهملة **(فأمَرَّهُ)** بالفاء وفتح الميم وتشديد الراء أي على أسنانه فاستاك به، وفي نسخةٍ: يأمُرِهِ بالموحدة والميم الساكنة، قال عياض: وهو أولى **(وكانت بين يديه رَكوة)** بفتح الراء من أدم **(فيها ماء فجعل)** ﷺ **(يُدخِل يديه)** بالتثنية وفي نسخةٍ بالإفراد أي في الماء

إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول: «اللهم في الرفيق الأعلى»، حتى قبض ومالت يده ﷺ. وعنها رضي الله عنها قالت: لددنا النبي ﷺ في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدُّوني فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «ألم أنهكم أن تلدُّوني» قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: «لا يبقى أحد في البيت الألد وأنا أنظر إليه إلا العباس فإنه لم يشهدكم». عن أنسٍ رضي الله عنه قال لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرباه.

فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم».

---

**(فيمسح بهما وجهه ويقول)** وفي نسخةٍ: إسقاط الواو والجملة حالية **(لا إله إلا الله إنَّ للموت سكرات)** جمع سَكْرَة وهي الشدة **(ثم نَصَبَ)** بفتح النون والصاد المهملة والموحدة **(يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قُبِضَ)** بضم القاف وكسر الموحدة **(ومالت يده)** علامة على موته، وعند أحمد عن عائشة أنها قالت: «لما خرجت نفسه لم أجِدْ رِيحاً قط أطيب منها.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أنها قالت: لددناه)** بدالين مهملتين أي جعلنا الدواء في أحد جانبي فمه بغير اختياره وكان الذي لدُوه به العود الهندي والزيت لتوهمهم أنَّ به ذات الجنب واللُدُود نافع لها **(في مرضه)** أي في بعض أمراضه **(فجعل)** عليه الصلاة والسلام **(يشير إلينا أن لا تلُدُّوني)** لأن الله تعالى لم يجعل لذات الجنب عليه سبيلاً **(فقلنا:)** هذا الامتناع **(كراهة المريض للدواء)** برفع كراهية خبر مبتدأ محذوف ويجوز النصب على أنه مفعول له أي نهانا لكراهية الدواء **(فلما أفاق قال: ألم أنهكم ألا تلُدُّوني؟ قلنا كراهية المريض للدواء، فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر)** جملة حالية أي لا يبقى أحد إلا لُدَّ في حضوري وحال نظري إليهم قصاصاً لفعلهم وعقوبة لهم لتركهم أمتثال نهيه عن ذلك، أمَّا من باشر فظاهر وأمَّا من لم يباشر فلكونهم تركوا نهيهم عما نهاهم هو عنه **(إلا العباس فإنه لم يَشْهدكُم)** أي لم يحضركم حال اللد.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لما ثقل النبي ﷺ)** أي إشتد به المرض **(جعل يتغشاه)** الكرب **(فقالت فاطمة)** بنته عليها السلام **(وأكرباه)** بألف ندبة والهاء الساكنة للوقف وفي روايةٍ وأكرب أباه، والمراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت فقد كان ﷺ فيما يصيب جسده الشريف من الآلام كالبشر ليتضاعف أجره ويؤيده الرواية الثانية قوله: **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(لها ليس على أبيك كربٌ بعد)** هذا **(اليوم)** لأنه ذاهب إلى حضرة الكرامة ويناسب الأولى أيضاً بإعتبار كون المعنى وأكرباه من قيام الكرب بك، وليس قولها المذكور من النياحة لأنه ﷺ أقرها عليه، وقد عاشت بعده ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وروي عنها أنها قالت:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين.

---

أغْبرَّ آفاق السماء وكُوِّرت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبة أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فلتبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضَرٌ وكل يمان

ولما دُفِنَ ﷺ قالت: يا أنس طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟ وكان كل من قدم المدينة يومئذٍ من الناس إذا أشرف عليها يسمع لأهلها ضجيجاً بالبكاء كضجيج الحجيج وحقَّ ذلك لهم ولمن بعدهم.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله تُوُفيَ وهو ابن ثلاثٍ وستين)** سنة هذا قول الجمهور وجزم به ابن المسيب ومجاهد والشعبي، وقال أحمد: هو المثبت عندنا وأكثر ما قيل في عمره ﷺ أنه خمس وستون سنة كما أخرجه مسلم وغيره عن ابن عباس وجُمِع بينهما بأن من قال خمس وستون جبر الكسر ولا يخفى ما فيه، وقيل تُوفيَ وهو ابن ستين سنة والصحيح الأول لأنه أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين فقُرِن بنبوته إسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين وهي مدة فترة الوحي فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاثُ سنين قُرِنَ بنبوته جبريل عليه الصلاة والسلام فنزَّل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة عشرة بمكة وعشرة بالمدينة فيكون عمره ثلاثاً وستين، وأمَّا ما قيل أنه ﷺ عاش إحدى أو اثنتين وستين ولم يبلغ ثلاثاً وستين فشاذ.

# كتاب تفسير القرآن

عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله

---

## كتاب تفسير القرآن

قيل: التفسير والتأويل بمعنىً وهو البيان، وقيل التفسير بيان المراد باللفظ والتأويل بيان المراد بالمعنى وقال أبو العباس الأزدي النظر في القرآن من وجهين الأول من حيث هو منقول وهي جهة التفسير وطريقة الرواية والنقل، والثاني من حيث هو معقول وهي جهة التأويل وطريقة الدارية والعقل قال الله تعالى: ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ [الزخرف: ٣]، فلا بد من معرفة اللسان العربي في فهم القرآن العربي فيعرف الطالب الكلمة وشرح لغتها وإعرابها ثم يتغلغل في معرفة المعاني ظاهراً وباطناً فيوفي لكل منهما حقه. وقال غيره: التفسير علمٌ يُعرَفُ به فهم كتاب الله تعالى المنزَّلِ وبيان معانيه وأستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علوم النحو واللغة والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. وذكر القاضي أبو بكر بن العربي أن علوم القرآن خمسون عِلماً وأربعمائة وسبعة آلاف عِلمْ وسبعون ألف عِلْم على عدد كَلِم القرآن مضروبة في أربعة إذ لكل كلمة باطن وظاهر وحدٌّ ومطلَع دون اعتبار تراكيبه وما بينها من الروابط لأن ذلك لا يحصيه ولا يعلمه إلا الله تعالى. **(بسم الله)** حُذِفت الألف بعد الباء تنبيهاً على شدة المناسبة والاتصال **(الرحمن الرحيم)** اسمان مشتقان من الرحمة لما صححه الترمذي من حديث عبد الرحمن ابن عوف أنه سمع النبي ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرَّحِم وشققت لها اسماً من اسمي» الحديث، وهذا يرد على ما زعمه بعضهم من أنه غير مشتق لقولهم وما الرحمن، ولا حاجة إلى الجواب عنه بأنهم جهلوا الصفة لا الموصوف، ولذا لم يقولوا ومن الرحمن، وهو فعلان من رَحِمَ كغضبان من غَضِبَ والرحيم فعيل كمريض من مَرِضَ والرحمة في اللغةِ رقَّةٌ في القلب وإنعطاف تقتضي التفضل والإحسان، ومنه الرَحِم لإنعطافها على ما فيها ويستعمل في حقه تعالى تجوزاً عن إنعامه أو عن إرادة الخير لخلقه إذ المعنى الحقيقي يستحيل في حقه تعالى، واختلف في اللفظين فقيل هما مترادفان كندمان ونديم ورَدَّ بأن إمكان المخالفة يمنع الترادف ثم على الإختلاف، فالراجح أنَّ

ﷺ فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: «ألم يقل الله ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم

---

الرحمن أبلغ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالباً كما في قطَّع بالتشديد وقطع بالتخفيف، وخرج بغالباً نحو حَذِر فإنه أبلغ من حاذر، وقال بعضهم: هذه القاعدة مشروطة بشروط ثلاثة، الأول: أن يكون ذلك في غير الصفات الجبلية فخرج نحو شَرِه ونَهِم لأنَّ الصفات الجِبلِّيَّة لا تتفاوت، والثاني: أن يتَّحِدَ اللفظان في النوع فخرج نحو حَذِر وحاذر، والثالث: أن يتحدا في الاشتقاق فخرج زَمَن وزَمَان اهـ ولأنه يقال: رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الآخرة، ونقل ابن جرير عن بعضهم أنه يقال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين، ولا يُرَد ما ورد في الدعاء المأثور رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما لأن الرحمة المستفادة من الرحمن أعظم كيفاً من الرحمة المستفادة من الرحيم، ثم إن المراد بالأبلغية هنا الكثرة كما وكيفاً لا المبالغة وهي أن تنسب للشيء أكثر مما له، لأن صفات الله تعالى متناهية في الكمال لا تمكن المبالغة فيها، وأيضاً فالمبالغة إنما تكون في صفاتٍ تقبل الزيادة والنقص وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك، وتخصيص البسملة بهذه الأسماء ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعان به في جميع الأمور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بكليته إليه ويُشْغِل سره به ويقطع توجهه لغيره.

(**عن أبي سعيد بن المُعَلَّى**) واسمه رافع وقيل الحارث أنه (**قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه**) وفي روايةٍ: فلم آته حتى صليت ثم أتيته (**فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: ألم يقل الله استجيبوا لله وللرسول**) استدل به على أن إجابته واجبة يَعصي المرء بتركها، وهل تبطل الصلاة أم لا، صرح جماعة من أصحابنا الشافعية وغيرهم بعدم البطلان وإنه حُكْم مختص به ﷺ، فهو مثل خطاب المصلي له بقوله: السلام عليك أيها النبي ومثله لا يُبْطِل الصلاة، وفيه بحث لاحتمال أن تكون إجابته واجبة سواء كانت المخاطبة في الصلاة أم لا، أما كونه يخرج بالإجابة من الصلاة أو لا يخرج فليس في الحديث ما يستلزمه فيحتمل أن تجب الإجابة ولو خرج المجيب من الصلاة، وإلى ذلك جنح بعض الشافعية لكن الراجح عندهم هو الأول (**ثم قال لي**) عليه الصلاة والسلام: (**لأُعَلِّمَنَّك سورة هي أعظم السور**) وفي نسخةٍ: هي أعظم سورة في (**القرآن**) لعظم قدرها بالخاصية التي لم يشاركها فيها غيرها من السور لاشتمالها على فوائد ومعانٍ كثيرة مع وَجَازةِ ألفاظها، واستُدِلَّ به على جواز تفضيل بعض القرآن على بعض وهو محكي عن أكثر العلماء كابن راهويه وابن العربي، ومنع من ذلك الأشعري والباقلاني وجماعة لأن المفضول ناقص عن درجة الأفضل وأسماء الله تعالى وصفاته وكلامه لا نقص فيها، وأجيب بأن التفضيل إنما هو بمعنى أن ثواب بعضه أعظم

السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

قوله عز وجل: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢].

---

من بعض فالتفضيل إنما هو من حيث المعاني لا من حيث الصفة، وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند الحاكم: «أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزَّبور ولا في القرآن مثلها»، **(قبل أن تخرج)** بالتاء الفوقية **(من المسجد ثم أخذ بيدي)** بالإفراد **(فلما أراد أن يخرج)** من المسجد **(قلت له)** وفي روايةٍ: يا رسول الله **(ألم تقل لأعلِّمَنَّك سورة هي أعظم السور)** وفي نسخةٍ: هي أعظم سورةٌ **(في القرآن؟ قال: الحمد لله رب العالمين)** خبر مبتدأ محذوف أي هي كما صرح به في بعض الروايات **(هي السبع)** لأنها سبع آيات كسورة الماعون لا ثالث لهما **(المثاني)** لأنها تثني على مرور الأوقات أي تتكرر فلا تنقطع وتدرس فلا تندرس، وقيل لأنها تثني كل ركعة أي تعاد أو لأنها يثني بها على الله تعالى، واختصت بهذه الأمة فلم تنزل على من قبلها فإن قيل في الحديث السبع المثاني وفي القرآن سبعاً من المثاني أجيب بأنه لا إختلاف بين الصفتين إذا جلعنا «من» للبيان **(والقرآن العظيم الذي أوتيته)** عطف على السبع المثاني والمراد منه الفاتحة وإليه أشار بقوله ﷺ: أعظم سورة في القرآن حيث نكَّر السورة وأفردها ليدل على أنك إذا تقصيت سورةً سورةً في القرآن وجدتَّها أعظم منها، ويحتمل أنه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير والقرآن العظيم ما بعد الفاتحة مثلاً فيكون وصف الفاتحة بقوله: هي السبع المثاني ثم عطف قوله والقرآن العظيم أي ما زاد على الفاتحة، وذكر ذلك مراعاةً لنظم الآية، ويكون التقدير والقرآن العظيم هو الذي أوتيته زيادةً على الفاتحة، وفيه دليل على أن الفاتحة سبع آيات لكن منهم من عد البسملة دون صراط الذين أنعمت عليهم، ومنهم من عكس قال الطيبي: وعدُّ البسملة أولى لأنَّ ﴿أنعمتَ عليهم﴾ لا يناسب وِزَانُه وِزَان فواصل السورة، ولحديث ابن عباس بسم الله الرحمن الرحيم الآية السابعة، ونُقِلَ عن حسين بن علي الجعفي أنها ست آيات لأنه لم يعد البسملة، وعن عمر بن عبيد أنها ثمانٍ لأنه عدها وعدَّ ﴿أنعمت عليهم﴾.

**(قوله عز وجل ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾)** جمع نِدٍّ وهو المِثْلُ والنَّظير **(وأنتم تعلمون)** حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون متروك أي وحالكم أنكم من ذوي العِلْم والنَّظر وإصابة الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطُر عقلكم إلى إثبات موجدٍ للكائنات منفردٌ بوجود الذات متعالٍ عن مشابهة المخلوقات، أوْلَهُ مفعول أي وأنتم تعلمون أنَّ الذي خلق ما ذكر أو وأنتم تعلمون أن لا نِدَّ له، وعلى كل التقديرين متعلق العلم

عن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» قلت: إن ذلك لعظيم قلت: ثم أي؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». قوله عز وجل: ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [البقرة: ٥٧].

عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

---

محذوف إما حوالة على العقل أو للعلم به **(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً)** أي مِثْلاً ونظيراً **(وهو خلقك)** وغيره لا يستطيع خلق شيءٍ فوجود الخلق يدل على الخالق، واستقامة الخلق على توحيده ولو كان المدبر اثنين لم تكن الاستقامة ولذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل:

أربــاً واحــداً أم ألــف ربٍّ أديــن إذا تــقــسَّــمَــتِ الأمــور
تــركــتُ الــلاتَ والــعــزَّى جــمــيــعــاً كــذلــك يــفــعــل الــرجــل الــبــصــيــر

**(قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أي؟)** بالتشديد والتنوين لأنه اسم معرب غير مضاف، وقيل من غير تنوين لأنه موقوف عليه في كلام السائل ينتظر الجواب منه عليه الصلاة والسلام والتنوين لا يوقف عليه إجماعاً قال بعضهم: وتنوينه مع وصله بما بعده خطأ بل ينبغي أن يُوقَفَ عليه وِقْفَةً لطيفةً ثم يؤتى بما بعده **(قال: أن تقتُل)** وفي نسخة وأن تقتل بالواو **(ولدَك)** حال كونك **(تخاف أن يَطْعَمَ)** أي يأكل أو يشرب **(معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)** بفتح الحاء المهملة وكسر اللام الأولى أي زوجته فإنه زناً وإبطال لما أوصى الله تعالى به من حفظ حقوق الجيران وضمن الزنا معنى المراوَدَة فعدَّاه بنفسه أي تراودها على الزنا.

**(قوله عز وجل: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾)** سخَّر الله تعالى لهم السحاب يُظِلُّهم من الشمس حين كانوا في التيه **(﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ عن سعيد بن زيد)** أحد العشرة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله)** وفي نسخةٍ: النبي **(ﷺ: الكمأَةُ)** بفتح الكاف وسكون الميم والهمزة المفتوحة شيءٌ ينبت بنفسه من غير استنبات وتكلف مؤنةٍ، أحمر **(من المنِّ)** لأنها تحصل بلا كلفة كالمن الذي يسقط بلا كلفة **(وماؤُها شفاءٌ للعين)** إذا رُبِّيَ بها الكحل والتوتية وغيرهما مما يُكتحل به أما إذا اكتُحِل بها مفردة فلا لأنها تؤذي العين، وقال النووي: الصواب أنَّ مجرد مائها شفاء للعين مطلقاً وإنما وصف الكمأة بذلك لأنها من الحلال الذي ليس في اكتسابه شبهة، واعترض الخطابي وغيره

قوله عز وجل: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ [البقرة: ٥٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم فبدلوا وقالوا: حنطة حبة في شعره. قوله عز وجل ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦].

---

بإدخال هذا هنا فإنه ليس المراد أنها نوع من المن المنزل على بني إسرائيل فإن ذلك شيء كالترنجبين، وإنما معناه أنها تنبت بنفسها من غير استنبات ولا مؤنة. وأجيب بأنه وقع في رواية ابن عيينة: «الكمأة من المن الذي أنزل على بني إسرائيل». وظاهرها أنها نوع منه فتكون المناسبة ظاهرة.

(**قوله عز وجل: ﴿وإذ قلنا إدخلوا هذه القرية﴾**) أي بيت المقدس (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: قيل: لبني إسرائيل**) لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام وفتح الله تعالى بيت المقدس عشية جمعةٍ، وقد حُبِسَت لهم الشمس قليلاً حتى أمكن الفتح (**ادخلوا الباب**) أي باب البلد (**سُجَّداً**) شكراً لله تعالى على مَا أنعم به عليهم من الفتح والنصر ورد بلدهم إليهم وإنقاذهم من التيه. وعن ابن عباس فيما رواه ابن جرير سجداً قال: ركعاً، وعن بعضهم المراد به الخضوع لتعذر حمله على حقيقته (**وقولوا حطة**) قيل أمروا أن يقولوا على هذه الكيفية بالرفع على الحكاية وهي في محلٍّ نصب بالقول، وإنما منع النصب حركة الحكاية وقيل خبر مبتدأ محذوف أي مسئلتنا حطة، قال الزمخشري: والأصل النصب بمعنى حُطَّ عنا ذنوبنا حطاً ورُفعت لتُعْطي معنى الثبات وتكون الجملة في محل نصب بالقول، وعن ابن عباس فيما رواه ابن أبي حاتم: ثم قال: قيل لهم: قولوا مغفرة (**فدخلوا يزحفون**) بفتح الحاء المهملة (**على أستاههم**) بفتح الهمزة وسكون المهملة أي أوراكهم (**فبدلوا**) أي غيروا السجود بالزحف (**وقالوا: حنطة**) بالنون بدل حِطَّة، وفي روايةٍ: حِطَّة كما قيل لهم وزادوا على ذلك مستهزئين (**حبة في شعرة**) بفتح العين المهملة والراء، وفي روايةٍ في شعيرة بزيادة تحتية بعد كسرة العين، وحاصل الأمر أنهم أُمِرُوا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم فخالفوا غاية المخالفة، ولذا قال الله تعالى في حقهم: ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون﴾ [البقرة: ٥٩]، والمراد بالرجز الطاعون قيل إنه مات في ساعةٍ أربعة وعشرون ألفاً.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ما نَنسخ﴾**) بفتح النون الأولى فالسين مضارع نَسَخَ وضم ابن عامر النون وكسر السين مضارع أنسخ (**من آية أو نَنسَأها**) بفتح النون الأولى وبالهمزة وقُرِىء بضم النون الأولى من غير همز من الترك والأولى من التأخير (**نأت بخيرٍ منها أو**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أبي وأقضانا علي وإنا لندع من قول أُبَّي وذاك إن أبيا يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ وقد قال الله عز وجل: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ [البقرة: ١٠٦].

قوله عز وجل: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ [البقرة: ١١٦].

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: ﴿كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك﴾ وشتمني ولم يكن له ذلك، فأمَّا تكذيبه إياي

---

**مثلها)** وما مفعول مقدم لننسخ وهي شرطية جازمة له والتقدير: أي شيء ننسخ من الآيات، وقيل شرطية جازمة لننسخ واقعة موقع المصدر ومن آية هو المفعول به والتقدير أي نسخ ننسخ آية ورد بأنه يلزم عليه خُلُو جملة الجزاء من ضمير يعود على اسم الشرط لأن ما واقعة على النسخ وضمير منها للآية وهو لا يجوز، أما على الأول فمن آية صفة لاسم الشرط ومن للتبعيض متعلقة بمحذوف أي أيُّ شيءٍ حال كونه بعض آية. والنسخ لغةً الإزالة أو النقل من غير إزالة ونَسْخُ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو الحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها إذهابها عن القلوب، فمثال نسخ القراءة وإبقاء الحكم ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما﴾ والحكم فقط ﴿وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طعام مسكين﴾ [البقرة: ١٨٤]، والحكم والقراءة ﴿عشر رضعات يحرمن﴾ ويكون بلا بدل كالصدقة أمام نجواه عليه الصلاة والسلام ويبدل مماثل كالقبلة وأخف كعدة الوفاة وأثقل كنسخ التخيير بين صوم شهر رمضان والفدية قال تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ [البقرة: ١٨٤]، **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: أقرؤونا)** لكتاب الله تعالى **(أبي)** هو ابن كعب **(وأقضانا)** أي أعلمنا بالقضاء أي الحكم بين الناس **(علي)** هو ابن أبي طالب **(وإنا لَنَدَعُ)** أي نترك **(من قول أُبي وذلك)** وفي نسخة وذاك بألف من غير لام **(أنَّ أُبَيّاً يقول لا أدع شيئاً سمعته)** بضمير وفي نسخةٍ: سمعت بدون **(من رسول الله ﷺ)** فكان لا يقول بنسخ شيءٍ من القرآن لكونه لم يبلغه النَّسخ، فرد عليه عمر بقوله: **(وقد قال الله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية أو نَنْسَأْها﴾)** فإنه يدل على ثبوت النسخ في البعض وفي نسخةٍ أو نُنْسِاها بضم أوله وكسر ثالثه وقد روي المصنف تبعاً لأصله هذا الحديث موقوفاً وأخرجه الترمذي عن أنس مرفوعاً وعند البغوي مرفوعاً أيضاً: «أقضي أمتي علي بن أبي طالب» رضي الله تعالى عنه.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾)** نزلت رداً على النصارى لما قالوا المسيح ابن الله وعلى اليهود لما قالوا عزير ابن الله ومشركي العرب لما قالوا الملائكة بنات الله **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: قال الله عزَّ وجَلَّ كَذَّبني ابن آدم)** بتشديد الذال المعجمة من التكذيب وهو نسبة لمتكلم إلى أن خبره خلاف

فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً.

قوله عز وجل: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ [البقرة: ١٢٥] عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت الله عز وجل في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت إن

---

الواقع، والمراد البعض من بني آدم **(ولم يكن ذلك)** التكذيب **(له)** وفي نسخةٍ: ولم يكن له بالتقديم ذلك والتأخير **(وشتمني)** من الشتم وهو توصيف الشخص بما هو إزراء ونقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً **(ولم يكن ذلك)** الشتم **(له)** وفي نسخةٍ: له ذاك كما تقدم **(فأما تكذيبه إياى فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان)** وفي روايةٍ: وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته **(وأما شتمه إياي فقوله لي ولد)** وإنما كان شتماً لما فيه من التنقيص لأن الوالد إنما يكون عن والد يحمله ثم يضعه، ويستلزم ذلك سبق النكاح والناكح يستدعي باعثاً له على ذلك والله تعالى منزه عن ذلك **(فسبحاني)** أي تنزهت **(أن أتخذ صاحبةً أو ولداً)** أن مصدرية أي من اتخاذ الزوجة والولد لما كان الباري سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته قديماً موجوداً قبل وجود الأشياء، وكان كل موجودٍ محدثاً انتفت عنه الولدية ولما كان لا يشبه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ [الأنعام: ١٠١]، **(قوله عزَّ وجلَّ ﴿واتخذوا﴾)** بكسر الخاء بلفظ الأمر فقيل: عطف على اذكروا إذا قيل إن الخطاب هنا لبني إسرائيل أي اذكروا نعمتي واتخذوا **(من مقام إبراهيم مُصَلًى)** وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا ماضياً بلفظ الخبر، قيل عطف على جعلنا أي واتخذ الناس من مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يُصلُّون إليها **(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: وافقت الله)** وفي نسخةٍ وافقت ربي **(عزَّ وجلَّ في ثلاث)** أي قضايا **(أو وافقني ربي في ثلاث)** بالشك وذِكر الثلاث لا يقتضي نفي غيرها، فقد روي عنه موافقات بلغت خمسة عشر كقصة الأسارى **(قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلىً)** بين يدي القبلة يقوم الإمام عنده زاد البخاري في رواية فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ **(وقلت: يا رسول الله يدخل عليك)** في حجرات أمهات المؤمنين **(البَّر والفاجر)** أي الفاسق وهو مقابل البر **(فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب)** وجواب لو محذوف في الموضعين أو هي للتمني فلا تفتقر إلى جواب، وعند ابن مالك هي لو المصدرية أغنت عن فعل التمني، وفي روايةٍ فأنزل الله

انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله ﷺ خيراً منكن، حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأنزل الله عز وجل ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات﴾ [التحريم: ٥] الآية.

قوله عز وجل ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ [البقرة: ١٣٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ [البقرة: ١٣٦].

قوله: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح

---

تعالى آية الحجاب **(قال)** عمر: **(وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه)** حفصة وعائشة **(فدخلت عليهنَّ فقلت)** وفي نسخةٍ قلت: **(إن انتهيتن أو ليبُدِلَنَّ الله رسوله خيراً منكنَّ حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر أما)** بالتخفيف **(في رسول الله ﷺ)** وفي نسخةٍ: إسقاط التصلية **(ما يعظ نساءه حتى تَعِظَهن أنت)** القائلة هذا هي أم سلمة كما في روايةٍ بلفظ فقالت أم سلمة: «عجباً لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيءٍ حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه» وقال الخطيب: أي زينب بنت جحش وتبعه النووي **(فأنزل الله تعالى ﴿عسى رُبه إن طلقكنَّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات﴾ [التحريم: ٥])** الآية.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾)** أي القرآن والخطاب للمؤمنين **(الآية. عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال كان أهل الكتاب)** أي اليهود **(يقرؤون التوراة بالعِبرانية)** بكسر العين المهملة وسكون الموحدة **(ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)** يعني إذا كان ما يخبرونكم به محتَمِلاً لأن يكون في نفس الأمر صِدْقاً فتكذبوه أو كذباً فتصدقوه فتقعوا في الحرج **(﴿وقولوا آمنا بالله وما أنزل﴾ الآية)** وفي نسخةٍ: إلينا.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وكذلك﴾)** أي وكما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم وجلعنا قبلتكم أفضل القِبَل **(﴿جعلناكم أمةً وسطاً﴾)** أي خياراً أو عدولاً، وجعل بمعنى صَبَّر فيتعدى لإثنين والضمير مفعول أول وأمة مفعول ثانٍ ووسطاً نعت، وهو بالتحريك اسم لما بين الطرفين ويطلق على خيار الشيء وقيل كل ما صلح فيه لفظ بين يقال بالسكون، وإلا فبالتحريك تقول جلست وَسَطَ القوم بالتحريك وقيل المفتوح في الأصل مصدر والساكن ظرف **(لتكونوا شهداء على الناس)** يوم القيامة **(الآية)** وهو علة للجعل **(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك بن سنان **(الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال**

يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم فيقال: لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣].

قوله عز وجل: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ [البقرة: ١٩٦].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بهائم يفيض منها.

---

رسول الله ﷺ: **يُدعى نوحُ يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيقال: لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول:**) يشهد لي (**محمد وأمته فيشهدون**) له (**أنه قد بَلَّغ**) وعند الترمذي فقال: وما علمكم؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه (**ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله**) تعالى أي معنى قوله: (**﴿كذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾**).

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾**) هكذا في النسخ التي بأيدينا ولم يذكر الحديث المناسب لها وهو عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال: أنزلت آية المتعة أي التمتع في كتاب الله تعالى ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل ما شاء وهو عمر وقيل: عثمان أي منع المتعة، والمناسب للحديث المذكور في قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ (**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كانت قريش ومن دان دينها**) وهم بنو صَعْصَعة وثَقِيف وخُزاعة فيما قاله الخطابي (**يقفون بالمزدلفة**) ولا يخرجون من الحرم إذا وقفوا ويقولون نحن أهل الله فلا نخرج من حرم الله (**وكانوا يسمون الحُمْس**) بضم الحاء المهملة وبعد الميم الساكنة سين مهملة جمع أحمس وهو الشديد الصَّلْب، وسموا بذلك لتصلبهم فيما كانوا عليه (**وكان سائر العرب**) أي باقيهم (**يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى نبيه ﷺ**) وفي نسخةٍ: إسقاط التصلية (**أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها**) بنصب الفعلين عطفاً على السابق، وفي روايةٍ فذلك قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا﴾ أي ارجعوا إلى مكة من حيث أفاض الناس أي من عرفة لا من مزدلفة، والمراد بالناس سائر العرب غير قريش ومن دان دينهم، وقيل: والمراد بهم إبراهيم وقيل: آدم عليهما الصلاة والسلام وقُرِىء ﴿الناس﴾ بالكسر أي الناسي يريد آدم عليه الصلاة والسلام من قوله تعالى: ﴿فنسي﴾ والمعنى أن الإضافة من عَرَفة شرع قديم فلا تغيروه.

قوله تعالى: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ١ ـ ٢] الآية.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللّٰهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذا النار». قوله عز وجل: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف واقرؤوا إن شئتم يعني قوله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قوله عز وجل: ﴿منه آيات محكمات﴾ [آل عمران: ٧] الآية.

---

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً﴾** [البقرة: ٢٠١]، **عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ يقول: اللهم آتِنا)** وفي نسخةٍ: ربنا آتنا **(في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النار)** قال ابن كثير: جمعت هذه الآية كلَّ خيرٍ في الدنيا وصرفت كل شرٍ فإن الحسنة في الدُّنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ورزقٍ عظيم واسع وعلم نافعٍ وعملٍ صالحٍ إلى غير ذلك، وأما الحسنة في الآخرةِ فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعَه منَ الأمنِ والفزعَ الأكبر في العرصات وتيسير الحساب وغير ذلك، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾)** [البقرة: ٢٧٣] نصب على المصدرية بفعل مُقدَّر أي يلحفون إلحافاً والجملة المقدرة حال من فاعل يسألون أو مفعول من أجله أي لا يسألون للإلحاف أو مصدر في موضع الحال أي لا يسألون ملحِفين والإلحاف والإلحاح بمعنى وهو المبالغة في المسئلة، ومقتضى الآية أنهم يسئلون غير ملحفين بناءً على الغالب من أن النفي إذا أدخل على كلام مقيد بقيدٍ يكون مصبه ذلك القيد، ويجوز أن يراد أنهم لا يسألون ولا يُلحِفون فيكون منصباً على المقيد والقيد كقولهم: فلان لا يُرجى خيره أي لا خير عنده البتة فيرجى. **(عن أبي هُريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ليس المسكين)** أي الكامل في المسكنة **(الذي تُردُّه التمرة والتمرتان ولا اللقمة ولا اللقمتان)** عند دورانه على الناس للسؤال لأنه قادِرٌ على تحصيل قوته وقد يأتيه الزيادة عليه فتزول حاجته ويسقط اسم المسكنة **(إنما المسكين الذي يتعفف)** عن المسئلة فيحسبه الجاهل غنياً **(إقرؤوا)** وفي نسخةٍ: وإقرؤوا بالواو **(يعني قوله تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾)** والقائل يعني هو شيخ البخاري سعيد بن أبي مريم المصري كما وقع عند الإسماعيلي.

**(قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات﴾)** [آل عمران: ٧]، قال بعضهم: المحكم ما

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو الذي

---

وضح معناه فيدخل في النص والظاهر، والمتشابه ما تردد فيه الاحتمالات فيدخل فيه المجمل والمؤول، وقال الزمخشري: محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمالات والاشتباه أي أحكمت في الإبانة فإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويل وقسَّم الراغب المتشابه إلى قسمين: أحدهما ما يرجع إلى ذاته، والثاني إلى أمر ما يعرض له والأول على ضروب ما يرجع إلى جهة اللفظ مفرداً إما لغرابته نحو ﴿وفاكهة وأبًّا﴾ [عبس: ٣١]، أو لمشاركته الغير نحو اليد والعين أو مركباً إما للاختصار نحو ﴿واسئل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] أو للاطناب نحو ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] أو لاغلاق اللفظ نحو ﴿فإن عُثِر على أنهما ٱستحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما﴾ [المائدة: ١٠٧] الآية وثانيهما ما يرجع إلى المعنى إما من جهة دقته كأوصاف الباري عزَّ وجلَّ وأوصاف القيامة وإما من جهة ترك الترتيب ظاهراً نحو ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ إلى قوله ﴿لعذبنا الذين كفروا﴾ [الفتح: ٢٥] وثالثهما ما يرجع إلى اللفظ والمعنى معاً وأقسامه بحسب تركيب بعض وجوه اللفظ مع بعض وجوه المعنى نحو غرابة اللفظ مع دقة المعنى ستة أنواع، لأن وجوه اللفظ ثلاثة ووجوه المعنى اثنان ومضروب الثلاثة في اثنين ستة، والقسم الثاني من المتشابه وهو ما يرجع إلى أمر ما يعرض له خمسة أنواع الأول من جهة الكمية كالعموم والخصوص، الثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب، الثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، الرابع من جهة المكان كالمواضع والأمور التي نزلت فيها نحو ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾[البقرة: ١٨٩] وقوله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٣٧] فإنه يحتاج في معرفته إلى معرفة عادتهم في الجاهلية الخامس من جهة الإضافة وهي الشروط التي بها يصح الفعل أو يفسد، كشروط العبادات والأنكِحَة والبيوع وقد يقَسَّم المتشابه والمحكم بحسب ذاتهما إلى أربعة أقسام: المحكم من جهة اللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات، الثاني متشابه من جهتهما معاً كقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ [الأنعام: ١٢٥] الآية، الثالث متشابه في اللفظ محكم في المعنى كقوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] الآية، الرابع متشابه في المعنى محكم في اللفظ نحو الساعة والملائكة وإنما كان فيه المتشابه لأنه باعث على تعلم علم الاستدلال لأن معرفة المتشابه متوقفة على معرفة علم الاستدلال فتكون حاملة على تعلمه فتتوجه الرغبات إليه ويتنافس فيه المحصلون فكان كالشيء النافق بخلافه إذا لم يوجد فيه المتشابه فلم يحتج إليه كل الاحتياج فيتعطل ويضيع ويكون كالشيء الكاسد، قاله الطيبي.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو**

أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ إلى قوله ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

قوله عزَّ وجل: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ٧٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اختصم إليه امرأتان كانتا تحرزان في بيت فخرجت إحداهما وقد أنفذ باشفاً في كفها فادعت على الأخرى فرفع أمرهما إلى ابن

---

**الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى قوله تعالى: ﴿وما يذَّكر إلا أولو الألباب﴾)** [آل عمران: ٧] أي قوله: ﴿هن أم الكتاب﴾ أي أصله بحيث تحمل المتشابهات عليها والعرب تُسمِّي كل جامع يكون مرجعاً أماً ﴿وأخر متشابهاتٌ فأما الذين في قلوبهم زيغٌ﴾ أي ميلٌ عن الاستقامة وهم أهل البدع ﴿فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة﴾ أي ليفتنوا الناس عن دينهم لتمكنهم من تحريف ذلك إلى مقاصدهم الفاسدة، كاحتجاج النصارى بأن القرآن نطق بأن عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله تعالى وكلمته وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ [الزخرف: ٥٩] ﴿وإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩] وهذا بخلاف المحكم فإنه لا نصيب لهم فيه لأنه رادع لهم وحجة عليهم ﴿وابتغاء تأويله﴾ على ما يشتهون ﴿وما يعلم تأويله﴾ الحق الذي يجب أن يُحمل عليه ﴿إلا الله﴾ تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ أي وأما الراسخون في العلم ﴿يقولون﴾ أي فيقولون ﴿آمنا به كلٌّ﴾ من المتشابه والمحكم ﴿من عند ربنا وما يذَّكَّر إلا أولو الألباب﴾ **(فقال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله)** بكسر تاء رأيت وكاف أولئك على خطاب عائشة، وروي بفتحهما على أنه لكل أحد **(فاحذروهم)** بصيغة الجمع وفي رواية فإحذرهم بالإفراد أي احذر أيها المخاطب الإصغاء إليهم وأوَّل ما ظهر ذلك من اليهود كما عند ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة وأن عددها بالجمل يقدر مدة هذه الأمة، ثم أول ما ظهر في الإسلام من الخوارج.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأَيمانهم ثمناً قليلاً﴾** [آل عمران: ٧٧]، **عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه اختصم إليه امرأتان)** لم يعرف الحافظ ابن حجر اسمهما **(كانتا تخرزان)** بفتح الفوقية وسكون المعجمة وبعد الراء المكسورة زاي معجمة من خرز الخف ونحوه يخرز بضم الراء وكسرها قال في المصباح: خرزت الجلد خرزاً من باب ضرب وقتل وهو كالخياطة في الثياب اهـ أي تخيطان الجلد **(في بيتٍ فخرجت إحداهما)** إي إحدى المرأتين من البيت، وفي نسخةٍ: فجُرحَت بجيم مضمومة

عباس فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «لو يُعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم» ذكِّروها بالله واقرؤوا عليها ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ٧٧] فذكَّروها فاعترفت فقال: ابن عباس: قال النبي ﷺ: «اليمين على المدعى عليه». قوله عز وجل: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية.

---

فراء مكسورة فحاء مهملة مبنياً للمفعول **(وقد أنفذ)** بضم المهملة وسكون النون وبعد الفاء المكسورة ذال معجمة والواو للحال وقد للتحقيق **(باشِفاً)** بكسر الهمزة وسكون الشين المعجمة وبالفاء منوناً، وروي بترك التنوين مقصوراً آلة الخرز للإسكان **(في كفها فادعت على الأخرى)** أنها أنفذت الأشفا في كفها **(فرفع)** بضم الراء مبنياً للمفعول أمرهما **(إلى ابن عباس)** رضي الله تعالى عنهما **(فقال: قال رسول الله ﷺ: لو يعطى الناس بدعواهم)** أي بمجرد إخبارهم عن لزوم حق لهم على آخرين عند حاكم **(لذهب دماء قوم وأموالهم)** ولا يتمكن المدعى عليه من صون دمه وماله، ووجه الملازمة في هذا القياس الشرطي أن الدعوى بمجردها إذا قُبلت فلا فرق فيها بين الدماء والأموال وغيرهما وبطلان اللازم ظاهر لأنه ظلم قال ابن عباس: **(ذكروها)** أي خوفوا المرأة الأخرى المدعى عليها من اليمين الفاجرة وما فيها من الاستخفاف بالله **(واقرؤوا عليها)** قوله تعالى: **(﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً﴾)** الآية والموعود عليه حرمان الثواب وقوع العقاب من خمسة أوجه وعدم الخلاق أي النصيب في الآخرة مشروط بعدم التوبة بالإجماع وعندنا بعدم العفو أيضاً لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ١١٦] وعدم الكلام عبارة عن شدة السخط نعوذ بالله تعالى منه فلا يُشكِل بقوله تعالى: ﴿لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢] وقيل لا يكلمهم كلاماً يسرهم ولعله أولى لأنه تخصيص وهو خير من المجاز، وعدم النظر مجاز عن عدم المبالاة والإهانة للغضب يقال فلان غير منظور لفلان أي غير ملتفت إليه، ومعنى عدم التزكية عدم التطهير من دنس المعاصي والآثام أو عدم الثناء عليهم والعذاب الأليم المؤلم، ومن الجملة الاسمية يستفاد دوامه قال بعض المحققين من المفسرين **(فذكَّروها)** بفتح الكاف والجملة ماضية وفي نسخةٍ فذكِّرها بالإفراد **(فاعترفت)** بأنها أنفذت الأشفا في كف صاحبتها **(فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: اليمين على المدعى عليه)** أي إذا لم يكن بينة لدفع ما ادُّعِيَ به عليه، وعند البيهقي بإسناد جَيِّد: «لو يُعطى الناس بدعواهم لادعى قومٌ دِماء قوم وأموالهم ولكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر» وقد يجعل اليمين في جانب المدعي في مواضع تستثنى لدليل كالقسامة كما وقع التصريح باستثنائها في حديث عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عند الدارقطني والبيهقي.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية عن ابن**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حَسْبُنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلوات الله عليه حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾ [آل عمران: ١٨٦] عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ركب على حمارٍ على قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود

---

**عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال)** في قوله تعالى: **(﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم)** الخليل صلوات الله وسلامه عليه **(حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا)** له عليه الصلاة والسلام **(إن الناس)** أبا سفيان وأصحابه وقيل عروة بن مسعود الثقفي، فيكون من قبيل العام الذي أُريد به الخصوص **(﴿قد جمعوا لكم﴾)** يقصدون غزوكم، وكان أبو سفيان نادى عند انصرافه منِ أُحُد: يا محم موعدنا موسم بدر القابل إن شئت، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن شاء الله تعالى»، فلما كان العام القابل خرج في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فأنزل الله تعالى الرعب في قلبه وبدا له أن يرجع فمرَّ به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة، فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبَّطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشراً من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم: إن أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريداً فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم **(﴿فاخشوهم﴾)** ولا تخرجوا إليهم **(﴿فزادهم﴾)** أي القول **(﴿إيماناً﴾)** فلم يلتفتوا إليهم ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وأخلصوا النية في الجهاد، وفي ذلك دليل على أن الإيمان يزيد وينقص **(﴿وقالوا حسبنا الله﴾)** عطف على فزادهم والجملة بعد هذا القول نصبت به وحسب بمعنى اسم الفاعل أي مُحسبُنَا بمعنى كافينا **(﴿ونعم الوكيل﴾)** أي الموكول إليه، والمخصوص بالمدح محذوف أي الله.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولتسمعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾)** يعني اليهود **(﴿ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾)** باللسان والفعل، من هجاء الرسول ﷺ والطعن في الدين وإغراء الكفرة على المسلمين، أخبره الله تعالى بذلك عند مَقْدَمِهِ المدينة قبل وقعة بدرٍ مسلياً له عما يناله من الأذى. **(عن أسامة بن زيد)** اسم جده حارثة الكلبي **(رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ركب على حمارٍ على قَطِيفَةٍ)** بفتح القاف وكسر الطاء المهملة كساء غليظ **(فَدَكِيَّة)** بفاء مهملة مفتوحتين صفتها، منسوبة إلى **فدك** بلد مشهور على مرحلتين من المدينة **(وأردف)** بالواو وفي نسخة **فأردف** بالفاء **(أسامة بن زيد وراءه)** حال

سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مرّ بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله ابن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغيروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجالسنا ارجع إلى رحلك فمن جاء فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فإنا نحب ذلك

---

كونه (**يعودُ سعد بن عُبادة**) بضم العين المهملة وتخفيف الموحدة الأنصاري أحد النقباء (**في**) منازل (**بني الحارث بن الخزرج**) وهو قوم سعد (**قبل وقعة بدر**) وفي نسخةٍ: وقيعة بكسر القاف بعدها تحتية ساكنة (**حتى مر بمجلسٍ فيه عبدا الله بن أُبي**) بالتنوين (**ابن سلول**) بألف ورفع ابن صفة لعبد الله لا صفة لأُبَي لأن سلول أم عبد الله غير منصرف (**وذلك قبل أن يسلم**) أي يُظهِر الإسلام (**عبد الله بن أبَيّ**) ولم يسلم قط (**فإذا في المجلس أخلاط**) بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة أنواع (**من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان**) بالجر بدل من سابقه (**واليهود والمسلمين**) بذكر المسلمين أولاً وآخراً أو سقطت الأخيرة من رواية مسلم (**وفي المجلس عبد الله بن رواحة**) بفتح الراء والواو المخففه والحاء المهملة ابن ثعلبة بن امرىء القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر، أحد السابقين شهد بدراً واستشهد بمؤتة وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمانٍ (**فلما غشيت المجلس عَجَاجة الدابة**) بفتح العين وجيمين مخففتين أي غُبارها وعجاجة رفع فاعل (**خَمَّرَ**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الميم أي غطى (**عبد الله بن أُبيّ أنفه**) وفي نسخة وجهه (**بردائه ثم قال: لا تُغبِّروا**) بالموحدة أي لا تثيروا الغبار (**علينا فسلَّم رسول الله ﷺ عليهم**) ناوياً المسلمين أو قال: السلام على من اتبع الهدى (**ثم وقف فنزل**) عن الدابة (**فدعاهم إلى الله**) تعالى (**وقرأ عليهم القرآن**) أي شيئاً منه (**فقال**) بالفاء وفي نسخةٍ: وقال بالواو (**عبد الله بن أُبيّ**) بالتنوين (**ابن سلول**) للنبي ﷺ (**أيها المرء إنه**) أي الشأن (**لا أحسن**) أي لا شيء أحسن (**مما تقول**) بفتح الهمزة والسين والنون أفعل تفضيل وهو اسم لا وخبرها شيء لمقدر، وفي نسخةٍ: لا أُحسن ما تقول بضم الهمزة وكسر السين وضم النون وما بميم واحدة أي لا أفهمه ولا أقبله (**إن كان حقاً**) شرط قدم جزاؤه على بعض الأقوال (**فلا تؤذِنا**) مجزوم وفي نسخةٍ فلا تؤذينا بالياء قبل النون (**به في مجلسنا**) بالإفراد وفي نسخةٍ: مجالسنا بالجمع (**أرجع إلى رحلك**) أي إلى منزلك (**فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله فاغشنا به**) بهمزة وصل وفتح الشين

فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك فذلك فَعَل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركون وأهل الكتاب كما أمرهم الله تعالى ويصبرون على الأذى، حتى أذن الله فيهم، فلما

---

المعجمة (**في مجالسنا فإنا نحبُّ ذلك فاستب**) بالتاء (**المسلمون والمشركون واليهود**) عطف اليهود على المشركين وإن كانوا كفاراً تنبيهاً على زيادة شرهم (**حتى كادوا يتثاورون**) بالمثلثة أي قاربوا أن يثور ويثب بعضهم على بعض فيقتتلوا (**فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم**) بالخاء والضاد المعجمتين أي يسكنهم (**حتى سكنوا**) بالنون من السكون (**ثم ركب ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ: يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حُبَاب؟**) بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحدة الأولى (**يريد عبد الله بن أُبي قال: كذا وكذا، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزّل**) بتشديد الزاي وفي نسخةٍ: أنزل بالهمزة (**عليك ولقد**) وفي نسخة لقد (**اصطلح أهل هذه البُحَيرة**) بضم الموحدة مصغراً أي البليدة والمراد المدينة النبوية وفي نسخةٍ: البَحْرة بفتح الموحدة وسكون المهملة (**على أن يتوجوه**) بتاج الملك (**فيعصبونه بالعصابة**) أي فيعممونه بعمامة الملوك، وقال في الكواكب: أي يجعلونه رئيساً لهم ويسيدونه عليهم، وكان الرئيس معصباً لما يعصب برأيه من الأمر وقيل كان الرؤساء يعصِّبُون رؤوسهم بعصابة فَيُعْرَفون بها، وفي بعض النسخ: يُعَصِّبُونه بغير فاء فيكون بدلاً من قوله: على أن يتوجوه، ثم إن النون ثابتة في فيعصبونه في أكثر النسخ محذوفة من قوله يتوجوه، قال في المصابيح: ففيه الجمع بين إعمال أن وإهمالها في كلامٍ واحد كما في قوله:

إن تقرآن على أسماء ويحكما ... مني السلام وأن لا تشعرا أحدا

وقد يقال لا حاجة إلى ذلك بل التقدير فهم يعصبونه أو فإذا هم يعصبونه (**فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِق**) بفتح الشين المعجمة وبعد الراء المكسورة قاف أي غصَّ ابن أبي (**بذلك**) الحق الذي أعطاك الله، وفي نسخةٍ: إسقاط لفظ الجلالة بعد أعطاك لدلالة الأولى (**فذلك الحق**) الذي أتيت به (**فعل به ما رأيت**) من فعله وقوله القبيح (**فعفا عنه رسول الله ﷺ، وان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما**

غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله به صناديد كفار قريش قال ابن أبي ابن سلول، ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد تَوَجَّه فبايعوا الرسول ﷺ على الإسلام فاسلموا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ [آل عمران: ١٨٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت هذه الآية فيهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل له لئن كان كل امرىءٍ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون

---

**أمرهم الله)** تعالى **(ويصبرون على الأذى)** قال الله تعالى: ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ [آل عمران: ١٨٦]، قال بعضهم: فكل من قام بحق أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد أن يؤذى، فما له دواء إلا الصبر في الله تعالى والاستعانة به والرجوع إليه **(حتى أذن الله)** تعالى له **(فيهم)** بالقتال فترك العفو عنهم أي بالنسبة للقتال وإلا فكم عفا عن كثير من اليهود والمشركين بالمنِّ والفِداء وغير ذلك **(فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً فقتل الله به)** على يده **(صناديد كفار قريش)** بالصاد المهملة أي ساداتهم **(قال ابن أُبي)** بالتنوين **(ابن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان)** عطفهم على المشركين من عطف الخاص على العام لأن إيمانهم كان أبعد وضلالتهم أشد **(هذا أمر قد تَوَجَّه)** أي ظهر وجهه **(فبايعوا)** بفتح التحتية بلفظ الماضي وقوله: **(رسول الله ﷺ على الإسلام فأسلموا)** مفعول ويحتمل أن يكون بكسر الياء بلفظ الأمر **(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا يحسبن الذين يفرحون بما أتوا)** أي بما فعلوا من التدليس، وقُرِىءَ ﴿تحسبن﴾ بالخطاب للنبي ﷺ، والمفعول الأول الذين يفرحون والثاني بمفازة. **(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو وتخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم)** مصدر ميمي أي بقعودهم **(خلاف رسول الله ﷺ فإذا قَدِمَ رسول الله ﷺ)** من غزوة إلى المدينة **(اعتذروا له)** أي عن تخلفهم **(وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية فيهم)** فالآية ليست عامة لأن كل أحدٍ يفرح بما يؤتى ويحب أن يحمد بما لم يفعل، بل هي في المنافقين وقيل في اليهود كما ذكره بقوله **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد قيل له)** أي قال له رافع بن خديج بأمر مروان بن الحكم وكان يومئذٍ أميراً على المدينة من قبل معاوية ثم وَلي الخلافة، وكان رافع بواباً له فقال له: اذهب إلى ابن عباس فقل له **(لئن كان كل امرىءٍ فرح بما أُتيَ)** بضم الهمزة وكسر الفوقية

فقال ابن عباس ما لكم ولهذه إنما دعى النبي ﷺ فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم. قوله تعالى: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ [النساء: ٣]. عن عائشة رضي الله عنها أنها سألها عروة عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى﴾ [النساء: ٣] فقالت: يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن

---

أي أعطى **(وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً)** نصب خبر كان **(لنعذبن أجمعون)** بالواو لأننا كلنا نفرح بما نُؤتي ونحب أن نُحمَد بما لم نفعل، وفي رواية أجمعين بالياء على الأصل **(فقال ابن عباس)** منكراً عليهم السؤال عن ذلك **(ما لكم)** بدون واو وفي نسخةٍ: وما لكم بالواو وكاف الخطاب، وفي أخرى وما لهم بالهاء بدل الكاف **(ولهذه)** أي وللسؤال عن هذه الآية **(إنما دعا النبي ﷺ)** أي إنما سببها أنه ﷺ دعا **(يهوداً)** بالتنوين وفي نسخةٍ: يهود بتركه **(فسألهم عن شيءٍ))**.قيل عن صفته عندهم بإيضاح وتفصيل **(فكتموه إياه وأخبره)** بالإفراد وفي نسخةٍ: فأخبروه بالجمع **(بغيره)** أي بصفته ﷺ في الجملة **(فأروه)** بفتح الهمزة والراء **(أن قد استحمدوا إليه)** بفتح الفوقية مبنياً للفاعل أي طلبوا أن يحمدهم، قال في الأساس: استحمد الله لخلقه بإحسانه إليهم وإنعامه عليهم **(بما)** أي بسبب ما **(أخبروه عنه)** على الإجمال **(فيما سألهم)** أي في جواب سؤاله لهم **(وفرحوا بما أوتوا)** بضم الهمزة وسكون الواو وضم التاء الفوقية أي أعطوا، وفي نسخةٍ: بما أتوا بفتح الهمزة والفوقية من غير واوٍ أي بما جاؤوا به **(من كتمانهم)** بكسر الكاف أي للعلم وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء الميثاق وإظهارِ الحق والإخبار بالصدق.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا﴾)** أي لا تعدلوا من أقسط، ولا نافية أي وإن خفتم عدم الإقساط أي العدل **(في اليتامى)** وقُرِىء: ﴿تَقسطوا﴾ بفتح التاء من قسط وهو بمعنى جار على المشهور في أن الرباعي بمعنى عدل والثلاثي جارَ وكأن الهمزة فيه للسلب فمعنى أقسط أزال القِسْطَ وهو الجور، ولا على هذا زائدة ليس إلا وإلا يفسُدُ المعنى كهي في لِئَلاً يعلم، وحكي الزجاج أن قَسَطَ الثلاثي يستعمل استعمال الرباعي وعلى هذا فتكون لا غير زائدة كهي في الأولى وجواب الشرط في ﴿وإن خفتم فانكحوا﴾ أو ﴿فواحدة﴾ **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سألها عُرْوَةُ)** بن الزبير **(عن)** معنى **(قول الله عز وجل وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فقالت)** عائشة له: **(يا ابن أختي)** أسماء وفي نسخة يا ابن أخي **(هذه اليتيمة)** التي مات أبوها **(تكون في حِجر وَلِيِّها)** بكسر الحاء أي تربيته ووَليها هو القائم بأمورها **(تشركه)** بفتح التاء والراء وفي نسخةٍ بضم ثم كسرٍ **(في ماله، ويعجبه مالها وجمالها فيريد وَلِيُّها أن يتزوجها بغير أن يقسط)** أي يعدلَ

يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فانزل الله عزّ وجلّ: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ [النساء: ١٢٧] قالت عاشة وقول الله عزّ وجلّ في آية أخرى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال قالت فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهنَّ إذا كنَّ قليلات المال والجمال قوله عزّ وجلّ: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ [النساء: ١١].

---

**(في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره)** هو معطوف على معمول بغير يعني يريد أن يتزوجها بغير أن يعطيها مثل ما يعطيها غيره أي ممن يرغب في نكاحها، ويدل على ذلك قوله **(فنهوا)** بضم النون والهاء **(عن أن ينكحوهُنَّ)** وفي نسخة عن ذلك أي عن ترك الإقساط **(إلا أن يقسطوا لهنَّ ويبلغوا بهنَّ)** بالموحدة وفي نسخةٍ: لهنَّ باللام **(أعلى سُنَّتهنَّ)** أي طريقتهن **(في الصداق)** وعادتهنَّ في ذلك **(فأمروا)** بالفاء **(أن ينكحوا ما طاب)** أي حل **(لهم من النساء سواهُنَّ)** أي سوى اليتامى من النساء واستعمل ما هنا في العاقل ذهاباً إلى الصفة كأنه قيل النوع الطيب من النساء أي الحلال أو المشتهي، وهذا أولى لأن النكاح المأمور به لا يكون إلا في الحلال فوجب الحمل على شيء آخر أو أجرى النساء لنقصان عقلهن مجرى غير العقلاء كقوله تعالى: ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾[النساء: ٣] **(قالت عائشة رضي الله تعالى عنها)** لابن الزبير **(وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ)** أي طلبوا منه الفُتيا في أمر النساء **(بعد)** نزول **(هذه الآية)** وهي **(وإن خفتم)** إلى قوله تعالى: ﴿ورباع﴾ **(فأنزل الله)** تعالى **(﴿ويستفتونك في النساء﴾ الآية)** وعند مسلم والنسائي فأنزل الله تعالى: ﴿يستفنونك في النساء قل الله يفتيكم فيهنَّ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كُتِبَ لهنَّ وترغبون أن تنكحوهن﴾ [النساء: ١٢٧] فذكر الله تعالى أنه يتلى عليكم في الكتاب الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ **(قالت عائشة وقول الله تعالى في آية أخرى ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾)** [النساء: ١٢٧] معناه **(رغبة أحدكم عن يتيمته)** بأن يردها **(حتى تكون)** أي اليتيمة **(قليلة المال والجمال قالت)** أي عائشة للفرق بين الرغبتين: **(فنهُوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله)** بفتح التحتية وفي نسخةٍ: بضمها وإسقاط عن وذلك يدل على زيادتها **(وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط)** أي العدل **(من أجل رغبتهم عنهن إذا كنَّ قليلات المال والجمال)** فينبغي أن يكون نكاح الفتية الجميلة ونكاح الفقيرة الذميمة على السواء في العدل.

عن جابر رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش علي فأفقت فقلت له: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله فنزلت ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ [النساء: ١١]. قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء: ٤٠]. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أتى ناسٌ النبي ﷺ فقالوا: يا رسول هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فذكر حديث الرؤية وقد تقدم بكماله، ثم قال:

---

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يوصيكم الله﴾)** أي يأمركم ويفرض لكم **(في)** شأن ميراث **(أولادكم)** بالعدل فإنَّ أهل الجاهلية كانوا يجعلون جميع الميراث للذكور دون الإناث فأمر الله تعالى بالتسوية بينهم في أصل الميراث وفاوت بين الصنفين، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وذلك لاحتياج الرجل إلى مؤنة النفقة والكِلفة، واستنبط بعضهم من الآية أن الله تعالى أرحم بخلقه من الوالد لولده حتى وصى الوالدين بأولادهم. **(عن جابر)** هو ابن عبد الله الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** وعن أبيه أنه **(قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر)** الصدِّيق رضي الله تعالى عنه من مرض **(في بني سَلِمة)** بكسر اللام قوم جابر بطن من الخزرج حال كونهما **(ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل)** أي لا أفهم أي شيئاً، كما في بعض الروايات من شدة المرض **(فدعا بماءٍ فتوضأ منه ثم رشَّ علي)** أي نَفْسُ الماء الذي توضأ به **(فافقت)** من الإغماء **(فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله)** وفي روايةِ شعبة عن محمد بن المنكدر عند البخاري في الطهارة، فقلت؟ يا رسول الله لمن الميراث إنما يرثني كلالة؟ **(فنزلت ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾)** كذا لابن جُريج، واعتُرض بأن الذي نزل في جابر ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ [النساء: ١٧٦] كما رواه شعبة والثوري عن ابن المنكدر ويؤيده ما في بعض طرقه من قول جابر إنما يرثني كلالة، والكلالة من لا ولد له ولا والد، ولم يكن لجابر حينئذٍ والد ولا ولد، وتفسير الكلالة بالمال المورَّث أو الميت أو الإرث غير مناسب هنا كما لا يخفى، وأما ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إنما نزلت في قصة بنتي سعد بن الربيع قبل قصة جابر لأن سعداً قُتِل يوم أحدٍ خلَّف ابنتين وأمهما وأخاه فأخذ المال الأخ فنزلت. قال بعضهم ولا مانع أنَ تنزل في الأمرين معاً ولا يخفى ما فيه من البعد.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الله لا يظلم مثقال﴾)** أي لا ينقص من ثواب عملكم زنة **(ذرة)** وهي في الأصل أصغر النمل التي لا وزن لها وقيل ما يرفعه الريح من التراب، وقيل: كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة ويقال زنتها ربع ورقة نخالة، وورقة النخالة زنة ربع خردلة، وزنة الخردلة ربع سمسمة، ويقال لا وزن لها **(الآية عن أبي سعيد)** سعد بن مالك **(الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أتى ناسٌ)** وفي نسخةٍ: أناس بضم الهمزة **(النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله هل ترى ربَّنا يوم القيامة؟ فذكر حديث الرؤية وقد تقدم**

«إذا كان يوم القيامة أذن مؤذِّن تتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبَّرَات أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولدٍ فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما

---

**بكماله)** وهو أنه ﷺ قال: «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب» قالوا: لا قال: «وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيه سحاب؟» قالوا: لا قال النبي ﷺ: «ما تضارون في رؤية الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما». **(ثم قال)** عليه الصلاة والسلام: **(إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّنٌ)** أي نادى منادٍ **(يَتْبَع)** بسكون المثناة الفوقية وفي نسخة بتشديدها، وفي أخرى فتتبع بزيادة فاءٍ مع سكون الفوقية والرفع في كلها، ويجوز الجزم بتقدير اللام **(كل أمةٍ ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله تعالى من الأصنام)** جمع صنم ما عبد من دون الله تعالى **(والأنصاب)** جمع نُصُب حجارة كانت تعبد من دون الله، وقال في المصباح: والنُصُب بضمتين حجر نُصِب وعُبِد من دون الله تعالى وجمعه أنصاب اهـ **(إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله برٌّ)** هو مطيع لربه قال في القاموس: وبر الرجل يُبرُّ بَرّاً وِزان عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمَاً فهو برَّ وبارٌّ أيضاً صادق أو تقي، وهو خلاف الفاجر وجمع الأول أبرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة **(أو فاجر)** منهمك في المعاصي والفجور **(وغُبَّرَات أهل الكتاب)** بضم الغين المعجمة وتشديد الموحدة المفتوحة بعدها راء بالرفع والجرِّ مع الإضافة فيهما أو بالجر منوناً أي بقايا أهل الكتاب يقال: غَبَرَ غُبُوراً من باب قعد بقي **(فيدعي اليهود فيقال لهم: ما)** وفي نسخةٍ: من **(كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيراً ابن الله فيقال لهم كذبتم)** في كونه ابن الله ويلزم منه تقي عبادة غير الله **(ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟)** أي تطلبون **(فقالوا: عطشنا ربنا بإسقاط أداة النداء (فاسقنا فيشار))** إليهم **(ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب)** بالسين المهملة، هو الذي تراه في نصف النهار في الأرض القفراء والقاع المستوي في الحرِّ الشديد لا معاً مثل الماء يحسبه الظمآن ماءً **(يحطِم)** بكسر الطاء أي بكسر يقال: حَطِم الشيء حطماً من باب تعب[1] فهو حطم إذا تكسر **(بعضها بعضاً)** لشدة أتقادها وتلاطم أمواج لهبها **(فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصاري فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله**

---

(١) صوابه ضرب اهـ مصححه.

اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التبي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول: أنا ربكم فيقولون لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً. قوله عزّ وجلّ: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ [النساء: ٤١].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي» قلت اقرأ عليك وعليك أنزل؟ «فأني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة

---

**فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبةٍ ولا ولد فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول)** أي فقالوا: عطشنا ربنا إلى آخره **(حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجر أتاهم رب العالمين)** أي ظهر لهم وأشهدهم رؤيته من غير تكيُفٍ ولا حركةٍ وانتقال **(في أدنى صورة)** أي أقرب صفة **(من التي رأوه)** أي عرفوه **(فيها)** بأنه لا يشبه شيئاً من المحدثات **(فيقال)** وفي نسخةٍ: فقال: **(ماذا تنظرون؟ تتبع كل أمةٍ ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس)** الذين زاغوا عن الطاعة **(في الدنيا على أفقر)** أي أحوج **(ما كنا إليهم)** في معاشنا ومصالح دنيانا **(ولم نصاحبهم)** بل قاطعناهم **(ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد)** في الدنيا **(فيقول: أنا ربكم فيقولون:)** زاد مسلم في روايته نعوذ بالله منك **(لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً)** وإنما قولوا ذلك لأنه سبحانه وتعالى تجلى لهم بصفةٍ لم يعرفوها، وقال الخطابي: قيل إنما حجبهم عن تحقيق الرؤية في هذه الكرة من أجل من معهم من المنافقين الذين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فإذا تميزوا عنهم رفعت الحُجُب فيقولون عند ما يرونه: أنت ربنا.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ شهيد﴾)** استفهام توبيخ أي فكيف حال هؤلاء الكفار أو صنيعهم إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ نبيهم يشهد على كفرهم كقوله تعالى: ﴿وكنت عليهم شهيداً﴾ [المائدة: ١١٧] فكيف في موضع رفع خبرٍ مبتدأ محذوف والعامل في إذا هو هذا المقدر، أو في محل نصب بفعل محذوف أي فكيف يكونون أو يصنعون ويجري فيها الوجهان النصب على التشبيه بالحال كما هو مذهب سيبويه، أو على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الأخفش وهو العامل في إذا أيضاً و﴿من كل أمةٍ﴾ متعلق بجئنا والمعنى أنه يؤتى بنبي كلِّ أمةٍ يشهد عليها ولها **(عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال لي النبي ﷺ: اقرأ عليَّ)** زاد في روايةِ القرآن وهو يصدق بالبعض **(قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟، قال: فإني أحبُ أن أسمعه من غيري)** قال ابن بطال يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، أو

النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان، قوله عزّ وجلّ: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النساء: ٩٧].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا من المشركين يكثرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيُرْمى به فيصيب أحدهم فيقتله فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النساء:

---

ليتدبره ويفهمه وذلك أن المستَمِع أقوى على التدبر ونفسه أدنى وأنشط لذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته عليه الصلاة السلام على أُبي بن كعب فإنه أراد أن يعلمه كيف أداء القراءة ومخارج الحروف **(فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾)** [النساء: ٤١] أي تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لحصول علمك بعقائدهم لدلالة كتابك وشرعك على قواعدهم **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أمسِك)** وفي روايةٍ: كفَّ أو أمسِك على الشك **(فإذا عيناه تذرفان)** بالذال المعجمة وكسر الراء خبر المبتدأ وهو عيناه وإذا للمفاجأة أي يطلقان دمعهما، قال في المصباح: ذرفت العين ذرفاً من باب ضَرَب دمعت وذرف الدمع سال وذرفت العين الدمع اهـ وبكاؤه عليه الصلاة والسلام على المفرطين، أو لعظم ما تضمنته الآية من هول المطلع وشدة الأمر، أو هو بكاء فرحٍ لا بكاء جزع لأنه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الأمم كما قال الشاعر:

طفح السرور عليَّ حتى أنه ... من عظم ما قد سرني أبكاني

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾)** أي ملك الموت وأعوانه عليهم الصلاة والسلام، وهم ستة ثلاثة لقبض أرواح المؤمنين وثلاثة للكفار، أو المراد ملك الموت وحده عليه الصلاة والسلام وذكر بلفظ الجمع للتعظيم والفعل إما ماضٍ وذكر لإسناده إلى الجمع أو مستقبل وأصله تتوفاهم فخذفت منه إحدى التاءين وهو حينئذٍ من باب حكاية الحال الماضية **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من المسلمين)** منهم عمرو بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمعة وأبو قيس ابن الفاكه وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة بن ربيعة والعلاء بن أمية بن خلف **(كانوا مع المشركين يكثِّرون سوادهم على عهد رسول الله ﷺ)** وفي نسخةٍ: على رسول الله ﷺ وفي روايةٍ إنهم خرجوا إلى بدرٍ فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك وقالوا: غرَّ هؤلاء دينهم فقُتِلوا ببدر **(يأتي السهم يُرمى)** وفي نسخة فيرمى **(به)** وفي أخرى يُدمى بالدال بدل الراء **(فيصيب أحدهم)** نصب على المفعولية **(فيقتله فأنزل الله تعالى: إن الذين توفاهم الملائكة)** بقبضِ أرواحهم حال كونهم **(ظالمي أنفسهم)** بخروجهم مع

٩٧]. قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾ إلى قوله: ﴿ويونس وهارون وسليمان﴾ [النساء: ١٦٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب».

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧].

---

المشركين وتكثير سوادهم حتى قُتِلوا معهم، وعند الطبراني عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يخفون الإسلام فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم، فقال المسلمون: هؤلاء كانوا مسلمين فأُكرِهوا فاستغفروا لهم، فنزلت فكتبوا بها إلى من بقي من المسلمين وإنه لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون ففتنوهم فرجعوا فنزلت ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ [البقرة: ٨ ـ العنكبوت: ١٠] الآية فكتب إليهم بذلك فخرجوا فلحقوهم فنجا من نجا وقُتِل من قتل. وعن سمرة قال: رسول الله ﷺ: «من جاء مع المشرك أو سكن معه فإنه مثله»، ويؤخذ من الآية أن من أكثر سواد أهل الضَّلال من المسلمين فهو مذموم وإن كان لا يريد موافقتهم لأنهم لا يقاتلون في سبيل الله.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّا أوحينا إليك كما أوحينا﴾)** نصب بمصدر محذوف أي إيحاء مثل إيحائنا أو على أنه حال من ذلك المصدر المحذوف وما يحتمل المصدرية والموصولية **(إلى نوح قوله يونس وهارون وسليمان)** أي لك أسوة بالأنبياء السابقين فتأسَّ بهم لأن شأن وحيك كشأن وحيهم، وبدأ بنوح عليه الصلاة والسلام لأنه أولى نبي قاسى الشدة من الأمة وعطف عليه النبيين من بعده، وخص منهم إبراهيم إلى داود عليهما الصلاة والسلام تشريفاً لهم، وترك ذكر موسى معهم لكونه أبرزه بعد على وجه يدل على مزيد شرفه وهو تخصيصه بالتكليم **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من قال: أنا خير)** يعني نفسه أو النبي ﷺ **(من يونس بن متى)** بفتح الميم والمثناة الفوقية المشددة مقصوراً اسم أبيه وقيل اسم أمه **(فقد كذب)** وفي روايةٍ: «ما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى»، أي ليس لأحدٍ أن يُفَضِّل نفسه على يونس أو ليس لأحد أن يفضلني عليه وهذا منه ﷺ على طريق التواضع فلا يعارض بحديث أنا سيد ولد آدم الصادر منه ﷺ على طريق التحدث بالنعمة والإعلام للأمة برفيع منزلته ليعتقدوه، أو قال: بالأول قبل أن يعلم الثاني أو قاله زجراً عن توهم حط مرتبة يونس لقوله تعالى: ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ [القلم: ٤٨]، فقاله سداً للذريعة وهذا هو السبب في تخصيص يونس بالذكر من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل﴾)** أي جميع ما أُنزل **(﴿إليك من**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزِل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]. قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ [المائدة: ٨٧].

---

**ربك﴾**) إلى كافة الناس مجاهراً به غير مراقب أحداً ولا خائف مكروهاً (**الآية**) قال مجاهد: فيما رواه ابن أبي حاتم لما نزلت ﴿يا أيها الرسول بَلِّغ ما أُنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، قال: «يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليَّ» فنزلت ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة: ٦٧]، لا يقال: إن فيه إتحاد الشرط والجزاء لأن التقدير إن لم تُبَلِّغ فما بلغت لأنا نقول: إن معناه وإن لم تبلغ كل ما أنزل إليك بأن أهملت منه شيئاً تكون في حكم من لم يبلغ شيئاً مما أَنزل الله لأن ترك إبلاغ البعض محبِط للباقي إذ ليس بعضه أولى من بعض، وقال ابن الحاجب: الشرط والجزاء إذا اتحدا كان المراد بالجزاء المبالغة فوضع قوله فما بلغت رسالته موضع أمر عظيم، أي فإن لم تفعل فقد ارتكبت أمراً عظيماً، وقيل يكفي التغاير لفظاً وإن اتحدا معنىً وقدر المضاف وهو قوله جميع ما أنزل لأنه صلوات الله وسلامه عليه كان مبلغاً، فعلى هذا فائدة الأمر المبالغة والكمال يعني ربما آتاك الوحي بما تكره أن تبلغه خوفاً من قومك فبلغ الكلَّ ولا تخف وإن لم تبلغ الكل تكون في حكم من لم يبلغ شيئاً، خلافاً للشيعة القائلين: إنه قد كتم شيئاً على سبيل التقية، وعن بعض الصوفية ما يتعلق به مصالح العباد وأمر بإطلاعهم عليه فهو منزه عن كتمانه وأما ما خصَّ به من الغيب ولم يتعلق به مصالح أمته فله بل عليه كتمانه. (**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: من حدَّثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أُنزِل**) بضم الهمزة مبنياً للمفعول، وفي نسخةٍ: **مما** أنزل الله (**عليه فقد كذب و**) كيف يكتم والحال إن (**الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ الآية**) وفي الصحيحين عنها أنها قالت: «لو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى النَّاس والله أحقُّ أن تخشاه﴾ وقد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل في خطبته يوم حَجَّة الوداع وقد كان هناك من أصحابه نحو أربعين ألفاً كما ثبت في حديث مسلم.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم﴾**) [المائدة: ٨٧] أي ما طاب ولذ منه، وقد كان ﷺ يأكل الدجاج ويحب الحلوى والعسل، وحكيَّ عن الحسن أنه قال لبعض الأولياء لما منع نفسه أكل الدجاج والفالوذج: «أترى لعاب النحل بلباب البرِّ بخالص السمن يعيبه مسلم»؟ ولما نقل له عن بعضهم أنه لا يأكل الفالوذج ويقول: لا أؤدي شكره قال: أيشرب الماء البارد؟ قيل: نعم قال: إنه جاهل إن نعمة الله فيه أكثر من الفالوذج اهـ نعم من ترك لذات الدنيا وشهواتها وانقطع إلى الله تعالى متفرغاً لعبادته من

عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا ألا نختصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ [المائدة: ٨٧].

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾ [المائدة: ٩٠].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا

---

غير ضرر نفسٍ ولا تفويت حقٍّ كان فعله لذلك فضيلة لا منع منها بل هي مأمور بها **(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال كنَّا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء فقلنا: ألا نختصي)** بالخاء المعجمة والصاد المهملة أي ألا نستدعي من يفعل بنا الخصاء، أن نعالج ذلك بأنفسنا والخصاء: الشق على الأنثيين وانتزاعهما **(فنهانا عن ذلك)** تحريم لما فيه من تغيير خلق الله تعالى وقطع النسل وكفر النعمة لأن خلق الشخص رجلاً من النعمة العظيمة وقد يفضي ذلك بفاعله إلى الهلاك **(فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب)** أي إلى أجل وهو نكاح المتعة وليس قوله بالثوب قيداً فيجوز بغيره مما يتراضيان عليه **(ثم قرأ)** ابن مسعود رضي الله تعالى عنه **(﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾)** قال النووي في استشهاد ابن مسعود بالآية: إنه كان يعتقد إباحة المتعة كابن عباس ولعله لم يكن حينئذٍ بلغه الناسخ، ثم بلغه فرجع بعد.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام﴾ [المائدة: ٩٠] الآية)** والخمر ما خامر العقل أي ستره وغطاه سواء كان من عِنَبٍ أو تمر أو غيرها، والميسر قمار العرب بالأقلام، والأنصاب الأصنام المنصوبة للعبادة وقيل حجارة كانوا ينصبونها ويذبحون عندها فتنصب عليها دماء الذبائح، والأزلام القِداح أي السهام جمع زَلَم بفتحتين وكانت سبعة مستوية موضوعة في جوف الكعبة عند هُبَل أعظم أصنامهم مكتوب على واحد منها أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى آخر واحد منكم وعلى الآخر من غيركم وعلى آخر ملصق وعلى آخر العقل والسابع غُفْل أي ليس عليه شيء، وكانوا يستقسمون أي يطلبون بها بيان قسمهم من الأمر الذي يريدونه كسفرٍ أو نكاح أو تجارةٍ أو ما اختلفوا فيه من نسبٍ أو أمر قتيل أو حمل عُقْلٍ وهو الدية أو غير ذلك من الأمور العظيمة، فإن أجالوها أي أداروها على نسبٍ وخرج منكم كان وسطاً فيهم وإن خرج من غيركم كان حليفاً فيهم وإن خرج ملصقاً كان على حاله، وإن اختلفوا في العَقْل فمن خرج عليه قدحه يحمله وإن خرج الغُفْل الذي لا علامة عليه أجالوا ثانياً حتى يخرج المكتوب عليه، وقد نهاهم الله تعالى عن ذلك وحرَّمه وسماه فِسقاً **(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما كان لنا خمر غير فضيخكم)** بفتح الفاء وكسر الضاد وبالخاء المعجمتين شرابٌ يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار والفضخ الكسر لأن البُسر

الذي تسمونه الفضيخ فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلاناً وفلاناً إذ جاء رجلٌ فقال: وهل بلغكم الخبر فقالوا: وما ذاك قال: حرمت الخمر قالوا: أهرق هذه القلال يا أنس قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل. قوله عزّ وجلّ: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ [المائدة: ١٠١].

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين، فقال: رجلٌ مَن أبي؟ قال: فلان فنزلت هذه الآية.

---

يشدخ أي يكسر ويترك في وعاء حتى يغلي **(هذا الذي تسمونه الفضيخ)** والحصر المذكور لعله بالنسبة لما كان عند أنسٍ أو لما أطلع عليهٔ فلا ينافي أنه كان بالمدينة خمرُ من غير الفضيخ كما في حديث ابن عمر وغيره **(فإني لقائم أسقي أبا طلحة)** زيد بن سهل زوج أم أنس **(وفلاناً وفلاناً)** وقع من تسمية من كان مع أبي طلحة عند مسلم أبو دجانة وسهيل بن بيضاء وأبو عبيدة وأُبيُّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو أيوب **(إذ جاء رجُلٌ)** لم يسم **(فقال: وهل بلغكم الخبر؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر)** أي حرَّمها الله تعالى على لسان رسوله ﷺ **(قالوا: أهرِق)** بهمزة مفتوحة فهاء ساكنة فراء مكسورة أمر من هراق والجمع بين الهاء والهمزة مع أن الهاء بدل من الهمزة جائز كما في الصحاح وغيره وصرح به سيبويه وفي نسخةٍ هَرِق بفتح الهاء وكسر الراء من غير همزٍ وفي أخرى أرق بهمزة مفتوحة فراء مكسورة من غير هاء **(هذه القِلال يا أنس)** بكسر القاف أي الجرار التي لا يُقِلُّ أحدها إلا القوي من الرجال **(قال)** أي أنس **(فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل)** ففيه قبول خبر الواحد.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا تسألوا﴾)** الرسول **(﴿عن أشياء إن تُبدَلكم﴾)** أي تظهر لكم **(﴿تسؤكم﴾)** ومعنى ﴿حين نزل القرآن﴾ ما دام النبي ﷺ في الحياة فإنه قد يؤمر بسبب سؤالكم بتكاليف تسؤكم وتتعرضوا لشديد العقاب بالتقصير في أدائها **(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خطب النبي ﷺ خُطبة ما سمعت مثلها قط)** وعند مسلمٍ: قد بلغه عن أصحابه شيء فخطب بسبب ذلك **(فقال: لو تعلمون ما أعلم)** من عظمةً الله تعالى وشدة عقابه لأهل الجرائم وأهوال القيامة **(لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم)** حال كونهم **(لهم حَنِين)** بفتح الحاء وكسر النون أي صوت مرتفع بالبكاء من الصدر وهو دون الانتحاب، وفي نسخةٍ: خَنِين بالخاء المعجمة وهو صوت مرتفع من الأنف بالبكاء مع غنة **(فقال رجل)** هو عبد الله بن حذافة أو قيس بن حذافة أو خارجة بن حذافة وكان يطعن في نسبه: **(من أبي؟ قال)** عليه الصلاة والسلام:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان ناس يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل مَن أبي ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ [المائدة: ١٠١] حتى فرغ من الآية كلها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ [الأنعام: ٦٥].

عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك»

---

**(فلان)** أي حذافة **(فنزلت هذه الآية)** ﴿لا تسألوا عن أشياء﴾ الآية. وعند ابن جرير عن أنسٍ أن النبي ﷺ سألوه حتى أحْفَوْهُ بالمسألة فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فأشفق الصحابة أن يكون بين يدي أمرٍ قد حضر، قال: فجعلت لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت كلاً لافاً رأسه في ثوبه يبكي فأنشأ رجل كان يُلاحى فَيُدعى لغير أبيه فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: أبوك حذافة، ثم قام عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً عائذاً بالله من شر الفتن الحديث. **(عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما)** أنه **(قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً فيقول الرجل)** له عليه الصلاة والسلام: **(من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها)** وقيل نزلت في شأن الحج فعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه لما نزلت ﴿ولله على الناس حِجُّ البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] قالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عام؟ فسكتَ فقالوا: يا رسول الله أفي كلِّ عام؟ قال: «لا ولو قلتُ نعم لوجبت» فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عَن أشياء إن تُبدَلكم تسؤكم﴾ رواه الترمذي وقال: حديث غريب.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾)** [الأنعام: ٦٥] كما فَعَل بقوم نوحٍ ولوطٍ وأصحاب الفيل **(الآية)** أي ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كما أغرق فرعون وخسف بقارون، وعند ابن مردويه من حديث أُبَيّ بن كعب ﴿عذاباً من فوقكم﴾ قال: الرجم ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ الخسف وقيل ﴿من فوقكم﴾ أكابركم وحكامكم ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ سفلتكم وعبيدكم، وقيل المراد بالفوق حبس المطر وبالتحت منع الثمرات. **(عن جابر)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك)** أي بذاتك زاد الإسماعيلي: الكريم ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال عليه الصلاة والسلام: **(أعوذ بوجهك)** زاد الإسماعيلي: الكريم أيضاً **(﴿أو يلبسكم﴾)**

﴿أو من تحت أرجلكم﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر قوله عزّ وجلّ: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠].

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سئل أفي ص سجدة؟ فقال: نعم ثم

---

يخلطكم في ملاحم القتال حال كونكم (**شيعاً**) أي فِرَقاً أي لا لتكونون شيعةً واحدةً يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق (**ويذيق بعضكم بأس بعض**) أي قاتل بعضكم بعضاً، وقال مجاهد: يعني أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف، وقال بعضهم هو ما فيه الناس الآن من الاختلاف والأهواء وسفك الدماء (**قال رسول الله ﷺ هذا أهون**) لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهون من عذاب الله تعالى فابتليت هذه الأمة بالفتن ليكفَّر بها عنهم (**أو**) قال: (**هذا أيسر**) شكٌ من الراوي وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «دعوت الله أن يرفع عن أمتي أربعاً فرفع عنهم اثنتين وأبى أن يرفع عنهم اثنتين، دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض وأن لا يلبسهم شيعاً وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع عنهم الخسف والرجم وأبى أن يرفع عنهم الأخيرين». فيستفاد منه أنَّ الخسف والرجم لا يقعان في هذه الأمة، لكن روى أحمد من حديث أبي بن كعب في هذه الآية قال: «هنَّ أربع وكلهن واقع لا محالة فمضت اثنتان بعد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة أُلبسوا شِيَعاً وذاق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم». وعنده أيضاً بإسناد صحيح «لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل» الحديث ذكره في فتح الباري، وعند ابن أبي خيثمة رفعه من حديث ربيعة الجرشي يكون في أمتي الخسف والقذف والمسخ فحديث ابن مردويه مخالفٌ لذلك ولحديث جابر المذكور ويمكن الجمع بينهما بأنَّ حديث جابر وغيره مُقَيَّد بزمان وجود الصحابة وبعد ذلك يجوز وقوع ذلك وبأن الذي لا يقع لهذه الأمة هو الخسف العام والرجم العام، أما الخاص فيقع.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أولئك﴾**) أي الأنبياء المذكورون (**﴿الذين هدى الله فبهداهم أقتده﴾**) الهاء للسكت فلا تثبت إلا في الوقف ومن أثبتها في الوصل أجرى الوصل مجرى الوقف، وأشبعها بعضهم على أنها ضمير المصدر أي اقتد اقتداءً، ويستفاد من الآية أن نبينا ﷺ أفضل من سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن الله تعالى أمره بالاقتداء بهداهم ولا بد من امتثاله لذلك الأمر، فوجب أن يجتمع فيه جميع خصالهم وأخلاقهم المتفرقة والمراد الاقتداء بهم في مكارم الأخلاق والصفات الحميدة المشهورة عن كلِّ واحد منهم، وكذا في أصول أديانهم دون فروعها وإلا لم يكن ديناً ناسخاً وكان يجب حفظ كتبهم ومراجعتها عند الحاجة واللازم باطل. (**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه**

تلا: ﴿ووهبنا له﴾ [الأنعام: ٩٠] إلى قوله ﴿فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٨٤] ثم قال: نبيكم ﷺ ممن أُمِر أن يقتدى بهم. قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام: ١٥١].

عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا أحد أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه. قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ [الأعراف: ١٩٩].

عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق

---

**سُئِل أفي)** سورة **(ص سجدة؟ قال: نعم)** وهي سجدة تلاوة عند أبي حنيفة وشكر عند الشافعي فتسنُّ في غير الصلاة **(ثم تلا)** أي قرأ **(﴿ووهبنا له﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فبهداهم أقتده﴾ ثم قال)** أي ابن عباس: **(نبيكم ﷺ ممن أُمِر أن يَقتدي بهم)** أي وقد سجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ اقتداءً به، واستدل بهذا على أنَّ شرعَ من قبلنا شرعٌ لنا وهي مسألة مشهورة في الأصول.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تقربوا الفواحش﴾)** الكبائر أو الزنا **(ما ظهر منها وما بطن)** في محل نصب بدل اشتمال من الفواحش أي لا تقربوا ظاهرها وباطنها وهو الزنا سراً وجهراً، أو عمل الجوارح وعمل القلب وهو النية أو عموم الآثام. **(عن عبد الله)** أي ابن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لا أحد أغير من الله)** برفع أغير خبر لا العاملة عمر أنَّ أفعل تفضيل من الغيرة بفتح الغين وهي الأنفة والحمية في حق المخلوق وفي حق الخالق غضبه ومنعه أن يأتي المؤمن ما حرمه عليه **(ولذلك)** أي ولأجل غيرته **(حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله)** بالرفع والنصب في أحب، وهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول والمدح فاعله، أي أن المدح أي الثناء بالصفات الجميلة على الممدوح محبوب لله تعالى أكثر من غيره بمعنى أنه يحب أن يمدح **(ولذلك)** أي لشدة محبته لمدح غيره له **(مدح نفسه)** أي أثنى عليها في كتابه بالصفات الجميلة كقوله تعالى: ﴿إن الله غفور حليم﴾ ﴿سميع عليم﴾ إلى غير ذلك ويؤخذ من ذلك جواز قولك مدحت الله تعالى، قال بعضهم: وليس صريحاً لاحتمال أن يكون المعنى أن الله يحب أن يمدح غيره ترغيباً للعبد في الازدياد مما يقتضي المدح، قال في المصابيح: والظاهر الجواز وحبه تعالى لمدح غيره له معناه أنه يثبت عليه لينتفع المكلف لا لينتفع بالمدح تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿خذ العفو﴾)** أي الفضل وما أتى به من غير كلفة **(﴿وأمر بالعُرْف﴾)** أي المعروف وهو المستحسن من الأفعال **(الآية)** أي وأعرض عن الجاهلين كأبي جهل وأصحابه، وكان هذا قبل الأمر بالجهاد. **(عن ابن الزبير)** عبد الله **(رضي الله**

الناس. قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [الأنفال: ٣٩].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قيل له: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك. قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾ [التوبة: ١٠٢].

---

**تعالى عنهما)** أنه **(قال: أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يأخذ العفو)** أي يتلبس بالسهل **(من أخلاق الناس)** بأن يتساهل ولا يطلب ما شق عليهم مأخوذ من العفو الذي هو ضد الجهل، وقال سعد بن أبي عُروة عن قتادة خذ العفو الخ هذه أخلاق أمر الله تعالى بها نبيه ﷺ ودله عليها، فأمره أن يأخذ الفضل من أخلاقهم بسهولة من غير تشديد ويدخل فيه ترك التشديد فيما يتعلق بالحقوق المالية، وكان هذا قبل وجوب الزكاة، وروى ابن جرير وغيره أنه لما نزل: خذ العفو الآية قال رسول الله ﷺ: «ما هذا يا جبريل؟» قال: «إن الله تعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك» أي لأن وصل القاطع عفوٌ عنه وإعطاء من حرم أو بالمعروف والعفو عن الظالم إعراض عن الجاهل، فالآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الناس، ولذا قال جعفر الصادق: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها»، قال بعض الكبراء: الناس رجلان محسن فخذ ما عفا لك من إحسانه ولا تكلفه فوق طاقته، ومسيء فمره بالمعروف فإن تمادى على ضلاله واستعصى عليك واستمر في جهله فأعرض عنه فلعل ذلك يرده كما قال تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾)** أي إلى أن لا يوجد فيهم شِرك قط أو إلى أن لا يفتنوكم في دينكم. **(عن ابن عمر)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنهما أنه قيل له)** لما امتنع من القتال في الحروب الواقعة بين المسلمين كصفين والجمل ومحاصرة ابن الزبير: **(كيف ترى في قتال الفتنة)** المذكور في قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ [الأنفال: ٣٩] أي فما يمنعك من القتال مع أن الله تعالى أمر به في تلك الآية **(قال)** أي ابن عمر رداً عليهم **(وهل تدرون ما الفتنة)** التى أمر الله تعالى بالقتال حتى تذهب؟ **(كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة)** لأن الإسلام كان قليلاً فكان الرجل يُفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوثقوه، فلما كثر الإسلام لم تكن فتنة **(وليس)** القتال معه **(بقتالكم)** وفي نسخةٍ: كقتالكم **(على المُلْكِ)** بضم الميم بل كان قتالاً لإعلاء الدين لأن المشركين كانوا يَفتنون المسلمين إما بالقتل وإما بالحبس.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾)** عطف على قوله منافقون أي وممن حولكم قوم آخرون غير المذكورين **(الآية)** أي خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بالتخلف

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لنا: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطر كأقبح ما أنت راءٍ قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا فذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك، قالا: «أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم». قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عزّ وجلّ: أَنفق أُنفق عليك وقال: يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء والليل والنهار وقال: أرأيتم

---

عن الجهاد وإظهار الندم عسى الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله تعالى واجب قال ابن كثير: وهذه الآية وإن كانت في إناس معينين إلا أنها عامة في كل المذنبين المخطئين. وقال مجاهد: نزلت في أبي لبابة لما قال لبني قريظة: إنه الذبح وأشار بيده إلى حلقه. وقال ابن عباس: في أبي لبابه وجماعة من أصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ فلما أنزل الله تعالى الآية أطلقهم ﷺ وعفا عنهم. **(عن سَمُرَة بن جندب رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ لنا)** في حكاية منامه الطويل: **(أتاني الليلة آتيان)** بهمزة ممدودة ففوقية مكسورة فتحتية أي ملكان **(فابتعثاني)** من النوم **(فانتهيا)** وأنا معهما وفي نسخةٍ: فانتهينا **(إلى مدينةٍ مبنية بلَبِنِ ذهب ولبِنِ فِضه)** بكسر الموحدة من لَبِنْ **(فتلقانا رجال شَطْرٌ)** أي نصف **(من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشطرٌ)** أي نصف **(كأقبح ما أنت راءٍ قالا)** أي الملكان **(لهم)** أي للرجال: **(اذهبوا فقعوا في ذلك النهر)** بفتح الهاء **(فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورةٍ قالا)** أي الملكان: **(لي هذه جنة عدن وهذاك منزلك، قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح)** قيل الصواب حسناً وقبيحاً، وأجيب بأن كان تامة وشطر مبتدأ وحسن خبره والجملة حال بدون الواو وهو فصيحٌ كقوله تعالى: ﴿أهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦] قاله الكرماني وغيره **(فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله تعالى عنهم)**.

**(قوله عزَّ وجلّ: ﴿وكان عرشه على الماء﴾)** قبل خلق السموات والأرض وعن ابن عباس وكان الماء على متن الريح. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: قال الله عزَّ وجل: ﴿أَنفِق أُنفِق عليك)** بفتح الهمزة في الأولى وضمها في الثانية وجزم الأول بالأمر والثاني بالجواب **(وقال: يد الله ملأى)** كناية عن خزائنه التي لا تنفد

ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع». قوله تعالى: ﴿وكذلك أَخْذُ ربك إذا أخذ القرى﴾ [هود: ١٠٢].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال: ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢]. قوله تعالى: ﴿إلا من استرق السمع﴾ [الحجر: ١٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في

---

بالعطاء (**لا يَغِيضُها**) بفتح التحتية وكسر الغين وبالضاد المعجمتين بينهما تحتية ساكنة أي لا ينقصها (**نفقة سَحَاء**) بسين وحاء مهملتين ممدوداً يقال: سح يسح فهو ساح وهي سحاء وهي فعلاء لا أفعل لها كهطلاء ويروى سحاً بالتنوين على المصدر يقال: سح الماء سحا من باب قتل سال من فوقٍ إلى أسفل أي دائمة الصب والهطل بالعطاء (**والليل والنهار**) منصوبان على الظرفية ووصفها بالإمتلاء لكثرة منافعها، فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها الاستقاء ولا ينقصها الامتياح أي النزح، قاله ابن الأثير. ولفظ يده حُكمه حكم المتشابهات تأويلاً وتفويضاً (**وقال: أرأيتم**) أي أخبروني (**ما أنفق**) أي الذي أنفقه (**منذ**) بالنون وفي نسخة مذ (**خلق السموات والأرض فإنه لم يَغِض**) بفتح التحتية وكسر الغين وبالضاد المعجمتين أي لم ينقص (**ما في يده، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان**) كناية عن العدل بين الخلق (**يخفض ويرفع**) من باب مراعاة النظير أي يخفض من يشاء ويرفع من يشاء ويوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾**) وكذلك خبر مقدم وأخذ مبتدأ مؤخر والتقدير ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك الأمم السابقة، وإذا ظرف تنازع فيه المصدر والفعل. (**عن أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله ليملي**) اللام للتأكيد ويملي أي يمهل (**للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**) بضم أوله أي لم يخلصه أبداً لكثرة ظلمه بالشرك، فإن كان مؤمناً لم يخلصه مدة طويلة بقدر جنايته (**ثم قرأ**) ﷺ: (**﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾**) أي وجيع صعب على المأخوذ، وفيه تحذير عظيم عن الظلم كفراً كان أو غيره لغيره أو لنفسه ولكل أهل قرية ظالمة (**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إلا من استرق السمع﴾**) الآية الاستثناء منقطع أي لكن من استرق السمع أو متصل والمعنى أنها لم تحفظ منه ومحل الاستثناء على الوجهين نصب ويجوز أن يكون في محل جر بدلاً من كل شيطان أو رفع بالابتداء وخبره الجملة من قوله: ﴿فأتبعه﴾ فيكون منقطعاً واستراقهم اختلاسهم سراً. (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبي ﷺ**) لم يقل سمع بدل

السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كالسلسلة على صفوانٍ فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض فتلقى على فم الساحر فيكذب معها مائة كذبة فيصدق، فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه

---

يبلغ لاحتمال الواسطة أو نسي كيفية التحمل أنه (**قال: إذا قضي الأمر**) بالبناء للمفعول والأمر بالرفع نائب فاعل وفي نسخةٍ: «إذا قضي الله الأمر» أي حكم بأمر من الأمور (**في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً**) بضم الخاء وسكون الضاد المعجمتين مصدر بمعنى خاضعين أي منقادين طائعين (**لقوله**) تعالى: (**﴿كأنه سلسلة﴾**) وفي نسخة كالسلسلة أي القول المذكور يشبه صوت وقع السلسلة (**على صفوان**) وهي الحجر الأملس، وفي نسخةٍ: كأنها الصفوان، وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً عند ابن مردويه: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي يسمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون ويرون أنه أمر الساعة»، (**فإذا فُزِّع**) أي أزيل الخوف (**عن قلوبهم قالوا**) أي الملائكة: (**ماذا قال ربكم؟ قالوا:**) أي المقربون من الملائكة كجبريل وميكائيل مجيبين (**للذي قال**) أي سأل: (**الحق**) أي قال الله تعالى القول الحق (**وهو العلي الكبير**) وفي حديث النواس بن سمعان عند الطبراني مرفوعاً: «إذا تكلم الله تعالى بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماء صُعِقوا وخرُّوا سجَّداً، فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله تعالى من وحيه بما أراد فينتهي به على الملائكة كلما مر بسماءٍ سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق فينتهي به حيث أُمِر». (**فيسمعها**) أي تلك الكلمة وهي القول الذي قاله الله تعالى: (**﴿مسترق السمع﴾**) بالإفراد وفي نسخةٍ: مسترقو السمع بالجمع وحذف النون للإضافة (**﴿ومسترقو السمع﴾**) بالجمع وفي نسخةٍ: بالإفراد وهو مبتدأ خبره (**هكذا واحد فوق آخر فربما أدرك الشهاب**) وهي الشعلة تظهر للناظر على شكل العمود (**المستمع قبل أن يُرمي**) أي بالكلمة (**إلى صاحبه**) وفي نسخةٍ: يُرمى بالبناء للمجهول (**فيحرقه وربما لم يدركه**) أي الشهاب (**حتى يَرمي بها**) وفي نسخةٍ: يُرمَى بضم الياء وفتح الميم مبنياً للمفعول (**إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل**) بالرفع (**منه**) وفي نسخةٍ أسفلَ بالنصب على الظرفية وقوله: إلى الذي هو أسفل بدل من سابقه (**حتى يُلقوها إلى الأرض**) وفي روايةٍ حتى تنتهي إلى الأرض (**فتُلقى**) بضم التاء مبنياً للمفعول أي الكلمة (**على فم الساحر**) وهو المنجم (**فيكذب معها**) أي مع تلك الكلمة الملقاة (**مائة كذبة**) بفتح الكاف وسكون المعجمة (**فيصدُق**) بفتح التحتية وسكون الصاد وفي نسخة فيُصَدَّق مبنياً للمفعول أي الساحر في

حقاً، للكلمة التي سمعت من السماء». قوله تعالى: ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ [النحل: ٧٠].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات».

---

كذباته **(فيقولون)** أي السامعون منه **(ألم يخبرنا)** أي الساحر وفي نسخةٍ: يخبرونا أي السحرة فيكون لفظ المفرد في الأول للجنس **(يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا)** كناية عن الخرافات التي أخبر بها الساحر من حوادث الزمان **(فوجدناه)** أي الخبر الذي أخبر به **(حقاً للكلمة)** أي لأجل الكلمة **(التي سُمِعَت من السماء)**.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أرذل العمر﴾)** أي أردئه وهو تسعون سنة أو ثمانون أو خمس وتسعون أو خمس وثمانون أو خمس وسبعون، وروي ابن مردويه من حديث أنسٍ أنه مائة سنة. **(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو: أعوذ بك من البخل)** أي في حقوق المال **(و)** من **(الكسل)** وهو التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ويكون لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة **(و)** من **(أرذل العمر)** أي أخسه وهو الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وإنما استعاذ منه لأنه من الأدواء التي لا دواء لها، وروى ابن أبي سالم من طريق السُّدي قال: «أرذل العمر هو الخَرَف» والحاصل أن كِبَر السِّنِّ ربما يورث نقص العقل وتخابط الرأي وغير ذلك مما يسوء به الحال **(و)** أعوذ بك من **(عذاب القبر)** الإضافة هنا من إضافة المظروف إلى ظرفه فهي على تقدير في أي من العذاب في القبر والأحاديث الصحيحة في إثباته متظاهرة فالإيمان به واجب **(و)** من **(فتنة الدجال)** في حديث أبي أمامة عند أبي داود وابن ماجه: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: «إنه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال» **(و)** من **(فتنة المحيا والممات)** أي زمان الحياة والموت وهو من أول النزع وهلمَّ جرا، وأصل الفتنة الامتحان والاختبار واستعملت في الشرع في اختبار كشف ما يُكره. يقال فَتَنْتُ الذَّهب إذا أدخلته النار لتختبر جودته، وفتنة المحيا ما يعرض للإنسان في مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها وأعظمها والعياذ بالله تعالى أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات ما يقع في القبر كسؤال الملكين عليهما الصلاة والسلام، والمراد التعوذ من شر سؤالهما وإلا فأصل السؤال واقع لا محالة فلا يُدَّعى برفعه فيكون عذاب القبر مسبباً عن ذلك والسبب غير المسبب، وقيل: المراد الفتنة قبيل الموت وأضيفت إليه لقربها منه، وكان ﷺ يتعوذ من المذكورات دفعاً عن أمته وتشريفاً له ليبين لهم صفة المهم من الأدعية جزاه الله تعالى عنهم ما هو أهله.

قوله تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ [الإسراء: ٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشه ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، تدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول

---

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذريةَ من حملنا مع نوح﴾**) بنصب ذرية على الاختصاص أو على البدل من وكيلاً أي لا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا مع نوح (**إنه**) أي نوحاً (**كان عبداً شكوراً**) سُمِّيَ بذلك لأنه كان يحمد الله تعالى على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله قاله ابن كثير، وصحح ابن حبان من حديث سلمان: «كان نوح عليه الصلاة والسلام إذا طَعِمَ أو لَبِسَ حَمِدَ الله تعالى فسُميَ عبداً شكوراً وفيه تهييج على الشكر على النِّعم لا سيما نعمة الإسلام ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام». (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: أُتيَ**) بضم الهمزة مبنياً للمفعول (**النبي**) وفي نسخةٍ: رسول الله (ﷺ **بلحم فرُفِع إليه الذِّراع**) قيل الصواب: فرُفِعت لأن الذراع مؤنث ورد بأنه يجوز فيه التذكير على قلةٍ كما في المختار والمصباح وغيرهما من كتب اللغة (**وكانت تعجبه**) لزيادة لذتها (**فنهش**) منها (**نهشةً**) الشين المعجمة فيهما أي بأضراسه أو بجميع أسنانه، وفي نسخةٍ: بالسين المهملة فيهما أي أخذ منه بأطراف أسنانه (**ثم قال**) إعلاماً لأمته بقدره عند الله ليزداد إيمانهم به: (**أنا سيد الناس**) آدم وجميع ولده (**يوم القيامة**) وتخصيصه بالقيامة يلزم منه ثبوت سيادته في الدنيا بطريق الأولى ونهيه عن التفضيل على طريق التواضع (**وهل تدرون مم**) وفي نسخةٍ: بم (**ذلك**) وفي نسخةٍ: ذاك بألف بدل اللام أي السبب في كوني سيد الناس يوم القيامة (**يجمع الله الناس**) وفي نسخة يُجمَع الناس بضم التحتية مبنياً للمفعول (**الأولين والآخرين في صعيدٍ واحد**) أي أرض واسعةٍ مستوية (**يُسمِعُهم الداعي**) بضم الياء من الإسماع (**ويَنفُذهم البصر**) بفتح الياء وسكون النون وبالذال المعجمة أي يحيط بهم لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب (**وتدنو الشمس**) وفي الزهد لابن المبارك ومصنف ابن أبي شيبة واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال: «تعطي الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين أو أدنى، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغر غر الرجل» زاد ابن المبارك في روايته: «ولا يضر حرُّها يومئذٍ مؤمناً ولا مؤمنة» (**فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم**) بفتح الهمزة وتخفيف لامها في الموضعين وهي للمرض

بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً

---

والتحضيض (**فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده**) أي قدرته (**ونفخ فيك من روحه**) قال الكرماني الإضافة إلى الله تعالى لتعظيم المضاف وتشريفه (**وأمر الملائكة فسجدوا لك**) زاد في روايةٍ: وأسكنك جنته وعلمك أسماء كل شيء أي أسماء المسميات كلها (**أشفع لنا إلى ربك**) حتى يريحنا من مكاننا هذا (**ألا ترى إلى ما نحن فيه**) وفي نسخةٍ: إسقاط إلى (**ألا ترى ما بلغنا**) وفي نسخةٍ: إلى ما قد بلغنا بتخفيف لام ألا ترى في الموضعين وتحريك غين بلغنا (**فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب**) وفي نسخةٍ: ولا يغضب (**بعده مثله**) والمراد من الغضب كما قاله الكرماني لازمه وهي إرادة إيصال العذاب، وقال النووي المراد بغضب الله ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه وما يشاهده أهل الجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها اهـ أي لأن الغضب الذي هو ثَوَران دم القلب لإرادة الانتقام مستحيل على الله تعالى (**وإنه قد نهاني**) وفي نسخةٍ: إنه نهاني (**عن الشجرة**) أي عن أكلها (**فعصيته**) وأكلتها (**نفسي نفسي نفسي**) كررها ثلاثاً أي هي التي تستحق أن يشفع لها والمتبدأ والخبر إذا كانا متحدين فالمراد بعض لوازمه أو نفسي مبتدأ والخبر محذوف (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح**) بيان لقوله اذهبوا إلى غيري (**فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض**) استشكلت هذه الأولية بأن آدم عليه الصلاة والسلام نبي مُرسل على الصحيح وكذا شيث وإدريس وهم قبل نوح، وأجيب بأن المراد أنت أو الرسل إلى أهل الأرض المبعوثين بالإنذار وإهلاك قومهم، وآدم عليه الصلاة والسلام كانت رسالته بمنزلة التربية والإرشاد للأولاد وكذا من بعده، وأجيب أيضاً بأن الأولية مقيدة بأهل الأرض وآدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض كلهم بخلاف نوحٍ عليه الصلاة والسلام لكن يشكل على هذا حديث جابر وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة فإنه يقتضي أن عموم البِعثة من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام، وأجيب بأن عموم بعثة نوح إنما حصل بسبب الحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس بالطوفان فلم يكن ذلك في أصل بعثته، وأما الاستدلال على عموم بعثته بدعائه على جميعِ من في الأرض فأهلكوا بالغرق

اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزّ وجلّ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ومثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه

---

إلا أهل السفينة لأنه لو لم يكن مبعوثاً إليهم لما أُهلِكوا لقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥] وقد ثبت أنه أول الرسل فمردود بأنه يجوز أن يكون غيره أُرسِل إليهم في أثناء مُدة نوح وأنهم لم يؤمنوا فدعا على من لم يؤمن من قومه فاستجيب له، لكن لم ينقل أنه جاء نبي في زمن نوحٍ عليه الصلاة والسلام غيره **(وقد سماك الله عبداً شكوراً)** أي في القرآن فيٍ سورة بني إسرائيل **(اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول: إن ربي عزَّ وجلَّ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت)** وفي نسخةٍ: قد كان **(لي دعوة دعوتها على قومي)** وهي التي أُغرق بها أهل الأرض يعني أن له دعوة واحدة محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض فخشي أن يَطلب فلا يُجاب، وفي روايةٍ عن أنسٍ: «ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم» أي المحكي عنه في قوله تعالى: ﴿فلا تسألنِ ما ليس لك به علم﴾ [هود: ٤٦] أي من أن المراد بالأهل من آمن وعمِل صالحاً وإن ابنك عمل غير صالح، وجمع بينهما باحتمال أن يكون اعتذر بأمرين أحدهما أنه استوفى دعوته المستجابة وثانيهما سؤاله ربه بغير علم حيث قال: إن ابني من أهلي فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقف من ذلك **(نفسي نَفسي نفسي)** ثلاثاً أي هي التي تستحق أن يشفع لها **(اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم)** زاد في روايةٍ أنسٍ: خليل الرحمن **(فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض)** لا ينفي وصف نبينا ﷺ بمقام الخُلة الثابت له على وجهٍ أعلا من إبراهيم **(اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه)** من الكرب **(فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات)** بفتحات وهي قوله إني سقيم وبل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي، والحق أنها معاريض لكن لما كان صورتها صورة كذبٍ سماها به وأشفق منها استقصاراً لنفسه عن مقام الشفاعة مع وقوعها، الأن من كان بالله أعرف وأقرب منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية، قاله البيضاوي **(نفسي نفسي نفسي)** ثلاثاً **(اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته)** وفي نسخةٍ برسالته بالإفراد **(وبكلامه على الناس)** عام

على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك

---

مخصوص على ما لا يخفى فقد ثبت أنه تعالى كلَّم نبينا ﷺ ليلة المعراج، ولا يلزم من قيام وصف التكليم بموسى كونه خاصاً به بل هو وصف غلَبَ عليه كالمحبة لنبينا ﷺ، وإن كان شارك الخليل في الخُلَّة على وجهٍ أكمل منه **(اشفع لنا إلى ربك ألا)** بتخفيف اللام وفي نسخةٍ أما بميم مخففة بدل اللام **(ترى ما نحن فيه)** من الكرب **(فيقول إنَّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها)** بضم الهمزة وسكون الواو يريد قتله القبطي المذكور في آية القصص وإنما استعظمه واعتذر به لكونه لم يؤمر بقتل الكفار، أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتياله ولا يقدح في عصمته لكونه خطأ وعدَّه من عمل الشيطان في الآية، وسماه ظلماً واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم **(نفسي نفسي نفسي)** ثلاثاً **(اذهبوا إلى غير اذهبوا إلى عيسى)** وفي روايةٍ: زيادة ابن مريم **(فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم)** أي أوصلها إليها وجعلها فيها **(وروح منه)** أي وذو روح صدر منه لا يتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له، وقيل لأنه كان يحيي الأموات والقلوب **(وكلمت النَّاس في المهد)** مضدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وفي نسخةٍ وكلمت الناس في المهد صبياً أي طفلاً **(اشفع لنا إلى ربِّك)** حتى يريحنا إلى ما نحن فيه **(ألا ترى إلى ما نحن فيه)** من الكرب **(فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط)** وفي نسخةٍ: إسقاطها **(ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً)** وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس: «إني اتُخِذت إلها من دون الله»، وفي رواية ثابت عن سعيد بن منصور نحوه وزاد: «وأن يُغْفَر لي اليوم حسبي» **(نفسي نفسي نفسي)** ثلاثاً **(اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ)** وفي روايةٍ إلى عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر **(فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك)** عن سهو وتأويل **(وما تأخر)** بمعنى أنه معصوم منه أو أنه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو وقع، ويستفاد من قول عيسى في حقِّ نبينا هذا

وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجداً لربي عزّ وجلّ ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى». قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

ومن قول موسى أني قتلت نفساً مع أن الله تعالى قد غفر له بنصِّ القرآن التفرقة بين من وقع منه شيء ومن لم يقع منه شيء أصلاً، فإنَّ موسى مع وقوع المغفرة له يرتفع إشفاقه من المؤاخذة بذلك، أو رأى في نفسه تقصيراً عن مقام الشفاعة لوجود ما صدر منه، بخلاف نبينا ﷺ في ذلك كله ومن ثَمَّ احتج عيسى بأنه صاحب الشفاعة لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بمعنى أن الله أخبر بأنه لا يؤاخذ بذنبٍ ولو وقع منه، قاله في الفتح. وقال القاضي عياض: ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معيناً وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إليه ﷺ إظهاراً لشرفه في ذلك المقام العظيم (**اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه**) من الكرب (**فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي**) وفي روايةٍ عن أنس فأنطلق حتى أستأذن على ربي فيؤذَنْ فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء، وعند أبي عوانة من حديث أبي بكر الصديق: قدر جمعة، (**ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي**) وفي حديث أبيِّ بن كعب عند أبي يَعلى رفعه: «يُعَرِّفُنِي الله نفسه فأسجد له سجدة يرضى بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني»، (**ثُمَّ يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه**) بسكون الهاء (**واشفع تشفع**) بضم التاء مبنياً للمفعول أي تقبل شفاعتك (**فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب**) ثلاث مرات وفي رواية مرتين (**فيقال: يا محمد أَدْخِلِ من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة**) وهم سبعون ألفاً وهم أول من يدخلها (**وهم**) أيضاً (**شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال**) عليه الصلاة والسلام: (**والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين**) بكسر الميم وهما جانبا الباب (**من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر**) بكسر الحاء المهملة وفتح التحتية بينهما ميم ساكنة آخره راء أي صنعاء لأنها بلد حِمْيَر (**أو كما بين مكة وبُصرى**) بضم الموحدة مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاث مراحل والشك من الراوي.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**) يحمده فيه الأولون

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. قوله تعالى: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ [الإسراء: ١١٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكة فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سَبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ [الإسراء: ١١٠]. قوله تعالى: ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ [الكهف: ١٠٥].

---

والآخرون والمشهور أنه مقام الشفاعة للناس ليريحهم الله تعالى من كرب ذلك اليوم وشدته. **(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً)** بضم الجيم وفتح المثلثة المخففة منوناً مقصوراً جمع جثوة كخطوة وخطأ أي جماعات **(كل أمةٍ تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع)** أي لنا **(يا فلان اشفع)** مرتين وفي نسخةٍ إسقاط الثانية **(حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ)** زاد في روايةٍ: فيشفع ليقضي بين الخلق **(فذلك)** أي مقام الشفاعة **(يوم يبعثه الله المقام المحمود)** وقيل المقام المحمود غير ذلك.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف)** وفي نسخةٍ مختفي بإثبات التحتية **(بمكة)** يعني في أول الإسلام **(كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه)** وفي نسخةٍ سمع **(المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله عزَّ وجلَّ لنبيه)** محمد **(ﷺ ﴿ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك﴾)** أي بقراءة صلاتك فهو على حذف المضاف **(فيسمع المشركون فيسبوا القرآن)** وفي روايةٍ عن سعيد بن جبير فقالوا له أي المشركون: لا تجهر فتؤذي آلهتنا فنهجوا إلهك **(﴿ولا تخافت﴾)** أي لا تخفض صوتك **(بها عن أصحابك فلا تسمعهم)** وإنما حذف المضاف لعدم الإلباس إذ الجهر والمخافتة صفتان تتعاقبان على الصوت لا على الصلاة التي هي أقوالٌ وأفعال **(وابتغ بين ذلك)** الجهر والمخافتة **(سبيلاً)** أي وسطاً وقيل المراد بالصلاة الدعاء من إطلاق اسم الكل على الجزء فعند ابن مردويه من حديث أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء. فنزلت.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أولئك﴾)** إشارة للأخسرين أعمالاً السابق ذكرهم **(﴿الذين كفروا بآيات ربهم﴾)** بالقرآن أو به والإنجيل أو بمعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام **(﴿ولقائه﴾)** بالبعث أو بالنظر إلى وجهه الكريم أو لقاء جزائه ففيه حذف وقد كذب اليهود

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال: «يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [الكهف: ١٠٥]. قوله تعالى: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ [مريم: ٣٩].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه

---

بالقرآن والإنجيل والنصارى بالقرآن وقريش بلقاء الله والبعث **(فحبطت أعمالهم)** بطلت لكفرهم وتكذيبهم فلا ثواب لهم عليها **(الآية)** أي فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً وهذا هو المراد لما سيورده من الحديث **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: يؤتى بالرجل العظيم)** أي في الطول أو في الجاه **(السمين)** ولابن مردويه عن أبي هريرة: الطويل العظيم الأكول الشروب **(يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)** وفي روايةٍ: «فيوزن بحبة فلا يزنها» **(وقال)** أي النبي ﷺ أو أبو هريرة: **(اقرؤوا ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾)** أي لا نجعل لهم مقداراً أو اعتباراً أو لا نضع لهم ميزاناً توزن به أعمالهم لأن الميزان إنما ينصب للذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، أو لا نقيم لأعمالهم وزناً لحقارتها واستدل به على أن الكفار لا يحاسبون لأنه إنما يحاسب من له حسنات وسيئات، والكافر ليس له في الآخرة حسنات فتوزن والراجح أنهم يحاسبون، والمراد بقوله تعالى: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ [الكهف: ١٠٥] أي وزناً نافعاً فلا ينافي أن أعمالهم توزن.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾)** هو من أسماء يوم القيامة كما قاله ابن عباس وغيره **(الآية عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بالموت)** الذي هو عَرَض من الأعراض جسماً **(كهيئة كبش أملح)** بالحاء المهملة فيه بياض وسواد لكن سواده أقل **(فينادي منادٍ)** لم يسم **(يا أهل الجنة فيشرئبون)** بفتح التحتية وسكون الشين المعجمة وفتح الراء وبعد الهمزة المكسورة موحدة مشددة فواوٌ ساكنة فنون آخره أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم **(وينظرون)** وعند ابن حبان وغيره فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه **(فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم)** هذا الموت **(وكلهم قد رآه)** أي وعرفه بما يلقيه الله في قلوبهم أنه الموت **(ثم ينادي)** أي المنادي **(يا أهل النار فيشرئبون وينظرون)** وعند ابن حبان وغيره فيطلعون فرحين مسرورين مستبشرين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه **(فيقول: هل تعرفون**

فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون. قوله تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم﴾ [النور: ٦].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن عويمراً أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم

---

**هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح)** وفي روايةٍ: «جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار»، وعند ابن ماجه: «فيذبح على الصراط»، وعند الترمذي: «فيضجع فيذبح ذبحاً على السور الذي بين أهل الجنة والنار»، والذابح له جبريل عليه الصلاة والسلام كما نقله الحافظ ابن حجر عن بعض المفسرين، ونقل في التذكرة أنَّ الذابح له يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بين يدي النبي ﷺ، وقال قوم: «المذبوح متولي الموت وكلهم يعرفه أي لأنه الذي تولى قبض أرواحهم في الدنيا والحكمة في مجيء الموت في صورة الكبش دون غيره إشارة إلى حصول الفداء لهم به كما فدى ولد الخليل بالكبش، وفي الأملح إشارةً إلى صفتي أهل الجنة والنار **(ثم يقول)** ذلك المنادي **(يا أهل الجنة خلودٌ)** أبد الآبدين **(فلا موت ويا أهل النار خلود)** أبد الآبدين **(فلا موت)** وخلود إما مصدر أي أنتم خلود وأخبر بالمصدر مبالغة كرجلٌ عدلٌ، أو جمع أي أنتم خالدون زاد في روايةٍ: «فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» وعند الترمذي: «فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة ولو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار» **(ثم قرأ)** النبي ﷺ أو أبو سعيد **(﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾)** الخطاب للنبي ﷺ أي أنذر جميع الناس **(إذ قضي الأمر)** أي فُصِل بين أهل الجنة والنار ودخل كل إلى ما صار إليه مخلداً فيه **(وهم في غفلة)** أي **(وهؤلاء في غفلة)** أي **(أهل الدنيا)** أي أن الضمير راجع لأهل الدنيا إذ الآخرة ليست دار غفلة **(﴿وهم لا يؤمنون﴾)** نفي منهم الإيمان على سبيل الدوام مع الاستمرار في الأزمنة الماضية والآتية على سبيل التأكيد والمبالغة.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿والذين يرمون﴾)** أي يقذفون **(﴿أزواجهم ولم يكن لهم شهداء﴾)** على ذلك **(﴿إلا أنفسهم﴾ عن سهل بن سعد)** الساعدي الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه أن عويمراً)** بضم العين المهملة وفتح الواو تصغير عامر بن الحارث بن زيد بن الجدي بن عجلان وفي روايةٍ عويمر بن أشقر وفي أُخرى ابن أبيض قال الحافظ: فلعل أباه كان يلقب أشقر أو أبيض وفي الصحابة عويمر بن أشقر آخر، وهو مازني أخرج له ابن ماجه **(أتى عاصم بن عدي)** العجلاني **(وكان سيد بني عجلان)** بفتح العين وسكون الجيم وهو

كيف يصنع سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك فأتى عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها قال عويمر: والله لا انتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فجاء عويمر فقال يا رسول الله: رجلٌ وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع قال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك» فأمرهما رسول

---

ابن عم والد عويمر **(فقال)** له: **(كيف تقول في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله)** بهمزة الاستفهام الاستخباري أي أيقتل الرجل **(فتقتلونه)** قصاصاً لقوله تعالى: ﴿النفس بالنفس﴾ [المائدة: ٤٥] وعند مسلم من حديث ابن عمر فقال: «رأيت إن وجد مع امرأته رجلاً فإن تكلم به تكلم بأمر عظيم وإن سكت سكت على مثل ذلك» وعنده أيضاً من حديث أبي مسعود: «إن تكلم جلدتموه وإن قتل قتلتموه وإن سكت سكت على غيظٍ» وفي روايةٍ عن ابن عباسٍ لما نزل ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ الآية قال عاصم بن عدي: «إن دخل رجل منا بيته فرأى رجلاً على بطن امرأته فإن جاء بأربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وذهب، وإن قتله قُتِل به. وإن قال: وجدت فلاناً معها ضُرِب وإن سكت سكت على غيظ». **(أم كيف يصنع)** أم يُحتمل أن تكون متصلة يعني إن رأى الرجل هذا المنكر الشنيع والأمر الفظيع وثارت عليه الحمية أيقتله فتقتلونه أم يصبر على ذلك الشنآن والعار؟ ويحتمل أن تكون منقطعة فسأل أولاً عن القتل مع القصاص ثم أضرب عنه إلى سؤاله عن شيءٍ آخر لأن أم المنقطعة متضمنةً لبل والهمزة قبل تضرب عن الكلام السابق والهمزة تستأنف كلاماً آخر والمعنى كيف يصنع أيصبر على العار أو يحدث الله تعالى له أمراً آخر فلذا قال: **(سل لي)** يا عاصم **(رسول الله ﷺ عن ذلك فأتى عاصم النبي ﷺ وسلم فقال: يا رسول الله)** حذف المقول لدلالة السابق عليه أي كيف تقول في رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ **(فكرِه رسول الله ﷺ المسائل)** المذكورة لما فيها من البشاعة والإشاعة على المسلمين والمسلمات وتسليط العدو في الدين على الخوض في أعراضهم و**(وعابها)** حتى كبُر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم إلى أهله **(فسأله عويمر)** فقال: يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ **(فقال)** عاصم: لم تأتني بخير **(إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها)** ثبت لفظ وعابها هنا وسقط من الأولى في بعض النسخ **(قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك فجاء عويمر)** إلى رسول الله ﷺ **(فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً)** يزني بها وهو شريك ابن سمحاء **(أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك)** وهي زوجته خولة بنت قيس على المشهور، وقيل بنت عاصم المذكور وعند ابن مردويه أن عاصم بن عدي لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ [النور: ٤] قال: يا رسول الله أين لأحدنا أربعة شهداء فابتلي به في بنت

الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه فلا عنها ثم قال: يا رسول الله إن حبستها فقد ظلمتها فَطَلقَّها فكانت. سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثم قال رسول الله ﷺ: «انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الإليتين خَدَلَّج الساقين فلا أحسب عويمراً إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أحسب

---

أخيه (**فأمرهما رسول الله ﷺ بالمُلاعَنَة**) بضم الميم قال في المقرب لعنه لعناً ولاعنه لِعاناً وتلاعنوا لعن بعضهم بعضاً، وهو لغةً الطرد والابعاد، وشرعاً كلمات معلومة جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطَّخ فراشه وألحق العارَ به أو إلى نفي ولدٍ قال النووي: إنما سُمِّيَ لعاناً لأن كُلاً من الزوجين يبعد عن صاحبه (**بما سمي الله في كتابه**) أي في هذه الآية بأن يقول الزوج أربع مراتٍ: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به هذه من الزنا ويشير إليها في الحضور ويميزها في الغيبة، ويأتي بدل ضمائر الغيبة بضمائر المتكلم فيقول لعنة الله عليَّ إن كنتُ الخ وإن كان ولد ينفيه ذكره في الكلمات الخمس لينتفي عنه فيقول إنَّ الولد الذي ولدته أو هذا الولد من زنا أو ليس مني (**فلاعنها**) أي لاعن زوجته خولة بعد قذفها، وأتت عند النبي ﷺ وسألها فأنكرت وأصرت في السنةِ الأخيرة من زمانه ﷺ، وعند ابن حبان: أنها في شعبان سنة تسعٍ وقيل سنة عشر، وعند الدارقطني أنها كانت منصرف النبي ﷺ من تبوك، وعند مسلمٍ أنها كانت ليلة الجمعة (**ثم قال**) عويمر ظناً منه أن اللعان لا يحرمها عليه (**إن حبستها**) في عصمتي ولم أطلقها (**ظلمتها**) لأن نفسي لا تسمح بالتمتع بها (**فطلَّقها**) وفي رواية ثلاثاً، فمذهب الشافعي وسحنون من المالكية أن الفُرقة تقع بفراغ الزوج من اللعان، لأن لعان المرأة إنما شُرِع لدفع الحد عنها فقط، وقال مالك: بعد فراغ المرأة وهي فُرقة فسخ لا فُرقة طلاقٍ، وقال أبو حنيفة: لا تقع حتى يوقِعَها الحاكم لظاهر ما وقع في أحاديث اللعان وتكون فُرقة طلاقٍ، وعن أحمدِ روايتان وقيل لا تقع إلا بإيقاع الزوج أخذاً من ظاهر الحديث أن الزوج هو الذي طلق ابتداء وقد علمت تأويله، وقد ورد أنه عليه الصلاة والسلام بعد أن قال هي طالق ثلاثاً، قال: «لا سبيل لك عليها» أي لا مِلك لك عليها فلا يقع طلاق (**فكانت**) أي الفُرقة بينهما (**سُنَّة لمن كان بعدهما في المتلاعنين**) فلا يجتمعان بعد الملاعنة لا في الدنيا ولا في الآخرة وفي رواية فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملاً فانكر حملها، وعند الدارقطني: لاعن بين عويمر العجلاني وامرأته فانكر حملها الذي في بطنها وقال: هو لابن سمحاء (**ثم قال رسول الله ﷺ: انظروا فإن جاءت به**) أي بالولد لدلالة السياق (**أَسْحَم**) بفتح الهمزة وسكون السين وفتح الحاء المهملتين آخره ميم أي أسود (**أدعج العينين**) بالعين المهملة والجيم أي شديد سواد الحدقة (**عظيم الإليتين**) بفتح الهمزة أي العجز (**خَدَلَّج الساقين**) بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة واللام المشددة آخره جيم أي عظيمهما (**فلا أحسب عُويمراً إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أُحيمر**) بضم الهمزة وفتح

عويمراً إلا قد كذب عليها» فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه. قوله تعالى: ﴿ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله﴾ [النور: ٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سمحاء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌ في ظهرك» قال: فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجل ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حدٌ في ظهرك» فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿والذين يرمون

---

الحاء المهملة مصغر أحمر ممنوع من الصرف للوصف والوزن فقول بعضهم إن الصواب صرف أحيمر ليس بصواب (**كأنه وحرة**) بفتح الواو والحاء المهملة والراء دويبة تترامى على الطعام واللحم فتفسده وهي من أنواع الوزغ شبهه بها لحمرتها وقِصَرِها، (**فلا أحسب عويمراً إلا قد كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ**) وفي نسخةٍ الذي نعت به رسول الله (**من تصديق عويمر**) وفي روايةٍ: فجاءت به على المكروه من ذلك (**فكان**) أي الولد (**بعد ينسب إلى أمه**) لأنه ﷺ ألحقه بها لتحقق كونه منها فاعتبر الشبه من غير حُكْم به لأجل ما هو أقوى من الشبه وهو الفراش كما فعل في وليدة زَمْعَة، وإنَّما يُحكم بالشبهِ وهو حكم القافة إذا استوت العلائق كسيدين وطئاً في طهرٍ.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ويدرأ عنها﴾**) أي عن المقذوفة (**﴿العذاب﴾**) أي الحد (**﴿أن تشهد أربع شهادات بالله﴾**) الآية (**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه هلال بن أمية**) بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التحتية الواقفي بكسر القاف والفاء الأنصاري أحد الثلاثة المخلفين عن غزوة تبوك وتيب عليهم (**قذف امرأته**) خولة بنت عاصم كما رواه ابن منده وكانت حاملاً (**عند النبي ﷺ بشريك ابن سمحاء**) بفتح الحاء والسين المهملتين وسكون الميم ممدوداً اسم أمه وفي تفسير مقاتل أنها كانت حبشية وقيل يمانية واسم أبيه عبدة بن معتب أو مغيث ولا يمتنع أن يهتم شريك ابن سمحاء بهذه المرأة وامرأة عويمر معاً (**فقال النبي ﷺ البينة**) بالنصب بتقدير أحضر البينة (**وإلا حد**) وفي نسخةٍ أوحد بالرفع أي أتحضر البينة أو يقع حد (**في ظهرك**)؟ أي على ظهرك كقوله تعالى ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] (**قال**) ابن عباس (**فقال**) هلال بن أمية يا رسول الله (**إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة**) أي طلبها (**فجعل النبي ﷺ يقول البينة وإلا حد في ظهرك، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلنَّ**) بفتح اللام وضم التحتية وسكون النون (**الله ما يبرىء ظهري من الحد**) في موضع نصب بقوله: ولينزلنَّ الله (**فنزل جبريل**) عليه الصلاة والسلام (**وأنزل عليه**) ﷺ (**والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ**

أزواجهم﴾ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾ [النور: ٩] فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول إن الله يعلم أن أحدكما لكاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنها موجبة قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت: لا افضح قومي سائر اليوم فمضت، فقال: النبي ﷺ «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سمحاء، فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شأن».

---

**الصادقين)** أي فقرأ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾ فيما رماها الزوج به **(فأرسل ﷺ)** إليهما أي هلال وزوجته خولة بنت عاصم **(فجاء هلال فشهد)** أربع شهادات أنه لمن الصادقين فيما رماها به والخامسة أنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين في الرمي **(والنبي ﷺ يقول الله يعلم أن أحد كما كاذبٌ)** لا يقال: إن أحداً لا يستعمل إلا في النفي كما قاله النحاة لأنا نقول ما قاله النحاة إنما هو في أحد التي للعموم نحو: ما في الدار من أحد، وأما أحد بمعنى واحد فلا خلاف في استعمالها في الإثبات نحو قل هو الله أحد ونحو لشهادة أحدهم ونحو أحدكما كاذب **(فهل منكما تائب)** تعريض لهما بالتوبة بلفظ الاستفهام لإبهام الكاذب منهما فلذلك لم يقل لهما: توباً ولا لإحدهما بعينه تب ولا قال: ليتب الكاذب منكما، وفي روايةٍ: عن ابن عباس فقال هلال: والله إني لصادق **(ثم قامت)** أي الزوجة **(فشهدت)** أي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا **(فلما كانت عند)** المرة **(الخامسة وقَّفوها)** بتشديد القاف وفي نسخةٍ وقَفُوها بتخفيفها **(وقالوا إنها موجبة)** للعذاب الأليم إن كانت كاذبة **(قال ابن عباس فتلكأت)** بهمزة مفتوحة بعد الكاف المشددة بوزن تفعَّلَت أي توقفت وتباطأت عن ذلك **(ونكصت)** أي رجعت عن استمرارها في اللعان **(حتى ظننا أنها ترجع)** عن مقالتها في تكذيب الزوج ودعوى البراءة عما رماها به **(ثم قالت: لا أفضح)** بضم الهمزة وكسر المعجمة **(قومي سائر اليوم)** أي جميع الأيام أي أيام الدهر أو فيما بقي من الأيام بالإعراض عن اللعان والرجوع إلى تصديق الزوج، فالمراد باليوم الجنس ولذا أجراه مجرى العام **(فمضت)** أي تمام اللعان **(فقال النبي ﷺ: أبصروها)** بفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر المهملة **(فإن جاءت به)** أي بالولد **(أكحل العينين)** أي شديد سواد جفونهما خلقة من غير اكتحال **(سابغ الإليتين)** أي عظيمهما **(خَدَلَّج الساقين)** بفتح الخاء المعجمة والدال المهملة وبعد اللام المشددة جيم أي عظيمهما **(فهو لشريك ابن سمحاء فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ: لولا ما مضى من كتاب الله)** في آية اللعان **(لكان لي ولها شأن)** في إقامة الحد عليها، وفي ذكر الشأن وتنكيره تهويل عظيم لما كان يفعل بها أي لفعلت بها لتضاعف ذنبها ما يكون عبرة للمناظرين وتذكرة للسامعين، قال الكرماني: فإن قلت الحديث الأول يدل على أن

قوله تعالى: ﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾ [الفرقان: ٣٤].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة». قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم﴾ [الروم: ١].

---

عويمراً هو الملاعن والآية نزلت فيه والولد شابهه وهذا يدل على أنه هلال بن أمية وأجاب بأن النووي قال: اختلفوا في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال والأكثرون أنها نزلت في هلال وأما قوله عليه الصلاة والسلام لعويمر: إن الله قد أنزل فيك وفي صاحبتك قرآناً فقالوا: معناه الإشارة إلى أن ما نزل في قصة هلال حكمٌ عام لجميع الناس، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعاً ولعلهما سألا في وقتين متقاربين فنزلت الآية فيهما وسبق هلال باللعان اهـ قال في الفتح: ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال ابن سعد بن عبادة كما أخرجه أبو داود والطبراني، والقائل في قصة عويمر عاصم بن عدي كما في حديث سهل السابق ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين، وأنكر جماعة ذكر هلال فيمن لاعن والصحيح ثبوت ذلك، وكيف يجزم بخطأ حديث ثابت في الصحيحين بمجرد دعوى لا دليل عليها انتهى. والحاصل أنهم اختلفوا في الذي وجد مع امرأته رجلاً وتلاعنا وكان ذلك سبباً في نزول الآية على قولين هلال بن أمية أو عويمر العجلاني، قال الواقدي: أظهرهما أنه عويمر لكثرة الأحاديث واتفقوا على أن المرمي به شريك ابن سمحاء.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿الذين يُحشَرون على وجوههم﴾)** الآية أي إلى جهنم مقلوبين أي مسحوبين إليها والموصول خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو نصب على الذم أو رفع بالابتداء وخبره جملة أولئك شرٌّ مكاناً أي منزلاً ومصيراً من أهل الجنة وأضل سبيلاً أي وأخطأ طريقاً، ووصْفُ السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة. **(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أن رجلاً)** لم يسم **(قال: يا نبي الله)** كيف **(يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟)** استفهام حذفت منه الأداة وعند الحاكم: كيف يحشر أهل النار على وجوههم **(قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر)** بالرفع وفي نسخةٍ بالنصب **(على أن يُمشيه)** بضم التحتية وسكون الميم **(على وجهه يوم القيامة)** وظاهره أن المراد مشيه على وجهه حقيقة فلذلك استغربوه حتى سألوا عنه، وإنما حُشِر على وجهه معاقبةً على تركه السجود في الدنيا إظهاراً لهوانه وخساسته بحيث صار وجهه مكان يديه ورجليه في التوقي عن المؤذيات، وفي حديث أبي هريرة المروي عند أحمد قالوا: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذي أمشاهم على أرجلهم قادرٌ على أن يمشيهم على وجوههم» إما أنها يتقون بوجوههم كل حدب وشوك.

عن ابن مسعود رضي الله عنه وقد بلغه أن رجلاً يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام. وكان ابن مسعود حين بلغه متكئاً فغضب فجلس فقال: من علم فليقل ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾ [ص: ٨٦] وإن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمرنا بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله فقرأ

---

(قوله عزَّ وجلَّ: **﴿ألم غلبت الروم﴾ عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقد بلغه أن رجلاً**) لم يعرف اسمه (**يحدث في كِنْدَة**) بكسر الكاف وسكون النون (**فقال**) ذلك الرجل في حديث (**يجيء يوم القيامة دخان**) بتخفيف المعجمة (**فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذو المؤمن كهيئة الزكام**) بنصب المؤمن على المفعولية (**وكان ابن مسعود**) عبد الله (**حين بلغه**) ذلك التفسير عن الرجل (**متكئاً فغضب**) من ذلك (**فجلس فقال: من علم فليقل**) ما يعلمه إذا سُئِل (**ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم الله أعلم**) وفي نسخةٍ: الاقتصار على أحد اللفظين وفي أخرى لا علم لي به لأن تمييز المعلوم من المهجهول نوع من العلم، وليس المراد أن عدم العلم يكون علماً (**فإن الله**) تعالى (**قال لنبيه ﷺ: قل أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**) والقول فيما لا يعلم قسم من التكلف وفيه تعريض بالرجل القائل يجيء دخان الخ وإنكارٌ عليه ثم بين قصة الدخان فقال: (**وإن قريشاً**) أي وإنما سبب نزول الآية أن قريشاً (**أبطؤوا عن الإسلام**) أي تأخروا عنه (**فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: اللهم أعني عليهم**) أي على إسلامهم (**بسبع كسبع يوسف**) الصدِّيق عليه الصلاة والسلام التي أخبر الله تعالى عنها في التنزيل بقوله: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ [يوسف: ٤٨] (**فأخذتهم سَنَةٌ**) بفتح السين أي قحط وهو بمكة (**حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل**) أي صار بحيث يرى (**ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان**) من ضعف بصره بسبب الجوع (**فجاءه**) عليه الصلاة والسلام (**أبو سفيان**) صخر بن حرب بمكة أو المدينة (**فقال: يا محمد جئت تأمر**) وفي نسخةٍ: تأمرنا (**بصلة الرحم وإن قومك**) ذوي رحمك (**قد هلكوا**) من الجدب والجوع بدعائك عليهم (**فادع الله**) تعالى لهم بأن يكشف عنهم فإن كشف آمنوا (**فقرأ**) عليه الصلاة والسلام (**﴿فارتقب﴾**) أي انتظر (**﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾**) أي بَيِّنٍ واضحٍ يراه كل أحد (**إلى قوله**) إنكم (**﴿عائدون﴾**) أي إلى الكفر أو إلى

﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ إلى قوله: ﴿عائدون﴾، عنهم فيكشف عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ [الدخان: ١٦] يوم بدر ولزاماً يوم بدر. قوله تعالى: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قال الله عزّ وجلّ: أعددت

---

العذاب قال ابن مسعود: (﴿أفيكشف﴾) بهمزة الاستفهام وضم الياء مبنياً للمفعول (**عنهم عذاب الآخرة إذا جاء**) أي بخلاف القحط فإنه يكشف بدعائه ﷺ كشفاً قليلاً (**ثم عادوا إلى كفرهم**) عقب الكشف (**فذلك قوله تعالى:**) أي سبب نزول قوله تعالى (**﴿يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدرٍ﴾**) ظرف يريد القتل فيه، هذا هو الذي قاله ابن مسعود وافقه عليه جماعةٌ كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحَّاك وعطية العوفي واختاره ابن جرير، لكن أخرج ابن أبي حاتم عن الحارث عن علي بن أبي طالب قال: «لم تمضِ آية الدخان بعد، تأخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينفذ»، وأخرج أيضاً عن عبد الله بن أبي مُلَكية قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت: لمَ؟. قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت، قال الحافظ ابن كثير: وإسناده صحيح إلى ابن عباس حَبْر الأمة وترجمان القرآن ووافقه جماعة من الصحابة والتابعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان، ومما فيه دلالة واضحة قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] أي بَيِّن واضح وعلى ما فَسَّر به ابن مسعود إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وكذا قوله تعالى: ﴿يغشى الناس﴾ [الدخان: ١١] أي يعمهم ولو كان خيالاً يحض مشركي مكة لما قيل يغشى الناس، وقال آخرون لم يمضِ الدُّخان بعد، بل هو من أمارات الساعة، وفي حديث حذيفة بن أسيد الغِفاري عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آياتٍ طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى والدجال، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا» انفرد بإخراجه مسلم (و) قوله تعالى: (**لزاماً**) وهو الأسر وذلك (**يوم بدر**) أيضاً قال ابن مسعود خمس قد مضين: اللزام والروم أي غلبهم لفارس والبطشة والقمر والدخان.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرةِ أعينٍ﴾**) أي مما تقرُّ به عيونهم وما فيما أخفي لهم موصولة ونفس نكرة في سياق النفي فتعم جميع الأنفس أي لا يعلم الذي أخفاه الله لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، قال بعضهم: أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم. (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: قال الله**

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بَلْه ما أُطْلِعتم عليه ثم قرأ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما

---

عزَّ وجلَّ: ﴿**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت**﴾) قال في شرح المشكاة: ما هنا إما موصولة أو موصوفة، وعين وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق، والمعنى ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن والأسلوب من باب قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ [غافر: ١٨] فيحتمل نفي الرؤية والعين معاً أو نفي الرؤية فحسب أي لا رؤية ولا عين أو لا رؤية، وعلى الأول الغرض منه نفي العين وإنما ضُمَّت إليه الرؤية ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه ومثله قوله: (﴿**ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**﴾) فهو من باب قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ [غافر: ٥٢] أي لا قلبٌ ولا خطور أو لا خطور، فعلى الأول ليس لهم قلبٌ يخطر فجعل انتفاء الصفة دليلاً على انتفاء الذات أي إذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الإخطار فلا قلب لقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧]، وخصَّ البشر هنا دون القرينتين السابقتين لأنهم الذين ينتفعون بما أعدَّ لهم ويهتمون لشأنه ببالهم بخلاف الملائكة وفي حديث المغيرة بن شعبة عند مسلم مرفوعاً قال موسى عليه الصلاة والسلام: «يا ربِّ ما أدنى أهل الجنة منزلة؟» الحديث إلى أن قال: «فأعلاهم منزلةً؟» قال: الذين أردت غوس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر (﴿**ذُخراً**﴾) بضم الذال وسكون الخاء المعجمتين-قال في المصباح: ذَخَرته ذَخْراً من باب نَفَع والاسم الذُّخر بالضم وذخيرة أيضاً وجمع الذُّخر أذخار مثل قُفْل وأقفال وجمع الذخيرة ذخائر اهـ وقال في الصحاح في فصل الذال المعجمة: ذخرت الشيء أذخره ذَخراً وكذلك أدّخرته وهو افتعلت فقول الحافظ ابن حجر بضم المهملة وسكون المعجمة سهواً وسبقُ قلم، وقال الكرماني: وَذُخْراً بالنصب متعلق بأعددت، وقال في الفتح: أي جعلت ذلك لهم مذخوراً (﴿**بله ما أطلعتم عليه**﴾) بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر اللام وفي نسخةٍ: ما أطلعهم بفتح الهمزة واللام وزيادة هاءٍ بعد العين، وقوله بَلْه بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الهاء وروي: من بَلْهَ بزيادة من الجارة وجر بَلْهَ بها ويجوز فتحها، فأما الفتح مع ترك من فقال الجوهري وبَلْه كلمة مبنية على الفتح مثل كيف ومعناها دع وأنشد قول كعب بن مالك يصف السيوف:

تذر الجماجم صاحياً هاماتها ... بَلْهَ الأكف كأنها لم تخلف

وقد رُوي بالأوجه الثلاثة والمعنى على النصب دع الأكف فأمرها سهلُ، وعلى الجرِّ كترك الأكف منفصلةً، وعلى الرفع فكيف الأكف التي يوصل إليها بسهولة، وقال غيره بَلْه اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع واترك تقول: بَلْه زيداً وقد توضع موضع

كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧]. قوله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ [الأحزاب: ٥١] قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

---

المصدر وتضاف فتقول بَلْهُ زيدٍ أي ترك زيدٍ، وقوله: ما أطلعتم عليه يُحتمل أن يكون منصوب المحل ومجروره على التقديرين والمعنى دع ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها فإنه سهل يسير في جنس ما ادخرته لهم، وأما الفتح مع إثبات مِن فقال الرضي: إذا كانت بله بمعنى كيف جاز أن تَدْخُلَه «مِن» قال أبو زيد: إن فلاناً لا يطيق حمل الفهر فمن بَلْهَ أن يأتي الصخرة، أي كيف ومن أين. قال في المصابيح: وعليه تتخرج هذه الرواية فتكون بمعنى كيف التي يقصد بها الاستبعاد، وما مصدرية وهي مع صلتها في محل رفع على الابتداء والخبر من بَلْهَ والضمير المجرور بعلى عائد على الذخر أي كيف ومن أين إطلاعكم على ما أدَّخرته لعبادي الصالحين فإنه أمر عظيم قلما تتسع عقول البشر لإدراكه والإحاطة به، وأما الجرُّ فوُجِّه بأن بَلْهَ بمعنى غير أي من غير ما أطلعتم عليه (**ثم قرأ**) عليه الصلاة والسلام (**﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرةِ أعين جزاءً بما كانوا يعلمون﴾**) جزاء مفعول له أي أخفى للجزاء فإن إخفاءه لعلو شأنه أو مصدرٍ مؤكد لمعنى الجملة قبله أي ذخراً جزاءً، والحديث كالتفصيل لهذه الآية لأنها نفت العلم وهو نفي طرق حصوله.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ترجي﴾**) تؤخر (**﴿من تشاء منهن﴾**) أي من الواهبات (**﴿وتؤوي﴾**) أي وتضم (**﴿إليك من تشاء﴾**) منهنّ (**الآية عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ**) كذا رُوي بالغين المعجمة من الغَيْرَةِ وهي الحِمَيَّة والأَنَفَة وفي روايةٍ كانت تُعَيِّر اللاتي وهبنَ أنفسهن بعين مهملة وتشديد التحتية (**وأقول: أتهب المرأة نفسها؟**) وظاهر قولها وهبنَ أنَّ الواهبة أكثر من واحدة، منهنَّ خولة بنت حَكيم وأمُّ شُريك وفاطمة بنت شُريح وزينب بنت خُزيمة، قال عامر الشعبي: كنَّ نساءَ وهبنَ أنفسهنَّ له ﷺ فدخل ببعضهنَّ وأرجا بعضاً منهنَّ أم شريك وهذا شاذ، والمحفوظ أنه لم يدخل بأحدٍ من الواهبات ففي حديث سمَّاك عن عكرمة عن ابن عباس عند الطبراني بإسناد حسن: «لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له» والمراد أنه لم يدخل بواحدةٍ ممن وهبت نفسها له وإن كان مباحاً لأنه راجع إلى إرادته (**فلما أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ قلت: ما أُرى**) بضم الهمزة أي ما أظن (**ربك**

وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١] فكنت أقول له: إن كان ذلك إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحداً.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ [الأحزاب: ٥٣].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عَرْق فدخلت فقالت: يا

---

**إلا يسارع في هواك)** أي مرادك إلا موجداً لك بلا تأخير وقيل المراد بالإرجاء والإيواء القَسْم وعدمه لأزواجه، إن شئت تَقْسِم لهن أو لبعضهن وتقدم من شِئْتَ وتؤخر من شئت وتجامع من شئت وتترك من شئت، وكذا رُوي عن ابن عباس ومجاهدٍ والحسن وقتادة وغيرهم، ولذا قال بعض العلماء من الشافعية وغيرهم: لم يكن القَسْم واجباً عليه صلوات الله وسلامه عليه وإنما كان يَقْسِم اختياراً منه لا على سبيل الوجوب، لكنَّ المشهور وجوبه عليه. **(وعنها رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذن في يوم المرأة منّا)** بإضافة يوم إلى المرأة أي يوم نوبتها إذا أراد أن يتوجه إلى الأخرى **(بعد أن نزلت هذه الآية ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ الآية فكنت أقول له إن كان ذاك)** أي أمر المقام عندَ المرأة والتوجه إلى غيرها موكولاً **(إليّ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك)** أي بإقامتك عندي **(أحداً)** من النساء، أو لا أوثر عليك أحداً من الرجال بإقامتي عنده والحديث الأول يقتضي أن الآية نزلت في الواهبات والثاني يقتضي أنها نزلت في أزواجه عليه الصلاة والسلام كما تقدم عن ابن عباسٍ واختار ابن جرير أن الآية عامة في الواهبات واللاتي عنده وهو اختيارٌ حسن جامعٌ للأحاديث.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية. عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: خرجت سودة)** بنت زَمْعَة أمُّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها **(بعد ما ضُرِبَ)** بضم الضاد المعجمة مبنياً للمفعول **(الحجابُ لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(فقال: يا سودة أما)** بفتح الهمزة وتخفيف الميم وبعدها ألف حرف استفتاح وفي نسخةٍ: أم بحذف الألف **(والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين)** ولعله قصد المبالغة في إخفاء أمهات المؤمنين بحيث لا تبدين أشخاصهن أصلاً لو كن مستترات **(قالت: فانكَفأت)** بالهمزة أي انقلبت حال كوني **(راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه)** بالواو وفي نسخةٍ فإنه بالفاء

رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العَرْق في يده ما وضعه فقال: «إنه قد أذن لكُنَّ أن تخرُجْنَ لحاجتكن».

---

**(ليتعشى)** أي يأكل العشاء **(في يده)** بدون واوٍ وفي نسخةٍ: وفي يده بالواو **(عَرْقٌ)** بفتح العين وسكون الراء ثم قاف العظم الذي عليه اللحم **(فدَخَلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت)** أي عائشة: **(فأوحى الله إليه)** وفي نسخةٍ: فأُوحيَ إليه بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(ثم رَفَعَ عنه)** ما كان فيه من الشدة بسبب نزول الوحي **(وإن العَرْقَ)** بفتح العين وسكون الراء **(في يده ما وضعه)** والجملة حالية **(فقال: إنه)** أي الشأن **(قد أُذِنَ)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(لكنَّ أن تخرجنَ لحاجتكنَّ)** دفعاً للحرج والمشقة عليكنَّ، وفيه تنبيه على أن المراد بالحجاب المطلوب في آية الحجاب الستر حتى لا يبدو من جسدهنَّ شيء لا حجب أشخاصهنَّ في البيوت، والمراد بالحاجة البُراز كما تقدم في الوضوء فإن قلت: قال هنا: إنه كان بعد ما ضُرِب الحجاب وفي الوضوء أنه قبل الحجاب، قال الكرماني: لعله وقع مرتين ومراده أن خروج سودة للبُرَازَ وقول عمر لها ما ذُكِر وقع مرتين لا وقوع الحجاب وقول الحافظ ابن حجر عقب جواب الكرماني: قلت: بل المراد بالحجاب الأوَّل غير الحجاب الثاني فيه نظر إذ ليس في الحديث ما يدل لذلك ولم يقل أحد بتعداد الحجاب نعم يحتمل أن يكون مراده الحجاب الثاني بالنظر لإرادة عمر رضي الله تعالى عنه أن يحتجبن في البيوت فلا يبدين أشخاصهنَّ، فوقع الإذن لهنَّ في الخروج لحاجتهنَ دفعاً للمشقة كما صرح به هو في الفتح، وليس المراد نزول الحجاب مرتين على نوعين وتقدم أن نزول آية الحجاب أحد الموافقات لعُمَر وهي خمسة عشر كما مرَّ تسع لفظيات وأربع معنويات وثنتان في التوراة فأما اللفظيات فمقام إبراهيم حيث قال يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلىً فنزلت والحجاب وأسارى بدر حيث شاوره ﷺ فيهم فقال هؤلاء أئمة الكفر فأضرب أعناقهم فهوي ﷺ ما قاله الصديق من إطلاقهم وأخذ الفداء، فنزلت ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى﴾ [الأنفال: ٦٧] وقوله لأمهات المؤمنين لتكففن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكنَّ فنزلت وقوله لما اعتزل عليه الصلاة والسلام نساءه في المشربة يا رسول الله إن كنت طلقت نساءك فالله عز وجل معك وجبريل وأنا وأبو بكر والمؤمنون فأنزل الله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه﴾[التحريم: ٤] الآية وأخذه بثوب النبي ﷺ أي لما قام يصلي على عبد الله بن أُبي ومنعه إياه من الصلاة عليه فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً﴾ [التوبة: ٨٤] ولما نزل ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾ [التوبة: ٨٠] قال عليه الصلاة والسلام فلأزيدن على السبعين فأخذ في الاستغفار لهم فقال: عمر يا رسول الله لا يغفر الله لهم

قوله عزّ وجلّ: ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾ [الأحزاب: ٥٤].

---

أبداً استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فنزلت ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ [المنافقون: ٦] ولما نزل قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أنشأناه خلقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٢و١٤] قال عمر: تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت ولما استشاره عليه الصلاة والسلام في عائشة حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فقال عمر: يا رسول الله من زوَّجكها؟ قال: الله تعالى؛ قال: أفتظن أن ربك دلَّسَ عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ فأنزلها الله تعالى. وأما المعنويات فإن عمر قال لليهود أُنشِدكم بالله هل تجدون وصف محمدٍ ﷺ في كتابكم؟ قالوا: نعم قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا إن الله لم يبعث رسولاً إلا كان له من الملائكة كفيل وإن جبريل هو الذي يكفل محمداً وهو عدوُّنا من الملائكة وميكائيل سِلمنا، فلو كان هو الذي يأتيه لاتبعناه قال عمر: فإني أشهد ما كان ميكائيل ليعادي سِلْم جبريل وما كان جبريل ليسالم عدوَّ ميكائيل فنزلت: ﴿قل من كان عدواً لجبريل﴾ إلى قوله: ﴿عدو للكافرين﴾ [البقرة: ٩٧ ـ ٩٨]، وكان عمر حريصاً على تحريم الخمر فكان يقول: اللهم بيِّن لنا في الخمر فإنها تُذهِب المال والعقل، فنزل تحريمها في آيات كقوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر﴾ [المائدة: ٩٠] الآية، ودخل عليه جماعة وقت الظهيرة وهو نائم وقد انكشف بعض جسده فكره ذلك وقال: اللهم حرِّم الدخول علينا في وقت نومنا فنزل ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم﴾ [النور: ٥٨] الآية ولما نزل قوله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾ [الواقعة: ١٣ ـ ١٤] حزن عمر وقال: لم ينج منَّا إلا القليل، فأنزل الله تعالى: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الأخرين﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠]. وأما موافقته لما في التوراة فروي أنه جاء رجل يهودي إليه فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٢٣] فأين النار؟ فقال لأصحاب النبي ﷺ: أجيبوه، فلم يكن عندهم منها شيء، فقال عمر: أفرأيت النهار إذا جاء أليس يملأ السموات والأرض؟ قال بلى. قال: فأين الليل؟ قال: حيث شاء الله عزَّ وجلَّ قال عمر: فالنار حيث شاء الله عزَّ وجلَّ، قال اليهودي: والذي نفسك بيده يا أمير المؤمنين إنها لفي كتاب الله المنزل كما قلت. وروي أن كعب الأحبار قال يوماً عند عمر بن الخطاب: ويلٌ لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه فقال كعب: والذي نفس عمرٍ بيده إنها لتابعتها في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فخر عمر ساجداً لله تعالى.

**(قوله: عزَّ وجلَّ)** يخاطب من أضمر نكاح عائشة بعده ﷺ (**﴿إن تبدوا﴾**) أي تظهروا (**﴿شيئاً﴾**) من تزويج أمهات المؤمنين على ألسنتكم (**﴿أو تخفوه﴾**) في صدوركم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس بعدما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى استأذن فيه النبي ﷺ فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فدخل علي النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله أن أفلح أخا أبي القعيس استأذن على فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك فقال رسول الله ﷺ: «وما منعك أن تأذنين عمك»؟ قلت: يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال: «ائذني له فإنه عمك تربت يمينك». قوله عزّ وجلّ: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦].

عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله أما السلام عليك

---

(**الآية. عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: استأذن عليَّ**) بتشديد الياء أي طلب الإذن في الدخول عليَّ (**أفلح**) بفتح الهمزة وسكون الفاء وبعد اللام حاء مهملة (**أخو أبي القُعَيس**) بضم القاف وفتح العين المهملة وبعد التحتية الساكنة مهملة واسمه وائل الأشعري (**بعدما نزل الحجاب**) آخر سنة خمس (**فقلت: لا آذن له**) بالمد (**حتى استأذن فيه رسول الله ﷺ فإن أخاه أبا القُعيس ليس هو**) الذي (**أرضعني ولكنْ أرضعتني امرأة أبي القُعيس فدخل عليَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن عليَّ**) أي في الدخول عليَّ (**فأبيت أن آذن له**) بالمد، وفي نسخةٍ إسقاط له (**حتى أستأذنك فقال رسول الله ﷺ**) وفي نسخة النبي ﷺ: (**وما منعك أن تأذنين**) بالرفع بثبوت النون على إهمال إن الناصبة حملاً على ما أختها، وفي نسخةٍ أن تأذني بحذف النون للناصب (**لعمِّك؟**) وفي نسخةٍ: عمَّك بالنصب على المفعولية، أو بالرفع أي هو عمُّك (**قلت: يا رسول الله إن الرجل ليس هو أرضعني ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس فقال**) عليه الصلاة والسلام: (**ائذني له فإنه عمك تربت يمينك**) كلمة تقولها العرب ولا يريدون حقيقتها، ومعناه في الأصل لصقت يمينك بالتراب والمراد لزم ذلك وهو الفقر أي افتقرت يمينك وقيل المعنى ضَعُفَ عقلكِ إذا قلت هذا أو تربت يمينك إن لم تفعلي فكانت عائشة بعد ذلك تقول حرِّموا منْ الرضاعة ما تُحَرِّمون من النسب.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾**) الآية قيل إنَّ يصلون خبراً عن إن الله وملائكته وقيل خبر الثاني فقط وخبر الأول محذوف لتغاير معنى الصلاتين، لكن فيه أنه إذا اختلف مدلول الخبرين لم يجز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحدٍ، لا تقولِ زيد ضارب وعمرو أي ضارب وتريد ضارب في الأرض أي مسافر وعبر بالمضارع للدلالة على الدوام والاستمرار. (**عن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قيل يا رسول الله**) القائل كعب بن عجرة ووقع السؤال عن ذلك أيضاً بشير

فقد عرفناه فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم أنك حميد مجيد».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا التسليم فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم». قوله

---

ابن سعد والد النعمان بن بشير كما في مسلم **(أما السلام عليك فقد عرفناه)** بما علمتنا أن نقول في التحيات: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وقد أمرنا الله بالصلاة والسلام عليك. وعند الترمذي عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام **(فكيف الصلاة؟)** وفي نسخةٍ «عليك» أي علّمنا كيف اللفظ الذي به نصلي عليك كما علّمتنا السلام فالراد بعدم علمهم الصلاة عدم معرفة تأديتها بلفظ لائقٍ به عليه الصلاة والسلام، ولذا وقع بلفظ «كيف» التي يُسأل بها عن الصفة، وفي حديث ابن مسعود البدري عند الإمام أحمد وأبي داود والنسائي والحاكم أنهم قالوا: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن نصلي عليك في صلاتنا؟ وبه استدل الشافعيٍ على وجوب الصلاة في التشهد الأخير **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(قولوا: اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد)** والأمر للوجوب وقال قولوا ولم يقل قل لأن الأمر يقع للكل وإن كان السائل البعض **(كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ)** فعيلٌ من الحمد بمعنى محمود وهو مَنْ تَحْمَدُ ذاتُه وصفاتُه أو المستحق لذلك **(مجيد)** مبالغة بمعنى ما جد من المجد وهو الشرف **(اللهم بارك)** من البركة وهو الزيادة من الخير **(على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)**ولم يقل في الموضعين على إبراهيم، بل قال: كما صليت على آل إبراهيم وكما باركت على آل إبراهيم وفي روايةٍ: كما صليت على إبراهيم، واعترض التشبيه المذكور بأنه يشترط أن يكون المشبه به أقوى من المشبه، وأجيب بأن التشبيه ليس من باب إلحاق الكامل بالأكمل بل من باب التهييج ونحوه، أي كما تقدمت منك الصلاة على إبراهيم فنسأل منك الصلاة على محمد بطريق الأولى لأن الذي يثبت للفاضل يثبت للأفضل بطريق الأولى وقيل غير ذلك. **(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قلنا: يا رسول الله هذا التسليم)** بوزن التكليم قد عرفناه **(فكيف نصلي عليك قال: قولوا: اللهم صلى على محمدٍ عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم)** وفي روايةٍ كما صليت على إبراهيم **(وبارك على محمد وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم)** ذكر إبراهيم وأسقط آل إبراهيم وفي

عزّ وجلّ: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله﴾ [الأحزاب: ٦٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حيياً». قوله تعالى: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ [سبأ: ٤٦].

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش قالوا: ما لك قال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو

---

روايةٍ: وبارك على محمدٍ وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم بإسقاط لفظ على في الموضعين وإثبات إبراهيم وآله في كما باركت، ولما اختلفت ألفاظ الحديث في الإتيان بهما معاً وفي إفراد أحدهما كان أولى المحامل أن يحمل على أنه ﷺ قال ذلك كله ويكون بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر، ويحتمل أن يكون من اقتصر على آل إبراهيم بدون ذكر إبراهيم رواه بالمعنى بناءً على دخول إبراهيم في قوله آل إبراهيم، لأنه يطلق آل فلان على نفسه وعليه وعلى من يضاف إليه جميعاً، وفي روايةٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وكذا في قوله كما باركت، وبذلك يندفع قول ابن القيم: إن الأحاديث كلها مصرّحة بذكر محمدٍ وآل محمد وبذكر آل إبراهيم فقط أو بذكر إبراهيم فقط، ولم يجىء في حديث الصحيح بلفظ إبراهيم وآل إبراهيم معاً. **(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾)** أي لا تؤذوا رسول الله كما آذى إسرائيل موسى. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن موسى)** عليه الصلاة والسلام **(كان رجلاً حَيِيًا)** بفتح الحاء المهملة وكسر التحتية الأولى وتشديد الثانية، أي كثير الحياء، زاد في رواية: «سِتِّيراً إلا يُرَى من جسده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر موسى هذا الستر إلا بعيب في جلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على حجرٍ ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وأن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى أنتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عُرياناً أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إن هو إلا نذيرٌ لكم﴾. عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه)** بسكون الهاء أو بضمها وهي كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم كانوا أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه يقول: قد غشينا العدو، وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار

يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقوني» قالوا: بلى قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا اجمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تبت يد أبي لَهب﴾ [المسد: ١]. قوله تعالى: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [الزمر: ٥٣].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة

---

عاودوه، فكأنه يريد بقوله: يا صباحاه قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال (**فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك فقال**) وفي نسخةٍ قال: (**أرأيتم**) أي أخبروني (**لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يُمَسِّيكم أما**) بالتخفيف (**كنتم تصدقوني؟**) وفي نسخةٍ تصدقونني (**قالوا بلى**) نصدقك (**قال: فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد**) يوم القيامة أي قدَّامه (**فقال أبو لهبٍ: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تبت﴾**) أي خسرت أو هلكت (**﴿يدا أبي لهبٍ وتب﴾**) أي خسر أو هلك.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾**) بالمعاصي (**الآية**) أي لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً الكبائر وغيرها، فنغفر مع التوبة أو بدونها خلافاً للمعتزلة حيث ذهبوا إلى أنه يعفو عن الصغائر قبل التوبة وعن الكبائر بعدها، وجمهور أصحابنا أنه يعفو عن بعض الكبائر مطلقاً ويعذِّب ببعضها إلا أنه لا علم لنا الآن بشيء من هذين البعضين بعينه، وقال كثير منهم: لا نقطع بعفوهِ عن الكبائر بلا توبة بل بجوازه. (**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ناساً من أهل الشرك**) سمى الواقدي منهم وحشي بن حرب قاتل حمزة (**كانوا قد قتلوا وأكثروا**) من القتل (**وزنوا وأكثروا**) من الزنا (**فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه**) من الإسلام وفي نسخةٍ: به (**حسن**) وفي نسخةٍ: لحسن (**لو تخبرنا أن لِما**) أي للذي (**عملنا كفارة فنزل ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر﴾ الآية، ونزل قوله تعالى ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾**) وعند الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه من حديث ثوبان مرفوعاً: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا»، الخ فقال رجل: يا رسول الله فمن أشرك؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال: «إلا ومن أشرك» ثلاث مرات. وعنده أيضاً عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعته ﷺ يقول: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي»، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهم يدعونهم إلى التوبة

الله﴾ [الزمر: ٥٣] قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧].

عن عبد الله رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأراضين على إصبع، والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧].

---

والمغفرة»، ولما أسلم وحشي بن حرب قالت الناس: يا رسول الله إنا أصبنا ما أصاب وحشي فقال: هي للمسلمين عامة، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «قد دعا الله سبحانه وتعالى إلى توبته مَن قال أنا ربكم الأعلى وقال ما علمت لكم من إله غيري فمن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله، ولكن إذا تاب الله على العبد تاب».

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وما قدر والله حق قدره﴾**) أي ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره أو ما عرفوه حتى معرفته. (**عن عبد الله**) بن مسعود (**رضي الله عنه**) أنه (**قال: جاء حبر**) بفتح الحاء المهملة (**من الأحبار**) أي عالم من علماء اليهود قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه (**إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد**) أي في التوراة (**أن الله يجعل**) وفي نسخةٍ يُمسك (**السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع**) وفي نسخةٍ إسقاط والماء على أصبع وفي نسخةٍ أخرى: والماء والثرى (**وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك**) أي المنفرد بالمُلك (**فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه**) بالجيم والذال المعجمة أي أنيابه وهي الضواحك التي تبدو عند الضحك (**تصديقاً لقول الحبر**) وفي روايةٍ تعجباً مما قاله الحبر وتصديقاً له (**ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وما قدر والله حق قدره﴾**) وقراءته عليه الصلاة والسلام هذه الآية تدل على صحة قول الحبر لضحكه، وهذه كغيره من المتشابه كالوجه واليدين والقدم والرجل والجَنْب في قوله تعالى: ﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله﴾ [الزمر: ٥٦] واختلف أئمتنا في ذلك هل يؤول المشكل أم يفوض معناه المراد إليه تعالى؟ مع استحالة إرادة ظاهره، واتفقوا على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح في اعتقادنا المراد منه، والتفويض مذهب السلف وهو أسلم، والتأويل مذهب الخلف وهو أعلم أي أحوج إلى مزيد علم فيؤَوَّل الإصبع هنا بالقدرة إذا إرادة الجارحة مستحيلة، وبهذا يندفع قول بعضهم أن قوله تصديقاً لقول الحبر مدْرَج من كلام الراوي لأن نسبة الأصابع إلى الله تعالى مستحيلة، وإنما ضحكه تعجباً من كذب اليهودي فظن الراوي أنه تصديق، وهذا مردود إذ كيف يسمع ﷺ وصف ربه بما لا يرضاه فيضحك ولم ينكره أشد الإنكار حاشاه الله من ذلك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ [الزمر: ٦٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض». قوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ [الزمر: ٦٨].

---

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾)** القبضة بفتح القاف المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة بالضم وهي المقدار المقبوضْ بالكف تسميةً بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقبض الله الأرض ويطوي السموات)** وفي نسخةٍ: السماء **(بيمينه)** أي بقدرته والطي يطلق على الإدراج كطيِّ القرطاس كما قال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجلِّ للكتاب﴾ [الأنبياء: ١٠٤] على الإفناء تقول العرب طويت فلاناً بسيفي أي أفنيته **(ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض)** ولمسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أي الجبارون أين المتكبرون، ثم يطوي الأرض بشماله ثم يقول أنا الملك» الحديث فأضاف طي السموات وقبضها إلى اليمين وقبض الأرض وطيِّها إلى الشمال تنبيهاً وتخييلاً لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل وأكد الأرض في الآية بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغابرة، وخصَّ ذلك بيوم القيامة ليدلَّ على أنه كما ظهر كمال قدرته في الإيجاد عند عِمَارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الإعدام عند خرابها.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ونفخ في الصور﴾)** النفخة الأولى وهو بسكون الواو القرن وقرأ الحسن بفتحها جمع صورة **(فصعق من في السموات ومن في الأرض)** خرَّ ميتاً أو مغشياً عليه **(الآية)** أي إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم يموتون بعد، وقيل: حملة العرش وقيل رضوان والحور والزبانية، وعلى هذا فالاستثناء متصل، وقال الحسن: الباري سبحانه وتعالى وعليه فهو منقطعٌ لعدم دخوله في قوله من في السموات ومن في الأرض فإنه سبحانه وتعالى لا يتحيز: ﴿ثم نُفِخ فيه أخرى﴾ أي نفخةً أخرى ﴿فإذا هم قيام﴾ أي قائمون من قبورهم حال كونهم ﴿ينظرون﴾ البعث أو أمر الله تعالى فيهم واختُلف في الصعقة فقيل إنها غير الموت كقوله تعالى: في موسى ﴿وخر موسى صَعِقاً﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهو لم يمت فهذه النفخة تورث الفزع الشديد، وحينئذٍ فالمراد من نفخ الصعقة ونفخ الفزع واحد وهوالمذكور في النمل في قوله تعالى: ﴿ويوم ينفخ في الصور فَفَزِع من في السموات ومن في الأرض﴾ وعلى هذا فنفخ الصور مرتين فقط، وقيل الصعقة الموت فالمراد بالفزع كيدودة الموت أي قربه من الفزع وشدة الصوت، فالنفخ ثلاث مرات نفخة الفزع المذكورة في النمل ونفخة الصعق ونفخة القيام. **(عن أبي**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً قال: أبيت قال أربعون سنةً قال أبيت: قالوا أربعون شهراً قال أبيت ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق. قوله عزّ وجلّ: ﴿إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣].

---

**هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: بين النفختين)** وفي نسخةٍ: «ما بين النفختين» نفخة الإماتة ونفخة البعث **(أربعون، قالوا)** أي أصحاب أبي هريرة ولم يعرف الحافظ ابن حجر اسم واحد منهم: **(يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال)** أبو هريرة: **(أَبَيْتُ)** بموحدة أي امتنعت عن تعيين ذلك **(قالوا)** وفي نسخةٍ: قال أي السائل **(أربعون شهراً؟ قال)** أبو هريرة: **(أَبَيْتَ)** أي امتنعت عن تعيين ذلك **(قالوا)** وفي نسخةٍ: قال: **(أربعون سنةً؟ قال)** أبو هريرة: **(أعبَيْت)** أي امتنعت عن تعيين ذلك وفي نسخةٍ: تقديم الأربعين سنة على الأربعين شهراً أي لا أدري الأربعين الفاصلة بين النفختين أيامٌ أم سنون أم شهور، وعند ابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال: بين النفختين أربعون، قالوا أربعون ماذا؟ قال: هكذا سمعت. وعنده أيضاً من وجهٍ ضعيف عن ابن عباس قال: بين النفختين أربعون سنة، وعند ابن المبارك عن الحسن مرفوعاً: «بين النفختين أربعون سنةً يميت الله تعالى بها حيٌّ والأخرى يحيى الله تعالى بها كلَّ مَيْتٍ»، وقال الحليمي: اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنةً، وفي جامع ابن وهبٍ أربعين جمعة وسنده منقطع **(ويبلى)** بفتح أوله أي يفنى **(كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب ذَنَبه)** بفتح العين المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة، ويقال: عجم بالميم وهو عَظْم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العُصعُص بين الإليتين، وعند أبي داود والحاكم وابن أبي الدنيا من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «أنه مثل حبة الخردل» ولمسلم من طريق أبي الزِّناد عن الأعرج عن أبي هريرة: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجمُ الذنَبِ» **(فيه)** أي بسببه أو منه **(يركب الخلق)** يعني أنه يكون علامة للملائكة على إعادة تلك الأجزاء بعينها لذلك المخلوق، ولمسلم من طريق همام عن أبي هريرة: «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركَب يوم القيامة قال: أي عظم؟ قال: عجب الذنب» وهو يُردُّ على المزني في قوله: إن إلا هنا بمعنى الواو أي وعجب الذنب أيضاً يَبْلى، وقوله يَبْلى كل شيءٍ من الإنسان عام يخص منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن الأرض لا تأكل أجسادهم، وقد ألحق ابن عبد البر الشهداء والقرطبي المؤذن المحتسب.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قل لا أسألكم عليه﴾)** أي على تبليغ الوحي **(﴿أجراً إلا المودة في القُرْبى﴾)** أي إلا أن تودوني لقرابتي منكم أو تودوا أهل قرابتي، والاستثناء منقطع إذ ليست المودة من جنس الأجر والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة، وفي

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «إلا أن تَصِلوا ما بيني وبينكم من القرابة». قوله تعالى: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ [الدخان: ١٢] فيه حديث لابن

---

القربى حال منها أي إلا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في أهلها، أو في حق القرابة ومن أجلها فإن قلت لا نزاع أنه لا يجوز طلب الأجر على تبليغ الوحي أجيب بأنه من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

يعني أنا لا أطلب منكم إلا هذا وهذا ليس في الحقيقة أجراً لأن حصول المودة بين المسلمين أمرٌ واجب ففي حق أشرف الخلق أولى، فكأنه قال: والمودة في القربى ليست أجراً فلا أجر البتة. **(عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال)** في تفسير قوله تعالى: ﴿إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] **(إن النبي ﷺ لم يكن بطنٌ من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة)** فحمل الآية على أن معناه أن تودوا النبي ﷺ من أجل القرابة التي بينه وبينكم، والخطاب خاص بقريش ورُدَّ بذلك على سعيد بن جبير في قوله المراد قربى آل محمد ﷺ، فحمْلُ الآية على أمر المخاطبين بأن يوادوا أقاربه ﷺ فالخطاب عام لجميع المكلفين ويؤيد ما قاله ابن عباس أن السورة مكية، وأما حديثه عند أبي حاتم قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله تعالى بمودتهم قال فاطمة وولداها عليهم السلام، فقال ابن كثير: إسناده ضعيف فيه مُنَّهم لا يُعْرَف، والآية مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة، فتفسير الآية بما فسَّر به حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أحقُّ وأولى، ولا تنكر الوصاية بأهل البيت واحترامهم وإكرامهم إذ هم من الذرية الطاهرة التي هي أشرف بيت وُجِدَ على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولاسيما إذا كانوا متبعين للسنة الصحيحة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وآل بيته وذريته رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بمحبتهم.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿بنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾)** أي عذاب القحط والجهد أو عذاب الدُّخان الآتي قرب قيام الساعة، أو عذاب النار حين يدعون إليها في القيامة، أو دخان يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ورُجِّح الأول بأن القحط لما اشتد على أهل مكة أتاه أبو سفيان فناشده الرحم ووعده إن كُشِفَ عنهم آمنوا، فلما كُشِفَ عادوا، ولو حملناه على الآخرين لم يصح لأنه لا يصح أن يقال لهم حينئذٍ ﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ [الدخان: ١٥] **(فيه)** أي في هذا القول أي في تفسيره **(حديث ابن مسعود**

مسعود المتقدم في سورة الروم وزاد في هذه الرواية قالوا ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾ [الدخان: ١٢] فقيل له: إنا إن كشفنا عنهم العذاب عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر. قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [الجاثية: ٢٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار». قوله

---

**المتقدم في سورة الروم)** وهو أن قريشاً لما غلبوا على النبي ﷺ بخروجهم عن طاعته واستعصوا عليه قال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سَنَة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان بسبب الجوع **(وزاد في هذه الرواية: قالوا ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾)** وعدوا بالإيمان إن كشف عنهم الجوع **(فقيل له)** ﷺ **(إن كشفنا عنهم العذاب عادوا)** إلى كفرهم **(فدعا)** عليه الصلاة والسلام **(ربه فكشف عنهم)** ذلك **(فعادوا)** إلى كفرهم **(فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر)** فذلك قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ [الدخان: ١٦].

**(قوله تعالى: ﴿وما يُهلِكنا﴾)** أي وما يفنينا **(إلا الدهر)** أي إلا مرور الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار، وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: ﴿يؤذيني ابن آدم﴾)** أي يخاطبني من القول بما يتأذى به من يجوز في حقه التأذي، والله سبحانه وتعالى منزه عن أن يصير في حقه الأذى إذ هو محالٌ عليه وإنما هذا من التوسع في الكلام والمراد أن من وقع ذلك منه معرَّض لسخط الله عز وجل **(يسب الدهر)** أي يقول إذا أصابه مكروه بؤساً للدهر وتباً له **(وأنا الدهر)** بالرفع أي خالق الدهر **(بيدي الأمر)** الذي ينسبونه إلى الدهر **(أقلِّب الليل والنهار)** وروي نصب الدهر في قوله وأنا الدهر أي أقلب الليل والنهار في الدهر، والرفع أولى لأن تقديم الظرف إما للاهتمام أو للاختصاص والمقام ليس مقتضياً لواحدٍ منهما، وقيل الدهر الثاني غير الأول إذ هو مصدر بمعنى الفاعل ومعناه: أنا الدهر المصرِّف المقدر لما يحدث، فإذا سبَّ ابن آدم الدهر بمعنى الزمان من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبه إليَّ لأني فاعلها، وإنما الدهر زمان جعلته ظرفاً لمواقع الأمور. قال الشافعي والخطابي وغيرهما: وهذا مذهب الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب المنكرين للمعاد والفلاسفة الدهرية الدورية المنكرين للصانع المعتقدين أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وكابروا المعقول وكذَّبوا المنقول، قال ابن كثير: وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه

تعالى: ﴿فلما رأوه عارضاً مستقبل أو ديتهم﴾ [الأحقاف: ٢٤].

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لَهوَاته إنما كان يتبسم وذكرت باقي الحديث وقد تقدم في بدء الخلق. قوله تعالى: ﴿وتقطعوا أرحامكم﴾ [محمد: ٢٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت فقال: مه قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال:

---

من الظاهرية في عدِّهم الدهر من الأسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فلما رأوه﴾**) أي العذاب (**عارضاً**) أي سحاباً عرض في أفق السماء أو الضمير للسحاب أي فلما رأوا السحاب عارضاً (**مستقبل أوديتهم الآية**) صفة لعارضاً أي متوجه أوديتهم والإضافة فيه لفظية فلذا صبح أن يكون نعتاً للنكرة. (**عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى منه لهواته**) بتحريك الهاء جمع لهاة وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أعلى الحنك (**إنما كان يتبسم وذكرت باقي الحديث**) وهو أنه كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِف في وجهه الكراهية، فقالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا به رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيْتَه عُرِف في وجهك الكراهية فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا» (**وقد تقدم في بد الخلق قوله عز وجل ﴿وتُقَطِّعوا أرحامكم﴾**) بتشديد الطاء المكسورة على التكثير، وقرىء بفتح الطاء وبسكون القاف وفتح الطاء مخففة مضارع قطع. (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: مخلق الله الخلق فلما فرغ منه**) أي قضاه وأتمه أو نحو ذلك مما يشهد بأنه مجاز من القول فإنه سبحانه وتعالى لن يشغله شأن عن شأن (**قامت الرحم**) أي حقيقة بأن تجسمت أو قام ملك فتكلم على لسانها (**فأخذت**) مفعوله محذوف في أكثر الروايات، وفي رواية ابن السكن: «فأخذت بحقوِ الرحمن» بفتح الحاء وكسرها وفي روايةٍ: «بحقوي الرحمن» بالتثنية والحقو الإزار والخصر أي موضع شد الإزار، قال في المصباح: الحَقوُ بالفتح موضع شد الإزار وهو الخاصرة ثم توسعوا فيه حتى سموا الإزار الذي يشد على العورة حقواً اهـ وتثنيته للتأكيد لأن الأخذ باليدين آكد في الاستجارة من الأخذ بيدٍ واحدة، قال البيضاوي: لما كان من عادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار به أو بطرف ردائه وازاره وربما أخذ بحقو إزاره مبالغةً في الاستجارة، فكأنه يشير إلى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه كما يحرس ما تحت إزاره ويذب عنه فإنه لاصق به لا ينفك عنه استعير ذلك للرحم. وقال الطيبي: وهذا ينبني على الاستعارة التمثيلية التي الوجه فيها منتزع عن أمور متوهمة للمشبه المعقول، وذلك أنه

ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب قال: فذاك قال: أبو هريرة فاقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ [محمد: ٢٢].

وفي رواية عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرؤوا إن شئتم ﴿فهل عسيتم﴾».

قوله تعالى: ﴿وتقول هل من مزيد﴾ [ق: ٣٠].

---

شبه حالة الرحم وما هي عليه من الافتقار إلى الصلة والذب عنها من القطيعة بحال مستجير يأخذ بذيل المستجار به، وحقو إزاره، والجامع مطلق حال منتزعة من متعدد ثم أدخل الحال المشبه في جنس المشبه به واستعمل في الحال المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به من الألفاظ بدلائل قرائن الأحوال، ويجوز أن تكون مكنيةً بأن يشبه الرحم بإنسان مستجير بمن يحميه ويحرسه ويُذْهِب عنه ما يؤذيه ثم أسند على سبيل الاستعارة التخيلية ما هو لازم المشبه به من القيام ليكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ثم رشحت الاستعارة بأخذ الحقو والقول، وقوله بحقو الرحمن استعارة أخرى مثلها والمراد تعظيم شأن الرحم وفضيلة واصلها وإثم قاطعها فقال تعالى: (﴿مه﴾) بفتح الميم وسكون الهاء اسم فعل أي اكفف وانزجر وقال ابن مالك: هي ما الاستفهامية حذفت ألفها ووقف عليها بهاء السكت، والشائع أن لا يفعل ذلك بها إلا وهي مجرورة ومن استعمالها غير مجرورة كما هنا قول أبي ذؤيب الهذلي: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله ﷺ فإن كان المراد الزجر فواضح وإن كان الاستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام فإنه تعالى يعلم السر وأخفى (**قالت: هذا مقام العائذ**) بالذال المعجمة أي قيامي هذا قيام المستجير (**بك من القطيعة**) وعند أحمد أنها تكلم بلسان طلقٍ ذلقٍ (**قال**) تعالى: (**﴿أترضين﴾**) وفي نسخةٍ ألا ترضين (**أن أصل من وصلك**) بأن أتعطف عليه وأرحمه لطفاً وفضلاً (**وأقطع من قطعك**) فلا أرحمه (**قالت: بلى يا رب**) أي رضيت (**قال: فذاك**) بكسر الكاف إشارة إلى قوله: ألا ترضين الخ زاد الإسماعيلي لك (**قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فاقرؤوا إن شئتم فهل عسيتم**) أي فهل يتوقع منكم (**إن توليتم**) أحكام الناس فأمرتم عليهم أو أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه (**أن تفسدوا في الأرض**) بالمعصية والبغي وسفك الدماء (**وتقطعوا أرحامكم**) تجاذباً للولاية أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من مقاتلة الأقارب والمعنى أنهم أضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم ويقال لهم ذلك (**وفي روايةٍ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا إن شئتم فهل عسيتم**) يعني أن قوله: «اقرؤوا إن شئتم» روي موقوفاً على أبي هريرة في الرواية السابقة ومرفوعاً إلى النبي ﷺ في هذه، قال الإمام النووي رحمه الله تعالى لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها

عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول: قطِ قطِ».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تحاجَّت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عزّ وجلّ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من

---

معصية والصلة درجات بعضها أرفع من بعض وأدناها صلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك بإختلاف القدرة والحاجة اهـ وفي حديث أبي بَكْرَة مرفوعاً: «ما من ذنبٍ أحرى أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرَّحم» رواه أحمد، وعنده من حديث ثوبان مرفوعاً: «من سره النسأ في الأجل والزيادة في الرِّزق فليصل رحمه».

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾)** سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير، والمعنى أنها من السِّعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أوانها من شدة زفيرها وحِدَّتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم، والمزيد مصدر بمعنى الزيادة أو اسم مفعول أي هل من شيءٍ تزيدونيه أحرقه، والسؤال والجواب حينئذٍ قبل دخول جميع أهلها وقيل: بعد دخولهم والمعنى أنها مع اتساعها يُطرح فيها الإنس والجن فوجاً فوجاً حتى تمتلىء فيقال لها على سبيل التقرير: هل امتلأت بمعنى قد امتلأت فتقول: هل من مزيدٍ أي لا مزيد على ذلك، فالاستفهام بمعنى النفي أي قد امتلأت ولم يبق في موضعِ قدمٍ لم يمتلىء لكنَّ هذا لا يناسب معنى الحديث المذكور. **(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: يلقى في النار)** أهلها **(وتقول)** مستفهمة أي أنها تصور بصورة القائل أو يقول خزنتها **(هل من مزيدٍ)** أي هل من زيادة فأزاد **(حتى يضع)** وفي روايةٍ: «فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها» وعند مسلم: **(حتى يضع رب العزة)** **(قدمه)** فيها أي يذللها تذليل من يوضع تحت الرجل والعرب تضرب الأمثال بالأعضاء ولا تريد أعيانها كقوله للنادم سقط في يده، أو المراد قدم بعض المخلوقين فيكون الضمير لمخلوق معلوم **(فتقول)** النار **(قطِ قطِ)** بكسر الطاء وسكونها فيهما ويجوز التنوين مع الكسر والمعنى حسبي حسبي قد اكتفيت. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: تحاجت الجنة والنار)** أي تخاصمتا بلسان المقال أو الحال **(فقالت النار: أوثرت)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول بمعنى اختصصت **(بالمتكبرين والمتجبرين)** مترادفان لغة فالثاني تأكيد لسابقه أو المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه أو الذي لا يكترث بأمر ضعفاء الناس وسقطهم **(وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس)** الذين لا يلتفت إليهم

أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تملىء حتى يضع رجله فتقول قطٍ قطٍ قطٍ فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عزّ زجلّ من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله تعالى ينشىء لها خلقاً». قوله تعالى: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ [الطور: ١ ـ ٢].

---

لمسكنتهم ولتواضعهم لربهم عزَّ وجلَّ وذلتهم له (**وسَقَطهم**) بفتحتين المحتقرون بين الناس الساقطون من أعينهم (**فقال الله عزَّ وجلَّ: للجنة: ﴿أنت رحمتي﴾**) أي محل رحمتي وفي نسخةٍ: «أنت رحمة» وسماها رحمة لأن بها تظهر رحمته تعالى كما قال: (**﴿أرحم بك من أشاء من عبادي﴾**) وإلا فرحمته تعالى من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً (**وقال للنار: ﴿أنت عذابي﴾**) وفي نسخةٍ: «أنت عذاب» (**أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما**) وفي نسخةٍ: منكما (**ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله**) وفي مسلمٍ حتى يضع الله رجله، وأنكر ابن فورك لفظ رجله وقال إنها غير ثابته، وقال ابن الجوزي هي تحريف من بعض الرواة ورُدَّ عليهما برواية الصحيحين بها وأُوِّلت بالجماعة كرجل من جراد أي يضع فيها جماعة وأضافهم إليه إضافة اختصاص، وقال البغوي القدم والرجل في هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزه عن التكيف والتشبيه، فالإيمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم والخائض فيها زائع والمنكر معطِّل والمكيِّف مشبه ليس كمثله شيء (**فتقول**) النار إذا وضع رجله فيها (**قطٍ قطٍ قطٍ**) ثلاثاً بتنوينها مكسورة ومسكنة وفي نسخةٍ: مرتين فقط كالرواية السابقة (**فهناك تمتلىء ويزوى**) بضم أوله وفتح ثالثه (**بعضها إلى بعض**)) أي يجتمع وتلتقى على من فيها ولا ينشىء الله تعالى لها خلقاً (**ولا يظلم الله عزَّ وجلَّ من خلقه أحداً**) لم يعلم سوءاً فلا يُنشىء لها خلقاً يعذبهم لأنه ظُلْم، وللمعتزلة أن يقولوا[1]: إن نفي الظلم عمن لم يذنب دليل على أنه إن عذبهم كان ظالماً وهو عين مذهبنا من وجوب الصلاح في حقه تعالى، والجواب أنه تعالى وإن عذَّبهم لم يكن ظالماً فإنه لم يتصرف في ملك غيره والظلم هو التصرف في ملك الغير، لكنه تعالى لم يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغةً فنفي الظلم إثبات للكرم (**وأما الجنة فإن الله تعالى ينشىء لها خلقاً**) لم تعمل خيراً حتى تمتلىء فالثواب ليس موقوفاً على العمل، وفي حديث أنس عند مسلم مرفوعاً: «يبقى من الجنة ما شاء الله ثم ينشىء الله تعالى خلقاً مما يشاء» وفي روايةٍ: «ولا

---

(١) لا معنى لهذا السؤال وجوابه مع أن الله محال عليه شرعاً أن يعذب بلا ذنب وهو الحكيم الذي لحكمته لا يضع شيئاً إلا في موضعه اللائق به اهـ مصححه.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٧] كاد قلبي أن يطير.

قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ [النجم: ١٩]. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ومن قال: لصاحبه: تعالى أقامرك فليتصدق». قوله

---

يزال في الجنة فضلٌ حتى ينشىء الله تعالى خلقاً فيسكنهم فضل الجنة».

(**قوله عزَّ وجلَّ**: ﴿**والطور**﴾) الطور الجبل بالسريانية وهو طور سينين جبل بمدين سَمع منه موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله تعالى: (﴿**وكتاب مسطور**﴾) أي مكتوب وهو القرآن أو ما كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ أو في قلوب أوليائه من المعارف والحكم: (**عن جبير بن مطعم**) القرشي النوفلي (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية**: ﴿**أم خلقوا من غير شيءٍ**﴾) خلقهم فوُجِدوا من غير خالق (﴿**أم هم الخالقون**﴾) لأنفسهم وذلك باطل (﴿**أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**﴾) بأنهم خلقوا أي هم معترفون بذلك، وهي معنى قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [الزمر: ٣٨، ولقمان: ٢٥] أو لا يوقنون بأن الله خالقٌ واحد (﴿**أم عندهم خزائن ربك**﴾) أي خزائن رزق بك (﴿**أم هم المسيطرون**﴾) أي المتسلطون على الأشياء يديرونها كيف شاؤوا (**قال**) جُبير فلما سمعتها (**كاد قلبي أن يطير**) مما تضمنته من بليغ الحجة وفيه وقوع خبر كاد مقروناً بأن وهو قليل، وقد كان جبير بن مطعم قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدرٍ في فداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركاً وكان سماعه هذه الآية **من** هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد.

(**قوله عزَّ وجلَّ**: ﴿**أفرأيتم اللات والعزَّى**﴾) اللات ضمن لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلةٍ والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها، وقال ابن عباس كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج واسمه عمرو بن لحي وقيل صُرمة بن غنم وكان يلِتُّ السمنِ والسويق عند صخرة ويطعمه الحاج، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل وسموه باسمه، وأصله التشديد وخفف لكثرة الاستعمال. (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: من حلف**) بغير الله تعالى (**فقال في حَلِفِه**) بفتح الحاء المهملة وكسر اللام: (﴿**واللات والعزى**﴾) كيمين المشركين (**فليقل**) متداركاً لنفسه (**لا إله إلا الله**) المبرأ من الشرك فإنه قد ضاهى بحلفه بذلك الكفار حيث أشركهما بالله في التعظيم، إذ

تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر: ٤٦].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر: ٤٦]. قوله تعالى: ﴿ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ٦٢ ـ ٦٣].

عن عبد الله بن قيسٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضةٍ آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهبٍ آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين

---

الحلف يقتضي تعظيم المحلوف به وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى به مخلوقه، قال ابن العربي: من حَلَف بهما جادًّاً فهو كافر ومن قالها: جاهلاً أو ذاهلاً يقول كلمة التوحيد تُكَفِّر عنه وترد قلبه عن السهو إلى الذِّكر ولسانه إلى الحق وتنفى عنه ما جرى به من اللغو **(ومن قال لصاحبه: تعال)** بفتح اللام **(أُقامِرْك)** بالجزم جواب الأمر أي ألعب معك القمار **(فليتصدق)** أي بشيء كما في مسلم: «ليكفر عنه» ما اكتسبه من إثم دعائه صاحبه إلى معصية القمار المحرم بالاتفاق، وقرن القمار بذكر الحَلِف باللات والعزى لكونهما من فعل الجاهلية.

**(قوله عزَّ وجل: ﴿بل الساعة موعدهم﴾)** أي موعد عذابهم **(﴿والساعة﴾)** أي عذابها **(﴿أدهى﴾)** أي أعظم بلية **(﴿وأمر﴾)** أي أشد مرارة من عذاب الدنيا فهو من المرارة لا من المرور. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: لقد نزل)** بفتح النون والزاي وفي نسخةٍ: أنزل بهمزة مضمومة **(على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية)** أي حديثة السنِّ **(ألعب ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾)**، **(قوله تعالى: ﴿ومن دونهما﴾)** أي الجنتين المذكورتين في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] **(﴿جنتان﴾)** لمن دونهم من أصحاب اليمين فالأولتان أفضل من اللتين بعدهما، وقيل بالعكس وقال الترمذي، الحكيم: المراد بالدون هنا القرب أي هما أدنى إلى العرش وأقرب أي هما دونهما بقربهما من غير تفضيل، **(﴿فبأي آلاء﴾)** الآلاء النعم جمع أَلى بالفتح، وقد تُكسر ويكتب بالياء أي فبأي نعمةٍ من نعم **(﴿ربكما تكذبان﴾)** الضمير للجن والإنس والاستفهام للتقرير لما روى الحاكم عن جابرٍ رضي الله تعالى عنه قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً؟» للجنُّ كانوا أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ [الرحمن: ١٣] إلا قالوا: «ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد»، وقيل المراد بالآلاء القدرة. **(عن عبد الله بن قيس)** أبي موسى الأشعري **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: جنتان)** مبتدأ **(من فضة)** خبر لقوله **(آنيتهما)** والجملة خبر المبتدأ الأول ومتعلق من فضة محذوف، أي آنيتهما كائنة من فضة **(وما فيهما)** عطف على آنيتهما **(وجنتان)** مبتدأ وقوله: **(من ذهب)** خبر لقوله **(آنيتهما)** والجملة خبر المبتدأ الأول أيضاً

أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. قوله تعالى: ﴿حور مقصورات الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢].

عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون»، وقد تقدم باقي الحديث آنفاً. قوله تعالى: ﴿ولا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١]. عن علي رضي الله عنه قال: بعثني

---

**(وما فيهما)** عطف على آنيتهما فالتي من ذهب للمقربين والتي من فضة لأصحاب اليمين **(وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر)** أي رداءٌ هو الكبر **(على وجهه في جنة عدن)** ظرف للقوم أو حال كأنه قال: كائنين في جنة عدن والمراد بالوجه الذات، وقيل: الرداء شيء من صفاته اللازمة لذاته المقدسة عما يشبه المخلوقات أي رداءٌ ناشىء عن الكبر والأول أولى، ولا دلالة في الحديث على أن رؤية الله عزَّ وجلَّ غير واقعة إذ لا يلزم من عدمها في جنة عدن أو في ذلك الوقت عدمها مطلقاً، أو رداء الكبرياء غير مانع منها[1] **(قوله عزَّ وجلَّ: حور مقصورات في الخيام﴾)** جمع خيمة من درٍّ مجوف أي محبوسات قُصِر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن أو قاصرات على أزواجهن لا يبغين غيرهن وهن أتم حسناً من الآدميات، وقيل الآدميات أفضل بسبعين ألف ضعف. **(عن عبد الله بن قيس)** أبي موسى الأشعري **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة)** بفتح الواو مشددة أي ذات جوف واسع **(عرضها ستون ميلاً)** والميل فرسخ والفرسخ أربعة آلاف خطوة **(في كل زاويةٍ منها أهل)** للمؤمن **(ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون)** قال الحافظ الدمياطي: صوابه المؤمن بالإفراد قال في الفتح: وأجيب بجواز أن يكون من مقابلة الجمع بالجمع **(وقد تقدم باقي الحديث آنفاً)** أي قريباً وهو قوله جنتان من فضة الخ قال الترمذي الحكيم: في قوله تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ بلغنا في الرواية أن سحابة من العرش أمطرت فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطىء الأنهار وسعتها أربعون ميلاً وليس لها باب، حتى إذا دخل ولي الله بالخيمة انصدعت عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾)** أي كفار مكة **(﴿أولياء﴾)** في العون والنصرة ولما كان العدو بزنة المصدر صحَّ وقوعه على الواحد وغيره وأضاف العدو لنفسه تغليظاً في جرمهم. **(عن علي رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: بعثني رسول الله**

---

(١) أي أن رداء الكبرياء بينهم وبينه مع كونه غير مانع من الرؤية.

رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فذكر حديث حاطب بن أبي بلتعة وقال في آخره: فنزلت فيه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١]. قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ [الممتحنة: ١٢].

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ [الممتحنة: ١٢] ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها. وقوله

---

ﷺ **أنا والزبير)** بن العوام **(والمقداد)** بن الأسود **(فذكر حديث حاطب بن أبي بلتعة)** وهو مكاتبته لأهل مكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ من تجهيزه للجيش الكثير لهم وأرسل الكتاب مع امرأةٍ، فأرسل عليه الصلاة والسلام علياً ومن معه خلفها فأتوا به إليه فأحضر حاطباً وقال له: ما هذا؟ فاعتذر له بأنه لم يكن عن ارتداد ولكن فعله ليكون له يد عند أهل مكة فيحمون قرابته، فقال ﷺ: إنه قد صدقكم فطلب عمر أن يضرب عنقه فمنعه النبي ﷺ وقال: «إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله عزَّ وجلَّ اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» **(وقال)** الراوي **(في آخره فنزلت فيه)** أي في حاطب بن أبي بلتعة (**﴿يا أيها الذين آمنوا﴾**) الآية أي لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إذا جاءك المؤمنات﴾)** يوم الفتح (**﴿يبايِعْنَك﴾ عن أم عطية)** نُسَيْبَه بنت الحارث **(رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: بايَعَنا رسولُ الله ﷺ فقرأ علينا أو لا يشركن بالله شيئاً)** أي آية ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعْنَك على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿غفور رحيم﴾ [الممتحنة: ١٢] **(ونهانا عن النياحة)** وهي رفع الصوت على الميت بالندب وهي عد محاسنه كواكهفاه واجملاه **(فقبضت امرأة)** هي أم عطية **(يدها)** عن المبايعة هذا يقتضي أنه وضع يده عليه الصلاة والسلام في أيديهن ويوافقه ما جاء عن أم عطية عند ابني خزيمة وحبان والبزار في قصة المبايعة: «فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت». فإنه يقتضي أن المبايعة كانت بأيديهنَّ لكنه مخالف لقول عائشة رضي الله تعالى عنها: «والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما يبايعهن إلا بقوله للمرأة قد بايعتك على ذلك»، وأجيب بأن المراد بقبض اليد التأخر عن القبول فلا يستلزم المصافحة، وكذا مد اليد لا يستلزم المصافحة فلعله إشارة إلى وقوع المبايعة ثم يحتمل أنهنَّ كنَّ يأخذن بيده الكريمة مع وجود حائلٍ. ويشهد له ما رواه أبو داود في مراسيله عن الشعبي أنه ﷺ حين بايع النساء أتى ببرد قطري فوضعه على يده وقال: لا أصافح النساء **(فقالت: أسعدتني فلانة)** أي عاونتني قال في المختار الاسعاد الإعانة والمساعدة المعاونة، والمراد أنها قامت معي في نياحة لي على ميت لي تراسلني ولم يعلم اسم فلانة **(أريد أن أجزيها)** بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الزاي المعجمة

عز وجل: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ [الجمعة: ٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ [الجمعة: ٣] قيل: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لنا له رجال أو رجل من هؤلاء».

---

بالإسعاد أي أكافئها بذلك **(فما قال لها النبي ﷺ شيئاً)** بل سكت **(فانطلقت)** من عنده **(ورجعت)** إليه ﷺ **(فبايعها)** وللنسائي قال: «اذهبي فاسعديها» قالت: فذهبت فساعدتها ثم جئت فبايعته وعند مسلم أن أم عطية قالت: إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي أن أسعدهم، فقال رسول الله ﷺ: «إلا آل فلان»، وحمله النووي على الترخيص لأم عطية في آل فلانٍ خاصة، قال فلا النياحة لغيرها ولا لها في غير آل فلان، كما هو صريح الحديث، وللشارع أن يخص من العموم ما شاء بمن شاء اهـ وأورد عليه خولة بنت حكيم كما في حديث ابن عباس عند ابن مردويه، وأم سلمة أسماء بنت زيد الأنصارية كما عند الترمذي، وعجوز كما عند أحمد والطبراني فإنهن قلْنَ لرسول الله ﷺ عند المبايعة نحواً مما قالته أم عطية فلا خصوصية لها، الظاهر أن النياحة كانت مباحة ثم كرهت كراهة تنزيه ثم تحريم فيكون الإذن لمن ذُكر وقع لبيان الجواز مع الكراهة ثم لما تمت مبايعة النساء وقع التحريم حينئذٍ الوعيد الشديد، وفي حديث ابن مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه عند أبي يعلى أن رسول الله ﷺ قال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جَرَب».

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وآخرين منهم﴾)** مجرور عطفاً على الأميين أي وبعث آخرين من الأميين **(﴿لمَّا﴾)** أي لم **(﴿يلحقوا بهم﴾)** صفة لآخرين أو آخرين منصوب عطفاً على الضمير المنصوب في يعلمهم أي ويعلم آخرين لم يلحقوا بهم وسيلحقون وكل من تعلَّم شريعة محمد ﷺ إلى آخر الزمان فرسول الله ﷺ معلمه بالقوة لأنه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم. **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة)** زاد مسلم: فلما قرأ **(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، قيل من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعه)** أي السائل أي لم يعد عليه الجواب **(حتى سأل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريَّا)** أي النجم المعروف **(لناله رجالٌ أو رجل)** شك من الراوي وفي روايةٍ الجزم بالأول من غير شك **(من هؤلاء)** الفرس بقرينة سلمان، وزاد أبو نعيم في آخره، برقَّة قلوبهم، ومن وجهٍ آخر يتبعون سنتي ويكثرون الصلاة عليّ، قال القرطبي: وقد ظهر ذلك في العيان لأنه ظهر فيهم الدين وكثر وكان وجود ذلك فيهم دليلاً من أدلة صدقه عليه

قوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ [المنافقون: ١]. عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فخلفوا ما قالوا: فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك،

---

الصلاة والسلام ووجد فيهم أبو حنيفة وغيره من الفرس رضي الله تعالى عنهم أجمعين، قال ابن كثير: وفي هذا الحديث دليلٌ على عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى: (﴿وآخرين منهم﴾) بفارس ولذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله تعالى وإلى إتباع ما جاء به وعند ابن أبي حاتم عن سهل بن سعد الساعدي مرفوعاً: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجالٍ ونساء من أمتي[1] يدخلون الجنة بغير حساب» ثم قرأ وآخرين منهم الآية.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا﴾**) شرط وجوابه (**﴿نشهد إنك لرسول الله﴾**) وقيل هو حال والجواب محذوف أي إذا جاؤوك قائلين كيت وكيت فلا تقبل منهم. (**عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: كنت في غزاة**) هي غزوة تبوك على الراجح وقيل غزوة بني المصطلق (**فسمعت عبد الله بن أبيّ ابن سلول**) رأس المنافقين وسلول اسم أمه غير منصرف (**يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله**) من المهاجرين (**حتى ينفضوا**) أي يتفرقوا (**من حوله**) وسمعته يقول أيضاً (**ولئن**) وفي نسخةٍ: ولو (**رجعنا من عنده إلى المدينة**) وفي نسخةٍ إلى المدينة من عنده (**لَيُخْرِجَنَّ الأعز**) يريد نفسه (**منها الأذل**) يريد الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه قال: زيد بن أرقم (**فذكرت ذلك**) الذي قاله عبد الله بن أبي (**لعمي**) هو سعد بن عبادة كما عند الطبراني وابن مردوديه، وليس هو عمه حقيقة وإنما هو سيد قومه الخزرج، وقال الكرماني: لأنه كان في حجره (**أو لعمر**) بن الخطاب شك من الراوي وفي روايةٍ: عمي بدون شك (**فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته**) بذلك (**فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيّ وأصحابه**) فسألهم عن ذلك (**فحلفوا ما قالوا**) ذلك (**فكذَّبني رسول الله ﷺ**) بتشديد الذال المعجمة (**وصدقه**) بتشديد المهملة أي صدَّق عبد الله بن أبي (**فأصابني هم لم يصبني مثله قط**) أي في الزمن الماضي (**فجلست في البيت**) كئيباً حزيناً (**فقال لي عمي: ما أردتَ إلا أن كذبك**) بتشديد

(١) فيه سقط والأصل جماعة يدخلون الجنة اهـ.

فأنزل الله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ [المنافقون: ١] فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها عليَّ فقال: «إن الله قد صدقك يا زيد». وعنه في رواية قال: فدعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم.

وعنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار» وشك الراوي في «أبناء أبناء الأنصار». قوله عز وجل: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ [التحريم: ١]. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فواطأت أنا

---

المعجمة (**رسول الله ﷺ ومقتك**) وعند النسائي ولامني قومي (**فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾**) وعند النسائي فنزلت ﴿وهم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا﴾ حتى بلغ ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزُّ منها الأذل﴾ [المنافقون: ٧ ـ ٨] (**فبعث إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها عليَّ**) وفي نسخةٍ فقرأ أي ما أنزل الله تعالى عليه من ذلك (**فقال إن الله صدَّقك يا زيد**) فيما قلته وقرأ الحسن لنخرجنَّ بالنون ونصب الأعز على المفعول والأذل على الحال أي لنخرجن الأعزَّ ذليلاً، وضُعِّف بأنه معرفة والحال لا تكون إلا نكرة، ومنهم من جوزها، والجمهور جعلوا أل مزيدة على حد أرسلها العراك وأدخلوا الأول فالأول (**وعنه في روايةٍ**) أنه (**قال: فدعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم مما قالوا، فلووا رؤوسهم**) عطفوها إعراضاً واستكباراً عن استغفار الرسول عليه الصلاة والسلام لهم وقيل حركوها استهزاء بالنبي ﷺ ولوَّوا بالتشديد وقُرِىء بالتخفيف، وسبب قول عبد الله بن أبي ذلك أن رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار أي ضربه بيده على دبره فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: «دعوها» أي اتركوا دعوى الجاهلية «فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: ما ذكر، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. (**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم أغفر للأنصار ولأبناء الأنصار، وشك الراوي في أبناء أبناء الأنصار**) أي هل ذكرهم أم لا، وهو ثابت عند مسلم من غير شك.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾**) الآية أي من شرب العسل أو مارية القبطية وهو الراجح كما في الفتح. (**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند**) أم المؤمنين (**زينب بنت جحش ويمكث عندها فواطأت**) بهمزة ساكنة وفي نسخة بإبدالها على غير قياس وفي أخرى فتواطأت بزيادة فوقية قبل

وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير قال: «لا ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود إليه وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً». قوله عز وجل: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ [ن: ١٣].

عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف مستضعفٍ لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر».

---

الواو مع الهمزة أيضاً أي توافقت **(أنا وحفصة)** أم المؤمنين بنت عمر، **(عن)** وفي نسخةٍ: على **(أيتنا)** أي أي زوجة منا **(دخل عليها)** عليه الصلاة والسلام **(فلتقل له أكلت مغافير)** بحذف همزة الاستفهام، ومغافير بفتح الميم وبعد الألف فاء جمع مغفور بضم الميم وليس في كلامهم مفعول بالضم إلا قليلاً، والمغفور صمغ حلو له رائحة كريهة ينضحه شجرٌ يسمى العرفط بعين مهملة وفاء مضمومتين بينهما راءٌ ساكنة آخره طاء مهملة، وزاد في رواية فدخل على إحداهما فقالت له: **(إني أجد منك ريح مغافير قال)** عليه الصلاة والسلام **(لا)** أي ما أكلت مغافير وكان يكره الرائحة الكريهة **(ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينت بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت)** على عدم شربه **(لا تخبري بذلك أحداً)** وفي روايةٍ: أن التي شرب عندها العسل حفصة بنت عمر واللتان تظاهرتا عائشة وسودة بنت زَمْعَة، وفي أخرى أن شربه كان عند سودة وأن عائشة وحفصة هما اللتان تظاهرتا على وفق ما هنا وإن اختلفا في صاحبة العسل فيحتمل على التعدد، وما في هذا الحديث أثبت لموافقة ابن عباس لها على أن المتظاهرتين حفصة وعائشة، فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن في المظاهرة بعائشة، وفي كتاب الهبة عن عائشة رضي الله تعالى عنها «أن نساء النبي ﷺ كنَّ حزبين أنا وسودة وصفية وحفصة في حزب وزينب بنت جحش وأم سلمة والباقيات في حزب» وهذا يرجِّح أن زينت صاحبة العسل ولذا غارت عائشة رضي الله تعالى عنها منها لكونها من غير حزبها.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿عُتُلٍ﴾)** غليظ جاف **(﴿بعد ذلك زَنِيم﴾)** أي دَعي ينسب إلى قوم ليس منهم مأخوذ من زَنمتي الشاة وهما المتدليتان من أذنها وحلقها، فاستعير للدعي لأنهَ كالمعلق بما ليس منه، وقال ابن عباس هو رجل من قريش قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل الأسود بن عبد يغوث وقيل الأخنس بن شريق له زنمة في عنقه مثل زنمة الشاة يعرف بها، وقيل كان للوليد بن المغيرة ستة أصابع في كل يد أصبع زائدة، وعن سعيد بن جبير الزَّنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمها، والزنيم الملصق وقال الضحاك: كانت له زَنمة في أصل أذنه مثل زنمة الشاة. **(عن حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف)** بفتح العين أي يستضعفه الناس ويحتقرونه وكسرِها أي متواضع خامل، وعند

قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود﴾ [ن: ٤٢].

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً». عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام «بعثت أنا والساعة كهاتين».

---

أحمد: «الضعيف المستضعف ذو الطمرين لا يؤبه له» (**لو أقسم على الله لأبره**) أي لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله عزَّ وجلَّ بإبراره لأبره، أو لو دعاه لأجابه (**ألا أخبركم بأهل النار كل عُتُلٍّ**) فظ غليظٍ أو شديد الخصومة أو الفاحش الأثيم أو الغليظ العنيف أو الجموع المنوع أو القصير البطين (**جوّاظٍ متكبر**) بفتح الجيم والواو المشددة آخره ظاء معجمة الكثير اللحم المختال في مشيه، وقيل الفاخر وقيل الأكول والمراد كما قاله الكرماني وغيره: أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن أغلب أهل النار القسم الآخر، وليس المراد الاستيعاب في الطرفين.

(**قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يوم يُكشف عن ساق﴾**) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشف الحرب عن ساقٍ إذا اشتد الأمر فيها فهو كناية إذ لا كشف ولا ساق (**﴿ويدعون إلى السجود﴾. عن أبي سعيد**) سعد بن مالك الأنصاري الخدري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوم يكشف ربنا عن ساقه**) بالإضافة وفي حديث أبي موسى رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «عن نورٍ عظيم» رواه أبو يعلى بسند فيه ضعف، وعن قتادة فيما رواه عبد الرزاق عن شدة أمر وعن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما عند الحاكم قال: «هو يوم كربٍ وشدةٍ» وفي روايةٍ عن ساقٍ بالتنوين قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن والله يتعالى عن شبه المخلوقين (**فيسجد له**) تعالى (**كل مؤمن ومؤمنة**) متلذذين لا على سبيل التكليف (**ويبقى كل من**) وفي نسخةٍ ويبقى من (**كان يسجد في الدنيا رياءً**) ليراه الناس (**وسمعه**) ليسمعوه (**فيذهب يسجد**) وفي نسخةٍ: ليسجد (**فيعود ظهره طبقاً واحداً**) بفتح الطاء المهملة والموحدة أي لا ينثني للسجود ولا ينحني له قاله الهروي أي يصير فقارةً واحدةً كالصحيفة فلا يقدر على السجود. (**عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه**) في مقام تفسير قوله تعالى في سورة النازعات ﴿أيان مرساها﴾ [النازعات: ٤٢] أي الساعة ﴿فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾ [النازعات: ٤٣ ـ ٤٤] أي مستقرها أي ليس علمها إليك ولا إلى أحدٍ بل مرادها إلى الله تعالى فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (**أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه**) بالتثنية أي ضم بينهما (**هكذا الوسطى والتي تلي الإبهام**) وهي المُسَبِّحة وأطلق القول وأراد به الفعل ثم قال في حال رفع أصبعيه (**بُعِثْتُ**) بضم الموحدة مبنياً للمفعول أي أرسلت (**أنا والساعة**) يوم القيامة (**كهاتين**) الأصبعين

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مثل الذي يقرأ القرآن وهو ما هربه مع السفرة الكرام البررة ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران».

قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ [المطففين: ٦].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه».

---

والساعة نصب مفعول معه ويجوز الرفع عطفاً على ضمير الرفع المتصل مع عدم الفاصل وهو قليل، وعند ابن جرير وضم بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»، قال القاضي عياض: وقد حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين كنسبة ما بقي من الدنيا إلى ما مضى، وأنَّ جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى اخبار لا تصح وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير مدة الأمة نصف يوم وفسَّره بخمسمائة سنة، فيؤخذ من ذلك أن الذي بقي نصف سبع وهو قريب ما بين السبابة والوسطى في الطول، وقد ظهر عدم صحة ذلك لوقوع خلافه ومجاوزة هذا القدر، فلو كان ذلك ثابتاً لم يقع خلافه اهـ فالصواب الإعراض عن ذلك. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** في مقام تفسير قوله تعالى: في سورة عبس ﴿بأيدي سفرة﴾ [عبس: ١٥] أي كتبة ينسخون من اللوح المحفوظ أو الوحي **(عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: مثل الذي يقرأ القرآن)** بفتح الميم والمثلثة أي صفته **(وهو ما هرّ به)** أي حافظ لا يتوقف فيه ولا يشق عليه لجودة حفظه واتقائه حال كونه **(مع السفرة)** جمع سافر ككاتب وكتبة، وهم الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله **(الكرام البررة)** أي المطيعين، أو المراد أن يكون رفيقاً للملائكة السفرة لإتصاف بعضهم بحمل كتاب الله، أو أنه عالم بعملهم وسالك مسالكهم من كون أنهم يحفظونه ويؤدونه إلى المؤمنين ويكشفون لهم ما يلتبس عليهم **(ومثل الذي)** أي وصف الذي **(يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد)** لضعف حفظه مثل من يحاول عبادة شاقة يقوم بأعبائها مع شدتها وصعوبتها عليه **(فله أجران)** أجر القراءة وأجر التعب، وليس المراد أن أجره أكثر من أجر الماهر بل الأول أكثر ولذا كان مع السفرة، ولمن رجَّح ذلك أن يقول: الأجر على قدْر المشقة، لكن لا نُسَلِّم أن الحافظ الماهر خالٍ من مشقة لأنه لا يصير كذلك إلا بعد عناء كثير ومشقة شديدةٍ غالباً، إلا أن يقال المراد المشقة حال التلاوة وهي حاصلة للثاني دون الأول، والواو وفي قوله وهو في المواضع الثلاثة للحال وخبر المبتدأ الذي هو مِثْل محذوف تقديره كونه في الأول ومثل ما يحاول في الثاني كما تقرر.

**(قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس﴾)** من قبورهم **(﴿لرب العالمين﴾)** أي لأجل أمره وحسابه وجزائه **(عن ابن عمر)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: يقوم الناس لرب العالمين)** يوم القيامة وتدنو الشمس منهم مقدار ميل **(حتى يغيب أحدهم في**

قوله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: ٨].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك» وباقي الحديث تقدم في كتاب العلم. قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الإنشقاق: ١٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال قال هذا نبيكم عليه الصلاة والسلام. عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه

---

**رَشْحِه)** بفتح الراء وسكون المعجمة وضبطه في الفتح والمصابيح بفتحتين أي عَرْفه لأنه يخرج من بدنه شيئاً فشيئاً كما يرشح الإناء التحلل الأجزاء، وفي روايةٍ حتى أن العرق يلجم أحدهم **(إلى أنصاف أذنيه)** أضاف الجمع إلى المثنى كراهة اجتماع تثنيتين كقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] وقال الكرماني: إنه ليس مثله لأن لكل شخصٍ أذنين بخلاف القلب بل هو من إضافة الجمع إلى الجمع حقيقةً ومعنىً انتهى. ولا يخفى ما فيه إذ الأذنان ليس لهما إلا نصفان يبلغهما العَرَق كما أن المرأتين لهما قلبان، وحكى القاضي أبو بكر بن العربي أن كل أحدٍ يقوم عرقه معه وهو خلاف المعتاد في الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذهم الماء أخذاً واحداً لا يتفاوتون فيه، وهذ من القدرة التي تخرق العادات والإيمان بها من الواجبات.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾)** سوف من الله واجب[1] والحساب اليسير هو عرض عمله عليه كما يأتي. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: قال رسول الله ﷺ: ليس أحد يحاسب إلا هلك وباقي الحديث تقدم في كتاب العلم)** وهو أنها قالت له: أليس بقول الله عزَّ وجلَّ ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: ٨] قال عليه الصلاة والسلام: «ذاك العرض» يُعرضون أي تعرض عليه أعماله فيعرف الطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية، ومن نوقش الحساب أي استقصى أمره في الحساب هلك أي بالعذاب في النار، أو أن نفس عرض الذنوب والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ عذاب.

**(قوله عزَّ وجل: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ * عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال)**: في قوله تعالى (**﴿لتركبن﴾**) بضم الباء الموحدة أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين، وروي بفتح الباء الموحدة وهي قراءة ابن كثير والكسائي خطاباً للواحد والباقون بعضها خطاباً للجمع (**﴿طبقاً عن طبق﴾**) أي **(حالاً بعد حالا قال: هذا نبيكم عليه الصلاة والسلام)** والمعنى يكون لك الظفر والغلبة على

---

(١) لينظر ما معنى هذا ولعله اشتبه عليه سوف بعسى اهـ مصححه.

أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ انبَعَثَ أشقاها﴾ [الشمس: ١٢] انبعث لها رجل عزيزٌ عارم منيع في رهطة مثل أبي زمعة وذكر النساء فقال: يعمد أحدكم يجلد امرأته جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال لم يضحك أحدكم مما يفعل» وفي رواية مثل أبي زمعة عم الزبير بن العزام. قوله تعالى: ﴿كلا لئن لم ينته﴾ [العلق: ١٥].

---

المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم، وقيل سماء بعد سماء كما وقع في الإسراء والمعنى على الجمع لتركبُنَّ أيها الناس حالاً بعد حال وأمراً بعد أمرٍ وذلك في موقف القيامة، أو الشدائد والأهوال الموت ثم البعث ثم العرض، أو حال الإنسان حالاً بعد حالٍ رضيعٌ ثم فطيمٌ ثم غلامٌ ثم شابٌ ثم كهلٌ ثم شيخٌ. **(عن عبد الله بن زَمْعَه)** بفتح الزاي وسكون الميم وفتحها وبالعين المهملة وأمه قُرَينة بضم القاف وقد تفتح أخت أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهما **(أنه سمع النبي ﷺ يخطب)** فخطب وذكر ما قصده من المواعظ أو غيرها **(وذكر الناقة)** المذكورة في سورة ﴿والشمس وضحاها﴾[الشمس: ١] وهي ناقة صالح عليه الصلاة والسلام **(وذكر الذي عقر)** أي عقرها كما في بعض النسخ وهو قدار بن سالفٍ وهو أُحَيْمر ثمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فنادَوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾ [القمر: ٢٩] **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(﴿إِذِ انبعث أشقاها﴾ انبعث)** قام **(لها رجل عزيز)** شديدٌ قوي **(عارم)** بعين وراء مهملتين جبار صعب مفسد خبيث **(منيع)** قوي ذو منعة **(في رهطه)** أي قومه **(مثل أبي زَمْعة)** جد عبد الله بن زَمعة المذكور في عزَّته ومنعته في قومه ومات كافراً بمكة **(وذكر)** عليه الصلاة والسلام في خطبته **(النساء)** أي ما يتعلق بهنَّ استطراداً، فذكر ما يقع من أزواجهنَّ **(فقال: يَعْمِد)** بكسر الميم أي يقصد **(أحدكم فيجلد)** وفي نسخةٍ: يجلد **(امرأته جلد العبد)** أي لا ينبغي له ذلك **(فلعله يضاجعها)** أي يجامعها **(من آخر يومه)** فيورث ما فعله معها الوحشة بينهما **(ثم وعظهم)** عليه الصلاة والسلام **(في ضحكهم من الضرطة)** وهي إخراج الريح من الدبر بصوت **(وقال: لم يُضحك أحدكم مما يفعل)** وكانوا في الجاهلية إذا وقع ذلك من أحدهم في مجلسٍ يضحكون فنهاهم عن ذلك **(وفي روايةٍ مثل أبي زَمْعة عم الزبير بن العوام)** أي عمه مجازاً لأنه الأسود بن المطلب بن أسد والعوام بن خويلد بن أسد، فنزل ابن العم منزلة الأخ فأطلق عليه عما بهذا الأعتبار كذا جزم الدمياطي باسم أبي زمعة هنا وهو المعتمد قاله في فتح الباري.

**(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿كلا لئن لم ينته﴾)** عما هو عليه من الكفر **(﴿لنسفعن بالناصية﴾)**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة».

عن أنس رضي الله عنه قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفاً، فقتل: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر». عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم.

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن

---

أي لنأخذن بناصيته إلى النار. **(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأنَّ على عنقه فبلغ)** ذلك **(النبي ﷺ فقال: لو فعل هذا لأخذته الملائكة)** وأخرج النسائي عن أبي هريرة نحو حديث ابن عباس وزاد في آخره: فلم يفجأهم منه إلا وهو أي أبو جهل ينكص على عقبه ويتقي بيده، فقيل له مالك فقال إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهَوْلاً وأجنحة، فقال ﷺ: «لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً». **(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لما عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهرٍ حافتاه)** بتخفيف الفاء أي جانباه **(قِباب اللؤلؤ مجوف)** وفي نسخةٍ مجوفاً، والمراد أن ذلك على حافتيه يميناً وشمالاً **(فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر)** زاد البيهقي: «الذي أعطاك ربك فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر». والكوثر بوزن فوعل من الكثرة وهو وصف مبالغة أي المفرط في الكثرة. **(عن عائشة رضي الله تعالى عنها وقد سُئِلت عن قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قالت)**: هو **(نهر)** في الجنة **(أعطيه نبيكم)** زاد النسائي: في بطنان الجنة **(شاطئاه)** أي جانباه **(عليه)** أي على الشاطىء، قال الكرماني: الضمير في عليه عائد إلى جنس الشاطىء ولهذا لم يقل عليهما **(درٌّ مُجَوَّف)** بفتح الواو المشددة صفة لدر وخبره الجار والمجرور والجملة خبر المبتدأ الذي هو شاطآه، وفي نسخةٍ شاطئاه درٌّ مجوف **(آنيته كعدد النجوم)** وفي روايةٍ: وفيه من الأباريق عدد النجوم. وعن ابن عباسٍ أن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه، وجمع سعيد بينه وبين حديث عائشة فقال: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ﷺ، لكن ثبت التصريح بأنه نهرٌ من لفظ النبي ﷺ ففي مسلم عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أغفى إغفاءةً ثم رفع رأسه متبسماً قلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزل عليَّ سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] إلى آخرها ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: فإنه نهرٌ وعَدَنِيهِ ربي عليه خير كثير فالمصير إليه أولى». **(عن أبي كعب رضي الله تعالى عنه أنه قال)** لما قيل له إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في

المعوذتين فقال: «قيل لي فقلت» فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ.

---

مصحفه أي وهو يقتضي أنهما ليستا من القرآن: **(سألتُ رسول الله ﷺ عن المعوذتين)** بكسر الواو المشددة أي هل هما قرآن أم لا **(فقال)** لي: **(قيل لي)** بلسان جبريل **(فقلت)** أي كما قال لي قال أُبي **(فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ)** وعند الحافظ أبى يعلى عن علقمة قال: «كان عبد الله يحكِ المعوذتين من المصحف ويقول: إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما، ولم يكن عبد الله يقرأ بهما» رواه عبد الله بن الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن يزيد وزاد: ويقول: «أنهما ليستا من كتاب الله تعالى»، وهذا مشهورٌ عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتبهما في مصحفه، وحينئذٍ فقول النووي في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن وأن من جَحَد شيئاً منهما كفر، وما نُقل عن ابن مسعود باطلٌ، ليس بصحيح اهـ فيه نظر كما نبه عليه في الفتح إذ فيه طعن في الروايات الصحيحة بغير مستند وهو غير معقول، وحينئذٍ فالمصير إلى التأويل أولى وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني ذلك بأن ابن مسعود لم ينكر قرآنيتهما وإنما أنكر إثباتهما في المصحف، فإنه كان يرى أن لا يكتب فيه شيء إلا إن كان النبي ﷺ أذِن في كتابته فيه، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك فليس فيه جَحْد لقرآنيتهما، ولا يعارض ذلك قوله في الرواية السابقة ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله تعالى، لإمكان حمل كتاب الله تعالى على المصحف، ويحتمل أيضاً أنه لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواترا عنده، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فقد أجمع الصحابة عليهما وأثبتوهما في المصاحف التي بعثوها إلى سائر الآفاق، والحاصل أن كونهما قرآناً مما اختُلِف فيه ثم ارتفع الخلاف ووقع الإجماع عليه، فلو أنكر أحدٌ اليوم قرآنيتهما كفر. وفي مسلم من حديث أبي عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط، قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس» وعنده أيضاً: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كلِّ صلاةٍ، رواه أبو داود والترمذي وعند النسائي عنه أيضاً أن النبي ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح، وقد رُوي ذلك من طرق قد تفيد الواتر يطول إيرادها والله تعالى أعلم.

# كتاب فضائل القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا

---

## كتاب فضائل القرآن

جمع فضيلة واختلف هل في القرآن شيءٌ أفضل من شيء فذهب الأشعري والقاضي أبو بكر إلى أنه لا فضل لبعضه على بعض لأن الأفضل يُشعِر بنقص المفضول وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه، وقال قوم بالأفضلية لظواهر الحديث كحديث: «أعظم سورةٍ في القرآن» ثم اختلفوا فقال قوم: الفضل راجع إلى عِظَم الأجر والثواب، وقال آخرون بل لذات اللفظ وما تضمنته من المعنى فإن ما تضمنه آية الكرسي وآخر سورة الحشر وسورة الإخلاص من الدلالة على وحدانيته تعالى وصفاته ليس موجوداً مثلاً في تبت يدا أبي لهب، فالتفضيل بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث البلاغة ولا من حيث الصفة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ إسقاط البسملة **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما من الأنبياء نبي إلا أعطي)** من المعجزات **(ما)** موصول مفعول ثانٍ لأعطي أي الذي **(مثله)** مبتدأ خبره **(آمن)** بالمد **(عليه)** أي لأجله **(البشر)** والجملة صلة الموصول وعلى بمعنى اللام وعبر بها لتضمنها معنى الغلبة أي يؤمنون بذلك مغلوباً عليهم بحيث لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم وقال الطيبي: لفظ عليه حال أي مغلوباً عليه في التحدي والمباراة أي ليس نبي إلا قد أعطاه الله من المعجزات الشيء الذي صفته أنه إذا شُوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به، وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، كقلب العصا ثعباناً لأن الغلبة في زمن موسى عليه الصلاة والسلام السحر فأتاهم بما يوافق السحر فاضطرهم إلى الإيمان به، وفي زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب فجاء بما هو أعلى من الطب وهو إحياء الموتى، وفي زمان نبينا ﷺ البلاغة وكان بها فخارهم فيما بينهم حتى علقوا القصائد السبع بباب الكعبة تحدياً لمعارضتها، فجاء بالقرآن من جنس ما تباهوا فيه ما عجز عنه البلغاء الكاملون في عصره انتهى. ويحتمل أن يكون المعنى أن القرآن ليْس له مثل لا صورة ولا حقيقةً قال الله تعالى

أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه

---

﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] بخلاف معجزات غيره فإنها وإن لم يكن لها مثل حقيقة يحتمل أن يكون لها مثل صورة **(وإنما الذي أوتيته)** من المعجزات وفي نسخةٍ: أوتيت **(وحي أَوحاه الله إليَّ)** وهو القرآن وليست معجزاته ﷺ منحصرة في القرآن فالمراد أنه أعظمها وأكثرها فائدة فإنه يشتمل على الدعوة والحجة وينتفع به إلى يوم القيامة ولذا رتب عليه قوله **(فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)** أي أمة **(يوم القيامة)** إذ باستمرار المعجزة ودوامها يتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان وهذا بخلاف معجزات سائر الرسل فإنها انقرضت بانقراضهم وأما معجزة القرآن فإنها لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل وخرقه العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات لا تتناهى، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به عليه الصلاة والسلام. **(عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أن الله تعالى تابع على رسول الله ﷺ الوحي)** أي أنزله متتابعاً متواتراً **(قبل وفاته)** أي قربها **(حتى توفاه)** أي الزمن الذي وقعت فيه وفاته **(أكثر ما كان الوحي)** نزولاً عليه من غيره من الأزمنة لأنه في أول البعثة فتر فتره ثم كثر، ولم ينزل بمكة من السور الطوال إلا القليل ثم كان الزمن الأخير في الحياة النبوية أكثر نزولاً لأن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام، وقد ذكر ابن يونس في تاريخ مصر في ترجمة سعيد بن أبي مريم مما حكاه في الفتح أن سبب تحديث أنس بذلك سؤال الزهري له هل فتر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت؟ قال: لا بل أكثر ما كان وأجمعه **(عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت هشام بن حكيم)** بن حزام الأسدي **(يقرأ سورة الفرقان)** لا سورة الأحزاب إذ هو غلط **(في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره)** بهمزة مضمومة وسين مهملة مفتوحة أي آخذ برأسه أو أثب عليه، وقال في المختار وسورة الغضب وثوبه وسَوْرة الشراب وثوبه في الرأس اهـ وفي المصباح: السَوْرة الحدة وسار الشراب يسور سورا وسَوّرة إذا أخذ الرأس وسَوْرة الجوع والخمر الحِدة أيضاً ومنه المساورة هي المواثبة وفي التهذيب والإنسان يساور إنساناً إذا تناول رأسه ومعناه المغالبة اهـ **(في**

فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت» ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».

---

**الصلاة فتصبرت)** أي تكلف الصبر **(حتى سلم)** أي فرغ **(من صلاته فلببته)** بفتح اللام وتشديد الموحدة الأولى وقال عياض التخفيف أعرف **(بردائه)** أي جمعته عليه بلبته لئلا ينفلت مني وهذا من عمر على عادته في الشدة بالأمر بالمعروف **(فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ)** بحذف الضمير أي تقرؤها **(قال)** وفي نسخةٍ: فقال أي هشام: **(أقرأنيها رسول الله ﷺ)** قال عمر رضي الله تعالى عنه **(فقلت: كذبت فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت)** بها فيه تكذيب الغير بغلبة الظن، فإنه إنما فعل ذلك عن اجتهادٍ منه لظنه أن هِشاماً خالف الصواب وساغ له ذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته بخلاف هشام فإنه من مُسْلِمَة الفتح فخشي أن لا يكون أتقن القراءة، ولعل عمر لم يكن سمع حديث: «أُنزِل القرآن على سبعة أحرف» قبل ذلك **(فانطلقت به أقوده)** أي أجره بردائه **(إلى رسول الله ﷺ فقلت)** يا رسول الله: **(إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان)** وفي نسخةٍ بسورة الفرقان بباء الجر **(على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله)** بهمزة قطع أي أطلقه، ثم قال عليه الصلاة والسلام: **(اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ)** بها **(فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت ثم قال)** عليه الصلاة والسلام: **(اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني)** بها **(فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت)** ولم يعلم تعيين الأحرف التي اختلف فيها عمر وهشام من سورة الفرقان ثم قال عليه الصلاة والسلام تطييباً لقلب عمر لئلاً ينكر تصويب الشيئين المختلفين **(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)** جمع حرف مثل فَلْس وأفلس أي لغات أي سبع لغات لسبع قبائل من العرب متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة تميم وبعضه بلغة هوازن وبكر وكذلك سائر اللغات، أو قراآت فعلى الأول يكون المعنى على أوجهٍ من اللغات لأن أحد معاني الحرف في اللغة الوجه، قال الله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ [الحجر: ١١] وعلى الثاني يكون من إطلاق الحرف على الكلمة مجازاً لكونه بعضها، وقيل سبعة أنواع كل نوعٍ منها جزء من أجزاء القرآن، فبعضها أمر ونهي ووعد ووعيد وقصص وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال، وقيل سبعة أوجه من الاختلاف لأنه إما في الحركات بلا تغيير

عن فاطمة رضي الله عنها قالت أسر إلي النبي ﷺ «أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي».

---

في المعنى والصورة نحو البخل وبحسب وجهين، أو بتغير في المعنى فقط نحو ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧] واذكر ﴿بعد أمّةٍ﴾ وأَمَه، وأما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو (**تبلو وتتلو**) (**وينجيك ببدنك**) أو عكس ذلك نحو (**بسط وبصطة**)، أو بتغييرهما نحو (**أشد منكم ومنهم**) (**ويأتل ويتال**) (**وفامضوا إلى ذكر الله**) وأما في التقديم والتأخير نحو (**فيقتلون ويقتلون**) و (**جاءت سكرة الموت بالحق**)، أو في الزيادة والنقصان نحو (**أوصى ووصَّى**) (**والذكر والأنثى**) بدل قوله تعالى: (**﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾**) وإما نحو اختلاف الإظهار والإدغام مما يعبر عنه بالأصول فليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى لأن هذه الصفات في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ولئن فرض فهو من الأول، وقد اختلف في المراد بالأحرف على خمسةٍ وثلاثين قولاً كما قاله ابن حبان، قال المنذري: إن أكثرها غيرُ مختار، وقال بعضهم: هو من المُشْكِلِ الذي لا يُدرَى معناه لأن الحرف يأتي لمعانٍ (**﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾**) أي من الأحرف المنزل بها فالمراد بالمتيسر في الآية غير المراد به في الحديث لأن الذي في الآية المراد به القلة والكثرة والذي في الحديث ما يستحضره القارىء من القراآت، فالأول من الكمية والثاني من الكيفية، وقد وقع لجماعة من الصحابة نظير ما وقع لعمر مع هشام، منها لأبي كعب مع ابن مسعود في سورة النحل، وعمرو بن العاص مع رجل في آية من القرآن، رواه أحمد وابن مسعود مع رجل في سورة من آل حَم رواه ابن حِبان والحاكم، وفي بعض الأحاديث: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف، ثم زيد إلى سبعة توسعة على العباد» وهل السبعة باقية إلى الآن يقرأ بها أم كان ذلك ثم استقر الأمر على بعضها، وإلى الثاني ذهب الأكثر كسفيان بن عيينة وابن وهب والطبري والطحاوي وهل استقر ذلك في الزمن النبوي أم بعده والأكثر على الأول، لأن ضرورة اختلاف اللغات ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر فأُذن لكل أن يقرأ على حرفه أي طريقته في اللغة إلى أن انضبط الأمر وتدربت الألسن وتمكن الناس من الاقتصار على الطريقة الواحدة فعارض جبريل النبي ﷺ القرآن مرتين في السنة الأخيرة، واستقر على ما هو عليه الآن فنسخ الله تعالى تلك القراآت المأذون فيها بما أوجب من الاقتصار على هذه القراءة التي تلقاها الناس. (**عن فاطمة**) بنت النبي ﷺ (**رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: أسرَّ إليَّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني**) أي يدارسني وفي نسخةٍ إسقاط كان (**بالقراءة كل سنة**) أي مرة (**وإنه**) وفي نسخةٍ: وإنى (**عارضني**) هذا (**العام مرتين ولا أراه**) بضم الهمزة أي أظنه (**إلا حضر أجلي**) والمعارضة مفاعلة من الجانبين لأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يسمع وكان ذلك في شهر رمضان، فكان جبريل يلقاه

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والله لقد أخذت مِن في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورةً.

وعنه رضي الله عنه أنه كان بحمص فقرأ سورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: أحسنت ووجد منه ريح الخمر فقال

---

كل ليلة منه حتى ينسلخ منذ أُنزِل عليه القرآن إلى رمضان الذين تُوُفي بعده، ولا يقيد برمضانات الهجرة وإن كان صيام شهر رمضان إنما فُرِض بعد الهجرة لأنه كان يسمَّى به قبل فرض صومه، والمراد بالقرآن في قوله كان يعارضني بالقرآن كل سنة بعضه أو معظمه لأن أول رمضان البعثة لم يكن نزل من القرآن إلا بعضه، ثم كذلك كل رمضان بعده إلى الأخير فكأن نزل كله، إلا ما تأخر نزوله عن رمضان المذكور وكان في سنةِ عشرٍ إلى أن توفي ﷺ، ومما نزل في تلك المدة ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فإنها نزلت يوم عرفة بالاتفاق، ولما كان ما نزل في تلك الأيام قليلاً اغتفروا معارضته واختلف هل كان العرضة الأخيرة بجميع الأحرف السبعة أو بحرف واحد منها؟ وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان الناس أو غيره؟ فعند أحمد وغيره من طريق عبيدة السلماني أن الذي جمع عليه عثمان الناس يوافق العرضة الأخيرة، ونحوه عند الحاكم من حديث سَمُرة وإسناده حسن، وسُئِل الشعبي عن قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] أما كان ينزل عليه في سائر السنة؟ فقال: بلى ولكن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يعارض مع النبي ﷺ في رمضان ما أنزل اللهِ فيُحْكِم الله ما يشاء وينسخ ما يشاء، فكان السرُّ في عَرْضه مرتين في سنة الوفاة استقراره على ما كُتِبَ في المصحف العثماني والاقتصار عليه وترك ما عداه، ويحتمل أن يكون رمضان في السنة الأولى من نزول القرآن لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول في رمضان ثم فتر الوحي فوقعت المدارسة في السنة الأخيرة في رمضان مرتين ليستوي عدد السنين والغرض.

**(عن ابن مسعود)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: والله لقد أخذت من في)** أيَ فم **(رسول الله ﷺ بضعاً)** بكسر الموحدة وسكون المعجمة ما بين الثلاث إلى التسع **(وسبعين سورة)** بالموحدة بعد السين. وفي روايةٍ: «وأخذت بقية القرآن عن أصحابه» ولم يُعْلَم تعيين السُّوَر المذكورة وإنما قال ابن مسعودٍ ذلك لما أمر بالمصاحف أن تغير وتكتب على المصحف العثماني وساءه ذلك وقال: «أنا لا أترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ» رواه أحمد وغيره.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أنه كان بحمص فقرأ سورة يوسف فقال رجل)** لم يعرف اسمه وقيل هو نُهيك بن سنان: **(ما هكذا أُنزل، فقال)** أي ابن مسعود: **(قرأتُ)** كذا **(على رسول الله ﷺ فقال: أحسنت، ووجد)** ابن مسعود **(منه)** أي من الرجل **(ريح الخمر فقال)**

أتجمع أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر فضربه الحد.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيديه إنها لتعدل ثلث القرآن».

---

له: **(أتجمع أن تكذب بكتاب الله)** بأن تقول ما هكذا أنزلت **(وتشرب الخمر فضربه الحد)** أي رفعه إلى من له الولاية فضربه وأُسْنِد الضرب إليه مجازاً لكونه كان سبباً فيه، والمنقول عنه أنه كان يرى وجوب الحد بمجرد وجود الرائحة أو أن الرجل اعترف بشربها بلا عذرٍ، لكن رُوي عن علي أنه أنكر على ابن مسعود جلده الرجل المذكور، وهو يدل على أنه لم يعترف بذلك ولم يُشْهَد عليه وإنما أنكر الرجل كيفية الإنزال جهلاً منه لا أصل النزول وإلا لكفر، إذ الإجماع قائم على أن من جحد حرفاً مجمعاً عليه فهو كافر.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلاً)** هو أبو سعيد الخدري كما عند أحمد **(سمع رجلاً)** قيل هو قتادة بن النعمان لأنه أخوه لأمه وكانا متجاورين وجزم بذلك ابن عبد البر فكأنه أبهم نفسه وأخاه **(يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾)** كلها حال كونه **(يرددها فلما أصبح)** أبو سعيد **(جاء النبيَّ ﷺ فذكر ذلك)** الذي سمعه من الرجل له عليه الصلاة والسلام **(وان الرجل)** الذي جاء وذكر **(يتقالُها)** بتشديد اللام أي يعتقد أنها قليلة في العمل لا أنها ناقصة، وعند الدارقطني: «أن لي جاراً يقوم بالليل فما يقرأ إلا بقل هو الله أحد» **(فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن)** بإعتبار معانيه لأنه أحكام وأخبار وتوحيد وقد اشتملت هي على الثالث فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار، واعترض بأنه يلزم منه أن يكون آية الكرسي وأواخر الحشر كل منهما يعد ثلث القرآن ولم يرد ذلك، وأجيب كما قال أبو العباس القرطبي بأنها اشتملت على اسمين من أسماء الله تعالى متضمنين جميع أوصاف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور، وهما الأحد الصمد لأنهما يدلاَّن على أحدية الذات المقدسة الموصوف بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك أن الأحد يشعر بوجوده الخاص لا يشاركه فيه غيره والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى سؤدده، فكان مرجع الطلب منه وإليه ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع فضائل الكمال وذلك لا يصلح إلا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السورة على معرفة الذات المقدسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذات وصفات الفعل ثلثاً، وقال قوم: أي تعدل ثلث القرآن في الثواب فيكون من قرأها ثلاث مرات كان كمن قرأ ختمةً كاملةً، واعترض بأن من قرأ القرآن فله بكل حرف عشرُ حسنات وذلك غير موجود فيمن قرأ هذه السورة، وأجيب بأنه لا مانع أن يحصل ثواب

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة». فشق ذلك عليهم وقالوا؟ أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن».

---

على العمل القليل كما يحصل على العمل الكثير بل أكثر منه كما في القصر في بعض صوره مع الإتمام، وكما قالوا: إن ثواب رمضان إذا كان ناقصاً يوماً كثوابه كاملاً وإن كان يحصل على ثواب ذلك اليوم في الكامل، وقيام ليلته ثواب لا يوجد في الناقص وكذلك ما هنا فإن ثواب من قرأ تلك السورة كثواب من قرأ القرآن وإن كان يحصل على قراءة حروف القرآن كلها ثواب لا يوجد فيمن قرأ السورة المذكورة، وقيل المراد أن من اتصف بما تضمنته من الإسقاط والتوحيد كان كمن قرأ ثلث القرآن.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ)** لأصحابه **(أيُعجز أحدكم)** بكسر الجيم من عجز يعجز كضرب يضرب إذا ضعف والهمزة للاستفهام الاستخباري، أي أيضعف أحدكم **(أن يقرأ)** أي عن أن يقرأ **(بثلث القرآن)** وفي نسخة ثلث القرآن بحذف الباء **(في ليلة)** وفي نسخةٍ: في ليلته **(فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(﴿الله الواحد الصمد﴾ ثلث القرآن)** وفي روايةٍ فقال: «يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فهي ثلث القرآن» فكان ما هنا روايةٍ بالمعنى كما قال في الفتح، ويحتمل أن يكون بعض رواته كان يقرؤها كذلك كما جاء أن عمر كان يقرأ الله أحد الله الصمد بغير قل في أولها، أو سمى السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين، هذا وقد أخرج الترمذي عن ابن عباس وأنس بن مالك قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن»، ورُوي بسندٍ ضعيف عن أنس: «الكافرون والنصر كل منهما يعدل ربع القرآن، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن وآية الكرسي تعدل ربع القرآن» والحكمة في ذلك كما قال البيضاوي: أن المقصود الأعظم بالذات من القرآن بيان المبدأ والمعاد، وإذا زلزلت مقصورة على ذكر المعاد مستقلة ببيان أحواله فتعادل نصفه، وأما ما جاء أنها ربعه فلأنه يشمل على تقرير التوحيد والنبوات وبيان أحكام المعاش وأحوال المعاد، وهذه السورة مشتملة على القسم الأخير، وأما الكافرون فمحتوية على القسم الأول منها لأن البراءة من الشرك إثبات للتوحيد فيكون كل واحد منها كأنه ربع فإن قلت: هلا حملوا المعادلة على التسوية في الثواب على المقدار المنصوص عليه؟ أجيب بأنه منعهم من ذلك لزوم فضل إذا زلزلت على سورة الإخلاص، قال التوربشتي: نحن وإن سلكنا هذا المسلك بمبلغ علمنا فنعتقد ونعترف أن بيان ذلك على الحقيقة إنما يُتَلقَّى من قِبل النبي ﷺ فإنه هو الذي ينتهي إليه في معرفة حقائق الأشياء والكشف عن خفيات العلوم، فأما القول الذي نحن بصدده ونحوم حوله على مقدار فهمنا وإنْ سَلِم من الزلل والخلل لا يتعدى عن ضرب من الاحتمال.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما ﴿قل هو الله أحد﴾ و ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال له: «اقرأ يا ابن حضير

---

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه)** للنوم وأخذ مضجعه **(كل ليلةٍ جمع كفيه ثم نفث)** أي أخرج الريح من فمه مع شيء من ريقه **(فيهما فقرأ)** يقتضي تقدم النفث على القراءة مع أنه ينبغي أن يكون بعدها لتصل بركة القرآن واسم الله تعالى إلى بشرةِ القارىء أو المقروء له، وأُجيب بأنه على حدِّ قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ﴾ [النحل: ٩٨] أي أردت قراءته والمعنى جمع كفيه ثم عزم على النفث فيهما فقرأ فيهما، أو لعل في تقديم النفث على القراءة مخالفة السحرة والبطلة، وفي نسخةٍ يقرأ بلا عاطف وهي ظاهرة **(فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما)** أي يبدأ بالمسح بيديه **(على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات)** قوله يبدأ بيان لجملة قوله يمسح بهما ما استطاع، لكن قوله ما استطاع من جسده وقوله يبدأ يقتضيان أن يقدر يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ثم ينتهي إلى ما أدبر من جسده، وفي روايةٍ عن عائشة أنه ﷺ كان إذا اشتكى أي مرض يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها.

**(عن أُسَيْد)** بضم الهمزة **(ابن حُضَير)** بضم الحاء المهملة والضاد المعجمة فيهما بصيغة التصغير **(رضي الله تعالى عنه بينما)** بالميم **(وهو)** أي أُسَيد **(يقرأ من الليل)** أي فيه **(سورة البقرة)** وفي روايةٍ سورة الكهف فيحتمل التعدد **(وفرسه مربوطة)** وفي نسخةٍ مربوط بالتذكير وهو القياس **(عنده إذ جالت الفرس)** بالجيم أي اضطربت اضطراباً شديداً **(فسكت)** عن القراءة **(فسكنت)** أي الفرس عن الاضطراب **(فقرأ فجالت)** أي الفرس كما صرح بها في بعض النسخ **(فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف)** أُسَيد **(وكان ابنه يحيى)** في ذلك الوقت **(قريباً منه)** أي من الفرس **(فأشفق)** أي خاف أُسَيد **(أن تصيبه)** أي تصيب ابنه يحيى **(فلما اجتره)** بالجيم وتشديد الراء أي اجترَّ أُسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لا يصيبه الفرس **(رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح)** أُسَيد **(حدَّث النبي ﷺ)** بذلك **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(اقرأ يا ابنَ حضير،**

اقرأ يا ابن حضير» قال: فاشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها، قال: وتدرون ما ذاك» قلت: لا قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعلمت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق، فقال رجل ليتني أُوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل».

---

**اقرأ يا ابن حضير)** مرتين وليس أمراً بالقراءة حالة التحديث بل المعني كان ينبغي لك أن تستمر على قراءتك وتغتنم ما حصل لك من نزول السكينة والملائكة وتستكثر من القراءة التي هي سبب بقائها، قاله النووي، قال الطيبي يريد أن أقرأ لفظه أمر وطلب للقراءة في الحال ومعناه تحضيض وطلب الاستزادة في الزمان الماضي، أي هلا زدت وكأنه ﷺ استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن فأمره تحريضاً عليها، والدليل على أن المراد من الأمر الاستزادة وطلب دوام القراءة والنهي عن قطعها قوله: **(قال)** أسيد: **(أشفقت)** أي خفت **(يا رسول الله)** إن دمت على القراءة **(أن تطأ)** الفرس ابني **(يحيى وكان منها)** أي من الفرس **(قريباً فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظُّلة)** بضم الظاء المعجمة وتشديد اللام قال ابن بطال: هي السحابة كانت فيها الملائكة ومعها السكينة فإنها تنزل أبداً مع الملائكة **(فيها)** أي الظلة **(أمثال المصابيح)** وفي روايةٍ: أمثال السُرُج **(فخرجت)** بالخاء والجيم أي الظلة قال بعضهم: الصواب عرجت بالعين **(حتى لا أراها)** ويدل لذلك روايةٍ: عرجت إلى السماء حتى ما يراها» **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(وتدري ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دَنَت)** أي قربت **(لصوتك)** وكان أسيد حسن الصوت وفي روايةٍ اقرأ أسيد فقد أوتيت من مزامير آل داود ففيه إشارة إلى الباعث على استماع الملائكة لقراءته **(ولو قرأت)** أي دمت على قراءتك **(لأصبحت الناس تنظر إليها)** أي إلى الملائكة **(لا تتوارى)** أي لا تستتر **(منهم)** وفي روايةٍ: «لرأيت الأعاجيب».

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا حسد)** جائزٌ وهو الغبطة في شيء **(إلا في)** خصلتين **(إثنتين رجلٌ)** أي خصلة رجل **(علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار)** أي ساعاتهما **(فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان)** من القرآن **(فعملت)** فيه **(مثل ما يعمل)** من تلاوته آناء الليل وآناء النهار **(ورجلٌ)** أي وخصلة رجلٍ **(آتاه الله مالاً فهو يهلكه)** بضم الياء وكسر اللام وفيه مبالغة لأنه يدل على أنه لا يبقى من المال بقية لما أوهم الاسراف والتبذير كمله بقوله **(في الحق)** أي الخير كما

عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وعنه رضي الله عنه في رواية قال: قال النبي ﷺ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب

---

قيل: لا سرف في الخير (**فقال رجل: ليتني أوتين مثل ما أوتي فلان**) من المال (**فعملت**) فيه (**مثل ما يعمل**) من إهلاكه في الحق، والمراد بالحسد الغبطة كما تقرر وقيل إن فيه تخصيصاً لإباحة نوع من الحسد وإن كان جملته محظورة وإنما رخَّصَ فيه لما يتضمن مصلحة في الدين، قال أبو تمام:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وكما رخص في الكذب لتضمن فائدة هي فوق آفة الكذب، وقال في شرح المشكاة أثبت الحسد لإرادة المبالغة في تحصيل النعمتين الخطرتين يعني ولو حصلتا بهذا الطريق المذموم فينبغي أن يتحرى ويجتهد في تحصيلهما، فكيف بالطريق المحمود لا سيما وكل واحدة من الخصلتين بلغت غاية لا أمد فوقها ولو اجتمعتا في امرىءٍ بلغ من العليا كل مكان اهـ.

(**عن عثمان**) بن عفان (**رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: خيركم من تعلم القرآن أو علَّمه**) مخلِصاً فيهما وأو للتويع لا للشك، وفي نسخةٍ وعلَّمه بالواو. (**وعنه رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: أفضلكم من تعلم القرآن أو علمه**) وفي نسخةٍ: وعلَّمه بالواو وهي أظهر في المعنى لأن أو تقتضي إثبات الأفضلية المذكورة لمن فعل أحد الأمرين فيلزم أن من تعلَّم القرآن ولو لم يُعَلِّمْهُ غيره أن يكون خيراً ممن عمل بما فيه مثلاً وإن لم يتعلَّمه، ولا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي، لا يقال إن من لازِم هذا أفضلية المقرىء على الفقيه، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس بذلك إذْ كانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر من دراية من بعدهم بالاكتساب، فإن قلت يلزم أن يكون المقرىء أفضل ممن هو أعظم عَنَاء في الإسلام بالمجاهدة والرِّباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أجيب بأن ذلك دائر على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلعل «من» مُضَمَرة في الحديث بعد أن. وفي الحديث الحث على تعليم القرآن وقد سُئِل الثوري عن الجهاد وإقراء القرآن فرجَّح الثاني واحتج بهذا الحديث قاله في الفتح.

(**عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إنما مثل صاحب القرآن**) أي الذي ألف تلاوته مع القرآن (**كمثل صاحب الإبل المُعَقَلة**) معها والمعقلة بضم

القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت».

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسِّي، واستذكروا القرآن فإنه أشد تَفَصِّياً من صدور الرجال من النعم».

---

الميم وسكون العين المهملة أو بتشديد القاف مع فتح العين أي المشدودة بالعِقال وهو الحبل الذي يُشَدُّ في رقبة البعير **(إن عاهد عليها)** أي حافظ عليها وراقبها **(أمسكها)** أي استمر إمساكه لها **(وإن أطلقها)** من عقالها **(ذهبت)** أي انفلتت والحصر في قوله «إنما» هو حصر مخصوص بالنسبة إلى الحفظ والنسيان بالتلاوة والترك، وشبَّه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يُخشى منه أن يشرد فما دام التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير ما دام مشدداً بالعقال فهو محفوظ، وخصَّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الأهلي نفوراً.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: بئسما لأحدهم)** ما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أي بئس شيئاً وقوله **(أن يقول)** مخصوص بالذم أي بئس شيئاً كائناً للرجل قوله: **(نسيت)** بفتح النون وكسر السين مخففة **(آية كيت وكيت)** كلمتان يعبر بهما عن الجمل الكثيرة والحديث الطويل، وسبب الذم ما في ذلك من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهده بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فكأنه إذا قال: نسيت الآية الفلانية شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار لأنه يورث النسيان **(بل نُسِّيَ)** بضم النون وتشديد السين مكسورة في جميع الروايات في البخاري وأكثر الروايات في غيره، وبل إضراب عن القول بنسبة النسيان إلى النفس المسبب عن عدم التعاهد إلى القول بالإنساء الذي لا صنع فيه، فإذا نسبه إلى نفسه أو هم أنه انفرد بفعله فالذي ينبغي أن تقول أُنسيت أو نُسِّيْتُ مبنياً للمفعول فيهما، أي إن الله تعالى هو الذي أنساني فتنسب الأفعال إلى خالقها لما فيه من الإقرار بالعبودية والاستسلام لقدرة الربوبية، نعم يجوز نسبة الأفعال إلى مكتسبها بدليل الكتاب والسنة كما لا يخفى، وقيل معنى نُسِّي عوقب بالنسيان لتفريطه في تعاهده واستذكاره، وقيل إن فاعل نسيت النبيُّ ﷺ، كأنه قال: لا يقل أحدٌ عني إني نَسِيْت آية كذا فإن الله تعالى هو الذي أنساني لذلك لحكمة نسخة ورفع تلاوته، وليس في ذلك صنيع وضَبَطه بعض رواة مسلم مخففاً ومعناه أن الرجل تركه غير ملتفت إليه فهو كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ [التوبة: ٦٧] أي تركهم في العذاب أو من الرحمة **(واستذكِروا القرآن)** السين والتاء للمبالغة والطلب أي اطلبوا من أنفسكم مذاكرته والمحافظة على قراءته، والواو في قوله واستذكروا عطفاً من حيث المعنى على قوله بئسما لأحدهم، أي لا تُقَصِّروا في معاهدته واستذكاره **(فإنه أشد تَفَصِّياً)** بفتح الفاء

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من الإبل في عُقُلها».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سُئِل كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم.

عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود».

---

وكسر الصاد المشددة وتخفيف التحتية بعدها منصوب على التمييز أي تفلتاً **(من صدور الرجال من النعم)** وهي الإبل لا واحد له من لفظه لأن شأن الإبل طلب التفلت ما أمكنها فمتى لم يتعاهدها صاحبها بربطها تفلتت، فكذلك حافظ القرآن بل هو أشد وإنما كان ذلك لأن القرآن ليس من كلام البشر بل من كلام خالق القوى والقُدَر، وليس بينه وبين البشر مناسبة قريبة لأنه حادث وهو قديم، لكن الله سبحانه وتعالى بفيضه العميم وكرمه القديم منَّ عليهم ومنحهم هذه النعمة فينبغي أن يتعاهده بالحفظ والمواظبة ما أمكن فقد يسره الله تعالى للذكر وإلا فالطاقة البشرية تعجز قواها عن حفظه وحمله قال الله تعالى: ﴿ولقد يسَّرنا القرآن للذكر﴾ [القمر: ١٧] ﴿الرحمن علم القرآن﴾[الرحمن: ١ ـ ٢] ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾[الحشر: ٢١] الآية **(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: تعاهدوا القرآن)** بالحفظ والترداد **(فوالذي نفسي بيده لهو)** أي القرآن **(أشد تفصياً)** وفي حديث عقبة بن عامر بلفظ أشد تفلتا **(من الإبل من عقلها)** وفي نسخةٍ: في عقلها وهي بمعنى من أو مع، والعُقُل بضم العين والقاف وتسكن جمع عِقال مثل كتاب وكتب، يقال: عقلت البعير أعقُله عَقْلاً وهو أن يثني وظيفه مع ذراعه فيشدهما جميعاً في وسط الذراع بحبلٍ وذلك الحبل هو العقال. **(عن أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل)** أي سأله قتادة بن دعامة **(كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ قال: كانت مداً)** بالتنوين بغير همزٍ أي ذات مدٍّ أي بمد الحرف الذي يستحق المد **(ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله)** أي اللام التي قبل هاء الجلالة الشريفة **(ويمد الرحمن)** أي بالميم التي قبل النون **(ويمد الرحيم)** أي بالحاء المد الطبيعي الذي لا يمكن النطق بالحرف إلا به من غير زيادةٍ عليه لا كما يفعله بعضهم من الزيادة عليه، نعم إذا كان بعد حرف المدِّ همزٌ متَّصِل بكلمة أو سكون لازم كأولئك والحاقة وجب اصطلاحا زيادة المدِّ أو منفصل عنها أو سكون عارض كيا أيهاَ أو الوقف على الرحيم جاز، ومباحث مقادير المد للهمز للقراء مذكورة في الدواوين المؤلفة في ذكر قراءاتهم.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له: يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود)** أي صوتاً حسناً بالقراءة

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً ولم يفتش لنا كنفاً مذ أتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «ألقني به» فلقيته

---

كصوت داود نفسه بها فآل مقحمة، لأنه لم يذكر أن أحداً من آل داود أُعطي من حُسن الصوت ما أعطي داود، والمزامير جمع مزمار بكسر الميم الآلة المعروفة أطلق اسمها على الصوت للمشابهة، وقد كان داود عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عباس يقرأ الزبور بسبعين لحناً ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم، وإذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت، وعند مسلم أنه ﷺ قال لأبي موسى: «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة»، زاد أبو يعلى فقال: «أما إني لو علمت بمكانك لحبرته لك تحبيراً» أي حسنته وزينته بصوتي تزييناً، وهذا يدل على أن أبا موسى كان يستطيع أن يتلو أشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لأنه قد تلا مثلها وما بلغ حد استطاعته.

**(عن عبد الله بن عمرو)** بفتح العين وسكون الميم **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال انكحني أبي)** عمرو بن العاص **(امرأةً)** هي أمُّ محمد بنت محمئة بن جزء الزبيدي كما عند ابن سعد **(ذات حسب)** أي شرف بالآباء وعند أحمد أنها من قريش، ولعله كان المشير عليه بتزويجها وإلا فقد كان عبد الله رجلاً كاملاً أو قام عنه بالصداق **(فكان يتعاهد كَنَّته)** بفتح الكاف والنون المشددة أي زوجة ابنه، قال في المختار: كَنَّ الشيء ستره وصانه عن الشمس وبابه رد وأكنه في نفسه أسره وقال أبو زيد كَنَّه وأكَنَّه بمعنى ستره في الكن وفي النفس جميعاً، والكَنَّه بالفتح امرأة الابن وجمعها كنائن اهـ **(فيسألها عن)** شأن **(بعلها)** وهو ابنه **(فتقول)** في الجواب: **(نِعْم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً)** أي لم يضاجعنا حتى يطأ لنا فراشاً **(ولم يفتش)** بفاء مفتوحة ففوقية مكسورة، وروي يغش بالغين المعجمة الساكنة بعد فتح **(لنا كَنَفَاً)** بفتح الكاف والنون بعدها فاء أي جانباً قال في المصباح: الكَنَفُ بفتحتين الجانب والجمع أكناف مثل سبب وأسباب **(مذ)** وفي نسخةٍ منذ **(أتيناه)** وكنت بذلك عن تركه لجماعها إذ عادة الرجل إدخال يده في دواخل ثوب زوجته، أو الكَنَف الكَنِف، قال في المصباح: والكَنِيف الساتر وقيل للمرحاض كَنِيْف لأنه يستر قاضي الحاجة والجمع كُنُف مثل بريد وبرد اهـ أي أنه لم يطعم عندنا حتى يحتاج إلى موضع قضاء الحاجة، ففيه وصفها له بقيام الليل وصوم النهار مع الإشارة إلى عدم مضاجعتها وعدم أكله عندها، وعند أحمد: **فأقبل عليَّ يلومني فقال أنكحتك امرأة من قريش فعضلتها** **(فلما طال ذلك عليه)** أي على عمرو وخاف أن يلحق ابنه إثم بتضييع حق الزوجة **(ذكر)** ذلك **(للنبي ﷺ فقال)** ﷺ لعمرو: **(إلقَني)** بفتح القاف وكسرها **(به)** أي بابنك عبد الله قال: عبد الله **(فلقيته)** بكسر القاف عليه الصلاة والسلام **(بعد)** بالبناء على

بعد فقال: «كيف تصوم» فقلت: كل يوم قال: «فكيف تختم»؟ قلت: كل ليلة قال: «صم من كل شهرٍ ثلاثة واقرأ القرآن في كل شهر قلت أطيق أكثر من ذلك قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة» قلت: أطيق أكثر من هذا قال: «أفطر يومين وصم يوماً» قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: «صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم واقرأ في كل سبع ليالٍ مرة» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ

---

الضم أي بعد ذلك (**قال**) وفي نسخةٍ فقال (**كيف تصوم؟ فقلت**) وفي نسخةٍ قال أي عبد الله: أصوم (**كل يوم قال**) عليه الصلاة والسلام: (**صم في كل شهر ثلاثة**) من الأيام (**واقرأ القرآن**) أي اختمه (**في كل شهر**) ختمة قال عبد الله: (**قلت:**) يا رسول الله (**أطيق أكثر من ذلك قال**) عليه الصلاة والسلام (**صم ثلاثة في كل جمعة قال**) عبد الله: (**قلت**): يا رسول الله (**أطيق أكثر من هذا**) وفي نسخةٍ أكثر من ذلك (**قال**) عليه الصلاة والسلام: (**أفطر يومين وصم يوماً قلت: أطيق أكثر من ذلك**) استشكله الداودي بأن صوم ثلاثة أيام من الجمعة أكثر من فطر يومين وصوم يوم، وهو إنما يريد تدريجه من الصيام القليل إلى الصيام الكثير، وأجاب الحافظ ابن حجر بإحتمال أن يكون وقع من الراوي فيه تقديم وتأخير (**قال: صم أفضل الصوم صوم داود**) نبي الله عليه الصلاة والسلام (**صيام يوم**) نصب بتقدير كان أو رفع بتقدير هو (**وإفطار يوم**) عطف عليه بالوجهين (**واقرأ**) كل القرآن (**في كل سبع ليالٍ مرة**) وفي رواية: «اقرأ في كل ثلاثٍ من الليالي أو في كل خمس من الليالي أو في سبع» وفي روايةٍ أخرى: قال: «فاقرأه في كل شهر. قال: إني أجدني أقوى من ذلك قال فاقرأه في كل ثلاثة»، وفي مسند الدارمي «قلت يا رسول الله: في كم أختم القرآن قال اختمه في شهر قلت: إني أطيق قال: اختمه في خمس وعشرين قلت: إن أطيق قال: اختمه في عشرين قلت: إني أطيق قال: اختمه في خمس عشرة قلت: إني أطيق قال: اختمه في عشر قلت: إني أطيق قال: اختمه في خمس قلت: إني أطيق قال: لا» وعند أبي داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو مرفوع: «لا يفقه من قرأ القرآن في سبعٍ ولا تقرأه في أقل من ثلاث» وفي روايةٍ: «فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك، وليس النهي للتحريم كما أن الأمر في جميع ما مر ليس للوجوب خلافاً لبعض الظاهرية حيث قال بحرمة قراءته في أقل من ثلاث وأكثر العلماء كما قاله النووي على عدم التقدير في ذلك وإنما هو بحسب النشاط في القراءة، فمن كان يظهر له تدقيق الفكر في اللطائف والمعارف فليقتصر على قدْرٍ يحصل معه كمال فهم ما يقرأه ومن اشتغل بشيءٍ من مِهمّات المسلمين كنشر العلم وفصل الخصومات فليقتصر على قدرٍ لا يمنعه من ذلك ولا يخل بما هو متصدٍ له وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملال والهذرمة، وقد كان بعضهم يختم ختمة اليوم والليلة وبعضهم ثلاثاً، وقد كان ابن الكاتب الصوفي يختم أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار قال عبد الله: (**فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ**

وذاكَ أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السُبْع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحتقرون صلاتكم مع صلاتِهم وصيامَكم مع صيامِهم وعمَلكم مع عملِهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئاً وينظر في القدح فلا يرى شيئاً

---

**وذلك أني كَبُرت)** بكسر الموحدة قال في المصباح: كبر أي أسن وبابه طرب اهـ **(وضعفت)** قال الراوي: **(فكان يقرأ على بعض أهله)** أي من تيسر منهم **(السبع من القرآن بالنهار)** بضم السين وسكون الموحدة **(والذي يقرؤه)** أي يريد أن يقرأه بالليل **(يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى على الصيام أفطر أياماً وأحصى)** عدد أيام الإفطار **(وصام)** أياماً **(مثلهن من كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ)** بنصب كراهية على التعليل أي لأجل كراهية أن يترك شيئاً وأن مصدرية.

**(عن أبي سعيد)** الخدري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج فيكم قوم)** وفي حديث علي بن أبي طالب سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاءٌ أي صغار الأسنان سفهاء الأحلام» أي ضعفاء العقول **(تَحقِرون صلاتكم)** بكسر القاف **(مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم)** من عطف الخاص على العام **(ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم)** جمع حنجرة وهي الحلقوم رأس الغلصمة حتى تراه ناتئاً من خارج الحلق، أي لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما يتلون منه ولا تصعد تلاوته في جملة الكَلِم الطيب إلى قوله تعالى، في روايةٍ: «لا يجاوز إيمانهم حناجرهم» أي أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لم يصل إلى القلب، وفي حديث حذيفة: «لا يجاوز تراقيهم ولا تعيه قلوبهم» **(بمرقون)** أي يخرجون **(من الدين)** أي الإسلام وبه يتمسك من يكفر الخوارج، أو المراد طاعة الإمام فلا حجة لتفكيرهم قال الخطابي: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وقبول شهادتهم، وسُئِل عليٌّ رضي الله تعالى عنه أكفارُهم؟ فقال: من الكفر فروا فقيل: منافقون هم؟ فقال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً وهؤلاء يذكرون الله بكرةً وأصيلاً قيل: من هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا اهـ **(كما يمرق السهم من الرمية)** بفتح الراء وكسر الميم وتشديد التحتية فعيلة بمعنى مفعولة أي الصيد المرمي يريد أن دخولهم في الإسلام ثم خروجهم منه، ولم يتمسكوا منه بشيء كالسهم الذي يدخل في الرمية ثم

وينظر في الريش فلا يرى فيه شيئاً ويتمارى في الفوق».

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وخبيث وريحها مر».

---

يخرج منها ولم يعلق به شيء منها، فشبه مروقهم من الدين وعدم انتفاعهم به بمروق السهم الذي يصيب الصيد فيدخل فيه ويخرج منه والحال أنه لسرعة خروجه من شدة قوة الرامي لا يعلق به شيء من جسد الصيد **(ينظر)** الرامي **(في النصل)** الذي هو حديد السهم هل يرى فيه شيئاً من أثر الصيد دماً أو نحوه **(فلا يرى فيه شيئاً وينظر في القدح)** بكسر القاف السهم قبل أن يراش ويركب سهمه، أو ما بين الريش والنصل هل يرى فيه أثراً **(فلا يرى)** فيه **(شيئاً وينظر في الريش)** الذي على السهم **(فلا يرى فيه شيئاً ويتمارى)** بفتح الفوقية والتحتية والراء أي يشك الرامي **(في الفوق)** وهو مدخل الوتر لأن رأسه مشقوق فيدخل فيه الوتر أي يشك هل فيه شيء من أثر الصيد يعني نفد السهم المرمي بحيث لم يتعلق به شيء ولم يظهر أثره فيه فكذلك قراءتهم لا يحصل لهم منها فائدة.

**(عن أبي موسى)** الأشعري **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترُجَّة)** بإدغام النون في الجيم وهو بضم الهمزة وسكون الفوقية وضم الراء وفتح الجيم المشددة ويزاد قبلها نون ساكنة ويحذف الهمزة مع الوجهين فهي أربعة ومع التخفيف ثمانية **(طعمها طيب وريحها طيب)** ومنظرها حسن وملمسها لين فاقع لونها تسر الناظرين تتشوف إليها النفس قبل التناول وتفيد آكلها بعد الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وقوة هضم، ويستخرج من حبها دهن له منافع وحماضها يسكن غلمة النساء ويجلو اللون والكلف، وكسرها في الثياب يمنع السوس ويُتداوى به وهو مفرح بالخاصية، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترُج فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا يقر به الشيطان وغلاف قلبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وقال المظهري: فالمؤمن من الذي يقرأ القرآن هكذا من حيث أن الإيمان في قلبه ثابت طيب الباطن ومن حيث أنه يقرأ القرآن ويستريح الناس لصوته ويثابون بالاستماع إليه ويتعلمون منه مثل الأترجة تستريح الناس بريحها **(والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة)** بالمثناة الفوقية وسكون الميم ويعمل عطف على لا يقرأ لا على يقرأ **(طعمها طيِّب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث)** بالشك من الراوي **(ولا ريح لها)** وفي روايةٍ:

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

---

«وريحها مر» واستشكل بأن المرارة من أوصاف الطعم لا الريح، وأجيب بأن ريحها لما كان كلونها استعير له وصف المرارة، أو أن المقصود منهما واحد وهو بيان عدم النفع لا له ولا لغيره وقد بين بعضهم معنى التشبيه المذكور فقال: إن كلام الله تعالى له تأثير في طن العبد وظاهره، والعباد متفاوتون في ذلك فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ومن لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائي أو بالعكس وهو المؤمن الذي لا يقرؤه، وفي الحديث فضيلة قارىء القرآن وأن المقصود من التلاوة العمل كما دل عليه زيادة ويعمل به، وقد أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الرب عزَّ وجلَّ: «من شغله القرآن عن ذكري ومسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه، أي ما شغله القرآن عن الذكر والمسئلة اللذين ليسا في القرآن كالدعوات وقيل المعنى لا يظن القارىء أنه إذا لم يطلب من الله تعالى حوائجه لا يعطيها له أكمل الإعطاء فإنه من كان لله كان الله تعالى له.

(**عن جندب بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت**) أي ما اجتمعت (**عليه قلوبكم فإذا اختلفتم**) في فهم معانيه (**فقوموا**) أي تفرقوا (**عنه**) لئلا يتمادى بكم الاختلاف إلى الشر، وحملة القاضي عياض على الزمن النبوي خوف نزول ما يسوء وقال في شرح المشكاة: يعني اقرؤوه على نشاطٍ منكم وخواطركم مجموعة، فإذا حصل لكم ملال وتفرق قلوب فاتركوه فإنه أعظم من أن يقرأه أحد من غير حضور القلب، يقال: قام بالأمر إذا جد فيه وداوم عليه وقام عن الأمر إذا تركه وتجاوزه اهـ ويحتمل كما في الفتح أن يكون المعنى اقرؤوا القرآن والزموا الائتلاف على ما دل عليه. وقاد إليه، وإذا وقع الاختلاف أي عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة وأعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، قال وهو كقوله ﷺ: «فإذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه منه فاحذروهم»، وقال ابن الجوزي: كان إختلاف الصحابة رضي الله تعالى عنهم يقع في القراآت واللغات فأمروا بالقيام عند الاختلاف لئلا يجحد أحدهم ما يقرؤه الآخر فيكون جاحداً لما أنزل الله تعالى.

# كتاب النكاح

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي

---

## كتاب النكاح

هو لغة الضم والتداخل وقال المطرزي والأزهري: هو الوطء حقيقة والعقد مجازاً لأنه سبب الوطء، وقال بعضهم: أصله لزوم شيء لشيء مستعلياً عليه ويكون في المحسوسات وفي المعاني، يقال: أنكح المطر الأرض ونكح النعاس عينه ونكحت القمح في الأرض إذا حرثتها وبذرته فيها، وقال أبو علي الفارسي: إذا قالت العرب نكح فلان فلانة أو بنت فلان أو أخته أرادوا تزوجها وعقد عليها، وإذا قالوا: نكح امرأته أو زوجته لم يريدوا إلا المجامعة لأن بذكر المرأة والزوجة يُستغنى عن العقد، واختلف أصحابنا في حقيقته على ثلاثة أوجه حكاها القاضي حسين في تعليقه أصحها أنه حقيقة في العقد مجاز في الوطء لكثرة وروده في الكتاب والسنة للعقد حتى قيل إنه لم يرد في القرآن إلا له ولا يرد مثل قوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] لأن شرط الوطء في التحليل إنما ثبت بالسنة وقال ابن فارس: لم يرد في القرآن إلا للعقد إلا قوله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح﴾ [النساء: ٦] فإن المراد به الحلم، والثاني أنه حقيقة في الوطء مجاز في العقد وهو مذهب الحنفية والثالث: أنه حقيقة فيهما بالاشتراك ويتعين المقصود بالقرينة كما مر عن أبي علي وذكر ابن القطاع للنكاح أكثر من ألف اسم، وفوائده كثيرة منها أنه سبب لوجود النوع الإنساني، ومنها قضاء الوطر بنيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي الفائدة التي في الجنة إذ لا تناسل فيها، ومنها غض البصر وكف النفس عن الحرام إلى غير ذلك.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: جاء ثلاثة رهط)** اسم جمع لا واحد له من لفظه، والثلاثة علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون كما في مرسل سعيد بن المسيب عند عبد الرزاق **(إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا)** بضم الهمزة وكسر

ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

---

الموحدة مبنياً للمفعول أي بعبادته (**كأنهم تقالُوها**) بتشديد اللام المضمومة أي عدوها قليلة (**فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له**) وفي رواية قد غُفر له بضم الغين (**ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال**) وفي نسخةٍ قال: (**أحدهم أما**) بفتح الهمزة وتشديد الميم للتفصيل (**أنا فإني**) وفي نسخة فأنا (**أصلي الليل أبداً**) قيد لليل لا لقوله أُصلي (**وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر**) بالنهار سوى العيدين وأيام التشريق ولذا لم يقيده بالتأبيد (**وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم**) وفي نسخةٍ إسقاط إليهم (**فقال**) لهم: (**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما**) بفتح الهمزة وتخفيف الميم حرف تنبيه (**والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له**) قال في الفتح: فيه إشارة إلى ردِّ ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيدٍ في العبادة بخلاف غيره، فأعلَمَهم بأنه مع كونه لم يبالغ في التشديد في العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يشددون، وإنما كان كذلك لأن المشدد لا يأمن الملل بخلاف المقتصد فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه اهـ فالنبي ﷺ وإن أُعَطي قوة الخلق في العبادات لكن قصده التشريع وتعليم أمته الطريق التي لا يُمَلُّ بها صاحبها، وقال ابن المنير: إن هؤلاء بنوا على أن الخوف الباعث على العبادة ينحصر في خوف العقوبة، فلما علموا أنه ﷺ مغفور له ظنوا أن لا خوف على ذلك، فرَّد عليه الصلاة والسلام عليهم ذلك وبَيَّن أن خوف الإجلال أعظم (**ولكني**) وفي نسخةٍ لكني وهو استدراك على محذوف دل عليه السياق تقديره أنا وإن تميزت عنكم بذلك، لكن أنا وأنتم بالنسبة إلى العبودية سواءٌ، وأنا (**أصوم وأصلي وأفطر وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب**) أي أعرض (**عن سُنَّتي**) أي طريقتي (**فليس مني**) أي إذا كان غير معتقد لها كارهاً لها، والسنة مفرد مضاف يعم على الأرجح فيشمل الشهادتين وسائر أركان الإسلام، فيكون المعرض عن ذلك مرتداً وكذا إن كان الإعراض تنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله، وأما إن كان ذلك بضرب من التأويل كالورع لقيام شبهة في ذلك الوقت أو عجز عن القيام بذلك أو المقصود صحيح فيعذر صاحبه، وفيه الترغيب في النكاح. وقد اختلف هل هو من العبادات أو المباحات فقال الحنفية: هو سنة مؤكدة على الأصح، وقال الشافعية: من المباحات.. قال القمولي في شرح الوسيط

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد النبي ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إني رجلٌ شاب وأنا

---

نص الإمام على أن النكاح من الشهوات لا من القربات، وإليه أشار الشافعي في الأم حيث قال: قال الله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ [آل عمران: ١٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء» وابتغاء النسل به أمر مظنون ثم لا يُدرى أصالح أم طالح اهـ وقال النووي: إن قصد به طاعة كاتباع السنة أو تحصيل ولد صالح أو عفةِ فرجه أو عينه فهو من أعمال الآخرة يثاب عليه، وهو للتائق أي المحتاج إليه ولو خَصِّيا القادر على مؤنةٍ أفضل من التخلي للعبادة تحصيناً للدين ولما فيه من إبقاء النسل، والعاجز عن مؤنة يصوم والقادر غير التائق إن تخلى للعبادة فهو أفضل من النكاح، وإلا فالنكاح أفضل له من تركه لئلا تفضي به البطالة إلى الفواحش.

**(عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: بردَّ النبي ﷺ على عثمان ابن مظعون)** بالظاء المعجمة الساكنة **(التبتل)** بموحدة بين فوقيتين ثانيتهما مشددة وهو الانقطاع عن النساء وترك التزوج للعبادة، أي ردَّ عليه اعتقاد مشروعية التبتل كأنه لما رآه عبادةً وليس كذلك رده عليه، لأن كل ما يفعله العبد تقرباً إلى الله تعالى بقصد أن يتوصل به إلى رضا الله تعالى ورسوله وليس من الشرع فهو مردود فردَّ ﷺ ما كان من ذلك خارجاً عن شرعه وسنته ولم يأذن له **(ولو أذن)** ﷺ **(له)** أي لابن مظعون في ترك النكاح **(لاختصينا)** الخصاء بكسر الخاء المعجمة والمد الشق على الأنثيين وانتزاعهما افتعال من خصيته سللت خصيته فهو خَصي بفتح أوله ومخصٍ أي لفعلنا فعل من يختصي: بأن يفعل ما يزيل الشهوة وليس المراد إخراج الخصيتين لأنه حرام أو هو على ظاهره وكان قبل النهي عن الاختصاء، قال في الفتح: ويؤيده توارد استئذان جماعةٍ من أصحاب النبي ﷺ في ذلك كأبي هريرة وابن مسعود وغيرهما. قال في شرح المشكاة: وكان من حق الظاهر أن يقال: لو أذن لتبتلنا فعدل إلى قوله اختصينا إرادة للمبالغة، أي لو أذن لنا بالغنا في التبتل حتى يفضي بنا الأمر إلى الاختصاء، ولم يرد حقيقة الاختصاء لأنه غير جائز، قال في الفتح: وإنما كان التعبير بالخصاء أبلغ من التعبير بالتبتل لأن وجود الآلة يقتضي وجود استمرار الشهوة ووجود الشهوة ينافي المراد من التبتل فيتعين الخصاء طريقاً إلى تحصيل المطلوب، وغايته أن فيه ألماً عظيماً في العاجل يغتفر في جنب ما يندفع به في الآجل فهو كقطع الأصبع إذا وقعت في اليد المتآكلة لبقية اليد، وليس الهلاك بالخصاء محققاً بل هو أمر نادر.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قلت: يا رسول الله إني رجلٌ شاب**

أخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال: النبي ﷺ: «يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاقٍ فاختص على ذلك أو ذر».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قتل: يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجرة لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في الذي لم يرتع منها» تعني أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

---

**وأنا)** وفي نسخةٍ: وإني **(أخاف على نفسي العَنَت)** بفتح العين المهملة والنون أي الزنا، وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سببها **(ولا أجد ما أتزوج به النساء)** زاد في بعض الروايات: فأذن لي أن أختصي **(فسكت)** ﷺ **(عني ثم قلت: مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال)** ﷺ: **(يا أبا هريرة جفَّ القلم بما أنت لاقٍ)** أي نفذ المقدور بما كتب عليك في اللوح المحفوظ كالزنا فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه لفراغ ما كتب به **(فاختص)** بكسر الصاد المهملة المخففة أمر من الاختصاء **(على ذلك)** أي فاختصِ حال استعلائك على العلم بأن كل شيءٍ بقضاء الله تعالى وقدره، أي حال كونك عالماً ومعتقداً أن الاختصاء مكتوب عليك[1] فالجار والمجرور متعلق بمحذوف **(أو ذر)** أي اترك وفي روايةٍ: «فاقتصر» بالراء بعد الصاد، ومعناه كما في شرح المشكاة اقتصر على الذي أمرتك به من عدم الاختصاء أو اتركه وافعل ما ذكرت من الاختصاء، وعلى الروايتين فليس الأمر فيه لطلب الفعل بل هو للتهديد كقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩].

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت)** أي أخبرني **(لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها)** بضم الهمزة وكسر الكاف **(ووجدت شجراً لم يؤكل منها)** بالإفراد في الأولى والجمع في الثانية، وفي نسخةٍ: شجرة بالإفراد فيهما وفي أخرى شجراً بالجمع فيهما، قال في الفتح: وهو الأصوب لقولها **(في أيها)** أي في أي الشجر **(كنت تُرتِع بعيرك)** بضم أوله وكسر ثالثه ولو أرادت الموضعين لقالت في أيهما **(قال)** ﷺ: أرتع **(في)** الشجر **(الذي لم يُرتَع منها)** بضم التحتية وفتح الفوقية والراء بينهما ساكنة وفي نسخةٍ: قال: «فالذي لم يرتع منها ارتفع فيها» وزاد أبو نعيم: «فأناهِيَه» بكسر الهاء وفتح التحتية وسكون الهاء الثانية وهي للسكت **(يعني)** بالتحتية وفي نسخةٍ بالفوقية أي تعني عائشة بذلك المثل **(أن رسول الله ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها)** فينبغي تمييزها عن غيرها، قال في الفتح: وهذا فيه غاية بلاغة عائشة وحسن تأنيها في الأمور.

---

(١) الأظهر أن يقول الاختصاء لا ينفع إذا كان الزنا مكتوباً عليك أي فلا فائدة فيه.

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ خطبها إلى أبي بكر فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إنما أنا أخوك فقال: «أنت أخي في دين الله وكتابه وهي لي حلال».

وعنها رضي الله عنها أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ تبنى سالماً وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة ابن ربيعة، وهو مولًى لامرأة من الأنصار كما تبنى النبي ﷺ زيداً وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه حتى أنزل الله تعالى: ﴿أدعوهم لآبائهم﴾ إلى قوله: ﴿ومواليكم﴾ [الأحزاب: ٥] فردوا إلى آبائهم فمن لم يعلم له أب كان مولًى وأخاً في الدين، فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وقد أنزل الله فيه ما قد علمت فذكر الحديث.

---

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ خطبها)** فأنهى خطبتها **(إلى أبي بكر)** أو إلي بمعنى من والأول كقوله أحمد إليك الله أي أنهى إليك حمده **(فقال)** له **(أبو بكر رضي الله تعالى عنه: إنما أنا أخوك)** حصر مخصوص بالنسبة إلى تحريم نكاح بنت الأخ **(قال)** وفي نسخةٍ فقال: (ﷺ) له: **(أنت أخي في دين الله وكتابه)** إشارة إلى نحو قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ **(وهي)** أي عائشة **(لي حلال)** أي نكاحها لأن الأخوة المانعة من ذلك إخوة النسب والرضاع لا إخوة الدين.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أن أبا حذيفة)** مهشم على المشهور خال معاوية بن أبي سفيان **(بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس)** القرشي العبشمي **(وكان ممن شهد بدراً)** والمشاهد كلها **(مع النبي ﷺ تبنى سالماً)** أي ابن معقل بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف من أهل فارس المهاجري الأنصاري **(وأنكحه)** أي زوَّجه **(بنت أخيه)** بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة **(هند)** غير مصروف للعلمية والتأنيث وفي نسخةٍ هند بالصرف لخفته بسكون وسطه **(بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو)** أي سالم **(مولىً لامرأةٍ من الأنصار)** اسمها ثُبيتة بضم المثلثة وفتح الموحدة وسكون التحتية وفتح الفوقية بنت يعار بفتح التحتية والعين المهملة المخففة بعد الألف راء ابن عبيد الأنصارية زوجة أبي حذيفة المذكور **(كما تبنى النبي ﷺ زيداً)** أي اتخذه ابناً **(وكان من تبنى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه)** فيقولون فلان بن فلان للذي تبناه **(وورث من ميراثه)** كما يرث ابنه من النسب **(حتى أنزل الله تعالى ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ إلى قوله: ﴿ومواليكم﴾)** أي الذين ولدوهم **(فجاءت سهلة)** بفتح السين المهملة وسكون الهاء **(بنت سهيل بن عمرو)** بضم السين وفتح الهاء وسكون التحتية وعمرو بفتح العين **(القرشي وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة)** ضرة معتقة سالم الأنصارية **(إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنا كنا نرى)** بفتح النون أي نعتقد **(سالماً ولداً)** بالتبني **(وقد أنزل الله تعالى فيه)** وفي أمثاله **(ما قد علمت)** من قوله

وعنها رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير فقال لها: «لعلك أردت الحج» قالت: والله لأجدني إلا وَجِعة فقال لها. «حجي واشترطي وقولي: اللَّهم محلي حيث حبستني». وكانت تحت المقداد بن الأسود.
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تُنْكَح المرأة لأربع: لمالها

---

تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾[الأحزاب: ٥] **(فذكر)** الراوي **(الحديث)** وتمامه كما عند أبي داود والبرقاني: «فكيف ترى؟ فقال رسول الله ﷺ: أرضعيه»، فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة، وفبذلك كانت عائشة تأمر بنات أخيها وأختها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيراً خمس رضعات ثم يدخل عليها وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي ﷺ أن يُدخِلنَ عليهن بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد. وقلنَ لعائشة: «والله ما ندري لعلها رخصة من رسول الله ﷺ لسالم دون الناس»، وعند مسلم: جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو فقالت: «يا رسول الله إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال وإنه يدخل علينا وأني أظنُّ أن في نفس أبي حذيفة شيئاً من ذلك، فقال: «أرضعيه تحرمي عليه»، فرجعت إليه فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة. وهذا مختص بسهلة وسالم أو منسوخ، والجمهور على خلافه.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: دخل النبي ﷺ على ضباعة)** بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة المخففة **(بنت الزبير)** عبد المطلب الهاشمية ابن عم النبي ﷺ **(فقال لها: لعلك أردت الحج؟ فقالت: والله ما)** وفي نسخةٍ: **(أجدني)** أي ما أجد نفسي **(إلا وَجِعة)** واتحاد الفاعل والمفعول مع كونهما ضميرين لشيء واحد من خواص أفعال القلوب، وقوله وَجِعة بفتح الواو وكسر الجيم أي ذات مرض **(فقال)** ﷺ: **(حجي واشترطي)** أنك حيث عجزت عن الإتيان والمناسك وانحبست عنها بحبس قوة المرض تحللت **(وقولي: اللهم مَحِلي)** بفتح الميم وكسر الحاء أو فتحهما أي مكان تحللي من الإحرام **(حيث حبستني)** بفتحات أي العلة أو بسكون السين أي أنت يا الله، أي حيث حبستني فيه عن النسك بعلة المرض وسبقت مباحث ذلك في الحج **(وكانت)** أي ضباعة **(تحت المقداد بن الأسود)** هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي، ونسب إلى الأسود ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة لكونه تبناه فكان من حلفاء قريش وتزوج ضباعة وهي هاشمية، ففيه أن النسب لا يعتبر في الكفاءة وإلا لما جاز له أن يتزوجها لأنها فوقه في النسب، وأجيب باحتمال أنها وأولياءَها أسقطوا حقهم من الكفاءة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: تُنكح المرأة)** بضم وفتح الكاف مبنياً للمفعول والمرأة رفع به **(لأربع)** من الخصال أي أن العادة جارية بأن الناس يرغبون في نكاح المرأة لواحدة من هذه الخصال **(لما لها)** بدل من السابق بإعادة

ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

---

العامل لأنها إذا كانت ذات مالٍ قد تستغني بمالها عن مطالبته بما يحتاج إليه غيرها من النساء، وقد يحصل له منها ولد فيعود إليه مالها بالإرث وليس له الاستمتاع بمالها من غير رضاها ولا الحجر عليها فيه خلافاً لبعضهم **(و)** تنكح المرأة أيضاً **(لحَسَبها)** بفتح السين والحاء المهملتين ثم موحدة أي شرفها، والحسب في الأصل الشرف بالآباء وبالأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وأما ما رواه الترمذي والحاكم: «الحسب المال والكرم التقوى» فالمراد منه أن المال حَسَبُ من لا حسب له، وروى الحاكم حديث: «تخيروا لنطفكم» فيكره نكاح بنت الزنا وبنت الفاسق، قال الأذرعي: ويشبه أن يلحق بهما اللقيطة ومن لا يعرف أبوها **(و)** تنكح أيضاً لأجل **(جمالها)** لأن الجمال مطلوب في كل شيء لا سيما في المرأة التي تكون قرينةً وضجيعةً، وعند الحاكم حديث: «خير النساء من تسر إذا نظرت وتطيع إذا أمرت»، قال الماوردي: لكنهم كرهوا ذات الجمال الباهر فإنها تزهو بجمالها **(و)** تُنكح **(لدينها)** بإعادة اللام وفي مسلم بإعادتها في الأربع لإفادة أن كلاً منها مستقلٌ في الغَرَض وحذفت هنا في قوله: وجمالها فقط **(فاظفر بذات الدين)** ولمسلم من حديث جابر: «فعليك بذات الدين» لأن اللائق بذوي المروءات وأرباب الديانات أن يكون الدين مطمح نظرهم في كل شيء لا سيما فيما يدوم أمره ويعظم خطره، فلذا اختاره ﷺ بآكد وجه وأبلغه حيث عبر بالظفر الذي هو غاية البغية ومنتهى الاختيار، وبالطلب الدال على تضمن المطلوب لنعمةٍ عظيمةٍ وفائدةٍ جليلةٍ، الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا تحقَّقْتَ ما فصَّلت لك تفصيلاً بيناً فاظفر أيها المسترشد بذات الدين فإنها تكسبك منافع الدارين وروى ابن ماجه حديث ابن عمرو مرفوعاً: «لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن» أي يهلكهن، «ولا تتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء ذات دينٍ أفضل» **(تربت يداك)** أي افتقرتا إن خالفتَ ما أمرتك به يقال: ترب الرجل أي افتقر ومعناه في الأصل لصقت يده بالتراب ويلزمه الفقر، وهي كلمة جارية على ألسنتهم لا يريدون بها حقيقة الدعاء بل الحث على ذات الدين، فيوافق قوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم﴾ [النور: ٣٢] إذ الصالح هو صاحب الدين، والمراد النهي عن مراعاة الجمال وغيره مجرداً عن الدين فلا ينافي استحباب ذلك في المرأة بدليل أمره ﷺ من يريد التزوج بالنظر إلى المخطوبة وهو لا يفيد معرفة الدين وإنما يعرف به الجمال أو القبح، ويستحب فيها أيضاً أن لا تكون بالغةً إلا لحاجةٍ كأن لا يَعِفَّهُ إلا غيرها أو مصلحةً كتزوجه ﷺ عائشة، وأن تكون عاقلة في المهمات ويتجه أن يراد بالعقل هنا العقل العرفي وهو زيادة على مناط التكليف اهـ والأولى أن يراد به الأعم من ذلك وأن لا تكون ذات

عن سهل رضي الله عنه قال: مرَّ رجل غنيٌ على النبي ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا» قالوا: حري إن خطب أن يُنْكَح وإن شفع أن يُشَفَّع وإن قال أن يُسْتَمع قال: ثم سكت، فمر رجلٌ من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا» قالوا: حري إن خطب أن لا يُنْكَح وإن شفع أن لا يُشَفَّع وإن قال أن لا يُسْتَمع فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا».

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».

---

قرابة قريبة لضعف الشهوة فيها فيجيء الولد نحيفاً، ولا يرد تزوجه ﷺ زينب مع أنها بنت عمته لأن ذلك لبيان الجواز، ولا تزوج علي فاطمة لأنها بعيدة في الجملة إذ هي بنت ابن عمه لا بنت عمه، وأن لا تكون ذات ولدٍ لغيره إلا لمصلحة كما تزوج ﷺ أم سلمة ومعها ولد أبي سلمة للمصلحة، وأن لا يكون لها مطلق يرغب في نكاحها وأن لا تكون شقراء فقد أمر الشافعي الربيع أن يرد الغلام الأشقر الذي اشتراه له وقال: ما لقيت من أشقرٍ خيراً.

**(عن سهل)** بن سعد الساعدي الأنصاري **(رضي الله تعالى)** أنه **(قال: مرَّ رجلٌ غني)** لم يقف الحافظ ابن حجر على اسمه **(على رسول الله ﷺ فقال)** للحاضرين من أصحابه: **(ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري)** بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد التحتية أي حقيق **(إن خطب)** امرأته **(أن يُنكَح)** بضم أوله وفتح ثالثه مبنياً للمفعول **(وإن شفع)** في أحدٍ **(أن يُشَفَّع)** بضم أوله وتشديد الفاء المفتوحة أي أن تقبل شفاعته **(وإن قال أن يستمع)** أي قوله **(ثم سكت)** رسول الله ﷺ **(فمرَّ رجل)** آخر قيل: إنه جُعيل بن سراقة **(من فقراء المسلمين فقال)** ﷺ: **(ما تقولون في هذا)** الفقير المار؟ **(قالوا)**: هو **(حريٌ)** أي حقيق **(إن خطب أن لا ينكَح وإن شفع أن لا يُشَفَّع وإن قال أن لا يستمع)** لقوله لفقره وكان صالحاً دميماً قبيحاً **(فقال رسول الله ﷺ: هذا)** الفقير **(خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا)** الغني وإطلاقه التفضيل على الغني المذكور لا يلزم منه تفضيل كل فقيرٍ على كل غني كما لا يخفى، نعم فيه تفضيله مطلقاً في الدين، وقوله ملءُ بالهمز ومثل بالنصب والجر.

**(عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجل من النساء)** فالفتنة بهن أشد من الفتنة بغيرهنَّ، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ [آل عمران: ١٤] فجعل الأعيان التي ذكرها شهوات حين أوقع الشهوات أولاً مبهماً ثم بينها بالمذكورات، فعُلم أن الأعيان هي عين الشهوات فكأنه قيل زين حب الشهوات التي هي النساء، فجرد من النساء شيء يسمّى شهوات وهي نفس الشهوات كأنه قيل هذه الأشياء خلقت للشهوات وللاستمتاع بها

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل للنبي ﷺ: ألا تتزوّج ابنة حمزة قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة».

عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت صوت رجلٍ يستأذن في بيت حفصة، قالت: فقلت: يا رسول الله هذا رجلٌ يستأذن في بيتك فقال النبي ﷺ: «أراه فلاناً لعم حفصة من الرضاعة». قالت عائشة: لو كان فلان حياً ـ لعمّها من الرضاعة ـ دخل عليّ فقال: «نعم الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة».

---

لا غير، لكن المقام يقتضي الذم ولفظ الشهوة عند العارفين مسترذل والاستمتاع بالشهوة نصيب البهائم، وبدأ بالنساء قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك وتحقيق لكون الفتنة بهن أشد لأن الرجل يحب الولد لأجل المرأة وكذا يحب الولد الذي أمه في عصمته ويرجحه على الولد الذي فارق أمه بطلاق أو وفاة غالباً، وقد قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم﴾ [التغابن: ١٤]، قال: تحمل الرجل على قطيعة الرَّحم أو معصية ربه فلا يستطيع مع حبه إلا الطاعة، وقال بعض الحكماء: النساء شرٌّ كلهنَّ وأشرُّ ما فيهنَّ عدم الاستغناء عنهنَّ ومع أنهن ناقصات عقل ودين يحملن الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين، كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قيل للنبي ﷺ)** القائل هو علي بن أبي طالب كما في مسلم: **(ألا تتزوّج)** بالتاءين وفي نسخةٍ بحذف إحداهما **(ابنة حمزة)** عمك زاد سعيد بن منصور: فإنها من أحسن فتاة في قريش **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(إنها ابنة أخي من الرضاعة)** ولعلَّ علِياً لم يكن علم أن حمزة رضيع النبي ﷺ أو جوز الخصوصية.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رجلاً)** لم يقف الحافظ ابن حجر على اسمه **(يستأذن في بيت حفصة)** أم المؤمنين **(فقالت)** عائشة: **(فقلت: يا رسول الله هذا رجل يستأذن في بيتك)** على حفصة **(فقال النبي ﷺ: أراه)** بضم الهمزة أي أظنه وروي بفتحها **(فلاناً لعم حفصة)** أي عن عم حفصة أو اللام للتعليل أي قال: لأجل عم حفصة **(من الرضاعة قالت عائشة)** كان السياق يقتضي أن يقول: قلت لكنه من باب الإلتفات: **(لو كان فلانٌ حياً لعمها)** أي لعم عائشة **(من الرضاعة دخل عليَّ)** قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه أيضاً ووهم من فسره بأفلح أخي أبي القعيس **(فقال)** ﷺ: **(نعم)** كان له أن يدخل عليك **(الرضاعة)** المعتبرة **(تحرم ما تحرم الولادة)** فتحرم النكاح ابتداءً ودواماً وتنتشر الحرمة من الرضيع إلى أولاده فقط، فيحرم عليها هو وفروعه من النسب والرضاع دون آبائه وأمهاته وإخوته، فلأبيه أن ينكح المرضعة إذ لا مانع من نكاح أم الابن وأن

عن أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما قالت: قلت: يا رسول الله إنكح أختي بنت أبي سفيان فقال: «أو تحبين ذلك»؟ فقلت: نعم لست لك بمُخْليةٍ وأَحَبُّ مَن شاركني في خيرٍ أختي، فقال النبي ﷺ: «إن ذلك لا يحل لي» قلت: «فإنا تُحدِّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال: «بنت أم سلمة» قلت: نعم،

---

ينكح بنتها ولأمه أن تنكح صاحب اللبن، أما الحرمة من المرضعة وصاحب اللبن فتنتشر إلى الجميع فتحرم عليه هي وأصولها وفروعها من النسب والرضاع وإخوتها وأخوانها كذلك لأنها صارت أمه كما صار صاحب اللبن أباه، فيحرم على الرضيع هو وأصوله وفروعه من النسب والرضاعة وإخوته وأخوانه كذلك إذ هم أعمامه وعماته، وتنزيلهم منزلتهم إنما هو في جواز النظر وعدم نقض الطهارة باللمس والخلوة والمسافرة دون سائر أحكام النسب كالميراث والنفقة والعتق بالملك وسقوط القصاص دون الشهادة.

**(عن أم حبيبة)** رملة **(بنت أبي سفيان)** صخر بن حرب **(رضي الله تعالى عنهما)** أنها **(قالت: قلت: يا رسول الله إنكح)** بكسر الهمزة والكاف أمر من نكح ينكح أي تزوَّج **(أختي)** عزة وقيل درة وقيل حمنة **(بنت)** وفي نسخةٍ: ابنة **(أبي سفيان، فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(أو تحبين ذلك)** الهمزة للاستفهام والواو عاطفة على ما قبلها عند سيبويه وهو إنكح أختي وعلى مقدرٍ عند الزمخشري وموافقيه أي أنكحها وتحبين ذلك؟ وهو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتوزَّج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة **(فقلت: نعم)** حرف جواب يؤتى به لتقرير ما قبله نفياً أو إثباتاً **(لست لك بمخلية)** بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وكسر اللام والباء زائدة أي ليست خالية من ضرة غيري، وقال ابن الأثير: أي لم أجدك خالياً من الزوجات غيري وليس من قولهم امرأة مخلية إذا خلت من الزوج **(وأحب)** بفتح الهمزة والمهملة **(من شاركني)** بألف بعض الشين **(في خير أختي)** أحب مبتدأ وهو أفعل تفضيل مضاف إلى مَن ومَن نكرة موصوفة، أي وأحب شخصٍ شاركني أو موصولة أي وأحب المشاركين في خيرٍ، فجملة شاركني صفة أو صلة وفي خير يتعلق بشاركني وأخت الخبر، ويجوز أن يكون أختي المبتدأ وأحب خبر مقدم لأن أختي معرفة بالإضافة وأفعل لا يتعرف بها على المشهور، قيل: والمراد بالخير صحبة النبي ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين الساترة لما يعرض من الغيرة التي جرت بها العادة بين الزوجات، ويحتمل أن المراد بالخير ذاته ﷺ كما يدل عليه روايةٍ: «وأحب من شركني فيك أختي» **(فقال ﷺ: إن ذلكِ)** بكسر الكاف خطاب للمؤنث **(لا يحل لي)** لأن فيه الجمع بين الأختين **(قلت: فإنا نحدث)** بضم النون وفتح الدال والحاء **(أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة)** درة بضم الدال المهملة وتشديد الراء **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(بنت أم سلمة؟)** مفعول بفعل مقدر

فقال: «لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة، فلا تعرضن على بناتِكن ولا أخواتِكُنْ».

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجلٌ فكأنه تغير

---

أي أأنكح بنت أم سلمة أو أتعني[1] بنت أم سلمة **(قلت: نعم)** وعدل عن قوله أبي سلمة إلى قوله أم سلمة توطئة لقوله **(فقال: لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري)** بفتح الحاء وقد تكسر واسم كان ضمير بنت أم سلمة وربيبتي خبرها، وربيبة فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوج الأم يربُّها أي يصلحها يقال ربَّ زيد الأمر ربا إذا ساسه وقام بتدبيره، قال القاضي عياض: الربيبة مشتقة من الرب وهو الإصلاح لأنه يرُبُّها ويقوم بأمورها وإصلاح حالها، ومن قال أنه مشتق من التربية فمراده الاشتقاق الكبير لا الصغير لعدم الاتفاق في الحروف الأصول فإن آخر ربَّ باء موحدة وآخر ربيَ ياء مثناة تحتية وجواب لو قوله **(ما حلت لي)** يعني لو كان بها مانع واحد يكفي في التحريم فكيف وبها مانعان كونها ربيبة وأختا[2] من الرضاع كما سيأتي، وقوله في حجري تأكيد وراعي فيه لفظ الآية ولا مفهوم له عند الجمهور بل خرج مخرج الغالب، وقد تمسك بظاهره داود الظاهري فأحل الربيبة البعيدة التي لم تكن في الحِجْر **(إنها لابنة أخي من الرضاعة)** اللام في قوله لابنة هي الداخلة في خبران **(أرضعتني وأبا سلمة)** معطوف على المفعول أو مفعول معه **(ثويبة)** بضم المثلثة وفتح الواو وبعد التحتية الساكنة موحدة مولاة لأبي لهب، واختلف في إسلامها والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب، ولا يجوز أن تكون بدلاً من خبر إن ولا خبراً بعد خبرٍ لعدم الضمير **(فلا تَعرِضْنَّ عليَّ)** بتشديد الياء **(بناتِكُنَّ ولا أخواتِكُنَّ)** لا ناهية وتعرضن بفتح الفوقية وسكون العين والضاد المعجمة بينهما راء مكسورة وآخره نون خفيفة وهو فعل مضارع والنون الخفيفة نون جماعة النسوة والفعل معها مبني على السكون، قال القرطبي: وجاء لفظ الجمع وإن كانت القصة لاثنتين وهما أم حبيبة وأم سلمة ردعاً وزجراً أن تعود واحدة منهما أو غيرهما إلى مثل ذلك، وقيل: الخطاب لأم حبيبة وحدها فيكون بكسر الضاد وتشديد النون، ويحتمل أن يضبط تعرض بضم الضاد والخطاب لجماعة الذكور تغليباً لهم على الإناث الحاضرات، وأصله تَعرِضُوننَّ فاستثقل اجتماع ثلاث نونات فحذفت نون الرفع فالتقى ساكنان فحذفت الواو لاعتلالها وبقي النون المشددة لصحتها وهي نون التوكيد والفعل معها معرب لعدم مباشرته للنون.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ دخل)** حُجرتها **(وعندها رجل)** قال في

---

(١) حقها أو تعنين اهـ مصححه.

(٢) صوابه ابنة أخ من الرضاعة اهـ مصححه.

وجهه كأنه كره ذلك فقالت: إنه أخي فقال: «انظرن مَن إخوانُكُن فإنما الرضاعة من المجاعة».

---

الفتح: لم أقف على اسمه وأظنه ابناً لأبي القعيس وغلط من قال إنه عبد الله بن يزيد رضيع عائشة، لأن عبد الله هذا تابعي باتفاق الأئمة كانت أمة التي أرضعت عائشة عاشت بعد النبي ﷺ فلذا قيل له رضيع عائشة **(فكأنه)** ﷺ **(تغير وجهه كأنه كره ذلك)** ولمسلم فاشتد عليه ذلك ورأيت الغضب في وجهه **(فقالت)** عائشة **(إنه)** أي الرجل **(أخي)** من الرضاعة **(فقال)** عليه الصلاة والسلام **(انظرن)** أي اعرفن وتأملن (**﴿مَنْ إخوانكن﴾**) ومن استفهامية مفعول به وفي نسخةٍ: «ما إخوانكن» إيقاعاً لما موقع من الأول أوجه، والإخوان جمع أخ لكنه أكثر ما يستعمل لغةً في الأصدقاء بخلاف غيرهم ممن هو بالولادة، فيقال فيهم إخوة وكذا الرضاعة كما في هذا الحديث **(فإنما الرضاعة من المجاعة)** تعليل للحث على إمعان النظر والتفكر، فإن الرضاعة تجعل الرضيع محرماً كالنسب ولا يثبت ذلك إلا بإنبات اللحم وتقوية العظم، فلا يكفي مصة ولا مصتان بل أن تكون الرضاعة من المجاعة فيشبع الولد بذلك، ويكون ذلك في الصغر ومعدته ضعيفة يكفيه اللبن ويشبعه ولا يحتاج إلى طعام آخر، وذلك قبل تمام الحولين لأنه بعدهما لا يشبعه إلا اللحم والخبز ونحوهما، ولذا ذهب الشافعي والجمهور إلى إناطة الحكم بالحولين من تمام انفصال الولد لحديث ابن عباس عند الدارقطني مرفوعاً: «لإرضاع إلا ما كان في الحولين»، وللترمذي وحسَّنه لإرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الحولين، وعن أبي حنيفة إناطته بحولين ونصف وعند زُفر بثلاثة، وعن مالك بزيادة أيام بعد الحولين وعنه بزيادة شهرٍ وشهرين وفي روايةٍ بثلاثة أشهرٍ، وأما حديث سهلة السابق أنها قالت: يا رسول الله إنا كنا نرى سالماً ولداً وقد أنزل الله تعالى ما قد علمت فماذا تأمرني؟ فقال: «أرضعيه خمس رضعات يحرم بهن عليك» ففعلت فكانت تراه ابناً مع أنه بعد البلوغ، فأجاب عنه الشافعي وغيره بأنه مخصوص بسالم وقيل منسوخ، قال القاضي: ولعلَّ سهلة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمص ثديها ولا التقت بشرتاهما، قال النووي: وهو حسن ويحتمل أنه عفي عن مسه للحاجة كما خصَّ بالرضاعة مع الكبر اهـ وظاهر قوله ﷺ: أرضعيه يقتضي ذلك لا الحلب، وقد نقل التاج بن السبكي أن والده قال لامرأة أرادت أن تحج مع كبير أجنبي: أرضعيه تحرمي عليه، وفيه دلالة على أنه كان يرى مذهب عائشة فإنها كانت تأمر بنات إخوتها وأخواتها أن يرضعن من أحبت عائشة أن يراها ويدخل عليها، وإن كان كبيراً خمس رضعات ثم يدخل عليها، وقد علم مما تقرر أن التحريم لا يثبت برضعة خلافاً لمالك وأبي حنيفة ومشهور مذهب أحمد ورد عن عائشة عشر رضعات أخرجه مالك في الموطأ، وعنها أيضاً سبع أخرجه ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح، وعنها أيضاً في مسلم «كان فيما أنزل في القرآن عشر رضعات معلومات ثم

عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تُنْكَح المرأة على عمتها أو خالتها».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ: «نهى عن نكاح الشغار».

---

نسخت بخمس رضعات محرمات، ثم توفي رسول الله وهن مما يقرأ»، وإلى هذا ذهب إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى.

**(عن جابر)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نهى النبي ﷺ أن تُنْكَح المرأة)** أي عن نكاح المرأة **(على عمتها أو)** على **(خالتها)** أي أخت الأب وأخت الأم، وفي معناهما أخت الجد ولو من جهة الأم وأخت أبيه وإن علا وأخت الجدة وأمها وإن علت ولو من قِبَل الأب، والضابط أنه يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة لو كانت إحداهما ذكراً لحرمت المناكحة بينهما، والمعنى في ذلك ما فيه من قطيعة الرحم مع المنافسة القوية بين الضرتين، ولا يحرم الجمع بين المرأة وبنت خالها أو خالتها ولا بين المرأة وبنت عمها أو عمتها، لأنه لو قدرت إحداهما ذكراً لم تحرم الأخرى عليه، وهذا الحديث مخصص لقوله تعالى: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [النساء: ٢٤].

**(عن)** عبد الله **(بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ نهى)** نهي تحريم **(عن نكاح الشِّغار)** بمعجمتين الأولى مكسورة وآخره راء مصدر شاغر يشاغر شغاراً ومشاغرةً، وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته مثلاً ليس بينهما صِداق بل يضع كل منهما صداق الأخرى فيقول: زوجتك بنتي على أن تزوجني بنتك وبضع كلٍّ صداق الأخرى، وكذا لو سميا مع البضع صِداقاً بأن قال: وبضع كلٍّ وألفَ صِداق الأخرى سميَ شغاراً من قولهم: شغر البلد عن السلطان إذا خلا عنه لخلوه عن المهر أو عن بعض الشرائط، وقيل من قولهم شغر الكلب رجله ليبول كأن كلاً من الوليين يقول للآخر: لا ترفع رجل ابنتي حتى أرفع رجل ابنتك، وفي التشبيه بهذه الهيئة القبيحة تقبيح للشغار وتغليظ على فاعله، والمعنى في البطلان التشريك في البضع حيث جعل مورد النكاح امرأة وصداقاً للأخرى فأشبه تزويج واحدةٍ من اثنين، وقيل التعليق فكأنه يقول لا ينعقد لك نكاح بنتي حتى ينعقد لي نكاح بنتك، فإن لم يقل وبضع كلٍّ صِداق الأخرى صح النكاح إذ ليس فيه إلا شرط عقدٍ في عقد وهو لا يفسد النكاح ووجب مهر المثل، ولو قال وبضع بنتي صداق بنتك صح الثاني فقط وقال الحنفية: يصح نكاح الشغار ويجب لكل منهما مهر لمثل لأن النكاح لا يبطل بالشروط الفاسدة، وههنا شرط فيه ما لا يصلح مهراً فيبطل شرطه ويصح عقده كما لو سمي خمراً، وقال الحنابلة: إن سمي المهر في الشغار صح وإن سمي لأحداهما ولم يسم للأخرى صح نكاح من سمي لها.

عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهم قالا: كنا في جيشٍ فأتانا رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا».

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأةً عرضت نفسها على النبي ﷺ فقال له رجلٌ: يا رسول الله زَوِّجنيها فقال: «ما عندك»؟ قال: ما عندي شيء قال: «اذهب فالتمس ولو خاتماً من حديد»، فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزاري ولها نصفه. قال سهل: وماله رداء فقال

---

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(وسلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنهم)** أنهما **(قالا: كنا في جيش)** بالجيم المفتوحة والتحتية الساكنة بعدها معجمة **(فأتانا رسول الله ﷺ)** وفي نسخةٍ: رسول رسول الله ﷺ وهو بلال على ما قيل **(فقال: إنه قد أذن لكم)** بضم الهمزة **(أن تستمتعوا)** زاد شعبة عند مسلم: يعني متعة النساء وهي النكاح إلى أجل **(فاستمتعوا)** بفتح المثناة الفوقية بلفظ الماضي وكسرها بلفظ الأمر، وهذا منسوخ وقد وقع الإجماع على تحريمها إلا الروافض، وسئل جعفر بن محمد عن المتعة فقال: هي الزنا بعينه واختلف هل يحد ناكح المتعة أم لا؟ ومذهب الشافعية سقوط الحد ولو عُلِم فساده لشبهة اختلاف العلماء، ولو قال: نكحتها متعة ولم يزد عليها فباطل يسقط بالوطء فيه الحد ويلزم المهر ويثبت النسب والعدة، وأما نكاح المحلِّل فإن شرط في العقد أنه يُحلِّلها للذي طلقها ثلاثاً وإذا وطئها لا نكاح بينهما، أو أنه إذا حلَّلها طلقها لا يصح لأنه عقد شرط قطعه دون غايته فيبطل كنكاح المتعة، وإن عقد النكاح ليحلِّلها لكنه لم يشرط في صلب العقد صح النكاح لخلوه عن المفسد.

**(عن سهل بن سعد)** الساعدي الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه أن امرأة)** قال في المقدمة يقال: إنها خولة بنت حكيم وقيل أم شُرَيك ولا يثبت شيء من ذلك **(عرضت نفسها على النبي ﷺ فقال له رجل)** لم يسم: **(يا رسول الله زوجنيها)** زاد في روايةٍ: إن لم يكن لك بها حاجة **(قال ﷺ)** وفي نسخةٍ: فقال: **(ما عندك)** وفي روايةٍ: «وهل عندك شيء»؟ أي تصدقها إياه **(قال)** الرجل **(ما عندي شيء)** أصدقها إياه **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(اذهب)** إلى أهلك كما في روايةٍ: **(فالتمس)** زاد في روايةٍ: شيئاً واستدل بها على جواز كل ما يتمول في الصداق من غير تحديد، ولفظ شيء وإن كان يطلق على غير المال لكنه مخصوص بدليل آخر وذلك أنه عوض كالثمن في البيع فاعتبر فيه ما يعتبر في الثمن مما دل الشرع على اعتباره فيه، والالتماس افتعال من اللمس فهو استعارة والمراد الطلب والتحصيل لا حقيقة اللمس **(ولو)** كان الملتمس **(خاتماً من حديد)** فإنه جائز وفيه دلالة على جواز التختم بالحديد وفيه خلاف فقيل يكره لأنه من لباس أهل النار والأصح عند الشافعية لا يكره **(فذهب)** إلى أهله **(ثم رجع فقال: والله ما وجدت شيئاً ولا خاتماً من حديد ولكن هذا إزاري لي نصفه ولها نصفه)** صداقاً **(قال سهل)** رضي الله تعالى عنه:

النبي ﷺ: وما نصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لَبِسْته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه النبي ﷺ فدعاه أو دعى له فقال له: «ماذا معك من القرآن»: قال معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا لسور يعددها فقال النبي ﷺ: أمكناكها بما معك من القرآن».

وفي رواية عنه رضي الله عنه أن امرأة جاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر إليها وصوبه ثم

---

**(وماله رداء فقال النبي ﷺ: وما تصنع بإزارك إن لبسته)** وفي نسخةٍ: «إن لبست» بحذف الضمير المنصوب **(لم يكن عليها منه شيء)** وفي نسخةٍ: «لم يكن عليها من شيء» **(وإن لَبِسَتْه)** هي **(لم يكن عليك منه شيء، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه)** بفتح اللام وكسرها أي جلوسه **(قام ليذهب فرآه النبي ﷺ مولّياً فدعاه أو دعى له)** أي دعاه بنفسه أو أمر من دعا له والشك من الراوي **(فقال له: ماذا معك من القرآن؟)** أي ما تحفظ منه **(قال معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا)** ثلاث مرات وفي روايةٍ مرتين **(لسور يعددها)** عين النسائي في روايته وكذا أبو داود من حديث عطاء عن أبي هريرة: «البقرة والتي تليها، وفي الدارقطني عن ابن مسعود: البقرة وسوراً من المفصل، وفي فوائد تمام الرازي عن أبي أمامة أنها سبع سور من المفصل، وقيل كان معه إحدى وعشرون آية من البقرة وآل عمران رواه أبو داود **(فقال النبي ﷺ أمكناكها)** من التمكين وفي نسخةٍ: «أملكناكها» من التمليك وفي روايةٍ: «زوجتكها» وهي رواية الأكثر وصوَّبها الدارقطني وجمع النووي بينهما باحتمال أن يكون جرى لفظ التزويج أولاً ثم لفظ التمكين أو التمليك ثانياً، لأنه ملك عصمتها بالتزويج وتمكن به منها والباء في قوله **(بما معك من القرآن)** للمعاوضة والمقابلة على تقدير مضاف أي زوجتك إياها بتعليمك إياها ما معك من القرآن، ويؤيده أن في مسلم: «انطلق فقد زوجتكها فعلمها ما معك من القرآن»، وفي حديث أبي هريرة عند البيهقي قال: «ما تحفظ من القرآن»؟ قال: سورة البقرة والتي تليها قال: «فقم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك» وفي تعليمها القرآن منفعة تعود إليها وهو عمل من أعمال البدن التي لها أجرة فينعقد النكاح بذلك وهو مذهب الشافعية، وقال الحنفية: يصح النكاح ويرجع لمهر المثل قالوا: لأن المسمى ليس بمال والشارع إنما شرع ابتغاء النكاح بالمال بقوله: ﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ [النساء: ٢٤] وتعليم القرآن ليس بمال فيجب مهر المثل، وليس في زوجتكها بما معك من القرآن أنه جعله مهراً لاحتمال أن تكون الباء للسببية أي بسبب ما معك من القرآن المقتضي لإكرامك ومن البيان أو للتبعيض **(وفي روايةٍ عنه)** أنه **(قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله جئت لأهب إليك نفسي)** أي تتزوجني بلا مهرٍ وقد عد هذا من خصائصه ﷺ، أو التقدير أهب أمر نفسي لك فاللام لام التمليك استعملت هنا في تمليك المنافع **(فنظر إليها رسول الله ﷺ)** بقصد الخطبة وهو

طأطأ رأسه وذكر الحديث وقال في آخره: «أتقرؤهن عن ظهر قلبك». قال: نعم قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن».

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «زوجت أختاً لي من رجلٍ فطلقها،

---

جائز وسُنَّ أن يكون قبلها لأنه لو كان بعدها لربما أعرض عنها فيؤذيها **(فصعَّد النظر)** بتشديد العين أي رفعه **(وصوبه)** بتشديد الواو أي خفضه **(ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقضِ فيها شيئاً جلست فقام رجلٌ من أصحابه فقال وذكر الحديث)** المتقدم **(وقال في آخره: أتقرؤهن)** أي السور **(عن ظهر قلبك)** أي من حفظك **(قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن)** وفي رواية الأكثرين زوجتكها بدل ملكتكها وقال في المصابيح: الباء للسببية فيكون هذا نكاح تفويض اهـ والتفويض ضربان تفويض مهر بأن تقول المرأة للولي زوجنيه بما شاء أو بما شئت، وتفويض بضع وهو أن تقول زوجنيه بلا مهر فيزوجها نافياً للمهر أو ساكتا عنه، فيجب لها مهر المثل بالفرض أو بالوطء لأنه لا يباح بالإباحة لما فيه من حق الله أو بموت أحدهما قبل الوطء والفرض لأنه كالوطء في تقرير المسمى فكذا في إيجاب مهر المثل في التفويض، ولأن بروع بنت وأشق نُكت بلا مهر فمات زوجها قبل أن يفرض لها، فقضى لها رسول الله ﷺ بمهر نسائها وبالميراث رواه أبو داود وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال المالكية تستحق المفوضة الصداق بالوطء لا بالعقد ولا بالموت أو الطلاق سواء مات هو أو هي وهو المشهور، إلا أن يفرض وترضى فيتشطر المفروض بالطلاق قبل الدخول قال ابن عبد السلام: وهو ظاهر إن فرض صداق المثل أو دونه ورضيت به، وقال الحنابلة: بالعقد وتزويج النبي ﷺ لها بطريق الولاية العامة لفقد وليها الخاص، وفي حديث الترمذي وغيره: «السلطان ولي من لا ولي له»، ويؤخذ مما مر أن الصداق لا يتقدر بقدر بل يكفي فيه أدنى متمول كخاتم الحديد وهو مذهب الشافعية والحنابلة، وعند الحنفية أقله عشرة دراهم والمالكية ربع دينار، فيستحب عند الشافعية والحنابلة أن لا ينقص عن عشرة دراهم خروجاً من خلاف أبي حنيفة وأن لا يزيد على خمسمائة درهم كإصدقة بناته ﷺ وزوجاته، وأما إصداق أم حبيبة أربعمائة دينار فكان من النجاشي إكراماً له ﷺ.

**(عند معقل بن يسار)** بالسين المهملة المخففة المُزني **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال زوجت أختاً لي)** اسمها جميلة بضم الجيم وفتح الميم بنت يسار بن عبد الله المزني، وقيل اسمها ليلى وقيل فاطمة فيكون لها اسمان ولقب أو لقبان واسم **(من رجل)** اسمه أبو البداح بفتح الموحدة والدال المهملة المشددة وبعد الألف حاء مهملة ابن عاصم بن عدي القضاعي حليف الأنصار كما في أحكام القرآن لإسماعيل القاضي، واستشكله الذهبي بأن أبا البداح تابعي على الصواب قال في الفتح: فيحتمل أن يكون آخر وقد جزم بعض المتأخرين بأنه أبو البداح بن عاصم **(فطلقها حتى إذا انقضت عدتها)** منه **(جاء يخطبها)**

حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتكها وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبداً، وكان رجلاً لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿فلا تعْضُلُوهُن﴾ [البقرة: ٢٣٢] فقلت: الآن أفعل يا رسول الله قال: «فَزَوِّجَها إياه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».

---

من أخيها (**فقلت له زوجتكها وأكرمتك**) بذلك (**فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبداً وكان رجلاً لا بأس به**) أي جيداً (**وكانت المرأة**) جميلة (**تريد أن ترجع إليه فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿فلا تعضلوهن﴾**) الآية وهو ظاهر في أن العضل يتعلق بالأولياء (**فقلت: الآن أفعل يا رسول الله قال: فزوجها إياه**) بعقدٍ جديدٍ وفي روايةٍ للثعلبي: «فإني أومن بالله فأنكحها إياه وكفر عن يمينه» وهذا الحديث من أقوى الأدلة وأصرحها على اعتبار الولي وإلا لما كان لعضله معنىً ولأنها لو كان لها أن تزوج نفسها لم تحتج إلى أخيها ومن كان أمره إليه لا يقال إن غيره منعه، قال ابن المنذر: لا أعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك فلا تعقد امرأة نكاحاً لنفسها ولا لغيرها بولاية ولا وكالة إذ لا يليق بمحاسن العادات دخولها فيه لما قصد منها من الحياء عدم ذكره أصلاً، وفي حديث ابن ماجه المرفوع: «لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها» فلو وطىء في نكاح بلا ولي بأن زوجت نفسها ولم يحكم حاكم بصحته ولا ببطلانه، لزمه مهر المثل دون المسمى لفساد النكاح ولحديث الترمذي وغيره: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثاً فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها» الحديث، ويسقط عنه الحد لشبهة اختلاف العلماء في صحته، نعم يعذر معتقد تحريمه لإرتكابه معصية لا حد فيها ولا كفارة وقال أبو حنيفة: لو زوجت نفسها وهي حرة عاقلة بالغة أو وكلت غيرها أو توكلت به جاز بلا ولي، وعند محمد ينعقد موقوفاً على إجازة الولي سواءٌ كان الزوج كُفؤاً لها أو لم يكن، ونقل عن أبي يوسف أنه قال: إن كان الزوج كفؤاً لها جاز وإلا فلا.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تنكح الأيم**) بضم الفوقية وفتح الكاف مبنياً للمفعول، وبالرفع على أن لا نافية خبر بمعنى النهي أو الجزم مع كسر الحاء لإلتقاء الساكنين على أنها ناهية والأولى أبلغ، والأيم بشتديد التحية المكسورة في الأصل التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً مطلقة كانت أو متوفى عنها، والمراد بها هنا التي زالت بكارتها بأي وجه كان سواء زالت بنكاح صحيح أو شبهة أو فاسدٍ أو زناً أو أصبع أو غير ذلك لأنها جعلت مقابلة للبكر (**حتى تستؤمر**) بضم الفوقية وفتح الميم أي يطلب أمرها (**ولا تنكح البكر حتى تستأذن**) أي يطلب إذنها، وفرق بينهما

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله إن البكر تستحيي، قال: «رضاها صمتها».

عن خنساء بنت خذام الأنصارية رضي الله عنها أن أباها زوَّجها وهي ثَيِّبٌ فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فردَّ نِكاحه.

---

بأن الأمر لا بد فيه من لفظ والإذن يكون بلفظ وغيره **(قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها)** أي البكر **(قال: أن تسكت)** لأنها قد تستحي أن تفصح، واختلف فيما إذا سكتت وظهر منها قرينة السخط كالبكاء أو الرضا كالتبسم فعند المالكية إن ظهر منها قرينة الكراهة لم تُزَوَّج، وعند الشافعية لا يؤثر ذلك إلا إن وقع مع الكباء صياح ونحوه.

**(عن عائشة رضي الله عنها)** أنها **(قالت: يا رسول الله إن البكر تستحيي)** بياءين وفي نسخةٍ بياء واحدةٍ أي عن الإفصاح بالنكاح **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(رضاها صمتها)** أي سكوتها وظاهر الحديث أنه ليس للولي تزويج موليته من غير استئذان ومراجعة واطِّلاع على أنها راضية بصريح الإذن أو سكوت من البكر، وللعلماء في هذا المقام تفصيل واختلاف فاتفقوا على أنه لا يجوز تزويج الثَّيِّب البالغة العاقلة إلا بإذنها، والبكر الصغيرة يزوجها أبوها اتفاقاً أيضاً، وأما الثَّيب غير البالغ فاختلف فيها فقال مالك وأبو حنيفة: يزوجها أبوها كما يزوج البكر، وقال إمامنا الشافعي وأبو يوسف ومحمد رضي الله تعالى عنهم: لا يزوجها إلا إذا زالت الكبارة بالوطء لا بغيره لأن إزالة الكبارة تزيل الحياء الذي في البكر وأما البكر البالغ فيزوجها أبوها وكذا غيره من الأولياء، واختلف في استئمارها، والحديث يدل على أن لا إجبار عليها للأب إذا امتنعت وهو مذهب الحنفية، وقال مالك والشافعي وأحمد: يزوجها لكن بشروط معروفة عند الشافعي لمفهوم حديث: «الثيب أحق بنفسها من وليها» فإنه يقتضي أن ولي البكر أحق بها منها، وألحق الشافعي الجد بالأب وقال أبو حنيفة في الثيب الصغيرة: يزوجها كل ولي فإذا بلغت ثبت لها الخيار، وعن مالك يلتحق بالأب في ذلك وصي الأب دون بقية الأولياء لأنه أقامه مقامه، وقال الحنابلة: وللأب إجبار بناته الأبكار مطلقاً وثبت لها دون تسع سنين الخيار لا من لها تسع فأكثر.

**(عن خَنْسَاء)** بفتح الخاء المعجمة وبعد النون الساكنة سين مهملة ممدودة **(بنت خذام)** بكسر الخاء وتخفيف الذال المعجمتين وفي الفتح وبالدال المهملة **(الأنصارية)** الأوسية **(رضي الله تعالى عنها أن أباها زوَّجها وهي ثَيِّب)** وكان زوجها الأول اسمه أنيس ابن قتادة وقيل أسير ومات ببدر، وقيل قتل عنها يوم أحد فأنكحها أبوها رجلاً **(فكرهت ذلك)** ولم يقف الحافظ ابن حجر على اسم الزوج الثاني، نعم قال الواقدي إنه من بني مُزينة وعند ابن إسحاق أنه من بني عمرو بن عوف **(فأتت رسول الله ﷺ)** زاد الإسماعيلي

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة قال: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها فإنما لها مد قُدِّر لها».

---

أنها قالت: إنما أريد أن أتزوج عم ولدي، وعند عبد الرزاق: إن أبي أنكحني وإن عم ولدي أحب إليَّ **(فرد)** عليه الصلاة والسلام **(نكاحه)** وأما ما رواه النسائي عن جابر أن رجلاً زوَّج ابنته وهي بكر من غير أمرها فأتت النبي ﷺ ففرق بينهما فحمله البيهقي على أنه كان زوَّجها من غير كفؤ، أما أن زوجها بكفؤ فإنه ينفذ ولو طلبت هي كفؤاً غيره لأنها مجبرة فليس لها اختيار الأزواج، وهو أكمل نظراً منها بخلاف غير المجبرة فإنه لا يزوِّجها إلا ممن عينته لأن إذنها شرط في أصل تزويجها فاعتبر تعيينها.

**(عن ابن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال نهي النبي ﷺ)** نهي تحريم **(أن يخطب الرجل على خطبة أخيه)** المسلم وكذا الذمي إذا صُرِّح له بالإجابة **(حتى يترك الخاطب قبله)** أي قبل التزويج أو الذي خطب قبله **(أو يأذن)** أي الخاطب الأول سواء كان الخاطب الأول مسلماً أو كافراً محترماً، وذكر الأخ جرى على الغالب ولأنه أسرع امتثالاً والمعنى في ذلك ما فيه من الإيذاء والتقاطع، وفي معنى الترك والإذن ما لو طال الزمان بعد إجابته بحيث يعد معرضاً، أو غاب زمناً يحصل به الضرر أو رجعوا عن إجابته، والمعتبر في التحريم إجابتها إن كانت غير مجبرة أو إجابة الولي المجبر إن كانت مجبرة، أو إجابتهما معاً إن كان الخاطب غير كفءٍ أو إجابة السيد أو السلطان في الأمة غير المكاتبة كتابة صحيحة بالنسبة للسيد.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها)** في النسب أو الرضاع أو الدين أو في البشرية لتدخل الكافرة، أو المراد الضرة ولفظ لا يحل ظاهر في التحريم لكن حُمِل على ما إذا لم يكن هناك سبب يجوز كريبة في المرأة لا يسوغ معها الاستمرار في العصمة وقصدت النصحية المحضة إلى غير ذلك من المقاصد الصحيحة، وحمله على الندب مع التصريح بالتحريم بعيد، وفي مستخرج أبي نعيم لا يصلح لامرأة أن تشترط طلاق أختها، وظاهره أن المراد الأجنبية فتكون الأُخُوَّة في الدين ويؤيده ما في حديث أبي هريرة عند ابن حِبَّان: «لا تسأل المرأة طلاق أختها فإن المسلمة أخت المسلمة» **(لتستفرغ صحفتها)** أي تجعلها فارغة لتفوز بحظها من النفقة والمعروف والمعاشرة، وهذه استعارة تصريحية تمثيلية شبه النصيب والبخت بالصحفة وحظوظها وتمتعها بما يوضع في الصحفة من الأطعمة اللذيذة، وشبه

عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجلٍ من الأنصار فقال نبي الله ﷺ: «يا عائشة كان معكم لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله بسم الله اللَّهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما

---

الافتراق المسبب عن الطلاق باستفراغ الصحفة عن تلك الأطعمة ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به واستعمل في المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به من الألفاظ، وفي حديث أبي هريرة عند البيهقي: «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستفرغ إناء أختها ولتنكح ـ أي ولتتزوج الزوج المذكور ـ من غير أن تشترط طلاق التي قبلها» **(فإنما لها)** أي للمرأة التي تسأل الطلاق لأختها **(ما قدر لها)** في الأزل، وقد اختلف في حكم ذلك فقال الحنابلة إن شرط لها طلاق ضرتها صحَّ وقيل لا وهو الأظهر واختاره جماعة، وكذا حكم بيع أمته وعلى القول بالصحة فإن لم يفِ فلها الفسخ، وقال الشافعي: يصح ولها مهر المثل وفي لها أو لم يوف.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها زَفَّت)** بالزاي المفتوحة والفاء المشددة المفتوحة أيضاً **(امرأة)** كانت يتيمة في حِجْرِها كما في الأوسط للطبراني، وعند ابن ماجه: قرابةً لها وعند أبي الشيخ بنت أخيها أو ذات قرابةٍ منها، وفي أسد الغابة ما يدل على أن اسمها الفارغة بنت أسعد بن زرارة **(إلى رجلٍ من الأنصار)** في أسد الغابة أن اسمه نبيط بن جابر الأنصاري **(فقال نبي الله ﷺ: يا عائشة ما كان)** على حذف همزة الاستفهام أي أما كان **(معكم لهو)** وفي رواية: «فهلا بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني» قلت: ماذا تقول؟ قال: «تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم ولولا الحنطة السمرا ما سمنت فتاياكم»

وفي أخرى:

«لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم ولولا الحنطة السمرا ما سمنت عذاريكم»

**(فإن الأنصار يعجبهم اللهو)** وفي حديث ابن عباس عند ابن ماجه: «قومٌ فيهم غزل»، وعند أحمد من حديث عبد الله بن الزبير وصححه ابن حبان والحاكم: «أعلنوا النكاح» زاد الترمذي وابن ماجه من حديث عائشة: «واضربوا عليه بالدف» وسنده ضعيف ولأحمد والترمذي وللنسائي من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أما)** بفتح الهمزة وتخفيف الميم استفتاحية **(لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله)** أي يجامع امرأته أو سريته، وفي روايةٍ: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله يقول: **(بسم الله اللهم جنبني**

رزقتنا ثم قدِّر بينهما في ذلك أو قضى بينهما ولد لم يضره شيطان أبداً».

عن أنس رضي الله عنه قال: «ما أَوْلم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أَوْلم على زينب أَوْلَم بشاة.

عن صفية بنت شيبة رضي الله عنها قالت: أَوْلَم النبي ﷺ على بعض نسائه بِمَدَّين من شعير.

---

**الشيطان)** بالإفراد **(وجنِّب الشيطان ما رزقتنا)** بالجمع وأطلق ما على من يعقل لأنها بمعنى شيء كقوله تعالى: ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ [آل عمران: ٣٦] ولو هذه يجوز أن تكون للتمني فلا جواب لها مثل ﴿فلو أن لنا كرة﴾ [الشعراء: ١٠٢] والمعنى أنه ﷺ تمنى لهم ذلك الخير يفعلونه لتحصل لهم السعادة، ويحتمل أن تكون شرطية فجوابها محذوف أي لسلم من الشيطان أو نحو ذلك ويدل عليه قوله: **(ثم قدر بينهما في ذلك)** الإتيان **(ولد لم يضره الشيطان أبداً)** أي بإضلاله وإغوائه بل يكون من جملة العباد الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] وفي مرسل الحسن عند عبد الرزاق: «إذا أتى الرجل أهله فليقل بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا ولا تجعل للشيطان نصيباً فيما رزقتنا» وكان يرجى إن حملت أن يكون ولداً صالحاً، وهذا يدل على أن المراد لا يضره في دينه ولا يقال أنه يبعده إنتفاء العصمة لأن اختصاص من خُصَّ بالعصمة بطريق الوجوب لا بطريق الجواز، فلا مانع أن يوجد من لا يصدر منه معصية عمداً وإن لم يكن ذلك واجباً له.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما أولم النبي ﷺ على أحد من نسائه قدرَ ما أولم على زينب، أولم عليها بشاة)** أي أنه أولم عليها أكثر مما أولم على نسائه شكراً لنعمة الله تعالى إذا زوَّجه إياها بالوحي كما قاله الكرماني، أو وقع اتفاقاً لا قصداً كما قاله ابن بَطال، أو ليبين الجواز أي جواز التفاوت بين النساء في الوليمة **(عن صفية بنت شيبة)** ابن عثمان بن أبي طلحة اختلف في صحبتها **(رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت)** نقلاً عن عائشة لأن القصة كانت بمكة[1] وهي صغيرة **(أولم النبي ﷺ على بعض نسائه)** وهي أم سلمة **(بمُدَّين من شعير)** وهما نصف صاع لأن المُدَّ ربع صاع، روى الواقدي أنه ﷺ لما تزوجها أدخلها ببيت زينب بنت خزيمة، فإذا جرة فيها شيءٌ من شعير فأخذته فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت شيئاً من إهالة فأدمته فكان ذلك طعام رسول الله ﷺ، وروي أنه ﷺ أولم على صفية بتمر وسمن وأقط وما قيل: إن ذلك كان على أم سلمة فهو وهم

---

(١) **(قوله بمكة)** عبارة القسطلاني وهذا الحديث مرسل لأن صفية ليست بصحابية أو صحابية لكنها لم تحضر القصة لأنها كانت بمكة طفلة ولم تولد وتزويج المرأة كان بالمدينة اهـ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ادُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها».

---

من بعض الرواة، فالوليمة وهي الطعام المتخذ للعرس أو غيره مستحبة على الأصح وقيل واجبة لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أولم»، ولأنه ﷺ لم يتركها في سفر ولا حضر، وقيل فرض على الكفاية إذا فعلها واحد أو اثنان في الناحية أو القبيلة وشاع وظهر سقط الفرض عن الباقين.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها)** قال في الفتح: فليأت مكانها والتقدير إذا دُعي إلى مكان الوليمة فليأتها ولا يضر إعادة الضمير مؤنثاً والأمر للإيجاب، والمراد وليمة العرس لأنها المعهودة عندهم ويؤيده ما في مسلم أيضاً: «إذا دُعي أحدكم إلى وليمة عرس ليُجب» ويكون فرض عين إن لم يرضَ صاحبها بعذر المدعو وفي غيرها مستحبة، لكن في سنن أبي داود: «إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرساً كان أو غيره» وقضيته وجوب الإجابة في سائر الولائم، وبه أجاب جمهور العراقيين كما قاله الزركشي واختاره السبكي وغيره، ويؤيد عدم وجوبها في غير العرس أن عثمان بن العاص دُعِي إلى ختان فلم يجب وقال: «لم يكن يُدعَى له على عهد رسول الله ﷺ» رواه أحمد في مسنده، وقد جزم المالكية والحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية بعدم الوجوب في غير وليمة العرس، وإنما تجب الإجابة أو تُستَحبُ بشروطٍ منها أن يكون الداعي مسلماً فلو كان كافراً لم تجب إجابته لإنتفاء طلب المودة معه ولأنه يستقذر طعامه لاحتمال نجاسته وفساد تصرفه، ومنها أن لا يخص بالدعوة الأغنياء ولا غيرهم بل يعم عشيرته أو جيرانه أو أهل حرفته وإن كانوا كلهم أغنياء لحديث: «شر الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء»، وليس المراد أن يعم جميع الناس لتعذره، وأن لا يطلبه طمعاً في جاهه أو خوفاً منه لو لم يحضر بل للتودد، وأن يعين المدعو بنفسه أو نائبه لا أن نادى في الناس كأن فتح الباب وقال: ليحضر من أراد أو قال لغيره ادع من شئت، وأن يدعوه في اليوم الأول فلو أولم ثلاثة أيام فأكثر لم تجب الإجابة أو تسن إلا في اليوم الأول، فلو لم يمكنه استيعاب الناس في اليوم الأول لكثرتهم أو لصغر منزله أو غيرهما قال الأذرعي: فذلك في الحقيقة كوليمةٍ واحدةٍ دعي الناس إليها أفواجاً أفواجاً في يومٍ واحدٍ، ويشترط أيضاً أن لا يكون هناك منكر كفرش الحرير وصور الحيوان المرفوعَة، وأن لا يحضر هناك من يؤذي المدعو أو تقبح مجالسته كالأرذال، وذكر النووي أن الولائم ثمانية: الأعذار بعين مهملة وذال معجمة للختان، والعقيقة للولادة في اليوم السابع والخُرْس بضم الخاء المعجمة وسكون الراء ثم سين مهملة لسلامة المرأة من الطلق وقيل هو طعام الولادة، والنقيعة لقدوم المسافر من النقع وهو الغبار والوكيرة للمسكن المتجدد مأخوذة من الوكر وهو

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضِلَعٍ وإن أعوج شيء في الضِلَعِ أعلاه فإن ذَهبْتَ تقيمه كسرتَهُ وإن تركته لم يزل أعوجَ فاستوصوا بالنساء خيراً».

---

المأوى، والمستقر والوضيمة بضاد معجمة لما يتخذ عند المصيبة والمأدُبة بضم الدال ويجوز فتحها لما يتخذ بلا سبب، ومنها الحِذَاق بكسر الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة وبعد الألف قاف الطعام الذي يعمل عند ختم القرآن، والعتيرة بفتح العين المهملة وكسر الفوقية وهي شاة تذبح في أول رجل وتعقب بأنها في معنى الأضحية فلا معنى لذكرها مع الولائم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)** أي من كان يؤمن بالمبدأ والمعاد إيماناً كاملاً **(فلا يؤذِ جاره)** بوجه من وجوه الإيذاء وأقرب جار له الملكان الكاتبان عليهما الصلاة والسلام فلا يؤذيهما بالمعاصي **(واستوصوا)** أي أوصيكم **(بالنساء خيراً)** فاقبلوا وصيتي فيهن والسين والتاء ليستا للطلب وقيل للطلب مبالغة أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن بخيرٍ كما في قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾[البقرة: ٨٩] ويجوز أن يكون من الخطاب العام أي ليستوص بعضكم من بضع في حق النساء **(فإنهن خُلِقنَ من ضِلَع)** بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام وسكونها والفتح أفصح أي خلقن من ضلع معوج فلا يتهيأ الانتفاع بهن إلا بمداراتهن والصبر على أعوجاجهن، والضِّلَع استعير للمعوج أي خلقن خلقاً فيه أعوجاج فكأنهن خُلِقنَ من أصل معوج، وقيل أراد به أن أول النساء حواء خلقت من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام **(وإن أعوج شيءٍ في الضِّلَع أعلاه)** ذكره تأكيداً لمعنى الكسر أو ليبين أنها خلقت من أعوج أجزاء الضِّلَع كأنه قال: خلقن من أعلى الضِّلَع وهو أعوجاجه، ويحتمل كما قال في الفتح: أن يكون ضرب ذلك لا على المرأة لأن أعلاها رأسها وفيه لسانها وهو الذي يحصل منه الأذى، وإنما جاز بناء أفعل التفضيل من العوج وهو من العيوب ولا يُبنى منها ذلك، قال الكرماني: لأنه أفعل الصفة أو أنه شاذ والامتناع عند الإلتباس بالصفة فحيث تميز عنه بالقرينة جاز البناء منه **(فإذا أذهبتَ تقيمه)** أي الضِّلَع **(كسرته وإن تركته)** ولم تقمه **(لم يزل أعوج)** فيه الندب إلى مداراة النساء وسياستهن والصبر على عوجهن واحتمال ضعف عقولهن، وإن من رام تقويمهن رام مستحيلاً وفاته الانتفاع بهنَّ مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، وعند مسلم عن أبي الزِّناد: «أنَّ المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة»، وفي صحيح ابن حبان عن سمرة بن جندب مرفوعاً: «إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها» وكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها

## حديث أم زرع

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً قالت: الأولى: زوجي لَحْمُ

---

**(فاستوصوا)** أي أوصيكم **(بالنساء خيراً)** فاقبلوا وصيتي واعملوا بها قال الغزالي وللمرأة على زوجها أن يعاشرها بالمعروف وأن يحسن خلقه معها، قال: وليس حُسْنُ الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل، قال: وأعلى من ذلك أن الرجل يزيد على احتمال الأذى بالملاعبة فهي التي تُطَيِّب قلوب النساء فقد كان ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى رُوي أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته[1] يوماً فقال هذه بتلك.

## حديث أم زرع

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت:)** مما هو موقوف وليس بمرفوع، نعم قوله كنت لكِ كأبي زرع مرفوع ورواه غير البخاري مرفوعاً كله **(جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن)** أي ألزمن أنفسهن عهداً وعقدن على الصدق من ضمائرهن عقداً **(أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً)** وعند الزبير بن بكار عن عائشة دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي بعض نسائه فقال يخصني بذلك: «يا عائشة أنا لكِ كأبي زرع لأمِّ زرع» قلت يا رسول الله ما حديث أبي زرع وأم زرع؟ قال: «إن قرية من قرى اليمن كان بها بطن من بطون اليمن وكان منهن إحدى عشرة امرأة، وإنهن خرجن إلى مجلس فقلن تعالين فلنذكر بعولتنا بما فيهم ولا نكذب»، ففيه ذكر قبيلتهنَّ وبلادهنَّ لكن في رواية الهيثم أنهنَّ كن بمكة، وعند ابن حزم أنهنَّ كنَّ من خثعم وعند النسائي عن عائشة أنها قالت: فخرت بمال أبي في الجاهلية وكان ألف ألف أوقية فقال النبي ﷺ: «أسكتي يا عائشة فإني كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع»، وفي بعض الطرق أنه ﷺ دخل على عائشة وفاطمة وقد جرى بينهما كلام فقَال: «ما أنت بمنتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إن مثلي ومثلكِ كأبي زرع مع أم زرع»، فقالت: يا رسول الله حدِّثنا عنهما فقال: «كانت قرية فيها إحدى عشرة امرأة وكان الرجال خلوفاً، فقلن تعالين نذكر أزواجنا بما فيهم ولا نكذب»، **(فقالت)** المرأة **(الأولى)** ولم تسمَّ تذم زوجها **(زوجي لحم جمل غَثّ)** بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة والرفع صفة للحم والجر صفة للجمل، قال ابن الجوزي: المشهور في الرواية الخفض وقال غيره: الجيد الرفع والمعنى زوجي شديد الهزال **(على رأس جبل)** زاد الترمذي في

---

(١) يراجع هل قال ذلك لما سبقته أو لما سبقها اهـ مصححه.

جَملٍ غثٍّ على رأس جبل لا سهل فيرتقي ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبت خبره إني أخاف أن لا أذره إن أذكره أذكر عجره

---

الشمائل: وَعِر أي كثير الصخر شديد الغلظة يصعب الرقي إليه وفي روايةٍ على رأس جبل وَغْث، بفتح الواو وسكون المعجمة وقيل المهملة بعدها مثلثة صعب المرتقى بحيث توحل فيه الأقدام فلا تخلص منه ويشق فيه المشي **(لا سهل فيرتقى)** بضم التحتية وفتح القاف مبنياً للمفعول أي فيصعد إليه لصعوبة المسلك إليه، ولا سهل بالخفض منوناً صفة لجبل، ويجوز الفتح بلا تنوين على إعمال لا مع حذف الخبر أي لا سهل فيه، والرفع مع التنوين خبر مبتدأ مضمر أي لا هو لكن يلزم عليه إلغاء لا مع عدم التَّكرار ويلزم على الجرِّ دخول لا على الصفة المفردة مع إنتفاء التكرار وذلك مخالف لقواعد اللغة العربية، هكذا قال بعضهم وفيه أنَّ التكرار موجود إلا أن يقال: المكرر ليس صفة لشيءٍ واحد، وعند الطبراني لا سهلٌ فيرتقى إليه **(ولا سمين)** بالجر والرفع منوناً والفتح بلا تنوين كما مر في قوله لا سهل ويجوز أن يكون رفع سمين على أنه صفة للحم وجره صفة لا غير للجمل **(فينتقل)** أي لا ينقله أحد لهزاله وعند أبي عبيد فينتقي أي يختار وهو وصف اللحم، أي ليس له نقي يستخرج والنقي بكسر النون المخ يقال نقوت العظم ونقيته إذا أخرجت مخه، ولا يخفى ما في كلامها من حسن التشبيه حيث شبَّهت شيئين من زوجها بشيئين فشبهت باللحم الغث بخله وقلة عرفه، وبالجبل الوغث شراسة خُلُقِه وشموخ أنفه، ثم فصَّلت الكلام وقسمته وأبانت الوجه الذي علقت التنبيه به وشرحته فقالت: لا الجبل سهل فلا يشق إرتقاؤه لأخذ اللحم ولو كان هزيلاً، لأن الشيء المزهود فيه قد يؤخذ إذا وُجِد بغير نصب، ولا اللحم سمين فيتحمل في طلبه واقتنائة مشقة صعود الجبل ومعاناة وعورته، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك واجتمع قلة الحرص عليه ومشقة الوصول إليه لم تطمح إليه هِمَّة طالب ولم تمتد نحوه أمنية راغب، وإن شئت قلت شبَّهت وعورة خلقه بوعورة الجبل وبعد خيره ببعد اللحم على رأسه، والزهد فيما يُرجى منه لقلته وتعذره بالزهد في لحم الجمل الغث، وقد اشتمل كلامها أيضاً مع جزالة نظمه على أنواع من البديع يدرك ذلك من له إلمام بفن البلاغة، وقد أطال القاضي عياض في ذلك فأفاد وأجادو أما قوله في التنقيح تريد أنه مع قلة خيره متكبر على عشيرته فيجمع إلى منع الرفد سوء الخلق، فتعقبه في المصابيح بأنه لا دلالة في لفظها على أنه متكبر رعلى عشيرته مترفع على قومه اهـ ولعل هذا أخذه الزركشي من قول الخطابي أن تشبيهها له بالجبل الوعر إشارة إلى سوء خلقه وأنه يترفع ويتكبر ويسمو بنفسه أي جمع إلى قلة الخير التكبر. **(قالت)** المرأة **(الثانية)** واسمها عمرة بنت عمرو التميمي تذم زوجها: **(زوجي لا أبث)** بالموحدة المضمومة أي لا أظهر ولا أشيع **(خبره)** لطوله وفي روايةٍ ذكرها القاضي

وبجره، قالت الثالثة: زوجي العشنق إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق، قالت

---

عياض: لا أنث بالنون بدل الموحدة أي لا أظهر حديثه الذي لا خير فيه، لأن النَّثَّ بالنون أكثر ما يستعمل في الشرّ، وعند الطبراني لا أنم بالنون والميم من النميمة **(إني أخاف أن لا أذره)** بالذال المعجمة والضمير يعود على قولها خبره وعند ابن السكيت إني أخاف أن لا أترك[1] من خبره شيئاً لأنه لطوله وكثرته لم أستطع استيفاءه فاكتفت بالإشارة خشية أن تطول العبارة، وقيل يعود الضمير إلى زوجها وكأنها خشيت إذا ذكرت ما فيه أن يبلغه فيفارقها ولا زائدة، أو أنها إن فارقته لا تقدر على تركه لعلاقتها به وأولادها منه فاكتفت بالإشارة إلى أن له معايب وفاءً بما التزمته من الصدق وسكتت عن تفسيرها للمعنى الذي اعتذرت به **(إن أذكره أذكر)** بالجزم جواب إن **(عُجَره وبُجَره)** بضم العين والموحدة وفتح الجيم، قال في القاموس: وذكر عجره وبجره أي عيوبه وأمره كله، وقال أبو عبيد: استُعملا فيما يكتمه المرء ويخفيه عن غيره، وقال الخطابي: أرادت عيوبه الظاهرة وأسراره الكامنة قال ولعله كان مستور الظاهر رديء الباطن، وقال علي بن أبي طالب: أشكو إلى الله تعالى عُجري وبُجري أي همومي وأحزاني، وأصل العُجْرة الشيء يجتمع في الجسد كالسلعة والبُجْرة نُحوها، وقيل العُجْر في الظهر والبُجْر في البطن. **(قالت)** المرأة **(الثالثة)** وهي حُبّى بضم الحاء المهملة وتشديد الموحدة مقصوراً بنت كعب اليماني تذم زوجها: **(زوجي العشنق)** بفتح العين المهملة والشين المعجمة والنون المشددة بعدها قاف الطويل المذموم أو السيىء الخلق، وقيل ذمته بالطول لأن الطول في الغالب دليل السفه لبعد الدماغ عن القلب **(إن أنطُق)** أكسر الطاء أي أذكر عيوبه فيبلغه **(أُطلق)** بضم الهمزة وفتح الطاء واللام المشددة مجزوم جواب الشرط **(وإن أسكت)** عنها **(أُعلق)** بوزن أطلق السابقة أي يتركني معلقة لا أَيِّماً فأتفرغ لغيره ولا ذات بعل فانتفع به، فإن قلت لا ملازمة بين سكوتها عن عيوبه وتركه لها معلقة قلت لما بينت أنه جمع سوء الخلق والسفه، عُلِم بذلك أنه إما أن يطلق بأدنى سبب يوجب الطلاق وإما أن يتركها معلقة بلا سبب يوجبه، فتركها معلقة ليس لازماً لسكوتها بل له مع ما في الزوج من الصفات القبيحة، وقال في الفتح: الذي يظهر لي أنها أرادت وصف سوء حالها عنده فأشارت إلى سوء خلقه وعدم إحتماله لكلامها إن شكت له حالها، وإنها تعلم أنها متى ذكرت له شيئاً من ذلك بادر إلى طلاقها وهي لا تحب تطليقه لها لمحبتها فيه، ثم عبَّرت عن الجملة الثانية إشارة إلى أنها إن سكتت صابرةً على تلك الحالة عنده كالمعلقة. **(قالت)** المرأة **(الرابعة)** واسمها المُهْدَد بضم الميم وسكون الهاء وفتح الدال المهملة

---

(١) **(قوله لا أترك)** يظهر أن لا زائدة على هذا أيضاً ويصح أن المعنى إني أخاف من عدم ترك الخبر بأن أذكره فيبلغه يطلقني تدبر.

الرابعة زوجي كَلَيْلِ تِهامة لا حَرٌّ ولا قرّ ولا سآمة ولا مخافة، قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهدٌ وإن خرج أسد ولا يسأل عما عهد، قالت السادسة: زوجي إن

---

الأولى بنت أبي هرومة بالراء المضمومة وبعد الواو ميم تمدح زوجها **(زوجي كلَيْلِ تهامة)** بكسر التاء الفوقية اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز من التُّهم بفتح الفوقية وهو ركوض الريح، وقال في القاموس: وتهامة بالكسر مكة شرفها الله تعالى تريد أنه ليس فيه أذىً بل راحة ولذاذة عيش كليل تهامة لذيذ معتدل **(لا حر)** مفرط **(ولا مقر)** بفتح القاف وضمها أي ولا برد والاسمان رفع مع التنوين ويجوز فيهما الفتح، وفي روايةٍ ولا وخامة بواوٍ وخاء معجمة مفتوحتين وبعد الألف ميم يقال مرعىً وخيم ووخم أي ثقيل لا تنمو عليه الماشية **(ولا مخافةَ ولا سآمة)** أي لا ملالة لي ولا له من المصاحبة والكلمتان مبنيتان على الفتح ويجوز الرفع مع التنوين كقراءة ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ [البقرة: ١٩٧] بالرفع والتنوين فيهما على أن لا ملغاة وما بعدها رفع بالابتداء وساغ الابتداء بالنكرة لوقوعها في سياق النفي، والمعنى لا أخاف له غائلةً لكرم أخلاقه ولا يسأمني ولا يستثقل بي فيمل صحبتي، وليس بسيىء الخلق فاسأم من عشرته فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل، وقال ابن الأنباري: أرادت بقولهم ولا مخافة أن أهل تهامة لا يخافون لتحصنهم بجبالها، أو أرادت وصف زوجها بأنه حامي الذِّمار مانع لداره وجاره ولا مخافة لمن يأوي إليه، ثم وصفته بالجود وقال غيره: قد ضربوا المثل بليل تهامة في الطيب لأنها بلادٌ حارة في غالب الزمان وليس فيها رياح باردة، فإذا كان الليل كان وهج الحر ساكناً فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار. **(قالت)** المرأة **(الخامسة)** واسمها كبْشَة بالموحدة الساكنة والمعجمة تمدح زوجها: **(زوجي إن دخل)** البيت **(فهد)** بفتح الفاء وكسر الهاء فعل ماض أي فعل فعل الفهد، يقال فهد الرجل إذا أشبه الفهد في كثرة نومه تريد أنه ينام ويغفل عن معايب البيت الذي يلزمني إصلاحه، وقيل تريد أنه إذا دخل وظب عليها وثوب الفهد أي يبادر إلى جماعها من حبه لها بحيث أنه لا يصبر عنها إذا رآها، قال القاضي عياض: حمله الأكثر على الاشتقاق من خُلُق الفهد إما من جهة قوة وثوبه وإما من جهة نومه، قال: ويحتمل أن يكون من جهة كثرة كسبه لأنهم قالوا: أكسبُ من فهد، وأصله أن الفهود الهَرِمة تجتمع على فهدٍ منها فتي فيتصيد عليها كل يومٍ حتى يشبعها، فكأنها قالت: إذا دخل المنزل دخل معه بالكسب لأهله كما يجيء الفهدُ لمن يلوذ به من الفهود الهَرِمة، ثم لما كان في وصفها له بالفهد ما قد يحتمل الذم من جهة كثرة النوم رفعت اللبس بوصفها له بخلق الأسد، فأوضحت أن الأول لم ترد منه ظاهره من أنه سجية جبن وجور في الطبع، بل المراد أنه سجية كرم ونزاهة شمائل ومسامحة في العشرة فقالت: **(وإن خرج)** من البيت **(أسِد)** بكسر السين المهملة فعل ماضٍ تريد أنه يفعل فعل الأسد في شجاعته وفيه المطابقة بين دخل وخرج

أكل لَفَّ وإن شرب اشتَفَّ وإن اضطجع التفَّ ولا يولج الكف ليعلم البث، قالت

---

لفظية، وبين فهد وأسد معنوية وتسمى أيضاً المقابلة، ولما استعارت له خلق كل واحدٍ من هذين السبعين وهما أنه إذا دخل تغافل وتناوم وإذا خرج صال بينت خلقه معها بقولها: **(ولا يسأل عما عَهِد)** بفتح العين وكسر الهاء أي عما في البيت من ماله إذا فقده لتمام كرمه، وزاد الزبير في آخره: «ولا يرفع اليوم لغد» أي لا يدَّخر ما حصل عنده اليوم من أجل غدٍ فكنَّت بذلك عن غاية جوده، ويحتمل أن يكون قولها فهد على تفسيره بالوثوب عليها للجماع المراد منه الذم من جهة أنه غليظ الطبع ليس عنده مداعبة قبل المواقعة بل يثب وثوب الوحش، أو أنه كان سيىء الخلق يبطش بها ويضربها وإذا خرج على الناس كان أمره أشد في الجراءة والإقدام والمهابة كالاسد، ولا يسأل عما تغير من حالها حتى لو عرف أنها مريضة أو معذورة وغاب ثم جاء لا يسأل عن ذلك ولا يتفقد حال أهله ولا بيته، بل إن ذكرت له شيئاً من ذلك وثب عليها بالبطش والضرب. **(قالت)** المرأة **(السادسة)** واسمها هند تذم زوجها **(زوجي إن أكل لَفَّ)** باللام المفتوحة والفاء المشددة فعل ماض أي أكثر الأكل من الطعام مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منه شيئاً من نهمته وشرهه، وعند النسائي من رواية عمرو بن عبد الله: «إذا أكل اقتف» بالقاف أي جمع وأستوعب وحكى القاضي عياض أنه رُوِي رفَّ بالراء بدل اللام قال: وهي بمعنى لف **(وإن شرب اشتف)** بالشين المعجمة أي استقصى ما في الإناء، وقيل رُوِي: «استف» بالسين المهملة وهي بمعناها لأن معناها أكثر الشرب **(وإن اضطجع)** أي نام **(التف)** في ثيابه وحده في ناحية من البيت وانقبض عنها، فهي كئيبة لذلك كما قالت: **(ولا يولج الكف)** أي لا يدخل كفه داخل ثوبي **(ليعلم البث)** أي ليعلم الحزن الذي عندي على عدم الحظوة منه، فجمعت في ذمِّها له بين اللؤم والبخل وسوء العشرة مع أهله وقلة رغبته في النكاح مع كثرة شهوته للطعام والشراب، وهذا غاية الذم عند العرب فإنها تذمُّ بكثرة الطعام والشراب وتمدح بقلتهما وبكثرة الجماع، لدلالة ذلك على الذكورية والفحولية قال أبو عبيدة في قولها ولا يولج الكف: أنه كان في جسدها عيب وكان لا يدخل يده في ثوبها ليلمس ذلك العيب لئلا يشق عليها فمدحته بذلك، وتعقبه ابن قتيبة بأنها قد ذمته في صدر الكلام فكيف تمدحه في آخره، وأجاب ابن الأنباري بأنه لا مانع أن تجمع المرأة بين مثالب زوجها ومناقبه لأنهنَّ كنَّ تعاهدنَ أن لا يكتمن من صفاتهم شيئاً، فمنهن من وصفت زوجها بالخير في جميع أموره ومنهنَّ من ذمَّته في جميع أموره ومنهنَّ من جمعت اهـ وقد يقال: إن صدر كلامها محتمل للمدح أيضاً لأن معنى إن أكل لف أنه يأكل صنوف الطعام ولا يكتفي بواحد، وإن شرب اشتف أنه يشرب مع عياله الشراب كله لكرمه ولا يترك منه شيئاً ولا يدَّخر خشية إملاق ولا يخفى ما في ذلك من

السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء كل داء له داء شَجَّكِ أو فَلَّكِ أو جمع كُلالَكِ قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب والريح ريح زرنب، قالت التاسعة:

---

البعد. **(قالت)** المرأة **(السابعة)** واسمها حُبَّىٰ بنت علقمة تذمُّ زوجها **(زوجي غياياء)** بالغين المعجمة والتحتيتين المفتوحتين بينهما ألف مهموز ممدود مخفف مأخوذ من الغي بفتح الغين المعجمة الذي هو الخيبة قال تعالى: ﴿فسوق يلقون غياً﴾ [مريم: ٥٩] أو من الغياية بتحتيتين بينهما ألف وهو كل شيء أظل الشخص فوق رأسه فكأنه مغطىً عليه من جهله فلا يهتدي إلى مسلك يسلكه لمصالحه، أو أنه ثقيل الروح كالظل المتكاثف الظلمة الذي لا إشراق فيه **(أو)** قالت: **(عياياء)** بالمهملة الذي لا يضرب ولا يلقح من الإبل أو من العَي بكسر المهملة أي الذي يعيبه مباضعة النساء، وقال الزمخشري: العياياء من الإبل والناس الذي عَيَ بالضراب، وقيل هو العِنِّين وقيل هو العاجز عن إحكام أمره بحيث لا يهتدى لمراده، والشك من الراوي وقال الكرماني: هو تنويع من الزوجة القائلة كما صرح به أبو يعلى في روايته وعند النسائي من رواية عمرو بن عبد الله غياياء بمعجمة من غير شك **(طباقاء)** بطاء مهملة فموحدة مفتوحتين فألف فقاف ممدود وهو الأحمق أو الذي لا يحسن الضراب، أو الذي يتطبق عليه أمور حُمقاً وغباوةً فلا يهتدي لوجهها، أو الثقيل الصدر عند الجماع يطبق صدره على صدر المرأة عند الجماع فيرتفع أسفله عنها ويثقل عليها فلا تستمتع به ولا يحصل لها منه إلا الإيذاء والعذاب، وقد ذمت امرأة أمرىء القيس فقالت له: ثقيل الصدر خفيف العجز سريع الإزاقة بطيء الإفاقة **(كل داء)** أي ما تفرق في الناس من الأدواء والمعايب **(له داء)** أي موجود فيه فقد اجتمع فيه سائر العيوب والنقائص، فجملة له داء خبر المبتدأ ويحتمل أن له صفة لداء وداء الثاني هو الخبر والمعنى كل داءٍ قائم به داء أي بالغ منتهاه، كقولك هذه الرجل رجل أي عظيم كامل الرجولية **(شَجَّكِ)** بشين معجمة وجيم مشددة مفتوحتين وكاف مكسورة والخطاب لنفسها أي أصابك شَجَّةً في رأسكِ ومرادها أنه كثير الشِّجاج وهو الجرح في الرأس خاصةً بخلاف الجرح فإنه يعم جميع البدن **(أو فلَّك)** بفاء ولام مشددة مفتوحتين وكاف أي أصابك بجرحٍ في جسمك أو كسرك أو ذهب بمالك أو قسرك بخصومته أي قهرك بها، والمراد أنه كثِير الكسر للعظم والضرب وزاد ابن السكيت في روايته: «أو بَجَّكِ بموحدة وجيم مشددة مفتوحتين وكاف مكسورة أي طعنك في جراحتك فشقها، والبج شق القرحة **(أو جمع كُلاً)** من الشج والفل **(لك)** وفي رواية الزبير: «إن حدَّثِتِه سبَّكِ وإن مازحتِه فلَّكِ وإلا جمع كُلاً لكِ» فوصفته كما قال القاضي عياض: بالحمق والتناهي في سوء العشرة وجمع النقائص بأن يعجز عن قضاء وطرها مع الأذى، فإذا حدَّثته سبها وإذا مازحته شجَّها وإذا أغضبته كسر عضواً من أعضائها أو شق جلدها، أو جمع كل ذلك من الضرب والجرح وكسر العضو وموجع الكلام. **(قالت)** المرأة **(الثامنة)** وهي باسر بنت أوس بن

زوجي رفيع العماد طويل النجاد عظيم الرماد قريب البيت من الناد، قالت العاشرة

---

عبد تمدح زوجها (**زوجي ألمس**) منه (**مس**) أي كمس (**أرنب**) وصفته بأنه ناعم الجسد كنعومة وبر الأرنب، أو كنَّت بذلك عن حسن خلقه ولين جانبه (**والريح**) منه (**ريح زَرْنَب**) أي طيب العَرَق لنظافته واستعماله الطيب، والزرنب بزاي مفتوحة فراء ساكنة فنون مفتوحة فموحدة نوع من الطيب معروف أو نبت طيب الريح أو الزعفران، ويحتمل أن تكون كنَّت بذلك عن طيب الثناء عليه لجميل معاشرته، وزاد الزبير بن بكار والنسائي من رواية عقبة: وأنا أغْلِبُه والناسَ يَغْلِبْ، فوصفته مع جميل العشرة لها والصبر عليها بالشجاعة وغلبة المرأة للرجل دليل كرمه ولذا قال بعضهم لمعاوية كيف ننسبك إلى العقل وقد غلبك نصل إنسان؟ يريد امرأته فاختة بنت قرطة، فقال إنهنَّ يغلبن الكرام ويغلبهنَّ اللئام، وقولها والناس يغلب تتميم أتت به لأنها لو اقتصرت على قولها وأنا أغلبه لظُنَّ أنه جبان ضعيف فلما قالت: والناس يغلب دل على أن غلبتها إياه إنما هو من كرم سجاياه. (**قالت**)المرأة (**التاسعة**) ولم تسمَّ تمدح زوجها: (**زوجي رفيع العماد**) بكسر العين المهملة وهو العمود الذي يدعم به البيت، ويُجْمَع على عُمُد بضمتين يعني أن البيت الذي يسكنه رفيع العماد ليراه الضيفان وأصحاب الحوائج فيقصدونه، كما كانت بيوت الأجواد يُعلُّونها ويضربونها في المواضع المرتفعة ليقصدهم الطارقون والطالبون، أو هو كناية عن كثرة شرفه وعلو ذكره أي هو شريف سني الذِّكر ظاهر الصيت (**طويل النجاد**) بكسر النون بعدها جيم فألف فدال مهملة، قال في القاموس: ككتاب حمائل السيف وهو كناية عن طول القامة فإنه لازمٌ لطول النجاد، وطول القامة ممدوح عند العرب وفيه إشارة إلى أنه صاحب سيف وشجاعة (**عظيم الرماد**) أي أن ناره لا تطفأ لتهتدي الضيفان إليها فيصير رمادها كثيراً لذلك، أو كنَّت به عن كونه مضيافاً أي كثير الجود لأن كثرة الرماد تستلزم كثرة الجمر وهي تستلزم كثرة الطبخ وهي تستلزم كثرة الطبائخ وهي تستلزم كثرة الأضياف وهي تستلزم كثرة الجود، فهي كناية بعدية لأنها بوسائط ومعلوم أن الكناية يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى الكنائي، لأنها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه بخلاف المجاز فإنه لا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي مع المعنى المجازي لوجود القرينة المانعة من إرادة الحقيقة وهذا عند البيانيين، أما الأصوليون فربما أشكل الفرق بينهما عند من يجوز منهم الجمع بين الحقيقة والمجاز وفرَّق بعضهم بينهما بأنَّ معنى الجمع بين الحقيقة والمجاز أن يريدهما بكلمةٍ واحدةٍ يستعملها فيهما، والكتاب لم يستعملها فيهما وإنما استعملها في أحدهما وهو الحقيقة للدلالة على الآخر، كأن يستعمل معنى كثير الرماد في معناه ليفيد معنى الكرم للزومه له غالباً والتعريض قريب من الكناية يشتركان في إرادة الحقيقة وفي قصد إفادة معنىً آخر، ويفترقان في أن المفاد بالكناية على وجه اللزوم غالباً والدلالة عليه قوية وفي التعريض بخلافه (**قريب البيت من الناد**) أصله النادي حذفت

زوجي: مالك وما مالك ما مالك خير من ذلك له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع أناس من حُلِيٍّ أذنيَّ وملأ من شحم عضدي وبجحني فَبَجَحَتْ

---

منه الياء للسجع أي مجلس القوم ومتحدثهم وتقريب البيت منه دليل على الكرم إذ الضيفان إنما يقصدون النادي تعرضاً لمن يضيفهم من أهله، ويحتمل أن تكون وصفته بأنه حاكم في القوم فإن اشتوروا في أمر اعتمدوا على رأيه وامتثلوا أمره لشرفه فيهم، وبالجملة فقد وصفته بالسيادة والكرم وحسن الخلق وطيب المعاشرة ولا يخفى ما في كلامها من الكناية اللطيفة. **(قالت)** المرأة **(العاشرة)** واسمها كبشة كاسم الخامسة بنت الأرقم بالراء والقاف تمدح زوجها: **(زوجي مالك وما مالك)** استفهام تعجب وتعظيم أي أي شيء هو مالك ما أعظمه وأكرمه **(ما لك خير من ذلك)** بكسر الكاف وصلاً على أنه خطاب لإحداهن ويجوز فتحها على إرادة الأعم منهن، والمشار إليه كل زوج سبق أو زوج التاسعة أو هو ما ستذكره هي بعد أي خير من ذلك الذي أقول في حقه أيَ أنه فوق ما يوصف من الجود والسماحة، وقولها: مالك خير من ذلك زيادة في الإعظام ورفع المكانة وتفسير لبعض الإبهام **(له)** أي لزوجي **(إبل كثيرات المَبارِك)** بفتح الميم جمع مَبْرَك وهو موضع البروك أي كثيرة ومباركها كذلك، أو كثيراً ما تثار فتحلب ثم تترك فتكثر مباركها لذلك، ويحتمل أن يكون المبرك بمعنى زمان البروك أو مصدر بمعنى البروك **(قليلات المسارح)** جمع مسرح اسم مكان أو زمان أو مصدر من سرحت الماشية إذا رعت أي لاستعداده للضيفان بها، لا يُوجه منها إلى المرعى إلا قليلاً ويترك سائرها بفنائه فإن فاجأه ضيفٌ وجد عنده ما يقريه به من لحومها وألبانها، أو أنها تكون كثيرة في حال بروكها فإذا سرحت كانت قليلة لكثرة ما نحر منها في مباركها للأضياف، ويحتمل أنه تأكيد لما قبله والمعنى أنها كثيرة باركة بفنائه لا يسرحها إلا قليلاً قدر الضرورة ومعظم أوقاتها حاضرة لِقِرَى الأضياف منها **(وإذا سمعنَ)** أي الإبل **(صوت المزهر)** بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء بعدها العود الذي يضرب به عند الغناء، أي سمعت ذلك عند ضربه به فرحاً بالضيفان لما كثرت عادتهم بذلك **(أيقنَّ)** أي الإبل بتشديد النون أي شعرنَ وفطنَّ **(أنهنَّ هوالك)** لما عودهن أنهن إذا نزل به ضيف نحر له منها وأتاه بالعيدان والمعازف والشراب، والحاصل أنها جمعت في وصفها له بين الثروة والكرم وكثرة القرى والاستعداد له. **(قالت)** المرأة **(الحادية عشرة)** وهي أم زرع بنت أكمل بن ساعدة اليَمنية واسمها فيما حكاه ابن دُرَيد عاتكة تمدح زوجها: **(زوجي أبو زرع)** كنت بذلك لكثرة زراعته، أو تفاؤلاً بأن أولاده تكثر، لأن الزرع يطلق على الولد **(وما)** بالواو وفي نسخة فما بالفاء **(أبو زرع)** أخبرت ولا باسمه ثم عظمت شأنه بقولها فما أبو زرع أي أنه أمر عظيم كقوله تعالى: ﴿الحاقة الحاقة﴾ [الحاقة: ١، ٢] زاد الطبراني صاحب نعم وزرع

إليَّ نفسي وجدني في أهل غُنَيْمة بِشقٍ فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائسٍ ومُنَق فعنده أقول فلا أُقَبَّح وأرقد فأتصبَّح وأشرب فأتقنَّح، أم أبي زرع فما أم أبي زرع

---

**(أناس)** بهمزة مفتوحة فنون مخففة فألف فسين مهملة من النَّوس وهو التحرك قال الزمخشري: النَّوس تحرك الشيء متدلياً وأناسه حركه اهـ أي حرك **(من حُليٍّ)** بضم الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد التحتية **(أذنيَّ)** تثنية أذن أي ملأهما من أقراط وشنف من ذهب ولؤلؤ حتى تدلى ذلك واضطرب من كثرته وثقله، وفي رواية ابن السكيت أُذُنَيَّ وفرعَيَّ بالتثنية أي يديها لأنهما كالفرعين من الجسد تريد حُلي أذنَيَّ ومعصميَّ **(وملأ من شحم عضدي)** بتشديد التحتية تثنية عضد ما بين المرفق إلى الكتف وهما إذا سمنا سمن الجسد كله فذكرها العضدين للسجع ودلالتهما على الباقي، فكأنها قالت: سمنني وملأ بدني شحماً **(وبجَّحني)** بموحدة وجيم مخففة أو مشددة وحاء مهملة مفتوحات ثم نون مكسورة أي عظَّمني أو فرَّحني **(فبَجَحَتْ)** بفتحات ثم سكون الفوقية **(إليَّ)** بتشديد التحتية **(نفسي)** أي عظمني فعظمت عندي نفسي أو فرَّحني ففرحت من تبجح بكذا، أي تعظم وافتخر وعند النسائي: «وبجَّح نفسي فتَبَجَّحَتْ إليَّ نفسي» بالتشديد أي فرَّحني ففرحت أو فخرني ففخرت **(وجدني في أهل غُنَيمَة)** بضم الغين المعجمة وفتح النون تصغير غنم وأنت على إرادة الجماعة تقول: إن أهلها كانوا ذوي غَنَم وليسوا أصحاب إبل ولا خيل **(بشق)** بموحدة ومعجمة مكسورة عند المحدثين مفتوحة عند غيرهم اسم موضع معين أو هو بالكسر أي مشقة من ضيق العيش والجهد، أو شق جبل أي ناحية كانوا يسكنونه لقلتهم وقلة غنمهم، وبالفتح شِقٌّ في الجبل كالغار فيه **(فجعلني في أهل صهيل)** صوت الخيل **(و)** أهل **(أطيط)** صوت الإبل من ثقل حملهما، أرادت أنها كانت في أهل قلة فنقلها في أهل كثرة وثروة لأن أهل الخيل والإبل أعظم وأشرف من أهل الغنم عند العرب، وزاد النسائي: «وجامل» وهو جمع جمل أو اسم فاعل لمالك الجِمال كقولك لابنٍ وتامرٍ **(و)** أهل **(دائس)** يدوس الزرع في بيدره ليخرج الحب من السنبل والذي يدوسه هو البقر **(ومُنَقٍ)** بضم الميم وفتح النون وتشديد القاف من نقى الطعام ينقيه أي يزيل ما يختلط به من قشر ونحوه بغربال ونحوه، وأرادت بذلك أنه صاحب زرع يداس وينقى وروي بكسر النون قال أبو عبيد: لا أعرفه فإن صحت به الرواية فهو من النقيق وهو أصوات المواشي والأنعام، وقيل هو صوت الدجاجة والرخمة والمراد به صوت من يطرد الطيور أي جعلني في الطاردين للطيور عن الحب كناية عن كثرة زرعهم ونعمهم، فتكون وصفته بكثرة الأموال وأنه نقلها من شدة العيش وجهده إلى الثروة الواسعة من الخيل والإبل والزرع **(فعنده)** أي عند زوجي **(أقول)** وفي روايةٍ أتكلم أي بما أريد **(فلا أُقبَّح)** بضم الهمزة وفتح القاف والموحدة المشددة بعدها حاء مهملة مبنياً للمفعول، أي فلا يقال لي قَبَّحِك الله بالتخفيف من القُبْح وهو الإبعاد، أو لا يُقَبَّح قولي أي لا يُرَد عليَّ

عكومها رداح وبيتها فساح، ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع مضجعه كمسل شطبة

---

شيئاً منه لكرامتي عليه ورفعة مكاني عند **(وأرقد فأتصبَّح)** بهمزة ففوقية ومهملة وموحدة مشددة مفتوحات ثم حاء مهملة أي أنام حتى الصبيحة وهي أول النهار فلا أوقظ لأن لي من يكفيني مؤنة بيتي ومهنة أهلي **(وأشرب)** الماء أو اللبن أو غيرهما **(فأتقنح)** بهمزة وفوقية فقاف فنون مشددة مفتوحات فحاء مهملة، أي أشرب كثيراً حتى لا أجد مساغاً، أو لا أتقلل من مشروبي ولا يقطعه عليَّ شيء حتى تتم شهوتي منه وفي روايةٍ فأتقمح بالميم وهي الأصح كما قال البخاري بل أنكر الخطَّابي رواية النون وهما بمعنىً وفي روايةٍ وآكل فأتمنح أي أُطعِم غيري يقال: منحه يمنحه إذا أعطاه، وأتت بالألفاظ كلها بوزن التفعل لتفيد تكرر ذلك وملازمته مرة بعد أخرى ومطالبة نفسها أو غيرها بذلك، قال أبو عبيد: لا أراها قالت فأتقنح إلا لعزة الماء عندهم أي فلذلك فخرت بكثرة شُربه، وفيه أن السياق ليس فيه ذكر الماء فهو محتمل له ولغيره من الأشربة كما مر، قيل في اقتصارها على ذكر الشرب إن لم تثبت رواية وآكل فأتمنح إشارة إلى أن المراد به اللبن لأنه هو الذي يقوم مقام الطعام والشراب **(أم أبي زرع)** زوجي **(فما أم أبي زرع)** الاستفهام للتعجب والتعظيم، وفي مدحها لأم زوجها مع ما جبل عليه النساء من كراهة أم الزوج إشارة إلى أنها في غاية الإنصاف والخلق الحسن **(عُكُومُها)** بضم العين المهملة والكاف والميم جمع عِكْم بالكسر بمعنى العِدْل إذا كان فيه متاع، أي أعدالها وغرائرها التي تجمع فيها أمتعتها، أو نِمطها الذي تجعل فيه ذخيرتها ذكره في القاموس وغيره **(رداح)** بفتح الراء والدال المهملتين وبعد الألف حاء مهملة، أي مرفوع أو عظيم كبير ومنه امرأة رداح أي عظيمة الأكفال، ووصف الجمع بالمفرد على إرادة كل عِكْم منها رداح، فيكون رداح خبر مبتدأ محذوف، أو على أن رداح هنا مصدر كالذهاب والطلاق، أو هو على حذف مضاف أي ذات رِفْعة وعِظَم **(وبيتها فساح)** بفاء مفتوحة فسين مهملة مخففة فألف فحاء مهملة مرفوع، أي واسع كبير وسعته دليل على سِعَة الثروة والنعمة، والحاصل أنها وصفت والدة زوجها بكثر الآلات والأثاث والقِماش وأنها واسعة المال كبيرة المنزل لبَرِّ ابنها أبي زرع لها، وأنه لم يطعن في السن لأن ذلك هو الغالب على من تكون له والدة إذ لو كبر لكانت أمه قليلة الأثاث والقماش **(ابن)** زوجي **(أبي زرع)** لم يسم **(فما ابن أبي رزع، مضجعه)** بفتح الجيم والميم **(كمسل شطبة)** بفتح الميم والسين المهملة وتشديد اللام مصدر ميمي بمعنى السلول والشطبة بفتح الشين المعجمة، وسكون الطاء وبالموحدة السعفة من النخل الخضر إذا شطبت أي أزيل عنها الخوص فتسمى حينئذٍ جريدة بمعنى مجرودة، وقيل الشطبة السيف الذي يُسَلُّ من غمده أي موضعه الذي ينام فيه في الصِّغر كمسلول الشطبة أي مشبه بالجريد المشطوب من قشره، ويلزم منه كونه مهفهفاً أو كأنه السيف المسلول من غِمده، ويصح أن يكون المسل اسم مكان أي أن مضجعه كغلاف

ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع فما بنت أبي زرع طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها، جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث حديثنا تبثيثاً ولا

---

السيف أو كموضع تُسَلُّ منه الجريدة، فيكون هو مشبهاً بالسيف أو الجريدة ويكون تشبيهه بالجريدة أو السيف لخشونة جانبه ومهابته، أو لجماله ورونقه أو لكمال قامته في اعتدالها واستوائها (**ويشبعه ذراع الجفرة**) بفتح الجيم وسكون الفاء بعدها راء الأنثى من ولد المعز إذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها، والذكر جفر لأنه جفر جانباه أي عَظُماً ويقال لولد الضأن أيضاً إذا كان ثنياً، وفي القاموس الجفر من أولاد الشاة ما عظم واستكرش أو بلغ أربعة أشهر، وزاد ابن الأنباري: «ويرويه فيقة اليعرة ويميس في حلة النترة» وقولها ويرويه من الإرواء، والفِيقة بكسر الفاء، وسكون التحتية بعدها قاف ما يجمع في الضرع بين الحلبتين، واليعرة بفتح التحتية وسكون العين المهملة بعدها راء الضأن، ويميس بالسين المهملة أي يتبختر والنترة بالنون المفتوحة ثم الفوقية الساكنة الدرع اللطيفة. وقيل: اللينة الملمس، والحاصل أنها وصفته بهيف القدِّ وأنه ليس ببطين ولا جاف، وأنه قليل الأكل والشرب ملازم لآلة الحرب يختال في موضع القتال وذلك مما تتمادح به العرب (**بنت**) زوجي (**أبي زرع فما بنت أبي زرع**) في مسلم وما بالواو بدل الفاء ولم تسم البنت المذكورة (**طوع أبيها وطوع أمها**) فلا تخرج من أمرهما وصفتها بِبِرِّهما، وزاد الزبير: «وزين أهلها ونسائها» أي يتجملون بها (**وملء كسائها**) لامتلاء جسمها وسمنها (**وغيظ جارتها**) أي ضَرَّتِها لما ترى من جمالها وأدبها وعفتها، وعند مسلم وحقر جارتها بفتح الحاء المهملة وسكون القاف أي دهشتها أو قتلتها، وللطبراني: «وحَيْنُ جارتها» بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية بعدها نون، أي هلاكها وهذه الإلفاظ مصادر لأفعال متعدية فطوع أبيها مثلاً بمعنى طائعة أبيها أي مطيعة ومنقادة له، وكذا البقية فليس في ذلك دلالة على جواز مررت برجل حسنٍ وجهه بالإضافة خلافاً لبعضهم لأن محل النزاع في الصفة المشبهة المشتقة من فعلٍ لازمٍ وزاد ابن السُّكَيت: «قباء هضمة الحشاء جائلة الوشاح عكناء فعماء نجلاء دعجاء زجاءً قنواء مؤنقة معنقة»، وقولها قباء بفتح القاف وتشديد الموحدة أي ضامرة البطن، وهضمة الحشاء بمعنى ضامرة وجائلة الوِشاح بالجيم والوشاح بكسر الواو أي يدور وشاحها لضمور بطنها، وهو أديمٌ عريضٌ يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها، وعكناء بفتح العين وسكون الكاف وبالنون والمد أي ذات عِكَنٍ وهي طيات بطنها، وفعماء بفتح الفاء وسكون العين وبالمد أي ممتلئة الأعضاء، ونجلاء بفتح النون وسكون الجيم والمد واسعة العين، ودعجاء من الدعج بالجيم شدة سواد العين في شدة بياضها، وزجاء بالمد وبالجيم المشددة من الزجج وهو تقويس الحاجب مع طولٍ في أطرافه وامتداده، وقيل بالراء بدل الزاي أي كبيرة الكفل يرتج عن عظمه، وقنواء بفتح القاف وسكون النون والمدمن القنو وهو طول في الأنف

تنقث ميرتنا تنقيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً، قالت خرج أبو زرع والأَوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصر هابر مائتين

---

ودقة الأرنبة مع حدب في وسطه، ومؤنقة بالنون المشددة والقاف والأنيق المعجب، ومعنقة بوزن مؤنقة أي مغذية بالعيش الناعم وكلها كما لا يخفى أوصاف حسان. **(جارية)** زوجي **(أبي زرع فما جارية أبي زرع لا تبث)** بضم الموحدة وتشديد المثلثة أي لا تفشي ولا تشيع **(حديثنا تبثيثاً)** مصدر مؤكد من بثث بوزن فعل بالتشديد للمبالغة أي بل تكتمه **(ولا تنقث)** بضم الفوقية وفتح النون وكسر القاف المشددة بعدها مثلثة أي لا تخرج أو لا تفسد أو لا تسرع بالخيانة، أو لا تذهب بالسرقة. ميرتنا بكسر الميم وسكون التحتية بعدها راء أي زادنا وطعامنا **(تنقيثاً)** مصدر مؤكد أي لا تفسده وتفرقه لأمانتها **(ولا تملأ بيتنا)** أي مكاننا **(تعشيشاً)** بالعين المهملة والشينين المعجمتين بينهما تحتية ساكنة، أي لا تترك القمامة مفرقة فيه كعش الطائر بل تصلحه وتنظفه، أو لا تخبىء الطعام في مواضع منه بحيث تصيرها كأعشاش الطيور، وروي: تغشيشاً بالمعجمة من الغِشّ ضد الخالص، أي لا تملؤه بالخيانة بل هي ملازمة للنصيحة فيما هي فيه، وقيل كناية عن عفة فرجها والمراد أنها لا تملأ البيت وسخاً بأطفالها من الزنا **(قالت)** أم زرع: **(خرج)** زوجي **(أبو زرع)** من عندي **(والأوطاب)** بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعد الألف موحدة زقاق اللبن، واحدها وَطْب على وزن فَلْس فجمعه على أفعال مع كونه صحيح العين نادر والمعروف وِطاب في الكثرة وأوطب في القلة، والواو للحال أي خرج والحال أن زقاق اللبن **(تمخض)** بالخاء والضاد المعجمتين مبنياً للمفعول أو الفاعل مع ضم الخاء، أي تحرك أي لاستخراج الزبد أي أن الوقت الذي خرج فيه كان زمن الخَصْبِ والربيع، وكان خروجه إما لسفرٍ وغيره فلم تدرِ ما يحدث لها بسبب خروجه، ويحتمل أنها أرادت أنه خرج غدوة وعندهم لبن كثير يشربونه ويفضل عندهم حتى يمخضوه ويستخرجوا زبده **(فلقي امرأة)** لم تسم **(معها ولدان لها)** لم يسميا أيضاً **(كالفهدين)** في الوثوب والفهد حيوان شديد الوثوب، وفي روايةٍ أخرى: كالشبلين **(يلعبان)** صفة للولدين **(من تحت خصرها)** بفتح أوله المعجم وسكون ثانيه المهمل أي وسطها **(برمانتين)** لأنها كانت ذات كِفلٍ عظيم، فإذا استقلت على ظهرها ارتفع كفلها بها من الأرض حتى يصير تحتها فجوة تجري فيها الرمانة، وحمل بعضهم الرمانتين على الثديين أي ذات ثديين حسنين صغيرين كالرمانتين، قال القاضي عياض: وهو أظهر لما رُوِي من تحت درعها أي قميصها، ولأنه لم تجر العادة بلعب الصبيان تحت ظهور أمهاتهم ولا باستلقاء النساء كذلك، ولا ينافي ذلك قوله من تحت خَصْرِها لأن الثديين وإن كانا يشبهان الرمانتين باعتبار رأسيهما، لكن فيهما نوع طول بحيث يقربان إذا نامت من خاصرتها الجالس عندها الولدان **(فطلقني ونكحها)** لما رأى من نجابة ولديها وكانوا يرغبون أن تكون أولادهم من

فطلقني ونكحها فنكحت بعده رجلاً سرياً ركب شرياً وأخذ خطياً وأراح علي نعماً ثرياً وأعطاني من كل رائحة زوجاً وقال: كلي يا أم زرع وميري أهلك قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، قالت: عائشة

---

النساء المنجبات في الخَلْقِ والخُلُق وفي روايةٍ فأعَجَبْته فطلقني **(فنكحت)** أي تزوجت **(بعده رجلا)** لم يسم **(سرياً)** بفتح السين المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية، أي شريفاً وقيل سخياً **(ركب)** فرساً **(شرياً)** بفتح الشين المعجمة أي فائقاً جيداً يَستَشْرِي في سيره أي يمضي فيه بلا فُتُور **(وأخذ)** رمحاً **(خطياً)** بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة المكسورة والتحتية المشددتين صفة موصوف محذوف، نسبة للخط موضع بنواحي البحرين تجلب منه الرماح **(وأراح)** بهمزة وراء مفتوحات آخره حاء مهملة من الإراحة وهي الإتيان إلى موضع المبيت بعد الزوال **(عليَّ)** بتشديد التحتية **(نَعَمًا)** بفتح النون والعين واحد الأنعام وأكثر ما يقع على الإبل أي أتى بها لمراحها بالضم موضع مبيتها **(ثرياً)** بفتح المثلثة وكسر الراء وتشديد التحتية أي كبيراً والثروة كثرة العدد أو المال، ولم تقل ثرية لأن النَعَمَ مذكر يقولون هذا نَعَمٌ وارد، وقول بعضهم لأن النَعَمَ ليس حقيقي التأنيث مردود بأن الفاعل هنا ضمير ومتى كان ضمير المؤنث وجب إلحاق علامة التأنيث للمتحمل له، والفرق إنما هو في الفاعل الظاهر **(وأعطاني من كل رائحة)** أي من كل شيء يأتيه وقت الرواح من أصناف الأموال، أي ما يروح من النعم والعبيد **(زوجاً)** أي اثنين ولم يقتصر على الفرد من ذلك بل ثناه وضعفه إحساناً إليها، أو أنَّ المراد نوعاً أو صنفاً ومنه قوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ [الواقعة: ٧] أي أصنافاً **(وقال كلي يا أم زرع)** من مالي **(وميري أهلك)** بكسر الميم أي صليهم وأوسعي عليهم بالميرة وهي الطعام **(قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع)** أي قيمتها أو قَدْرَ مِلئِها، ويدل له ما في الطبراني: «فلو جمعت كل شيء أصبته منه فجعلته في أصغر وعاءٍ من أوعية أبي زرع ما ملأه» والظاهر أنه للمبالغة وإلا فالإناء والوعاء لا يسع ما ذكرت أنه أعطاها من أصناف النَعَم، والحاصل أنها وصفت هذا الثاني بالسؤدد في ذاته والشجاعة والفضل والجود بكون أبَاح لها أن تأكل ما شاءت من ماله وتهدي ما شاءت لأهلها مبالغةً في إكرامها، ومع ذلك لم يقع عندها موقع أبي زرع وأن كثيره دون قليل أبي زرع مع إساءته لها بطلاقها، ولكن حبها له بغض الأزواج عندها لأنه أول أزواجها فسكنت محبته في قلبها كما قيل:

ما الحب إلا للحبيب الأول

ولذا كره أولو الرأي تزوج امرأةٍ لها زوج طلَّقها مخافة أن تميل نفسها إليه والحب يستر الإساءة **(قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: قال لي النبي ﷺ كنت لكِ كأبي زرعٍ لأم**

رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ: «كنت لك كأبي زرع لأمِّ زرع».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا أن تأذَن في بيته إلا بإذنه وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يُؤدَّي إليه شطره».

---

زرع) أي أنا لكِ فكان زائدة كقوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] وقيل للدوام كقوله تعالى: ﴿كان الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ٩٦] واعترض بأنه ﷺ أخبر عما مضى إلى وقتِ تكلمه بذلك، وأبقى المستقبل إلى علم الله تعالى كما هو دأبه فأي حاجة إلى جعلها للدوام مع أنها لا تدل على انقضاءِ ولا دوام، وزاد في روايةِ الهيثم بن عدي: «في الإلفة والوفاء لا في الفرقة والجفاء» وزاد الزبير بن بكار: «إلا أنه طلقها وأنا لا أطلقك فاستثنى الحالة المكروهة وهي ما وقع من تطليق أبي زرع تطييباً لها وطمأنينةً لقلبها ودفعاً لعموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع إذا لم تكن فيه ما تذمه النساء سوى ذلك، وقد أجابت هي عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعلمها فقالت: كما عند النسائي والطبراني: «يا رسول الله بل أنت خيرٌ من أبي زرع»، وفي رواية الزبير: «بأبي أنت وأمي خيرٌ لي من أبي زرعٍ لأم زرع» وهذا الحديث أفرده غير واحد بالتأليف وشرحه سيدي على الوفائي على طريقةَ القوم أهل الإشارات.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لا يحل لامرأة أن تصوم**) أي نفلاً أو واجباً على التراخي (**وزوجها شاهد**) أي حاضر (**إلا بإذنه**) لأن حقه في الاستمتاع بها في كل وقت فلو كان مريضاً بحيث لا يستطيع الجماع أو مسافراً جاز لها ذلك، فلو قدم من سفره وهي صائمة فله إفساد صومها من غير كراهةٍ، وقال المالكية: ليس له ذلك وفي الطبراني من حديث ابن عباسٍ مرفوعاً: «ومن حق الزوج على زوجته أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، فإن فعلت لم يقبل منها» وهذا يدل على تحريم الصوم المذكور عليها، وهو قول الجمهور قال النووي في المجموع: وقال أصحابنا: يُكره، والصحيح الأول فلو صامت بغير إذنه صحَّ وأثمت أمْر قبوله إلى الله تعالى، قاله النووي ومقتضى المذهب عدم الثواب واحتج بعض المالكية بهذا الحديث لمذهبهم وهو وجوب القضاء على من أفطر في صيام التطوع عامداً إذ لو كان للرجل أن يفسد عليها صومها بجماع ما احتاجت إلى إذنه ولو كان مباحاً كان إذنه لا معنى له (**ولا**) يَحِلُّ لها (**أن تأذن**) لأحد رجل أو امرأة أن يدخل (**في بيته إلا بإذنه**) فلو علمت رضاه جاز ويؤخذ من ذلك أنه لا يجوز دخول الأب ونحوه بيت المرأة بغير إذن زوجها، وقال المالكية: بجواز ذلك وأجابوا عن الحديث بأنه معارض بصلة الرحم ويمكن أن يقال صلة الرحم إنما تندب بما يملكه الواصل، والتصرف في بيت الزوج لا تملكه المرأة إلا بإذنه وكما لأهلها أن لا

عن أسامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ محبوسون غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه فطارت

---

تصلهم بماله إلا بإذنه فإذنها لهم في دخول البيت كذلك **(وما أنفقت من نفقةٍ)** من ماله قدراً تعلم رضاه به كطعام بيتها من غير أن تتجاوز العادة **(من)** وفي نسخةٍ: عن **(غير أمره)** أي إذنه الصريح في ذلك القدر المعين بل بإذنٍ عام سابق يتناول هذا القدر وغيره، إما صريحاً أو جرياً على العرف من إطلاق ربِّ البيت لَزوجته إطعام الضيف والتصدق على السائل، وقوله أمره بفتح الهمزة وكسر الراء وبالهاء وفي نسخةٍ: «إمرَة» بكسر الهمزة وفتح الراء بعدها هاء تأنيث، أي إذن **(فإنه يؤدَّى)** بفتح الدال المشددة **(منه)** من أحر ذلك القدر المنفق **(شطره)** أي نصفه وظاهره يقتضي تساويهما في الأجر، ويؤيده حديث عائشة السابق في الزكاة: «كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب لا ينقص بعضهم أجر بعض»، حَمَل بعضهم التنصيف على المال الذي يعطيه الرجل في نفقة المرأة، فإذا أنفقت منه بغير علمه كان الأجر بينهما للرجل باكتسابه ولأنه يؤجر على ما ينفقه على أهله وللمرأة لكون ذلك من النفقة التي تختص بها، ويؤيده ما أخرجه أبو داود أنه ﷺ سُئِل عن المرأة تَصَّدق من بيت زوجها قال: «لا إلا من قوتها والأجر بينهما ولا يحل لها أن تَصَّدق من مال زوجها إلا بإذنه» قاله في الفتح، وحمل الخطابي الحديث على أنها إذا أنفقت على نفسها من ماله بغير إذنه فوق ما يجب لها من القوت غَرِمت له شطره أي الزائد على ما يجب لها، لكن يُبْعِد ذلك حديث أبي داود في النفقات: «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فله نصف أجره».

**(عن أسامة)** بن زيد بن ثابت **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: قمت على باب الجنة)** ليلة الإسراء أو في المنام **(فكأن عامة من دخلها المساكين)** بأن مُثِّلت له عليه الصلاة والسلام صورهم داخلين الجنة **(وأصحاب الجَدِّ)** بفتح الجيم وتشديد الدال الغِنَى **(محبوسون)** على باب الجنة أي لكثرة مطالبهم بالحقوق **(غير أهل النار)** أي لكن أهل النار أي الذي استحقوا دخولها **(قد أمر بهم إلى النار)** ظاهره أنهم لم يحاسبوا والراجح أنهم يحاسبون كما مر **(وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء)** إذا للمفاجأة وعامة مبتدأ خبره والنساء، وسبب ذلك كثرة شهوتهن ومخالفتهن ما أمر به وإرتكابهنَّ ما نهى عنه أكثر من غيرهنَّ.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج)** إلى سفر **(أقرع بين نسائه)** فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه **(فطارت القرعة)** أي حصلت **(لعائشة وحفصة**

القرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سارع مع عائشة يتحدث فقالت حفصة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك تنظرين وأنظر فقالت: بلى فركبت فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها ثم سارَ حتى نزلوا وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجليها بين الإذخر وتقول يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدغني ولا أستطيع أن أقول له شيئاً.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: لو شئت أن أقول: قال: النبي ﷺ ولكن قال:

---

**وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(يتحدث)** معها **(فقالت حفصة)** لعائشة لما حصل لها من الغير: **(ألا)** بتخفيف اللام **(تركبين الليلة)** هذه **(بعيري وأركب بعيرك تنظرين)** إلى ما لم تنظري إليه **(وأنظر)** أنا إلى ما لم أكن نظرته **(فقالت)** لها عائشة لما شوقتها من النظر: **(بلى فركبت)** كل واحدة منهما بعير الأخرى **(فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة)** يظنها عليه **(وعليه حفصة فسلم عليها)** ولم يذكر هنا أنه تحدث معها **(ثم سار حتى نزلوا وافتقدته)** عليه الصلاة والسلام **(عائشة)** رضي الله تعالى عنها حالة المسامرة **(فلما نزلوا جعلت)** عائشة رضي الله تعالى عنها **(رجليها بين الأذخر)** بالذال المعجمة الحشيش الطيب الريح المعروف تكون فيه الهوام في البرية غالباً **(وتقول: سلط يا رب)** وفي نسخةٍ ربِّ بإسقاط حرف النداء وفي أخرى يا رب سلِّط **(علي عقرباً أو حية تلدغني)** بالدال المهملة والغين المعجمة، قالت ذلك لأنها عرفت أنها الجانية فيما أجابت إليه حفصة **(ولا أستطيع)** أي قالت عائشة: ولا أستطيع **(أن أقول له)** ﷺ **(شيئاً)** أي لأنه ما كان يعذرني في ذلك، ولمسلم بعد قولها يلدغني: «رسولك لا أستطيع أن أقول له شيئاً أي هو رسولك، وعند الإسماعيلي: «ورسول الله ﷺ ينظر ولا أستطيع أن أقول له شيئاً» أي لا أستطيع أن أقول في حقه شيئاً ولم تتعرض لحفصة لأنها هي التي أجابتها طائعةً فعادت على نفسها باللوم، وفي الحديث مشروعية القرعة فيما ذكر وقال أصحابنا: لا يجوز للزوج السفر ببعض أزواجه إلا بالقرعة إذا تنازعن وإذا سافر بإحداهن بها فلا قضاء عليه، إذا لم يُنقَل عنه ﷺ أنه قضى بعد عوده فصار سقوط القضاء من رُخَص السفر، ولأن من المسافرة معه وإن فازت بصحبته فقد تعبت بالسفر ومشاقه، وهذا في سفرٍ مباح أما غيره فليس له أن يسافر بها فيه بقرعة ولا بغيرها، فإن سافر بها حرم ولزمه القضاء للباقيات، وفي ذلك أحكام كثيرة مستوفاة في كتب الفروع والمشهور عن الحنفية والمالكية عدم اعتبار القرعة.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لو شئت أن أقول: قال النبي ﷺ:)** لكنت صادقاً في تصريحي بالرفع إلى النبي ﷺ، لكن المحافظة على اللفظ أولى **(ولكن قال: السنة)** أي أنه مرفوع بطريق اجتهاده والمراد بالسنة الطريقة النبوية **(إذا تزوج البكر)** على الثيب **(أقام عندها)** وجوباً **(سبعاً)** من الليالي وتدخل الأيام والسبع متواليات فلو فرقها لم

السنة إذا تزوج البكر أقام عندها سبعاً وإذا تزوج الثيِّب أقام عندها ثلاثاً.

عن أسماء رضي الله تعالى عنها أن امرأةً قالت: يا رسول الله إن لي ضرة فهل عليّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبَي زور». وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

---

تحسب، وقضاها لها متواليات وقضى بعد ذلك الأخريات ما فرق **(وإذا تزوج الثيب)** على البكر **(أقام عندها)** وجوباً **(ثلاثاً)** من الليالي بأيامها متواليات والمعنى فيه زوال الحشمة بينهما والائتلاف، وزيد للبكر لأن حياءَها أكثر ويتخلف بسبب حقِّ الزفاف عن الخروج للجماعات ولسائر أعمال البرِّ كعيادة مريض مدة الثلاث أو السبع على المرجح وقيل لا يتخلف لذلك.

**(عن أسماء)** بنت أبي بكر الصديق **(رضي الله)** تعالى **(عنها أن امرأة)** هي أسماء نفسها **(قالت: يا رسول الله إن لي ضرة)** هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط **(فهل عليَّ جناح)** أي إثم **(إن تشبعت من زوجي)** الزبير بن العوام كذا سمي المرأة وضرتها في المقدمة، لكنه قال في الفتح: لم أقف على تعيين هذه المرأة ولا على تعيين زوجها **(غير الذي يعطيني)** ولمسلم حديث عائشة أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول إن زوجي أعطاني ما لم يعطني **(فقال)** أي رسول الله ﷺ كما في بعض النسخ **(المتشبع)** أي المتكبر **(بما لم يعطَ)** تتجمل بذلك كالذي يُرى أنه شبعان وليس كذلك **(كلابس ثوبي زورٍ)** قال السفاقسي: وهو أن يلبس ثوبَي وديعةٍ أو عاريةٍ يظن الناس أنهما له ولبسها لا يدوم فيفتضح بكذبه، وأراد بذلك تنفير المرأة عما ذكرت خوفاً من الفساد بين زوجها وضُرَّتها فيورث بينهما البغضاء، وقال الخطابي: هذا يتأول على وجهين أحدهما أن الثوب المراد به لابسه أي مثل المتشبع بما لم يعطَ كصاحب زورٍ وكذب كما يقال: للرجل إذا وُصِف بالبراءة من العيوب أنه طاهر الثوب والمراد طهارة نفسه، والثاني أن يراد به نفس الثوب قالوا: كان في الحي رجلٌ له هيئة حسنة إذا احتاجوا إلى شهادة الزور فيشهد لهم فيقبل لهيئته وحُسن ثوبيه، وقيل هو أن يلبس قميصاً يصل بكمه كما آخر يُرى أنه لابسٌ قميصين، أو هو المرائي يلبس ثياب الزُّهاد ليُظَنَّ أنه زاهد وليس به، وفي الفائق للزمخشري: المتشبع المتشبه بالشبعان وليس به واستعير للمتحلي بفضيلة لم يُرزَقها، وشُبِّه بلابس ثوبي زور أي ذي زور وهو الذي يزور على الناس بأن يتزيا بزي أهل الصلاح رياءً، وإضافة الثوبين إليه لأنهما كانا ملبوسين لأجله وهو المسوِّغ للإضافة، وأراد بالتثنية أن المتحلي بما ليس فيه كمن لبس ثوبي الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، لأن في التشبُّع حالتين مكروهتين: فقدان ما تشبع به وإظهار الباطل، وقيل المراد بهما المبالغة لإشعارهما بالإتزار والإرتداء وهما يَعُمان البدن فكأنه قال هو زور من رأسه إلى قدمه.

ﷺ أنه قال: إن الله تبارك وتعالى يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله».

عن أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مالٍ ولا مملوكٍ ولا شيء، غير ناضحٍ وغير فرسه فكنت أعلف فرسه واستقي الماء وأخرز غَرْبَه وأعجن ولم أكن أحسنَ أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت

---

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن الله تبارك وتعالى يَغار)** بفتح التحتية والغين المعجمة من الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية وهي هيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ذلك ما يكون بين الزوجين مشتقة من تغير القلب، وغيرته تعالى تحريمه الفواحش والزجر عنها والمنع منها لأن الغَيُور هو الذي يزجر عما يغار عليه فقوله: **(وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله)** عليه على حذف لا أي أن لا يأتي كما روي كذلك، أي وغيره الله ثابتة لأجل أن لا يأتي ويصح أن يراد بالغيرة الانتقام من العُصاة أو إرادة ذلك، فيكون الكلام مستقيماً بدون لا أي وانتقامه تعالى أو إرادة انتقامه لأجل إتيان المؤمن الخ. وعليه تكون لا الثابتة في بعض الروايات زائدة كقوله تعالى: ﴿ما منعك أن لا تسجد﴾ [الأعراف: ١٢] لئلا يعلم أهل الكتاب.

**(عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما)** أنها **(قالت: تزوجني الزبير)** بن العوام بمكة **(وماله في الأرض من مال)** أي إبلٍ أو أرض للزراعة **(ولا مملوك)** عبد أو أمة **(ولا شيءٍ)** من عطف العام على الخاص **(غير ناضح)** بعير يستقي عليه **(وغير فرسه)** أي وغير ما لا بد منه من مسكن ونحوه **(فكنت أعلف فرسه)** زاد مسلم: «وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه»، وعنده أيضاً من طريقٍ أخرى: «كنت أخدم الزبير خِدمة البيت وكان له فرس وكنت أسوسه فلم يكن من خدمته شيء أشد علي من سياسة الفرس، كنت أحتش له وأقوم عليه» **(وأسقي)** الناضح أو الفرس **(الماء)** وفي نسخةٍ: «وأستقي الماء» بالفوقية بعد السين المهملة وهي أشمل وأكثر فائدة ولم تستثن الأرض التي كان أقطعها له ﷺ لأنه لم يكن يملك أصل الرقبة بل منفعتها فقط **(وأخرِز غربه)** بخاءٍ معجمتين بينهما راء وغربه بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة أي وأخيط دلوه **(وأعجِن)** دقيقه **(ولم أكن أحسن)** بضم الهمزة **(أخبز)** بفتحها مع كسر الموحدة **(وكان)** أي لما قدمنا المدينة من مكة **(يخبِز)** خبزي **(جارات لي من الأنصار وكنَّ نسوة صدق)** بإضافته إلى الصدق مبالغة في تلبسهن به، وفي حسن العشرة والوفاء بالعهد **(وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه)** إياها **(رسول الله ﷺ)** مما أفاء الله عليه ﷺ من أموال بني النضير **(على رأسي وهي مني)** أي من مكان سكني **(على ثُلُثَي**

رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت: حتى أرسل إلى أبو بكر بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت على غَضْبَى» قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت على غضبى قلت لا

---

**فرسخ)** تثنية ثلث والفرسخ ثلاثة أميال، وكل ميل أربعة آلاف خطوة **(فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال إخْ إخْ)** بكسر الهمزة وسكون المعجمة ينيخ بعيره **(ليحملني)** عليه **(خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس)** أي بالنسبة إلى علمها أو إلى أبناء جنسه، فلا ينافي قوله ﷺ في حق سعد بن عبادة أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني، وفي رواية: وكان من أغير الناس **(فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت)** له: **(لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفرٌ من أصحابه فأناخ بعيره لأركب)** خلفه **(فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال)** لها الزبير: **(والله لحملك النوى كان أشد علي)** وفي نسخةٍ عليك **(من ركوبك معه)** ﷺ إذ لا عار فيه بخلاف حمل النوى فإنه ربما يتوهم منه خسة نفسه ودناءة همته، واللام في لحملك للتأكيد وحملك مصدر مضاف لفاعله والنوى مفعوله **(قالت)** ولم أزل أخدم **(حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني)** بالتحتية أو الفوقية لأن الخادم يحتمل أن يكون ذكراً أو أنثى **(سياسة الفرس فكأنما أعتقني)** وفيه أن على المرأة القيام بخدمة ما يحتاج إليه بعلها، ويؤيده قصة فاطمة وشكواها للنبي ﷺ ما تلقى من الرحا والجمهور على إنها متطوعة بذلك إذ لا يلزمها إلا التمكين وملازمة المسكن دون الخدمة، وحملوه على التبرع أو يختلف باختلاف عوائد البلاد.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: قال لي رسول الله ﷺ: إني لأعلم)** شأنك **(إذا كنت راضية وإذا كنت عليَّ غضبى)** فإذا ظرف لمحذوف وهو مفعول أعلم وتقديره شأنك ونحوه كما تقرر فلم تخرج عن الظرفية، خلافاً لابن مالك حيث استدل بذلك على أن إذا خرجت عن الظرفية ووقعت مفعولاً والجمهور على خلافه **(قالت: فقلت: من أين تعرف ذلك؟ قال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد**

ورب إبراهيم» قالت: قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل: من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال: «الحمو الموت».

---

**وإذا كنت علي غضبى)** وفي نسخةٍ إسقاط عليَّ **(قلتِ: لا ورب إبراهيم)** فيه الحكم بالقرائن لأنه ﷺ حكم برضى عائشة وغضبها بمجرد ذكرها اسمه الشريف وسكوتها، واستدل على كمال فطنتها وقوة ذكائها بتخصيصها إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره، لأنه ﷺ أولى الناس به كما في التنزيل، فلما لم يكن لها بد من هجر اسمه الشريف أبدلته بمن هو منه بسبيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة **(قالت: قلت: أجل)** أي نعم **(والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك)** بلفظي فقط ولا يترك قلبي التعلق بذاتك الشريفة مودةً ومحبة قال في شرح المشكاة: هذا الحصر في غاية من اللطف في الجواب لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غايةٍ من الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممتزجة، وإنما عبَّرت عن الترك بالهُجْران لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فهي كما قال الشاعر:

إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسماً إليك مع الصدود لأَميل

اهـ

واستدل به على أن الاسم غير المسمى إذ لو كان عينه لكانت هاجرة لذاته الشريفة وليس كذلك.

**(عن عقبة بن عامر)** الجهني **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إياكم والدخول)** بالنصب عطفاً على إياكم المغرى بها، والعامل في إيا محذوف أي باعدوا أنفسكم، ثم حذف المضاف فقيل إياكم وعطف عليه الدخول وعند أبي نعيم لا تدخُلوا **(على النساء)** ومنع الدخول يستلزم منع الخلوة وعند الترمذي: «لا يخلونَّ رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما»، والمراد المرأة الأجنبية أما المَحْرَم بنسبٍ أو رضاعٍ أو مصاهرةٍ فتجوز الخلوة بها لقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن﴾ [النور: ٣١] الآية ولأن المحرمية معنىً بمنع المناكحة أبداً فكانا كالرجلين والمرأتين ولا فرق في المحرم بين الكافر وغيره، نعم إن كان الكافر من قوم يعتقدون حِلَّ المحارم كالمجوس امتنعت خلوته **(فقال رجلٌ من الأنصار)** قال ابن حجر لم أقف على اسمه: **(يا رسول الله أفرأيت الحمو)** أي أخبرني عن حكم دخول الحمو على امرأة **(قال)** عليه الصلاة والسلام مجيباً له **(الحمو الموت)** أي لقاؤه مثل لقاء الموت إذا الخلوة به تؤدي إلى هلاك الدين إذا وقعت المعصية أو النفس إن وجب الرجم، أو هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغَيْرة على طلاقها، والحمو قال النووي: المراد به هنا أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها».

---

لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الأخ ونحوهما مما يحل لها تزويجه لو لم تكن مزوجة، وقد جرت العادة بالتساهل فيه فيخلو الرجل بامرأة أخيه فشُبِّه بالموت وهو أولى بالمنع من الأجنبي، فالشرُّ به أكثر من الأجنبي والفتنة به أمكن من الوصول إلى المرأة، والخلوة بها من غير نُكرٍ عليه بخلاف الأجنبي اهـ والحمو بفتح الحاء المهملة وسكون الميم بعدها واو بغير همزٍ بوزن دلوٍ في أكثر روايات البخاري، ورواه بعضهم بالهمزة وفي بعض النسخ «الحمُ» بضم الميم فيهما وإسقاط الواو بوزن أخ.

**(عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ لا تباشر المرأة بالمرأة)** في ثوبٍ واحد **(فتنعتها)** أي تصفها **(لزوجها كأنه ينظر إليها)** وزاد النسائي ولا الرجل الرجل، وعند مسلم وغيره: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل من الثوب الواحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»، ويؤخذ منه حرمة نظر الرجل إلى المرأة بطريق الأولى، نعم يباح للزوجين نظر كلٍّ منهما إلى عورة الآخر ولو إلى الفرج ظاهراً وباطناً لأنه محل تمتعه، لكن يكره نظر الفرج حتى من نفسه بلا حاجةٍ، والنظر إلى باطنه أشد كراهة قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «ما رأيت منه ولا رأى مني» أي الفرج، وحديث النظر إلى الفرج يورث الطمس أي العمى محمول على الكراهة والعمى قيل في الناظر وقيل في الولد وقيل في القلب والأمة كالزوجة. ويحرم على الراجح نظر فرج صغيرةٍ لا تُشتَهى إلا للأم زمن الرضاعة والتربية، وأما الصغير فهو كالصغير في التحريم على الراجح وقيل يحل النظر إليه ما لم يميز، ويحرم اضطجاع رجلين أو امرأتين في ثوب واحدٍ إذا كانا عاريين للحديث السابق، ويُستثنى من الإفضاء المصافحة فهي مستحبة لحديث أبي داود ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا إلا الأمرد الجميل فتحرم مصافحته ومن به عاهة كالأبرص والأجذم فتكره مصافحته، وتكره المعانقة والتقبيل في الرأس والوجه ولو كان أحدهما صالحاً لحديث الترمذي: قال رجلٌ: يا رسول الله الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: «لا»، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم نعم» يستحب لقادم كتقبيل الطفل ولولد غيره شفقة لأنه ﷺ قبل ابنه إبراهيم والحسن بن علي، وكتقبيل يد الحي لصلاحٍ كما كانت الصحابة تفعله مع النبي ﷺ، ويُكره ذلك لغناءٍ ونحوه من الأمور الدنيوية كشوكته ووجاهته لحديث من تواضع لغنيٍّ لغناه ذهب ثلث دينه.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً».

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلتَ ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تَسْتَحد المُغِيْبة وتمتشط الشعثة».

---

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أطال أحدكم الغيبة)** عن أهله في سفر أو غيره **(فلا يطلاق أهله)** بضم الراء من باب قتل **(ليلاً)** تأكيد لأن الطروق لا يكون إلا ليلاً نعم قيل إنه أيضاً يقال في النهار والتقييد بطول الغيبة يفيدُ عدم النهي في قِصَرِها كمن يخرج لحاجته مثلاً نهاراً ويرجع ليلاً وعند مسلم: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم» وعنده أيضاً: «أنه ﷺ كان لا يطرق أهله ليلاً وكان يأتيهم غدوة أو عشية»، والعلة في ذلك أنه ربما يجد أهله على غير أهبة من التنظيف والتزين المطلوب من المرأة فيكون ذلك سبباً للنفرة بينهما، أو يجدها على غير حالة مُرضية والستر مطلوب بالشرع، وأيضاً إذا طرقهم في ذلك الوقت كان سبباً لسوء ظنِّ أهله به وكأنه إنما قصدهم ليلاً الذي هو وقت خلوة وانقطاع مراقبة بعضهم لبعض ليجدهم على ريبة حتى توخى وقت غِرَّتهم وغفلتهم. وعند أحمد والترمذي عن جابر: «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من[1] آدم مجرى الدم» وعند أبي عوانة في صحيحه عن جابر: أن عبد الله بن رواحة أتى امرأته ليلاً وعندها امرأة تمشطها فظنها رجلاً فأشار إليها بالسيف، فلما ذكر ذلك للنبي ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً. وعن ابن عمر أن رجلين خالفا النهي وطرقا أهلهما فوجد كل مع امرأته رجلاً.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال)** له لما قفل من تبوك وكان قريباً من المدينة فأراد أن يتعجل فسأله عن تزوجه فقال: نعم فقالت: بكراً أم ثيباً؟ فقال: بل ثيباً فقال: هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك: **(إذا دخلت ليلاً)** المدينة **(فلا تدخل على أهلك حتى تستحد)** أي تستعمل الحديد وهي الموسى في إزالة الشعر المشروع إزالته **(المغيبة)** بضم الميم وكسر المعجمة وهي التي غاب عنها زوجها **(وتمتشط الشعثة)** بالمثلثة المنتشرة الشعر المغبرة الرأس، أي تسرح شعر رأسها التي تغير وتفرق وترجله وتزينه، ويؤخذ منه كراهة مباشرة المرأة في الحالة التي تكون فيها غير متنظفة لئلا يطَّلِع منها على ما يكون سبباً لنفرته منها.

---

(١) ينظر هل لفظ الحديث هكذا وسقط منه لفظ ابن اهـ مصححه.

# كتاب الطلاق

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال رسول الله ﷺ: «مُرْهُ

---

## كتاب الطلاق

هو لغةً: حَلُّ القيد، وشرعاً حَلُّ قيد النكاح بلفظ الطلاق ونحوه. وفي مشروعية النكاح مصالح العباد الدينية والدنيوية، وفي الطلاق إكمالٌ لها إذ قد لا يوافقه النكاح فيطلب الخلاص عند تباين الأخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله، فمكَّن من ذلك رحمة منه سبحانه وتعالى وفي جعله عدداً حكمة لطيفة لأن النفس كذوبة ربما تُظْهِر عدم الحاجة إلى المرأة أو الحاجة إلى تركها وتسوله، فإذا وقع حصل الندم وضاق الصدر به وعيل الصبر فشرعه سبحانه وتعالى ثلاثاً ليجرب نفسه في المرة الأولى فإن كان الواقع صِدقها استمر حتى تنقضي العدة وإلا أمكنه التدارك بالرجعة، ثم إذا عادت النفس لمثل الأول وغلبته حتى عاد إلى طلاقها نظر أيضاً فيما يحدث له فما يوقع الثالثة إلا وقد جرت وقفة في حال نفسه، ثم حرمها عليه بعد انتهاء العدد قبل أن تتزوج آخر ليتأدب بما فيه غيظه وهو الزوج الثاني على ما عليه من جبلة الفحولية بحكمته ولطفه تعالى بعباده.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخة تقديمها. **(عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه طلق امرأته)** هي آمنة بمدة الهمزة وكسر الميم بنت غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء، أو بنت عَمَّار بعين مهملة مفتوحة ثم ميم مشددة قال ابن حجر والأول أولى وفي مسند أحمد أن اسمها النُّوار ويمكن أن يكون اسمها آمنة ولقبها النوار **(وهي حائض)** جملة حالية **(على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(رسول الله ﷺ عن ذلك)** أي عن حكم طلاق ابنه على الصفة المذكورة زاد الزهري فتغيظ رسول الله ﷺ **(فقال رسول الله ﷺ)** لعمر: **(مرة)** أصله أأمره بهمزتين الأولى للوصل مضمومة تبعاً لثالث الفعل فإن وصل بما قبله سقطت نحو: ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ [طه: ١٣٢] والثانية فاء الكلمة

فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء».

---

فحذفوها تخفيفاً ثم حذفت همزة الوصل استغناء عنها لتحرك ما بعدها أي مر ابنك عبد الله **(فليراجعها)** والأمر للوجوب عند المالكية وبعض الحنفية فيجبر على مراجعتها ما بقي من العدة شيء، وللندب عند الشافعية وغيرهم لقوله تعالى: ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ [البقرة: ٢٣١] وغيرها من الآيات المقتضية للتخيير بين الإمساك بالرجعة والفراق بتركها، ولأن الرجعة لاستدامة النكاح وهو غير واجب في الابتداء، ومع استحباب الرجعة فتركها مكروه على الراجح لصحة الخبر فيه ولرفع الايذاء ويسقط الاستحباب بدخلو الطُّهر الثاني، قال ابن دقيق العيد: ويتعلق بالحديث مسئلة أصولية وهي أن الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك الشيء أم لا فإن النبي ﷺ قال لعمر: «مرة» فأمره بأمره، وقد أطال في الفتح البحث في هذه المسألة، والحاصل أن الخطاب إذا توجه لمكلفٍ أن يأمر مكلفاً آخر بفعل شيء كان المكلف الأول مبلغاً محضاً والثاني مأمور من قِبَل الشارع كما هنا، وإن توجه من الشارع لمكلف أن يأمر غير مكلف كحديث: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع» لم يكن الأمر بالأمر بالشيء أمراً بالشيء لأن الأولاد غير مكلفين فلا يتجه عليهم الوجوب، وإن توجه الخطاب من غير الشارع بأمر من له عليه الأمر أن يأمر من لا أمر للأول عليه لم يكن الأمر بالأمر بالشيء أمراً بالشيء أيضاً بل هو متصد بأمره للأول أن يأمر الثاني **(ثم ليمسكها)** بإعادة اللام وهي مكسورة على الأصل في لام الأمر فرقاً بينها وبين لام التوكيد، ويجوز تسكينها تخفيفاً إجراءً للمنفصل مجرى المتصل كقراءة: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ [الحج: ٢٩] والمراد الأمر باستمرار الإمساك لها وإلا فالمراجعة إمساك وعند مسلم ثم ليدعها **(حتى تطهر ثم تحيض)** حيضة أخرى **(ثم تطهر ثم إن شاء أمسكها بعد)** أي بعد الطهر من الحيض الثاني **(وإن شاء طلقها قبل أن يمسها)** أي قبل أن يجامعها واختلف في علة الغاية بتأخير الطلاق إلى الطُّهر الثاني وإن لم يكن شرطاً على الراجح، فقيل لئلا تصير الرجعة لغرض الطلاق لو طلَّق في الطُّهر الأول حتى قيل إنه يندب الوطء فيه وإن كان الأصح خلافه وقيل عقوبة وتغليظ وعورض بأن ابن عمر لم يكن يعلم تحريمه، وأجيب بأن تغليظه ﷺ دون أن يعذره يقتضي أن ذلك في الظهور لا يكاد يخفى على أحدٍ، وفي روايةٍ: «مرة فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً»، وفي أخرى: «حتى تطهر من الحيضة التي أطلقها فيها ثم إن شاء أمسكها». وعليها فلا إشكال **(فتلك)** أي مدة الطهر **(العدة)** أي مدة العدة **(التي أمر الله)** أي أذن **(أن تطلق لها النساء)** في قوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] واستدل به على أن القرء المذكور في قوله تعالى: ﴿ثلاثة قروء﴾ [البقرة: ٢٢٨] المراد به الطهر كما ذهب إليه مالك والشافعي، واللام في قوله تعالى: لعدتهن لام التوقيت أي في وقت عدتهن أي في الوقت الذي يشرعن فيه في

وعنه رضي الله عنه قال: حسِبت علي بتطليقة.

---

العدة بأن يطلقنَ في طهرٍ لم يجامعن فيه ثم يتركنَ حتى تنقضي عدتهنَّ وهذا أحسن الطلاق. وفي حديث ابن عمر عند مسلم قرأ رسول الله ﷺ فطلقوهن في قبل عدتهن فإن طُلِّقنَ في حيض فحرام للحديث المذكور وكذا في طهرٍ جومعن فيه وقد يكون الطلاق واجباً كطلاق المولي ومندوباً كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق إساءة لا تحتمل عادة، ومكروهاً كطلاق مستقيمة الحال ومباحاً كطلاق من لا يهواها، ولا تسمح نفسه بمؤنتها من غير تمتع بها.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: حُسبت)** بضم الحاء مبنياً للمفعول **(عليَّ)** بتشديد الياء التحتية أي الطلقة التي طلقتها في الحيض **(بتطليقة)** وقد أجمع على ذلك أئمة الفتوى خلافاً للظاهرية والخوارج والرافضة حيث قالوا: لا يقع الطلاق في الحيض لأنه منهيٌ عنه فلا يكون مشروعاً. لنا قوله ﷺ لعمر مرة فليراجعها وكان طلقها في حالة الحيض كما مر، والمراجعة بدون الطلاق محال ولا يقال المراد بالرجعة الرجعة اللغوية وهي الرَّد إلى حالها الأول لا أنه يحسب عليه طلقة، لأن هذا غلط إذ حَملُ اللفظ على الحقيقة الشرعية مقدم على حمله على الحقيقة اللغوية كما تقرر في الأصول، وبأن ابن عمر صرَّح بأنها حسبت عليه طلقة واحتجوا لمذهبهم بما رواه مسلم من حديث أبي الزبير عن ابن عمر فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها أو ليردها»، وقال: «إذا طهرت فليطلق أو يمسك» وزاد أبو داود فيه: «ولم يُرِها شيئاً قال الخطابي: لم يرو أبو الزبير حديثاً أنكر من هذا، وقال الشافعي فيما نقله البيهقي: في المعرفة نافع أثبت من أبي الزبير والأثبت في الحديثين أولى أن يؤخذ به إذا تخالفا، وقد وافق نافعاً غيره من أهل الثبت وحمل قوله: لم يرها شيئاً على أنه لم يعدها شيئاً صواباً، فهو كما يقال الرجل إذا أخطأ في فعله أو أخطأ في جوابه: لم يصنع شيئاً أي لم يصنع شيئاً صواباً وقال الخطابي: لم يُرِها شيئاً تحرم معه الرجعة اهـ على أن تصريح ابن عمر بأنها حسبت عليه تطليقة لا يجتمع مع قوله إنه لم يعتد بها ولم يرها شيئاً على المعنى الذي ذهب إليه المخالف، لأنه إن جعل الضمير للنبي ﷺ لزم منه أن ابن عمر خالف ما حكم به ﷺ في هذه القصة بخصوصها لأنها حُسِبت عليه بتطليقةٍ فيكون من حسبها عليه خالف كونه لم يُرِها شيئاً كيف يظن به ذلك مع اهتمامه واهتمام أبيه بسؤال النبي ﷺ عن ذلك ليفعل ما يأمره به، وإن جعل الضمير في لم يعتد بها ولم يُرِها لابن عمر لزم منه التناقض في القصَّة الواحدة، فيفتقر إلى الترجيح ولا شك أن الأخذ بما رواه الأكثر والأحفظ أولى من مقابله عند تعذر الجمع عند الجمهور، وقد أطال ابن القيم في الانتصار لشيخه ابن تيمية التابع للظاهرية والخوارج فيما تقدم بكلام لا حاجة إلى إيراده.

عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: لها: «لقد عذتِ بعظيم إلحقي بأهلك».

وفي رواية عن أبي أُسيد رضي الله عنه أنها دخلت عليه ومعها دايتها حاضنة لها فقال النبي ﷺ: «هبي نفسك لي» قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عذت بمعاذ» ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أسيد اكسها رازقيين وألحِقْها بأهلها».

---

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن ابنه الجون)** بفتح الجيم وبعد الواو الساكنة نون أُميمة بنت النعمان بن شراحيل على الصحيح وقيل أسماء **(لما أُدخلت)** بضم الهمزة وكسر الخاء المعجمة **(على رسول الله ﷺ ودنا)** أي قرب **(منها)** بعد أن تزوجها **(قالت)** لما كتبه الله تعالى عليها من الشقاء **(أعوذ بالله منك فقال)** ﷺ: **(لقد عُذتِ)** بضم العين أي تعوذت وتحصنتِ **(بعظيم)** وهو الله تعالى **(إلحقي بأهلك)** بفتح الحاء وكسر الهمزة وقيل بالعكس كناية عن الطلاق تشترط فيها النية بالإجماع، والمعنى إلحقي بأهلك لأني طلقتك سواءٌ كان لها أهل أم لا **(وفي رواية عن أبي أسيد)** بضم الهمزة وفتح السين المهملة **(رضي الله تعالى عنه أنها أدخلت عليه)** ﷺ **(ومعها دايتها حاضنة لها)** بالرفع والنصب والداية القابلة وهو لفظ معرب ولم يعرف اسمها، وعند ابن سعد أن النعمان بن الجون الكندي أتى النبي ﷺ فقال: ألا أزوجك أجمل أيم في العرب فتزوجها وبعث معها أبا أُسيد الساعدي، قال: أبو أُسيد: فأنزلتها في بني ساعدة فدخل عليه نساء الحي فرحين بها وخرجن فذكرن من جمالها **(فقال النبي ﷺ)** لما دخل عليها: **(هبي نفسك لي)** أمر للمؤنثة وأصله أوهبي حذفت الواو تبعاً لمضارعه واستغنى عن الهمزة فصار هبي بوزن علي أي قال لها ذلك تطييباً لقبها واستمالة لها وإلا فقد كان له ﷺ أن يزوج من نفسه بغير إذن المرأة وبغير إذن وليها، وكان مجرد إرساله إليها وإحضارها ورغبته فيها كافياً في ذلك **(فقالت)** لسوء حظها وشقائها وعدم معرفتها بجلالة قدره الرفيع **(وهل تهب المِلكة)** بكسر اللام **(نفسها للسوقة؟)** بضم السين المهملة الواحد من الرعية، وقال في القاموس السوقة الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وفي نسخةٍ لسوقة، **(قال: فأهوى بيده)** الشريفة أي أمالها **(يضع يده عليها لتسكن فقالت أعوذ بالله منك فقال)** وفي نسخةٍ قال: **(قد عذت بمعاذ)** بفتح الميم أي بالذي يستعاذ به قال أبو أسيد **(ثم خرج علينا)** ﷺ **(فقال: يا أبا أسيد إكسها)** بضم السين ثوبين **(رازقيين)** براء ثم زاي فقاف مكسورتين بالتثنية صفة موصوف محذوف للعلم به كما تقرر، وفي نسخةٍ: رازقيتين بالفوقية بعد التحتية، والرازقية ثياب من كتان بِيضٌ طُوالٌ قال السفاقسي: أي مَتِّعها بذلك إما وجوباً وإما تفضلاً **(وألحقها بأهلها)** بهمزة مفتوحة وكسر الحاء وسكون القاف أي ردها إليهم لأنه هو الذي

عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبت طلاقي وإني نكحت بعده عبد الرحمن ابن الزبير القرظي وإن ما معه مثل الهدبة، قال رسول الله ﷺ: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته».

---

كان أحضرها، وعند ابن سعد قال أبو أُسيد: فأمرني فرددتها إلى قومها. وفي أخرى له: فلما وصَلْتُ بها تصايحوا وقالوا: إنك لغير مباركةٍ فما دهاك قالت: خُدِعت. وعند ابن أبي خيثمة أنها ماتت كمداً.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن امرأة رفاعة)** بكسر الراء وتخفيف الفاء **(القرظي)** بالقاف المضمومة والظاء المعجمة من بني قريظة واسمها تميمة بنت وهب وقيل غير ذلك **(جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي)** بالموحدة المفتوحة والفوقية المشددة أي قطعة قطعاً كلياً وفي روايةٍ أنها قالت: طلقني ثلاث تطليقات **(وإني نكحت بعده عبد الرحمن بن الزبير)** بكسر الزاي وكسر الموحدة بوزن أمير ابن باطيا **(القرظي وإن ما معه)** أي وإن الذي معه تعني فرجه **(مثل الهدبة)** بضم الهاء وسكون الدال المهملة وفي روايةٍ: مثل هدبة الثوب، أي طرفه الذي لم ينسب شبهوه بهدب العين وهو شعر جفنها، وتشبيهها له بذلك إما لصغره أو لاسترخائه، والثاني أظهر إذ يبعد أن يكون صغيراً إلى حدِ لا يغيب معه مقدار الحشفة **(قال رسول الله ﷺ)** لها: **(لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا)** ترجعي إليه **(حتى يذوق)** عبد الرحمن **(عُسَيلتك وتذوقي عُسَيلته)** بضم العين تصغير عَسَل، والمراد بها عند اللغويين اللذة الحاصلة عند الوطء، وعند جمهور الفقهاء الوطء نفسه اكتفاءً بالمَظِنَّة شُبِّه بالعسل بجامع اللذة، وأُنث في التصغير لأن العسل يذكر ويؤنث أو تصغير عَسَلَةَ أي قطعة من العسل أو على إرادة اللذة لتضمنه ذلك، وقولها بتَّ طلاقي محتمل لوقوع الثلاث دفعة واحدة ومتفرقة، فكل ذلك جائز يفيد التحريم خلافَ لمن لم يجز وقوعه دفعة واحدة لحديث: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»، وعند سعيد بن منصور بسند صحيح أن عمر كان إذا أُتي برجل طلق امرأته ثلاثاً أوجع ظهره وللشيعة وبعض أهل الظاهر في قولهم إذا أُتي بالثلاث دفعة لم يقع عليه إلا واحدة، ولا تحرم عليه بل له مراجعتها وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي وحجاج بن أرطاة، وتمسكوا في ذلك بحديث ابن إسحاق عن داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس المروي عند أحمد وأبي يَعلى وصححه بعضهم قال: طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثاً في مجلسٍ واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ: «كيف طلقتها». قال ثلاثاً في مجلسٍ واحد، فقال النبي ﷺ: «إنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت» فارتجعها، وأجيب بأن ابن إسحاق وشيخه مختَلَفٌ

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

فيهما مع معارضته بفتوى ابن عباس بوقوع الثلاث كما سيأتي، وبأنه مذهب شاذ فلا يعمل به إذ هو منكر، وإلا صح ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة أن ركانة طلَّق زوجته البتة فحلَّفه رسول الله ﷺ أنه ما أراد إلا واحدة فردَّها إليه فطلقها الثانية في زمن عمر والثالثة في زمن عثمان، قال أبو داود: وهذا أصح، وعورض بأنه نُقِل عن علي وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف والزبير وأصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار بل في مسلم من طريق عبد الرزاق عن مَعمَر عن عبد الله بن طاوس عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: «أرى الناس قد استعجلوا في أمرٍ كان لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم»، فأمضاه عليهم. والجمهور على وقوع الثلاث وبذلك أفتى ابن عباس، فعند أبي داود بسندٍ صحيح من طريق عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثاً فسكت حتى ظننت أنه رادُها إليه ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأُحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس إن الله تعالى قال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق: ٢] وأنت لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك وبانت منك امرأتك وقد روي عنه من غير طريقٍ أنه أفتى بذلك، وأجيب عن قوله كان الطلاق الثلاث واحدة بوجوه منها أنَّ الناس كانوا في زمنه ﷺ يطلِّقون واحدة، فلما كان في زمن عمر كانوا يطلقون ثلاثاً يعني أن الطلاق الموقع في زمن عمر ثلاثاً كان يوقع قبل ذلك واحدة لأنهم كانوا لا يستعملون الثلاث أصلاً، أو يستعملونها نادراً وأما في زمن عمر فكثر استعمالهم لها. وقوله فأمضاه عليهم معناه أنه صنع فيه من الحكم بإيقاع الطلاق ما كان يصنع قبله من البينونة وعدم الرجوع بعد الثلاث إلا بمَحلل، وقيل معناه إن الرجل إذا قال لزوجته: أنت طالق أنت طالق كان واحدةً في الزمن الأول لقصدهم التأكيد في ذلك الزمان، ثم صاروا يقصدون التجديد فألزمهم عمر ذلك لعلمه بقصدهم. واختلفوا مع الاتفاق على الوقوع ثلاثاً هل يكره أو يحرم أو يباح أو يكون بدعياً أو لا، فقال الشافعية: يجوز جمعها ولو دفعةً كما مر لقوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء﴾ [البقرة: ٢٣٦] و ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] وهذا يقتضي الإباحة، وطلق ﷺ حفصة وكانت الصحابة يطلقون من غير نكير، نعم الأفضل أن لا يطلق أكثر من واحدة ليخرج من الخلاف، وقال اللخمي من المالكية: إيقاع الاثنين مكروه والثلاث ممنوع لقوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق: ١] أي من الرغبة في المراجعة والندم على الفراق، وقال الحنفية: يكون بدعياً إذا أوقعه بكلمة لحديث ابن عمر عند الدارقطني: قلت: يا رسول الله أرأيتَ لو طلقتها ثلاثاً؟ قال:

وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر مما كان يحتبس، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فإنه

---

«إذاً قد عصيت ربك وبانت منك امرأتك»، ولأن الطلاق إنما جعل متعدداً ليمكنه التدارك عند الندم فلا يحل له تفويته.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء)** بالهمز والمد وفي نسخةٍ: والحلوى بالقصر، قال في القاموس: والحلواء بالمد ويقصر وعند الثعالبي أن حلوى النبي ﷺ التي كان يحبها هي المجيع بالجيم بوزن عظيم، قال في القاموس: تمر يعجن بلبن هذا ليس من عطف العام على الخاص وإنما العام الذي تدخل فيه الحلو بضم أوله **(وكان)** ﷺ **(إذا انصرف من العصر)** أي من صلاة العصر **(دخل على نسائه فيدنو)** أي يقرب **(من إحداهن)** بأن يقبلها ويباشرها من غير جماع كما في روايةٍ أخرى، وفي رواية إن ذلك إذا انصرف من صلاة الفجر لكنها كما في الفتح روايةٍ شاذة، وعلى تسليمها فيحتمل أن الذي كان يفعله أول النهار سلاماً ودعاء محضاً والذي في آخره معه جلوس ومحادثة **(فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس)** أي أقام عندها **(أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك)** أي عن سبب احتباسه **(فقيل لي أهدت لها)** أي لحفصة **(امرأة من قومها)** لم يعرف اسمها **(عُكَّة عسل)** وفي روايةٍ: من عسل، زاد ابن عباس: من الطائف، والعكة بالضم آنية السمن وجمعه عكك وعكاك، قاله في المختار. فإطلاقها على ما يوضع فيه العسل مجاز أو نادر **(فسقت النبي ﷺ منه شربة)** وفي روايةٍ عنها أن شرب العسل كان عند زينب بنت جحش، وعند ابن مردويه عن ابن عباس أنه كان عند سودة وأن عائشة وحفصة هما اللتان تظاهرتا عليه، ورواية أنه كان عند زينب أثبت لموافقة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لها على أن المتظاهرتين حفصة وعائشة، فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن في المظاهرة بعائشة، وفي كتاب الهبة عن عائشة أن نساء النبي ﷺ كنّ حزبين عائشة وسودة وحفصة وصفية في حزب، وزينب بنت جحش وأم سلمة والباقيات في حزب ولذا غارت عائشة منها لكونها من غير حزبها وهذا يرجح أن زينب صاحبة العسل لا سودة، أو يحمل ذلك على تعدد القصة وفي تفسير السُّدِّي أن شرب العسل كان عند أم سلمة أخرجه الطبري وغيره، وهو كما قاله في الفتح مرجوح لإرساله وشذوذه قالت عائشة **(فقلت أما)** بفتح الهمزة وتخفيف الميم **(والله لنحتالن له)** أي لأجله **(فقلت لسودة بنت زمعة: إنه)** عليه الصلاة والسلام **(سيدنو)** أي

سيقول لك: لا، فقولي له ما هذه الريح التي أجد منك فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل فقولي: له: جرست نحله العرفط، وسأقول ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك، فقالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك فلما دنا منها قالت: له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير قال: «لا» قالت: فما هذه الريح التي أجد منك قال: «سقتني حفصة شربة عسل»، فقالت سودة: جرست نحله العرفط، فلما دار إلي قلت له: نحو ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟

---

يقرب (**منك فإذا دنا منك فقولي**) له (**أكلتَ مغافير؟**) بفتح الميم والغين المعجمة وبعد الألف فاء بعدها تحتية ساكنة جمع مغفور بضم الميم وليس في كلامهم مفعول بالضم إلا قليلا، والمغفور صمغ حلو له رائحة كريهة ينضحه شجر يسمى العرفط بعين مهملة وفاء مضمومتين بينهما راء ساكنة آخره طاء مهملة، ويقال له الرِمث بكسر الراء وسكون الميم بعدها مثلثة شجر ترعاه الإبل (**فإنه سيقول لك: لا فقولي له: ما هذا الريح التي أجد منك**) وفي نسخةٍ إسقاط منك (**فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل فقولي**) له: (**جَرَسَتْ**) بفتح الجيم والراء والسين المهملة أي رَعت (**نحله**) أي نحل هذا العسل الذي شربته (**العرفط**) بضم العين المهملة والفاء بينهما راء ساكنة آخره طاء مهملة الشجر الذي صمغه المغافير (**وسأقول**) أناله (**ذلك وقولي**) له (**أنت يا صفية**) بنت حيي (**ذلك**) بكسر الكاف وفي نسخةٍ ذاك بلا لام، أي قولي الكلام الذي علمته لسودة، وفي رواية عن ابن عباس وكان رسول الله ﷺ أشد عليه أن يوجد منه رائحة كريهة لأنه يأتيه الملك، ثم هذه الرواية منافية لظاهر القرآن حيث قال فيه: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ [التحريم: ٤] فهما ثنتان لا أكثر إلا أن يقال: إن القصة متعددة في شرب العسل وتحريمه، ونزول الآية مختص بالقصة التي وقع فيها الشرب عند حفصة أو زينب (**فقال**) وفي نسخةٍ قالت أي عائشة: (**تقول سودة**) لي فوالله (**ما هو**) أي الشأن أي لم يمض زمن (**إلا أن قام**) ﷺ (**على الباب فأردت أن أناديه**) بالنون من المناداة وفي نسخةٍ أباديه بالموحدة من المبادأة بالهمز أي أبتدئه (**بما أمرتني**) بسكون الفوقية أي عائشة وهو أن أقول له أكلت مغافير (**فرقاً**) بفتح الفاء والراء أي خوفاً (**منكِ، فلما دنا**) عليه الصلاة والسلام (**منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير قال لا**) أي ما أكلتها (**قالت**) له: (**ما هذه الريح التي أجد**)ها (**منك؟ قال**) عليه الصلاة والسلام: (**سقتني حفصة شربة عسل**) وفي نسخةٍ إسقاط عسل (**فقالت سودة: جرست**) أي رعت (**نحله العرفط**) شجر المغافير قالت عائشة: (**فلما دار إلي**) بتشديد الياء (**قلت**) وفي نسخةٍ له عليه الصلاة والسلام (**نحو ذلك**) القول الذي قلت لسودة أن تقول له (**فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك**) عبر بقوله نحو ذلك في إسناد

قال: «لا حاجة لي فيه» قالت: تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها: اسكتي.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتِب عليه في خُلُق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «أتَرُدِّين عليه حديقته»: قالت: نعم قال

---

القول لعائشة، وبقوله مثل ذلك في إسناده لصفية لأن عائشة لما كانت المبتكرة لذلك عبَّرت عنه بأي لفظ أرادت، وأما صفية فإنها مأمورة بقول ذلك فليس لها أن تتصرف فيه، لكن وقع في بعض الروايات التعبير بلفظ مثل في الموضعين فيُحتمل أن يكون ذلك من تصرف الرواة **(فلما دار إلى حفصة)** في اليوم الآخر **(قالت)** له: **(يا رسول الله ألا)** بالتخفيف **(أسقيك منه؟)** أي من العسل **(قال: لا حاجة لي فيه)** لما وقع من توارد النسوة الثلاث على أنه نشأت له في شربه ريح كريهة فتركه حسماً للمادة **(قالت)** عائشة: **(تقول سودة: والله لقد حرمناه)** بتخفيف الراء أي منعناه ﷺ من العسل قالت عائشة: **(قلت لها)** أي لسودة: **(اسكتي)** لئلا يفشو ذلك فيظهر ما دبرته لحفصة وهذا وقع منها على مقتضى طبيعة النساء في الغيرة، وليس بكبيرة بل صغيرة معفو عنها مكفرة.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن امرأة ثابت بن قيس)** الأنصاري جميلة وقيل زينب وجع بينهما بأن اسمها ذلك ولقبها جميلة، وهي أخت عبد الله بن أبي ابن سلول وقيل بنته **(أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتبُ)** بضم الفوقية وكسرها يقال عتب عليه عتباً من باب قتل وضرب لامه في سخط فهو عاتب وعتاب مبالغة وعاتبته معاتبة وعتاباً، قال الخليل: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة المواجدة قاله في المصباح أي ما أجد **(عليه في خُلُق)** بضم الخاء واللام أي سجية وطبيعة **(ولا دين)** ظاهره أنه لم يصنع بها شيئاً يقتضي الشكوى منه بسببه، لكن في رواية النسائي من حديث الربيع بنت معوذ أنه كسر يدها فلعلها أرادت وإن كان سيّىء الخلق لكنها ما تعتبه بذلك بل بشيءٍ غيره، وعند ابن ماجه أنه كان رجلاً دميماً فعن ابن عباس أول خلع كان في الإسلام امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبداً، إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدةٍ فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامةً وأقبحهم وجهاً، فقال: «أتردين عليه حديقته؟» قالت: نعم وإن شاء زدته ففرق بينهما. وهذا يقتضي أنها لم تشكُ من سوء خلقه ولا دينه بل مما ذكر من سوء خلقته الموجب لبغضها له بحيث لا تطيق عشرته كما قالت **(ولكني أكره الكفر في الإسلام)** أي إنها لشدة كراهتها له ربما تكفر العشرة بأن تقصر في حقه أو نحو ذلك مما يتوقع من الشابة الجميلة المبغضة لزوجها، أو خشيت أن تحملها شدة الكراهة له على إظهار الكفر لينفسخ نكاحها منه **(فقال رسول الله ﷺ لها: أتردين عليه حديقته؟)** أي

رسول الله ﷺ: «أقبل الحديقة وطلقها تطليقة».

وعنه رضي الله عنه أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ. لعباس: «يا عباس ألا تعجب من حُبِّ مغيثٍ بريرةَ ومن بغضِ بريرةَ مغيثاً» فقال النبي ﷺ: «لو راجعتيه»

---

بستانه وكان أصدقها إياه (**فقالت: نعم**) أردُها عليه (**قال رسول الله ﷺ**) لثابت زوجها: (**أقبل الحديقة وطلِّقها طلقة**) أمر إرشادٍ وإصلاح لا إيجاب، وهذا دليل مشروعية الخلع وهو فراق زوج يصح طلاقه لزوجته بعِوَضٍ راجعٍ لجهة الزوج بلفظ طلاق أو خلع أو نحوهما، وخرج بجهة الزوج تعليق طلاقها بالبراءَة عن مالها على غيره فيقع الطلاق في ذلك رجعياً، والأصح أنه طلاقٌ فينقص عدده وقيل فسخٌ فلا ينقص، فإن وقع بمسمىً صحيح لزم أو فاسدٍ كخمر وجب مهر المثل ويجوز في حالة الشقاق والوفاق، فذكر الخوف في قوله تعالى: ﴿إلا أن يخافا﴾ [البقرة: ٢٢٩] جرى على الغالب، وفيه كلام طويل ومسائل متشعبة مستوفاة في كتب الفروع.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه أن زوج بريرة**) بفتح الموحدة وكسر الراء بعدها تحتية ساكنة فراء أخرى بوزن فعيلة من البرير وهو ثمر الأراك، قيل: اسم أبيها صفوان وأن له صحبة، وقيل: إنها كانت نبطية وقيل قبطية (**كان عبداً**) وفي روايةٍ عن الأسود عن عائشة أنه كان حراً، وبها أخذ الحنفية فقالوا بتخيير الأمة إذا عتقت تحت حرٍ لأنها عند التزويج لم يكن لها رأي لاتفاقهم على أن لمولاها أن يزوجها بغير رضاها فإذا عتقت تجدد لها حال لم يكن قبل ذلك، وأجيب بأن ذلك لو كانت مؤثراً لثبت الخيار للبكر إذا زوجها أبوها ثم بلغت رشيدةً وليس كذلك. ومنشأ الخلاف الاختلاف في ترجيح إحدى الروايتين المتعارضتين في زوج بربرة هل كان حيث عتقت حراً أو عبداً؟ قال الإمام أحمد: إنما صح أنه كان حراً عن الأسود وحده وصح عن ابن عباس وغيره أنه كان عبداً ورواه علماء المدينة وإذا رووا علماء المدينة شيئاً وعملوا به فهو أصح شيء اهـ قال النووي: ويؤيد ذلك قول عائشة كان عبداً ولو كان حراً لم يخيرها، ومثل هذا لا يكاد أحد يقوله إلا توقيفاً وكون المراد بالعبد العتيق أو تسميته بذلك باعتبار ما كان بعيد (**يقال له مُغيث**) بضم الميم وكسر الغين المعجمة وسكون التحتية بعدها مثلثة وقيل بفتح العين المهملة وتشديد التحتية آخره موحدة، قال في الفتح: والأول أثبت وبه جزم ابن ماكولا وغيره وكان عبداً لآل المغيرة من بني مخزوم (**كأني أنظر إليه يطوف خلفها**) في سكك المدينة (**يبكي ودموعه تسيل على لحيته**) يترضاها لتختاره (**فقال النبي ﷺ لعباس**) عمه: (**يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيث**) إنما تعجب من ذلك لأن الغالب أن المحب لا يكون إلا حبيباً، وعند سعيد بن منصور أن العباس كان كلم النبي ﷺ أن يطلب إليها في ذلك، وفي مسند الإمام أحمد أن مغيثاً توسل بالعباس في سؤال

قالت يا رسول الله أتأمرني قال: «إنما أنا أشفع» قالت: فلا حاجة لي فيه.

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله وُلِد لي غلام أسود فقال: «هل لك من إبل»: قال: نعم قال: «ما ألوانها»: قال حمر

---

النبي ﷺ في ذلك، وظاهره أن قصة بريرة كانت متأخرة في السنة التاسعة أو العاشرة لأن العباس إنما سكن المدينة بعد رجوعهم من غزوة الطائف وذلك آخر سنة ثمانٍ، ويدل له أيضاً قول ابن عباس إنه شاهد ذلك وهو بالمدينة مع أبويه وهذا يرد قول من قال: إنها كانت قبل الإفك، وجوَّز الشيخ تقي الدين السبكي أنَّ بريرة كانت تخدم عائشة قبل شرائها، أو اشترتها وأخرت عتقها إلى ما بعد الفتح، أو دام حزن زوجها عليها مدة طويلةً، أو حصل لها الفسخ وطلب أن ترده بعقد جديد **(فقال النبي)** لها: **(لو راجعتيه)** بمثناة تحتية بعد الفوقية وفي نسخةٍ بحذف التحتية، قال الحافظ ابن حجر: وتبعه العيني بمثناة واحدة قال: ووقع في رواية ابن ماجة لو راجعتيه بإثبات تحتية ساكنة بعد المثناة وهي لغة ضعيفة، وتعقبه العيني فقال: إن صح هذا في الرواية فهي لغة فصيحة لأنه أفصح الخلق اهـ **(قالت)** وفي نسخةٍ فقالت: **(يا رسول الله تأمرني)** بذلك؟ **(قال:)** لا **(إنما أشفع)** فيه لا على سبيل التحتم فلا يجب عليك، وفي نسخةٍ: «إنما أنا أشفع» **(قالت: فلا)** وفي نسخةٍ لا **(حاجة لي فيه)** وفي الحديث جواز الشفاعة من الحاكم عند الخصم في خصمه إذا ظهر حقه وإشارته عليه بالصلح أو الترك وأنه لا ينبغي للشفيع أن يتأثر برد شفاعته، وأن المسلم لا يُعَيَّر بحب المسلمة وإن أفرط فيه ما لم يأت محرماً، وغير ذلك من الفوائد التي كما قيل تزيد على أربعمائة.

**(عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أنا)** وفي نسخةٍ: وأنا بالواو **(وكافل اليتيم)** أي القائم بمصالحه **(في الجنة هكذا وأشار بالسبابة)** بتشديد الموحدة الأولى، سميت بذلك لأنهم كانوا إذا تسابوا أشاروا بها وهي الأصبح التي تلي الإبهام، وفي نسخةٍ المسبحة بالحاء المهملة، سميت بذلك لأنه يشار بها عند التسبيح وتحرك في التشهد إشارة إلى التوحيد **(والوسطى وفرج بينهما شيئاً)** قليلاً إشارة إلى أن بين درجته ﷺ ودرجة كافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رجلاً)** وعند مسلم وأبي داود وغيرهما: أن أعرابياً من فزارة، واسم هذا الأعرابي ضمضم بن قتادة كما عند عبد الغني بن سعد **(أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله وُلِدَ لي غلام أسود)** أي وأنا أبيض فكيف يكون مني وهذا تعريض منه بنفيه، وفي روايةٍ وإني أنكرته أي استنكرته بقلبي ولم يرد أنه أنكره بلسانه

قال: «هل فيها من أورق»؟ قال: نعم قال: «فأنّي ذلك» قال: لعله نزعه عرق قال: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق».

عن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث المتلاعنين قال: قال رسول الله ﷺ

---

وإلا لكان تصريحاً لا تعريضاً ولم يعرف اسم المرأة ولا الغلام **(قال)** وفي نسخةٍ: فقال ﷺ: **(هل لك من إبل؟ قال: نعم قال)** عليه الصلاة والسلام له: **(ما ألوانها؟ قال:)** ألوانها **(حمر)** بضم الحاء المهملة وسكون الميم **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(فهل فيها من أورق؟)** غير منصرف للوصف والوزن كأحمر، قال في القاموس: ما في لونه بياض إلى سواد وهو من أطيب الإبل لحماً لا سيراً وعملاً، وقال غيره: الذي فيه سواد ليس بحالك بأن يميل إلى الغبرة ومنه قيل للحمامة ورقاء ومِن في قوله من أورق زائدة **(قال: نعم قال)** عليه الصلاة والسلام له: **(فأنَّي ذلك؟)** بفتح النون المشددة أي من أين أتاها اللون الذي ليس في أبويها؟ **(قال)** الرجل **(لعله نزعه عرق)** بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها قاف، ونزعه بالنون والزاي والعين المهملة أي قلبه أخرجه من ألوان فحله ولقاحه وفي المثل: «العرق نزل» والعرق في الأصل مأخوذ من عرق الشجر، ومنه قولهم فلان عريق في الأصالة يعني أن لونه إنما جاء لأنه كان في أصول البعيدة ما كان فيه هذا اللون، وفي نسخةٍ: لعلَّ بغير هاء وعرق بالرفع قال بعضهم: الصواب النصب أي: لعل عرقاً نزعه، وقال السفاقسي: يحتمل أن يكون بالهاء فسقطت، ووجَّهه ابن مالك باحتمال أنه حذف منه ضمير الشأن، وقال في المصابيح: اسم لعل ضمير نصب محذوف ومثله عندهم قليل بل صرح بعضهم بضعفه **(قال)** ﷺ: **(لعل ابنك هذا نزعه)** أي العرق ويؤخذ من الحديث منع نفي الولد بمجرد الأمارات الضعيفة بل لا بد من التحقيق، كأن رآها تزني أو ظهور دليل قوي كأن لم يطأها أو أتت بولد لدون ستة أشهر من الوطء أو لأكثر من أربع سنين، بل يلزمه نفي الولد لأن ترك نفيه يتضمن استلحاقه واستلحاق من ليس منه حرام، كما يحرم نفي من هو منه في حديث أبي داود صححه الحاكم على شرط مسلم: «أيما امرأةٍ دخلت على قومٍ من ليس منهم فليست من الله في شيء ولم يدخلها جنته، وأيما رجل جحد ولده ولمَ ينظر إليه احتجب الله منه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الخلائق»، فنص في الأول على المرأة وفي الثاني على الرجل ومعلومٌ أن كلاً منهما في معنى الآخر ولا يكفي مجرد الشيوع لأنه قد يذكره غير ثقة فيستفيض، فإن لم يكن ولد فالأولى أن يستر عليها ويطلقها إن كرهها. ويؤخذ منه أيضاً أن التعريض بالقذف ليس قذفاً وبه قال الجمهور، واستدل به إمامنا الشافعي لذلك وعن المالكية يجب به الحد إذا كان مفهوماً.

**(عن ابن عمر)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنهما في حديث المتلاعنين)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ للمتلاعنين)** عويمر العجلاني وزوجته بعد الملاعنة: **(حسابكما على الله**

للمتلاعنين: «حسابكما على الله أحدكما كاذب، لا سبيل لك عليها» قال: «مالي» قال: «لا مال لك إن كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فذلك أبعد لك».

عن أم سلمة رضي الله عنها أن امرأة تُوفي زوجها فخشوا على عينيها فأتوا رسول الله ﷺ فاستأذنوه في الكحل فقال: «لا تكتحل قد كانت إحداكُنَّ تمكث في شرِّ أحلاسها

---

**أحدكما كاذب)** ففيه عرض التوبة على المذنب ولو بطريق الإجمال، وقيل: قاله قبل الملاعنة تحذيراً لهما منه **(لا سبيل)** طريق **(لك)** على الاستيلاء **(عليها)** فلا تملك عصمتها بوجه من الوجوه، فيستفاد منه تأبيد الحرمة **(قال)**: يا رسول الله **(مالي)** الذي أصدقتها إياه آخذه منها **(قال)** ﷺ: **(لا مال لك)** لأنك استوفيته بدخولك عليها وتمكينها لك من نفسها، ثم أوضح له ذلك بتقسيم مستوعب فقال: **(إن كنت صدقت عليها)** فيما نسبتها إليه **(فهو بما استحللت من فرجها)** ما موصولة وجملة استحللت في موضع الصلة والعائد محذوف والصلة والموصول في موضع جرٍّ بالباء وهي باء البدل والمقابلة **(وإن كنت كذبت عليها فذاك)** أي الطلب لما أمهرتها **(أبعد لك)** اللام للتبيين كسقياً لك ورعياً لك.

**(عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن امرأة)** تسمى عاتكة **(تُوفيَ زوجها)** المغيرة المخزومي **(فخشوا)** بالخاء المعجمة المفتوحة والشين المضمومة المعجمة وأصله خشيوا بكسر الشين وضم التحتية استثقلت ضمة الياء فنقلت لسابقها بعد سلب حركته فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الأولى وأبقيت الثانية إذ هي علامة الجمع فصار بوزن فعو أي خافوا **(على عينيها)** بالتثنية وفي نسخةٍ إسقاط الجار **(فأتوا رسول الله ﷺ فاستأذنوه)** مرتين أو ثلاثاً **(في الكحل، فقال لا تكتحل)** بسكون الكاف وكسر الحاء من باب الافتعال، وفي نسخةٍ لا تكحل بفتح التاء والكاف والحاء المشددة أصله تتكحل فحذفت على إحدى التاءين، وعند ابن حزم بسندٍ صحيح من رواية القاسم بن أصبغ: إني أخشى أن تنفقىء عينها، قال: «لا وإن انفقأت» ولذا قال مالك رحمه الله تعالى في رواية عنه بمنعه مطلقاً وعنه بجوازه إن خافت على عينها بما لا طيب فيه وبه قال الشافعي لكن مع التقييد بالليل، وأجابوا عن قصة هذه المرأة باحتمال أنه كان يحصل لها البرء بغير الكحل كالتضميد بالصبر ونحوه، وفي الموطأ وغيره أنه قال: «اجعليه بالليل وامسحيه بالنهار»، والمراد أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل وإذا احتاجت إليه لم يجز بالنهار ويجوز بالليل والأولى تركه فإن فعلت مسحته بالنهار **(قد كانت إحداكن)** في الجاهلية **(تمكث)** إذا تُوفي زوجها **(في شر أحلاسها)** بمهملتين جمع حلس بكسر ثم سكون الثوب أو الكساء الرقيق يكون تحت البرذعة

أو شرِّ بيتها فإذا كان حول فمر كلب رمت ببعرة فلا حتى تمضي أربعة أشهر وعشر».

---

**(أو شر بيتها)** بالشك من الراوي وقع الوصف لثيابها أو مكانها **(فإذا كان حول)** من وفاة زوجها **(فمر)** عليها **(كلب رمت ببعرة)** بفتح الموحدة والعين وتسكن من بعر الإبل أو الغنم أي رمتها وراء ظهرها فيكون ذلك إحلالاً لها، واختلف في المراد بذلك فقيل الإشارة إلى أنها رمت العدة رمي البعرة، وقيل الإشارة إلى أن الفعل الذي فعلته من التربص والصبر على البلاء الذي كانت فيه لما انقضى كان عندها بمنزلة البعرة التي رمتها استحقاراً له وتعظيماً في حق الزوج، فَتُرِي من حضرها أن مقامها حولاً أهون عليها من بعرة ترمى بها كلباً، وظاهره أن رميها البعرة متوقف على مرور الكلب سواء طال انتظار زمن مروره أم قصر، وفي روايةٍ: «وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول» وظاهرها عدم التقييد بمرور الكلب وفي ذكر الجاهلية إشارة إلى أن الحكم في الإسلام صار بخلافه وهو كذلك بالنسبة لما وصف به من الصنيع، لكن التقدير بالحول استمر في الإسلام بنص قوله تعالى: ﴿وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ [البقرة: ٢٤٠] ثم نسخ بآية: ﴿يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ [البقرة: ٢٣٤] وهي وإن تقدمت تلاوة متأخرة نزولاً، ثم أعلم أن رميها بالبعرة يكون بعد خروجها من المكان أما قبل خروجها منه وبعد تمام الحول فيؤتى لها بداية حمار أو شاة أو طائر فتفتض به أي تمسح به قبلها فقلما تفتض بشيء إلا مات.

# كتاب النفقات

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة».

---

## كتاب النفقات

جمع نفقة قال في المصباح: نفقت الدراهم نفقاً من باب تعب نفدت ويتعدى بالهمزة فيقال أنفقتها والنفقة اسم منه، وجمعها نفاق مثل رقبة ورقاب ونفق الشيء نفقاً أيضاً فني وأنفقته أفنيته وأنفق الرجل بالألف فني زاده ونفقت الدابة نفوقاً من باب قعد ماتت ونفقت السلعة والمرأة نفاقاً بالفتح كثر طلابها، وفي الشرع ما وجب لزوجة أو قريب أو مملوك وجمعها لاختلاف أنواعها المذكورة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

**(عن أبي مسعود)** عقبة بن عامر **(الأنصاري)** البدري **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إذا أنفق المسلم على أهله)** زوجته وولده ويحتمل أن يختص بالزوجة ويلحق بها غيرها بطريق الأولى لأن الثواب إذا ثبت فيما هو واجب دائماً فثبوته فيما ليس بواجب دائماً بل يسقط في بعض الأحيان أولى **(نفقة)** دراهم أو غيرها **(وهو)** أي والحال أنه **(يحتسبها)** أي يريد بها وجه الله تعالى بأن يتذكر أنه يجب عليه الإنفاق فينفق بنية أداء ما أمر به **(كانت)** أي النفقة **(له صدقة)** أي كالصدقة في الثواب وإلا لحرمت على الهاشمي والمطلبي، والصارف له عن الحقيقة الإجماع والمراد بالصدقة الصدقة الواجبة وهي الزكاة والتشبيه واقع على أصل الثواب لا في الكمية ولا في الكيفية، ويصح أن يراد بها المندوبة، قال المهلب: النفقة على الأهل واجبة بالإجماع وإنما سماها الشارع صدقةً خشية أن يظنوا أن قيامهم بالواجب لا أجر لهم فيه، وقد عرفوا ما في الصدقة من الأجر فعرفهم أنها لهم صدقة حتى لا يخرجوها إلى غير الأهل إلا بعد أن يكفوهم المؤنة ترغيباً لهم في تقديم الصدقة الواجبة قبل صدقة التطوع، وقال ابن المنير: تسمية النفقة صدقة من جنس تسمية الصداق نِحَلَةً فلما كان احتياج المرأة إلى الرجل كاحتياجه إليها في اللذة والتأنس والتحصن وطلب الولد كان الأصل أن لا يجب لها عليه شيء، إلا أن الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله. والقائم الليل الصائم النهار».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم».

---

خص الرجل بالفضل على المرأة وبالقيام عليها ورفعه عليها درجة، فمن ثم جاز إطلاق النِّحْلة على الصداق والصدقة على النفقة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: الساعي**) أي الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفقه (**على**) المرأة (**الأرملة**) بفتح الهمزة والميم بينهما راء ساكنة أي التي لا زوج لها (**والمسكين**) في الثواب (**كالمجاهد في سبيل الله**) عزَّ وجلَّ (**أو القائم الليل**) تجوز فيه الحركات الثلاث إن جعل صفة مشبهة كما في الحسن الوجه (**الصائم النهار**) وأو للشك وفي روايةٍ: «وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر» بالواو ومطابقة الحديث للترجمة من جهة إمكان اتصاف الأهل أي الأقارب بالصفتين المذكورتين، وإذا ثبت هذا الفضل لمن ينفق على من ليس له بقريب ممن اتصف بالوصفين فالمنفق على المتصف بهما القريب أولى.

(**عن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يبيع نخل بني النضير**) بفتح النون وكسر الضاد المعجمة يهود خيبر مما أفاء الله على رسوله ﷺ مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة (**ويحبس لأهله**) زوجته وعياله من ذلك (**قوت سنتهم**) تطييباً لقلوبهم وتشريعاً لأمته، ولا يعارضه حديث: أنه كان لا يدخر شيئاً لغد، لأنه كان قبل السَّعَةِ أو لا يدخر لنفسه بخصوصها أو كان يدخر لذلك ثم تأتي المحاويج فيعطيه لهم ثم لا يدخر بعد ذلك شيئاً، وفيه جواز ادخار القوت للأهل والعيال وأنه ليس بحكرة، ولا ينافي التوكل كيف ومصدره عن سيد المتوكلين وإذا كان حال المتوكل اعتماد القلب على الله تعالى فقط فلا يقدح فيه بسبب كالتداوي لمرضٍ إذا تحقق أن الشفاء منه، وإن ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن وترك الأسباب مع فعل مخوف توكلاً منهي عنه، ومن غلبه توحيد خاصٍ أغناه عن بعض الأسباب لا يقتدي به فيه.

# كتاب الأطعمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصابني جَهْدٌ شديد فلقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستقرأته آية من كتاب الله عزّ وجلّ فدخل داره وفتحها علي فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسي فقال: «يا أبا هريرة» فقلت: لبيك رسول الله وسعديك فأخذ بيدي فأقامني

---

## كتاب الأطعمة

جمع طعام كرَحَاء وأرحية يقع على كل ما يُطْعَم حتى الماء، قال الله تعالى ﴿ومن لم يطعمه فإنه مني﴾ [البقرة: ٢٤٩] وقال النبي ﷺ في زمزم: «إنها طعام طعم وشفاء سقم» وهو في لغة أهل الحجاز البر خاصةً.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أصابني جَهد شديد)** أي من الجوع والجهد بفتح الجيم المشقة، قال في المختار: الجهد بفتح الجيم وضمها الطاقة وقرىء بهما قوله تعالى: ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ [التوبة: ٧٩] والجهد بالفتح المشقة يقال: جَهَد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها اهـ **(فلقيت عمر بن الخطاب)** رضي الله تعالى عنه **(فاستقرأته)** بهمزة قطع بعد الراء أي سألته أن يقرأ علي **(آية)** معينة على طريقة الاستفادة **(من كتاب الله تعالى فدخل داره وفتحها)** أي قرأ الآية **(علي)** وفهّمني إياها، وفي الحلية لأبي نُعيم أن الآية المذكورة في سورة آل عمران، وفيه فقلت له: أقرئني وأنا لا أريد القراءة وإنما أريد الإطعام، قال في الفتح: وكأنه سهل الهمزة فقال أقريني من القرى فلم يفطن عمر لمراده: كذا قاله. لكن يبعده قوله آية يعني التنزيل مع روايةٍ أن الآية من سورة آل عمران **(فمشيت غير بعيد فخررت)** أي سقطت **(لوجهي من الجهد والجوع)** وكان كما في الحلية يومئذٍ صائماً ولم يجد ما يفطر عليه **(فإذا رسول الله ﷺ قائم على رأسي فقال: يا أبا هريرة)** وفي نسخةٍ يا أبا هر **(فقلت لبيك رسول الله وسعديك)** منادى محذوف الأداة **(فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي)** من شدة الجوع **(فانطلق بي إلى رَحله)** بفتح الراء وسكون الحاء المهملة أي مسكنه

وعرف الذي بي فانطلق إلى رحله فأمر لي بعُسٍّ من لبن فشربت منه ثم قال: «عد يا أبا هريرة» فعدت فشربت، ثم قال: «عد» فعدت فشربت حتى استوى بطني فصار كالقدح قال فلقيت عمر وذكرت له الذي كان من أمري وقلت له: تولى الله ذلك من كان أحق به منك يا عمر، والله لقد استقرأتك الآية ولأنا أقرأ لها منك، قال عمر: والله لأن أكون أدخلتك أحب إلي من أن يكون لي مثل حمر النعم.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت غلاماً في حِجْر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سم الله وكل

---

**(فأمر لي بعس)** بضم العين وتشديد السين المهملتين قدح ضخم **(من لبن فشربت منه ثم قال)** ﷺ: **(عد)** فاشرب **(يا أبا هريرة فعدت فشربت حتى استوى بطني)** أي استقام لامتلائه من اللبن **(فصار كالقِدْح)** بكسر القاف وسكون الدال بعدها حاء مهملتين السهم الذي لا ريش له في الاستواء والاعتدال **(قال)** أبو هريرة: **(فلقيت عمر وذكرت له الذي كان من أمري)** بعد مفارقتي له **(وقلت له: تولى الله)** وفي نسخةٍ: فولى بالفاء بدل الفوقية **(ذلك)** من إشباعي ودفع الجوع عني **(من كان أحق به منك يا عمر)** وهو رسول الله ﷺ، والجملة في محل نصب مفعول تولى الله **(والله لقد استقرأتك الآية ولأنا)** مبتدأ مؤكد باللام وخبره قوله: **(أقرأ لها منك، قال عمر: والله لأن أكون أدخلتك)** داري وأضفتك **(أحب إلي من أن يكون لي مثل حمر النعم)** عبر بذلك لأن الإبل كانت أشرف أموالهم.

**(عن عمر)** بضم العين **(ابن أبي سلمة)** اسمه عبد الله بن عبد الأسد **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنت غلاماً)** دون البلوغ **(في حِجْر النبي ﷺ)** بفتح الحاء وسكون الجيم أي في تربيته وتحت نظره، قال في المصباح: وحِجْر الإنسان بالفتح وقد سكر حضنه وهو ما دون إبطه إلى الكشح، وهو في حجْره أيَ كنفه وحمايته اهـ وفي القاموس: الحجْر مثلثة المنع وحضن الإنسان ونشأ في حجْره وحَجَرَه أي حفظه وستره اهـ وقد كان عمر هذا ابن أم سلمة زوج النبي ﷺ **(وكانت يدي تطيش)** بالطاء المهملة والشين المعجمة أي تتحرك وتمتد **(في)** نواحي **(الصحفة)** ولا يقتصر على موضع واحد وكان الظاهر كما في شرح المشكاة أن يقول: كنت أطيش يدي في الصحفة فأسند الطيش إلى اليد مبالغةً، وأنه لم يكن يراعي أدب الأكل **(فقال رسول الله ﷺ: يا غلام سم الله)** ندباً طرداً للشيطان ومنعاً له من الأكل، وهي سنة كفاية إذا أتى بها البعض سقط الطلب عن الباقين لأن المقصود من منع الشيطان من الأكل يحصل بواحد، ويستحب الإتيان بها من كل واحد بناءً على ما عليه الجمهور من أن سنة الكفاية كفرضها مطلوبة من الكل لا من البعض فقط، ويقاس بالأكل كل الشرب وأقلها بسم وأكملها بسم الله الرحمن الرحيم، فإن تركها ولو عمداً في أوله قال في أثنائه: بسم الله أوله وآخره كما في الوضوء، ولو

بيمينك وكل مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد. عن عائشة رضي الله عنها قالت تُوفي رسول الله ﷺ حين شبعنا من الأسودين التمر والماء.

---

سمى مع كل لقمة فهو أحسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، وما قاله في الإحياء أنه يستحب أن يقول مع الأولى: بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم تعقبه في الفتح بأنه لم ير لاستحباب ذلك دليلاً **(وكُلْ** ندباً **بيمينك)** لأن الشيطان يأكل بالشِّمال فيكره الأكل بها ويقاس به الشرب ولأن اليمين أقوى في الغالب وأمكن، وهي مشتقة من اليمن بمعنى البركة فهي وما نسب إليها وما اشتق منها محمود لغةً وشرعاً وديناً، ونص الشافعي في الرسالة والأم على الوجوب لورود الوعيد في الأكل بالشمال، ففي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ رأى رجلاً يأكل بشماله فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع قال: لا استطعت فما رفعها إلي فيه بعد اهـ إلا أن يقال: أن مراده بالوجوب التأكد فلا ينافي ما مر **(وكُلْ مما يليك)** لأن أكله من موضع يد صاحبه فيه سوء عشرة وترك مودة لتقذر النفس لا سيما في الأمراق ولما فيه من إظهار الحرص والنهم وسوء الأدب وأشباهها فإن كان تمراً فقد نقلوا إباحة اختلاف الأيدي في الطبق، والذي ينبغي التعميم حملاً على عمومه حتى يثبت دليل مخصص، وقد نص أئمتنا على كراهة الأكل مما يلي غيره ومن الوسط والأعلى، وأما نص الشافعي على التحريم فمحمول على المشتمل على الإيذاء قال عمر بن أبي سلمة: **(فما زالت تلك طعمتي)** بكسر الطاء اسم للهيئة أي صفة أكلي **(بعد)** بالبناء على الضم أي استمر صنيعي ذلك في الأكل.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: توفي رسول الله ﷺ حين شبعنا من الأسودين التمر والماء)** وهو من باب التغليب كالقمرين للشمس والقمر وشبعهم من ذلك كان من حين فتح خيبر لما مر في غزوة حنين من طريق عكرمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «لما فتحنا خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر» وفي حديث ابن عمر قال: «ما شبعنا حتى فتحنا خيبر» فالمراد أنه ﷺ توفي حين شبعوا واستمر شبعهم وابتداؤه من فتح خيبر، وذلك قبل وفاته ﷺ بثلاث سنين، فقول بعضهم: أن قوله: حتى شبعنا ظرف لتوفي ومعناه ما شبعنا قبل زمان وفاته مردود بما ذكر، ومراد عائشة بما أشارت إليه من الشِّبع هو من التمر خاصةً دون الماء لكن فيه إيماء إلى أن تمام الشبع حصل بجمعهما فكان الواو فيه بمعنى مع لا أن الماء وحده يوجد منه الشِّبع، وفي الحديث جواز الشِّبع وما جاء من النهي عنه محمول على الشِّبع الذي يثقل المعدة ويثبط صاحبه عن القيام بالعبادة ويفضي إلى البطر والأشر والنوم والكسل، وقد تنتهي كراهته إلى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة، وتحرم الزيادة على قدر الشِّبع ولو من طعام نفسه وتضمن إذا لم يأذن فيها صاحب الطعام على الراجح، قال ابن عبد السلام: وإنما حرمت لأنها مؤذية للمزاج.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: ما أَكَل النبي ﷺ خبزاً مرققاً ولا شاة مسموطة حتى لقي الله. وعنه رضي الله عنه في رواية قال: ما علمت النبي ﷺ أكل على سُكُرُّجَة قط ولا خبز له مرقق قط ولا أكل على خوان قط.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة».

---

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما أكل رسول الله ﷺ خبزاً مرققاً)** بتشديد القاف الأولى الملين المحسن كالحواري أو الموسع **(ولا شاةً مسموطة)** وهي التي أزيل شعرها بعد الذبح بالماء المسخن، وإنما يصنع ذلك في الصغيرة الطرية غالباً وهو فعل المترفهين **(حتى لقي الله)** تعالى ولا يعارضه ما ثبت من أنه ﷺ أكل الكراع وهو لا يؤكل إلا مسموطاً، لأن ما هنا بالنسبة إلى الشاة بتمامها الذي هو فعل المترفهين كما علمت بخلاف الكراع فإنه يأكله غالب الناس. **(وعنه رضي الله تعالى عنه في روايةٍ)** أنه **(قال: ما علمت النبي ﷺ أكل على سُكُرُّجَة قط)** بضم السين المهملة والكاف والراء المشددة بعدها جيم مفتوحة، وقيل بفتح الراء قيل: هي قصاع كبيرها يسع ست أواق كانت العجم تستعملها في الكواميخ وما أشبهها من الجوارشيات على الموائد حول الأطعمة للهضم والتشهي وهي المسماة الآن بالسلطة، والنبي ﷺ لم يأكل على هذه الصفة قط **(ولا خبز)** بضم الخاء المعجمة **(له)** خبز **(مرقق قط ولا أكل على خوان قط)** بكسر الخاء المعجمة وضمها طبق كبير تحته كرسي ملزق به، قال في القاموس: الخوان كغراب وكتاب ما يؤكل عليه الطعام كالإخوان، وقال غيره: بالكسر الذي يؤكل عليه معرب والأكل عليه من دأب المترفهين وصنع الجبابرة لئلا يفتقروا إلى التطأطؤ عند الأكل، بخلاف ما كان عليه ﷺ وأصحابه فإنهم كانوا يأكلون على السُّفر بضم السين المهملة وفتح الفاء جمع سفرة اسم لما يوضع عليه الطعام، وأصلها الطعام نفسه يتخذ للمسافر، وقول أنس: ما علمت فيه نفي العلم وإرادة نفي المعلوم فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وإنما صح هذا منه لطول ملازمته ﷺ مفارقته إلى أن مات، وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة أنه زار قومه فأتوه برقاقٍ فبكى وقال: «ما رأى رسول الله ﷺ هذا بعينه».

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: طعام الاثنين)** المشبع لهما **(كافي الثلاثة)** لقوتهم **(وطعام الثلاثة)** المشبع لهم **(كافي الأربعة)** لقوتهم لما ينشأ من بكرة الاجتماع فكلما كثر الجمع ازدادت البركة، وعند مسلم: «طعام الواحد يكفي الإثنين». وعند ابن ماجه من حديث عمر رضي الله تعالى عنه: «أن طعام الواحد يكفي الإثنين وأن طعام الإثنين يكفي الثلاثة والأربعة وأن طعام الأربعة يكفي الخمسة والستة»، ويؤخذ من ذلك أنه ليس المراد من الحديث المذكور الحصر بل المراد أن مطلق

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان لا يأكل حتى يُؤتى بمسكين يأكل معه فأتي يوماً برجل يأكل معه فأكل كثيراً فقال لخادمه: لا تدخل هذا علي سمعت النبي ﷺ يقول: «المؤمن يأكل في معًى واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

---

طعام القليل يكفي الكثير، وقيل: المراد بهذه الأحاديث الحض على المكارم والتقنع بالكفاية وليس المراد الحصر في المقدار، وإنما المراد المواساة وأنه ينبغي للإثنين إدخال ثالث لطعامهما وإدخال رابعٍ أيضاً بحسب من يحضر، ولا يستقل ما عنده فإن القليل قد يحصل به الاكتفاء.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان لا يأكل حتى يُؤتى)** بضم التحتية وفتح الفوقية **(بمسكين يأكل معه فأُتي يوماً برجل)** وهو ابن نهيك كما في بعض الروايات **(يأكل معه فأكل كثيراً فقال)** ابن عمر **(لخادمه)** نافع مولاه: **(لا تدخل هذا علي)** لما فيه من الاتصاف بصفة الكافر وهي كثرة الأكل، ونفس المؤمن تنفر ممن هو متصف بصفة الكافر ثم استدل على ذلك بقوله: **(سمعت النبي ﷺ يقول: المؤمن يؤكل في مِعىً واحدٍ)** بكسر الميم والقصر وهو محل الأكل من الإنسان **(والكافر يأكل في سبعة أمعاء)** بالمد وهي المصارين ومما يؤيد أن كثرة الأكل صفة للكافر، قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ [محمد: ١٢] وتخصيص السبعة قيل للمبالغة وللتكثير كما في قوله تعالى: ﴿والبحر يمده من بعده سبة أبحر﴾ [لقمان: ٢٧] فيكون المراد أن المؤمن يقل حرصه وشرهه على الطعام ويبارَك له في مأكله ومشربه فيشبع بالقليل، والكافر يكون كثير الحرص شديد الشره لا يطمح بصره إلا للمطاعم والمشارب كالأنعام فمثل ما بينهما من التفاوت في الشره بما بين من يأكل في معىً واحد ومن يأكل في سبعة أمعاء: وقال القرطبي شهوات الطعام سبع: شهوة الطبع وشهوة النفس وشهوة العين وشهوة الفم وشهوة الأذن وشهوة الأنف وشهوة الجوع وهي الضرورية التي يأكل بها المؤمن، وأما الكافر فيأكل بالجميع ونقل القاضي عياض عن أهل التشريح أن أمعاء الإنسان سبعة: المعدة ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها البواب والصائم والرقيق وهي كلها رقاب ثم ثلاثة غلاظ الأعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر، وحينئذٍ يكون المعنى أن الكافر لكونه يأكل بشره لا يشبعه إلا ملء أمعائه السبعة والمؤمن يشبعه ملء مِعىً واحد، وهذا باعتبار الأعم الأغلب ولذا قال أبو نهيك لما قال له ابن عمر ذلك: «فأنا أومن بالله ورسوله» فلا يلزم إتحاد الحكم في كل مؤمنٍ وكافرٍ فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيراً إما بحسب العادة وإما لعارض يعرض له من مرضٍ باطن أو لغير ذلك، وقد يكون في الكفار من يأكل قليلاً إما لمراعاة الصحة على رأي الأطباء وإما للرياضة على رأي الرهبان، وإما لعارض كضعف، قال في شرح المشكاة: ومحصل القول أن من شأن

عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ فقال لرجل عنده: «لا آكل وأنا متكىء».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه.

عن سهل رضي الله عنه أنه قيل له هل رأيتم في زمان النبي ﷺ النَقِيّ: قال:

---

المؤمن الحرص على الزهادة والاقتناع بالبلغة بخلاف الكافر فإذا وجد مؤمن أو كافر على غير هذا الوصف لا يقدح في الحديث، قال بعضهم: ومن أعمل فكره فيما يصير إليه منعه من استيفاء شهوته، وفي حديث أبي أمامة رفعه: «من كثر تفكره قلَّ مطعمه ومن قلَّ تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه» وقالوا: لا تدخل الحكمة معدة ملئت من الطعام، ومن قلَّ طعامه قلَّ شربه وخف منامه ومن خف منامه ظهرت بركة عُمُره، ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن ثقل نومه محقت بركة عُمُره. وعند الطبراني من حديث ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الشِّبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة»، وعند البيهقي في الشُّعَب من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ أراد أن يشتري غلاماً فألقى بين يديه تمراً فأكل الغلام فأكثر فقال رسول الله ﷺ: «إن كثرة الأكل شؤم» وأمر برده.

**(عن أبي جحيفة)** وهب بن عبد الله السوائي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنت عند النبي ﷺ فقال لرجل عنده: لا آكل وأنا متكىء)** على أحد الجانبين كالمتجبر أو على الأيسر منهما، أو هو التمكن في الجلوس للأكل على أي صفةٍ كانت أو الاعتماد على الوطاء الذي تحته كفعل من يستكثر من الطعام فأقعد له مستوفزاً، قال في الفتح: وسبب هذا الحديث قصة الأعرابي المذكور في حديث عبد الله بن بشر عند ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن قال: أهديت للنبي ﷺ شاةً فجثا على ركبتيه يأكل فقال له الأعرابي ما هذه الجلسة؟ قال: «إن الله تعالى جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» ويؤخذ من ذلك كراهة الأكل متكئاً لأنه من فعل المستعظمين، وأصله مأخوذ من ملوك العجم فالسنة أن يجثو على ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب الرجل اليمنى ويجلس على اليسرى.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط)** سواء كان من صنعة الآدمي أو لا فلا يقول مالح غير ناضج ونحو ذلك**(إن اشتهاه أكله وإن كرهه)** كالضب **(تركه)** واعتذر بكونه لم يكن بأرض قومه، وهذا كما قال ابن بطَّال: من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون فيه من جهة الشرع لا عيب فيه.

**(عن سهل)** بفتح السين المهملة وسكون الهاء ابن سعد الساعدي **(رضي الله تعالى**

لا قيل: فهل كنتم تنخلون الشعير؟ قال: لا ولكن كنا ننفخه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ يوماً بين أصحابه تمراً فأعطى كل إنسان سبع تمرات فأعطاني سبع تمرات إحداهن حَشَفَة فلم يكن فيهن تمرة أعجب إلي منها شدت في مِضاغي.

وعنه أيضاً رضي الله عنه أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى أن يأكل وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير.

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البُر ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قبض.

وعنها أيضاً رضي الله عنها أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك

---

عنه أنه قيل له: **هل رأيتم في زمان النبي ﷺ النقي؟**) بفتح النون وكسر القاف وتشديد التحتية الخبز الحواري وهو ما نقي دقيقه من الشعير وغيره فصار أبيض (**قال**) سهل: (**لا**) أي ما رأينا في زمانه ﷺ النقي (**قيل**) له: (**فهل كنتم تنخلون الشعير**) بعد طحنه؟ (**قال**) سهل (**لا، ولكن كنا ننفخه**) بعد طحنه ليطير منه قشوره ويلينون ما بقي بالماء ويأكلونه وفي روايةٍ: «ما رأى رسول الله ﷺ النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله، وما رأى منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه»، والتقييد بما بعد البعثة يحتمل أن يكون احترازاً عما قبلها إذ كان ﷺ يسافر إلى الشام والخبز النقي والمناخل وآلات الترفه بها كثيرة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قسم النبي ﷺ يوماً بين أصحابه تمراً فأعطى كل إنسان سبع تمرات فأعطاني سبع تمرات إحداهن حشفة**) بحاء مهملة ثم معجمة ثم فاء مفتوحات من أردأ التمر (**فلم يكن فيهن تمرة أعجب إلي منها**) أي من الحشفة (**شدَّت**) اليدين المعجمة والدال المشددة المهملة المفتوحتين أي اشتدت وامتدت (**في مِضاغي**) بكسر الميم بعدها ضاد معجمة وبعد الألف غين معجمة يحتمل أن يراد به ما يمضغ به وهو الأسنان، وأن يراد به المضغ نفسه وبعضهم ضبطه بفتح الميم وهو الطعام الذي يمضغ، قال في المصباح، والمَضاغ مثل سلام ما يمضغ اهـ أي اشتدت حال كونها في جملة طعامي الممضوغ (**وعنه رضي الله تعالى عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مَصْليَّة**) بفتح الميم وسكون الصاد المهملة أي مشوية (**فدعوه**) بفتح الدال والعين المهملتين وسكون الواو أي طلبوه أن يأكل منها (**فأبى**) أي امتنع (**أن يأكل**) منها زهداً (**وقال**) في حكمة ذلك: (**خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير**).

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البُر**) الإضافة بيانية (**ثلاث ليالٍ**) بأيامهن (**تِباعاً**) بكسر الفوقية (**حتى قبض**) بضم القاف وكسر الموحدة إيثاراً للجوع وقلة الشِّبع مع الجِدَة (**وعنها أيضاً رضي الله تعالى**

النساء ثم تفرقن إلاَّ أهلها وخاصتها، أمرت ببرمة من تلبينة فطبخت ثم صنع ثريد فصبت التلبينة عليها ثم قالت كلن منها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن».

عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة».

---

**عنها أنها كانت إذا مات الميت من أهلها فاجتمع لذلك)** اليمت **(النساء ثم تفرقن إلا أهلها وخاصتها أمرت بُبرمة)** بضم الموحدة قدر من حجارة، قال في المصباح: البُرمة القدر من الحجر والجمع بُرَم مثل غرفة وغرف اهـ ولعل المراد بالحجارة الطين المحرق وهو الخزف، والمراد بالبُرمة ما فيها وبينته بقولها: **(من تلبينة فطبخت)** بضم الطاء والتلبينة بفتح الفوقية وسكون اللام وكسر الموحدة وبعد التحتية الساكنة نون مفتوحة، قال البيضاوي: حَسْوٌ رقيق يتخذ من الدقيق واللبن أو من الدقيق أو من النخالة، وقد يجعل فيه العسل سميت بذلك تشبيهاً لها باللبن لبياضها ورقتها **(ثم صنع)** بضم الصاد **(ثريد فصبت التلبينة)** بضم الصاد أيضاً **(عليها وقالت لهن: كُلْنَ)** أي منها كما في بعض النسخ **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: التلبينة مجمة)** بفتح الميم الأولى والجيم والميم الثانية المشددة وتكسر الجيم وبضم الميم وكسر الجيم اسم فاعل أي مريحة **(لفؤاد المريض تذهب ببعض الحزن)** بضم الحاء المهملة وسكون الزاي أو بفتحهما والفؤاد رأس المعدة وفؤاد الحزين يضعف باستيلاء اليبس على أعضائه ومعدته لتقليل الغذاء، وهذا الطعام يربطها ويقويها ويفعل ذلك بفؤاد المريض.

**(عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تلبسوا)** أيها الرجال ومثلهم الخناثى **(الحرير ولا الديباج)** الثياب المتخذة من الابريسم وهو فارسي معرب وكذا ما أكثره من ذلك **(ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها)** أي الصحاف منها أي الآنية لأنها تكون صحفة وغيرها، وقيل: الضمير للفضة ويعلم منه حكم الذهب بالأولى **(فإنها لهم)** أي الكفار **(في الدنيا)** قال الإسماعيلي: ليس المراد بقوله لهم في الدنيا إباحة استعمالهم إياها وإنما المعنى أنهم الذي يستعملونها مخالفة لزِيِّ المسلمين **(وهي لكم)** وفي نسخةٍ ولنا **(في الآخرة)** مكافأة على تركه في الدنيا ويمنعه أولئك جزاءً على معصيتهم باستعمالها، وروى الدارقطني والبيهقي عن ابن عمر: «من شرب في آنية الذهب والفضة أو إناء فيه شيء من ذلك فإنما يجرجر في جوفه نار جهنم»، وعنه أنه كان لا يشرب من قَدَح فيه حلقة فضة ولا ضبة فضة، وفي الأوسط للطبراني: نهى رسول الله ﷺ عن تفضيض الأقْدَاح ثم رخص فيه

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رجلٌ من الأنصار يقال له أبو شعيب وكان له غلام لحام، فقال اصنع لي طعاماً أدعو رسول الله ﷺ خامس خمسة فدعا رسول الله ﷺ خامس خمسة فتبعهم رجل فقال النبي ﷺ: «إنك دعوتنا خامس خمسة وهذا رجل قد تبعنا فإن شئت أذنت له وإن شئت تركته» قال: بل أذنت له.

---

للنساء، فيحرم استعمال واتخاذ كل إناء جميعه أو بعضه ذهب أو فضة للرجال والنساء، وكذا المضبب بذهب مطلقاً أو بفضة ضبة كبيرة لغير حاجة بأن كانت لزينة أو بعضها لزينة وبعضها لحاجة، فإن كانت صغيرة لغير حاجة بأن كانت لزينة أو بعضها لزينة وبعضها لحاجة كُرِه ذلك لأن قدحه ﷺ الذي كان يشرب فيه كان مسلسلاً بفضة لانصداعه أي مشعباً بخيط فضة لا نشقاقه، وخرج بغير حاجة الصغيرة لحاجة فلا تكره، ومرجع الصغيرة والكبيرة العُرْف ويحل نحاس مُوّهَ بذهب أو فضة إن لم يحصل من ذلك شيء بالعرض على النار لقلة المموه به فكأنه معدوم، بخلاف ما إذا حصل منه شيء بها لكثرته.

(**عن أبي مسعود**) عقبة بن عامر (**الأنصاري**) البدري (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: كان رجل من الأنصار يقال له: أبو شعيب**) لم يعرف اسمه (**وكان له غلام**) لم يعرف اسمه أيضاً (**لحام**) أي يبيع اللحم (**فقال**) أبو شعيب لغلامه: (**اصنع لي طعاماً أدعو رسول الله ﷺ**) حال كونه (**خامس خمسة**) وفي روايةٍ اجعل لي طعاماً يكفي خمسة فإني أريد أن أدعو رسول الله ﷺ، وقد عرفت في وجهه الجوع (**فدعا**) فيه حذف تقديره فصنع له الطعام فدعا (**رسول الله ﷺ خامس خمسةٍ**) يقال خامس أربعة وخامس خمسة ومعنى خامس أربعة زائد عليهم، وخامس خمسة أحدهم والأجود نصب خامس على الحال ويجوز رفعه بتقدير وهو خامس (**فتبعهم رجل**) لم يسم (**فقال رسول الله ﷺ**) لأبي شعيب: (**إنك دعوتنا**) حال كوني (**خامس خمسة وهذا رجل قد تبعنا فإن شئت أذنت له**) بفتح التاء في الفعلين كقوله: (**وإن شئت تركته فقال**) أبو شعيب: (**بل أذنت له**) فيه أن من تطفل في الدعوة كان لصاحب الدعوة الاختيار في حرمانه فإن دخل بغير إذن كان له إخراجه وأنه يحرم التطفل إلا إذا علم رضى المالك به لما بينهما من الأنس والانبساط، وقيد ذلك الإمام بالدعوة الخاصة أما العامة كأن فتح الباب ليدخل من شاء فلا تطفل، وفي سنن أبي داود بسند ضعيفٍ عن ابن عمر رفعه: «من دخل بغير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً» والطفيلي المأخوذ من التطفل منسوب إلى طفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتي الولائم بلا دعوة فكان يقال له: طُفَيل الأعراس، فسمي من اتصف بصفته طفيلياً وكانت العرب تسميه الوارش بشين معجمة وتقول لمن يتبع الدعوة بغير دعوة ضيفنن بنون

عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل الرطب بالقثاء.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان بالمدينة يهودي وكان يسلفني في تمري إلى الجذاذ، وكانت لجابر الأرض التي بطريق رومة فجلست فخلا عاماً

---

زائدة، وللحافظ أبي بكر الخطيب جزء في الطفيلية جمع فيه مِلَح أخبارهم.

**(عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب)** أول من ولد من المهاجرين بالحبشة وله صحبة **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: رأيت النبي ﷺ يأكل الرُطب بالقِثَّاء)** ولمسلم يأكل القِثَّاء بالرُّطب والرطب بوزن صرد نضيج البُسر واحدة رطبة والقِثَّاء قال في القاموس: بالكسر والضم معروف أو هو الخيار اهـ وفي المصباح وكسر القاف أكثر من ضمها وهو اسم لما يسميه الناس الخيار والعجو والفقوس الواحدة قِثاة، وبعض الناس يطلق القثاء على نوع يشبه الخيار اهـ وإنما جمع ﷺ بينهما ليعتدلا فإن كل واحد منهما مصلح للآخر مزيل لأكثر ضرره فالقِثَّاء مسكن للعطش منعش للقوى بشمه لما فيه من العطرية مطفيء للحرارة في المعدة الملتهبة غير سريع الفساد، والرطب حار في الأولى رطب في الثانية يقوي المعدة الباردة لكنه معطش سريع التعفن معكر للدم مصدع فقابل الشيء البارد بالمعاند له، فإن القثاء إذا أكل معه ما يصلحه كالرُّطب أو الزبيب أو العسل عدله ولذا كان مسمناً مخصباً للبدن، وفي حديث أبي داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أرادت أمي أن تسمنني لدخولي على رسول الله ﷺ فلم أقبل عليها بشيء ثم حتى أطعمتني القثاء بالرُّطب فسمنت عليه كأحسن السِّمَن، وروى الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر قال: رأيت في يمين رسول الله ﷺ قِثَّاء وفي شماله رطبات وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة لكن في إسناده ضعف ولعله إن ثبت كان معناه أنه كان يأخذ بيده اليمنى من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع القثاء التي في يمينه.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كان بالمدينة يهودي)** قال في المقدمة لم أعرف اسمه، ويحتمل أن يكون هو أبو الشحم **(وكان يسلفني)** بضم الياء من الإسلاف **(في تمري إلى الجذاذ)** بكسر الجيم وفتحها وبالذال المعجمة ويجوز إهمالها أي زمن قطع ثمر النخل وهو الصرام **(وكانت لجابر)** فيه التفات من التكلم إلى الغيبة **(الأرض التي بطريق رومة)** بضم الراء وسكون الواو بعدها ميم وهي البئر التي اشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه وسبلها، وهي في نفس المدينة، ورواية دومة بالدال بدل الراء ذكرها الكرماني، قال ابن حجر: باطلة لأن دَوْمة الجندل لم تكن إذ ذاك فتِحَت حتى يكون لجابر فيها أرض، وأيضاً ففي الحديث: أنه ﷺ مشى إلى أرض جابر وأكل من رطبها ونام فيها، فلو كانت بطريق دَوْمة الجندل لاحتاج إلى السفر لأن بين

فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجد منها شيئاً فجعلت أستنظره إلى قابلٍ فيأبى فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال لأصحابه: «امشوا نستنظر لجابر من اليهودي فجاؤوني في نخلي فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي فيقول: أبا القاسم لا أنظره فلما رأى النبي ﷺ قام فطاف في النخل ثم جاءه فكلمه فأبى فقمت فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدي النبي ﷺ فأكل ثم قال: «أين عريشك يا جابر»، فأخبرته فقال: «افرش لي فيه»، ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ فجئته بقبضة أخرى فأكل منها ثم قام فكلم

---

دومة الجندل والمدينة عشر مراحل، وأجاب العيلي بأن المراد كانت لجابر أرض كائنة بالطريق التي يُسار منها إلى دومة الجندل وليس المعنى الأرض التي بدومة الجندل **(فجلست)** بالجيم واللام والسين المفتوحات الفوقية الساكنة أي فجلَسَت الأرض أي تأخرت عن الإثمار، وفي نسخةٍ فخاست بخاء معجمة بعد الفاء وبعد الألف سين مهملة ففوقية أي خالفت معهودها وحملها، يقال خاس عهده إذا خانه أو تغير عن عادته وخاس الشيء إذا تغير **(فخلا)** بالفاء والخاء المعجمة واللام المخففة من الخلو أي تأخر السلف **(عاماً)** عن قضائه في وقته المعين وفي نسخةٍ فجلست نخلا بالنون وفي أخرى فخاست نخلها بالنون أيضاً أي مكثت نخلاً من غير تمرٍ كثير أو خالف نخلها عادته في الإثمار **(فجاءني اليهودي عند الجذاذ ولم أجِد)** بضم الجيم **(منها شيئاً فجعلت أستنظره إلى قابل)** أي أطلب منه أن يمهلني إلى عام ثانٍ لظني أن الثمر في هذا العام لا يفي بدينه **(فيأبى)** أي يمتنع عن الإمهال **(فأُخبِرُ بذلك رسول الله ﷺ)** بضم همزة فأخبر وكسر الموحدة وجوز في الفتح احتمال أن يكون بضم الراء على صيغة المضارعة والفاعل جابر، وذكره لذلك مبالغة في استحضار صورة الحال **(فقال لأصحابه امشوا نستنظر)** بالجزم أي نطلب الإنظار **(لجابر من اليهودي فجاؤوني في نخلي فجعل النبي ﷺ يكلم اليهودي)** أن ينظرني في دَيْنِه **(فيقول)** اليهودي للنبي ﷺ **(أبا القاسم)** بحذف أداة النداء **(لا أنظره فلما رأى النبي ﷺ)** ذلك من أمر اليهودي **(قام فطاف في النخل ثم جاءه)** أي جاء النبي ﷺ إلى اليهودي **(فكلمه)** أن ينظرني **(فأبى)** قال جابر: **(فقمت فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدي النبي فأكل)** منه **(ثم قال: أين عرشك يا جابر)** بسكون الراء وفي نسخةٍ عريشك بكسر الراء وسكون الياء التحتية أي المكان الذي اتخذته من بستانك تستظل به وتقيل فيه، والعرش البناء قال الله تعالى: ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي أبنيتها **(فأخبرته)** به **(فقال: افرش لي فيه)** بضم الراء ويجوز كسرها، قال في المصباح: فرشت البساط وغيره فرشاً من باب قتل وفي لغة من باب ضرب بسطته اهـ **(ففرشته فدخل)** فيه **(فرقد ثم استيقظ فجئته بقبضة أخرى)** من الرطب **(فأكل منها ثم قام فكلم اليهودي فأبى عليه)** أي امتنع من الإنظار **(فقام)** عليه

اليهودي فأبى عليه فقام في الرطاب في النخل الثانية ثم قال: «يا جابر جذ واقض» فوقف في الجذاذ فجذذت منها ما قضيته وفضل مثله فخرجت حتى جئت النبي ﷺ فبشرته فقال: «أشهد أني رسول الله».

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر».

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا أكل أحدكم فلا يمسح يده حتى يَلْعَقها أو يُلْعِقها».

---

الصلاة والسلام **(في الرطاب)** بكسر الراء الكائنة **(في النخل)** المرة **(الثانية ثم قال: يا جابر جُذ)** بضم الجيم وكسرها والإعجام والإهمال أي اقطع **(واقض)** دين اليهودي **(فوقف في)** حال **(الجذاذ فجذذت منها ما قضيته)** كله **(وفضل مثله)** وفي نسخةٍ منه **(فخرجت حتى جئت النبي ﷺ فبشرته)** بذلك **(فقال: أشهد أني رسول الله)** وفي نسخةٍ: وحده وإنما قال ذلك ﷺ لما فيه من خرق العادة الظاهرة من إيفاء الكثير من القليل الذي لم يكن يظن به أن يوفي منه البعض فضلاً عن الكل فضلاً على أن يفضل فضلة فضلاً عن أن يفضل قدر الذي كان عليه من الدينَ.

**(عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: من تصبح)** بتشديد الموحدة أي أكل صباحاً قبل أن يأكل شيئاً **(كل يوم سبع تمرات عجوة)** بتنوينهما مجرورين على التمييز وفي نسخةٍ: تمرات عجوة بإضافة تمرات لتاليه من إضافة العام للخاص لأن العجوة نوع من تمر المدينة **(لم يضره)** بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء[1] من الضرر وفي نسخةٍ يضره بكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره إذا أضره **(في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْر)** وليس هذا من طبعها إنما هو بركة دعوة سبقت كما قاله الخطابي، وقال النووي: تخصيص عجوة المدينة وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمها فيجب الإيمان بها، وقال المظهري: يحتمل أن يكون في ذلك النوع هذه الخاصية وفي سنن أبي داود من حديث جابر وأبي سعيد الخدري مرفوعاً: «العجوة من الجنة وهي شفاء من السُّم» وفي حديث عائشة عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «في عجوة العالية شفاء وأنها ترياق أول البكرة» ورواه أحمد ولفظه: «في عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سقم».

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال: إذا أكل أحدكم)** طعام **(فلا يمسح يده)** لا ناهية والفعل معها مجزوم **(حتى يلعقها)** بفتح الياء والعين بينهما لام ساكنة

---

(١) **(قوله من الضرر)** هو سهو فان أخذه من الضرر يقتضي أن يكون بضم الضاد وفتح الراء مشددة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا زمان النبي ﷺ لم تكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا.

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا دموع ولا مستغني عنه ربنا».

---

أي حتى يلحسها هو **(أو يلعقها)** بضم أوله وكسر ثالثه أي يلحسها غيره ممن لا يتقذر ذلك كزوجة وولد وخادم وكتلميذ يعتقد بركته فإنه لا يدري في أي طعامه البركة كما رواه مسلم من حديث جابر وأبي هريرة، ولما فيه من تلويث ما يمسح به مع الاستغناء عنه بالريق، وقيل: إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام وقوله فإنه لا يدري في أي طعامه البركة لا ينافي إعطاء يده لغيره ليلعقها فهو من باب التشريك فيما فيه البركة، وفي حديث كعب بن مالك عند مسلم: كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع فإذا فرغ لعقها قال في الفتح: فيحتمل أن يكون أطلق على الأصابع اليد ويحتمل وهو أولى أن يكون أراد باليد الكف كلها، فيشمل الحكم من أكل بكفه كلها أو أصابعه فقط أو ببعضها، ويؤخذ منه أن السنة الأكل بثلاث أصابع وإن كان الأكل بأكثر منها جائزاً، وفي حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في الأوسط قال: «رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم تليها ثم الإبهام»، والسِّرُّ في ذلك أن الوسطى يكثر تلويثها لأنها أطول ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ويحتمل أن الذي يلعق يكون بطن كفه إلى جهة وجهه فإذا ابتدأ بالوسطى انتقل إلى السبابة على جهة يمينه وكذا الإبهام والحديث ردٌّ على من كره لعق الأصابع استقذاراً.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كنا زمان رسول الله ﷺ لم تكن لنا مناديل)** جمع منديل بكسر الميم ما يمسح به نحو اليد مأخوذ من ندلت الشيء ندلاً من باب قتل إذا جذبته أو أخرجته ونفلته **(إلا أكفنا وسواعدنا وأقدامنا)** كنا نمسح فيها أثر الطعام لضيق العيش وقلة تعاطي الأطعمة التي فيها دسومة.

**(عن أبي أمامة)** صُدي بن عجلان **(رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته)** وفي روايةٍ إذا فرغ من طعامه ورفعت مائدته، وفي أخرى إذا رفع طعامه من بين يديه، والمائدة تطلق ويراد بها نفس الطعام أو بقيته أو إناؤه وعن البخاري إذا أكل الطعام على شيءٍ ثم رفع قيل رفعت المائدة **(قال الحمد لله)** حمداً **(كثيراً طيباً مباركاً فيه)** بفتح الراء **(غير مَكْفي)** بنصب غير ورفعه ومكفي بفتح الميم وسكون الكاف وتشديد التحتية والضمير راجع إلى الطعام الدال عليه السياق، وهو اسم مفعول من الكفاية وأصله مكفوي قلبت الواو ياء وأغمت في الياء ثم أبدلت الضمة كسرة لأجل الياء والمعنى هذا الذي

وعنه أيضاً في رواية أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور».

---

أكلناه ليس فيه كفاية عما بعده بحيث ينقطع بل نعمك مستمرة لنا طول أعمارنا غير منقطعة، أو ليس فيه كفاية بنفسه لأن الله تعالى هو المطعم لعباده والكافي لهم، وقيل الضمير راجع إلى الله تعالى أي أنه تعالى غير مكفي بهذا الحمد يعني أن هذا الحمد ليس فيه كفاية في شكر نعمه تعالى، وقيل إلى الحمد ومكفي من كفأت الشيء قلبته أي غير مردود ولا مقلوب **(ولا مُوَدَّع)** بضم الميم وفتح الواو والدال المهملة المشددة أي حال كون الحمد غير متروك أو حال كون الله تعالى غير متروك الطلب منه والرغبة فيما عنده، ويجوز كسر الدال أي غير تارك فيكون حالاً من القائل أي حال كوني غير تارك الحمد ومعرض عنه أو للطلب من الله تعالى **(ولا مستغنىً عنه)** بفتح النون والتنوين أي غير مطروح ولا معرض عنه بل يُحتاج إليه فهو تأكيد لما قبله **(ربنا)** بالنصب على المدح أو الاختصاص أو النداء، ويجوز الرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو وبالجر على البدل من اسم الله تعالى في قوله: الحمد لله، أو من الضمير في عنه بناء على رجوعه لله تعالى، قال الكرماني: وباعتبار مرجع الضمير ورفع غير ونصبه تكثر التوجيهات بعددها **(وعنه أيضاً في روايةٍ أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من)** أكل **(طعامه قال: الحمد لله الذي كفانا)** من الكفاية الشاملة للشبع والرِّي وغيرهما وحينئذٍ فيكون قوله **(وأروانا)** من عطف الخاص على العام وفي نسخةٍ وآوانا بمد الهمزة بعدها من الإيواء **(غير مكفي ولا مَكفور)** أي ولا مجحود فضله ونعمته وهذا يؤيد أن الضمير في الرواية الأولى راجع إلى الله تعالى، وعند أبي داود من حديث أبي سعيد: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»، وفي حديث أبي أيوب عند الترمذي وأبي داود: «الحمد لله أطعم وسقى وسوَّغه وجعل له مخرجاً»، وورد عنه ﷺ أدعية أخرى عقب الطعام وعند أكله طعام قوم، وورد أنه كان إذا أكل مع قوم كان آخرهم أكلاً وروى ابن ماجه وغيره مرفوعاً: «إذا وضعت المائدة فلا يقوم الرجل وإن شبع حتى يفرغ القوم فإن ذلك يخجل جليسه، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة» ويستحب غسل اليد قبل الطعام لأنه ينفي الفقر وبعده لأنه ينفي اللمم وهو الجنون، ولا ينشفها قبل الأكل فإنه ربما يكون بالمنديل وسخ فيعلق بها ويقدم الصبيان في الغسل الأول لأنهم أقرب إلى الأوساخ، وربما نفد الماء لو قُدِّم الشيوخ، وفي الثاني تقدم الشيوخ كرامةً لهم ويقدم المالك في الأول ويؤخر في الثاني وينبغي للآكل أن يضم شفتيه عند الأكل ليأمن مما يتطاير من البصاق حال المضغ، ولا يتنخم ولا يبصق بحضرة أكل غيره فإن عرض له سعال حول وجهه عن الطعام، ولا ينفض يديه من الطعام لئلا يقع منه شيء على ثوب جليسه أو في الطعام. وفي تاريخ أصبهان لأبي نُعَيم عن ابن مسعود مرفوعاً: «تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة»،

عن أنس رضي الله عنه قال: أنا أعلم الناس بالحجاب كان أُبيّ بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحشٍ وكان تزوجها بالمدنة، فدعا الناسَ للطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجالٌ بعد ما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ، فمشى ومشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا فرجع فرجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع ورجعت معه الثانية حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه ستراً وأنزل الله الحجاب.

---

ولا يتخلل بعود الريحان والرمان لأنهما يثيران عِرْق الجذام ولا بعود القصب لأنه يفسد لحم الأسنان.

(**عن أنس رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: أنا أعلم الناس بالحجاب**) أي بسبب نزول آية الحجاب (**كان أبيّ بن كعب يسألني عنه**) وسببه أنه (**أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت**) وفي نسخةٍ ابنة (**جحش**) والعروس يستوي فيه الرجل والمرأة، والعرس مدة بناء الرجل بالمرأة (**وكان تزوجها بالمدينة فدعا الناس للطعام بعد أرتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجال بعدما قام القوم**) وأكلوا من الطعام (**حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومَشَيت معه حتى بلغ باب حُجْرة عائشة ثم ظن**) عليه الصلاة والسلام (**أنهم**) أي الرجال الذين تخلفوا في منزله المقدس (**خرجوا**) منه (**فرجع ورجعت معه**) إلى منزله (**فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع ورجعت معه الثانية حتى بلغ حُجْرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد قاموا فضرب**) عليه الصلاة والسلام (**بيني وبينه ستراً وأنزل الحجاب**) بضم الهمزة مبنياً للمفعول، والحجاب رفع نائب الفاعل وفي نسخةٍ: ونزل الحجاب أي آية الحجاب وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

# كتاب العقيقة

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: ولدَ لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي.

---

## كتاب العقيقة

بفتح العين المهملة وهو لغة الشعر الذي على رأس الولد حين ولادته، وشرعاً ما يذبح عند حلق شعره لأن مذبحه يعق أي يشق ويقطع ولأن الشعر يحلق إذ ذاك ولا يكره تسميتها عقيقةً على الراجح خلافاً لابنِ أبي الدم من أصحابنا، نعم الأولى تسميتها نسيكة أو ذبيحة فتسميتها بذلك خلاف الأولى، والأصل فيها أخبارٌ كخبر: «الغلام مرتهن بعقيقته، تذبح عند يوم السابع ويحلق رأسه ويسمى» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والمعنى فيه إظهار البِشْر والنعمة ونشر النسب وهي سنة مؤكدة وإنما لم تجب كالأضحية بجامع أن كُلاً منهما إراقة دم بغير جناية ولخبر أبي داود: «من أحب أن ينسك عن ولده فليفعل»، ومعنى مرتهن بعقيقته قيل لا ينمو نمو أمثاله حتى يعق عنه، قال الخطابي: وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل أنه إذا لم يعق عنه لم يشفع لوالديه يوم القيامة، وقال الليث بن سعد: إنها واجبة وكذا قال داود وأبو الزناد، وقال أبو حنيفة فيما نقله العيني: ليست سنة، وقال محمد بن الحسن أنها تطوع كان الناس يفعلونها ثم نسخت بالأضحى وقال بعضهم: هي بدعة لما روي أنه ﷺ سُئِل عن العقيقة فقال: «ما أحب العقوق» ورد بأنه لا دلالة فيه على نفي الاستحباب لأنه كره مجرد الاسم وهي كضحية في جميع أحكامها من جنسها وسِنِّها وسلامتها والأفضل منها ونيتها والأكل والتصدق، وسُنَّ طبخها كسائر الولائم إلا رجلها فتعطى نيئة للقابلة، لحديث الحاكم. وبحلو تفاؤلاً بحلاوة أخلاق الولد، وأن لا يكسر عظمها تفاؤلاً بسلامة أعضاء الولد فإن كسر فخلاف الأَولى وأن تذبح سابع ولادته.

### بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: ولد)** بضم الواو **(لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم)**

حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها ولدت عبد الله بن الزبير تقدم في حديث الهجرة وزاد هنا: ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.

عن سلمان بن عامر الضبي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى».

---

فهو من الصحابة لما ثبت له من الرؤية لكن لم يسمع من النبي ﷺ شيئاً فهو لذلك من كبار التابعين، ولذا ذكره ابن حبان فيهما (**فحنكه بتمرةٍ ودعا له بالبركة**) وفي قوله فأتيت به فسماه فحنكه إشعار بأنه أسرع بإحضاره إليه ﷺ، وأن تحنيكه كان بعد تسميته، ففيه أنه لم ينتظر بتسميته يوم السابع (**ودفعه إليَّ**) وكان إبراهيم هذا أكبر ولد أبي موسى.

(**حديث أسماء بنت أبي بكر**) الصديق (**رضي الله تعالى عنها أنها ولدت عبد الله بن الزبير تقدم في حديث الهجرة**) وهو أنها حملت به بمكة وأتت به المدينة وهي مُتِمَّة أي مشرفة على وضعه فولدته بقباء وأتت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل في جوفه ريق النبي ﷺ، ثم حنكه بالتمرة ودعا له بالبركة (**وزاد**) الراوي (**هنا وكان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة**) بعد الهجرة من أولاد المهاجرين (**ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم: إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم**) وفي طبقات ابن سعدٍ أنه لما قدم المهاجرون المدينة أقاموا لا يولد لهم، فقالوا: سحرتنا يهود حين كثرت في ذلك المقالة فكان أول مولود بعد الهجرة عبد الله بن الزبير فكبَّر المسلمون تكبيرةً واحدةً حتى ارتجت المدينة تكبيراً.

(**عن سلمان بن عامر الضَّبِّي**) بالضاد المعجمة والموحدة المشددة الصحابي وليس له في البخاري غير هذا الحديث (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مع الغلام عقيقة**) مصاحبة له بعد ولادته (**فأهريقوا عنه**) بهمزة قطع أي فصبوا عنه (**دماً**) بذبح شاتين بصفة الأضحية عن الغلام وشاة عن الجارية كما رواه الترمذي وأبو داود والنَّسائي، لأن الغرض استيفاء النفس فأشبهت الدِّية لأن كلاً منهما فِداء النفس، وتعين بذكر الشاة الغنم للعقيقة وبه جزم أبو الشيخ الأصبهاني، وقال البندنيجي: من الشافعية لا نصَّ للشافعي في ذلك وعندي لا يُجزِىء غيرها والجمهور على إجزاء الإبل والبقر أيضاً لحديثٍ عند الطبراني عن أنس مرفوعاً يعق عنه من الإبل والبقر والغنم (**وأميطوا عنه الأذى**) وهو الشعر أي أزيلوه عنه بحلقِ رأسه كما جزم به الأصمعي وأخرجه أبو داود بسند صحيح عن الحسن، لكن وقع عند الطبراني من حديث ابن عباس: «ويماط عنه الأذى ويحلق رأسه» بعطفه عليه، فالأولى حمل إماطة الأذى على ما هو أعم من حلق الرأس ويؤيد ذلك ما في بعض الروايات: ويماط عنه أقذاره كالدم والختان،

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا فرع ولا عتيرة»، والفرع أول النتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم والعتيرة في رجب.

---

ويسن ذبح العقيقة يوم السابع ونقل الترمذي أنها يوم السابع فإن لم يتهيأ فالرابع عشر فإن لم يتهيأ فأحد وعشرون وورد فيه حديث ضعيف. وذكر الرافعي أنه يدخل وقتها بالولادة ثم قال: والاختيار أنها لا تؤخر عن البلوغ فإن أخرت إلى البلوغ سقطت عمن كان يريد أن يعق عنه، لكن إن أراد أن يعق عن نفسه فعل واختاره القفَّال ونقل عن نص الشافعي في البويطي أنه لا يُعَقُّ عن كبير اهـ.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال لاَ فَرَع**) بفتح الفاء والراء وبالعين المهملة (**ولا عَتِيْرَة**) بفتح العين وكسر الفوقية وبعد التحتية الساكنة راء فهاء تأنيث فعيلة بمعنى مفعولة، والمراد بالنفي النهي كما في رواية النسائي والإسماعيلي نهى رسول الله ﷺ، ولأحمد: «لا فَرَع ولا عتيرة في الإسلام» قال الزهري: (**والفَرَع أول النتاج**) للناقة أو الشاة (**كانوا**) في الجاهلية (**يذبحونه لطواغيتهم**) أي لأصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، وقيل كانوا إذا تمت إبل واحد منهم مائة قدم بكرة فنحره لصنمه (**والعتيرة**) النسكة التي تعتر أي تذبح وكانوا يذبحونها (**في**) العشر الأول من شهر (**رجب**) ويسمونه الرجبية، وزاد أبو داود بعد قوله وكانوا يذبحونه لطواغيتهم عن بعضهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر، وفيه إشارة إلى علة النهي وهي كون الذبح للآلهة، ويؤخذ منه أنه إذا كان لله تعالى جاز كما يدل له حديث أبي داود والنسائي سُئِل ﷺ عن الفَرَع قال: «الفَرَع حق وإن تتركه يكون بنت مخاض أو ابن لبون فيحمل عليه في سبيل الله أو تعطيه أرملةً خير من أن تذبحه يلصق لحمه بوبره» وقوله: حق أي ليس بباطل وهو كلام خرج على جواب السائل فلا مخالفة بينه وبين حديث لا فَرَع ولا عتيرة فإن معناه لا فَرَع واجب ولا عترة واجبة، وقال النووي: نص الشافعي في حرملة أن الفَرَع والعتيرة مستحبان أي لا بالمعنى المتعارف في الجاهلية.

# كتاب الذبائح والصيد والتسمية على الصيد

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «سألت النبي ﷺ عن صيد المِعراض قال: «ما أصاب بحده فكله وما أصاب بعرضه فهو وقيذ»، وسألته عن صيد الكلب

---

## (كتاب) أحكام (الذبائح)

جمع ذبيحة بمعنى مذبوحة (والصيد) مصدر ثم أطلق على المصيد قال الله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ [المائدة: ٩٦] و﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ [المائدة: ٩٥].

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن عَدي بن حاتم**) بالحاء المهملة ابن عبد الله الطائي الصحابي، أسلم عام الفتح وحضر فتوح العراق وحروب علي وأبوه حاتم هو المشهور بالجود، وكان هو أيضاً جواداً وعاش إلى سنة ثمانٍ وستين فتوفي فيها عن مائة وعشرين سنة وقيل وثمانين (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال سألت النبي ﷺ عن صيد المِعْراض**) بكسر الميم وسكون المهملة وبعد الراء ألف فضاد معجمة، أي عن حكم الصيد به وهو خشبة في رأسها كالزج يلقيها الفارس على الصيد فربما أصابته الحديدة فقتلته وأراقت دمه فيجوز أكله كالسيف والرمح، وربما أصابته الخشبة فترضه. وقال النووي: هو خشبة ثقيلة أو عصاً في طرفها حديدة وقد تكون بغير حديدة هذا هو الصحيح في تفسيره، وقال في القاموس: سهم بلا ريش دقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده، وقال ابن دقيق العيد: عصاً رأسها محدد فإن أصاب بحده أُكِل وإن أصاب بعرضه فلا. قال ابن سيده كابن دريد: سهم طويل له أربع قُذَذ رِقاق فإذا رمى به اعترض والقذة بالضم ريش السهم وجمعها قذذ (**فقال**) عليه الصلاة والسلام وفي نسخةٍ قال: (**ما أصاب**) الصيد (**بحدِّه**) أي بحد المعراض (**فكل**) لأنه مذكى (**وما أصاب**) الصيد (**بعرضه**) أي بعرض المعراض (**فهو وَقيذ**) بفتح الواو وكسر القاف وبعد الياء الساكنة التحتية ذال معجمة فعيل بمعنى مفعول أي مَيِّت بسبب ضربه بالمثقل كالمقتول بعصاً أو حجر فلا تأكله لأنه حرام، لقوله تعالى: ﴿والموقوذة﴾ [المائدة: ٣] قال عدي (**وسألته**) ﷺ (**عن صيد الكلب فقال: ما أمسك عليك**) بأن لا يأكل منه (**فكل**) منه (**فإن أخذ**

فقال: «ما أمسك عليك فكل فإن أخذ الكلب ذكاة فإن وجدت مع كلبك أو كلابك كلباً غيره فخشيت أن يكون أخذه معه وقد قتله فلا تأكل فإنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره».

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: قلت: يا نبي الله إنا بأرض قومٍ أهلِ كتاب أفنأكل في آنيتهم وبأرض صيدٍ أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلمٍ

---

**الكلب)** الصيد بسكون المعجمة مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف، وهو الصيد كما ذكر وخبر إن قوله **(ذكاة)** له فيحل أكله كما يحل أكل المذكاة وأما حديث كل وإن أكل منه فمحمول على ما إذا أطعمه صاحبه منه أو أكل منه بعد ما قتله وانصرف **(فإن)** وفي نسخة وإن **(وجدت مع كلبك)** الذي أرسلته ليصطاد **(أو)** مع **(كلابك كلباً غيره)** أي غير المذكور من كلبك أو كلابك بأن استرسل بنفسه أو أرسله مجوسي أو وثني أو مرتد **(فخشيت أن يكون)** الكلب الذي لم ترسله **(أخذه)** أي أخذ الصيد **(معه)** أي مع الذي أرسلته **(وقد قتله فلا تأكل)** منه **(فإنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره)** وفي نسخةٍ ولم تذكر بحذف الضمير وفي بعض طرق الحديث: «إذا أرسلت كلبك وسميت فكل»، وفي أخرى: «إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله تعالى فكل»، ففيه مشروعية التسمية وهو محل وِفاق لكنهم اختلفوا هل هي شرط في حِلِّ الأكل فذهب الشافعي في جماعة وهي رواية عن مالك وأحمد إلى السُّنِّية فلا يقدح ترك التسمية، وذهب أحمد في الراجح عنده إلى الوجوب لجعلها شرطاً في حديث عدي وذهب أبو حنيفة ومالك والجمهور إلى الجواز عند السهو، وفيه أيضاً أنه لا يَحِلُّ أكل ما شاركه فيه كلب آخر في أصطياده، ومحله إذا استرسل بنفسه أو أرسله مَنْ ليس من أهل الذكاة فإن تحقق أنه أرسله من هو من أهل الذكاة حل ثم ينظر فإن أُرسلا معاً فهو لهما وإلا فالأول، ويؤخذ ذلك من التعليل في قوله فإنما سميت على كلبك ولم تسمِّ على غيره، فإن مفهومه أن المرسِل إذا سمى على الكلب يحل.

**(عن أبي ثعلبة)** بالمثلثة أوله واسمه جرثوم **(الخشني)** بالخاء المضمومة والشين المعجمتين **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قلت: يا رسول الله إنا)** يريد نفسه وقبيلته وهي خُشْنَى بطن من قضاعة كما قاله البيهقي والحازمي وغيرهما **(بأرض قوم أهل كتاب)** بأرض الشام وكان جماعة من قبائل العرب قد سكنوا الشام وتنصروا منهم آل غسان وتنوخ وبهرا، وبطون من قضاعة منهم بنو خشنى آل أبي ثعلبة والجملة معمولة للقول **(أفنأكل من آنيتهم)** التي يطبخون فيها الخنزير ويشربون منها الخمر وعند أبي داود: «أنا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر»، والهمزة أفنأكل للاستفهام والفاء عاطفة أي أفتأذن لنا فنأكل في آنيتهم، والآنية جمع إناء كسقاء وأسقية وجمع الآنية أواني **(وبأرض صيد)** من باب إضافة الموصوف إلى صفته لأن

وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال: «أما ما ذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت ذكاته فكل».

عن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يخذف، فقال له: لا

---

التقدير بأرض ذات صيد فحذف الصفة وأقام المضاف إليه مقامها وأحل المعطوف محل المعطوف عليه **(أصيد بقوسي)** جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب أي أصيد فيها بسهم قوسي **(و)** أصيد فيها **(بكلبي الذي ليس بمعلم وكلبي المعلم فما يصلح لي)** أكله من ذلك؟ **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أما)** بالتشديد حرف تفصيل **(ما)** موصول في موضع رفع مبتدأ صلته **(ذكرت)** أي ذكرته فالعائد محذوف **(من)** آنية **(أهل الكتاب)** وخبر المتبدأ **(فإن وجدتم)** أي أصبتم **(غيرها)** أي غير آنية أهل الكتاب **(فلا تأكلوا فيها)** إذ هي مستقذرة ولو غسلت كما يكره الشرب في المحجمة ولو غسلت استقذاراً **(فإن لم تجدوا)** غيرها **(فاغسلوها وكلوا فيها)** رخصة بعد الحظر من غير كراهة للنهي عن الأكل فيها مطلقاً وتعليق الإذن على عدم غيرها مع غسلها، وفيه دليل لمن قال: إن الظن المستفاد من الغالب راجح على الظن المستفاد من الأصل، وأجاب من قال بأن الحكم للأصل حتى يتحقق النجاسة بأن الأمر بالغسل محمول على الاستحباب احتياطاً جمعاً بينه وبين ما دلَّ على التمسك بالأصل، وأما الفقهاء فإنهم يقولون إنه لا كراهة في استعمال أواني الكفار التي ليست مستعملة في النجاسة ولو لم تغسل عندهم وإن كان الأَولى الغسل للاحتياط لا لثبوت الكراهة في ذلك **(وما صدت بقوسك فذكرت الله)** تعالى عليه ندباً وما شرطية وفاء فذكرت عاطفة على صدت وفي **(فكل)** جواب الشرط وتمسك به من أوجب التسمية على الصيد والذبيحة وسبق ما فيه **(وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله)** تعالى عليه **(فكل وما صدت بكلبك غير المعلم)** بنصب غير وخفضها **(فأدركت ذكاته فكل)** فيه تعليق حِلُّ الأكل على الصيد بالكلب المعلم والتسمية، ومر الكلام في ذلك وأحتجوا له بأن المعلق بالوصف منفي عند انتفائه عند من يقول بالمفهوم، والشرط أقوى من الوصف ويتأكد القول بالوجوب بأن الأصل تحريم الميتة، وما أُذِن فيه منها مراعى صفته، فالمسمى عليه وافق الوصف وغير المسمى عليه باقٍ على أصل التحريم.

**(عن عبد الله بن مُغَفَّل)** بضم الميم وفتح الغين المعجمة والفاء المشددة نزيل البصرة **(رضي الله تعالى عنه أنه رأى رجلاً)** لم يُعْرَف اسمه وزاد مسلم من أصحابه له أيضاً أنه قريب لعبد الله بن مغفل **(يخذف)** أي يرمي حصاة أو نواة بين سبابتيه من الخذف بالخاء والذال المعجمتين والفاء، وهو الرمي بحصى أو نوى بين سبابتيه أو بين الإبهام

تخذف فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف أو كان يكره الخذف وقال: إنه لا يصاد به صيد ولا يتكأ به عدو ولكنها قسد تكسر السن وتفقأ العين، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف أو كره الخذف وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من اقتنى كلباً ليس بكلب ماشية أو ضارية نقص كل يوم من عمله قيراطان».

---

والسبابة، قال في المصباح: خذفت الحصاة ونحوها من باب ضرب رميتها بطرف الإبهام والسبابة اهـ **(فقال له)** ابن مغفل **(لا تخذف فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف أو)** قال: **(كان يكره الخذف)** بالشك وفي روايةٍ: «نهى عن الخذف» بغير شك **(وقال: إنه لا يصاد به صيد)** لأنه يقتل بقوة الرامي لا بحد البندقة، وكل ما قتل بها حرام باتفاقٍ إلا من شذ **(ولا ينكأ به عدو)** بضم الياء المثناة وسكون النون وبفتح الكاف وبهمزة في آخره، وروي بلا همزةٍ مع فتح الكاف وكسرها ومعناه لغة المبالغة في الأذى، قال في المصباح: نكأت في العدو نكأ من باب نفع لغةً في نكيت فيه أُنكي من باب رمى يرمي والاسم النكاية بالكسر إذا أثخنت وقتلت اهـ **(ولكنها)** أي البندقة أو الرمية **(قد تكسر السن وتفقأ العين ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا)** وعند مسلم من رواية سعيد بن جبير: «لا أكلمك أبداً» وإنما قال ذلك لأنه خالف السنة ولا يدخلُ في النهي عن الهُجران فوق ثلاث لأنه لمن هجر لحظ نفسه، والمعنى في النهي عن الخذف ما فيه من التعرض للحيوان بالتلف لغير مأكله وهو منهي عنه، فلو أدرك ذكاة ما رُمي بالبندق ونحوه حل أكله واختلف في جواز الرمي به فصرح في الذخائر بمنعه وبه أفتى ابن عبد السلام وجزم النووي بحله لأنه طريق إلى الاصطياد، والراجح التفصيل وهو إن كان الصيد المرمي يحتمله ولا يموت سريعاً به جاز وإلا امتنع.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من اقتنى)** أي أدخر عنده **(كلباً ليس بكلب ماشية أو ضارية)** أي وليس من كلاب ضارية أي معدة للصيد، يقال: ضرى الكلب على الصيد ضراوة تعوَّد ذلك واستمر عليه، وضرى الكلب وأضراه صاحبه أي عوده وأغراه بالصيد والجمع ضوار، ويحتمل أن يكون ضاري مفرد تأنيث ضار وكان الأصل أن يقول أو ضارٍ لكنه أنث لتناسب للفظ ماشية نحو: لا دريت ولا تليت والأصل أن يقول: تَلَوت، ويحتمل أن يجعل ضارئة صفة لجماعة أي أو كلب جماعة ضارئة أي مغرية للكلاب على الصيد، قال في المصباح: ضرىء بالشيء ضرى من باب تعب وضراوة اعتاده واجترأ عليه فهو ضار والأنثى ضارئة، ويعدي بالهمزة

حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه تقدم قريباً وزاد في هذه الرواية: «وإن رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل، وإن وقع في الماء فلا تأكلِ».

---

والتضعيف فيقال أضريته وضريته انتهى **(نقص)** بلفظ الماضي **(كل يوم)** أي في كل يوم **(من عمله)** وفي روايةٍ من أجره **(قيراطان)** الامتناع دخول الملائكة منزله، أو لما يلحق المارة من الأذى من ترويع الكلب لهم وقصده إياهَم وفي نسخةٍ قيراطين بالياء لأن نقص يستعمل لازماً ومتعدياً باعتبار أشتقاقه من النقصان والنقص فينصب قيراطين على أنه مُتعدٍّ وفاعله ضمير يعود على الاقتناء المفهوم من اقتنى والرفع على أنه لازم أو على أنه متعدٍّ مبني للمفعول، والقيراط في الأصل نصف دانق، والمراد به هنا مقدار معلوم عند الله تعالى أي نقص جزآن من أجزاء عمله وسبق في المزارعة من حديث أبي هريرة قيراط بلفظ الإفراد وجمع بينهما باحتمال أن يكون ذلك باعتبار نوعين من الكلاب أحدهما أشد أذىً من الآخر أو باعتبار اختلاف المواضع فيكون القيراطان في المدائن والقُرَى والقيراط في البوادي أو ذِكر القيراط أولاً، ثم زاد التغليظ بذكر القيراطين. ولمسلم من طريق الزهري عن أبي سلمة: «إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية»، وله أيضاً عن أبي هريرة: «من اقتنى كلباً ليس كلب صيدٍ ولا ماشيةٍ ولا أرضٍ فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»، لكن قيل: إن زيادة الزرع أنكرها ابن عمر على أبي هريرة.

**(حديث عدي بن حاتم)** الطائي الجواد ابن الجواد **(رضي الله تعالى عنه تقدم قريباً، وزاد في هذه الرواية: وإن رميت الصيد)** بسهمك وغاب عنك **(فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلا أثر سهمك فكل)** فإن وجدت به أثر رامٍ آخر أو مقتولاً بغير ذلك فلا يحَل أكله مع التردد، وعند الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جبير عن عدي بن حاتم: «إذا وجدت سهمك فيه ولم تجد فيه أثر سَبُع وعلمت أن سهمك قتله فكل منه»، قال الرافعي: يؤخذ منه أنه لو جرحه ثم غاب عنه ثم جاَء فوجده مَيِّتاً أنه لا يحل وهو ظاهر نص الشافعي في المختصر. قال النووي في الروضة: الحل أصح دليلاً وصححه أيضاً الغزالي في الإحياء، وثبتت فيه الأحاديث الصحيحة ولم يثبت في التحريم شيء، وعلق الشافعي الحِلَّ على صحة الحديث والله تعالى أعلم اهـ وحكى البيهقي في المعرفة عن الشافعي أنه قال في قول ابن عباس: «كل ما أَصْمَيْتَ ودَعْ ما أَنْمَيْتَ» يعني ما أصميت ما قتله الكلب وأنت تراه، وما أنميت ما غاب عنك مقتله، قال: وهذا عندي لا يجوز غيره إلا أن يكون جاء عن النبي ﷺ فيه شيء، فيسقط كل شيء خالف أمره ﷺ، ولا يقوم معه رأي ولا قياس. قال البيهقي: وقد ثبت الخبر بمعنى الحديث المذكور هنا فينبغي أن يكون هو قول الشافعي **(وإن وقع)** الصيد **(في الماء فلا تأكل)** لاحتمال هلاكه بغرقه، فلو تحقق أن السهم أصابه فمات فلم يقع في الماء إلا بعد أن قتله

عن ابن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما قال: غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات أو ستاً كنا نأكل معه الجراد.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً ونحن بالمدينة. فأكلناه.

---

السَّهم حل أكله، وفي مسلم: «فإنك لا تدري الماء قتله أم سهمك»، فدل على أنه إذا عُلِم أن سهمه هو الذي قتله يحل أكله.

**(عن ابن أبي أوفى)** عبد الله **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: غزونا مع النبي ﷺ سبع غزوات وكنَّا نأكل معه الجراد)** وزاد أبو نُعَيم في الطب ويأكله معنا، وقد نقل النووي الإجماع على حِلِّ أكل الجراد وخصة ابن العربي بغير جراد الأندلس لما فيه من الضرر المحض، وفي حديث سلمان عند أبي داود أن النبي ﷺ سُئِل عن الجراد فقال: «لا آكله ولا أُحَرِّمه» لكن الصواب أنه مرسل، وعن أحمدِ أنه إن قتله البرد لم يؤكل. وملخص مذهب مالك إن قطعت رأسه حل وإلا فلا، وعند البيهقي من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد» وفي الحلية: «إن طعام يحيى بن زكريا كان الجراد وقلوب الشجر» يعني الذي ينبت في وسطها غضاً طرياً قبل أن يقوى، وكان يقول: «من أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر»، والجراد أنواع بري وبحري وبعضه أصفر وبعضه أحمر وبعضه أبيض وبعضه كبير الجثة وبعضه صغيرها، وإذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلبة والصخور الصلبة التي لا يعمل فيها المعول فيضربها بذنبه فتنفرج له ثم يُلقي بيضه في ذلك الصدع فيكون له كالأفحوص، ويكون حاضناً له ومربياً، وللجرادة ستة أرجل يدان في صدرها وقائمتان في وسطها ورِجلان في مؤخرها وطرفا رجليها منشاران، وفي الجراد كما قال الدميري: خلقه عشرة من جبابرة الحيوان وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا إبل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نَسْر وفخذ جمل ورجلا نعامةٍ وذَنَب حيةٍ ولعابه سُمٌّ على الأشجاء لا يقع على شيء إلا أحرقه، وليس في الحيوان أكثر إفساداً لما يقتاته الإنسان منه.

**(عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما)** أنها **(قالت: نحرنا)** أي ذبحنا كما روي كذلك، لأن كُلاً منهما يطلق بمعنى الآخر مجازاً، وإن كان الأولى أن يستعمل النحر في الإبل والذبح في غيرها **(على عهد رسول الله ﷺ)** أي زمنه **(فرساً)** يطلق على الذكر والأنثى **(ونحن بالمدينة الشريفة فأكلناه)** وفيه دليل على جواز أكل الخيل وهو مذهب الشافعي لأن الصحابي إذا قال: كنا نفعل كذلك على عهده ﷺ، كان له حكم الرفع على الصحيح لأن الصحيح إطلاعه ﷺ على ذلك وتقريره، وإذا كان هذا في مطلق الصحابي فكيف بآل أبي بكر مع شدة اختلاطهم به ﷺ وعدم مفارقتهم له. والمشهور عند المالكية

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مر بنفرٍ نصبوا دجاجة يرمونها فلما رأوه تفرقوا، فقال ابن عمر: مَن فعلَ هذا إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا.

وعنه رضي الله عنه في روايةٍ أنه قال: «لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان».

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجاً.

عن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع.

---

التحريم وصححه في المحيط والهداية والذخيرة عن أبي حنيفة وخالفه صاحباه. واستدل المانعون بقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] فإن لام التعليل مفيدة للحصر فتفيد أنها لم تخلق لغير ما ذكر، وأيضاً عطف البغال على الخيل وهو يقتضي الاشتراك في التحريم وأيضاً الآية مسوقة للامتنان فلو كان ينتفع بها في الأكل لكان الامتنان به أعظم، ولو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها فيما وقع الامتنان به من الركوب والزينة. وأجيب بأن اللام وإن أفادت التعليل لكنها لا تفيد الحصر في الركوب والزينة، إذ ينتفع بالخيل في غيرهما وفي غير الأكل اتفاقاً، وإنما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل، وأما دلالة العطف فدلالة اقتران وهي ضعيفة، وأما الامتنان فإنما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم بالخيل فخوطبوا بما ألفوا وعرفوا، ولو لزم من الإذن في أكلها أن تغني للزم مثله في الشّق الآخر في البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به لمنفعة له أخرى، واستدلوا أيضاً بحديث جابر: «نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحُمُرِ ورخص في لحوم الخيل» لأن الرخصة استباحة محظور مع قيام المانع فدل على أنه رَخَّص لهم فيها مع قيام المخمصة، فدل على أنه رَخَّص لهم فيها بسبب المخمصة التي أصابتهم بخيبر فلا يدل ذلك على الحِلِّ المطلق، وأجيب بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن وبعضها بالأمر فدل على أن المراد بقوله: رَخَّص أذِن وأنَّ الإذن للإباحة العامة لا خصوص الضرورة.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه مرَّ بنفر)** أي جماعة من الفتيان كما في بعض الروايات **(نصبوا دجاجة)** حال كونهم **(يرمونها)** أي يقتلونها **(فلما رأوه تفرقوا)** عنها **(فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا)** بالحيوان وفي مسلم: «لعن رسول الله ﷺ من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً» بمعجمتين، واللعن من دلائل التحريم كما لا يخفى **(وعنه رضي الله تعالى عنه في روايةٍ أنه قال: لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان)** من المُثْلة بضم الميم وسكون المثلثة وهي قطع أطراف الحيوان أو بعضها وهو حي.

**(عن أبي موسى)** الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: رأيت رسول الله ﷺ يأكل دجاجة)** فيه دلالة على حِلِّه وهو من الطيبات وأكل الفتي منه يزيد في العقل والمني ويصفي الصوت.

**(عن أبي ثعلبة)** جرثوم الخشني **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى)** نهي

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكبر، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه. ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكبر إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ أن تضرب الصورة».

---

تحريم (**عن أكل كل ذي ناب من السباع**) يُتَقَوَّى به ويصول على غيره ويصطاد ويعد ويطبعه غالباً كأسدٍ ونَمِرٍ وذئبٍ ودُبٍّ وفيلٍ وقردٍ، وكذا كل ذي مِخْلَبٍ من الطير كبازٍ وشاهينٍ وصقرٍ ونَسْرٍ، ولمسلم: «كل ذي نابٍ من السِّباع فأكله حرام»، وله أيضاً عن ابن عباس: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي نابٍ من السباع وكل ذي مخلب من الطير» والمِخْلَب بكسر الميم وسكون الخاء وفتح اللام بعدها موحدة وهو للطير كالظُّفْر لغيره لكنه أشد منه وأغلظ وأَحَدُّ فهو كالناب للسبع.

(**عن أبي موسى**) بعد الله بن قيس الأشعري (**رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: مثل الجليس الصالح**) بإضافة الموصوف إلى صفته، وفي نسخةٍ الجليس الصالح (**و**) الجليس (**السوء**) بفتح المهملة (**كحامل المسك ونافخ الكبير**) بكسر الكاف وسكون التحتية، قال في القاموس: زق ينفخ فيه الحداد (**فحامل المسك إما أن يحذيك**) بضم التحتية وسكون الحاء المهملة وكسر الذال المعجمة وبعد التحتية كاف أي يعطيك وينفحك منه بشيءٍ هبةً (**وإما أن تبتاع**) أي تشتري (**منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق**) بضم أوله من أحرق (**ثيابك**) بناره (**وإما أن تجد**) منه (**ريحاً خبيثةً**) واستدل بذلك على طهارة المسك إذ لو كان نجساً لكان من الخبائث، ولم يحسن التمثيل به في هذا المقام وهو بكسر الميم الطيب المعروف وهو دَمٌ يجتمع في صُرَّة الغزال في وقتٍ معلوم من السَّنَة لكنه مستثنىً من نجاسة الدم لاستحالته كالمني واللبن.

(**عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: نهى النبي ﷺ**) نهي تحريم (**أن تُضْرَب**) بضم أوله وفتح ثالثه (**الصورة**) وفي نسخةٍ: الصُّوَر وإذا كان الضرب منهياً عنه يكون الوسم في الوجه منهياً عنه بالأولى وفي مسلم مر النبي ﷺ بحمارٍ قد وُسِمَ في وجهه فقال: «لعن الله من فعل هذا، لا يَسِم أحد الوجه ولا يضربنَّ أحد الوجه» وإنما كره لشرف الوجه وحصول الشَّين فيه وتغيير خلق الله تعالى، فلو كان في غيره للتمييز فلا بأس به لأنه ﷺ وَسَم شاةً في أذنها وهو حجة للجمهور في جواز وَسْم البهائم بالكيِّ خلافاً للحنفية لتمسكهم بعموم النهي عن التعذيب بالنار، وقال بعضهم بالنسخ.

# كتاب الأضاحي

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من ضَحَّى منكم فلا يصبِحَنَّ بعد ثالثةٍ وفي بيته منه شيء» فَلَما كان العام المقبل قالوا: يا رسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضي؟ قال: «كلوا وأطعموا وادخلوا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فاردت أن تعينوا فيها».

---

## كتاب الأضاحي

بفتح الهمزة جمع أُضحية بضمها وتكسر مع تخفيف الياء وتشديدها وتحذف[1] فتفتح الضاد وتكسر اسم لما يذبح من النَّعم تقرباً إلى الله تعالى من يوم العيد إلى آخر أيام التشريق، قال عياض: سُمِّيَت بذلك لأنها تفعل في الضُّحى وهو أرتفاع الشمس فسميت بزمن فعلها.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن سلمة بن الأكوع رضيَ الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ من ضحَّى منكم فلا يصبحن**) بالصاد المهملة الساكنة والموحدة المكسورة (**بعد ثالثة**) من الليالي من وقت التضحية (**وبقي في بيته منه**) أي من الذي ضحَّى به (**شيء**) أي من لحمه (**فلما كان العام المقبل قالوا يا رسول الله تفعل كما فعلنا عام الماضي**) بإضافة الموصوف إلى صفته وفي نسخةٍ الُعام الماضي أي من ترك الادخار، قال ابن المنير: وكأنهم فهموا أن النهي ذلك العام كان على سبب خاصٍ وهو الرأفة فإذا ورد العام على سببٍ خاصٍّ جال في النفس من عمومه وخصوصه إشكال، فلما كان مظنة الاختصاص عادوا السؤال، فَبَيَّن لهم ﷺ أنه خاص بذلك السبب (**قال**) ﷺ: (**كلوا وأطعموا**) بهمزة قطع وكسر العين المهملة (**وادخروا**) بالدال المهملة المشددة (**فإن ذلك العام**) الواقع فيه النهي (**كان بالناس جَهْد**) بفتح الجيم أي مشقة (**فأردت أن تعينوا**) الفقراء (**فيها**) أي المشقة المفهومة من الجَهد، والأمر في قوله كلوا وأطعموا للإباحة، والجمهور

---

(١) أي: الألف.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى العيد يوم الأضحى قبل الخطبة ثم خطب فقال: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد نهاكم عن صيام هذين اليومين أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم وأما الآخر فيوم تأكلون فيه من نسككم.

---

على أن التضحية سنة مؤكدة وفي وجه للشافعية أنها من فروض الكفاية، وقال صاحب الهداية من الحنفية واجبةٌ على كل مسلم مقيم موسرٍ في يوم الأضحى عن نفسه وعن ولده الصغير أما الوجوب فقول أبي حنيفة ومحمد وزفر والحسن وإحدى الروايتين عن أبي يوسف، وقال الشيخ خليل من المالكية: المشهور أنها سنة، وقال المرداوي من الحنابلة: وتسن التضحية لمسلم ولو مكاتباً بإذن سيده إلا النبي ﷺ فكانت واجبة عليه، وقد ضحَّى ﷺ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رِجْله على صِفاحهما والأملح الذي يخالط سواده بياض والبياض أكثر وقيل الأغبر وقيل الأبيض الخالص، ويُسَنُّ أن يقول عند الذبح: بسم الله والله أكبر اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم منك وإليك اللهم تقبل مني أو تقبل من فلان إن كان ذبحه عن غيره.

(**عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه صلى صلاة العيد يوم الأضحى قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال**) في خطبته (**يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ نهاكم عن صيام هذين اليومين فأما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم**) رمضان (**وأما الآخر فيوم تأكلون** فيه (**من نُسُكِكم**) بضمتين أي أضحيتكم، وفي نسخةٍ: نسككم بإسقاط الجار ويؤخذ منه جواز الأكل من لحوم الأضاحي ولو فوق ثلاثة أيام، وأما قوله ﷺ: «لا تأكلوا إلا ثلاثة أيام» فالنهي فيه للتنزيه كالأمر في قوله تعالى: ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع﴾ وحكاه الرافعي عن أبي عليّ الطبري احتمالاً قال المهلب: إنه الصحيح لقول عائشة: وليس بعزيمة: أي ليس النهي للتحريم ولا ترك الأكل بعد الثلاثة بواجب، وقال الرافعي لا يحرم اليوم بحال، وتبعه النووي في شرح المهذب وحكي في شرح مسلم عن الجمهور أنه مِن نسخ السنة بالسنة وقال: والصحيح نسخ النهي مطلقاً وأنه لم يبق تحريم ولا كراهة.

# كتاب الأشربة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة».

---

## كتاب الأشربة

جمع شراب كأطعِمة وطعام اسم لما يشرب وليس مصدراً لأن المصدر المشرب بتثليث الشين.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ: تقديمها على الكتاب **(عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرَّمها)** بضم الحاء المهملة وكسر الراء مخففة من الحرمان أي حرم شربها **(في الآخرة)** ولمسلم من طريق أيوب عن نافع: «فمات وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة» وظاهره عدم دخول الجنة ضرورة أن الخمر شراب أهلها، فإذا حرم شربه دل على أنه لا يدخلها ولأنه إن حُرِمها عقوبة له لزم وقوع الهمّ والحزن له والجنة لا حزن فيها ولا هم، وحمله ابن عبد البر على أنه لا يدخلها ولا يشرب الخمر فيها إلا إن عفا الله تعالى عنه كما في بقية الكبائر وهو في المشيئة، فالمعنى جزاؤه في الآخرة أن يُحْرَمَها لحرمانه دخول الجنة إلا إن عفا الله تعالى عنه، وجائزٌ أن يدخل الجنة بالعفو ثم لا يشرب فيها خمراً ولا تشتهيها نفسه وإن علم بوجوده فيها. ويدل له حديث أبي سعيد مرفوعاً عند ابن حبان وغيره: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو» وفرّق بعضهم بين من يشربها مستحلاً لها ومن يشربها عالماً بتحريمها فالأول لا يشربها أبداً لأنه لا يدخل الجنة، والثاني هو الذي اختُلِف فيه فقيل: إنه يحرم شربها مدةً ولو في حال تعذيبه إن عُذِّب، والمعنى أن ذاك جزاؤه إن جوزي وقال النووي: قيل يدخل الجنة ويحرم شربها فإنها من فاخر أشربه الجنة فيُحْرَمَها هذا العاصي لشربها في الدنيا، وقيل إنه ينسى شهوتها فيكون هذا نقصاً عظيماً لحرمانه أشرف نعيم الجنة، وقال القرطبي: لا يبالي بعدم شربها ولا يحسد من شربها فيكون حاله كحال أهل المنازل في الخفض

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن».

وعنه في رواية أيضاً «ولا يَنْتَهِبُ نهبةً ذاتَ شرفٍ يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البِتَع وهو نبيذ العسل وكان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام».

---

والرفع، فكما لا يشتهي منزلة من هو أرفع منه كذلك لا يشتهي الخمر في الجنة وليس ذلك بضارٍّ له. وفي الحديث من الفوائد أن التوبة تكفر الماضي **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: لا يزني الزاني)** وفي نسخةٍ: لا يزني بإسقاط الزاني واستدل به على جواز حذف الفاعل **(حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر)** شاربها **(حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)** قال المظهري: أي لا يكون كاملاً في الإيمان حال كونه زانياً الخ، أو لفظه لفظ الخبر ومعناه النهي والوجه الأول أوجه، وحمله الخطابي على المستحل، وقال صاحب المشكاة: يمكن أن يقال المراد بالإيمان المنفي الحياء كما روي أن الحياء شعبة من شعب الإيمان أي لا يزني الزاني حين يزني وهو يستحي من الله تعالى، لأنه لو استحيا من الله تعالى واعتقد أنه حاضر شاهد لحاله لم يرتكب هذا الفعل الشنيع، ويحتمل أن يكون من باب التغليظ والتشديد يعني أن هذه الخصال ليست من أفعال المؤمنين لأنها منافية لحالهم، فلا ينبغي أن يتصفوا بها بل هي من أوصاف الكافرين كقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع﴾ إلى أن قال: ﴿ومن كفر﴾ [آل عمران: ٩٧] أي بأن لم يحج، وينصره قول الحسن وأبو جعفر الطبري: أن المعنى ينزع عنه اسم المدح الذي يُسَمِّي به أولياؤه المؤمنون ويستحق اسم الذم فيقال: زانٍ وشارب خمرٍ وسارق.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه في روايةٍ أيضاً ولا ينتهب)** الناهب **(نهبة)** بضم النون وسكون الهاء **(ذات شرف)** أي قدر خطير والنهبة بالفتح المصدر وبالضم المال الذي انتهبه الجيش قهراً **(يرفع الناس إليه)** أي الناهب **(أبصارهم فيها)** أي في تلك النهبة **(حين ينتهبها وهو مؤمن)** إذ هو ظلم عظيم لا يليق بحال المؤمن.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: سُئل النبي ﷺ)** قيل السائل هو أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه **(عن البتع)** بكسر الموحدة وتفتح وسكون الفوقية وقد تحرك آخره عين مهملة لغة يمانية أي عن حكم جنسه لا عن مقداره **(وهو نبيذ العسل)** بالذال المعجمة وفي نسخةٍ وهو شراب العسل **(وكان أهل اليمن يشربونه، فقال**

عن أبي عامر الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوام إلى جنبِ

---

رسول الله ﷺ: **كل شراب أسكر فهو حرام**) ولو لم يسكر ما تناوله منه وعند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان عن جابر قال رسول الله ﷺ: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وفي الحديث جواز القياس لوجود العلة فتحرم جميع الأنبذة المسكرة وبذلك قال الشافعية والمالكية والحنابلة والجمهور، وقال الحنفية: نقيع التمر والزبيب وغيرهما من الأنبذة إذا غلى واشتد حَرُم ولا يُحَدُّ شاربه حتى يسكر ولا يكفر مستحله، وأما الذي من ماء العنب فحرام ويكفر مستحله لثبوت حرمته بدليلٍ قطعي ويحد شاربه، وقد ورد لفظ الحديث المذكور ومعناه من طرق عن أكثر من ثلاثين من الصحابة مضمونها أن المسكر لا يحل تناوله ويكفي ذلك في الرد على المخالف، وأما ما احتجوا به من حديث ابن عباس عند النَّسائي برجالٍ ثقات مرفوعاً: «حُرِّمت الخمر قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب» فاختلف في وصله وانقطاعه وفي رفعه ووقفه وعلى تقدير صحته فقد رجَّح الإمام أحمد وغيره أن الرواية فيه بلفظ: والمُسْكِر بضم الميم وسكون السين لا السكر بضم السين وسكون الكاف أو بفتحتين، وعلى تقدير ثبوتها فهو حديثٌ فَرْدٌ ولفظ محتمل فكيف يعارض تلك الأحاديث مع صحتها وكثرتها؟ وقد قال عبد الله بن المبارك: لا يصح في حِلِّ النبيذ الذي يسكر كثيره عن الصحابة ولا عن التابعين شيء إلا عن إبراهيم النخعي ويدخل في قوله كلُّ مسكرٍ حرام حشيشة الفقراء وغيرها، وقد جزم النووي وغيره بأنها مُسِكرة وفي معنى شرب الخمر أكله بأن كان ثخيناً أو أكله بخبز أو طَبَخ به لحماً وأكل مرقه فخرج به اللحم المطبوخ به لذهاب العين منه، وكذا الاحتقان والاستعاط به.

(**عن أبي عامر**) وقيل عن أبي مالك (**الأشعري**) واسمه عبد الله بن هانىء وقيل ابن وهب وقيل عبيد بن وهب، سكن الشام وليس بعم أبي موسى الأشعري لأن ذلك قُتِل أيام حنين في الزمن النبوي وهذا بقي إلى زمن عبد الملك بن مروان (**رض الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: ليكونن من أمتي قومٌ يستحلون الحِرَ**) بكسر الحاء المهملة وفتح الراء مخففة الفرج أي يستحلون الزنا، وحكي تشديد الراء والصواب كما في الفتح التخفيف (**و**) يستحلون (**الحرير و**) يستحلون (**الخمر**) شُرباً أي يعتقدون حِلَّها أو هو مجاز عن الاسترسال في شربها كالاسترسال في الحلال، وفي روايةٍ: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها»، وفي ذلك إشارة إلى أنهم استحلوها بالتأويل إذ لو لم يكن بالتأويل لكان كفراً ولم يكونوا من أمته لأن تحريم الخمر معلوم من الدين بالضرورة، وقيل يحتمل أن يقال إن الاستحلال لم يقع بعد وسيقع، وقد يقال: إنه مثل استحلال نكاح المتعة واستحلال بعض الأنبذة المسكرة (**و**) يستحلون (**المعازف**) بفتح الميم والعين المهملة وبعد الألف زاي مكسورة ففاء جمع معزفة أي آلات الملاهي كالعود والطنبور

علم يروح عليهم بسارحةٍ لهم يأتيهم لحاجةٍ فيقولون ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العَلَم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة».

عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه أنه دعا النبي ﷺ في عرسه فكانت امرأته خادمهم وهي العروس قالت: «أتدرون ما سقيت رسول الله ﷺ أنقعت له تمرات من الليل في تَور».

---

وفي الصحاح وهي آلات اللهو وقيل أصوات الملاهي، وفي المصباح: عزف عزفاً من باب ضرب وعزيفاً لعب بالمعازف وهي آلات يضرب بها الواحد عزف مثل فليس على غير قياس والمِعْزَف بكسر الميم نوع من الطنابير تتخذه أهل اليمن، وبعضهم يسمي العود مِعزفاً اهـ وقيل هي الدفوف وغيرها مما يضرب به **(ولَينزلن)** بفتح اللام والتحتية وكسر الزاي **(أقوام إلى جنب عَلَم)** بفتح الجيم وسكون النون وعلم بفتحتين جبل عال أو رأس جبل **(يروح عليهم)** أي الراعي **(بسارحة لهم)** بمهملتين نعم تسرح بالغداة إلى رعيها وتروح أي ترجع بالعشي إلى مألفها **(يأتيهم لحاجة)** بحذف الفاعل والتقدير الآتي أو الراعي أو المحتاج، قال الحافظ ابن حجر: وقع عند الإسماعيلي يأتيهم طالبُ حاجةٍ، قال فتعين بعض المقدرات اهـ وفي بعض النُسَخ يعني الفقير لحاجة **(فيقولون)** وفي نسخةٍ فيقولوا **(ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله)** من التبييت وهو هجوم العدو ليلاً والمراد فيهلكهم الله تعالى ليلاً **(ويضع العلم)** أي يوقع الجبل **(عليهم)** فيهلكهم **(ويمسخ آخرين)** أي يحول صور آخرين ممن لم يهلك في البيات المذكور **(قردة وخنازير إلى يوم القيامة)** أي مثل صورها حقيقة كما وقع لبعض الأمم السابقين أو هو كناية عن تبدل أخلاقهم، والأول أليق بالسياق وفيه كما قال الخطابي بيان أن المسخ يكون في هذه الأمة لكن قال بعضهم: إن المراد مسخ القلوب وقد مر ذلك.

**(عن أبي أُسيد)** بضم الهمزة وفتح المهملة مالك بن ربيعة الساعدي **(رضي الله تعالى عنه أنه دعا النبي ﷺ في عرسه)** بضم العين والراء وتسكن قال في المختار: العرس بوزن القفل طعام الوليمة يذكر ويؤنث وجمعه أعراس وعرسان بضم الراء وقد أعرس فلان أتخذ عرساً وأعرس بأهله غشيها ولا تقول عرس والعامة تقوله اهـ وفي المصباح العرس بالضم الزفاف ويُذكّر ويؤنث فيقال: هو العرس والجمع أعراس مثل قُفْل وأقفال وهي العرس والجمع عرسان والعرس أيضاً الزفاف وهو مذكر لأنه اسم للطعام اهـ فالمعنى أنه دعاءً لطعام وليمته أو في أيام زفافه **(فكانت)** وفي نسخةٍ وكانت **(امرأته)** أم أسيد سلامة بنت وهب بن سلام **(خادمهم)** الخادم يطلق على الذكر والأنثى والخادمة بالهاء في المؤنث قليل كما في المصباح **(وهي العروس)** قال في المصباح العروس وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ما داما في أعراسهما وجمع الرجل عُرُس بضمتين مثل رسول

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما نهى النبي ﷺ عن الأسقية. قيل له: ليس كل الناس يجد سقاء، فرخص لهم في الجر غير المزفت.

---

ورسل وجمع المرأة عرائس اهـ **(قالت)** أي المرأة **(أتدرون ما سقيت رسول الله ﷺ؟)** وفي نسخةٍ قال: أي سهل أتدرون ما سقت بسكون المثناة الفوقية من غير تحتية أي المرأة **(أنقعت)** بسكون العين وضم الفوقية وفي نسخةٍ أنقعت أي المرأة **(له)** ﷺ **(تمرات من الليل في تور)** بفتح المثناة الفوقية إناء من حجارةٍ أو نحاسٍ أو خشب أو قدح كبير كالقِدْر أو الطِّست، والمراد هنا أنه من حجارةٍ كما ورد كذلك وقيل من خشب، وعند ابن أبي شيبة عن جابر كان النبي ﷺ يُنْبَذُ له في سقاءٍ فإذا لم يكن سقاء يُنْبَذُ له في تَوْرٍ، وعند مسلم عن عائشة كنا نَنْبِذ لرسول الله ﷺ في سقاءٍ نُوكيءُ أعلاه فيشربه عِشاءً ونَنَبِذُ عِشاءً فيشربه غُدْوَةً، وعند أبي داود عن عائشة أنها كانت تنبذ للنبي ﷺ غدوة فإذا كان من العشي شرب على عشائه فإذا فضل منه شيء صببته ثم ينبذ له بالليل فإذا أصبح وتغدى شرب على غدائه، قالت: تغسل السقاء غدوة وعشية. وعند مسلم عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يُنْبذُ له أول الليل فيشربه إذا أصبح يومه ذلك والليلة التي تجيء والغد والليلة الأخرى والغد إلى العصر ولا مخالفة بينه وبين حديث عائشة لأن الشرب في يومٍ لا يمنع من الزيادة ولعل حديث عائشة كان في زمان الحرِّ وحيث يُخشى فساده، وحديث ابن عباس في زمانٍ يؤمن فيه التغير قبل الثلاث.

**(عن عبد الله بن عمرو)** بفتح العين ابن العاص **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: لما نهى النبي ﷺ عن)** الانتباذ في **(الأسقية)** كذا وقع في هذه الرواية والرواية الراجحة بلفظ الأوعية وحمل بعضهم رواية الأسقية على سقوط أداة الاستثناء من الراوي والتقدير نهى عن الانتباذ إلا في الأسقية، ولم ينه ﷺ عن الأسقية وإنما نهى عن الظروف، وأباح الانتباذ في الأسقية لأن الأسقية يتخللها الهواء من مسامِّها فلا يسرع إليها الفساد كإسراعه إلى غيرها من الجرار ونحوها مما نهي عن الانتباذ فيه، وأيضاً فالسقاء إذا نُبِذ فيه ثم رُبط أمنت مفسدة الإسكار بما يشرب منه لأنه متى تغير وصار مسكراً شق الجلد فما لم يشقه فهو غير مسكرٍ بخلاف الأوعية لأنه قد يصير النبيذ فيها مسكراً ولا يُعلم به ويحتمل أن يكون قوله: نهى عن الأسقية أي عن الأوعية واختصاص اسم الأسقية بما يتخذ من الأدم إنما هو بالعرف فإطلاق السقاء على كل ما يُستقى منه جائز وحينئذٍ فلا غلط في الرواية ولا سقط **(قيل له)** ﷺ **(ليس كل الناس يجد سقاءً)** أي وعاءً على ما مر وقائل ذلك أعرابي **(فرخص لهم)** ﷺ في الانتباذ **(في الجر)** بفتح الجيم وتشديد الراء جمع جرة إناء يتخذ من فخار **(غير المزفت)** أي المطلي جوفه بالزفت لأن الانتباذ فيه يسرع إلى الإسكار، والحكم منوط به والآنية لا تحرم ولا تحلل.

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «نهي النبي ﷺ أن يجمع بين التمر والزهو، والتمر والزبيب ولينبذ كل واحد منهما على حدة».

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء أبو حميد بقدح من لبن من النقيع فقال له رسول الله ﷺ: «ألا خمرته ولو أن تَعرِضَ عليه عوداً».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نِعْمَ الصدقة اللقحة الصفي منحة والشاة الصفي منحة تغدو بإناء وتروح بآخر». عن جابر بن عبد الله

---

**(عن أبي قتادة)** الحارث بن رِبعي الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نهى النبي ﷺ أن يجمع)** في الانتباذ **(بين التمر)** بفتح الفوقية وسكون الميم **(والزهو)** بفتح الزاي وسكون الهاء البسر الملون يقال: إذا ظهرت الحمرة والصفرة في النخل فقد ظهر فيه الزهو، وأهل الحجاز يقولون: الزُهو بالضم قاله في المختار **(و)** بين **(التمر والزبيب)** لأن الإسكار يسرع إليه بسبب الخليط قبل أن يشتد فيظن الشارب أنه لم يبلغ حد الإسكار ويكون قد بلغه **(ولينبذ)** بسكون اللام وفتح الموحدة مبنياً للمفعول **(كل واحد منهما)** أي من كل اثنين منهما فيكون الجمع بين الأكثر بطريق الأولى **(على حدة)** بكسر الحاء وفتح الدال المهملتين بعدها هاء أي وحده وفي نسخةٍ على حدته، وفي حديث أبي سعيد عند مسلم: «من شرب منكم النبيذ فليشربه زبيباً فرداً أو تمراً فرداً أو بسراً فرداً»، وهل إذا خلط نبيذ البسر الذي لم يشتد مع نبيذ التمر الذي لم يشتد يمتنع أو يختص النهي بالخلط عند الانتباذ؟ قال الجمهور: لا فرق ولو لم يُسكِر، وقال الكوفيون: بالحل ولا خلاف أن اللبن بالعسل ليسا بخليطين لأن اللبن لا ينبذ، نعم إن خُلِط باللبن شيء وحصل منه شدة مطربة حَرُم، ولذا عده بعضهم من جملة الأشربة وقيل إن أهل أرمينية يتخذون منه شراباً يصدع من شربه لوقته.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: جاء أبو حُميد)** بضم الحاء مصغراً عبد الرحمن الساعدي **(بقَدَح من لبن)** ليس مخمراً **(من النقيع)** بفتح النون وكسر القاف وبعد التحتية الساكنة عين مهملة، موضع بوادي العقيق حماه ﷺ لرعي النَّعم كان يستنقع فيه الماء أي يجتمع وقيل هو غيره **(فقال له النبي ﷺ: ألا)** بفتح الهمزة وتشديد اللام أي هلا **(خمرته)** بخاء معجمة وميم مشددة مفتوحتين أي غطيته **(ولو أن تعرض)** بفتح الفوقية وضم الراء أي ولو أن تنصب **(عليه عوداً)** عرضاً قيل والحكمة في ذلك اقترانه بالتسمية فيكون العرض علامة التسمية فلا يقربه الشيطان.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: نعم الصَّدقة اللقحة)** بكسر اللام وتفتح وسكون القاف وبالحاء المهملة الناقة الحلوب **(الصفي)** بفتح الصاد المهملة وكسر الفاء وتشديد التحتية الكثيرة اللبن أي المصطفاة والمختارة وفعيل إذا كان

رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على رجلٍ من الأنصار ومعه صاحب له فقال له النبي ﷺ: «إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنة وإلا كرعنا». قال: والرجل يحول الماء في حائطه، قال: فقال الرجل: يا رسول الله عندي ماء بائت فانطلق إلى العريش قال: فانطلق بهما فسكب في قدح ثم حلب عليه من داجن له، فشرب رسول الله ﷺ ثم شرب الرجل الذي جاء معه.

عن علي رضي الله عنه أنه أتى باب الرحبة فشرب قائماً فقال: إن ناساً يكره أحدهم أن يشرب وهو قائم وإني رأيت النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت.

---

بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث **(مِنْحَة)** بكسر الميم وسكون النون وفتح الحاء المهملة نصب على التمييز أي عطية تعطيها غيرك ليحلبها ثم يردها إليك **(و)** نعم الصدقة **(الشاة الصفي مِنْحَة)** تعطيها غيرك ليحلبها **(تغدوا)** أول النهار **(بإناء)** من اللبن **(وتروح)** آخره **(بآخر)** بالمد وفيه إشارة إلى أن المستعير لا يستأصل لبنهما، والحديث سبق في باب العارية.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ دخل على رجلٍ من الأنصار)** قيل هو أبو أطيثم بن التيهان الأنصاري **(ومعه صاحبٌ له)** هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(فقال له)** أي للرجل الأنصاري الذي دخل عليه **(النبي ﷺ: إن كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنةٍ)** بفتح الشين المعجمة والنون المشددة قربة خلقة **(فاسقنا منها وإلا كرعنا)** بفتح الراء وتكسر أي شربنا من غير إناء ولا كف بل بالفم قال في المصباح كرع في الماء كرعاً من باب نفع وكروعاً شرب بفيه من موضعه فإن شرب بكفه أو بشيء آخر فليس بكرع وكرع كرعاً من باب تعب لغة اهـ **(قال)** الرجل الأنصاري **(عندي ماء بائت فانطلق)** بكسر اللام وسكون القاف أي أنت ومن معك **(إلى العريش)** هو المسقف من البستان بالأغصان وأكثر ما يكون في الكروم **(قال)** جابر **(فانطلق)** الرجل الأنصاري **(بهما)** أي بالنبي ﷺ والصديق رضي الله تعالى عنه إلى العريش **(فسكب في قدح)** ماءً **(ثم حلب عليه)** لبناً **(من داجنٍ له)** بالجيم والنون شاة تألف البيوت **(فشرب رسول الله ﷺ ثم شرب الرجل الذي معه)** وهو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وفيه شرب اللبن ممزوجاً بالماءِ البارد كسراً لحرارته عقب حلبه من شدة حر القطر.

**(عن علي)** بن أبي طالب **(رضي الله تعالى عنه أنه أتى باب الرحبة)** بفتح الراء والحاء المهملتين والموحدة أي رحبة المسجد والمراد مسجد الكوفة، وكان يجلس فيها لقضاء حوائج الناس **(فشرب)** حال كونه **(قائماً فقال: إن ناساً يكره أحدهم أن يشرب)** أي بأن يشرب وأن مصدرية أي يكره الشرب **(وهو قائم)** أي في حالة القيام **(وإني رأيت رسول الله ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت)** من الشرب قائماً وفي روايةٍ عنه أنه أُتي بماءٍ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شرب النبي ﷺ قائماً من زمزم.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ عن اختناث الأسقية» يعني الشرب من أفواهها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم

---

فغسل وجهه ويديه ورأسه ورجليه ثم قام فشرب فضله وقو قائم وقال مثل ما مر.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: شرب النبي ﷺ)** حال كونه **(قائماً من زمزم)** وقد كان ﷺ طاف على بعيره ثم أناخه بعد طوافه فصلى ركعتين ثم شرب إذ ذاك من زمزم قبل أن يعود إلى بعيره، واسْتُدِلَّ بما ذكر على جواز الشرب قائماً وهو مذهب الجمهور، وكرهه قومٌ لحديث أنس عند مسلم أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائماً، وحديث أبي هريرة في مسلم أيضاً «لا يشربنَّ أحدكم قائماً فمن نسي فليستقىء» وعند أحمد من حديثه أنه ﷺ رأى رجلاً يشرب قائماً فقال: «قِه» فقال: لمه فقال: «أيسرك أن يشرب معك الهرُّ» قال: لا قال: «قد شرب معك من هو شر منه الشيطان» لكنهم حملوا النهي على الاستحباب والحث على ما هو أولى وأكمل، وذلك لأن في الشرب قائماً ضرراً ما، فكُرِه من أجله لأنه يحرك خلطاً يكون القيء دواءه. وقوله في الحديث فمن نسي لا مفهوم له بل يستحب ذلك للعامد أيضاً بطريق الأَولى وقد سلك الأئمة في هذه الأحاديث مسالك أحسنها حمل أحاديث النهي على كراهة التنزيه، وأحاديث الجواز على بيانه وقيل النهي إنما هو من جهة الطلب مخافة وقوع ضررٍ به فإن الشرب قاعداً أمكن وأبعد من السَّرف، وحصول وجع الكبد والحلق وقد لا يأمن منه من شرب قائماً على ما لا يخفى.

**(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك الخدري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نهى النبي ﷺ عن اختناث الأسقية)** المتخذة من الأدم والاختناث بالخاء المعجمة الساكنة والفوقية المكسورة وبعد النون ألف فمثلثة افتعال من الخنث وهو الانطواء والتكسر والانثناء، ولذا فسره بعضهم بقوله: وهو أن تُكسر أي تُثنى أفواهها فيشرب منها ولما كان ذلك ليس بقيد فسره في هذه الرواية بقوله: **(يعني الشرب من أفواهها)** وقد جزم الخطَّابي بأن تفسير الاختناث من قول الزهري ويحتمل حمل المطلق وهو الشرب من أفواهها على المقيد بكسر فمها أو قلب رأسها والأفواه جمع فم وأصله فَوَه بفتحتين حذفت الهاء وقلبت الواو ميماً وهو من غريب الألفاظ الذي لم يطابق مفردها جمعها، ويُثَنَّى على لفظ الواحد فيقال: فمان وربما قيل فوان قاله في المصباح.

**(عَن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نهى النبي ﷺ عن الشرب من فم السقاء)** وهو جلد السخلة إذا دُبغ يجعل للماء واللبن **(والقِربة)** وفي نسخةٍ من فم القربة أو

القربة أو السقاء وأن يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في داره».

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثاً.

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ ورضي عنها أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم».

---

السقاء والنهي للتنزيه وقيل للتحريم لأن جريان الماء ودفقه وانصبابه في المعدة يضربها وربما تغيرت رائحتها بنفسه، وربما يكون فيها حية أو شيء من الهوام لا يراه الشارب فيدخل جوفَه، وقد وقع ذلك لرجل قام من الليل إلى السقاء فاختنثه وكان ذلك بعد النهي عن الاختناث كما عند ابن ماجه والحاكم ولأنه ربما يغلبه الماء فينصب منه أكثر من حاجته فتبتل ثيابه، وربما فسد الوعاء ويتقذره غيره لما يخالط الماء من ريق الشارب فيؤول إلى إضاعة المال **(و)** نهى **(أن يمنع)** الشخص **(جاره أن يغرز خشبة)** بفتح الفوقية على الإفراد وفي نسخةٍ خشبه الهاء مع ضم الخاء على الجمع **(في جداره)** وفي نسخةٍ في داره وهو محمول على الاستحباب.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ كان يتنفس في)** الشرب من **(الإناء ثلاثاً)** وفي روايةٍ مرتين أو ثلاثاً بأن يبين الإناء من فمه ثم يتنفس خارجه ثم يعود ولا يجعل نفسه داخل الإناء لأنه قد يقع معه شيء من الريق فيعافه الشارب، وعند الترمذي بسند ضعيف: «لا تشربوا واحدة كما يشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث» وعند مسلم وأصحاب السُّنن من طريق عاصم: «هو أروى وأمرى وأبرأ» أي أكثر رِيّاً وأمرى بالميم أي يصير مريئاً وأبرأ بالهمزة أي يبرىء من الأذى والعطش، فهو أقمع للعطش وأقوى على الهضم وأقل أثراً في برد المعدة وضعف الأعصاب، وعند الطبراني في الأوسط بسند حسن أن النبي ﷺ كان يشرب في ثلاثةِ أنفاس، إذا أدنى الإناء إلى فيه سمَّى الله فإذا أخره حمد الله يفعل ذلك ثلاثاً.

**(عن أم سلمة)** هند بنت أمية **(زوج النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال: الذي يشرب في آنية)** وفي نسخةٍ إناء **(الفضة)** وعند مسلم: «من شرب من إناء ذهبٍ أو فضةٍ» وعنده أيضاً: «أن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة» **(إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)** بضم التحتية وفتح الجيم الأولى وكسر الثانية بينهما راءٌ ساكنة وآخره راء أيضاً، وحكي فتح الجيم الثانية على البناء للمفعول من الجرجرة وهو صوت تردد البعير في حنجرته إذا هاج وصب الماء في الحلق، والتجرجر أن يجرعه جرعاً متداركاً يقال: جرجره الشراب إذا سقاه على تلك الصفة، ونار جهنم منصوب على أن الجرجرة بمعنى الصب أو التجرع، فالشارب هو الفاعل والنار مفعول وجاء الرفع على الفاعلية على أن النار هي التي تصوت في البطن، والأشهر الأول قال في المصباح:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «أتى النبي ﷺ سقيفة بني ساعدة فقال: «اسقنا يا سهل»، فسقيتهم في قدح قال: «فأخرَجَ لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه ثم استوهبه منه عمر بن عبد العزيز فوهبه له.

عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه أنه كان عنده قدح النبي ﷺ فقال: لقد

---

وجرجر الفحل إذا ردد صوته في حنجرته وجرجرت الناء صوتت وقوله يجرجر في بطنه نار جهنم قال الأزهري: نار منصوبة بقوله يجرجر، والمعنى يلقى في بطنه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ [النساء: ١٠] يقال: جرجر فلان الماء في حلقه إذا جرعه جرعاً متتابعاً يسمع له صوت والجرجرة حكاية ذلك الصوت، وهذا هو المشهور عند الحُذَّاق، وقال بعضهم: يجرجر فعل لازم ونار رُفِع على الفاعلية وهو مطابق لقوله جرجرت النار إذا صوتت اهـ وإسناد الجرجرة أي التصويت إلى نار جهنم مجاز لأنَّ النار في الحقيقة لا تجرجر في جوفه لكن جعل صوت تَجَرُّع الإنسان للماء في هذه الأواني المخصوصة لوقوع النهي عنها واستحقاق العذاب على استعمالها كجرجرة النار في بطنه، وكذا إيقاع الجرجرة بمعنى الصب على النار مجاز، وفي الحديث حرمة استعمال الذهب والفضة في الأكل والشرب والطهارة والأكل بملعقة من أحدهما والتجمر بمجمرة والبول في الإناء وحرمة الزينة به واتخاذه، ولا فرق في ذلك بين الرجل المرأة وإنما فرق بينهما في التحلي لما يقصد فيها من الزينة للزوج، ولا في الإناء بين الكبير والصغير ولو بقدر الضبة الجائزة كإناء الغالية، وخرج بالاستعمال والزينة والاتخاذ شم رائحة بمجمرة الذهب والفضة من بعد، بحيث لا يعد متطيباً بها فإنه جائز فإن جَمَّر بها ثيابه أو بيته حَرُم وإذا ابتلى بطعام فيهما فليخرجه إلى إناء آخر من غيرهما أو بدهن في إناء من أحدهما فليصبه في يده اليسرى ويستعمله باليمنى.

**(عن سهل بن سعد)** الساعدي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أتى النبي ﷺ سقيفة بني ساعدة)** موضع المبايعة بالخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(فقال: اسقنا يا سهل)** قال سهل: **(فسقيتهم في قدح قال)** الراوي **(فأخرج لنا سهل ذلك القدح)** الذي شرب منه ﷺ **(فشربنا منه)** تبركاً به ﷺ **(ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز)** لما كان أميراً بالمدينة **(من سهل فوهبه له)** قال في الفتح: وليست الهبة حقيقة بل من جهة الاختصاص.

**(عن أنسٍ بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه كان عنده قدح النبي ﷺ)** وفي مختصر البخاري للقرطبي أن في بعض النسخ القديمة من البخاري، قال أبو عبد الله البخاري: رأيت هذا القدح بالبصرة وشربت فيه وكان اشْتُرِيَ من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف **(فقال)** أنس **(لقد سقيت النبي ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا)** وعند مسلم:

سقيت رسول الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا، وكان فيه حلقة من حديد فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة، فقال له أبو طلحة: لا تغيرن شيئاً صنعه رسول الله ﷺ فتركه.

---

«لقد سقيت رسول الله ﷺ بقدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ والماء واللبن **(وكان فيه)** أي القدح **(حلقة من حديد)** بسكون اللام كاللاحقة **(فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أو فضة)** بالشك من الراوي أو هو تردد من أنس عند إرادة ذلك **(فقال له أبو طلحة)** يزد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس: **(لا تغيرن)** بفتح الراء والنون للتوكيد الثقيلة وفي نسخةٍ لا تغير من غير توكيد **(شيئاً صنعه رسول الله ﷺ فتركه)** وهو قدح جيد عريض ليس بمتطاول بل طوله أكثر من عمقه من خشب نضار بنون مضمومة ومعجمة مخففة، والنضار الخالص وقد قيل إنه عودٌ أصفر يشبه لون الذهب وقيل إنه من الأثل وقيل من شجر النبع، وكان قد انصدع فسلسله ﷺ أو أنس أي وصل بعضه ببعض بفضة أي بخيط فضةٍ، وفي الحديث جواز اتخاذ ضبة الفضة والسلسلة والحلقة أيضاً مما اختلف فيه، ومنع ذلك مطلقاً جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول مالك والليث، وعن مالك يجوز من الفضة إذا كان يسيراً وكرهه الشافعي قال: لئلا يكون شارباً على فضة، ولذا خص بعضهم الكراهة بما إذا كانت الفضة موضع الشرب وبذلك صرح الحنفية وقال به أحمد، والذي تقرر عند الشافعية تحريم ضبة الفضة إذا كانت كبيرة للزينة وجوازها إذا كانت صغيرة لحاجة أو لزينة أو كبيرة لحاجة، وتحريم ضبة الذهب مطلقاً وأصل ضبة الإناء ما يصلح به خلله من صحيفة أو غيرها، وإطلاقها على ما هو للزينة توسع ومرجع الكبر والصغر العرف على الأصح، وقيل الكبيرة ما تستوعب جانباً من الإناء كشَفَةٍ وأذن والصغيرة دون ذلك فإن شك في الكبر فالأصل الإباحة قاله في شرح المهذب. والمراد بالحاجة غرض الإصلاح دون التزين ولا يعتبر العجر عن غير الذهب والفضة لأن العجز عن غيرهما يبيح استعمال الإناء الذي كله ذهب أو فضة فضلاً عن المضبب.

# كتاب المرضى

عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزنٍ ولا أذىً ولا غمٍ حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه».

---

## كتاب المرضى

جمع مريض والمرض خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ويعبر عنه بأنه حالة تصدر بها الأفعال خارجة عن الموضوع لها غير سليمة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك **(الخدري وأبي هريرة)** عبد الرحمن بن صخر **(رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ما يصيب المسلم من نصب)** أي تعب **(ولا وصب)** أي مرضٍ أو مرضٍ دائم ملازم **(ولا هَمٍّ)** بفتح الهاء وتشديد الميم **(ولا حَزَنٍ)** بفتحتين وروي بضم فسكون قال في الفتح: هما من أمراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب اهـ وهما بمعنىً قال في المختار: الهمُّ الحزن ومثله في المصباح، وقيل الهمُّ مختص بما هو آت والحزن بما مضى **(ولا أذىً)** يلحقه من تعدي الغير عليه **(ولا غم)** بالغين المعجمة وهو ما يضيق على القلب وقيل: إن الهمَّ ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يُتَأذى به، والحزن يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده، والغمُّ كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل. وقال المظهري: الغمُّ الحزن الذي يغمُّ الرجل أي يصيره بحيث يقرب أن يُغمى عليه، والحزن أسهل منه **(حتى الشوكة يشاكها)** أي يدخلها غيره في جسده وكذا لو دخلت هي من غير إدخال كما يدل له ما في مسلم من رواية هشام بن عروة: «ولا يصيب المؤمن شوكةٍ» فأضاف الفعل إليها والمراد ما هوَ أعم كما تقرر **(إلا كفر الله بها من خطاياه)** ولابن حبان إلا رفعه بها درجةً وحطَّ عنه بها خطيئة، وفيه حصول الثواب ودفع العقاب، وعند الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند جَيِّدٍ: «ما ضُرِب على مؤمن عرق إلا حط الله به عنه خطيئة وكتب له به حسنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الخامةِ من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء».

---

ورفع له درجةً»، وفي حديثها عند الإمام أحمد وصححه أبو عوانة والحاكم أن رسول الله ﷺ طرقه وجمع فجعل يتقلب على فراشه ويشتكي، فقالت عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه، فقال: «إن الصالحين يشدد عليهم وإنه لا يصيب المؤمن شوكة تشوكه» الحديث، ويؤخذ منه أن الثواب على نفس المصيبة خلافاً لمن قال إن الثواب والعقاب على الكسب والمصائب ليست منه بل الأجر على الصبر عليها والرضا بها، وردَّ بأن ذلك قَدَرٌ زائد يمكن الثواب عليه زيادة على ثواب المصيبة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: مثل المؤمن**) في الرضا بالقضاء والشكر على السراء والضراء (**كمثل الخامة**) بالخاء المعجمة والميم المخففة بوزن الطاعة وألفها منقلبة عن واو (**من الزَّرع**) وهو أول ما ينبت منه على ساقٍ واحدٍ غضّاً طرياً ليناً، وقوله عن الزرع صفة للخامة لأن تعريفها للجنس (**من حيث أتتها الريح**) أي من جانب وصل إليها الريح (**كفأتها**) بفتح الكاف والفاء والهمزة وسكون الفوقية أي أمالتها (**فإذا اعتدلت تَكَفَّأ**) بفتح الفوقية والكاف والفاء المشددة بعدها همزة أي تقلب (**بالبلاء**) قال الكرماني فإن قلت البلاء إنما يستعمل في المؤمن فالمناسب أن يقال بالريح أي إذا اعتدلت تَكَفَّأ بالريح كما يتَكَفَّأ المؤمن بالبلاء، أجيب بأن الريح أيضاً بلاء بالنسبة إلى الخامة وأنه لما شبه المؤمن بالخامة أثبت للمشبه به ما هو من خواص المشبه اهـ وقال في الفتح: ويحتمل أن يكون جواب إذا محذوفاً اهـ أي فإذا اعتدلت الريح استقامت الخامة، ويكون قوله بعد ذلك تَكَفَّأ بالبلاء رجوعاً إلى وصف المسلم، قال: ويؤيده ما في كتاب التوحيد عن محمد ابن سنان بلفظ: «فإذا سكنت اعتدلت فكذا المؤمن يتكفأ بالبلاء» اهـ وفي روايةٍ: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح» أي تقلبها مرة وتعد لها مرة، ووجه التشبيه أن المؤمن من حيث جاءه أمر الله تعالى انطاع له ورضي به فإن جاءه خيرٌ فرِح به وشكر، وإن وقع له مكروه صبر ورجا فيه الأجر، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً؛ قاله المهلب. والناس في ذلك على أقسام منهم من ينظر إلى أجر البلاء فهون علبه البلاء، ومنهم من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكه فيسلم ولا يعترض، ومنهم من تشغله المحبة عن طلب رفع البلاء، وهذا أرفع من سابقيه، ومنهم من يتلذذ به وهذا أرفع الأقسام؛ قال أبو الفرج بن الجوزي. (**والفاجر كالأَرْزَة**) بفتح الهمزة والزاي بينهما راء ساكنة نبات ليس في أرض العرب ولا ينبث في السِّباخ بل يطول طولاً

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أشد الوجع عليه من رسول الله ﷺ.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكاً شديداً وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً قلت: إن ذاك بأن لك أجرين قال: «أجل

---

شديداً ويغلظ حتى لو أن عشرين نفساً أمسك بعضهم بيد بعض لم يقدروا على أن يحضنوها، وقيل هو ذكر الصنوبر وأنه لا يحمل شيئاً وإنما يستخرج من أغصانه الزفت ولا يحرك لهبوب الريح **(صماء)** أي صلبة شديدة من غير تجويف **(معتدلة حتى يقصمها الله)** بالقاف أي يكسرها **(إذا شاء)** فيكون موته أشد عذاباً عليه وأكثر ألماً في خروج نفسه من المؤمن المبتلى بالبلاء المثاب عليه، وفي روايةٍ: «ومثل المنافق كالأَرْزَة لا تزال حتى يكون انجعافها ـ أي إنقلاعها ـ مرةً واحدةً» ووجه التشبيه أن المنافق لا يتفقده الله تعالى باختباره بل يجعل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في المعاد، حتى إذا أراد الله تعالى إهلاكه قصمه فيتعسر عليه خروج نفسه.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه)** بضم التحتية وكسر الصاد المهملة والضمير لله تعالى، أي يبتليه بالمصائب ليثيبه عليها ويطهره بها من الذنوب ويرفع درجته وروي بفتحها وهو أحسن وأَلْيَقُ بالأدب لقوله تعالى: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] ويشهد للأول ما رواه أحمد: «إذا أحب الله تعالى قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجَزع»، وفي هذه الأحاديث بشرى عظيمة لكل مؤمنٍ لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب همٍّ أو مرض أو نحو ذلك.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: ما رأيت أحداً أشدُّ الوجع عليه)** أي المرض والعرب تسمى كل وجع مرضاً، وفي روايةٍ: أشدَّ عليه الوجع **(من رسول الله ﷺ)** فالوجع على الرواية الأولى رفع مبتدأ وخبره أشد الخ والجملة في محل المفعول الثاني لرأيت، والمعنى ما رأيت أحداً أشدُّ وجعاً من رسول الله ﷺ.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو)** أي والحال أنه **(يوعك)** بفتح العين المهملة **(وعكاً شديداً)** بسكونها أو فتحها وهو الحمى أو ألمها أو إرعادها **(قلت)** وفي نسخةٍ فقلت يا رسول الله: **(إن ذلك)** أي تضاعف الحمّى **(بأن)** أي بسبب أن **(لك أجرين قال)** ﷺ: **(أَجَل)** بفتح

ما من مسلم يصيبه أذىً إلا حاتَّ الله عنه خطاياه كما تحاتَّ ورق الشجر».

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لبعض أصحابه: إلا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف ادع الله لي قال: «إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافِيَكِ» فقالت: إني أصبر فقالت: إن أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها.

---

الهمزة والجيم وتسكين اللام مخففة أي نعم **(ما من مسلم يصيبه أذىً إلا حاتَّ الله)** بالحاء المهملة المفتوحة بعدها ألف ففوقية مشددة وأصله بتاءين فأدغمت الأولى في الثانية أي إلا نثر الله **(عنه خطاياه كما يَحَاتُّ)** أصله يحاتت أي يتساقط **(ورق الشجر)** كناية عن إذهاب الخطايا شبه حال المريض وإصابة المرض جسده ثم محو السيئات عنه سريعاً بحال الشجر وهبوب الرياح الخريفية وتناثر الأوراق منها وتجردها عنها، فهو تشبيه تمثيلي لانتزاع الأمور المتوهمة في المشبه من المشبه به، ووجه الشبه الإزالة الكائنة على سبيل السرعة لا الكمال والنقصان، لأن إزالة الذنوب عن الإنسان سبب كماله وإزالة الأوراق عن الشجر سبب نقصانها؛ قاله في شرح المشكاة. والمراد بالخطايا الصغائر لحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن ما اجْتُنِبَت الكبائر».

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لبعض أصحابة: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال: هذه المرأة السوداء)** اسمها سعيرة بالمهمّلات الأسدية **(أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أُصرَع وإني أَتَكَشَّف)** بفتح الفوقية والشين المعجمة المشددة وفي نسخةٍ أَنْكَشِف بالنون الساكنة بدل الفوقية وكسر المعجمة مخففة **(فادع الله لي)** أن يشفيني من ذلك الصرع **(فقال)** ﷺ مخيراً لها: **(إن شئت صبرت)** على ذلك **(ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)** منه، **(فقالت: أصبر)** يا رسول الله، **(فقالت: إني أتكشف)** بالفوقية وتشديد المعجمة المفتوحة وفي نسخةٍ: أنكشف بالنون الساكنة وكسر المعجمة **(فادع الله)** وفي نسخةٍ لي **(أن لا أتكشف)** وفي نسخةٍ أو أتكشف **(فدعا لها)** ﷺ، قال ابن القيم في الهدي النبوي: من حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخصوصاً بسببِ دماغي أيس من بُرئه، وكذلك إذا استمرَّ به إلى هذا السن، قال: فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتنكشف يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها ﷺ بصبرها على هذا المرض بالجنة. وفي حديث ابن عباس عند البزّار: أن امرأة يقال لها أم زفر كانت تصرع فقالت للنبي ﷺ: إني أخاف الخبيث أن يجردني، فدعا لها فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فتتعلق بها. وذكر ابن سعد أن هذه

عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله تعالى قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة». يريد عينيه.

عن جابر رضي الله عنه قال: جاءني النبي ﷺ يعودني ليس براكب بغلٍ ولا برذونٍ.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: وارأساه فقال رسول الله ﷺ: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثُكْلَياه والله إني لأظنك

---

المرأة هي ماشطةُ خديجة التي كانت تتعاهد النبي ﷺ بالزيارة وهي غير السوداء المتقدمة وقيل عينها.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله)** تعالى **(قال: إذا ابتليت عبدي)** المؤمن **(بحبيبتيه)** بالتثنية أي محبوبتيه إذ هما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد من خيرٍ فيُسرُّ به أو شر فيجتنبه **(فصبر)** مستحضراً ما وعد الله تعالى به الصابرين من الثواب، بخلاف ما إذا لم يستحضر ذلك لأن الأعمال بالنيات زاد الترمذي: «واحتسب» **(عوضته منهما الجنة)** وهي أعظم العِوَضِ لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها، وفي روايةٍ: «قال ربكم: من أذهبت كريمتيه ثم صبرَو احتسبَ كأن ثوابه الجنة»، وفي أخرى: «ما لمن أخذت كريمتيه جزاء إلا الجنة»، وفي حديث أبي أُمامة عند البخاري في الأدب المفرد: «إذا أخذت كريمتيك فصبرت عند الصدمة واحتسبت»، قال في الفتح: فأشار إلى أن الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع النبلاء فيفوض ويسلم وإلا فمتى ضَجِرَ وقَلِقَ في أول وهلةٍ ثم يئس فصبر فلا يحصل له الغرض المذكور قال أنس: **(يريد)** بقوله حبيبتيه **(عينيه)**.

**(عن جابر)** بن عبد الله الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: جاءني النبي ﷺ يعودني ليس براكب بغلٍ)** بالإضافة **(ولا)** راكبِ **(بِرْذَوْن)** بكسر الموحدة وفتح الذال المعجمة نوع من الخيل، أي بل كان ماشياً وعيادة المريض سنة مطلقاً مع مشي أو ركوب.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: وارأساه)** وعند الإمام أحمد والنَّسائي وابن ماجه عن عائشة: رجع رسول الله ﷺ من جنازة من البقيع فوجدني وأنا أجد صُداعاً في رأسي وأنا أقول وارأساه. قال الطيبي ندبت رأسها وأشارت إلى الموت **(فقال النبي ﷺ ذاك)** بكسر الكاف **(لو كان)** أي إن حصل موتكِ **(وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لكِ)** بكسر الكاف فيهما أيضاً **(فقالت عائشة: واثُكلياه)** بضم المثلثة وسكون الكاف وكسر اللام وحُكي فتحها بعدها تحتية مخففة فألف فهاء ندبة، قال في المختار، الثُكل بوزن القُفْل

تحب موتي ولو كان ذاك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك، فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد، أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ أصابه فإن كان لا بدَّ فاعلاً فليقل: اللّهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي».

---

فقدان المرأة ولدها وكذا الثَّكل بفتحتين اهـ وفي القاموس الثُّكْل بالضم الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد اهـ وليست حقيقته مرادة هنا بل هو من كلام يجري على ألسنتهم عند حصول المصيبة أو توقعها فالمعنى وامصيبتاه **(والله إني لأظنك أنَّكَ تحب موتي)** أخذته من قوله لها لو مت قبلي **(ولو كان ذلك)** وفي نسخةٍ ذاك أي موتي **(لظللت)** بفتح اللام والظاء المعجمة بعدها لام مكسورة فأخرى ساكنة **(آخر يومك)** الذي أموت فيه **(مُعَرِّساً)** بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المشددة بعدها سين مهملة اسم فاعل وبسكون العين وتخفيف الراء من أعْرَسَ بامرأته إذا بنى بها أو غشيها **(ببعض أزواجك)** ونسيتني **(فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه)** إضراب عما قالته أي دَعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فإنك لا تموتين في هذه الأيام بل تعيشين بعدي، علم بذلك بالوحي، وفي نسخةٍ أنا وارأساه بإسقاط بل الإضرابية ثم قال ﷺ: **(لقد هممت أن أرسل إلى أبي بكر)** الصديق رضي الله تعالى عنه **(وابنه وأعهد)** بفتح الهمزة والنصب عطفاً على المنصوب السابق أي أوصي بالخلافة لأبي بكر كراهة **(أن يقول القائلون)** الخلافة لفلان أو لفلان، أو يقول واحد منهم: الخلافة لي وأن مصدرية والقول محذوف **(أو يتمنى المتمنون)** الخلافة فأعهد إليه دفعاً للنزاع، وقد أراد الله تعالى أن لا يعهد ليؤجر المسلمون على الاجتهاد والمتمنُّون بضم النون جمع متمن بكسرها، وإنما احضر ابن الصديق معه في العهد بالخلافة ولم يكن له دخل في الخلافة لأن المَقَام مَقَامُ استمالة قلب عائشة أي كما أن الأمر يفوَّض إلى أبيك كذلك الائتمار في ذلك بحضرة أخيك فأقاربك هم أهل مشورتي.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ)** من مرضٍ أو غيره **(أصابه)** وفي روايةٍ: «لا يتمنى» بإثبات الياء خطّاً خبر في معنى النهي وهو أبلغ من النهي الصريح لأنه قدَّر أن المنهي امتثل فأخبر عنه، والمعنى لا ينبغي للمؤمن المتزود للآخرة والساعي في ازدياد ما يثاب عليه من العمل الصالح أن يتمنى ما يمنعه عن السلوك لطريق الله تعالى ولابن حبان: «لا يتمنى أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به في

عن خباب رضي الله عنه أنه اكتوى سبع كيات فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً إلا التراب ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يُدخِل أحداً عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله

---

الدنيا» الحديث، ويؤخذ منه أنه لو كان الضر أخروياً بأن خشي فتنة في دينه لم يَدخل في النهي، ولذا تمناه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بقوله: «اللهم كبرت سِنّي وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مُضَيِّع ولا مفرطٍ» **(فإن كان)** المريض **(لا بد فاعلاً ما ذكر)** من تمني الموت **(فليقل: اللهم أحيِني)** بهمزة قطع **(ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت)** وفي نسخةٍ إذا كانت **(الوفاة خيراً لي)** وهذا نوع تفويض وتسليم للقضاء بخلاف الأول المطلق، فإن فيه نوع اعتراض ومراغمة للقدر المحتوم، والأمر في قوله فليقل لمطلق الإذن لا للوجوب أو الاستحباب، لأن الأمر بعد الحظر لا يبقى على حقيقته.

**(عن خبَّاب)** بفتح الخاء المعجمة والموحدة والمشددة ابن الإرت **(رضي الله تعالى عنه أنه اكتوى)** في بطنه **(سبع كَيَّاتٍ)** فدخل عليه بعض أصحابه يعوده **(وقال)** وفي نسخةٍ فقال لمن دخل يعود **(إن أصحابنا الذين سلفوا)** أي ماتوا في حياته ﷺ **(مضوا ولم تنقصهم)** بفتح الفوقية وضم القاف أو بضمها وكسر القاف المشددة **(الدنيا)** من أجورهم شيئاً فلم يستعجلوها فيها بل صارت مدخرة لهم في الآخرة وقال الكرماني أي لم تجعلهم الدنيا من أصحاب النقصان بسبب اشتغالهم بها إذِ الاشتغال بها اشتغال عن الآخرة **(وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعاً)** نصرفه فيه **(إلا التراب)** يعني البنيان وكان يبني حائطاً له وفي روايةٍ عنه أنه قال: «إن المسلم ليؤجر في كل شيءٍ ينفقه إلا في شيءٍ يجعله في هذا التراب أي في البنيان الزائد على الحاجة **(ولولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)** أي على نفسي قال ذلك لأنه ابتُلي في جسده بَلاءً شديداً، وهذا أخص من تمنى الموت لأن كل دعاءٍ تمنٍّ من غير عكسٍ.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لن يُدخِل أحداً عمله الجنة)** يعني أن العمل ليس موجباً للدخول وإنما هو سبب عادي فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الزخرف: ٧٢] ويجاب أيضاً بأن منازل الجنة تُنَال بالأعمال لتفاوت درجاتها بحسب تفاوت الأعمال فتحمل الآية على ذلك والحديث على أصل الدخول، والمعنى أورثتم منازلها وكذا

بفضلِ رحمته فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب».

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أُوتِي به إليه قال: «أذهب الباس رب الناس إشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً».

---

قوله تعالى: ﴿سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ [النحل: ٣٢] أي أدخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، أو المراد أدخلوها بذلك مع رحمة الله تعالى لكم وتفضله عليكم لأن انقسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخولها حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك إذ لا يخلو شيءٌ من مجازاته لعباده من فضله ورحمته، **(قالوا: ولا أنت يا رسول الله)** لا ينجيك عملك مع عظم قدره **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل رحمته)** بإضافة فضل لما بعده، وفي نسخةٍ: «بفضل ورحمة» أي يلبسنيها ويسترني بها مأخوذ من غمدت السيف وأغمدته ألبسته غمده وغشيته به، وفي روايةٍ: «إلا أن يتداركني الله برحمته»، وعند مسلم: «بمغفرةٍ ورحمةٍ»، وعنده أيضاً: «لا يُدخِل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمةٍ من الله تعالى **(فسدِّدوا)** بالسين المهملة أي اقصدوا السداد أي الصواب بالإخلاص في العمل **(وقاربوا)** وفي نسخةٍ: «وقربوا» بتشديد الراء من غير ألف أي لا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملالة فتتركوا العمل فتفرطوا، وعند مسلم عن أبي هريرة: «لكن سدِّدوا»، ومعنى الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل فكأنه قيل له: بل له فائدة وهي أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تُدخِل العامل فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب إلى اتباع السُّنةِ من الإخلاص وغيره ليُقْبَلَ عملكم فتنزل الرحمة **(ولا يتمنين)** بتحتية بعد النون آخره نون توكيد لفظه نفي بمعنى النهي وفي نسخةٍ: «ولا يتمنَّ» بحذف التحتية والنون بلفظ النهي **(أحدكم الموت)** وفي روايةٍ: زيادة ولا يدع به من قبل أن يأتيه وهو قيد في الصورتين ومفهومه أنه إذا نزل به لا يمنع من تمنيه رضىً بقضاء الله تعالى ولا من طلبه لذلك لأنه **(إما)** أن يكون **(محسناً فلعله أن يزداد خيراً وإما)** أن يكون **(مسيئاً فلعله أن يستعتب)** أي يطلب العُتْبي هي الإرضاء أي يطلب رضا الله تعالى بالتوبة ورد المظالم وتدارك الفائت، ولعل في الموضعين الرِّجاء المجرد عن التعليل وأكثر مجيئها للرجاء إذا كان معه تعليل نحو: ﴿وأتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً)** يعوده **(أو**

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

**أتي به)** أي بالمريض **(إليه)** ﷺ والشك من الراوي **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(أذهِب الباس)** أي الشدة **(ربَّ الناس)** منادي حذفت منه الإداة **(أشف وأنت الشافي)** وفي نسخة حذف الواو **(لا شفاء إلا شفاؤك)** الحصر تأكيد لقوله: أنت الشافي لأن خبر المبتدأ إذا كان معرفاً باللام أفاد الحصر، ووجه ذلك الحصر أن تدبير الطبيب الدواء لا ينفع في المريض إذا لم يقدر الله تعالى له الشفاء **(شفاءَ لا يغادر)** أي لا يترك **(سقماً)** بفتح السين والقاف وبضم السين وسكون القاف، وهو تكميل لقوله أشف والجملتان معترضتان بين الفعل والمفعول المطلق والتنكير في سقماً للتقليل، وفائدة قوله لا يغادر الخ أنه قد يحصل الشفاء من ذلك المرض فيخلفه مرضٌ آخر يُتَوَلَّدُ منه مثلاً فكان عليه الصلاة والسلام يدعو للمريض بالشفاء المطلق لا بمطلق الشفاء.

# كتاب الطب

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً».

---

## كتاب الطِّب

بكسر الطاء وهو علاج الجسم والنفس كما في القاموس ويجوز فيه الضم والفتح والطبيب الحاذق في كل شيء، وخص به المعالج في العرف لكن كره تسميته بذلك لقوله ﷺ: «أنت رفيق والله الطبيب» أي أنت ترفق بالمريض والله تعالى الذي يبرئه ويعافيه، فالطب نوعان: طبُّ القلوب ومعالجته بما جاء به النبي ﷺ عن الله تعالى، وطب الأبدان وهو المراد هنا وبعضه جاء عن النبي ﷺ وأغلبه من غيره وأكثره عن تجربة، وهو قسمان: ما لا يحتاج إلى فكر ونظر كدفع الجوع والعطش، وما يحتاج إليها كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وتفصيل ذلك مبسوط في كتب الطب.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ما أنزل الله داء)** أي مرضاً وجَمْعُه أدواء، وفي روايةٍ: «من داء» بزيادة من أي ما وضع داء في بدن أو ما أصاب الله تعالى أحداً بداء **(إلا أنزل الله له شفاء)** أي إلا قدَّر له دواء، أو المراد بإنزاله إنزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الأرض من الداء والدواء، فعلى الأول المراد بالإنزال التقدير، وعلى الثاني إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ مثلاً أو إلهامٌ لغيره وفي حديث الترمذي وغيره: «تداووا يا عباد الله فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له شفاء إلا داءً واحداً وهو الهرم» وفي لفظ: «إلا السام» بمهملة مخففاً يعني الموت، وفي حديث مسلم: «لكل داءٍ دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى»، ومفهومه أن الدواء إذا جاوز الحد في الكيفية أو الكمية لا ينجح بل ربما أحدث داءً آخر يؤخذ منه أن التداوي لا ينافي التوكل حيث اعتقد أنها تُبرىءُ بإذن الله تعالى وبتقديره لا بذاتها، وأن الدواء قد ينقلب داءً إذا أراد الله تعالى ذلك، وعند أبي داود: «ولا تداووا بحرام» الحديث، فلا يجوز التداوي بحرام لحديث: «لم يجعل الله تعالى شفاء أمتي فيما حرم عليها».

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار، وأنهى أمتي عن الكي».

---

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: الشفاء من الدواء)** كائن **(في ثلاثة)** أي في ثلاثة أشياء أي في واحدٍ منها **(شربة عسل)** يسهل الأخلاط البلغمية وشربة بالخفض بدل من سابقه، قيل: ليس المراد الشرب على الخصوص بل استعماله في الجملة فيما يصلح استعماله فيه فإنه يدخل في المعجونات المسهلة ليحفظ على تلك الأدوية قواها ويسهل الأخلاط التي في البدن، وهو حارٌ يابسٍ في الدرجة الثانية محلل للرطوبات أكلاً وطلاءً نافع للمشايخ وأصحاب البلغم، ولمن كان مزاجه بارداً رطباً فالمبرود يستعمله وحده لدفع البرد والمحرور مع غيره لدفع الحرارة، وهو جيد للحفظ يُقَوي البدن ويحفظ صحته ويسمنه وينفع للفالج والأوجاع الباردة الحادثة من الرطوبات، واستعماله على الريق يذهب البلغم ويغسل خمل المعدة ويقويها ويسخنها تسخيناً معتدلاً ويبيض الأسنان استناناً، ويحفظ صحتها والتلطيخ به يقتل القُمَّل ويطول الشعر وينفع للبواسير وخواصه كثيرة، وعند أبي نُعيم في الطب من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث جابر بسندٍ ضعيف عندهما رفعاه: «من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم بلاء **(وشَرْطةُ محجم)** يتفرغ بها الدم الذي هو أعظم الأخلاط عند هيجانه لتبريد المِزاج والمحجم بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الجيم الآلة التي يجمع فيها دم الحِجَامة عند المصّ والمراد به هنا الحديدة التي يشرط بها موضع الحِجَامة يقال: شَرَط الحاجم إذا ضرب موضع الحِجَامة لإخراج الدم، وقد يتناول القصد وهو أنفع من الحجامة في البلاد الغير الحارة والحجامة أنفع منه في البلاد الحارة **(و)** الثالثة **(كية نار)** تستعمل في الخلط البلغمي الذي لا تنحسم مادته إلا به وآخر الدواء الكي وكية مضاف لما بعدها **(وأنهى أمتي)** نهي تنزيه **(عن الكي)** لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم، ولأنهم كانوا يرون أن يحسم الداء بطبعه فيبادرون إليه قبل حصول الاضطرار إليه فيعجلون تعذيب الكي لأمرٍ مظنون، فنهى ﷺ أمته عنه لذلك وأباح استعماله على جهة طلب الشفاء من الله تعالى والترجي للبرء، وفي روايةٍ: «وما أحب أن أكتوي» ولم يصح أنه ﷺ اكتوى، قال الشيخ عبد الله بن أبي جمرة ما حاصله: علم من مجموع كلامه أن فيه نفعاً ومضرةً فلما نهى عنه علم أن جانب المضرة فيه أغلب قال: وقريب منه أن في الخمر منافع ثم حرمها لأن المضار التي فيها أعظم المنافع اهـ وليس المراد حصل الشفاء في الثلاثة فقد يكون الشفاء في غيرها، وإنما نبه بها على أصول العلاج لأن الأمراض تكون دمويةً وصفراويةً وبلغميةً وسوداويةً، فالدموية بإخراج، وخص الحجم بالذكر لكثرة استعمال العرب له وبقيتها بالمسهل الملائم لكل خلط منها، وأما الكي فيكون آخراً كما ذكرنا.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثانية فقال: «اسقه عسلاً»، ثم أتاه الثالثة فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه فقال: فعلت فقال: «صدق الله وكذب بطنِ أخيك اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن هذه الحبة

---

(**عن أبي سعيد**) سعد بن مالك الخُدري (**رضي الله تعالى عنه أن رجلاً أتى النبيَ ﷺ فقال:**) يا رسول الله (**إن أخي**) قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسم واحد منهما (**يشتكي بطنه**) من إسهالٍ حصل له من تخمةٍ أصابته، ولمسلم: قد عرب بطنه بعين وراء مكسورة فموحدة أي فسد هضمه واعتلت معدته، وفي روايةٍ: فاستطلق بطنه أي كثر خروج ما فيه يريد الإسهال (**فقال**) ﷺ (**أسقه عسلاً**) صرفاً أو ممزوجاً فسقاه فلم يبرأ (**ثم أتاه**) ذلك الرجل (**الثانية**) فقال: إني سقيته فلم يزدد إلا استطلاقاً (**فقال**) ﷺ (**أسقه عسلاً**) ليدفع الفضول المتجمعة في نواحي معدته ومِعاه بما فيه من الجلاء ودفع الفضول، فسقاه فلم يبرأ لكونه غير مقاوم للداء في الكمية، قال الأطباء: وللمعدة خَمَلٌ كَخَمَل المنشفة فإذا علقت به الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل إليها، فكان دواءها باستعمال ما يجلو تلك الأخلاط والعسل أقوى فعلاً في ذلك لا سيَّما إذا مُزِج بالماء الحَار، وهذا الرجل كان استطلاق بطنه من هيضة حصلت له من الامتلاء وسوء الهضم (**ثم أتاه الثالثة**) فقال: إني سقيته فلم يبرأ (**فقال**) ﷺ: (**أسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: فعلت**) فلم يبرأ (**فقال**) ﷺ: (**صدق الله**) حيث قال: ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل: ٦٩] أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يُداوي بضده، ولو قال: فيه الشفاء للناس لكل دواء لكل داء (**وكذب بطن أخيك**) حيث لم يحصل له الشفاء بالعسل فيقال: الداء إنما هو لكثرة المادة الفاسدة، ولذا أمره ﷺ بمعاودة شرب العسل لاستفراغها، ويؤخذ منه كما قال بعضهم: أن الكذب قد يطلق على عدم المطابقة في غير الخبر، قال في المصابيح: وهو على سبيل الاستعارة التبعية وفيه إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء (**أسقه عسلاً فسقاه**) الرابعة (**فبرأ**) بفتح الراء لأنه لما تكرر استعمال الدواء قاوم الداء فأذهبه، فاعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض في البرء من أكبر قواعد الطب، قال بعضهم: وليس طبه ﷺ كطب الأطباء فإن طبه عليه الصلاة والسلام متيقن قطعي النهي صار عن الوحي ومشكاة النبوة، وكمال العقل وطب غيره حدس وظنون وتجارب.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: إن هذه**) وفي نسخةٍ: إن في هذه (**الحبة السوداء**) وهي الشونيز بالشين المعجمة المضمومة والواو

الوسداء شفاءٌ من كل داء إلا من السام» قلت: وما السام؟ قال: «الموت».

عن أم قيس بنت محصن رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية يسعط به من العذرة، ويلد به من ذات الجنب»، وباقي الحديث تقدم.

---

الساكنة وبعد النون المكسورة تحتية ساكنة فمعجمة، وهي نبت في بلاد مصر كثير وقيل الخردل وقيل ثمرة البطم والأولى أَولى (**شفاء من كل داء**) يحدث من الرطوبة والبرودة ونحوهما من الأمراض الباردة، أما الحارة فلا لكن قد تدخل في بعض الأمراض الحارة اليابسة بالعرض فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها، واستعمال الحار في الأمراض الحارة لخاصِّيَّة فيه لا يستنكر كالعنزروت فإنه حار ويستعمل في أدوية الرمد المركبة مع أن الرمد مرض حار باتفاق الأطباء، وقد قال بعض الأطباء إن طبع الحبة السوداء حار يابس، وهي مذهبة للنفخ نافعة من حمى الربع والبلغم مفتحة للسدد والريح مجففة لبلة المعدة، وإذا دُقَّت وعُجِنت بالعسل وشربت بالماء الحار أذابت الحصاة وأدرَّت البول والطمث، وفيها جلاء وتقطيع وإذا نقع منها سبع حبات في لبن امرأة وسعط بها صاحب اليرقان نفعه، وإذا شرب منها وزنُ مثقالٍ بماءٍ أفاد من ضيق النفس والضماد بها ينفع من الصداع البارد، وإذا أخذ منها سبع حبات أو خمس وقليت ثم سحقت ناعماً ونقعت في زيتٍ ثم قَطَر منها في أنف المزكوم أزال الزكام الذي معه عطاس عارض كثيرٍ، وقال ابن أبي حمزة تكلم ناس في هذا الحديث وخصوا عمومه وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة، ولا خلاف بغلطِ قائل ذلك لأنا إذا صدَّقنا أهل الطب ومدار علمهم غالباً إنما هو على التجربة التي بناؤها على ظنٍّ غالب فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم اهـ أي فيحمل على العموم وحينئذٍ فتنفع من جميع الأدواء لكن بشرط تركيبه مع غيره في غير الأمراض الباردة كما مر (**إلا من السام**) بمهملة وتخفيف الميم (**قال**) بعض الرواة لبعض (**قلت: وما السام؟ قال: الموت**) وفيه أن الموت داء من الأدواء، قال:

وداء الـــمـــوت لـــيـــس لـــه دواء

(**عن أم قيس بنت محصن**) بكسر الميم وفتح الصاد المهملة بينهما حاء مهملة الأسدية من المهاجرات (**رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليكم بهذا العود الهندي**) أي استعملوه وهو القسط ويقال له السكت وهو هندي وبحري، وهو ما يجلب من اليمن ومنه ما يجلب من المغرب، وزاد بعضهم ثالثاً يسمى بالقُسْط المر وهو ببلاد الشام خصوصاً بالسواحل، قال في نزهة الأفكار: وأجودها البحري وخياره الأبيض الخفيف الطيب الرائحة، وبعده الهندي وهو أسود خفيف وبعده

عن أنس رضي الله عنه حديث احتجم النبي ﷺ حجمه أبو طيبة تقدم وقال هنا. في آخره: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط

---

الثالث وهو ثقيل، ولونه كالخشب البقس ورائحته ساقطة وأجود ذلك كله ما كان حديثاً ممتلئاً غير متآكلٍ يلذَعُ باللسان، وكله دواء مبارك نافع وإنما خصَّ الهندي في الحديث لعله لكثرته ثم **(فإن فيه سبعة أشفية)** أي أدوية جمع شفاء كدواء وأودية وجمع الجمع إشاف منها أنه **(يسعط به)** بضم الياء يقال: سعطه الدواء كمنعه ونصره وأسعطه إياه أدخله في أنفه والسَّعوط بفتح السين المهملة كصَبُور ذلك الدواء والمسعط بالضم كمنبر ما يجعل فيه ويصب منه في الأنف **(من العُذْرة)** بضم العين وسكون الذال المعجمة وجع يأخذ الطفل في حلقه يهيج من الدم أو في الخرم الذي بين الأنف والحلق وهي سقوط اللهاة، وقيل قرْحَةٌ تخرج من الأنف والحلق تعرض للصبيان غالباً عند طلوع العُذْرة وهي خمس كواكب تحت الشعري العَبور أو تطلع وسط الحر، وإنما كان القُسْط نافعاً للعُذْرة لأنه مجفف للرطوبات والعذرة دم يغلب عليه البلغم أو نفعه لها بالخاصية **(ويُلَدُّ به)** بضم الدال والتحتية وفتح اللام أي يُسقى في أحد شِقي الفم **(من)** وجع **(ذات الجنب)** والمراد هنا ألمٌ يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة تحتنق بين الصفاقات فتحدث وجعاً، وقد ذكر في الحديث أن في القُسْط سبعة أشفاء ولم يذكر منها سوى إثنين، فيحتمل أن يكون أختصاراً من الراوي **(وباقي الحديث تقدم)** في كتاب الطهارة وهو أنها قالت: ودخلت على النبي ﷺ بابن لي صغير لم يأكل الطعام فبال عليه فدعا بماء فرش عليه.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه حديث احتجم النبي ﷺ حَجَمه أبو طيبة)** بفتح الطاء المهملة وسكون التحتية وبعد الموحدة تاء اسمه نافع على الصحيح وقيل ميسرة **(تقدم)** وهو أنه أعطاه صاعين من طعام أي تمرٍ وكلم مواليه لخففوا عنه **(وقال)** أنسٍ **(في آخره أن رسول الله ﷺ قال: إن أمثل)** أي أفضل **(ما تداويتم به)** من هيجان الدم **(الحجامة)** لأن أهل الحجاز ومن في معناهم دماؤهم رقيقة تميل إلى ظاهر أجسادهم لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح البدن، وهي تنقي سطح البدن أكثر من الفصد وهي تغني عن كثيرٍ من الأدوية قال بعضهم: الحجامة في الأزمان الحارة والأماكن الحارة والأبدان الحارة التي دماء أصحابها في غاية النضج أنفع، والفصد بالعكس ولذا كانت الحجامة أنفع للصبيان ولمن لا يقوى على الفصد اهـ وقد أخرج أبو نُعَيم من حديث علي رفعه: «خير الدواء الحجامة والفصد» لكن في سنده كذاب وعن ابن سيرين فيما أخرجه الطبراني بسند صحيح: «إذا بلغ الرجل أربعين سنة لم يحتجم»، قال الطبري: وذلك أنه يصير من حينئذٍ في انتقاصٍ من عُمُره وانحلالٍ من قوى جسده فلا ينبغي أن يزيده وَهْناً بإخراج الدم. قال في الفتح بعد ذكر ذلك: وهو محمول على من لم تتعين حاجته إليه وعلى من لم يعتده **(و)** أمثل ما تداويتم به **(القُسْط البحري وقال)** عليه الصلاة والسلام: **(لا تعذبوا صبيانكم**

البحري وقال: لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة وعليكم بالقسط».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت علي الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت: ما هذا أمتي هذه؟ قيل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي انظر ههنا وههنا في آفاق السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب»، ثم دخل

---

**بالغمز)** أي بالعصر باليد **(من العذرة)** التي هي قرحة تخرج بين الأنف والحلق كما مر مع غيره قريباً، وكانت المرأة تأخذ خِرقة فتفتلها فتلاً شديداً وتدخلها في حلق الصبي وتعتصر عليه فينفجر منه دم أسود وربما أقرحته، فحذرهم ﷺ من ذلك وأرشدهم إلى استعمال ما فيه دواء ذلك من غير ألم فقال **(وعليكم بالقُسْط)** فإنه للعُذْرة لا مشقة فيه وفي حديث: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبي يسيل منخراه دماً، فقال: ما هذا قالوا به العُذْرة أو وَجَعٌ في رأسه قال: «ويْلَكُنَّ لا تقتلن أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عُذْرة أو وجع في رأسه فلتأخذ قُسْطاً هندياً فلتحكه بماء ثم تَسْعَطَه إياه»، فأمرت عائشة وصنعت ذلك بالصبي فبرأ. رواه أحمد وغيره.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: عُرِضت)** بضم العين مبنياً للمفعول ونائب الفاعل الأمم في قوله **(عليَّ الأمم)** وعند الترمذي والنسائي أن ذلك كان ليلة الإسراء وهو محمول على القول بتعدد الإسراء وأنه وقع بالمدينة غير الذي وقع بمكة **(فجعل النبي)** بالإفراد **(والنبيان)** بالتثنية **(يمرون معهم الرهط)** ما دون العشرة من الرجال أو إلى الأربعين **(والنبي يمر ليس معه أحد)** ممن أخبرهم عن الله تعالى لعدم إيمانهم **(حتى رُفِع لي)** براء مضمومة وكسر الفاء **(سواد عظيم)** ضد البياض الشخص يرى من بعد، وفي روايةٍ سواد كثير بدل قول عظيم وأشار به إلى أن المراد الجنس لا الواحد، وفي نسخةٍ: «حتى وقع لي سواد عظيم» بواو وقاف مفتوحتين بدل الراء والفاء قال في الفتح: والأول هو المحفوظ في جميع طرق هذا الحديث **(قلت: ما هذا)** السواد الذي أراه **(أمتي هذه؟ قيل: هذا)** وفي نسخةٍ: بل هذا **(موسى وقومه قيل أنظر إلى الأفق)** أي ناحية السماء **(فنظرت إليه فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: أنظر ها هنا وههنا في آفاق)** أي نواحي **(السماء فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل هذه أمتك المؤمنون ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب)** فإن قلت: قد ثبت أنه ﷺ قال: «إنه تعرف أمته من بين الأمم بأنه محجلون فكيف ظن هنا أنهم أمة موسى؟ أجيب بأن الأشخاص التي رآها في الأفق لا يُدرَك منها إلا الكثرة من غير تمييز لأعيانهم لبعدهم وأما الأخرى فمحمولة على ما إذا قربوا كما لا يخفى **(ثم دخل)** ﷺ حُجرته **(ولم**

ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي ﷺ فخرج فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» فقام آخر فقال أمنهم أنا؟ قال: «سبقك بها عكاشة».

---

**يبين لهم)** أي لم يبين لأصحابه من السبعون ألفاً الداخلون الجنة بغير حساب **(فأفاض القوم)** في الحديث أي تدافعوا فيه وناظروا عليه **(وقالوا نحن الذين آمنا بالله)** تعالى **(واتبعنا رسوله)** ﷺ **(فنحن)** معشر الصحابة **(هم أو)** هم **(أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا وُلِدْنَا في الجاهلية فبلغ)** ذلك القول **(النبي ﷺ فخرج)** من حُجْرته **(فقال)**: الذين يدخلون الجنة بلا حساب **(هم الذين لا يسترقون)** مطلقاً أو لا يسترقون برُقى الجاهلية **(ولا يتطيرون)** أي ولا يتشاءمون بالطيور ونحوها كما هو عادتهم قبل الإسلام **(ولا يكتوون)** معتقدين أن الشفاء من الكي كما كان يعتقد أهل الجاهلية **(وعلى ربهم يتوكلون)** أي يفوضون إلى الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب، أو يتركون الاسترقاء والطِّيَرَةَ والاكتواء فيكون من باب العام بعد الخاص، لأن كل واحدة منها صفة خاصة من التوكل وهو أعم من ذلك، وقول بعضهم لا يستحق اسم التوكل إلا من لم يخالط قلبه خوف غير الله تعالى حتى لو هجم عليه الأسد لا ينزعج، وحتى لا يسعى في طلب الرزق لكون الله تعالى ضَمِنَه له ردَّه الجمهور وقالوا: محصل التوكل بأن يثق بوعد الله تعالى ويوقن بأن قضاءه واقع ولا يترك اتباع السنة في اتباع الرزق بما لا بد منه من مطعم ومشرب وتحرز من عدو بإعداد السلاح وإغلاق الباب، لكنه مع ذلك لا يطمئن إلى الأسباب بقلبه بل يعتقد أنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، بل المسبب والمسبب فعله والكل بمشيئته لا إله إلا هو فإذا وقع من المرء ركون إلى السبب خرج من توكله **(فقال عكاشة بن محصن)** بضم العين وتشديد الكاف وتخفف ومحصن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم نون وكان من أجمل الرجال وممن شهد بدراً **(أمنهم أنا يا رسول الله؟)** بهمزة الاستفهام الاستخباري، وفي روايةٍ: أدع الله تعالى أن يجعلني منهم، وجُمع بينهما بأنه سأله الدعاء أولاً فدعا له ثم استفهم هل أجيب فقال أمنهم أنا **(فقال)** ﷺ: **(نعم)** أنت منهم **(فقام آخر)** قال الخطيب: هو سعد بن عبادة **(فقال أمنهم أنا)** يا رسول الله؟ **(فقال)** ﷺ: **(سبقك بها عكاشة)** قال ذلك حسماً للمادة لأنه لو قال نعم لأوشك أن يقوم ثالث ورابع وخامس وهلمَّ جرا، وليس كل الناس يصلح لذلك وفي حديث رفاعة الجهني عند أحمد وصححه ابن حبان: «وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تتبؤوا أنتم ومن صلح من أزواجكم وذرياتكم مساكن الجنة»، وهو يدل على أن مزية السبعين بالدخول بغير حساب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد».

---

لا تستلزم فضيلتهم على غيرهم بل فيمن يحاسب في الجملة من هو أفضل منهم ومن يتأخر عن الدخول ممن تحققت نجاته وعرف مقامه من الجنة ليشفع في غيره من هو أفضل منهم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: لا عدوى)** بالعين المهملة والواو المفتوحتين بينهما دال مهملة ساكنة، أي لا سِراية للمرض عن صاحبه إلى غيره نفياً لما كان الجاهلية تعتقده في بعض الأدواء أنها تعدي بطبعها وهو خبر أريد به النهي **(ولا طِيَرَةَ)** بكسر الطاء المهملة وفتح التحتية من التطير وهوالتشاؤم كانوا يتشاءمون بالسوانح والبوارح، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه وأبطله ونهى عنه أخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر **(ولا هامةِ)** بتخفيف الميم على الصحيح حكي تشديدها، كانوا يعتقدون أن عظام الميت تنقلب هامة تطير، وقيل هي البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم يرى أنها ناعية له نفسه أو بعض أهله، وقيل إن روح القتيل الذي لا يؤخذ بثأره تصير هامةً فتزقو وتقول: اسقوني من دم قاتلي فإذا أدرك بثأره طارت **(ولا صَفَر)** بالتحريك هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله، ففي سنن أبي داود عن محمد بن راشد أنهم كانوا يتشاءمون بدخول صَفَر لما يتوهمون أن فيه تكثر الدواهي والفتن أي لانقضاء المحرم الذي كان يحرم فيه القتال، فإذا اضطروا إلى القتال فيه أحلوه وسموه صَفَراً والذي بعده المحرم وهو النسيء المذكور في القرآن، فصار صَفَر علامة على الشر ولذا تشاءموا به، وقيل الصَّفَر حية في البطن تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب فنهى ﷺ عن ذلك بقوله: «ولا صفر»، قال في المختار: وصَفَر الشهر بعد المحرم وجمعه أصفار والصَفَر بفتحتين فيما تزعم العرب حَيَّة في البطن تعض الإنسان إذا جاع واللذع الذي يجده عند الجوع من عضها اهـ زاد مسلم: «ولا تولَة» وهي خرز تحبب معها المرأة إلى زوجها وزاد ابن حبان: «ولا غُوْل» وقد كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات، وهي من جنس الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولاً، أي تتلون تلوناً فتضلهم عن الطريق فتهلكهم، فنفى ﷺ استطاعة الغُوْل أن يُضِلَّ أحداً، وفي الحديث: «إذا تغَوَّلت الغِيلان فنادوا بالآذان ثم ادفعوا شرها بذكر الله تعالى»، ولم يرد بنفيها عدمها إذ كانت ثم زالت ببعثته ﷺ، قال الطيبي لا التي لنفي الجنس دخلت على المذكورات فنفت ذواتها، وهي غير منفية فيتوجه النفي إلى أوصافها وأحوالها التي هي مخالفة للشرع فإن العدوى والصَّفَر والهامَة والتولة موجودة، والمنفي ما زعمت الجاهلية إثباته فإن نفي الذات لإرادة نفي الصفات أبلغ لأنه من باب الكناية **(وفِرَّ من المجذوم كما تفر)** أي كفرارك **(من الأسد)** فما مصدرية

وعنه رضي الله عنه في رواية قال: أعرابي: يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيدخل بينها البعير الأجرب فيجر بها قال: «فمن أعدى الأول»؟.

---

واستشكل هذا بقوله: لا عدوى وبأكله ﷺ مع مجذوم وقال: «ثقة بالله وتوكلاً عليه» وأجيب بأن المراد بنفي العدوى نفي أن شيئاً يعدي بطبعه رداً لما كانت الجاهلية تعتقده من أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافةٍ إلى الله تعالى كما سبق، فأبطل ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله تعالى هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدُنُو من المجذوم ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله تعالى العادة بأنها تُفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل بل الله تعالى هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً وإن شاء أبقاها فأثرت، وعلى هذا جرى أكثر الشافعية. وقيل إن إثبات العدوى في المجذوم ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى فيكون المعنى لا عدوى إلا من الجُذام والجرب والبرص مثلاً، قاله القاضي أبو بكر الباقلاني. وقيل: الأمر بالفرار ليس من باب العدوى بل لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسدٍ إلى جسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشَمِّ الرائحة، فليس على طريق العدوى بل بتأثير الرائحة أنها تُسقِم من واظب اشتمامها ونحو ذلك؛ قاله ابن قتيبة وهو قريب. وقيل: الأمر بالفرار لرعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى صحيح البدن سليماً من الآفة التي هو بها عظمت مصيبته وحسرته واشتد أسفه على ما ابتُلي به ونسي سائر ما أنعم الله تعالى به عليه فيكون قربُ الصحيح منه سبباً لزيادة محنة أخيه المسلم وبلائه، وقيل لا عدوى أصلاً ورأساً والأمر بالفرار إنما هو حسماً للمادة وصدّاً للذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك فيظن أنه سبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها ﷺ، فأمر عليه الصلاة والسلام بتجنب ذلك شفقة منه ورحمة.

(**وعنه في روايةٍ**) أنه (**قال أعرابي**) للنبي ﷺ لمَّا قال لا عدوى: (**يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظِّباء**) في النشاط والقوة والسلامة من الداء، والظباء بكسر الظاء المعجمة مهموز ممدود وفي الرمل خبر كان وكأنها الظباء حال من الضمير المستتر في الخبر وهو تتميم لمعنى النقاوة وذلك أنها كانت في التراب ربما يلصق بها شيء منه (**فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجر بها**) بضم الياء وكسر الراء (**قال**) وفي نسخةٍ فقال (ﷺ) رداً عليه لما يعتقده من العدوى: (**فمن أعدى الأول**) مراده ﷺ أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله تعالى وقدره، فكذلك الثاني وما بعده وهذا جواب في غاية البلاغة والرشاقة، أي من أين جاء الجرب للذي أعدى بزعمهم، فإن أجابوا بأنه من بعيرٍ آخر لزم التسلسل أو من سبب آخر فليفصحوا به، فإن أجابو بأن الذي

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار أن يرقوا من الحمة ومن الأذن»، فقال أنس: كُويتُ مِن ذاتِ الجنب ورسول الله ﷺ حي وشهدني أبو طلحة وأنس بن النضر وزيد بن ثابت وأبو طلحة كواني.

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها، أخذت الماء فصبته بينها وبين جيبها، قالت: وكان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نبردها بالماء.

---

فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدَّعي وهو أن الذي فعل جميع ذلك هو القادر الخالق الذي لا إله غيره ولا مؤثر سواه.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: أذن رسول الله ﷺ لأهل بيت من الأنصار)** هم آل عمرو بن حزم رواه مسلم **(أن يرقوا)** أي بأن يرقوا أي بالرقية فأن مصدرية **(من الحمة)** بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم سم عقربٍ أو إبرته التي يضرب بها العقرب أو كل هامَّة ذات سم من حية أو عقرب وإطلاقه على الإبرة للمجاورة لأن السم يخرج منها، وأصلها حموا وحمى بوزن صُرَد والهاء فيه عوض الواو أو الياء المحذوفة **(ومن)** وجع **(الأذن)** واستشكل هذا بحديث لا رقية إلا من عينٍ أو حمة، وأجيب باحتمال الرخصة بعد المنع أو المعنى: لا رقية أنفع من رقية العين والحمة ولم يرد نفي جَواز الرقية في غيرهما، بل يجوز الرقية بذكر الله تعالى في جميع الأوجاع، فالمعنى لا رقية أولى وأنفع منها كما تقول: لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار **(قال أنس: كُوِيتُ)** بضم الكاف مبنياً للمفعول **(من ذات الجنب)** وهي ألمٌ يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظةٍ مؤذيةٍ تحتقن بين الصفاقات فتحدث وجعاً شديداً، وتطلق ذات الجنب على ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع تحدث منه الحمى والسعال والوجع الناخس وضيق النفس، وهذا هو المعنى الحقيقي لذات الجنب **(ورسول الله ﷺ حَي)** يريد ولم ينكر عليه **(وشهدني)** أي حضرني **(أبو طلحة)** زيد بن سهل زوج والدة أنس أم سليم **(وأنس بن النضر)** بالنون والضاد المعجمة عم **أنس** بن مالك بن النضر **(وزيد بن ثابت)** الصحابي المشهور **(وأبو طلحة كواني)** أي باشر الكي بيده والبقية حاضرون، وفيه دليل على أن الكي ينفع لذات الجنب، وتقدم أنه ينفع له أيضاً العود الهندي لكن في النوع الأول منه، وربما نفع في النوع الثاني إذا كان ناشئاً عن مادةٍ بلغمية خصوصاً في وقت انحطاط العلة.

**(عن أسماء بنت أبي بكر)** الصديق **(رضي الله تعالى عنهما أنها كانت إذا أُتِيَت)** بضم الهمزة مبنياً للمفعول **(بالمرأة قد حُمَّت)** بضم الحاء المهملة وفتح الميم المشددة أي أصابتها الحمى **(تدعو لها)** أي أتوها بقصد أن تدعو لها بالشفاء **(أخذت الماء فصبته بينها)**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم».

---

أي بين المحمومة **(وبين جيبها)** بفتح الجيم وكسر الموحدة بينهما تحتية ساكنة، وهو ما يكون مفرجاً من الثوب كالطوق والكم **(وقالت)** أسماء **(كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نُبْرِدها بالماء)** بفتح النون وضم الراء بينهما موحدة ساكنة وروي بضم ففتح فكسر مع تشديد، وصيغة الأمر أنه قال: «الحُمَّى من فيح جهنم فأبْرِدوها بالماء» وفِعْل أسماء المذكور بيان لكيفية التبريد المطلق في الحديث أشارت إلى أن المراد استعمال الماء على وجه مخصوص لا غسل جميع البدن، فلا يَرِد اعتراض بعضهم على الحديث بأن المحموم إذا انغمس في الماء أصابته الحمى واختنقت الحرارة في باطن بدنه، فربما أحدثت له مرضاً مهلكاً، وأما حديث ثوبان رفعه: «إذا أصاب أحدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالماء يستنقع في نهرٍ جارٍ ويستقبل جريته وليقل: بسم الله اللهم أشف عبدك وصَدِّق رسولك بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس، ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فإن لم يبر أفخمس وإلا فسبع فإنها لا تكاد تجاوز سبعاً بإذن الله تعالى»، فقال الترمذي: غريب وعلى تقدير ثبوته فهو شيء خارج عن قواعد الطب داخل في قسم المعجزات الخارقة للعادة، ألا ترى كيف قال فيه: وصَدِّق رسولك وبإذن الله تعالى وقد شوهد وجُرِّب فوُجِدَ كما نطق به الصادق المصدوق ﷺ؛ قاله في شرح المشكاة. ويحتمل أن يكون لبعض الحميات دون بعض.

**(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: الطاعون شهادة لكل مسلم)** مات به لمشاركته للشهيد فيما كابده من الشدة، والطاعون ورم مؤلم جداً يخرج مع لهبٍ ويَسْوَدّ ما حوله أو يخَضّر أو يُحَمّر حمرة شديدة بنفسجية كدرة، ويحمل معه خفقان وقيء ويخرج غالباً في المراق والإباط وقد يخرج في الأيدي والأصابع وسائر الجسد؛ قاله النووي في تهذيبه. وقال ابن سينا: سببه دم رديء يستحيل إلى جوهر سُمِّي يُفْسد العضو ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فتحدث القيء والغثيان والغشي، ولردائته لا يقبل في الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبائية ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس، والوباء فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده اهـ وحاصل هذا أنه ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب الدم إلى عضو فيفسده، وإنَّ غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعوناً بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض به، وهذا لا يعارض ما ورد: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن»، إذ يجوز أن يكون ذلك يحدث عن الطعنة الباطنية فتحدث منها المادة السمية ويهيج الدم بسببها وإنما لم يتعرض الأضباء لكونه من طعن الجن لأنه أمر لا يُدرَك بالعقل وإنما عرف من جهة الشارع فتكلموا في ذلك على ما

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يُسترقَى من العين».

---

اقتضته قواعدهم، لكن في وقوع الطاعون في أعدل الفصول وأصح البلاد هواءً وأطيبها ماءً دلالة على أنه من طعن الجن وأيضاً لو كان من فساد الهواء لعم الناس والحيوان مع أنه ربما أصاب الكثير من الناس ولا يصيب من بجانبهم ممن هو في مثل مِزاجهم وربما يصيب بعض أهل البيت الواحد ويسلم منه الآخرون منهم، وأما ما يذكر من أنه من وخز إخوانكم من الجن فلم يوجد في شيء من الكتب المشهورة فإن قلت: إذا كان الطاعون من الجن فكيف يقع في رمضان والشياطين تُصَفَّد فيه وتسلسل أجيب باحتمال أنهم يُطعنون قبل دخوله، ولم يظهر التأثير إلا بعد دخوله وقيل غير ذلك، والصحيح أنه يحرم دخول الأرض التي هو بها كما يحرم الخروج منها لثبوت النهي عن ذلك، وقال بعضهم: النهي للتنزيه فيكره الخروج وقد تقدم ذلك.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: أمرني رسول الله ﷺ أو أمر أن يُسترقي)** بتحتية مضمومة وفتح القاف مبنياً للمفعول وفي نسخةٍ: أن نسترقي بنون مفتوحة بدل التحتية وكسر القاف أي نطلب الرقية ممن يعرفها **(من العين)** أي بسبب العين وذلك إذا نظر المعيان لشيء نظر استحسان مشوب بحسد يحصل للمنظور إليه ضرر بعادةٍ أجراها الله تعالى، وهل ثَمَّ جواهر خفية تنبعث عن عينه تصل إلى المعيون كإصابة السُّمِّ من نظر الأفعاء أم لا؟ هو أمر محتمل لا يقطع بإثباته ولا بنفيه، قال ابن العربي: والحق أن الله تعالى يخلق عند نظر العائن إليه وإعجابه به إذا شاء ما شاء من ألم أو هلكة وقد يصرفه قبل وقوعه بالرقية اهـ وقد أخرج البزار بسند حسن عن جابر رفعه: «أكثر من يموت بعد قضاء الله تعالى وقدره بالنفس» قال الراوي: يعني بالعين وفي البخاري عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «العين حق» أي الإصابة بها ثابتة موجودة، وزاد مسلم من حديث ابن عباس: «ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»، وهي كالمؤكدة لقوله: العين حق وفيها تنبيهٌ على سرعة نفوذها وتأثيرها في الذات والمعنى: لو فرض أن شيئاً له قوة بحيث يسبق القدر كان العين لكنها لا تسبق فكيف غيرها، وفي ذلك رد على طائفة من المبتدعة حيث أنكروا إصابة العين، ولو أتلف العائن شيئاً ضمنه ولو قتل فعليه القصاص أو الدية إذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادةً، كالساحر عند من لا يقتله كفراً، قاله القرطبي من المالكية، وقال الشافعية: لا قصاص ولا دية ولا كفارة لأنه لا يقتل غالباً ولا يعد مُهلكاً، ولأن الحاكم إنما يترتب على منضبط عالم دون ما يختص ببعض الناس وبعض الأحوال مما لا ضبط فيه، كيف ولم يقع منه فعل أصلاً اهـ وفي حديثٍ رفعه: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله ولا قوة إلا بالله لم يضره» رواه البزار وابن السُّني.

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «رخص النبي ﷺ الرقية من كل ذي حمة».

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا».

---

**(عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية)** لم تُسَم **(في وجهها سفعة)** بفتح السين المهملة وسكون الفاء بعدها عين مهملة سواد أو حمرة يعلوها سواد أو صفرة، والمراد هنا أن السفعة أدركتها من قبل النظر **(فقال)** ﷺ: **(استرقوا لها)** بكسون الراء أي أطلبوا من يرقيها **(فإن بها النظرة)** بفتح النون وسكون المعجمة أي أصابتها العين أو عين الجن أو أن الشيطان أصابها، قال الخطابي: عيون الجن أنفذ من الأسنة.

**(عن عائشة رضي الله عنها)** أنها **(قالت: رخص النبي ﷺ الرقية)** وفي نسخةٍ: في الرقية **(من كل ذي حمة)** بضم الحاء المهملة وفتح الميم المخففة أي ذي سُمٍّ، قال في الفتح: ووقع في رواية ابن الأحوص عن الشيباني بسنده: «رخص في الرُّقية من الحية والعقرب» اهـ والرخصة إنما تكون بعد النهي وكان ﷺ نهاهم عن الرُّقي لما عسى أن يكون من ألفاظ الجاهلية فانتهوا عنها، ثم رخَّصَ لهم إذا عريت عن ذلك وفي حديث أبي هريرة: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، فقال: «أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك إن شاء الله تعالى». رواه أصحاب السنن، وقال ابن عبد البر في التمهيد عن سعيد بن المسيب قال: بلغني أن من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب، وذكر أبو القاسم القشيري في تفسيره أن في بعض التفاسير أن الحية والعقرب أتيا نوحاً عليه الصلاة والسلام فقالتا: احملنا فقال نوح لا أحملكما فإنكما سبب الضرر فقالتا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك.

**(وعنها رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقول)** في الرقية **(للمريض)** وعند مسلم عن سفيان كان إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها: **(بسم الله)** هذه **(تربة أرضنا)** المدينة خاصة لبركتها أو كل أرض **(وريقة بعضنا)** عطف على تربة وفي نسخةٍ بريقة والباء متعلقة بمحذوف خبر ثانٍ قال الطيبي في شرح المشكاة: إضافة تربة أرضنا وريقة بعضنا تدل على الاختصاص، وأن تلك التربة والريقة مختصان بمكان شريف يُتَبرَّك به بل بذي نفسٍ شريفة قدسية طاهرة زكية عن أوصاف الذنوب والآثام، فلما تبرك باسم الله الشافي ونطق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طِيرَةَ وخيرها الفأل» قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم».

---

بها ضم إليها تلك التربة والريقة وسيلة إلى المطلوب، ويعضده أنه ﷺ بزق في عين عليٍّ رضي الله تعالى عنه فبرأ من الرمد، وفي بئر الحديبية فامتلأ ماء (**يَشفِي**) بفتح أوله وكسر الفاء (**سقيمنا**) نصب على المفعولية والفاعل مقدر وروي بضم التحتية وفتح الفاء وسقيمنا بالرفع نائب على الفاعل (**بأذن ربنا**) قال النووي: كان ﷺ يأخذ من ريق نَفَسِه على أصبعه السبابة ثم يضعها على التراب فيعلق بها منه فيمسح بها على الموضع الجريح والعليل ويتلفظ بهذه الكلمات في حال المسح، وقال البيضاوي: قد شهدت المباحث الطبية على أن الريق له مدخل في النضج وتعديل المزاج ولتراب الوطن تأثير في حفظ المِزاج الأصلي ودفع نكاية المضرات، وللرُّقى والعزائم آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول إلى كنهها اهـ وقال التوربشتي الذي يسبق إلى الفهم من صيغة ذلك ومن قوله: تربة أرضنا إشارة إلى فطرة آدم وريقة بعضنا إلى النطفة التي خُلِق منها الإنسان فكأنه يتضرع بلسان الحال ويعرض بفحوى المقال أنك اخترعْتَ الأصل الأول ثم ابتدعْتَ بَنِيْهِ من ماءٍ مهين عليك أن تُشفي من كانت هذه نشأته اهـ.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول لا طِيَرَةَ**) بكسر الطاء المهملة وفتح التحتية وقد تسكن التشاؤم بالشيء، وأصل ذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا خرج أحدهم لحاجة فإن رأى الطير طار عن يمينه تيمن به واستمر وإن طار عن يساره تشاءم به ورجع، وربما كانوا يهيجون الطير ليطير فيتعمدون ذلك، ويصح معهم في الغالب ليُزَيِّنَ الشيطان لهم ذلك وفي حديث إسماعيل بن أمية عند عبد الرزاق عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا يسلم منهم أحد: الطِّيَرَةُ والظَنُّ والحسد، فإذا تَطَيَّرْتَ فلا ترجع وإذا حسدتَ فلا تبغِ وإذا ظننت فلا تحقق»، وفي حديث أبي هريرة عند ابن عَدي مرفوعاً: «إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا» وفي حديث ابن عمر مرفوعاً: «من عرض له من هذه الطِّيرة شيء فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك» رواه البيهقي في شُعَبِه (**وخيرها**) أي الطيرة بناءً على زعمهم أن فيها خيراً (**الفأل**) بالهمز الساكن بعد الفاء، والإضافة في قوله وخيرها مشعرة بأن الفأل من جملة الطِّيرة ويدل له حديث الترمذي عن حابس التميمي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «العين حق وأصدق الطيرة الفأل»، فهو صريح في أن الفأل من جملة الطيرة، لكن المشهور عند أهل اللغة استعمال الطيرة في المكروه قال الله تعالى: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ [يس: ١٨] أي تشاءمنا، وقال أيضاً: ﴿طائركم معكم﴾ [يس: ١٩] أي سبب شؤمكم منكم، والفأل في المحبوب وربما يكون في مكروه (**قال: وما الفأل**) يا رسول الله؟ (**قال: الكلمة الصالحة**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت إحداهما الأخرى بحجرٍ فأصاب بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ فقضى أن دية ما في بطنها غُرَّةٌ عبدٍ أو أمةٍ فقال ولي المرأة التي غرمت: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك بطل، فقال النبي ﷺ: «إنما هذا من إخوان الكهان».

---

**يسمعها أحدكم)** كالمريض يسمع يا سالم وطالب الحاجة يا واجد، وفي حديث عروة بن عامر عند أبي داود قال: ذكرت الطِّيَرة عند رسول الله ﷺ فقال: «خيرها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله»، وفي حديث أنس عند الترمذي وصححه أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجة يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد، وفي حديث بريدة عند أبي داود بسند حسن أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيءٍ وكان إذا بعث غلاماً يسأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به وإن كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه. قال بعضهم: وقد جعل الله تعالى في الفطرة محبة ذلك كما جعل فيها الارتياح للمنظر الأنيق والماء الصافي وإن لم يشرب منه ويستعمله.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قضى في امرأتين من هُذَيْل)** بضم الهاء وفتح الذال المعجمة ابن مدركة بن إلياس **(اقتتلتا فرمت إحداهما)** وهي أم عفيف بنت مسروح **(الأخرى)** وهي مليكة بنت عويمر **(بحجر فأصاب)** الحجر **(بطنها وهي حامل فقتلت ولدها الذي في بطنها فاختصموا)** بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا﴾ [الحج: ١٩] **(إلى النبي ﷺ فقضى)** عليه الصلاة والسلام **(أن دية ما في بطنها)** ولو أنثى أو خنثى أو ناقص الأعضاء إذا عُلِم بوجوده في بطن أمه **(غرة)** بضم الغين وتشديد الراء منوناً بياضٍ في الوجه عبَّر به عن الجسد كله إطلاقاً للجزء على الكل **(عبد أو أمة)** بدل من غرة ورواه بعضهم بالإضافة البيانية والأول أقيس وأصوب لأنه حينئذٍ يكون من إضافة الشيء إلى نفسه، ولا يجوز إلا بتأويلٍ كما ورد قليلاً أو للتقسيم لا للشك، ولا فرق في العبد والأمة بين الأسود والأبيض وأن الأصل في الغرة البياض في الوجه كما توسعوا في إطلاقها على الجسد كله إطلاقاً للجزء على الكل **(فقال ولي المرأة التي غَرِمَت)** بفتح المعجمة وكسر الراء مخففة وضبط بعضهم ضم المعجمة وكسر الراء المشددة أي قضى عليها بالغرة ووليها هو زوجها حَمَل بفتح الحاء المهملة والميم المخففة ابن مالك بن النابغة الهزلي الصحابي **(كيف أُغْرِم يا رسول الله من لا شَرِبَ ولا أكل)** أي لم يشرب ولم يأكل فأقام الماضي مقام المضارع **(ولا نطق ولا استهل)** أي ولا صاح عند الولادة **(فمثل ذلك بطل)** بموحدة وطاء مهملة مفتوحتين وتخفيف اللام من البطلان فلا يجب فيه شيء، وفي نسخةٍ يُطَلُّ بضم الياء المثناة بدل الموحدة وتشديد اللام

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً أو إن بعض البيان سحر».

---

أي يهدر، وهو من الأفعال التي لم تُستعمل إلا مبنية للمفعول كجُنَّ قال المنذري: وأكثر الروايات بُطْل بالموحدة وإن كان الخطابي رجح الأخرى **(فقال النبي ﷺ: إنما هذا)** أي حَمْل **(من إخوان الكُهَّان)** لمشابهة كلامه كلامهم زاد مسلم من أجل سجعه الذي سجع، ففيه ذم الكهان ومن تشبه بهم في ألفاظهم حيث كانوا يستعملونه في الباطل كسجعة حَمَل يريد إبطال حكم الشرع، ولم يعاقبه ﷺ لأنه كان مأموراً بالصفح عن الجاهلين، والكاهن الذي يتعاطى الخبر في مستقبل الزمان ويدَّعي معرفة الأسرار، وقد كان في العرب كَهَنة كشق وسطيح ونحوهما، فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن يُلقي إليه الأخبار ومنهم من يزعم أنه يعرف الأمور بمقدماتٍ وأسباب يُسْتَدلُّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العرَّاف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما، وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور وساعدتهم في كل ما تصل قدرتهم.

**(عن أبي عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قدم رجلان)** قيل هما الزِبْرِقان بكسر الزاي والراء بينهما موحدة ساكنة وبالقاف، وهو من أسماء القمر لقب به لحسنه واسم أبيه بدر ابن أمرىء القيس بن خلف، والآخر عمرو بن الأهيم واسم الأهيم سِنَان يجتمع مع الزِبْرِقان في كعب بن أسعد بن زيد مناة بن تميم فهما تميمان قَدِما في وفد بني تميم على النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة **(من المشرق)** أي من جهة المشرق، وكانت سُكْنَى بني تميم من جهة العراق وهي في شرق المدينة **(فخطبا)** أي أتيا بكلام بليغ مُفْصِح عن مقصودهما ففي دلائل النبوة للبيهقي من طريق مقسم عن ابن عباس: جلس إلى النبي ﷺ الزِبْرِقان بن بدر وعمرو بن الأهْيم وقيس بن عامر فَفَخُر الزِبْرِقان فقال: يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظُّلم وآخذ منهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعني عمر بن الأهيم فقال عمرو: إنه شديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذنيه، فقال الزبرقان: والله يا رسول الله لقد علم مني غيرها قال: وما منعه أن يتكلم إلا الحسد؟ فقال عمرو: أنا أحسدك؟ والله يا رسول الله إنه لئيم الخال خبيث الحال أحمق الوالد مُضَيّع في العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت **(فعجب الناس)** منهما **(لبيانهما فقال رسول الله ﷺ: إن من البيان)** الذي هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب وأصله الظهور والكشف **(لسحراً)** ومن للتبعيض كما صرح به في بعض الروايات أن بعض البيان لسحر، قال في شرح السُّنَّة: اختلف في

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يورد ممرض على مصح».

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة

---

تأويله فحمله قوم على الذم لأنه ذم الكلام في التصنع والتكلف في تحسينه ليروق للسامعين ولتميل قلوبهم، كما يفعل السحر حيث يحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن جهته فيلوح للناظر في غير معرضٍ، فكذلك المتكلم قد يحيل الشيء عن ظاهر ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس على السامع له، أو أن من البيان ما يكسب صاحبه من الإثم كما يكسبه الساحر بسحره، أو هو الرجل يكون عليه الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق، وشاهده قوله ﷺ: «إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حقِّ أخيه فلا يأخذه» الحديث وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ، وروي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلاً طلب إليه حاجةً كان يتعذر عليه إسعافه بها فاستمال قلبه بالكلام ثم أنجزها له ثم قال: هذا هو السِّحر الحلال والأحسن، كما قال الخطابي: أن هذا الحديث ليس ذماً للبيان ولا مدحاً له لقوله من البيان فأتى بلفظ من التبعيضية وبالتصريح أيضاً به، وقد انفق على مدح الإيجاز والإتيان بالمعاني الكثيرة بالألفاظ اليسيرة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا يورد)** بالمثناة التحتية وفتح الراء مبنياً للمفعول وقول **(مُمرض)** نائب فاعل وهو بفتح الراء وروي بكسرها، وفي نسخةٍ: لا يورد بكسر الراء ممرضاً أي من الإبل **(على مُصِح)** منها وفي أخرى لا توردوا بالفوقية وصيغة الجمع الممرض على المصح فربما يصاب بذلك المرض، فيقول الذي أورده: لو أني ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شيء، والواقع أنه لو لم يورد لأصابه لأن الله تعالى قدره فنهى عن إيراده لهذه العلة التي لا يؤمن غالباً من وقوعها في قلب المرء وهو كنحو قوله ﷺ: «فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد» وإن كنا نعتقد أن الجُذام لا يعدي لكنا نجد في أنفسنا نفرة وكراهية لمخالطته.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من تردَّى)** أي أسقط نفسه **(من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً)** بفتح اللام المشددة **(فيها أبداً)** أي جازاه الله تعالى الخلود، والخلود قد يراد به طول المقام **(ومن تحسى)** بالحاء والسين المشددة المهملتين أي تجرع **(سُمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه)** أي يتجرعه **(في نار**

فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً».

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا وقع الذباب في إناء أحدِكم فَلْيَغْمِسْه كله ثم ليطرحه فإن في أحدِ جناحيه شفاء وفي الآخر داء.

---

**جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ)** بفتح التحتية والجيم المخففة وبالهمز قال في المصباح: وجأته أو جؤه مهموز بفتحتين وربما حذفت الواو في المضارع فقيل يجأ كما قيل يسع ويطأ ويهب، وذلك إذا ضربته بسكين ونحوه في أي موضع كان، والاسم الوجاء مثل كتاب انتهى فأصله يوجِىءُ بكسر الجيم حذفت الواو لوقوعها بكسر الياء والكسرة ثم فتحت الجيم لأجل الهمزة، وقول بعضهم بضم أوله لا وجه له وإنما يُبنى للمجهول بإعادة الواو، فيقال: يوجأ أي يطعن **(بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)** أي مكثاً طويلاً، أو هو في حق كافر بعينه كما قاله السفاقسي واستبعده الحافظ ابن حجر **(وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم)** وعند النَّسائي وابن ماجة وصححه ابن حبان عن أبي سعيد: «إذا وقع في الطعام» وفي بَدْءِ الخلق من البخاري بلفظ «شراب» والأولى أشمل منهما **(فليغمسه كله)** فيما وقع فيه **(ثم ليطرحه)** بعد استخراجه من الإناء **(فإن في أحد جناحيه شفاء)** أي الأيمن لأنه يتقي بالأيسر وفي نسخةٍ إحدى والتأنيث باعتبار اليد، قال في المصباح: وجناح الطائر بمنزلة اليد من الإنسان اهـ ولكن جزم الصغائي بأنه لا يؤنث وصوَّب الأولى **(وفي الآخر داء)** أي الأيسر كما يدل له حديث ابن حبان في صحيحه من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه يقدم السُّمَّ ويؤخر الشفاء[1] واستفيد من الحديث أنه إذا وقع في الماء لا ينجسه لأنه يموت وهذا هو المشهور.

---

(١) هذا لا يدل على أن الآخر هو الأيسر إنما فيه تفسير الداء.

# كتاب اللباس

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار».

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة.

---

## كتاب اللِباس

بكسر اللام قال في القاموس: اللباس والملبوس واللُبس بالكسر والملْبَس كمِقْعَد ومِنبَر ما يلبس انتهى.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال ما أسفل من الكعبين)** من الرجل **(من الإزار في النار)** وما موصولة في محل رفع على أنه مبتدأ وفي النار الخبر وأسفل خبر مبتدأ محذوف وهو العائد على الموصول، أي ما هو أسفل وحذف العائد لطول الصلة والمحذوف كان وأسفل بالنصب خبرها ومن الأولى لابتداء الغاية والثانية بيانية، والمراد أن الموضع الذي يناله الإزار من أسفل الكعبين في النار فهو من تسمية الشيء اسم ما جاوره أو حَلَّ فيه وفيه نُسخةٍ: «ففي النار» بزيادة فاء ودخلت لتضمن ما معنى الشرط والمعنى أن ما دون الكعبين من قدم صاحب الإزار المسبل فهو في النار عقوبة له، وفي رواية ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار وفي حديث ابن عمر عند الطبراني: رآني رسول الله ﷺ أسبلت إزاري فقال: «يا ابن عمر كل شيءٍ مس الأرض من الثياب في النار» وظاهره أن الذي في النار نفس الثوب فيمكن حمل ما هنا عليه فيكون من باب ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٨] ثم هذا الإطلاق محمول على ما ورد من قيد الخُيَلاء، وقد نَصَّ الشافعي على أن التحريم مخصوص بالخُيَلاء فإن لم يكن للخيلاء كُرِه للتنزيه.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحِبَرَة)** بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة بعدها راء كعنبة، ضرب من برود

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حين تُوفي سُجيَّ ببرد حبرة.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثواب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة». قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق». قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر» وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر.

---

اليمن يصنع من قطن الجمع حِبَر وحِبَرَات، وإنما كانت أحب إليه ﷺ لأنها فيما قيل لون أخضر وهي لباس أهل الجنة، قال القرطبي: سُمِّيَت حِبَرَة لأنها تُحْبَر أي تزين والتحبير التزيين والتحسين.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ حين توفي سُجِّيَ**) بضم السين المهملة وكسر الجيم مشددة أي غُطِّي (**ببردٍ**) بالتنوين (**حِبَرة**) صفة له قال في القاموس البُرْد بالضم ثوب مُخطَّط الجمع أبراد وبُرُوْد وأكسيه يُتَلَحَّفُ بها الواحدة بهاء أي بردة بضم فسكون.

(**عن أبي ذرٍّ**) جندب بن جنادة (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ**) قال الكرماني: وفائدة ذكر الثوب والنوم تقرير التثبت والإتقان فيما يرويه في آذان السامعين ليتمكن في قلوبهم (**فقال**) ﷺ: (**ما من عبد قال: لا إله إلا الله**) أي مع محمد رسول الله (**ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**) قبل النار أو بعدها سواء تاب أو لم يتب على الراجح قال أو ذر: (**قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال**) ﷺ: (**وإن زنى وإن سرق**) لأن الكبيرة لا تسلب اسم الإيمان ولا تحبط الطاعة ولا تخلد صاحبها في النار، بل عاقبته أن يدخل الجنة قال أبو ذر: (**قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال**) صلوات الله وسلامه عليه: (**وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال**) عليه الصلاة والسلام: (**وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر**) من رغم إذا لصق بالرغام وهو التراب، ويستعمل مجازاً بمعنى كره أو أذل إطلاقاً لاسم السبب على المسبب، وتكرير أبي ذر قوله وإن زنى وإن سرق استعظاماً لشأن الدخول مع اقتراف الكبائر وتعجباً من ذلك وتكرير النبي ﷺ ذلك لإنكاره استعظامه وتحجيره واسعاً فإنَّ رحمته تعالى واسعة (**فكان أبو ذر إذا حدث بهذا الحديث يقول**) وفي نسخةٍ قال: (**وإن رَغِم**) بكسر المعجمة وتفتح مع فتح الراء (**أنف أبي ذر**) ومعلوم أن قوله: وإن زنى وإن سرق للمبالغة فيدخل من لم يفعل ذلك بالطريق الأولى نحو نعم العبد صهيب لو لم يخف الله تعالى لم يعصه فاندفع قول بعضهم: إن مفهوم الشرط أنَّ من لم يزنِ لم يدخل

عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «نهى عن الحرير إلا هكذا» وأشار بأصبعيه اللتين تليان الإبهام يعني الأعلام.

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة».

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه.

---

الجنة ثم ما ذكر إنما هو في حقوق الله تعالى باتفاق أهل السُّنة، أما حقوق العباد فلا بد من ردها عند الأكثر أو أن الله تعالى يُرضي صاحب الحق بما شاء.

**(عن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن استعمال الحرير)** نَهْيَ تحريم على الرجال، وعلة التحريم إما الفخر والخيلاء أو كونه ثوب رفاهية وزينة يليق بالنساء لا الرجال أو التشبُّه بالمشركين أو السرف، وقد حُكي القاضي عياض أن الإجماع انعقد بعد ابن الزبير وموافقيه على تحريم الحرير على الرجال **(إلا هكذا وأشار)** ﷺ **(بأصبعيه اللتين تليان الإبهام)** وهما السبابة والوسطى قال الراوي: **(يعني)** بالاستثناء في قوله إلا هكذا **(الأعلام)** بفتح الهمزة جمع علم مما جوز من التطريف والتطريز **(وعنه رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: لا يلبس أحد)** من الرجال **(الحرير في الدنيا إلا لم يلبس في الآخرة منه)** وفي نسخة تقديم منه على قوله في الآخرة وقد قيل إنه محمول على الزجر واستُبْعِد وقيل على المستحل للبسه وقيل على كفّار ملوك الأمم أو الفعل يقتضي ذلك، وقد يتخلف لمقتضٍ كالتوبة والحسنات التي توازن والمصائب التي تكفر وشفاعة من يؤذن له بالشفاعة أو يمنع منه بعد دخول الجنة، لكن ينسيه الله تعالى ويشغله عنه أبداً ويرضيه بحيث لا يجد ألماً بتركه ولا رؤية نقص في نفسه إذِ الجنة لا ألم فيها ولا حُزْن، ولذلك نظائر كثيرة تُؤَوَّل كذلك وأعم من ذلك كله عفو أرحم الراحمين.

**(عن حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: نهانا)** معشر الذكور ومنهم الخناثى **(النبي ﷺ)** نهي تحريم **(أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها و)** نهانا ﷺ أيضاً **(عن لُبْس الحرير والديباج)** أعجمي معرب وهو ما غلظ من ثياب الحرير **(وأن نجلس عليه)** أي من غير حائلٍ أما به فيجوز سواء كان ذلك في دعوةٍ أو نحوها أو اتخذ له حصيراً من حرير وجعل عليه حائلاً على الراجح، والتقييد في الحديث بما ذكر من اللبس والجلوس جرى على الغالب فيحرم غيرهما من أنواع الاستعمال كسترٍ وتدثرٍ لحديث أبي داود بإسناد صحيح أنه ﷺ أخذ في يمينه قطعة حرير وفي شماله قطعة ذهب وقال: «هذان حرام على ذكور أمتي حِلٌ لإناثهم»، وألحق بالذكور الخناثى احتياطاً.

عن أنس رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل».

وعنه رضي الله عنه أنه سئل أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يمش أحدكم في نعل واحدة ليحفهما جميعاً أو لينعلهما».

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا انتزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ورق ونقش فيه محمد رسول الله وقال: «إني اتخذت خاتماً من ورق ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه».

---

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل**) وعند النَّسائي: نهى عن التزعفر، والمطلق محمول على المقيد فيحرم على الرجل لبس المزعفر دون المعصفر كما نَصَّ عليه الشافعي وهل النهي لرائحته أو للونه؟ (**وعنه رضي الله تعالى عنه أنه سئل أكان النبي ﷺ في نعليه قال: نعم**) إذا لم يكن فيهما نجاسة.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يمشي أحدكم في نعلٍ واحدة**) لمشقة المشي حينئذٍ وخوف العثار مع سماجة الماشي في الشَّكل وقبح منظره في العيون أو لأنها مشية الشيطان (**ليحفهما**) بالحاء المهملة من الإحفاء أي ليجردهما (**جميعاً أو لينعلهما جميعاً**) بضم التحتية من أنعل رِجْله ألبسها نعلاً ويقاس بما ذُكِر كل لباسٍ شَفْع كالخفين وإخراج اليدين من الكُمِّ والتردي على المنكبين ونحو ذلك (**وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا انتعل أحدكم**) أي لبس نعله (**فليبدأ**) بالرجل (**اليمنى**) أو بالنعل اليمين (**وإذا انتزع**) وفي نسخةٍ نزع (**فليبدأ بالشمال لتكن اليمين أولهما تُنعل وآخرهما تُنزع**) تنعل وتنزع مبنيان للمفعول وأولهما وآخرهما بالنصب خبر كان.

(**عن أنسٍ بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه محمد رسول الله**) محمد سطر ورسول سطر والله سطر، وظاهر هذا أنه على الكتابة المعتادة، لكن ضرورة الاحتياج إلى أن يختم به تقتضي أن تكون الأحرف المنقوشة مقلوبةً ليخرج الختم مستوياً، وقيل إن الأول الأسطر كان اسم الله تعالى ثم في الثاني رسول ثم في الثالث محمد (**وقال إني اتخذت خاتماً من وَرِق**) بكسر الراء أي فضَّةٍ (**ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقشن**) بنون التوكيد الثقيلة (**أحد على نقشه**) وفي روايةٍ عن ابن عمر: «لا ينقش أحد على نقش خاتمي» هذا قال في شرح المشكاة: على نقش

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء وقال: «أخرجوهم من بيوتكم»، قال: فأخرج النبي ﷺ فلاناً وأخرج عمر فلاناً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «خالفوا المشركين وَفِّرُوا اللحى وأحفوا الشوارب».

---

خاتمي يجوز أن يكون حالاً من الفاعل لأنه نكرة في سياق النفي أو صفة مصدر محذوف أي نقشاً كائناً على نقش خاتمي ومماثلاً له، وسبب النهي كما قاله النووي: أنه ﷺ إنما نقش على خاتمه ذلك ليختم به كُتُبَه إلى الملوك، فلو نقش غيره مثله لحصل الخلل. والأفضل عند الشافعية جعل الخاتم في اليمين وجعل فُصِّه من باطن كفه ويجوز جعله في اليسار من غير كراهة، وقد ورد كلٌ منهما عن النبي ﷺ والسُّنة في الرجل جعله في الخِنْصَر ويكره له تنزيهاً جعله في الوُسطى والسبابة.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال)** بفتح النون المشددة قال الكرماني وهو المشهور وبالكسر القياس وبالمثلثة مشتق من الانخناس وهو التثني والتكسر، فالمخنث هو الذي في كلامه لينٌ وفي أعضائه تَكَسُّر وليس له جارحة تقوم، وإن لم يُعرف منه الفاحشة فإن كان ذلك فيه خلقةً فلا لوم عليه وعليه أن يتكلف إزالة ذلك، وإن كان يقصد منه فهو المذموم وهو في عرف هذا الزمان من يُلاط به **(و)** لعن ﷺ **(المترجلات)** بكسر الجيم المشددة أي المتكلفات التشبه بالرجال **(من النساء)** في الزِّي وغيره كحمل السيف والرمح والسحاق **(وقال)** عليه الصلاة والسلام **(أخرجوهم من بيوتكم)** لئلا يُفضي الأمر بالتشبه إلى تعاطي منكر كالسحاق **(قال)** ابن عباس **(فأخرج النبي ﷺ فلانة)** وهي بادية بنت غيلان، وفي نسخةٍ فلاناً وهو أنجشة العبد الأسود الذي كان يتشبه بالنساء أخرجه الإمام أحمد وغيره **(وأخرج عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنه فلاناً)** وهو مانع بفوقية وقيل بنون وقيل هَرِم.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: خالفوا المشركين)** أي المجوس كما صرح به عند مسلم من حديث أبي هريرة **(وَفِّروا اللحى)** بتشديد الفاء أي اتركوها مُوْفَرة واللحى بكسر اللام وتضم جمع لحية بالكسر فقط اسم لما ينبت على العارضين والذقن **(وأحفوا الشوارب)** بالحاء المهملة وقطع الهمزة المفتوحة من الرباعي وحكى ابن دُريد حفى شاربه يحفوه من الثلاثي وعلى هذا فهي همزة وصل أي استقصوا قصها حتى يظهر الجلد وظاهره أنه يزيل الشارب كله وهو الشعر النابت على الشفة قال في شرح المهذب وكان المُزَني والربيع يفعلونه قال الطحاوي: وما أظنهما أخذا ذلك إلا عنه ونقل عن الإمام أحمد وأبي حنيفة ومحمد وأبي يوسف واختاره النووي أنه يقصه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم».

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان شعر النبي ﷺ رَجْلاً ليس بالسبط ولا الجعد بين أذنيه وعاتقه.

---

حتى يبدو طرف الشفة، ولا يحفه من أصله ونقل عن مالك أن ذلك مُثلة وأن المراد بالحديث المبالغة في أخذ الشارب حتى يبدو حرف الشفة، وقال أشهب سألت مالكاً عمن يحفي شاربه فقال: أرى أن يوجَع ضرباً وأما السبالان وهما جانبا الشارب فقيل: إنهما منه وإنه يشرع قصهما معه وقيل هما من جملة شعر اللحية وظاهر الحديث أنه لا يؤخذه من اللحية شيء وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أي زاد على القبضة أخذه بالمقص أو نحوه، وروي مثل ذلك عن أبي هريرة وفعله عمر رضي الله تعالى عنه برجل، وعن الحسن البصري يؤخذ من طولها وعرضها ما لم يفحش، وحملوا النهي على ما كانت الأعاجم تفعله من قصها وتخفيفها، وقال عطاء: إن الرجل لو ترك لحيته لا يتعرض لها حتى أفحش طولها وعرضها لعَرَّض نفسَه لمن يستخف به، وقال النووي: المختار عدم التعرض لها بتقصير ولا غيره.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: إن اليهود والنصارى لا يصبغون)** شيب لحياهم **(فخالفوهم)** واصبغوا شيب لحاكم بالصفرة أو الحمرة، وفي السنن وصححه الترمذي من حديث أبي ذرٍّ مرفوعاً: «إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحِنَّاء والكتم» وهو محتمل أن يكون على التعاقب والجمع والكتم بفتح الكاف والفوقية يخرج الصبغ أسود يميل إلى الحمرة وصبغ الحناء أحمر فالجمع بينهما يخرج بين السواد والحمرة وأما الصبغ بالأسود البحت فممنوع إلا بقصد الجهاد لما ورد في الحديث من الوعيد عليه، وأول من خضب به من العرب عبد المطلب وأما مطلقاً ففرعون لعنه الله تعالى.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان شعر النبي ﷺ رَجِلاً)** بفتح الراء وكسر الجيم أي مسترسلاً لكن ليس شديد الاسترسال ولذا قال: **(ليس بالسَّبِط)** بفتح السين المهملة وكسر الموحدة، وهو الذي يسترسل فلا يتكسر منه شيء كشعر الهنود **(ولا الجعد)** وهو المنقبض الذي يتجعد كشعر الحبش والزنج أي فيه تكسر يسير فهو بين السُّبوطة والجعودة، فقوله: ليس بالسبط ولا الجعد كالتفسير لسابقه وكان **(بين أذنيه وعاتقه)** بالتثنية في الأول والإفراد في الثاني وهذا يقتضي مجاوزته لشحمة أذنيه، ويوافقه روايةِ: «إن جمته لتضرب منكبيه» وفي روايةٍ: «يبلغ شحمة أذنيه» وجُمع بينهما بأنه إخبار عن وقتين فكان إذا اغفل عن تقصير شعره بلغ قريب المنكبين وإذا قصه لم يجاوز الأذنين، وفي روايةٍ: «له شعر يبلغ شحمة أذنيه إلى منكبيه» وهذه كالجمع بين الروايتين لأن حاصلها أن الطويل منه يصل إلى المنكبين وغيره إلى شحمة الأذن.

وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ضخم اليدين والقدمين لم أر قبله ولا بعده مثله، وكان سبط الكفين.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ: «ينهى عن القزع».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنْتُ أُطيِّبُ رسول الله ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ لا يرد الطيب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: طيبت رسول الله ﷺ بيدي بِذَرِيْرَةٍ في حجة الوداع للحل والإحرام.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون

---

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين)** وفي روايةٍ: «ضخم اليدين والقدمين» أي غليظ الأصابع والراحة **(لم أر قبله ولا بعده مثله)** ﷺ.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ ينهي)** نهي تنزيه **(عن القَزَع)** بفتح القاف والزاي بعدها عين مهملة وهو ترك بعض الشعر وحلق بعضه تشبيهاً له بالسحاب المتفرق، فيكره ذلك للرجل والمرأة والصبي سواء كان البعض المتروك في القُصَّة أو جانبي الرأس، ووجه الكراهة ما فيه من تشويه الخلقة ولأنه زِيُّ الشيطان أو زي اليهود، نعم لا كراهة لمداواة ونحوها ولا بأس بحلق الرأس كله للتنظيف قاله في الإحياء.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كنت أطيب النبي ﷺ بأطيب ما نجد)** بنون المتكلم ومعه غيره وفي نسخةٍ: يجد بالمثناة التحتية أي النبي ﷺ **(حتى أجد وَبِيْص الطيب)** بالصاد المهملة أي بريقه ولمعانه **(في رأسه ولحيته)** ويؤخذ منه كما قال ابن بطال: إن طِيْبَ الرجال لا يكون في الوجه بل في الرأس واللحية بخلاف النساء ففي وجوههن لتزينهن بذلك، ولا يتشبه الرجال بالنساء.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ لا يَرُدُّ الطيب)** إذا أهدي إليه، وعند أبي داود وغيره عن أبي هريرة: «من عُرِض عليه طيب فلا يرده فإنه طَيِّب الريح خَفِيف المُحْمَلِ»، وعند مسلم ريحان بدل طيب والرَّيحان كل بقلة لها رائحة طيبة، وعند الترمذي: «إذا أعطي أحدكم الرَّيحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة».

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: طَيَّبْتُ النبي ﷺ بيدي)** بالتثنية **(بذريرة)** فيها مسكة والذريرة بذال معجمة وراءين بينهما تحتية ساكنة نوع من الطيب مركب، وقال النووي وغيره: إنها قناة قصب يجاء به من الهند **(في حجة الوداع للحلِّ)** أي حين تحلل من إحرامه **(والإحرام)** أي حين أراد أن يحرم.

**(عن)** عبد الله **(بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن الذين**

هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة» وزاد في رواية «وليخلقوا شعيرة».

---

**يصنعون هذه الصور)** الحيوانية قاصدين مضاهاة خلق الله تعالى، أما غيرهم وهو من يفعل ذلك غير مستحل ولا قاصد أن يعبد فيعذب عذاباً يستحقه ثم يخلص منه، ويكون الحديث بالنسبة له محمولاً على أن المراد به الزَّجْر الشديد بالوعيد بعقاب الكافر ليكون أبلغ في الارتداع، والأمر في هذا الحديث ونحوه لا ينافي ما تقرر من أن الآخرة ليست دار تكليف لأن المراد أنها ليست دار تكليف يترتب عليها ثواب أو عقاب، والتكليف المذكور هنا نفسه عقاب فنسأل الله تعالى العافية **(يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا)** بفتح الهمزة وضم التحتية أي تعذيبهم أن يقال لهم: أحيوا **(ما خلقتم)** أمر تعجيز أي انفخوا الروح في الصور التي صوَّرتموها وهم لا يقدرون على ذلك فيستمر تعذيبهم. وعن ابن مسعود قال ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً عند الله تعالى يوم القيامة المصوِّرون» قال النووي: قال العلماء: تصوير الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد وسوء صنعه لما يمتهن أو لغيره، وسواء كان في ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها، وأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام، وأما اتخاذه فإن كان معلقاً على حائط سواء كان له ظل أم لا أو ثوباً ملبوساً أو عمامة أو نحو ذلك فهو حرام، وأما الوسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام ولكن يمنع دخول ملائكة الرحمة البيت لإطلاق الأحاديث، وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان الأكثرون على الكراهة وقال أبو محمد بالتحريم، فإن كانت في ممر الدار لم يحرم دخولها لأنها ممتهنة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب)** أي قصد **(بخلق كخلقي)** أي فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه إذ لا قدرة لأحدٍ على خلقٍ مثل خلقه تعالى، فالتشبيه في الصورة وحدها سواء كان لها ظِلٌّ أو لا بأن نقشت في سقفٍ وكانت على هيئةٍ تعيش بها بخلاف ما لو كانت مقطوعة الرأس مثلاً **(فليخلقوا)** أي يوجدوا **(حبَّة)** من قمح بدليل مقابلتها بالشعيرة في الرواية الآتية **(وليخلقوا ذرَّة)** بفتح المعجمة وتشديد الراء أي نملة صغيرة **(وزاد في روايةٍ وليخلقوا شعيرة)** والمراد تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد وتارة بتكليفهم خلق جماد وهو أهون ومع ذلك لا قدرة لهم عليه.

# كتاب الأدب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم أبوك».

عن عبد الله بن عمرو ورضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه»، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟

---

## كتاب الأدب

يقال: أَدَبْتُهُ أدباً من باب ضَرَبَ وعلمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، وقيل هو الأمر المستحسن شرعاً واجباً كان أو مندوباً، ويقال: أَدَّبتهُ تأديباً إذا عاقبته على إساءته لأنه سببٌ يدعو إلى حقيقة الأدب.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ: تقديمها على الكتاب (**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: جاء رجل**) هو معاوية بن حيدة (**إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق بحسن صحابتي؟**) بفتح الصاد مصدر كالصحبة بمعنى المصاحبة وفي نسخةٍ: «من أحق الناس بحسن صحابتي»؟ (**قال**) عليه الصلاة والسلام: أحق الناس بحسن صحابتك (**أمك، قال**) الرجل: يا رسول الله (**ثم مَنْ؟ قال: ثم أمك**) وفي نسخةٍ: «قال أمك»، (**قال:**) يا رسول الله (**ثم مَنْ؟ قال: ثم أمك**) وفي نسخةٍ: «قال أمك»، كرَّر الأم ثلاثاً لمزيد حقها (**قال**) الرجل: (**ثم من؟ قال**) عليه الصلاة والسلام في الرابعة: (**ثم أبوك**) وفي تكرير الأم ثلاثاً إشارة إلى أن الأم تستحق على ولدها النصيب الأوفر من البِرِّ بل مقتضاه كما قال ابن بطال: أن يكون لها ثلاثة أمثال ما للأب من البِرِّ لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع، والذي ذهب إليه الشافعية أن بِرَّهما يكون سواء.

(**عن عبد الله بن عمرو**) أي ابن العاص (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: إن من أكبر الكبائر**) وللترمذي: «من الكبائر» والأولى تقتضي أن الكبائر متفاوتة

قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قاطع».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الرحم شِجْنَة من الرحمن فقال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته».

---

بعضها أكبر من بعد؛ وإليه ذهب الجمهور، وتقتضي أيضاً انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر وهو قول عامة الفقهاء، وقال أبو إسحاق الإسفرايني: ليس في الذنوب صغيرة بل كل ما نُهِيَ عنه كبيرة وهو منقول عن ابن عباس، وجمع بعضهم بينهما بأنها بالنظر إلى عظمة من عُصِيَ بها كلها كبائر وبالنظر إلى ذاتها تنقسم إلى قسمين، والكبيرة كل ما ورد فيه وعيد شديد وقيل كل ما ورد فيه ذلك أو وجب فيه حدٌّ وقيل غير ذلك، وإنما كان السبب من أكبر الكبائر لأنه نوع من العقوق وهو إساءة في مقابلة إحسان للوالدين وكفران لحقوقهما **(أن يلعن الرجل والديه)** أو أحدهما **(قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟)** هو استبعاد من السائل لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(يسب الرجل)** وفي نسخةٍ إسقاط الرجل **(أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)** فبين أنه وإن لم يتعاط السبَّ بنفسه فقد يقع منه التسبب وإذا كان التسبب إلى لعن الوالدين من أكبر الكبائر فالتصريح بلعنهما أشد.

**(عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يدخل الجنة قاطع)** لم يذكر المفعول فيحتمل العموم وفي الأدب المفرد عن عبد الله بن صالح: «قاطع رحم» والمراد المستحلُّ للقطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها أو لا يدخلها مع السابقين.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: الرَّحِم)** وفي نسخةٍ إن الرَّحِم **(شجنة من الرحمن)** بكسر الشين المعجمة وسكون الجيم بعدها نون ويجوز فتح الأول وضمه، قال في الفتح: روايةً ولغةً وأصله عروق الشجر المشتبكة، والشَّجَن بالتحريك واحد الشُّجُون وهي طرق الأودية ويقال: الحديث شجون أي يدخل بعضه في بعضٍ، وقوله من الرحمن أي اشتُقَّ اسمها مِن اسم الرحمن فلها به علقة، وعند النسائي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً: إن الرحمن قال: خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي»، والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله تعالى، وليس المعنى أنها من ذات الله تعالى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً **(فقال الله تعالى)** زاد الإسماعيلي لها والفاء عطف على محذوف أي فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال الله تعالى: **(من وَصلك وصلته)** يقال: وصل رَحِمَهُ يصِلها

عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ جهاراً غير سرٍّ يقول: «إن آل أبي فلان، ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين، ولكن لهم رحم أبلها ببِلاها».

---

وصلاً ووَصْلة كأنه بالإحسان إليهم وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة **(ومن قطعك قطعته)** قال ابن أبي حمزة: الوصل من الله تعالى كناية عن عظيم أحسانه وإنما خاطب الناس بما يعرفونه، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبوبه الوِصَال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد، وكانت حقيقة ذلك مستحيلة على الله تعالى عرف أن ذلك كناية عن عظيم إحسانه لعبده قال: وكذا القول في القطع هو كناية عن حِرمانه الإحسان.

**(عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ جِهَاراً)** متعلق بالمفعول أي كان المسموع في حال الجهر، أو بالفاعل أي أقول ذلك جهاراً من **(غير سرٍّ)** تأكيدٌ لرفع توهم أنه جهر به مرة وأخفاه أخرى **(يقول: إن آل أبي فلان)** كناية عن اسم علم قيل المرادَ آل أبي العاص بن أمية، وقيل المراد آل أبي طالب وأيده في الفتح بأن في مستخرج أبي نعيم من طريق الفضل بن الموفق عن عمرو بن العاص رفعه: «إن لبني أبي طالبِ رحماً» الحديث **(ليسوا بأوليائي)** وفي نسخةٍ بأولياء، والمراد كما قال السفاقسي: من لم يُسْلِم فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض، وحمله الخطابي على وِلاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين **(إنما وليي)** بتشديد الياء مضافاً إلى ياء المتكلم المفتوحة **(الله وصالح المؤمنين)** من صلح منهم أي من أحسن وعَمِل صالحاً، وقيل: من بريء من النفاق وقيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو واحدٌ أُريد به الجمع كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس، وقيل أصله صالحو فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ، وقال في شرح المشكاة: المعنى لا أوالي أحداً بالقرابة وإنما أُحِبُّ الله تعالى لما له من الحق الواجب على العباد، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى وأوالي من أوالي بالإيمان والصلاح سواء كان من ذوي رَحِمي أم لا ولكن أراعي لذوي الرحم حقهم بصلة الرحم **(ولكن لهم)** أي لآل أبي فلان **(رَحِم)** أي قرابة **(أَبُلُّها)** بفتح الهمزة وضم الموحدة وتشديد اللام المضمومة قال في المختار: بلّه نداه وبابه رَدَّ وبلَّ رَحِمه وصلها، وفي الحديث بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام أي نَدُّوها بالصلة اهـ **(ببلالها)** بكسر الموحدة قال في المصباح: بلّلته بالماء بَلاً فابْتَلَّ هو، ويجمع البلُّ على بِلال مثل سهم وسهام، وقيل البِلال ما يُبَلُّ به الحلق من ماءٍ ولبنٍ اهـ أي أَصِلُها بصلتها فشبه الرحم بأرضٍ إذا بُلَّت بالماء حَقَّ بِلالهَا أزهرت وأثمرت ورؤي في أثمارها أثر النضارة وإذا تُركت بغير سَقي يبست وأجدبت وكذلك الرحم إذا وُصِلت أثمرت المحبة والصفاء وإذا لم توصل لا تثمر إلا العداوة والقطيعة، وروي ببِلائها بغير لامٍ ثانية مهموزاً قال البخاري: ولا أعرف له وجهاً ووجَّهه بعضهم بأن البلاء جاء بمعنى المعروف والنعمة فكأنه قال: أَبُلُّها بمعروفها اللائق بها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أتُقَبِّلون الصبيان؟ فما نُقَبِّلهم، فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قُدِمَ على النبي ﷺ بسبي فإذا امرأة

---

**(عن عبد الله بن عمرو)** بفتح العين ابن العاص **(رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ليس الواصل بالمكافِىء)** أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير **(ولكنِ الواصل)** بتخفيف نون لكن **(الذي إذا قُطِعت)** بضم أوله وكسر ثانيه مبنياً للمفعول وروي بفتحات **(رحمه وصلها)** أي الذي إذا مُنِع أعطى والناس ثلاثة أقسام: مواصل وهو الذي يتفضل ولا يُتَفَضَّل عليه ومكافىء وهو الذي لا يزيد على ما يأخذ، وقاطع وهو الذي يُتَفَضَّل عليه ولا يتفضل.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ)** قال الحافظ ابن حجر: يُحتمل أن يكون هو الأقرع بن حابس ووقع مثل ذلك لعُيينة بن حصن أخرجه أبو يعلى الموصلي بسندٍ رجاله ثقاة اهـ في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني أنَّ قيس بن عاصم دخل على النبي ﷺ وذكر قصةً شبيهةً بلفظ حديث عائشة ويحتمل التعدد **(فقال: أَتُقَبِّلون)** بهمزة الاستفهام وفي بعض النسخ حذفها **(الصبيان)**؟ وعند مسلم فقال: نعم قال **(فما نقبلهم فقال النبي ﷺ: أَوَ أَملك لك)** بفتح الواو والهمزة الأولى للاستفهام الإنكاري الإبطالي لا التوبيخي خلافاً لبعضهم، والواو للعطف على مقدر بعد الهمزة نحو أوَ مُخرجيَّ هم أي أأجعل الرحمة في قلبك وأملك لك **(إن نزع الله من قلبك الرحمة)** بفتح الهمزة مفعول أملك على حذف مضاف أي لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله تعالى منه، ونقل في شرح المشكاة أنه يُروى أنْ بفتح الهمزة فهي مصدرية ويقدر مضاف أي أملك لك دفع نزع الله تعالى من قلبك الرحمة، ويحتمل أن يكون مفعول أملك محذوفاً وإن نزع في موضع نصب على المفعول لأجله على أنه تعليل للنفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري الإبطالي، والتقدير لا أملك وضع الرحمة في قلبك لأنْ نزعها الله تعالى منه أي انتفى ملكي لذلك لنزع الله تعالى إياها من قلبك، ويُروى بكسر الهمزة شرطاً وجزاؤه محذوف وهو من جنس ما قبله أي إن نزع الله تعالى من قلبك الرحمة لا أملك ردها لك، لكن قال الحافظ ابن حجر: إنها بفتح الهمزة في الروايات كلها.

**(عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قُدِم)** بضم القاف على صيغة

من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟. قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزءٍ فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً،

---

المجهول (**بسبي**) بزيادة الباء وفي نسخةٍ: قُدِم على النبي ﷺ سبي أي من هوازن (**فإذا امرأةٌ من السبي**) لم يعرف اسمها الحافظ ابن حجر (**قد**) وفي نسخةٍ حذفها (**تحلُب**) بسكون الحاء المهملة وضم اللام (**ثديها**) بالإفراد والنصب مفعول وفي نسخةٍ: «قد تحلَّب» بفتح الحاء المهملة واللام المشددة وثديها بالإفراد والرفع فاعل أي سال منه اللبن، ومنه سُمي الحليب لتَّحَلُبِه وقال في الفتح: أي نهيأ لأن يحلُب، قال: وفي نسخةٍ: ثدييها بالتثنية (**تسقي**) بفوقية مفتوحة وسكون المهملة وكسر القاف وفي نسخةٍ بِسَقْي بموحدة مكسورة بدل الفوقية وفتح المهملة وسكون القاف وتنوين التحتية، وفي أخرى تَسْعى بفتح العين المهملة من السعي أي تمشي بسرعةٍ تطلب ولدها الذي فقدته (**إذا**) بالألف وفي نسخةٍ إذ وهو ظرف ويجوز أن يكون بدل اشتمال من امرأة (**وجدت صبياً في السبي أخذته**) أي فأرضعته ليخف عنها اللبن لكونها تضررت باجتماعه (**فوجدت ابنها**) فأخذته (**فألصقته ببطنها وأرضعته**) ولم يعرف اسم ولدها (**فقال لنا النبي ﷺ: أترون**) بضم الفوقية أي أتظنون (**هذه**) المرأة (**طارحة ولدها**) هذا (**في النار؟ قلنا: لا**) تطرحه (**وهي تقدر على أن لا تطرحه**) أي لا تطرحه غير مكرهة أبداً (**فقال**) ﷺ: (**لَلّه**) بفتح اللام للتأكيد وفي نسخةٍ: واللّهِ لَلّه (**أرحم بعباده**) المؤمنين (**من هذه**) المرأة (**بولدها**) هذا وحكى الشيخ ابن أبي حمزة احتمال تعميمه حتى في الحيوانات.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول: جعل الله الرحمة مائة جزءٍ**) وفي نسخةٍ في مائة جزء بزيادة في، وعند مسلم: «إن الله تعالى خلق مائة رحمة يوم خلق السموات والأرض كل رحمة طِباق ما بين السماء والأرض» الحديث والمراد بقوله: كل رحمة طباق إلخ التعظيم والتكثير، وهل المراد بالمائة التكثير والمبالغة أو الحقيقة فيحتمل أن تكون مناسبة لعدد درج الجنة والجنة هي محل الرحمة فكانت كل رحمة بإزاء كل درجة، وقد ثبت أنه لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى فمن نالته رحمة واحدة كان أزكى أهل الجنة منزلاً وأعلاهم من حصلت له جميع الأنواع من الرحمة (**فامسك**) الله تعالى (**عنده تسعة وتسعين جزءاً**) ولمسلم من رواية عطاءٍ عن أبي هريرة: «وأخر عنده تسعة وتسعين رحمة» (**وأنزل في الأرض جزءاً واحداً**) القياس وأنزل إلى الأرض لكن حروف الجر يقوم بعضها مقامَ بعض أو فيه تضمين أنزل معنى وُضِع

فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه».

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن على الأخرى ثم يضمهما ثم يقول: «اللَّهم ارحمهما فإني أرحمهما».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة:.

اللَّهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حَجَّرت واسعاً».

---

مثلاً، والغرض منه المبالغة يعني أنزل الله تعالى رحمةً واحدة منتشرة في جميع الأرض، وفي روايةِ عطاء: «أنزل الله تعالى منها رحمة واحدةً بين الإنس والجن والبهائم» **(فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق)** بالحاء والراء المهملة **(حتى ترفع الفرس حافرها)** هو كالظلف للشاء **(عن ولدها خشية أن تصيبه)** أي خشية الإصابة وفي رواية عطاء: «فيها تتعاطفون وبها تتراحمون وبها يعطف الوحش على ولده» وفي حديث سليمان: «فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض»، وزاد: «إنه يكملها يوم القيامة مائة رحمةٍ بالرحمة التي في الدنيا.

**(عن أسامة بن زيدٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ يأخذني فيُنْعِدُني على فخذه)** بالمعجمتين **(ويقعد الحسن)** بن علي **(على فخذه الأخرى)** بالتأنيث، وفي نسخةٍ: الآخر بالتذكير واستشكل بأن أسامة أسنُّ من الحسن بكثير لأنه ﷺ أمَّره على جيشٍ عند وفاته الشريفة وكان عمره فيما قيل عشرين سنة حينئذٍ وكان سن الحسن إذ ذاك ثمانَ سنين وأجيب باحتمال أن يكون أقعد أسامة على فخذه لنحو مرضٍ أصابه فمرضه بنفسه الشريفة لمزيد محبته له وجاء الحسن فأقعده على الآخر، أو أن إقعادهما ليس في وقتٍ واحدٍ أو عَبَّر عن إقعاده بحذاء فخذه لينظر في مرضه بقوله فيُقْعِدني على فخذه مبالغة في شدة قربه منه **(ثم يضمهما ثم يقولم: اللهم أرحمهما)** بسكون الميم على الجزم أي صِلْ خيرك إليهما **(فإني أرحمهما)** بضم الميم أي أرِقُّ لهما وأتعطف عليهما.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قام النبي ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه فقال أعرابي)** قيل هو ذو الخويصرة اليماني وقيل الأقرع بن حابس: **(اللهم أرحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلَّم النبي ﷺ)** من الصلاة **(قال للأعرابي: قد حَجَّرْت)** بفتح المهملة وتشديد الجيم وسكون الراء أي ضيقت **(واسعاً)** وخصت ما هو عام يريد ﷺ رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقة».

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من لا يرحم لا يرحم».

---

**(عن النعمان بن بشير)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ترى المؤمنين في تراحمهم)** بأن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإسلام لا بسبب آخر **(وتوادهم)** بتشديد الدال وأصله بدالين فأدغمت الأولى في الثانية أي تواصلهم الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي **(وتعاطفهم)** بأن يعين بعضهم بعضاً كما يعطف طرف الثوب عليه ليقويه **(كمثل الجسد)** بالنسبة إلى جميع أعضائه **(إذا اشتكى عضواً)** منه **(تداعى له سائر جسده)** أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة **(بالسَّهر)** لأن الألم يمنع النوم **(والحمى)** لأن فقد النوم يثيرها والحاصل أن مثل الجسد المشبه به المؤمنون إذا اشتكى بعضه اشتكى كله كالشجرة إذا ضرب غصن من أغصانها أهتزت الأغصان كلها بالتحرك والاضطراب، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ما من مسلم غرس غرساً)** بنفسه أو وكيله **(فأكل)** بلفظ الماضي كغرس وفي نسخةٍ يأكل **(منه إنسان أو دابة)** من عطف العام على الخاص إن كان المراد ما دَبَّ على وجه الأرض، أو من عطف الجنس على الجنس إن كان المراد الدابة المعروفة **(إلا كان له صدقة)** وفي نسخةٍ: «له به صدقة» أي وإن لم يقصد ذلك عيناً.

**(عن جرير بن عبد الله)** البُجَلي **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من لا يرحم)** الخلق من مؤمنٍ وكافرٍ وبهائمَ مملوكةٍ وغيرها كأن يتعهدهم بالإطعام والسَّقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب في الدنيا **(لا يُرحَم)** في الآخرة ويرحم الأول مبني للفاعل والثاني للمفعول، وعند الطبراني: «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء» وقال ابن أبي جمرة: يُحتمل أن يكون المعنى من لا يرحم نفسه بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه لا يرحمه الله تعالى لأنه ليس له عنده عهد، فتكون الرحمة الأولى بمعنى الأعمال والثانية بمعنى الجزاء أي لا يثاب إلا من عمل صالحاً، وفي إطلاق رحمة العباد في مقابلة رحمة الله تعالى نوع مشاكلة ويرحم مرفوع على أن مَن موصول والجزم على تضمينه معنى الشرط.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

عن أبي شريح رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن». قيل ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه،

---

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: ما زال جبريل**) عليه الصلاة والسلام (**يوصيني بالجار**) مسلماً كان أو كافراً أو فاسقاً صديقاً أو عدواً غريباً أو بلدياً ضاراً أو نافعاً قريباً أو أجنبياً قريب الدار أو بعيدها، ويحصل امتثال الوصية بإيصال ضُروب الإحسان إليه بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته فيما يحتاج إليه وكف أسباب الأذى عنه على اختلاف أنواعه حسيةً كانت أو معنويةً (**حتى ظننت أنه سَيُوَرِّثُه**) بضم الياء وفتح الواو وكسر الراء المشددة أي يأمرني عن الله تعالى بتوريث الجار من جاره بأن يجعله مشاركاً في المال مع الأقارب بسهم يعطاه، وفي البخاري من حديث جابر بلفظ: «حتى ظننت أنه يجعل له ميراثاً» وفي حديث جابر عند الطبراني رفعه: «الجيران ثلاثة جار له حق وهو المشرك حق الجوار، وجار له حقان وهو المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وجار له ثلاثة حقوق جار مسلم له رَحِم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».

(**عن أبي شريح**) بضم المعجمة وفتح الراء آخره حاء مهملة خويلد الخزاعي الصحابي (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن**) بالتكرار ثلاثاً أي إيماناً كاملاً، أو هو في حقِّ المستحل، أو أنه لا يجازي مجازاة المؤمن فيدخل الجنة من أول وهْلَةٍ مثلاً، أو أنه خرج مخرج الزجر والتغليظ (**قيل: من يا رسول الله؟**) وفي نسخة: ومن والواو عاطفة على مقدر أي سمعنا قولك وما عرفنا من هو أو الواو زائدة أو استئنافية، والسائل هو ابن مسعود كما رواه أحمد ورواه المنذري في ترغيبه بلفظ: قالوا: يا رسول الله لقد خاب وخسر من هو؟ (**قال**) ﷺ (**الذي لا يأمن**) بفتح التحتية وبينه وبين يؤمن جناس التصحيف، والأول من الإيمان والثاني من الأمان (**جارُه بوائقه**) بموحدة فواو مفتوحتين وبعد الألف تحتية مكسورة فقاف فهاء جمع بائقة وهي الغائلة أي لا يأمن جاره غائلته وشره، وفي تكرير القسم ثلاثاً تأكيد حق الجار.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: من كان يؤمن بالله**) الذي خلقه إيماناً كاملاً (**واليوم الآخر**) الذي إليه معاده وفيه مجازاته بعمله (**فلا يؤذ

ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت».

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «كل معروف صدقة».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي النبي ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

---

**جاره)** فيه مع سابقه الأمر بحفظ الجار وإيصال الخير إليه وكشف أسباب الضَّرَرِ عنه، قال في بهجة النفوس، وإذا كان هذا في حق الجار مع الحائل بين الشخص وبينه فينبغي له أن يراعي حق الملكين الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بإيقاع المخالفات في مرور الساعات، فقد جاء أنهما يُسَرَّان بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات، فينبغي مراعاة جانبهما وحفظ خواطرهما بالتكثير من عمل الطاعة والمواظبة على اجتناب المعصية فهما أولى برعاية الحق من كثير من الجيران **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)** قال الداودي فيما نقله عنه في المصابيح: يعني يزيد في إكرامه على ما كان يفعل في عِياله، وقال في الكواكب: الأمر بالإكرام يختلف بحسب المقامات فربما يكون فرض عين أو فرض كفاية وأقله أنه من باب مكارم الأخلاق، وفي مسلم: «الضيافة ثلاثة أيام وجائزته يوم وليلة» أي يتكلف له يومٌ وليلة فيتحفه ويزيده في البِرّ على ما يحضره في سائر الأيام، وفي اليومين الأخيرين يقدم له ما حضر فإذا مضت الثلاث فقد مضى حقه **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً)** ليغنم **(أو ليصمت)** بضم الميم وقد تكسر أي يسكت عن الشر ليسلم إذ آفات اللسان كثيرة وفي الحديث: «واحفظ لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك وهل يكب الناس في النار على مناخيرهم إلا حصائد ألسنتهم» قال ابن مسعود: ما شيء أحوج إلى طول سجنٍ من لسان، ولبعضهم: اللسان حية مسكنها الفم. ومعنى الحديث أن المرء إذا أراد أن يتكلم فليتفكر قبل كلامه فإن علم أنه لا يترتب عليه مفسدة ولا يجر إلى محرم ولا مكروه فيتكلم، وإن كان مباحاً فالسلامة في السكوت لئلا يجر المباح إلى مُحرَّم أو مكروه، وقد اشتمل هذا الحديث على أمورٍ ثلاثة تجمع مكارم الأخلاق الفعلية والقولية، أما الأولان فمن الفعلية وأولهما يرجع عن التخلي عن الرذيلة والثاني يرجع إلى التحلي بالفضيلة، والحاصل أن من كان كامل الإيمان فهو متَّصِف بالشفقة على خلق الله تعالى قولاً بالخير وسكوتاً عن الشر أو فعلاً لما ينفع أو تركاً لما يضر.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: كل معروفٍ صدقة)** زاد الدارقطني والحاكم: «وما أنفقه الرجل على أهله كُتِبَ له به صدقة وما وقى المؤمن به عرضه فهو صدقة»، وزاد البخاري في الأدب المفرد: «ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طَلْقٍ وأن تُلقيَ من دلوك في إناء أخيك».

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كان النبي ﷺ يحب الرفق)** بكسر

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه»، قال: وكان النبي ﷺ جالساً إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة أقبل علينا بوجهه، فقال: «اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شاء».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً ولا

---

الراء لين الجانب والأخذ بالأسهل **(في الأمر كله)** وعند مسلم: أن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: المؤمن)** أي بعض المؤمن **(للمؤمن كالبنيان)** فاللام والألف في المؤمن للجنس **(يشد بعضه بعضاً)** بيان لوجه الشبه كقوله **(ثم شبك بين أصابعه)** أي شداً مثل هذا الشد **(قال: وكان النبي ﷺ جالساً إذ جاء رجل يسأل أو طالب حاجة)** بالإضافة وفي نسخةٍ: «أو طالبٌ» بالتنوين وحاجة نصب مفعول والشك من الراوي، وإذ بسكون الذال المعجمة وفي نسخةٍ إذا بالألف، قال في الفتح: وفي تركيبه قلق ولعله كان الأصل كان إذا كان جالساً إذا جاءه رجل فحذف اختصاراً أو سقط من الراوي لفظ إذا كان، قال العيني: لا قلق في التركيب أصلاً وآفة هذا من ظَنَّ أنَّ جالساً خبر كان وليس كذلك وإنما خبر كان قوله أقبل علينا وجالساً حال **(أقبل علينا)** بوجهه الشريف **(فقال: اشفعوا)** في قضاء حاجة السائل أو الطالب **(فلتؤجروا)** بسكون اللام ويجوز كسرها على أصل لام الأمر، وقيل المكسورة بمعنى كي والفاء للسببية التي تنصب المضارع بعدها، وجاز اجتماعهما لأنهما لأمر واحد أو هي زائدة على مذهب الأخفش كزيادتها في قوله: قوموا فَلأصلِّ لكم أي اشفعوا كي تؤجروا، وعلى جعْلِها للأمر فالمأمور به التعرض للأجر بالشفاعة فكأنه قال: اشفعوا تتعرضوا بذلك للأجر وفي نسخةٍ تؤجروا، والجزم بحذف النون على جواب الأمر المتضمن معنى الشرط وهو واضح وللنسائي: «اشفعوا تشفعوا» **(وليقض الله)** عزَّ وجلَّ بسكون اللام قال القرطبي: لا يصح أن تكون لام الأمر لأن الله تعالى لا يؤمر ولا لام كي لأنه ثبت في الرواية بغير ياءٍ، ويحتمل أن يكون بمعنى الدعاء أي اللهم اقض أو الأمر هنا بمعنى الخبر أي إن عرض المحتاج حاجته عليَّ فاشفعوا إليَّ فإنكم إذا شفعتم حصل لكم الأجر سواء قبلت شفاعتكم أو لا ويجري الله تعالى **(على لسان نبيه ما شاء)** من موجبات قضاء الحاجة وعدمها، وفيه الحث على الشفاعة إلى الكبير في كشف كربة ومعونة ضعيف على مقصدٍ مأذون فيه من الشرع.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لم يكن النبي ﷺ سباباً)** بتشديد الموحدة وهو الشتم والتكلم في العرض بما يصيبه ويلومه **(ولا فاحشاً)** وفي نسخةٍ: ولا فحَّاشاً

لعَّاناً كان يقول لأحدنا عند المعتبة: «ماله؟ ترب جبينه».

عن جابر رضي الله عنه قال: ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت.

---

بتشديد المهملة **(ولا لعَّاناً)** بتشديد العين قيل السب يتعلق بالنسب كالقذف والفحش بالحسب واللعن بالآخرة لأنه البعد عن رحمة الله تعالى، واستشكل التعبير بصيغة فعَّال المشددة وهي تقتضي التكثير فهو أخص من فاعل، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم فلا يلزم من نفي كثرة الفحش نفي أصله مع أنه ﷺ لا يتَّصِف بشيءٍ مما ذُكر أصلاً لا قليلاً ولا كثيراً، وأجيب بأن فعَّالاً قد لا يُرادُ التكثير بل أصل الفعل، وقد يأتي للنَّسب نحو ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦] أي ليس بذي ظلم والمعنى هنا ليس بذي فحشٍ البتة وكذا باقيها فينتفي أصل الفحش كما تدل له روايةٍ: «ولا فاحشاً» وفي روايةٍ: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً» أي ليس فاحشاً بالطبع ولا متفحشاً بالتَّكلُّف فليس فيه فحش ذاتياً ولا عرضياً، والفحش كل ما خرج عن مقداره حتى يستقبح ويكون في القول والفعل والصفة، يقال: طويل فاحش إذا أفرط في الطول، لكنَّ استعماله في القول أكثر **(كان يقول لأحدنا عند المعتبة)** بفتح الميم وسكون العيم وفتح المثناة الفوقية وكسرها بعدها موحدة مصدر عتب عليه يعتب عتباً وعِتاباً ومعتبةً ومُعَاتبةً قال في المصباح: عتب عليه عتباً من بابي قتل وضرب ومعتباً أيضاً لأمه في سخط، وفي المختار: عَتَبَ وَجِدَ وبابه طَرِب ونصر وعاتبته، قال الخليل: العِتاب مخاطبة الإذلال ومذاكرة الموجدة **(ماله)** استفهام **(تَرِب جبينه)** أي لا أصاب خيراً فهو دعاء أو كلمة جرت على لسان العرب لا يريدون حقيقتها، أو دعا له بالطاعة أي يصلي فيترب جبينه أو دعاء بالسقوط على رأسه على الأرض من جهة جبينه، وهذه الأخيرة أوجه.

**(عن جابر)** بن عبد الله الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: ما سئل النبي ﷺ عن شيءٍ قط)** أي ما طُلِب منه شيء، قال الكرماني: من أموال الدنيا **(فقال لا)** قال الفرزدق:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وعند ابن سعد عن مرسل ابن الحنفية إذا سئل فأراد أن يفعل قال: نعم وإذا لم يرد أن يفعل سكت، ففيه أنه لا ينطق برد بل إن كان عنده وكان الإعطاء سائغاً أعطى وإلا سكت.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين)** استشكل بما في مسلم من طَريق إسحاق بن أبي طلحة عن أنسٍ: «والله لقد خدمته تسع سنين» وأجيب

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

عن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر

---

بأنه خدم تسع سنين وأشهراً وحينئذٍ ففي رواية عشر سنين جبراً للكسر وفي رواية تسع إلغاؤه (**فما قال لي أُفٍّ**) بضم الهمزة وكسر الفاء المشددة من غير تنوين وفي نسخةٍ أف بفتحها وفيها لغات كثيرة مذكورة في محلها وهو صوت يدل على التضجر (**ولا لِمَ صنعت**) كذا وكذا (**ولا ألا**) بفتح الهمزة وتشديد اللام أي هلا (**صنعت**) كذا وكذا، وفيه تنزيه اللسان عن الزجر واستئلاف خاطر الخادم بترك معاتبته وهذا في الأمور المعلقة بحظ الإنسان أما الأمور الشرعية فلا يُتسامح فيها على ما لا يخفى.

(**عن أبي ذرٍ**) جندب بن جنادة (**رضي الله تعالى عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: لا يرمي رجل رجلاً بالفُسُوق**) كأن يقول له: يا فاسق (**ولا يرميه بالكفر**) كأنه يقول له: يا كافر ويقصد حقيقة ذلك (**إلا ارتدت عليه**) الرمية فيصير هو فاسقاً أو كافراً (**إن لم يكن صاحبه**) المرمي (**كذلك**) وإن كان موصوفاً بذلك فلا يرتد إليه شيءٌ لكونه صَدَق فيما قاله، فإن قصد بذلك تعييره بذلك وشهرته وأذاه حَرُم عليه لأنه مأمور بستره وتعليمه وموعظته بالحسنى فمهما أمكنه ذلك بالرفق حرم عليه فعله بالعنف لأنه قد يكون سبباً لإغوائه وإصراره على ذلك الفعل كما طبع كثيرٍ من الناس من الأنفة لا سيما إن كان الأمر دون المأمور في الدرجة، فإن قصد نصحه أو نصح غيره ببيان حاله جاز له ذلك.

(**عن ثابت**) بن الضحاك الأنصاري الأشهلي (**وكان من أصحاب الشجرة**) أي شجرة الرضوان بالحديبية (**رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: من حلف على ملة غير الإسلام**) بتنوين ملة فغير صفة وعلى بمعنى الباء ويحتمل أن يكون التقدير من حلف على شيءٍ بيمين فحذف المجرور وعدَّى الفعل بعلى بعد حذف الباء، والأول أنل في التخيير كأن يقول إن فعل كذا فهو يهودي أو نصراني كاذباً (**فهو كما قال**) الفاء جواب الشرط وهو مبتدأ وكما قال في محل الخبر، أي فهو كائن كما قال وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي فهو مثل قوله أو كالذي قاله، والمعنى فمثله مثل قوله لأن هذا الكلام محمول على التعليق مثل أن يقول: هو يهودي أو نصراني إن كان فعل كذا كما مر، والحاصل أنه يحكم عليه بالذي نسبه لنفسه وظاهره أنه يكفر، وهو محمول على من أراد أن يكون متصفاً بذلك إذا وقع المحلوف عليه لأن إرادة الكفر كُفْر فيكفر في الحال، أو المراد التهديد والمبالغة في الوعيد لا الحكم وإن قصد تبعيد نفسه عن الفعل فليس بيمين ولا يكفر به، قال في الروضة وليقل: لا إله إلا الله محمد رسول الله لحديث

فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيءٍ في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله».

عن حذيفة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات».

---

الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً: «من حلف فقال في حَلِفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله» ففيه دليل على أنه لا كفارة على من حلف بغير الإسلام بل يأثم وتلزمه التوبة لأنه ﷺ جعل عقوبته في دينه ولم يوجب في ماله شيئاً **(وليس على ابن آدم نَذْر)** أي وفاء نذرٍ **(فيما لا يملك)** كأن يقول: إن شفى الله مريضي فعبد فلان حر أو تصدق بدار زيدٍ، أما لو قال: إن شفى الله مريضي فعليّ عِتق رقبةٍ ولا يملك شيئاً في تلك الحالة فليس من النذر فيما لا يملك لأنه يقدر عليه في الجملة حالاً أو مآلاً فهو يملكه بالقوة، وقوله نَذْرٌ نافع اسم ليس وعلى ابن آدم في موضع الخبر وفيما متعلق بنذر لأنه مصدر أو بمحذوف صفة له أي نذرٌ كائن فيما لا يملك **(ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذّب به يوم القيامة)** ليكون الجزاء من جنس العمل وإن كان عذاب الآخرة أعظم **(ومن لعن مؤمناً فهو كقتله)** في التحريم أو في العقاب أو في الإبعاد لأن اللعن تبعيد من رحمة الله تعالى والقتل تبعيد من الحياة، والضمير للمصدر الذي دلَّ عليه الفعل أي فلعنه كقتله والتقييد بالمؤمن للتشنيع أو للاحتراز عن الكافر فيجوز لعنه إذا كان غير معين كقولك: لعن الله الكفار أو اليهود أو النصارى، أما المعين فلا يجوز لعنه ومثله العاصي المعين على المشهور، ونقل ابن العربي الاتفاق عليه **(ومن قذف مؤمناً)** أي رماه **(بكفر فهو كقتله)** لأن النسبة إلى الكفر الموجب للقتل كالقتل في أنَّ المتسبب للشيء كفاعله.

**(عن حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل الجنة)** أي مع السابقين **(قتَّات)** بقاف مفتوحة فمثناتين فوقيتين أولاهما مشددة بينهما ألف من قَتَّ الحديث يقُتُّه، والرجل قتَّات أي نمام، قال ابن الأعرابي: هو الذي يسمع الحديث وينقله، وروي عند مسلم بلفظ: «نمام» قال القاضي عياض: القتَّات والنمام واحد وفرَّق بينهما بأن النمام الذي يحضر القِصَّة وينقلها والقتات الذي يسمع من حديث من لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه، والراجح التغير بين الغيبة والنميمة لأن النميمة نقل كلام الناس بعضهم لبعض على وجه الإفساد، وقيل هي كشف ما يُكره كشفه وهذا شامل لما يكرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو غيرهما، وسواء كان بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء، والغِيبة بكسر الغين المعجمة ذِكْر المسلم غير المعلِن بفجوره بما يكره وإن لم يكن في غيبته على الراجح، ولو بغمز أو بكتابة أو إشارة. قال النووي: وممن يستعمل التعريض في ذلك الكثير من الفقهاء في التصانيف وغيرها كقولهم قال بعض من يَدَّعي العلم أو بعض من يُنْسَب إلى الصلاح أو غير ذلك مما يُفْهِم السامع المراد به، ومنه

عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً، فقال النبي ﷺ ويحك قطعت عنق صاحبك». يقوله مراراً «إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله أحداً».

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام».

---

قولهم عند ذكره الله يعافينا ونحوه إلا أن يكون ذلك نُصحاً لطالبٍ شيئاً لا يعلم عيبه أو نحو ذلك، وسامعها شريك في الإثم ما لم ينكرها بلسانه ومع خوفه بقلبه، والراجح أنها من الصغائر إلا في حق أهل العلم وحملة القرآن أما النميمة فمن الكبائر مطلقاً.

**(عن أبي بكرة)** نُفَيع **(رضي الله تعالى عنه أن رجلاً ذُكِر)** بضم المعجمة **(عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً)** قيل الرجل المثني هو المحجن بن الأدرع السُّلَمي والمثنى عليه هو عبد الله ذو البجادين المزني والبجاد بالموحدة الكساء الغليظ **(فقال النبي ﷺ: ويحك)** كلمة ترحُّم وتوجُّع يقال لمن وقع في هلكةٍ لا يستحقها، وفي نسخةٍ: «ويلك» باللام بدل الحاء وهي كلمةُ حزن وهلاك **(قطعت عنق صاحبك)** أي أهلكته حيث وصفته بما ليس فيه فربما حمله ذلك على العجب والكبر وتضييع العمل وترك الأزدياد من الفضل فهو استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك **(بقوله)** أي يقول ﷺ هذا القول **(مِراراً ثم)** قال: **(إن كان أحدكم مادحاً)** أحداً **(لا محالة)** بفتح الميم أي لا بد **(فليقل أحسبُ كذا وكذا إن كان يُرى)** بضم أوله أي يظن **(أنه)** أي الممدوح **(كذلك وحسيبه الله)** عزَّ وجلَّ وهو بفتح الحاء وكسر السين المهملتين أي يحاسبه على عمله الذي لا يعلم حقيقته والجملة اعتراضية، وقال في شرح المشكاة: هي من تتمة القول والجملة الشرطية حال من فاعل فليقل، والمعنى فليقل أحسب أن فلاناً كذا إن كان يحسب ذلك منه والله تعالى يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولا يقل أتيقن ولا أتحقق أنه محسن جازماً به **(ولا يزكي)** أحدٌ **(على الله أحداً)** منع له عن الجزم وفي نسخةٍ: «ولا يُزَكَّى» بفتح الكاف مبنياً للمفعول على أحدٌ بالرفع نائب الفاعل، والمعنى لا يقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره، لأن ذلك مغيب ففي جزمه بذلك افتيات على الله تعالى حيث ادعى علم الغيب المختص به تعالى، وعلى متعلقة بمحذوف أي حال كونه متقدماً في التزكية على الله تعالى ومفتاتاً عليه، وقوله: ولا يزكي خبر معناه النهي أي لا تزكوا أحداً على الله تعالى لأنه أعلم بكم منكم.

**(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تباغضوا)** بحذف

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذبت الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً» وفي رواية: «يعرفان ديننا الذي نحن عليه».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي

---

إحدى التاءين أي لا تتعاطوا أسباب البغض نعم إذا كان البغض تأييداً لِلّه تعالى وجب، وحقيقته أن يقع بين اثنين وقد يقع من واحد وكذا قوله: **(ولا تحاسدوا)** والتحاسد المذكور هو تمني زوال النعمة عن المحسود سواء سعى في إزالة تلك النعمة أم لا فإن سعى كان باغياً وإن لم يسعَ فإن كان المانع عجْزُه بحيث لو تمكن فعل فآثم، وإن كان المانع التقوى فقد يُعذَر لأنه لا يملك رفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدة نفسه عدم العمل والعزم عليه، وفي حديث إسماعيل بن أمية عند عبد الرزاق مرفوعاً: «ثلاثٌ لا يسلم منها أحد الطِّيَرَة والظن والحسد» قيل: فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: «إذا تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تُحَقِّق وإذا حسدت فلا تبغ» **(ولا تدابروا)** أي لا تهاجَروا فيولي كل واحد منكما دبره لصاحبه حين يراه لأن من أبغض أعرض ومن أعرض ولَّى دبره بخلاف من أحب، وقيل معناه لا يستأثر أحدكم على الآخر، لأن المستأثر يولي دبره حين يستأثر بشيء دون الآخر **(وكونوا عباد الله إخواناً)** باكتساب ما تصيرون به كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والنصيحة، قال في شرح المشكاة: إخواناً يحتمل أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون بدلاً أو هو الخبر، وقوله: عباد الله منصوب على الاختصاص بالنداء، وهذا الوجه أوقع يعني أنتم مستوون في كونكم عبيداً لله تعالى وصَلَتُكُم ملة واحدة فالتباغض والتحاسد والتدابر منافٍ لحالكم فالواجب عليكم أن تكونوا إخواناً متواصلين متآلفين.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: قال النبي ﷺ: ما أظن فلاناً وفلاناً)** قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على تسميتهما **(يعرفان من ديننا)** أي دين الإسلام **(شيئاً وفي روايةٍ يعرفان من ديننا الذي نحن عليه)** وهو دين الإسلام، قال الليث بن سعد: كانا رجلين من المنافقين فالظن فيهما ليس من الظن المنهي عنه لأنه من باب التحذير من مثل من كان حاله كحال الرجلين، والنهي إنما هو عن ظن السوء بالمسلم السالم في دينه وعِرضه، أما أهل الفسق قلنا أن نَظُنَّ فيهم مثل الذي ظهر منهم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل أمتي)** المسلمين **(معافى)** بضم الميم وفتح الفاء مقصوراً اسم مفعول من العافية أي يُعفى

معافى إلاّ المجاهرون وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه».

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

---

عن ذنبهم ولا يؤاخذون به **(إلا المجاهرون)** بكسر الهاء أي المعلنون بالفسق لاستخفافهم بحق الله تعالى وبرسوله ومصالح المؤمنين، وهو بالرفع في أكثر النسخ على طريقة الكوفيين المجوزين لذلك في الاستثناء المنقطع، وقال ابن مالك: إلا بمعنى لكن والمجاهرون مبتدأ والخبر محذوف أي لكن المجاهرون بالمعاصي لا يعافون، قال في المصابيح: هذا الباب الذي فتحه ابن مالك يؤدي إلى جواز الرفع في كل مستثنىً من كلام تامٍّ موجب مثل: قام القوم إلا زيد فيكون الواقع بعد إلا مرفوعاً بالابتداء والخبر محذوفَ وهو مقدر بنفي الحكم السابق وينقلب كل استثناء متَّصلٍ منقطعاً بهذا الاعتبار ومثله غير مستقيم على ما لا يخفى اهـ وفي نسخةٍ: إلا المجاهرين بالنصب وهو الصواب عند البصريين والمجاهر الذي يُظْهر معصيته ويكشف ما ستر الله تعالى عليه فيحدث به **(وإن من المجانة)** بفتح الميم والجيم وبعد الألف نون مخففة أي عدم المبالاة بالقول والفعل قال في المصباح: مجن مجوناً من باب قعد هزل اهـ وفي نسخةٍ من المجاهرة بدل المجانة ورجحها القاضي عياض وقال: إن المجانة تصحيف وإن كان معناها لا يبعد هنا لأن الماجن هو الذي يستهتر في أموره وهو الذي لا يبالي بما قال وما قيل له، وتعقبه في فتح الباري فقال: الذي يظهر مجانة لأن الكلام المذكور بعده لا يرتاب أحد أنه من المجاهرة فليس في إعادة ذكره كبير فائدةٍ، وأما الرواية بلفظ المجانة والمجانة مذمومة شرعاً وعرفاً فيكون الذي يظهر المعصية قد ارتكب محظورين إظهار المعصية وتلبسه بفعل الماجن **(أن يعمل الرجل عملاً)** أي معصيةً **(بالليل ثم يصبح)** أي يدخل في الصباح **(وقد)** أي والحال أنه قد **(ستره الله)** تعالى وفي نسخةٍ: وقد ستر الله عليه **(فيقول)** لغيره **(يا فلان عملت)** بضم التاء **(البارحة)** هي أقرب ليلة مضت من وقت القول وأصله من برح إذا زال **(كذا وكذا)** من المعصية **(وقد بات يستره ربه وأصبح يكشف ستر الله عنه)** وفي حديث ابن عمر مرفوعاً الحاكم: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى عنها فمن ألمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله».

**(عن أبي أيوب)** خالد بن زيد **(الأنصاري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لرجل)** مثلاً **(أن يهجر أخاه)** في الإسلام **(فوق ثلاث ليالٍ)** بأيامها ولو ملفقة فإذا ابتدأت مثلاً من الظهر يوم السبت كان آخرها الظهر يوم الثلاثاء، وظاهره إباحة ذلك

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذَّاباً».

---

في الثلاث لأن الغالب أنَّ ما جبل عليه الإنسان من الغضب وسوء الخلق يزول من المؤمن أو يقل بعد الثلاث، والتعبير بالأخ فيه إشعار بالعِلية ومفهومه أنه إذا خالف هذه الشرطية فقطع هذه الرابطة جاز هُجْرانه فوق ثلاث، فإن هَجْر أهل الأهواء والبدع دائم على ممر الأوقات ما لم يُظْهِر التوبة والرجوع إلى الحق (**يلتقيان معاً**) بدون فاء وفي نسخةٍ فيلتقيان بزيادة فاء في أوله (**فيعرض هذا**) عن أخيه المسلم (**ويعرض هذا**) الآخر كذلك ويعرض بضم التحتية فيهما والجملة استئنافية بيان لكيفية الهجران، ويجوز أن تكون حالاً من فاعل يهجر ومفعوله معاً (**وخيرهما الذي يبدأ**) أخاه (**بالسلام**) عطف على الجملة السابقة من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير، وعلى القول بأن الأولى حال فهذه الثانية عطف على قوله لا يحل، وزاد الطبراني عن الزهري بعد قوله بالسلام يسبق إلى الجنة ولأبي داود بسند صحيح عن أبي هريرة: «فإن مرت به ثلاث فليسلم عليه فإن ردَّ فقد اشتركا في الأجر وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم» وخرج المسلم من الهجرة أي الهَجْرِ، واستدل بعضهم بالحديث على أن الابتداء أفضل من الردِّ فيكون مستثنىً من قاعدة أن الفرض أفضل من النفل ونوقش بأنه لي في الحديث أن الابتداء خيرٌ من الجواب، وإنما فيه أن المبتدِىء خير من المجيب، وذلك لأن المبتدِىء فعل حسنة وتسبب إلى فعل حسنةٍ وهي الجواب مع ما دل عليه الابتداء من حسين طوية المبتدِىء وتركْ ما يكرهه الشارع من الهجر والجفاء فكان خيراً من حيث أنه مبتدِىء بترك ما يكرهه الشارع من التقاطع لا من حيث أنه مسلم، قال بعضهم: إن الهَجْرَ يزول بمجرد السَّلام والردِّ، وقال الإمام أحمد: لا يبرأ من الهَجْرِ إلا بعودٍ إلى الحال التي كان عليها أولاً.

(**عن عبد الله**) بن مسعود (**رضي الله تعالى عنهما عنْ النبي ﷺ**) أنه (**قال: إنَّ الصدق يهدي إلى البر**) بكسر الموحدة وتشديد الراء أي يوصل إلى الخيرات كلها، والصِّدق يطلق على صِدق اللسان وهو مطابقة الخبر للواقع وإن لم يطابق الاعتقاد على الراجح ونقيضه الكذب، وعلى صدق النية وهو الإخلاص في الأقوال والأفعال وأقله استواء سَريرته وعلانيته فلا يتكلم بشيءٍ وفي باطنه ما يخالفه ولا يفعل شيئاً لغير مرضاة الله تعالى، (**وإنَّ البِرَّ يهدي**) أي يوصل (**إلى الجنة وإنَّ الرجل ليصدق**) في أخباره وفي سِرِّه وعلانيته ويتكرر ذلك منه (**حتى يكون صِدِّيقاً**) بكسر الصاد والدال المشددة من أمثلة المبالغة أي عظيم الصدق والتنكير للتعظيم والتفخيم أي بلغ في الصدق إلى غايته ونهايته حتى دخل في زمرة الصِدِّيقين واستحق ثوابهم (**وإنَّ الكذب**) في الأخبار أو في النية على ما مر (**يهدي إلى الفجور**) الذي هو ضد البر (**وإنَّ الفجور يهدي**) أي يوصل (**إلى النار**)

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس أحدٌ أو ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولداً وإنه ليعافيهم ويرزقهم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

---

قال الله تعالى: ﴿إنَّ الأبرار لفي نعيم وإن الفُجّار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٤] **(وإنَّ الرجل ليكذب)** ويتكرر ذلك منه **(حتى يكون)** وفي نسخةٍ حتى يُكتب بضم أوله مبنياً للمفعول **(عند الله)** تعالا **(كِذَاباً)** أي يحكم له بذلك ويظهره للمخلوقين من الملأ الأعلى ويلقى ذلك في قلوب أهل الأرض وعلى ألسنتهم ويكتبون اسمه مع أسمائهم فيستحق بذلك صفة الكذابين وعقابهم، عن ابن مسعود مما ذكره الإمام مالك بلاغاً: «لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكَذِب فينكت في قلبه نُكتة سوداء حتى يَسْوَدَّ قلبه فيكتب عند الله من الكذابين».

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ليس أحدٌ أصبر)** أفعل تفضيل من الصبر وهو حبس النفس عن الجزع والمراد به هنا الحِلم أي ليس أحد أحلم **(على أذىً سمعه من الله)** عزَّ وجلَّ قال الكرماني صلة لقوله أصبر، وأصبر بمعنى أحلم كما مرَّ يعني حبس العقوبة عن مستحقها أي تأخيرها إلى زمان آخر **(أنهم لَيَدْعون له)** عزَّ وجلَّ **(ولداً)** بيان لسابقه واللام في ليدعون للتوكيد وداله ساكنة أي ينسبون إليه ما هو منزه عنه **(وإنه)** عزَّ وجلَّ **(ليعافيهم)** في أنفسهم **(ويرزقهم)** أي يُدِر رزقه عليهم، ومعلومٌ أنَّ الرزق بالفتح كالخلق من صفات الأفعال وهي تعلقات القدرة الحادثة عند الأشاعرة، وقال الماتريدية: إنه قديم لأن مرجعه إلى صفة التكوين وهي قديمة ولأن رازقاً يقتضي مرزوقاً والله تعالى كان ولا مرزوق وكل ما لم يكن ثم كان محدث، والله تعالى موصوف بأنه الرزّاق ووصف نفسه بذلك قبل خلق الخلق بمعنى أنه تعالى سيرزق إذا خلق المرزوقين.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: ليس الشديد بالصرعة)** بضم المهملة وفتح الراء وهو الذي يصرع الناس كثيراً بقوته قال في المختار ورجل صَرْعَة بوزن همزة أي يصرع الناس اهـ وفي الكلام تقديم وتأخير أي ليس الصرعة بالشديد **(إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)** فلا يعمل بمقتضى غضبه بل يكظمه ويمسكه بالصبر وإنما كان شديداً لأنه إذا ملك نفسه عند ذلك فهو أقوى أعدائه وشر خصومه وهو نفسه التي بين جنبيه، وهذا من الألفاظ التي نقلت عن موضوعها اللغوي بضرب من التوسع والمجاز وهو من فصيح الكلام، لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ فقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها وصرعها بثباته كان كالصَرْعة الذي يصرع الرجال ولا

وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني قال: «لا تغضب» فردد مراراً قال: «لا تغضب».

عن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير».

---

يصرعونه، وفي حديث ابن مسعود عند مسلم مرفوعاً: «ما تعدون الصُرْعة فيكم؟ قالوا: الذي لا يصرعه الرجال»، وعند البزار بسند حسن عند أنس أن النبي ﷺ مرَّ بقوم يصطرعون فقال: «ما هذا؟» قالوا: فلان ما يصارع أحد إلا صرعه، قال: «أفلا أدلكم على من هو أشد منه؟ رجل كلَّمه رجل وكظم غيظه فغلب وغلب شيطانه وغلب شيطان صاحبه»

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أنَّ رجلاً)** اسمه جارية بالجيم ابن قُدامة كما عند أحمد وابن حبان **(قال للنبي ﷺ: أوصني قال)** ﷺ له: **(لا تغضب)** زاد الطبراني: «ولك الجنة» **(فردد ذلك)** الرجل قوله أوصني **(مراراً)** وفي روايةٍ ثلاثاً **(فقال)** له ﷺ: **(لا تغضب)** قال الخطابي: أي اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه لأن نفس الغضب مطبوع في الأنسان لا يتمكن من إخراجه من جِبِلَّتِه، وقال ابن حبان: أراد لا تعمل بعد الغضب شيئاً مما نُهيت عنه لا أنه نهاه عن شيءٍ جُبِل عليه ولا حيلة له في دفعه، وذلك لأنه تعالى خلق الغضب من النار وجعله غزيرة في الإنسان فمهما قصد أو نوزع في غرض ما اشتعلت نار الغضب وثارت حتى يحمر الوجه والعينان من الدم، لأن البشرة تحكي ما وراءها وهذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإن كان على مَنْ فوقه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجِلدِ إلى جوفِ القلب فيصفَرُّ اللون حزناً، وإن كان على النظير تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر، ويترتب على الغضب تغير الظاهر والباطن قال: فالظاهر كتغير اللون والرعدة في الأطراف وخروج الأفعال على غير ترتيب واستحالة الخِلْقةِ حتى لو رأى الغضبان نفسه في حالة غضبه لسكن غضبه حياءً من قُبْحِ صورته واستحالة خلقته، وأما الباطن فقبحه أشد من الظاهر لأنه يولد الحقد في القلب وإضمار السوء ومزيد الشماتة وهجر المسلم ومصادمته والإعراض عنه والاستهزاء والسخرية ومنع الحقوق، بل أول شيء يقبح منه باطنه وتغير ظاهره ثمرة تغير باطنه ودواؤه قمع أسبابه من الكِبْر والفَخْر والهُزْء والمَزْح والتعيير والممارات والغدر والحرص على فضول المال أو الجاه، فإذا غضبت فتثبت ثم تذكر فضل كظم الغيظ ونحوه وأحسن فإن الله تعالى يحب المحسنين أو أعف ولا تقابل فتقاتل، كذا في قوت القلوب لأبي طالب المكي.

**(عن عمران بن حصين)** الخزاعي أبو بجيد أسلم مع أبي هريرة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: الحياء)** بالمد وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله ﷺ ليُخالطنا حتى كان يقول لأخٍ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النُغير».

---

ما يعاب به ويذم، وفي الشرع خُلُق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق **(لا يأتي إلا بخير)** لأنه يحجز صاحبه عن ارتكاب المحارم ولذا كان من الإيمان كما في الحديث الآخر، لأن الإيمان ينقسم إلى ائتمارٍ ما أمر الله تعالى وانتهاء عما نهى عنه، فإن قيل: الحياء من الغرائز فكيف جُعِل من الإيمان؟ أجيب بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقاً ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتسابٍ وعلم ونيةٍ فهو من الإيمان لهذا ولكونه باعثاً على فعل الطاعة وحاجزاً عن المعصية، ولا يقال: رُبَّ حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير لأن ذلك ليس شرعياً، وعند الطبراني: الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة.

**(عن أبي مسعود)** عقبة بن عامر البدري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: إن مما أدرك الناس)** بالرفع والعائد إلى ما محذوف أي مما أدركه الناس **(من كلام النبوة الأولى)** بسكون الواو بعد الهمزة المضمومة أي من شرائع الأنبياء السابقين مما اتفقوا عليه ولم ينسخ، ولم يبدل للعلم بصوابه واتفاق العقول على حسنة فالأولون والآخرون من الأنباء على منهاج واحدٍ في استحسانه **(إذا لم تستح)** بكسر الحاء أي إذا لم يكن معك حياء يمنعك من القبيح **(فاصنع)** وفي روايةٍ: فافعل **(ما شئت)** مما تأمرك به النفس الأمارة بالسوء فالأمر للتهديد كقوله تعالى: ﴿أعملوا ما شئتم﴾ [فصلت: ٤٠] أو بمعنى الخبر أي صنعت ما شئت ويحتمل أنه للإباحة والمعنى إذا أردت فعلاً ولم يكن مما يُستَحْيا من فعله شرعاً فافعل ما شئت ولا تستحي منه وإن كان يعاب عليك عرفاً.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ليخالطنا)** بالملاطفة وطلاقة الوجه والمزح **(حتى يقول لأخ لي)** من أمي **(صغير)** هو ابن أبي طلحة زيد بن سهيل الأنصاري **(يا أبا عُمَيْر)** بضم العَين مصغراً **(ما فعل النُّغَير)** بضم النون وفتح الغين المعجمة مصغر نُغَر بضم ثم فتح طير كالعصفور محمز المنقار وأهل المدينة يسمونه البلبل، وكان له طائر من ذلك فمات فحزن عليه حُزناً شديداً أي ما شأنه وحاله، قال النووي: وفي الحديث جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الطفل وأنه ليس كذباً، وجواز المزح فيما ليس بإثم وجواز السجع في الكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم وبيان ما كان عليه النبي ﷺ من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ يُلدَغُ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين».

عن أُبي بن كعبٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشِعر حكمة».

---

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يُلدَغ المؤمن)** بالدال المهملة والغين المعجمة على صيغة المجهول وهو ما يكون من ذوات السموم، وأما الذي بالذال المعجمة والعين المهملة فما يكون من النار والمؤمن مرفوع بيلدغ **(من جُحْرٍ)** بضم الجيم وسكون الحاء المهملة **(واحدٍ مرتين)** وفي روايةٍ: «لا يلسع المؤمن من جُحْر مرتين»، وقوله يُلدَغ هو بالرفع على صيغة الخبر ومعناه الأمر أي: ليكن المؤمن حازماً حَذِراً لا يؤتى من ناحية الغفلة فيُخْدَع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذَر، ورُوي بكسر الغين بلفظ النهي أي لا يُخْدَعنَّ المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروهٍ، وسبب هذا الحديث أنه ﷺ أسر أبا عَزَّة الشاعر يومَ بدرٍ فمنَّ عليه وعاهده أن لا يُحَرِّض عليه ولا يهجوه فأطلقه فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أُسِر يوم أُحُدٍ فسأله المنَّ فقال ﷺ: «لا يلدغ المؤمن» الحديث ووجه النهي على هذا أنه ﷺ لما رأى من نفسه الزكية الكريمة الميل إلى الحِلم والعفو عنه جرَّدَ منها مؤمناً كاملاً حازماً ذا شهامةٍ ونهاه عن ذلك يعني ليس من شيمة المؤمن الحازم الذي يغضب لله ويذب عن دين الله تعالى أن ينخدع من مثل هذا الغادر المتمرد مرة أخرى فانتهِ عن حديث الحلم وامضِ لسانك في الانتقام منه والانتصار من عدو الله تعالى، فإن مقام الغضب لله تعالى يأبى الحِلم والعفو، ومن أوصافه ﷺ أنه كان لا ينتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لها، وقد ظهر من هذا أن الحِلم مطلقاً غير محمود كما أن الغلظة كذلك بل الأول مندوب إليه مع الأولياء والثاني مع الأعداء، قال الله تعالى في وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وأصل هذا الكلام أن رجلاً أدخل يده في حجر الصيد أو غيره فلدغته حية في يده ثم أدخلها فلدغته فضربته العرب مثلاً فقالوا: لا يُدخِل الرجل يده في جحر فيلدغ منه مرة ثانية، فأورده ﷺ بمعناه لكن فرق بين كلامه وبين لفظ المثل المذكور كما يدرك بالذوق السليم.

**(عن أُبي بن كعب)** سيد القراء الخزرجي الأنصاري **(رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن من الشعر حكمة)** أي قولاً صادقاً مطابقاً للحق، وقيل كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسَّفَهِ وإذا كان في الشعر حكمة كالمواعظ والأمثال التي تنفع الناس فيجوز إنشاده بلا ريب.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً.

حديث أنسٍ رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ يسأله متى تقوم الساعة؟ تقدَم وزاد في هذه الرواية بعد قوله: أنت مع من أحببت فقلنا: ونحن

---

(**عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لأن يمتلىء**) بلام التأكيد وأن مصدرية وهي مع مدخولها في موضع رفع على الابتداء (**جوف أحدكم قيحاً**) وهو المدة التي لا يخالطها الدم (**يَرِيه**[1]) ظاهرٌ أن المراد الجوف كله وما فيه من القلب وغيره، أو المراد الطلب خاصة وهو الأظهر لأن أهل الطبِّ يزعمون أن القيح إذا وصل إلى القلب شيءٌ منه وإن كان يسيراً فإنَّ صاحبه يموت لا محالة بخلاف غير القلب مما في الجوف من الكبد والرئة، ويَرِيه بفتح التحتية وكسر الراء بعدها تحتية ساكنة وفي نسخةٍ حتى يَرِيه بالنصب ومعناه كما في الصحاح: يأكله، وقيل: معناه أن القيح يأكل جوفه قيل يصيب رئته وتعقب بأن الرئة مهموز العين وأجيب بأنه يلزم من كون الأصل مهموز أن لا يستعمل مسهلاً (**خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً**) ظاهره العموم في كلِّ شعرٍ وليس كذلك بل هو مخصوص بما لم يكن حقاً أما الحق فلا كمدح الله تعالى ورسوله وما يشتمل على الذكر والزهد وسائر المواعظ مما لا إفراط فيه، وقال بعضهم: هذا الزجر لمن أقبل على الشعر وتشاغل به عن تلاوة القرآن والذكر والعبادة، ويلحق بالشعر كما قال ابن أبي جمرة: السجع وكل علمٍ مذموم كالسِّحر إذا اشتغل بذلك عن الواجبات والمستحبات وخصَّ بعضهم الحديثَ بالشعرَ الذي هُجِيَ به ﷺ أُخذ مما وقع في بعض الروايات وتعقب بأن الذي هُجِيَ به ﷺ كفر ولو كان شطر بيتٍ، وعلى تخصيص النهي بذلك فهو مختص بمن يمتلىء جوفه منه فلا يدخل فيه رواية اليسير على سبيل الحكاية ولا الاستشهاد به في اللغة وحينئذٍ فلا يكفر قائله ولا فرق بينه وبين الكلام الذي ذمُّوا به النبي ﷺ، وسبب الحديث كما في مسلم عن أبي سعيدٍ قال: بينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعَرْج إذ عرض لنا شاعر ينشد فقال: «أمسِكوا الشيطان لأن يمتلىء جوف أحدكم» إلخ.

(**حديث أنس أن رجلاً**) وهو ذو الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد كما يدل له كلام الدارقطني (**أتى النبي ﷺ يسأله متى الساعة تقدم**) وهو أنه قال له: ويلك وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: إنك مع من أحببت» أي في الجنة بحيث يتمكن كل واحد من رؤية الآخر وإن لم يصل إلى درجته لأن الحجاب إذ زال شاهد بعضهم بعضاً وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك (**وزاد**)

---

(١) هذه الكلمة ليست في نسخة الهامش اهـ.

كذلك قال: «نعم». فمرَّ غلام فقال: «إن أخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة».

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الغادر يُنْصَبُ له لواءٌ يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم قلب المؤمن».

---

أنس (**في هذه الرواية**) بعد قوله إنك مع من أحببت (**قلنا**) معشر الصحابة: (**ونحن كذلك**) نكون مع من أحببنا (**قال**) ﷺ: (**نعم**) ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، (**فمر غلامٌ فقال**) ﷺ: (**إن أخر هذا**) الغلام (**فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**) أي ساعة الحاضرين عنده ﷺ وقيامها بموتهم، ويدل لذلك حديث مسلم عن عائشة كان الأعراب إذا قَدِموا على النبي ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم سناً فيقول إن يعش هذا حتى يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم، وذلك أنه لو قال لهم: لا أدري لإرتابوا فكلمهم بالمعاريض أو المراد المبالغة في تقريبها لا التحديد وأنها تقوم عند بلوغ الغلام المذكور الهرم.

(**عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: إن الغادر**) أي الناقض للعهد الذي لا يفي به (**يُنْصَب**) بضم أوله وفي روايةٍ يرفع (**له لواء**) أي علم (**يوم القيامة**) ليعرف به (**فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان**) باسمه واسم أبيه لأنه أشد من التعريف وأبلغ في التمييز، وفيه رد على من قال: إنه لا يُدْعى الناس يوم القيامة إلا بأمهاتهم ستراً على آبائهم قال الخطابي: نعم رُوِي ذلك في حديث ابن عباس عند الطبراني لكن بسندٍ ضعيف جداً، والمراد بالأب من كان ينسب إليه في الدنيا وإن لم يكن أباه في نفس الأمر، وظاهر الحديث أن لكل غَدرَةٍ لواء فعلى هذا يكون للشخص الواحد عدة ألوية بعدد غَدَراته، والحكمة في نصب اللواء أن العقوبة تقع غالباً بضد الذنب فلما كان الغدر من الأمور الخفية ناسب أن تكون عقوبته بالشُّهرة واللواء أشهر الأشياء عند العرب.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: لا تسموا العنب الكرم**) بفتح الكاف وسكون الراء لأنه يتخذ منه الخمر فكره تسميتها به، لأن فيه تقريراً لما كانوا يتوهمونه من تكرم شاربها (**إنما الكرم قلب المؤمن**) لما فيه من نور الإيمان وتقوى الإسلام يقال: رجل كرم وامرأة كرم ونسوة كرم كله بفتح الراء وإسكانها بمعنى كريم وصف بالمصدر كعدل وضيف وليس الحصر في قوله إنما الكرم على ظاهره، بل المعنى أن الأحق باسم الكرم قلب المؤمن فليس المراد حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً بل المراد بيان المستحقِّ لهذا الاسم المشتق من الكرم وفي حديث سمرة عند البزار

وعنه رضي الله عنه أن زينب كان اسمها برة فقيل تزكي نفسها فسماها رسول الله ﷺ زينب.

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كانت أم سليم في الثقل وأنجشة غلام النبي ﷺ يسوق بهن فقال النبي ﷺ: «يا أنجش رويدك سوقك بالقوارير».

---

والطبراني مرفوعاً: «إن اسم الرجل المؤمن في الكتب الكرم من أجل ما كرم الله تعالى على الخليقة وإنكم تدعون الحائط من العنب الكرم» الحديث، وقال ابن الأنباري: إنهم سموا العنب كرماً لأن الخمر المتخذ منه يحث على السخاء ويأمر بمكارم الأخلاق حتى قال شاعرهم:

والخمر مشتقة العين من الكرم

فلهذا نهى عن تسمية العنب بالكرم حتى لا يسمى أصل الخمر باسم مأخوذ من الكرم، ويجعل المؤمن الذي يتّقي شربها ويرى الكَرَم في تركها أحق بهذا الاسم الحسن اهـ.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أن زينب)** هي بنت جحش أم المؤمنين كما في مسلم وأبي داود أو هي زينب بنت أم سلمة ربيبته ﷺ كما رواه ابن مردويه وفي تفسير سورة الحجرات من طريقها **(كان اسمها بَرَّة)** بفتح الموحدة والراء المشددة **(فقيل) تُزَكي نفسها)** لأن لفظ برة مشتق من البِر **(فسماها رسول الله ﷺ زينب)** وقد وقع مثل ذلك لجويرية بنت الحارث أم المؤمنين كما رواه مسلم وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد: وعن ابن عباس كان اسم جويرية بَرَّة فحول رسول الله ﷺ اسمها فسماها جُرَيْرِية كَرِه أن يقال خرج من عند برة.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كانت أم سليم)** هي أم أنس **(في الثقل)** بفتح المثلثة والقاف متاع المسافر **(وأنجشة)** الحبشي **(غلام النبي ﷺ)** بفتح الهمزةِ والجيم بينهما نون ساكنة وبعد الجيم شين معجمة فهاء تأنيث وكان حبشياً يُكنَّى أبا مارية **(يسوق بهنَّ)** أي بالنساء ويحدو للإبل **(فقال النبي ﷺ: يا أنجش)** بإسقاط الهاء وفتح الشين المعجمة وضمها مرخماً **(رويدك)** مصدر والكاف في موضع خفض أو اسم فعل والكاف حرف خطاب وقوله: **(سوقك)** بالنصب على الوجهين والمراد حدوك إطلاقاً لاسم المسبب على السبب وقال ابن مالك: رويدك اسم فعل بمعنى أرود أي أمهل والكاف المتصلة به حرف خطاب وفتحة داله بنائية، ولك أن تجعل رويدك مصدراً مضافاً إلى الكاف ناصباً سوقك وفتحة داله على هذا أعرابية واختار أبو البقاء الوجه الأول **(بالقوارير)** أي النساءِ والقوارير جمع قارورة سمِّيت بذلك لاستقرار الشراب فيها وكَنَّى عن النساء بالقوارير من الزجاج لضعف بُنْيَتِهنَّ ورِقَّتِهنَّ ولطافتهن، وقيل شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهنَّ عن الرضا وقلة دوامهن على الوفاء كالقوارير يسرع الكسر إليها ولا تقبل الجبر،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أخنى الأسماء عند الله يوم القيامة رجل تسمى ملك الأملاك».

---

أي لا تُحسِّن صوتك فربما يقع في قلوبهن لسرعة انفعالهن وتأثرهن فكفه عن ذلك، وقيل أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب ولم يؤمن على النساء السقوط وإذا مشيت رويداً أُمِنَ على النساء، وهذا من الاستعارة البديعية لأن القوارير أسرع شيء تَكَسُّراً فأفادت الاستعارة الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال: أرفق بالنساء، وقرينة الاستعارة حالية ولفظ الكسر الواقع في بعض الروايات ترشيح.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: أخنع)** بالعين المهملة أي أذل وأوضع، وفي روايةٍ: «أخني» بهمزة مفتوحة فخاء معجمة ساكنة فنون مفتوحة بعدها ألف مقصورة أي أفحش من الخنا وهو الفحش **(الأسماء)** وفي روايةٍ عند مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظ: «أبغض» وفي لفظٍ: «أخبث الأسماء» **(يوم القيامة عند الله تعالى رجل تسمى ملك الأملاك)** بكسر اللام والأملاك جمع ملك بالكسر وبالفتح وجمع مليك، وفي نسخةٍ: «بملك الأملاك» بزيادة موحدة أي سمَّى نفسه بذلك أو سُمِّي بذلك فرضي به واستمر عليه، وذلك لأن هذا من صفات الحق جل جلاله وهو لا يليق بمخلوق إذ العباد إنما يوصفون بالذل والخضوع والعبودية، ويدل لذلك زيادة بن أبي شيبة في روايته عند مسلم: «لا مالك إلا الله تعالى» إذ هو المالك الحقيقي ليس إلا هو ومالكية الغير عارية مستردة إلى مالك الملوك فمن تسمى بهذا الاسم نازع الله تعالى في رداء كبريائه واستنكف أن يكون عبداً لله تعالى فله الخزي والنَّكال، قال في المصابيح: فإن قلتَ كيف جاز جعل رَجُلٍ خبراً عن أخنى الأسماء؟ وأجاب بأنه على حذف مضاف أي اسم رجل تسمى ملك الأملاك انتهى: وزاد في شرح المشكاة أن يراد بالاسم المسمى مجازاً أي أخنى الرِّجال رجلٌ كقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] وفيه من المبالغة أنه إذا قدس اسمه عما لا يليق به فكان ذاته بالتقديس أولى، وهذا إذا كان الاسم محكوماً عليه بالهوان والصَّغَار فكيف بالمسمى، ويؤخذ من الحديث تحريم التسمي بهذا الاسم لورود الوعيد الشديد ويلحق به ما في معناه كأحكم الحاكمين وسلطان السلاطين وأمير الأمراء وشاهان شاه لملك الصين ومعناه بالفارسية ملك الملوك، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف فإذا أرادوا قاضي القضاة بلسانهم قالوا موبذان موبذ فموبذ هو القاضي وموبذان جمعه وكذا شاه هو الملك وشاهان هو الملوك، ويلحق بذلك أيضاً أقضى القضاة فالتلقيب به حرام ولا يُرَدُّ «أقضاكم علي» لأنه من باب الوصف لا التلقيب وأما قاضي القضاة فالتلقيب به مكروه عند الشافعية إن لم يكن ذلك متحققاً في ذلك الشخص، وأول من لُقِّبَ بذلك أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى،

عن أنس رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقيل له شمت هذا ولم تشمت الآخر؟، فقال: «هذا حمد الله وهذا لم يحمده».

---

وكان الماوردي يلقب بأقضى القضاة مع منعه من تلقيب الملك الذي كان في زمانه بملك الملوك، قال العيني: يمتنع أن يقال أقضى القضاة لأن معناه أحكم الحاكمين، وهذا أبلغ من قاضي القضاة لأنه أفعل تفضيل، قال: ومن جهل أهل زماننا من مسطري سجلات القضاة يكتبون للنائب أقضي القضاة وللقاضي الكبير قاضي القضاة.

**(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: عطس)** بفتح الطاء المهملة قال في المصباح وعطس عطساً من باب ضرب وفي لغة من باب قتل **(رجلان)** هما عامر بن الطفيل وابن أخيه كما في الطبراني من حديث سهل بن سعد **(عند النبي ﷺ فشمَّت أحدهما)** فقال له يرحمك الله **(ولم يشمت الآخر)** بالشين المعجمة والميم المشددة المفتوحتين في الكلمتين، وأصله إزالة شماتة الأعداء، والتفعيل للسلب نحو جلدت البعير أي أزلت جلده فاستعمل للدعاء بالخير لتضمنه ذلك، فكأنه دعا له أن لا يكون في حالة من يشمت به أو أنه إذا حَمِد الله تعالى أدخل على الشيطان ما يسوء فمشمت هو بالشيطان، وفي نسخةٍ: فسمت أحدهما ولم يسمت الآخر بالسين المهملة فيهما دعا له بأن يكون على سَمْتٍ حسن، وقيل: إنه أفصح وقال القاضي أبو بكر بن العربي المعنى في اللفظين بديع وذلك أن العاطس يَنْحَلُّ كل عضو في رأسه وما يتصل به من العنق ونحوه فكأنه إذا قيل له يرحمك الله كان معناه أعطاك الله تعالى رحمةً يرجع بها بدنك إلى حاله قبل العطاس ويقيم على حاله من غير تغيير، فإن كان السمت بالمهملة فمعناه رجع كل عضوٍ إلى سمته الذي كان عليه، وإن كان بالمعجمة فمعناه صان الله تعالى شوامته أي قوائمه التي به قوامه، فقوام الدابة بسلامة قوائمها التي تنتفع بها إذا سَلِمت، وقوام الإنسان بسلامة قوائمه التي به قوامه وهو رأسه وما يتصل به من عنق أو صدر اهـ وفي الأدب المفرد للبخاري وصححه ابن حِبَّان من حديث أبي هريرة: عطس رجلان عند النبي ﷺ أحدهما أشرف من الآخر وإن الشريف لم يحمد الله تعالى فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر. **(فقيل له:)** يا رسول الله **(شمت هذا ولم تشمت الآخر فقال)** ﷺ: **(هذا حمد الله)** فشمته **(وهذا لم يحمده)** وفي نسخةٍ لم يحمد الله أي فلم أشمته، وفي حديث أبي هريرة: «إنَّ هذا ذكر الله فذكرته وأنت نسيت الله فنسيتك»، والنسيان يطلق على الترك أيضاً والسائل هو العاطس الذي لم يحمد الله كما في حديثٍ آخرٍ، وفي الحديث مشروعية الحمد وأما لفظه فنقل ابن بطال عن طائفةٍ أنه لا يزيد على «الحمد لله» كما في حديث أبي هريرة: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله»، وفي حديث أبي مالك الأشعري رفعه: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال»، وفي حديث ابن مسعود في الأدب المفرد

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب العُطَاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له

---

يقول: «الحمد لله رب العالمين» وعن علي مرفوعاً كما عند الطبراني: «من بادر العاطس بالحمد عُوفي من وَجَع الخاصرة ولم يشك ضرسه أبداً» وفي روايةٍ: «لم يجد وجع الضِّرس ولا الأذن أبداً» وعن ابن عباس كما في الأدب المفرد والطبراني: «إذا عطس الرجل فقال: الحمد لله قال الملك: رب العالمين فإذا قال: رب العالمين قال الملك: يرحمك الله، قال ابن حجر: ولا أصل لما اعتاده الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد العُطَاس وكذا العُدُول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله أو تقديمها على الحمد فهو مكروه، وإذا قال المشمت للعاطس: يرحمك الله قال له العاطس يهديكم الله ويصلح بالكم كما في حديث أبي هريرة، أو يغفر الله لنا ولكن كما في حديث ابن مسعودٍ وابن عمر وغيرهما، قال ابن بطال: ذهب مالك والشافعي إلى أنه يتخير بين اللفظين، وقال ابن رشد: الثاني أولى لأن المكلف يحتاج إلى المغفرة والجمع بينهما أحسن إلا للذمي،

**(عن أبي هريرة)** رضي الله تعالى عنه **(عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن الله يحب العُطَاس)** الذي لا ينشأ عن زكام لأنه يكون من خفة البدن وانفتاح السدد، وذلك مما يقتضي النشاط لفعل الطاعة والخير **(ويكره التثاؤب)** بالهمزة والمد على الأشهر ويجوز فيه قلب الهمزة واواً وإنما يكره ذلك لأنه يكون عن غلبة امتلاء البدن والإكثار من الأكل والتخليط فيه فيؤدي إلى الكسل والتقاعد عن العبادة وعن الأفعال المحمودة، فالمحبة والكراهة المذكوران منصرفان إلى ما ينشأ عن سببهما **(فإذا عطس)** بفتح الطاء المهملة **(أحدكم فحَمِد الله فحقٌ على كل مسلم سمعه أن يشمته)** احتج به من قال بوجوب التشميت إما عيناً كما قال به جمهور أهلَ الظاهر وجماعة من المالكية، أو على الكفاية فيسقط بفعل البعض كما رجحه ابن رشد وقال به الحنفية وجمهور الحنابلة، وقال الشافعية: مستحب على الكفاية والمراد بقوله كان حقاً أنه حق في حسن الأدب ومكارم الأخلاق، وقد خص من عموم الأمر من لم يحمد الله لما أخرجه مسلم من حديث أبي موسى: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وإن لم يحمد الله فلا تشمتوه» والنهي عند الجمهور للتنزيه، وقال النووي: لمن حضر من عطس فلم يحمد الله أن يُذَكِّره الحمد ليحمد فيشمته، والكافر لما رواه أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبي موسى: أن اليهود كانوا يتعاطسون عنده ﷺ رجاء أن يقول: يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم، وإذا تكرر منه العطاس فزاد على الثلاث لم يشمته بعد الثلاثة لأنه زكام ويسن أن يقول له في الثالثة: أنت مزكوم ومعناه أنك لست ممن يُشَمَّتُ بعدها لأن الذي بك مرضٌ وليس من العطاس المحمود الناشىء عن خفة البدن فيُدعَى له بالعافية وكذا

يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان».

---

يخص من العموم من يكره أن يشمته لعظمته كبعض الملوك، وكذا عند خطبة الجمعة لأن التشميت يخل بالإنصات المأمور به ومن عطس حال الجِماع أو قضاء الحاجة حَمِد الله بعد الفراغ من ذلك وشمته من سمعه **(وأما التثاؤب)** بالواو **(فإنما هو من الشيطان)** لأنه الذي يُزَيِّن للنفس شهوتها من امتلاء المعدة بكثرة الأكل فينشأ عنه التكاسل، قال ابن العربي: كل فعل مكروه نسبه الشرع إلى الشيطان لأنه واسطته **(فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع)** إما بوضع يده على فمه أو بإطباق الشفتين والمراد فليأخذ في أسباب رده لأن التثاؤب إذا وقع لا يمكن رده أو المعنى إذا أراد أن يتثاءب **(فإنَّ أحدكم إذا تثاءب)** بالهمزة وفي نسخةٍ بالواو وفي روايةٍ: «إذا قال هاه» حكاية صوت المتثاوب **(ضحك منه الشيطان)** فرحاً بتشويه صورته والضحك إما حقيقة أو مجاز عن الرضا به، والأصل الأول إذ لا ضرورة تدعو إلى العدول عن الحقيقة وفي مسلم من حديث أبي سعيد فإن الشيطان يدخل وهو محتمل لأن يراد الدخول حقيقة لأنه وإن كان يجري من الإنسان مجرى الدم لكنه لا يتمكن منه ما دام ذاكراً لله تعالى فإذا غفل عنه بالتثاؤب تمكن من الدخول فيه، ويحتمل أن يراد بالدخول التمكن من إغوائه لأن من شأن من دخل في شيء أن يتمكن منه، وفي حديث أبي سعيد المقبري عند ابن ماجه: «إذا تثاوب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوي فإن الشيطان يضحك منه» ويعوي بالعين المهملة فشبه حال المتثاوب الذي يسترسل معه بحال الكلب الذي يعوي تنفيراً عنه واستقباحاً له فإنَّ الكلب يرفع رأسه ويفتح فاه ويعوي، والمتثاوب إذا أفرط في التثاؤب شابهه، ومن هنا تظهر النكتة في كونه يضحك منه لأنه صيره ملعبة له بتشويه خلقته في تلك الحالة ولم يتعرض لأي اليدين يضعها، ووقع في صحيح أبي عوانة أنه قال عقب الحديث: ووضع سهيل يعني راوية عن أبي سعيد يده اليسرى على فيه، وهو محتمل الإرادة التعليم خوف إرادة وضع اليمين بخصوصها، وفي حديث أبي هريرة من طريق العلاء بن عبد الرحمن: «إن التثاؤب في الصلاة من الشيطان فإذا تثاوب أحدكم فليكظم ما استطاع» فقيد بحالة الصلاة فيحتمل أن يحمل المطلق على المقيد وللشيطان غرض قوي في التشويش على المصلي في صلاته، ويحتمل أن تكون كراهته في الصلاة أشد، ولا يلزم من ذلك أن لا يكرره في غير حالة الصلاة ويؤيد كراهته مطلقاً كونه روي مطلقاً وبذلك صرح النووي.

# كتاب الاستئذان

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير».

---

## كتاب الاستئذان

هو طلب الإذن في الدخول لمحل لا يملكه المستأذن، وقد أجمعوا على مشروعيته وتظاهرت به دلائل القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا﴾ أي تستأذنوا كما قُرىء به ﴿وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧] وظاهره تقديم الاستئذان على السلام والراجح تقديم السلام عليه فيقول: ٣ السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أُذن وإلا رجع، وقيل إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله قدَّم السلام وإلا قَدَّم الاستئذان.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن أبي هريرة**) رضي الله تعالى عنه (**عن النبي** ﷺ **أنه قال: يسلم الصغير**) بلفظ الخبر ومعناه الأمر كما يدل له ما عند أحمد من طريق عبد الرزاق عن معمر: «لِيُسَلِّم» بلام الأمر (**على الكبير**) تعظيماً له وتوقيراً ولو تعارض الصِّغر المعنوي والحِسِّي كأن يكون الأصغر أعلم مثلاً فالذي يظهر كما قاله في الفتح اعتبار السن لأنه المتبادَرُ من الصِّغر والكبر كما تُقَدَّمُ الحقيقة على المجاز، ومحل تسليم الصغير على الكبير كما قال ابن رشد: إن التقيا مع التساوي في الركوب وعدمه، فإن كان أحدهما ماشياً والآخر راكباً بدأ الراكب بخلاف ما لو كانا راكبين أو ماشيين فيبدأ الصغير (**و**) يُسَلِّم (**المار**) بكل حال سواء كان صغيراً أو كبيراً أو قليلاً أو كثيراً قاله النووي (**على القاعد**) تشبيهاً بالداخل على أهل المنزل وفي حديث فضالة بن عبيد عند البخاري في الأدب المفرد والترمذي وصححه النسائي وصحيح ابن حبان: «يسلم الفارس على الماشي والماشي على القائم» الحديث ولو تلاقى راكبان مارّان أو ماشيان قال الماوردي: يبدأ الأدنى منهما الأعلى قدراً في الدين إجلالاً لفضله لأن فضيلة الدين مرغَّبٌ فيها في الشَّرع وعلى هذا لو التقى راكباً مركوب أحدِهما أعلى في الجنس من مركوب الآخر

وعنه رضي الله عنه في رواية قال: قال رسول الله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير».

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام

---

كالجمل والفرس بدأ الأعلى[1] في الدين الأدنى منهما فيه، ولا نظر لعلو المركوب على الأظهر حتى يبدأ صاحب الفرس كما لا نظر إلى من يكون أعلاهما قدراً في الدنيا إلا أن يكون سلطاناً يُخشى منه فيبدؤه غيره بالسلام **(و)** يسلم **(القليل على الكثير)** لأن حق الكثير أعظم فإن قيل المناسب أن يسلم الكثير على القليل لأن الغالب أن القليل يخاف من الكثير أجيب بأن غالب المسلمين أمن بعضهم من بعض فلو حظ جانب التواضع الذي هو لازم السلام، وحيث لم يظهر رجحان أحد الطرفين باستحقاق التواضع له اعتبر الإعلام بالسلام والدعاء له رجوعاً إلى ما هو الأصل في الكلام ومقتضى اللفظ، قال الماوردي من الشافعية: لو دخل شخص مجلساً فإنْ كان الجمع قليلاً يعمهم سلام واحدٌ فسلم كفاه وإن زاد تخصيص بعضهم فلا بأس، وإن كانوا كثيراً بحيث لا ينتشر فيهم فيبدأ أول دخوله إذا شاهدهم وتتأدى سنة السلام في حق جميع من سمعه وإذا جلس سقط عنه سنة السلام فيمن لم يسمعه من الباقين، وهل يستحب أن يسلم على من جلس عندهم ممن لم يسمعه؟ وجهان: أحدهما لا لأنهم جمع واحد والثاني نعم.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه في روايةٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يسلم)** أي ليسلم **(الراكب على الماشي)** قال في شرح المشكاة: وإنما استحب ابتداء السلام للراكب لأن وضع السلام إنما هو لحكمة إزالة الخوف من الملتقيين إذا التقيا أو من أحدهما في الغالب، أو لمعنى التواضع المناسب لحال المؤمن أو للتعظيم لأن السلام إنما يُقصَد به أحد أمرين إما اكتساب وُدٍّ أو استدفاع مكروهٍ، قاله الماوردي، وقال ابن بطال: تسليم الراكب لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع، وقال المازري: لأن لِلراكبِ مزية على الماشي فعوض الماشي أن يبدأه الراكب احتياطاً على الراكب من الزهو **(والماشي)** يسلم **(على القاعد)** للإيذان بالسلامة وإزالة الخوف **(والقليل)** كالواحد يسلم **(على الكثير)** كالاثنين فأكثر لفضيلة الجماعة أو لأن الجماعة لو ابتدؤوا لخيف على الواحد الزهو فاحتيط له.

**(عن عبد الله بن عمرو)** بفتح العين وسكون الميم ابن العاص **(رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً)** لم يسم أو هو أبو زر **(سأل النبي ﷺ أيُ)** خصال **(الإسلام خير؟ قال:**

---

(١) قوله الأعلى إلخ: لعل الصواب العكس كما يُفهم من قوله وعلى هذا ومن قوله حتى يبدأ صاحب الفرس إلخ فإن الفرس أدنى.

خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف».

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: اطلع رجل من حُجرٍ في جُحْر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرى يحك به رأسه فقال؛ «لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

---

**تُطعِم**) الخلق (**الطعام وتقرأ**) بفتح الفوقية وضم الهمزة مضارع قرأ (**السلام على من عرفت ومن لم تعرف**) أي من المسلمين للتأنيس ليكون المؤمنون كلهم إخوة فلا يستوحش أحد من أحد فلا حجة فيه لمن أجاز ابتداء الكافر بالسلام لأن أصل مشروعيته للمسلم فيحمل قوله من عرفت عليه، وأما من لم تعرف فلا دلالة فيه بل إن عَرَف إسلامه سلم وإلا فلا ولو سلم احتياطاً لم يمتنع حتى يعرف أنه كافر، وفي حديث ابن مسعود مرفوعاً عند الطبراني والبيهقي في شُعَبِه: إنَّ من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلي فيه وأن لا يسلم إلا على من يعرفه.

(**عن سهل بن سعد**) الساعدي (**رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: أطلع رجل**) قيل هو الحكم بن أبي العاص بن أمية (**من جُحْر**) بتقديم الجيم المضمومة على الحاء المهملة الساكنة ثقب مستدير (**في حُجَر النبي**) بضم الحاء المهملة وفتح الجيم بلفظ الجمع وفي نسخةٍ: في حجرة النبي (**ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرَىً يحك بها رأسه**) وهي بكسر الميم وسكون الدال المهملة والتنوين على الراء بوزن مفعل حديدة يسرح بها الشعر، وقال الجوهري: شيء كالمِسلَّة يكون مع الماشطة يصلح بها قرون النساء والمِدْرَى يذكر ويؤنث (**فقال ﷺ**) له (**لو أعلم أنك تنظر**) أي إليَّ وفي نسخةٍ: «تنتظر» بوزن تفتعل والأولى أوجه (**لطعنت به**) أي المدرى (**في عينك إنما جعل الاستئذان**) بضم الجيم وكسر العين أي شُرِع الاستئذان في الدخول (**من أجل البصر**) لئلا يقع على أهل البيت ويطلع على أحوالهم.

(**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: نعمتان**) تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة، وقال الإمام فخر الدين المنفعة المفعولة على وجه الإحسان إلى الغير وزاد الدارمي من نعم الله تعالى (**مغبون فيهما**) أي في النعمتين (**كثير من الناس**) رفع بالابتداء وخبره مغبون مقدماً والجملة خبر نعمتان وهما (**الصحة**) في البدن (**والفراغ**) من الشواغل بالمعاش المانع له عن العبادة والغبن بفتح الغبن المعجمة وسكون الموحدة النقص من البيع وبتحريكها في الرأي أي ضعف الرأي، قال في الكواكب: فكأنه قال هذان الأمران إن لم يستعملا فيما ينبغي فقد غُبِن صاحبهما فيهما، أي باعهما ببخس لا

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أعذر الله تعالى إلى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة».

---

تحمد عاقبته، أو ليس له في ذلك رأي البتة وقد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون مستفرغاً للعبادة لاشغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصّر في نيل الفضائل فذلك الغَبْن كل الغبن، لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط ومن استعملها في معصية الله تعالى فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم. وفي بعض النسخ الأصل قبل هذا الحديث التعبير بكتاب الرقاق وستأتي الترجمة به مع إعادة الحديث المذكور، ولعل ذكر ذلك هنا أنسب والرِقاق بكسر الراء وبالقافين بينهما ألف جمع رقيق وعبر بعضهم بكتاب الرقائق والمعنى واحد، والرقيق الذي فيه رِقَّةٌ وهي الرَّحمة ضد الغِلظة سُمِّيت الأحاديث المذكورة بذلك لأن فيها من الوعظ والتنبيه ما يجعل القلب رقيقاً ويحدث فيه الرقة فكأنه قال: كتاب الكلمات المرققة للقلوب، قال الراغب: متى كانت الرِّقة في الجسم فضدها الصفاقة كثوب صفيق وثوب رقيق ومتى كانت في نفسٍ فضدها القسوة كرقيق القلب وقاسيه.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: أعذر الله تعالى إلى أمرىء أخر أجله)** أي أطال حياته **(حتى بلغ ستين سنة)** وأعذر بالعين المهملة والذال المعجمة والهمزة للإزالة أي أزال عُذْره فلم يبق له اعتذاراً كان يقول: لو مد لي في الأجل لفعلت ما أمرت به يقال: أعذر إليه إذا بلغه أقصى الغاية في العذر ومكنه منه، والمعنى أنه لم يبق له موضعاً للاعتذار حيث أمهله إلى هذه المدة الطويلة ولم يعتذر بالاستغفار والطاعة والإقبال على الآخرة بالكلية، قال التوربشتي: يقال أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية في العُذر، ومنه قولهم أُعذِر من أنذر أي أتى بالعذر وأظهره وهذا مجازٌ من القول، فإن العذر لا يتوجه على الله تعالى وإنما يتوجه له تعالى على العبيد، وحقيقة المعنى فيه أن الله تعالى لم يترك له شيئاً في الاعتذار يتمسك به اهـ وإنما كانت الستون حداً لهذا لأنها كما قال ابن بطال: قريبة من معترك المنايا وهي من الإنابة والخشوع وترقب المنية، فأمروا بمجاهدة النفس حينئذٍ فيفعلوا ما أمروا به وينتهوا عما نُهوا عنه ولما كان هذا السن الذي يعذر الله تعالى إلى عباده فيه ويزيح عنهم العِلَل كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة، فعند أبي يعلى عن أبي هريرة بسند ضعيف: «معترك المنايا ما بين ستين وسبعين»، وعن أبي هريرة مرفوعاً: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» رواه الترمذي في كتاب الزهد، وقال بعض الحكماء الأسنان أربعة الطفولية ثم الشباب ثم الكهولية ثم الشيخوخة وهي آخر الأسنان، وغالب ما يكون بين الستين إلى السبعين فحينئذٍ يظهر ضعف القوة بالنقص والانحطاط، فينبغي له الإقبال على

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل» عن عِتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما

---

الآخرة بالكلية لاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة، فسنُّ الطفولية ينتهي إلى البلوغ والشباب إلى بلوغ خمس وثلاثين سنة والكهولية إلى تمام الخمسين، وما بعدها زمان الشيخوخة إلى آخر العمر وقيل إلى السبعين، وما بعدها سنٌّ آخر فتكون الأسنان خمسة.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال قلب)** المرء **(الكبير)** أي الشيخ **(شاباً)** أي قوياً **(في اثنتين)** أي خصلتين **(في حب الدنيا)** أي المال **(و)** حب **(طول الأمل)** أي العمر كما فسره حديث أنس: «يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان حب المال وطول العمر»، وعند مسلم عن قتادة: «يهرم ابن آدم ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر»، قال القرطبي فيه كراهة الحرص على طول العمر وكثرة المال وأن ذلك ليس بمحمود، وقال غيره: الحكمة في التخصيص بهذين الأمرين أن أحب الأشياء إلى ابن آدم نفسه فهو راغب في بقائها فأحب لذلك طول العمر وأحب المال، لأنه أعظم في دوام الصحة التي ينشأ عنها غالباً طول العُمر فكلما أحسَّ بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له ورغبته في دوامه

والكرى عند الصباح يطيب

والمرء ما عاش ممدود له أجل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر

وفي الحديث كما قال في المصابيح إيهام الطِّباق بين الكبير والشاب والاستعارة في شاباً والتوشيح في قوله في اثنتين إلخ إذ هو عبارة عن أن يؤتى في عجز الكلام بمثنّى مفسر بمعطوف ومعطوف عليه كقوله:

إذا أبو قاسم جاءت فوائده لم يحمد إلا جودان البحر والمطر

**(عن عتبان)** بكسر العين المهملة وسكون المثناة الفوقية **(ابن مالك الأنصاري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ)** لما سأل عن مالك بن الدخشم فتكلم بعض الجالسين بأنه منافق: **(لن يوافي)** أي يأتي **(عبد يوم القيامة)** حال كونه **(يقول: لا إله إلا الله يبتغي بها)** أي بكلمة لا إله إلا الله وفي نسخةٍ به أي بالقول **(وجه الله)** عز وجل أي ذاته المقدسة **(إلا حرم الله عليه النار)** أي دخولها على التأبيد.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ما**

لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة».

عن مرداس الأسلمي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يذهب الصالحون الأوَّل فالأوَّل ويبقي حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

---

**لعبدي المؤمن عندي جزاء)** أي ثواب **(إذا قبضت صفيه)** أي روح صفيه وهو بفتح الصاد وكسر الفاء وتشديد التحتية الحبيب المصافي كالولد وكل من أحبه الإنسان **(من أهل الدنيا ثم احتسبه)** أي صبر راجياً الثواب من الله تعالى **(إلا الجنة)** متعلق بقوله ما لعبدي المؤمن.

**(عن مرداس)** بكسر الميم وسكون الراء وبعد الدال المهملة ألف فسين مهملة ابن مالك **(الأسلمي)** ممن بايع تحت الشجرة **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: يذهب)** وفي روايةٍ يقبض **(الصالحون)** أي يقبَض أرواحهم **(الأول فالأول وتبقى حُفالة)** بضم الحاء المهملة والفاء مخففة ويقال: حُثالة بالمثلثة والمعنى واحد **(كَحُفالة الشعير أو التمر)** أي الرديء من كل أو ما يتساقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل وأو للشك أو للتنويع **(لا يباليهم الله)** تعالى بتحتية ساكنة بعد اللام **(بالة)** بتخفيف اللام أي لا يرفع الله تعالى لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً، وبالة مصدر باليت وأصله بالِية بكسر اللام فحذفت لامه قيل لكراهة ياء قبلها كسرة فيما كثر استعماله، وذلك لكثرة استعمال هذه اللفظة في كل ما يحتفل به وشذوذ فاعلة في المصادر فحولوه بالحذف المذكور عن بنية الشذوذ، قال في المصباح: لا أباليه ولا أبالي به أي لا أهتم به ولا أكترث له، ولم أبالِ ولم أبلِ للتخفيف كما حذفوا ياء المصدر فقالوا: لا أباليه بالة والأصل بالية مثل عافاه معافاة وعافية اهـ واستنبط من الحديث جواز خُلُوِّ الزمان من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفاً.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لو كان لابن آدم واديان من مال)** تثنية وادٍ وهو ما بين الجبلين وربما اكتفوا بالكسرة عن الياء، قال في المصباح: ووُدي إذا ثال ومنه الوادي وهو كل منفرج بين جبال أو آكام يكون منفذاً للسيل والجمع أودية اهـ **(لابتغى)** أي طلب **(ثالثاً)** وفي حديث ابن الزبير: «لو أن ابن آدم أُعطي وادياً مليءٌ من ذهبٍ أحب إليه ثانياً ولو أعطى ثانياً أحب ثالثاً **(ولا يملأ)** وفي رواية ابن الزبير: «ولا يسد» **(جوف ابن آدم إلا التراب)** كناية عن الموت لاستلزامه الامتلاء من التراب كأنه قال: لا يشبع من الدنيا حتى يموت ويملأ جوفه من تراب قبره **(ويتوب الله**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه قال: فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: آللّه الذي لا إله إلا هو إن كنت

---

**تعالى على من تاب)** هو متعلق بما قبله ومعناه إن الله تعالى يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات أو يوفقه للتوبة، والمرادُ من الحديث ذم الحرص على الدنيا والشَرَهِ على الازدياد، ولذا آثر أكثر أهل السلف التقليل من الدنيا والقناعة والرضا باليسير، قال في شرح المشكاة: ويمكن أن يقال: معناه أن بني آدم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وأن لا يشبع منه إلا من عصمه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجِبِلَّةِ المركوزة فيه عن نفسه وقليل ما هم، فوضع ويتوب الله على من تاب موضعه إشعاراً بأن أهل هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب وأن إزالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله تعالى وتسديده، ونحوه قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩] أضاف الشح إلى النفس دلالة على أنها غريزة فيها وبين إزالته بقوله تعالى: ﴿بوق﴾ ورتب عليه قوله تعالى: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾، وههنا نكتة دقيقة فإنه ذكر ابن آدم تلويحاً إلى أنه مخلوق من التراب ومن طبعه القبض واليبس فيمكن إزالته بأن يمطر الله تعالى عليه السحاب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذٍ الخلال الزكية والخصال المرضية، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خَبُث، لا يخرج إلا نكداً، فمن لم يتداركه التوفيق وتركه وحرصه لم يزدد إلا حرصاً وتهالكاً على جمع المال، قال: وموقع قوله ﷺ ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني إن ذلك لعسير صعب ولكنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه انتهى.

**(عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟)** قال في الفتح: يعني الذي يخلفه الإنسان من المال وإن كان هو في الحال منسوباً إليه فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوباً للوارث، فنسبة المال إليه في حياته حقيقة ونسبته للوارث في حياة المورث مجازية ومن بعد موته حقيقية. **(قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه)** من مال وارثه **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(فإن ماله)** الذي يضاف إليه في الحياة **(ما قدم)** بأن أنفقه في وجوه الخيرات **(ومال وارثه ما أخر)** بعد موته ولم ينفقه في وجوهه، وفيه الحث على تقديم ما يمكن تقديمه من المال في وجوه الخيرات وأنواع القُرُبات لينتفع به في الآخرة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: آلله)** بحذف حرف الجر ومد الهمزة والخفض وجوز بعضهم النصب قال ابن جني: إذا حذف حرف القسم نصب

لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: «أبا هر قلت: لبيك يا رسول الله قال: «إلحق» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذِن لي فدخل فوجد لبناً في

---

الاسم بعده بتقدير الفعل ومن العرب من يجر اسم الله تعالى وحده مع حذف حرف الجر فيقول: آلله لأقومنَّ وذلك لكثرة ما يستعملونه، وقيل: الهمزة بمنزلة واو القسم وفي بعض الأصول الله بإسقاط الأداة والرفع وعند أحمد والله **(الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض)** أي لالصق بطني على الأرض **(من الجوع)** أو هو كناية عن سقوطه على الأرض مغشياً عليه كما تقدم في الأطعمة وهو فلقيت عمر فاستقرأته آية فمشيت غير بعيد فخررت على وجهي من الجَهْد والجوع **(وإن كنت لأشد الحَجَر على بطني من الجوع)** لتقليل حرارة الجوع ببرد الحجر أو المساعدة على الاعتدال والانتصاب، لأن البطن إذا خوى لم يمكن معه الانتصاب، فكان أهل الحجاز يأخذون صفائح رِقاقاً في طول الكف أو أكبر من الحجارة فيربطها الواحد على بطنه ويشد بعصابة فتعتدل القامة بعض اعتدال **(ولقد قعدت يوماً على طريقهم)** أي النبي ﷺ وبعض أصحابه **(الذي يخرجون منه)** من منازلهم **(إلى المسجد فمرَّ أبو بكر)** الصديق رضي الله عنه **(فسألته عن آية في كتاب الله)** عز وجل **(ما سألته)** عنها **(إلا ليشبعني)** من الإشباع وفي نسخةٍ ليستتبعني من الاستتباع **(فمر ولم)** وفي نسخةٍ: فلم **(يفعل)** أي الإشباع أو الاستتباع **(ثم مرَّ عمر)** رضي الله عنه **(فسألته عن آية من كتاب الله)** عز وجل **(ما سألته)** عنها **(إلا ليشبعني)** أو ليستتبعني من الاستتباع كما مر **(فمر ولم)** وفي نسخةٍ فلم **(يفعل ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي)** من الجوع والاحتياج إلى سدِّ الرمق من التغير وكأنه عرف من تغير وجهه ما في نفسه، واستدل أبو هريرة بتبسمه ﷺ على أنه عرف ما به لأن التبسم يكون للتعجب ولإيناس من يتبسم إليه، وحال أبي هريرة لم تكن معجبة فترجح الحمل على الإيناس قاله في الفتح **(ثم قال)** ﷺ: **(أبا هر)** بأسقاط أداة النداء وكسر الهاء وتشديد الراء وخفضة واحدة من غير تنوين **(قلت: لبيك يا رسول الله قال: الحق)** بفتح الحاء المهملة أي اتبع **(ومضى)** عليه الصلاة والسلام **(فاتبعته)** وفي نسخةٍ فتبعته **(فدخل)** زاد بعضهم إلى أهله وصرَّح به ابن حبان في صحيحه **(فاستأذن)** بهمزة وصل وفتح النون بلفظ الماضي وقال في الفتح: فاستأذن بهمزة قطع بعد الفاء والنون مضمومة فعل المتكلم وعبر عنه بذلك مبالغة في التحقق، وقال العيني: على

قدح فقال: «من أين هذا اللبن»؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «أبا هر» قلت: لبيك رسول الله ﷺ قال: «إلحق إلى أهل الصفة فادعهم لي» قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام ولا يأوون إلا أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك. فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شَربة أتقوّى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فاقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم فأخذوا مجالسهم من البيت فقال: «يا أبا هر»

---

صيغة المتكلم من المضارع وفي نسخةٍ فاستأذنت **(فأذن لي فدخل)** هذا تكرار للأول وقيل دخل الأول بمعنى أراد الدخول فالاستئذان أن يكون لوجود الفعل أو التفات، وفي نسخةٍ: فدخلت قال في الفتح وهي واضحة **(فوجد)** ﷺ في منزله **(لبناً في قدح فقال من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة)** بالشك ولم يقف ابن حجر على اسم من أهداه، وفي نسخةٍ: أهدته بالتأنيث ثم قال عليه الصلاة والسلام: **(أبا هر)** بإسقاط أداة النداء **(قلت: لبيك رسول الله)** وفي نسخةٍ: يا رسول الله **(قال الحق)** أي انطلق **(إلى أهل الصُفَّة ادعهم لي قال)** أبو هريرة: **(وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى)** وفي نسخةٍ: على **(أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ)** تعميم بعد تخصيص شامل للأقارب وغيرهم وعند ابن سعد كان أهل الصفة ناساً فقراء لا منازل لهم فكانوا ينامون في المسجد لا مأوى لهم غيره **(إذا أتته)** ﷺ **(صدقة بعث بها إليهم)** يخصهم بها **(ولم يتناول منها شيئاً وإذا أتته هدية أرسل إليهم)** ليحضروا عنده **(وأصاب منها وأشركهم فيها)** لأنه ﷺ كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة قال أبو هريرة: **(فساءني ذلك)** أي قوله أعدهم لي **(فقلت)** في نفسي: هذا قليل **(وما هذا اللبن)** أي وما قدر هذا اللبن **(في أهل الصفة)** قالوا وعاطفة على محذوف تقديره هذا قليل أو نحوه كما تقرر، وفي روايةٍ: وأنّى يقع هذا اللبن من أهل الصفة وأنا رسول الله **(كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شَرْبةً أتقوى بها)** زاد بعضهم يومي وليلتي **(فإذا جاؤوا)** أي أهل الصفة وفي نسخةٍ: فإذا جاء أي من أمرني بطلبه **(أمرني)** عليه الصلاة والسلام **(فكنت أنا أعطيهم)** فكنت عطف على أمرني الواقع خيراً لإذا فهو بمعنى الاستقبال داخل تحت القول والتقدير عند نفسه **(وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن)** أي يصل إلى بعد أن يكتفوا منه وهذا من جملة مقول القول أي قائلاً في نفسي وما عسى، والظاهر أن كلمة عسى مقحمةٍ **(ولم يكن من طاعة الله)** تعالى **(وطاعة رسوله بد)** أي فرار **(فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا)** في الدخول **(فأذن لهم)** ﷺ **(وأخذوا مجالسهم)** من البيت أي وجلس كل واحد منهم في المجلس الذي يليق به، قال

قلت: لبيك يا رسول الله ﷺ قال: «خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يَرْوَى ثم يرد على القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد رَوِيَ القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسم فقال: «أبا هر» قلت؛ لبيك يا رسول الله قال: «بقيت أنا وأنت» قتل: صدقت يا رسول الله قال: «اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال: «اشرب فشربت» فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أَجِدُ له مسلكاً قال: «فأَرِني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «اللهم ارزق آل محمد قوتاً».

---

في الفتح: ولم أقف على عددهم إذ ذاك **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(يا أبا هر)** بكسر الهاء وتشديد الراء **(قلت: لبيك يا رسول الله قال: خذ)** أي هذا القدح **(فأعطهم)** بهمزة قطع أي القدح الذي فيه اللبن **(فأخذت القَدَح فجعلت أعطيه الرجل)** بضم همزة أعطيه **(فيشرب حتى يَروى)** بفتح الواو **(ثم يردُ عليَّ القَدَح فأعطيه الرجل)** الذي يليه وفي نسخةٍ: ثم أعطيه الرجل **(فيشرب حتى يروى ثم يرد عليَّ القدح)** بتكرار فيشرب مرتين وفي نسخةٍ: ثلاثاً فإن قيل الرجل الثاني معرفة معادة فيكون عين الأول مع أنه غيره، أجيب بأن القاعدة أغلبية وأيضاً قوله: **(حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد رَوى القوم كلهم)** قرينة على المغايرة لأنه يدل على أنه أعطاهم واحداً بعد واحدٍ إلى أن كان آخرهم النبي ﷺ، والقاعدة المذكورة محلها عند عدم القرينة **(فأخذ)** ﷺ **(القدح)** وقد بقيت فيه فضلة **(فوضعه على يده)** الكريمة **(فنظر إلي)** بتشديد التحتية **(فتبسم)** إشارةً إلى أنه لم يفته شيء مما كان يظن فواته من اللبن **(ثم قال: يا أبا هر)** وفي نسخةٍ: أبا هر بحذف أداة النداء **(قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يا رسول الله قال: اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال: اشرب فشربت فما زال يقول: اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً قال: فأرني فأعطيته القدح فحمد الله)** عزَّ وجلَّ على البركة وظهور المعجزة في اللبن المذكور، حيث أروى القوم كلهم وأفضلوا **(وسمى)** الله تعالى **(وشرب الفضلة)** وفي روايةٍ: فشرب من الفضلة، وفيها كما قال في الفتح: اشعار بأنه بقي بعد شربه شيء فإن كانت محفوظة فلعله أعدها لمن بقي بالبيت من أهله ﷺ، وفي الحديث فوائد كثيرة لا تخفى على المتأمل والله الموفق.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: اللهم ارزق آل محمد قوتاً)** ولمسلم والترمذي والنسائي: «اللهم أجعل رزق آل محمد قوتاً» قال في الفتح وهو المعتمد فإن اللفظ الأول صالح لأن يكون دعا بطلب القوت في ذلك اليوم، وأن يكون

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يُنجي أحداً منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا».

---

طلب لهم القوت دائماً بخلاف اللفظ الثاني فإنه يعين الاحتمال الثاني وهو الدال على الكفاف، وفيه فضل الكفاف وأَخْذُ البلغة من الدنيا والزهد فيما فوق ذلك رغبة في توفير نعيم الآخرة.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لن ينجي)** بفتح النون وكسر الجيم المشددة أي لن يخلص **(أحداً منكم عمله)** بالرفع فاعل أي لا يكون العمل بمجرده موجباً لذلك بل هو سبب عادي، قال الله تعالى: ﴿ادخلو الجنة بما كنتم تعملون﴾[1] **(قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله)** بالغين المعجمة وبعد الميم دال مهملة أي يسترني الله **(برحمة)** منه فيجعلها لي كالغمد للسيف الذي يعمه، والاستثناء منقطع ويحتمل أن يكون متصلاً من قبيل قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ [الدخان: ٥٦] ولما كانت طاعاته ﷺ أعظم الطاعات وأجرها أعظم الأجور قيل له: ولا أنت أي لا ينجيك عملك مع عظم قدرك؟ فقال: لا إلا برحمة الله تعالى **(سدِّدُوا)** بالسين المهملة المفتوحة وكسر الدال المهملة الأولى أي اقصدوا السداد أي الصواب، وعند مسلم: «ولكن سدِّودا» ومعنى الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل فكأنه قيل: بل له فائدة وذلك أن العمل علامةٌ على وجود الرحمة التي تُدخِل الجنة، فاعملوا أو اقصدوا بعملكم الصواب وهو اتباع السنة من الإخلاص وغيره فيقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة **(وقاربوا)** أي لا تفرطوا فتُجهِدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل، أو المعنى لا تبلغوا الغاية بل أقربوا منها **(وأغدوا)** بالغين المعجمة الساكنة والدال المهملة أي سيروا من أول النهار **(وروحوا)** سيروا من آخر النهار **(وشيء)** بالرفع وروي بالنصب بفعل محذوف أي افعلوا شيئاً **(من الدُّلجَة)** بضم الدال المهملة وسكون اللام وتفتح بعدها جيم سير الليل يقال: سار دُلجة من الليل أي ساعة **(والقصدَ القصد)** بالنصب على الإغراء أي الزموا الطريق الوسط المعتدل **(تبلُغوا)** المنزل الذي هو مقصدكم والقصد الثاني تأكيد، وقد شبه المتعبد السائر إلى الجنة بالمسافر السائر إلى وطنه، فكأنه قال: لا تستوعبوا الأوقات كلها بالسير بل اغتنموا أوقات نشاطكم وهي أول النهار وآخره وبعض الليل، وأريحوا أنفسكم فيما بينها لئلا تنقطع.

---

(١) ليس هذا نصّ آية كما يتبادر إلى الذهن.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى، قال: «أدومها وإن قل».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولن يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

---

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: سُئِل رسول الله ﷺ)** بضم السين مبنياً للمفعول ولم يعرف اسم السائل **(أي الأعمال أحب إلى الله؟)** أي يثيب عليه أكثر من غيره **(قال: أدومها وإن قلّ)** أي إن كثر وإن قلّ والمراد بالدوام المواظبة العُرفية وهي الاتيان بذلك في كل شهرٍ أو كل يوم بقد ما يطلق عليه اسم المداومة عرفاً لا شمول الأزمنة إذ هو غير مقدورٍ، فأي عملٍ هو أعمال البرّ كالصلاة والحج دوام عليه صاحبه ولو قليلاً أو مفضولاً، كان أحب إلى الله تعالى مما لم يداوم عليه وإن كان كثيراً أو أعظم أجراً، فالمداومة على صلاة ركعتين تهجداً أحبُّ إليه من أكثر منهما لا يداوم عليه، وعلى صلاة نافلةٍ بالنهار أحب إليه من صلاة نافلةٍ بالليل لا يداوم عليها، وكذا يقال في غير الصلاة وليس المراد السؤال عن أحب أنواع العمل إليه هل هو الصلاة أو الحج أو غيرهما حتى يرد أن الجواب لا يطابقه كما توهمه بعضهم.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة)** الواسعة وهي فعل الخير او إرادته **(لم ييأس)** أي لم يقنط **(من الجنة)** بل يحصل له الرجاء فيها لأنه يغطي عليه ما يعلمه من العذاب العظيم، وعبر بالمضارع في قوله يعلم دون الماضي إشارةً إلى أنه لم يقع له علم ذلك ولا يقع، لأنه إذا امتنع في المستقبل كان ممتنعاً فيما مضى ولو هنا لانتفاء الثاني، واستشكل التعبير بكل لأنها إذا أضيفت إلى الموصول كانت لعموم الأجزاء، والمراد من سياق الحديث تعميم الأفراد، وأجيب بأنه وقع في بعض طرقه أن الرَّحمة قسمت مائة جزء فالتعميم حينئذٍ لعموم الأجزاء في الأصل، أو نزلت الأجزاء منزلة الأفراد مبالغة **(ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله)** عز وجل **(من العذاب لم يأمن من النار)** وفي الحديث وعد ووعيد وهما مقتضيان للرجاء والخوف المطلوبين من العبد، فلا يقتصر على الأول لأنه يفضي إلى أمن المكر، ولا على الثاني لأنه يفضي إلى القُنُوط، قال بعضهم: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت، فالمؤمن يتردد بين الرجاء والخوف بأن ينظر تارة إلى عيوب نفسه فيخاف وتارة إلى كرم الله تعالى فيرجو، وقيل: يجب أن يزيد خوف العالم على رجائه لأن ذلك يزجره عن المناهي ويحمله على الأوامر، وأن يعتدل

عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يُلقي لها بالاً يرفع اللَّهُ بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة

---

خوف العارف ورجاؤه لأن عينه ممتدة إلى السابقة، وأن يزيد رجاء المحب على خوفه لأنه على بساط الجمال.

**(عن سهل بن سعد)** بسكون الهاء والعين فيهما الساعدي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله: من يضمن لي)** بجزم يضمن **(ما بين لحييه)** بفتح اللام وسكون الحاء المهملة والتثنية العظمان في جانب الفم النابت عليهما الأسنان علواً وسفلاً، والمراد اللسان وما ينطق به **(وما بين رجليه)** وهو الفرج **(أضمن له الجنة)** بالجزم على جواب الشرط، والمراد بالضمان لازمه وهو أداء الحق أي من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه، وأدى الحق الذي على الفرج من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام جازيته بالجنة، وقال الطيبي: أصل الكلام من يحفظ ما بين لحييه من اللسان والفم فيما لا يعنيه من الكلام والطعام يدخل الجنة، فأراد أن يؤكد الوعد تأكيداً بليغاً فأبرزه في صورة التمثيل ليشير بأنه واجب الأداء، فشبه صورة حفظ المؤمن من نفسه مما وجب عليه من أمر النبي ﷺ ونهيه وشبه ما يترتب عليه من الفوز بالجنة وأنه واجب على الله تعالى بحسب الوعد أداؤه، وأن رسول الله ﷺ هو الواسطة والشفيع بينه وبين الله تعالى، بصورة شخص له حق واجب الأداء على آخر فيقوم به حقاً على من يتكفل بإداء حقه، وأدخل المشبه في جنس صورة المشبه به وجعله فرداً من أفراده ثم يترك المشبه به وجعل القرينة الدالة عليه ما يستعمل فيه من الضمان ونحوه في التمثيل بقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة: ٩] اهـ وخصَّ اللسان والفرج لأنهما أعظم البلاء على الإنسان في الدنيا، فمن وُقي شرهما وُقي أعظم الشر.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن العبد ليتكلم بالكلمة)** أي بالكلام المفهم المفيد **(من رضوان الله)** أي مما يرضي الله **(لا يلقي)** بضم التحتية وكسر القاف **(لها)** أي للكلمة **(بالاً)** أي قلباً **(يرفع الله)** له **(بها درجات)** كأن يحصل بها رفع مظلمة عن مسلم أو تفريج كربة، وفي نسخةٍ: يرفعه الله بها درجات **(وإن العبد ليتكلم بالكلمة)** عند ذي سلطانٍ جائرٍ يريد بها هلاك مسلم، أو أنَّ المراد أنه يتكلم بكلمة خناً أو يعرض لمسلم بكبيرة أو بِمُجُون أو استخفاف بشريعة وإن كان غير معتقد أو غير ذلك **(من سخط الله)** أي مما لا يرضى به الله، ومن سخط الله حال من الكلمة أو

من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم».

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجلٍ أتى قوماً فقال: رأيت الجيش بعيني وأنا النذير العريان فالنجاءِ النجاء، فأطاعته طائفة فأدْلَجوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم».

---

صفة لأن اللام جنسية والجملة الفعلية إما حال من ضمير العبد المستكن في ليتكلم أو صفة لها بالاعتبارين المذكورين؛ قاله في المصابيح **(لا يُلقى لها بالاً)** أي يتكلم بها على غفلة من غير تثبت ولا تأمل **(يهوي)** بفتح التحتية وسكون الهاء وكسر الواو **(بها في جهنم)** قال ابن عبد البر: هي كلمة السوء عند السلطان الجائر، وقال ابن عبد السلام: هي الكلمة لا يعرف حُسْنها من قبحها فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حُسْنُه من قُبْحِه.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: مثلي)** بفتح الميم والمثلثة، والمثل الصفة العجيبة الشأن يوردها البليغ على سبيل التشبيه لإرادة التقريب **(مثل ما بعثنيْ الله به)** إليكم وفي نسخةٍ حذف العائد أي مع المبعوث إليهم فالمثل المورد لهذه الثلاثة كما يعلم من الحديث **(كمثل رجل أتى قوماً)** بالتنكير للتنويع **(فقال لهم:)** إني **(رأيت الجيش)** المعهود **(بعيني)** بتشديد التحتية بالتثنية وفي نسخةٍ يعني بالإفراد **(وإني أنا النذير العُريان)** بضم العين المهملة وسكون الراء بعدها تحتية من التعري، قيل: الأصل فيه أن رجلاً لقي جيشاً فسلبوه وأسروه فانقلب إلى قومه فقال: إني رأيت الجيش وسلبوني فرأوه عُرياناً فتحققوا صِدقه لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة، ولا جرت عادته بالتعري فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به ولمن جاء إليهم مثلاً بذلك لما أتبعه الله من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريباً لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه، وقيل المراد المنذر الذي تجرد عن ثوبه وأخذ يرفعه ويديره حول رأسه إعلاماً لقومه بالغارة، وكان من عادتهم أن الرجل إذا رأى الغارة فجأتهم وأراد إنذار قومه يتعرى من ثيابه ويشير بها، فيعلم أن قد فجاهم أمر ثم صار لكل ما يخاف مفاجأته **(فالنجاءَ النجاء)** بالمد والهمز فيهما وبالقصر وبمد الأولى وقصر الثانية تخفيفاً، وفي نسخةٍ: فالنجاة بهاء التأنيث بعد الألف والنصب في الكل على الإغراء، أي اطلبوا النجاة بأن تسرعوا الهرب فإنكم لا تُطيقون مقاومة ذلك الجيش **(فأطاعه طائفة)** بالتذكير لأن المراد بعض القوم، وفي نسخةٍ: فأطاعته بالتأنيث **(فأدلجوا)** بهمزة قطع وسكون الدال المهملة وبعد اللام المفتوحة جيم مضمومة أي ساروا أول الليل أو كله **(على مهلهم)** بفتحتين أي بالسكينة والتأني وفي

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى

---

نسخةٍ: بسكون الهاء وهو الإمهال، لكن قال في الفتح: إنه ليس مراداً هنا **(فنجوا)** من العدو وفي نسخةٍ: فأدلجوا بالوصل وتشديد المهملة أي ساروا آخر الليل لكن قال في الفتح: إنه لا يناسب هذا المقام **(وكذبته طائفة فصبحهم الجيش)** أي أتاهم صباحاً **(فاجتاحهم)** بجيم ساكنة بعدها فوقية فألف فحاء مهملة أي استأصلهم وأهلكهم.

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: حجبت النار بالشهوات)** المستلذة وهي ما يعاب عليه الشخص إما لمنع الشارع من تعاطيه بالأصالة كالخمر والزنا والملاهي، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيءٍ من الواجبات ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح خشيةٍ أن يوقع في المحرم، والمعنى لا يوصل إلى لنار إلا بتعاطي الشهوات إذ هي محجوبة بها فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، ومثَّل ابن العربي المتعاطي للشهوات الأعمى عن التقوى الذي قد أخذت الشهوات بسمعه وبصره، فهو يراها ولا يرى النار التي هي فيها لاستيلاء الجهالة والغفلة على قلبه بالطائر الذي يرى الحبة في داخل الفخ وهي محجوبة به ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة في قلبه وتعلق باله بها **(وحُجِبَت الجنة بالمكاره)** فيما أمر المكلف به، كمجاهدة نفسه في العبادات والصبر على مشاقها والمحافظة عليها وكظم الغيظ والعفو والإحسان إلى المسيء والصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله تعالى فيها واجتناب المنهيات، وأطلق عليها مكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه، ولمسلم: «حُفَّت» بالحاء المهملة المضمومة والفاء المفتوحة المشددة في الموضعين من الحفاف وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليها إلا بقطع مفاوز المكاره، والنار لا يُنجى منها إلا بترك الشهوات وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته ﷺ في ذمِّ الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها ذلك.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ الجنة أقرب إلى أحدكم)** إذا أطاع ربه **(من شِراك نعله)** أي من سير نعله إلى رجله **(والنار)** إذا عصاه **(مثل ذلك)** فلا يزهدن في قليل من الخير فلعله يكون سبباً لرحمة الله تعالى به، ولا يرغبن في قليلٍ من الشر فلعله يكون سبباً لسخط الله تعالى نسأل الله العافية.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا نظر أحدكم**

من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه».

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا قال: «إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر

---

**إلى من فُضّل عليه)** بضم الفاء وكسر الضاد المعجمة المشددة **(في المال والخلق)** بفتح الخاء المعجمة أي الصورة، ويحتمل أن يدخل فيه الأولاد والأتباع وكل ما يتعلق بزينة الحياة الدنيا، قال في الفتح: ورأيت في نُسَخٍ معتمدةٍ من الغرائب للدارقطني والخُلُق بضم الخاء المعجمة واللام **(فلينظر إلى من هو أسفل منه)** فيهما وأسفل بالفتح ويجوز الرفع وزاد مسلم: «فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله تعالى عليكم» والازدراء الاحتقار والانتقاص، ولا ريب أن الشخص إذا نظر لمن هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيه فدواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه ليكون ذلك داعياً إلى الشكر، وقال ابن بطال: لا يكون أحد على حال سيئةٍ من الدنيا إلا يجدُ من أهلها من هو أسوأ حالاً منه، فإذا تأمل ذلك علم أن نعمة الله تعالى وصلت إليه دون كثير ممن فضل عليه بذلك من غير أمرٍ أوجبه، فيعظم اغتباطه بذلك؛ نعم ينظر إلى من هو فوقه في الدين فيقتدي به، وعن عمرو بن شعيب مرفوعاً: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً من نظر في دنياه إلى من هو دونه فحَمِد الله على ما فضله به عليه، ومن نظر في دينه إلى من هو فوقه فأقتدى به».

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه جل وعلا)** أنه **(قال: إن الله)** تعالى مما تلقاه بلا واسطة أو بواسطة الملك وهو الراجح **(كتب الحسنات والسيئات)** أي قدرهما في علمه على وِفْق الواقع أو أمر الحفظة أن تكتب ذلك **(ثم بَيّن ذلك)** أي فصَّل ذلك الذي أجمله في قوله: كتب الحسنات والسيئات بقوله: **(فمن همَّ بحسنةٍ)** زاد خزيمة بن فاتك في حديث المرفوع المروي في سنن أحمد وصححه ابن حبان: «يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه وحرص عليها» **(فلم يعملها)** بفتح الميم **(كتبها الله)** عز وجل أي قدَّرها أو أمر الملائكة بكتابتها **(له)** أي للذي همَّ **(عنده)** تعالى **(حسنةً كاملةً)** لا نقص فيها فلا يتوهم نقصها لكونها نشأت عن الهم المجرَّد، ولا يقال إن التعبير بكاملة يدل على أنها تتضاعف إلى عشر أمثالها لأنَّ ذلك هو الكمال لأنه يلزم منه مساواة من نوى الخير بمن فعله، والتضعيف مختص بالعامل قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة﴾ [الأنعام: ١٦٠] والمجيء بها هو العمل بها، والعندية هنا للشرف وظاهره أنه يكتبها لهمَّ وإن لم يعزم عليها زيادةً في الفضل، قال بعضهم: إنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة لأن إرادة الخير سبب للعمل فهو خير لأن إرادة الخير خير وأيضاً فهي من

حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عند حسنة كاملة، فإن هو هَمَّ بها فعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة».

---

عمل القلب، وقوله فلم يعملها ظاهره حصول الحسنة بمجرد الترك لمانع أو لا، ويتجه أن يتفاوت عِظَم الحسنة بحسب المانع فإن كان خارجياً وقصد الذي همَّ مستمر فهي عظيمة القدْر وإن كان الترك من قِبَل الذي همَّ فهي دون ذلك، فإن قصد الإعراض عنها جملة فالظاهر أن لا يُكتب له حسنة أصلاً لا سِيَّما إن عمل بخلافها كأن همَّ أن يتصدق بدرهم فصرفه بعينه في معصية، فإن قيل كيف يعلم الملك الهمَّ الذي في قلب العبد قلت يطلعه الله تعالى على ذلك، أو يخلق له علمٌ يدرك به ذلك، ويدل للأول حديث أبي عمر أن الجوني عند ابن أبي الدنيا قال: «ينادي الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول: يا رب إنه لم يعمله فيقول: «إنه نواه» وقيل: بل يجد الملك للهمِّ بالحسنة رائحة طيبة وبالسيئة رائحة خبيثة **(فإن هو همَّ بها)** أي بالحسنة وفي نسخةٍ إسقاط لفظ هو **(وَعمِلها)** بكسر الميم وفي نسخةٍ: فعملها بالفاء **(كتبها الله)** أي قدرها أو أمر الحفظة بكتابتها **(له)** أي للذي عملها **(عنده)** تعالى اعتناء بصاحبها وتشريفاً له **(عشر حسنات)** قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا أقلُّ ما وعد به من الأضعاف **(إلى سبعمائة ضعف)** بكسر الضاد المعجمة أي مثل **(إلى أضعاف كثيرة)** بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع، قال في الكاشف: ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل **(ومن همَّ بسيئة فلم يعملها)** بفتح الميم **(كتبها الله)** تعالى أي قدَّرها أو أمر الحفظة بكتابتها **(له)** أي للذي همَّ بها **(عنده حسنةً كاملةً)** غير ناقصةٍ ولا مضاعفة إلى العشر، وهذا الحديث مطلق مقيد بحديث أبي هريرة وهو: «فلم يعملها خوفاً من الله تعالى»، أو يقال حسنة من ترك بغير استحضار الخوف دون حسنة الآخر، أو يحمل كتابه الحسنة على الترك بأن يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه، لأن الإنسان لا يسمى تاركاً إلا مع القدرة فإن حال بينه وبين حِرصه على الفعل مانع فلا، وخرج بالهمِّ المذكور العزم فإذا عزم على المعصية بقلبٍ ووطَّن عليها نفسه أثِمَ على الراجح لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنَّهم قالوا: إن العزم على السيئة يُكتب سيئة بمجرده لا السيئة التي همَّ أن يعملها فمن يأمر بتحصيل معصيةٍ ثم لا يفعلها بعد حصولها يأثم بالأمر المذكور لا بالمعصية، وقد تظاهرت نصوص الشريعة على المؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [النور: ١٩] أما غير المستقر فلا يؤاخذ به كما قال بعضهم:

مراتب القصد خمسٌ هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همٌّ فعزم كلها رُفِعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

والحاصل أن كثيراً من العلماء على المؤاخذة بالعزم المصمم، وافترق هؤلاء فمنهم

عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة» وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض

---

من قال: يعاقب عليه في الدنيا بنحو الهمِّ والغمِّ، ومنهم من قال: يوم القيامة لكن بالعتاب لا بالعقاب، وقال قوم: لا يؤاخذ بذلك واستدلوا بحديث أبي هريرة عند مسلم بلفظ: «فأنا أغفرها له ما لم يعملها» فإن الظاهر أنَّ المراد بالعمل عمل الجارحة لا القلب، لكن استثنى بعضهم من ذلك حَرَم مكة فإنه يؤاخذ بالهمِّ على المعصية فيه ولو لم يصمم لقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥] لأن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه فمن همَّ بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حُرمته وذلك يستلزم انتهاك حرمات الله تعالى، واستُثنِي أيضاً من همَّ بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالله تعالى فإنه يكفر وإنما المعفو عنه الهمُّ بالمعصية مع الذهول قصد الاستخفاف **(فإن عملها)** بكسر الميم **(كتبها الله عليه)** أي على الذي عملها **(سيئةً واحدةً)** من غير تضعيف وعند مسلم فجزاؤه بمثلها أو أغفر وعنده أيضاً: «أو يمحوها» أي بالفضل أو بالتوبة أو بالاستغفار أو يعمل الحسنة التي تكفر السيئة واستثنى بعضهم من عدم التضعيف وقوع المعصية في حرمِ مكة لتعظيمها والجمهُور على التعميم في الأزمنة والأمكنة لكن قد تتفاوت بالعِظَم، وفي الحديث بيان سعة فضل الله على هذه الأمة إذ لولا ذلك كاد أن لا يدخل أحد الجنة لأن عمل العباد السيئات أكثر من عملهم الحسنات.

**(عن حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين)** في ذِكر نزول الأمانة وفي ذكر رفعها **(رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة)** التي هي ضد الخيانة أو التكاليف **(نزلت في جذر قلوب الرجال)** بفتح الجيم وكسرها وسكون الذال المعجمة الأصل، قال في المختار: جذر كل شيءٍ أصله يعني نزلت في أصل قلوبهم **(ثم علموا)** بفتح العين وكسر اللام المخففة أي بعد نزولها في أصل قلوبهم **(من القرآن ثم علموا من السنة)** أي أن الأمانة لهم بحسب الفطرة ثم بطريق الكسب من الشريعة، والمراد بالأمانة ضد الخيانة كما يدل له آخر الحديث، ويحتمل أن يراد بها التكليف الذي كلَّف الله به عباده والعهد الذي أخذه عليهم المذكور في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال في فتوح الغيب: شبَّه حالة الإنسان وهي ما كلفه من الطاعة بحالةٍ معروضةٍ لو عُرِضت على السموات والأرض والجبال لأبت حملها وأشفقت منها لعظمها وثِقَل محمله، وحملها الإنسان على ضعفه ورخاوة قوته إنه ظلومٌ على نفسه جاهل بأحوالها حيث قبل ما لم تطق عليه هذه الأجرام العظام فقوله: حملها على حقيقته وقال الزجَّاج أعلمنا الله تعالى أنه ائتمن بني آدم على ما فرضه عليهم من طاعته وائتمن السموات والأرض والجبال

الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً ويقال

---

على طاعته والخضوع له، فأما هذه الأجرام فأَطَعْنَ الله ولم تحمل الأمانة أي أدتها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها اهـ فشبهت هذه الأجرام حال انقيادها وأنها لم تمتنع من مشيئة الله وإرادته إيجاداً وتكونياً وتسويةً بهيئاتٍ وبحال مأمور مطيع لا يتوقف على الامتثال إذا توجه أمر آمره المطاع كالأنبياء وأفراد المؤمنين، على هذا فمعنى ﴿فأبين أن يحملنها﴾ أنها بعد ما انقادت وأطاعت ثبتت عليها وأدت ما التزمته من الأمانة وخرجت من عهدتها سوى الإنسان فإنه ما وفَّى بذلك وخان به أنه كان ظلوماً جهولاً، والعرض على الأول على سبيل التخيير لا الإلزام، روي أن الله عرض الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال فقال لهن: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلنَ: فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلنَ: يا رب لا نريد ثواباً ولا عقاباً خشيةً وتعظيماً لدين الله. والمراد بالأمانة طاعة مخصوصة تشبه طاعة بني آدم كما مر.

**(وحدثنا)** ﷺ **(عن رفعها)** أي الأمانة **(قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة)** بضم النون[1] وفتح الموحدة **(من قلبه فيظل)** أي يبقى **(أثرها)** بالرفع **(مثل أثر الوكت)** بفتح الواو بعد الكاف الساكنة فوقية النقطة في الشيء من غير لونه أو هو السواد اليسير، أو اللون المُحْدَث المخالف للون الذي كان قبله **(ثم ينام النومة فتقبض)** الأمانة **(فيبقى أثرها مثل المَجْل)** بفتح الميم وسكون الجيم بعدها لام النفاخات التي تخرج في الأيدي عند كثرة العمل بنحو الفأس **(كجمر دحرجته على رجلك فنفط)** بكسر الفاء **(فتراه منتبراً)** بضم الميم وسكون النون وفتح الفوقية وكسر الموحدة مفتعلاً أي مرتفعاً، وقال أبو عبيدة: منتبراً منتفطاً **(وليس فيه شيء)** من الجمر والمعنى أن الأمانة تزول من القلوب شيئاً فشيئاً، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت، وهو اعتراض لونٍ يخالف اللونَ الذي قبله، فإذا زال شيءٌ آخر صار كالمَجْل، وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد المدَّة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، وشبَّه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلبِ وخروجه بعد استقراره فيه، واعتقاد الظلمة إياه بجمر تدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط؛ قاله صاحب التحرير. وذكر نفط اعتباراً بالعضو، وثم في قوله ثم ينام النومة للتراخي في الرتبة وهي نقيضة، ثم في قوله: ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة **(فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم)** وفي نسخةٍ: أحد **(يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً)** إشارةً إلى قِلَّة الأمين **(ويقال للرجل: ما أعقله وما**

---

(١) لعلها التاء اهـ.

للرجال: ما أعقله وما أطرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً رده عليَّ الإسلام وإن كان نصرانياً رده على ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة».

عن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من سمَّع سمَّع الله به ومن يرائي يرائي الله به».

---

**أظرفه وما أجلده)** أي ما أقواه على العمل **(وما في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان)** ذكر الإيمان لأن الأمانة لازمة له، وليس المراد هنا أن الأمانة هي الإيمان قال حذيفة: **(ولقد أتى عليَّ زمان وما)** وفي نسخةٍ ولا **(أبالي أيكم بايعت)** أي مبايعة البيع والشراء **(لئن كان** المبايع **(مسلماً رده عليَّ الإسلام)** بتشديد ياء علي وفي نسخةٍ إسقاطها وفي أخرى بالإسلام **(وإن كان نصرانياً رده على ساعيه)** أي واليه الذي أقيم عليه بالأمانة فينصفني منه ويستخرج حقي منه، أو المراد الذي يتولى قبض الجزية يعني أنه كان يعامل من شاء غير باحثٍ عن حالهُ وثوقاً بأمانته فإنه إن كان مسلم فدينه يمنعه من الخيانة ويحمله على أداء الأمانة، أو نصرانياً فواليه يأمره بذلك **(فأما اليوم)** فذهبت الأمانة فلست أثق اليوم بأحد أأتمنه **(فما كنت أبايع إلا فلاناً وفلاناً)** أي إلا أفراداً من الناس قلائل، وذكر النصراني على سبيل التمثيل وإلا فاليهودي أيضاً كذلك كما صُرِّح بهما في مسلم.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنما الناس)** في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع لكنهم **(كالإبل المائة)** التي **(لا تكاد تجد فيها راحلة)** وهي التي ترحل لتركب، والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة والهاء فيها للمبالغة أي كلها حمولة تصلح للحمل ولا تصلح للرحل والركوب عليها إلا القليل والمعنى إن الناس كثير والمَرْضِيُّ منهم المواظب على أداء الواجبات المجتنب للمنهيات قليل، أو المعنى أن الزاهد في الدنيا الكامل فيه الراغب في الآخرة قليل كقلة الراحلة في الإبل، والعرب تقول للمائة من الإبل إبل فيقولون لفلان إبل أي مائة بعير ولفلان إبلان أي مائتان ولما كان لفظ مجرد الإبل ليس مشهور الاستعمال في المائة ذكر المائة للتوضيح، وقوله كالإبل المائة فيه كما قال ابن مالك: النعت بالعدد وقد حكى سيبويه عن بعض العرب أخذوا من بني فلان إبلاً مائة، وعند مسلم من طريق معمر عن الزُّهري تجدون الناس كإبلٍ مائة لا تجدون فيها راحلة.

**(عن جندب)** بضم الجيم وسكون النون وضم المهملة وفتحها ابن جنادة **(رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: من سمَّع سمَّع الله به)** بفتح المهملة والميم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما

---

المشددة فيهما، قال الحافظ المنذري: أي من أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد، وقال في المصابيح: هو المجازاة من جنس العمل أي من شهَّر عمله سمَّعه الله ثوابه ولم يعطه إياه، وقيل: من أسمع الناس عمله سمَّعه الله إياه وكان ذلك حظه من الثواب، وقال غيره: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فالله يجعله حديثاً عند الناس الذي أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة (و) كذلك **(من يرائي يرائي الله به)** بضم التحتية وكسر الهمزة بعدها تحتية للاشباع فيهما، فلا يظفر من ريائه إلا بفضيحته وإظهار ما كان يُبْطِنُه من سوء الطَّوِيةِ نعوذ بالله من ذلك، ولابن المبارك في الزهد من حديث ابن مسعود: «من سمَّع سمَّع الله به ومن راءى راءى الله به ومن تطاول تعاظماً خفضه الله ومن تواضع تخشعاً رفعه الله»، زاد بعضهم: «ومن كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له لسانين من نارٍ يوم القيامة»، وأعلم أن الرياء يكون بالبدن كإطراق رأسه يرى أنه متخشع والهيئة كإبقاء أثر السجود والثياب كلبسه خشنها وقصيرها جداً، والقول كالوعظ وحفظ علوم الجدل وتحريك شفتيه بحضور الناس، وكل واحد منها قد يراءى باعتبار الدين وباعتبار الدنيا، وحكم الرياء بغير العبادات كحكم طلب المال والجاه، وحكم محض الرياء بالعبادة إبطالها وإن اجتمع قصد الرياء وقصد العبادة أُعطي الحكم للأقوى، فيحتمل وجهين في إسقاط الغرض به والمسرة على إطلاع الغير على عبادته: إن كان الغرض دنيوياً كإفضائه إلى الاحترام أو شبهه فهو مذموم وإن كان الغرض أخروياً كافرح بإظهار الله جميلهِ وسَتْرِه قبيحَهُ، أو لرجاء الاقتداء به فممدوح وعليه يحمل ما يُحَدِّث به الأكابر من الطاعات وليس من الرياء ستر المعصية بل هو ممدوح ولو طرأ شيء من الرياء في أثناء العبادة ثم زال قبل فراغها لم يضر، ومتى علم من نفسه القوة أظهر القُربة فإن لم يكن دفع الرياء لم يتركها فقد قيل اعمل ولو خفت عجباً مستغفراً منه.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي ولياً)** فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى سبحانه وتعالى أمره، قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦] فلا يكله إلى نفسه بل يتولى الحقُّ رعايته، أو بمعنى فاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعاته فعباداته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عِصيانٌ وكِلا الوصفين واجب حتى يكون ولياً يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله إياه في السَّرَّاء والضَّرَّاء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان عليه اعتراض فهو مغرور مخادع، قال القشيري: والمراد بكون الولي محفوظاً أن يحفظه الله

افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا

---

تعالى من تماديه في الزلل والخطأ إن وقع فيهما بأن يلهمه التوبة فيتوب منهما، وإلا فهما لا يقدحان في ولايته، وقوله لي هو في الأصل صفة لولياً لكنه لما تقدم صار حالاً وفي رواية أحمد: «من آذى لي ولياً» **(فقد آذنته)** بمد الهمزة وفتح المعجمة وسكون النون أي أعلمته **(بالحرب)** وفي نسخةٍ بحرب بالتنكير أي أعمل به ما يعمله بالعدوّ المحارب من الإيذاء ونحوه بعدوه، فالمراد لازم ذلك وفيه تهديد شديد لأن من حاربه أهلكه، وهو من الكناية بوسائط لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده من عانده أهلكه، وإذا أثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله **(وما تقرب إليَّ عبدي)** وفي نسخةٍ: عبد بحذف التحتية **(بشيءٍ أحبَّ إلي)** بجر أحب بالفتحة نيابة عن الكسرة صفة لشيء وبالرفع بتقدير هو أحب إلى **(مما أفترضته عليه)** سواء كان عيناً أو كفايةً، وقوله افترضته ظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وهل يدخل ما أوجبه المكلف على نفسه؟ تردد. **(وما يزال)** بلفظ المضارع وفي نسخةٍ وما زال **(عبدي يتقرب إلي بالنوافل)** مع الفرائض كالصلاة والصيام **(حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها)** بضم الطاء وكسرها **(ورجله التي يمشي بها)** وعند أحمد والبيهقي عن عائشة: «وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به» وفي حديث أنس: «ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً» وهو كناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولذا وقع في روايةٍ: «بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»، قاله الطوفي. أو أنَّ سمعه بمعنى مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل: فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي، ورِجْله كذلك؛ قاله الفاكهاني. وقيل المعنى كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الإسماع وعينه في النَّظر ويده في اللمس ورجله في المشيء وقال بعض الصوفية: هو على حقيقته وأن الحق يصير عين العبد أي أنها تفنى صفاته الذميمة فتظهر عليه صفات الحقِّ ولا يلزم من كونه مُظْهِراً لها الاتحاد مع الحق كالشمس تظهر في المكان المُظلِم فيستنير مع عدم حلولها فيه، وفي المسألة كلامٌ طويلٌ مستوفىً في محلِّه من كتب الحقائق. **(وإن سألني)** أي عبدي كما ورد كذلك **(لأعطِيَنَّه)** أي ما سأل **(ولئن استعاذني)** بالنون بعد الذال المعجمة وفي نسخةِ الموحدة **(لأعِيذَنَّه)** أي مما يخاف، وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي في الزهد: «وإذا استنصرني نصرته» وفي حديث حذيفة عند

فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا

---

الطبراني: «ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة» **(وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن)** أي ما رددت رسلي في شيءٍ أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن كما في قصَّةِ موسى عليه الصلاة والسلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده إليه مرةً بعد أخرى، وأضاف تعالى ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره **(يكره الموت)** لما فيه من الألم العظيم **(وأنا أكره مساءته)** بفتح الميم والمهملة بعدها همزة ففوقية أي إساءته، قال الجنيد: الكراهة لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وليس المعنى أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله تعالى ومغفرته، وقال غيره: لما كانت مفارقة الروح للجسد لا تحصل إلا بألم عظيم جداً والله سبحانه وتعالى يكره أذى المؤمن أطلق على ذلك الكراهة، ويحتمل أن تكونَ المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين، وفي ذلك دلالة على شرف الأولياء ورفعة منزلتهم حتى لو تأتَّى أن الله تعالى لا يذيقهم الموت الذي حَتَمه على عباده لفعل، ولهذا المعنى ورد لفظ التردُّد كما أن العبد إذا كان له أمرٌ لا بد له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه فإن نظر إلى ألمه انكف عن الفعل وإن نظر إلى أنه لا بد له من أن يفعله لمنفعة أقدم، فيعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد. فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون ودلهم به على شرف الولي عنده ورفعة درجته، وهذا الحديث رُوي من طرق متعددةٍ يدل مجموعها على أن له أصلاً خلافاً لمن طُعِن فيه بأنه لم يَرِد إلا من طريق واحدٍ وبأن راويه[1] منكر الحديث.

**(عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من أحبَّ لقاء الله أحبَّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)** قال الخطابي: محبة اللقاء إيثار الآخرة على الدنيا ولا يحب طول القيام فيها لكن يستعد للارتحال عنها، واللقاء جاء على وجوه: منها الرؤية ومنها البعث قال الله تعالى: ﴿قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله﴾ [الأنعام: ٣١] أي بالبعث ومنها الموت كقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ [العنكبوت: ٥] انتهى. وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة وطلب ما عند الله تعالى وليس الغرض منه الموت لأن كُلاً يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحبَّ لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله، ومحبة الله لقاء عبده إرادة

---

(١) **(قوله: راويه)** أي الذي هو خالد بن مخلد القطواني شيخ شيخ البخاري الذي خرج عنه هذا الحديث وبيان الطرق التي ورد فيها في ش القسطلاني.

لنكره الموت قال: «ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وأن الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه».

---

الخير له وإنعامه عليه، فإن قلت: الشرط لا بد أن يكون سبباً للجزاء والأمر هنا بالعكس، قلت: مثله يُؤَوَّل بالإخبار أي من أحب لقاء الله أخبره الله بأن الله أحب لقاءه، وكذا الكراهة. ولقاء الله مصدر مضاف للمفعول ولقاءه مضاف له أو للفاعل، وأظهر في قوله أحب الله لقاءه تفخيماً وتعظيماً ولئلا يتحد المبتدأ والخبر في الصورة فيتوهم عود الضمير على الموصول وهو فاسد **(قالت عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(أو بعض أزواجه)** ﷺ وأو للشك وفي بعض الروايات الجزم بأن عائشة هي القائلة: **(إنَّا لنكره الموت)** ظاهره أن المراد بلقاء الله في الحديث الموت وليس كذلك، لأن لقاء الله غير الموت كما مرَّ ويدل له قوله في الرواية الأخرى: «والموت دون لقاء الله» لكن لما كان الموت وسيلةً إلى لقاء الله عبَّر عنه بلقاء الله لأنه لا يصل إليه إلا بالموت، قال بعضهم: الموت جِسْرٌ يُوصِل الحبيب إلى حبيبه **(قال)** عليه الصلاة والسلام: **(ليس ذلك)** باللام وفي نسخةٍ بغير لام والكاف مكسورة **(ولكن المؤمن)** بتشديد لكن ونصب المؤمن وفي نسخةٍ بالتخفيف ورفع المؤمن **(إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله)** تعالى **(وكرامته)** بضم الموحدة وكسر الشين المعجمة **(فليس شيء أحب إليه مما أمامه)** بفتح الهمزة أي مما يستقبله بعد الموت **(فأحبَّ لقاء الله)** عز وجل **(وأحب الله لقاءه)** وفي حديث حميد عن أنس الموري عند أحمد والنسائي والبزار: «ولكنَّ المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى وليس شيءٌ أحبُّ إليه من أن يكون قد لقي الله وأحبَّ الله لقاءه»، وفي روايةِ عبد الرحمن بن أبي ليلى: «ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة ونعيم فإذا بُشِّر بذلك أحبَّ لقاء الله والله للقائه أحب» رواه أحمد بسند قوي **(وأن الكافر إذا حضر بُشِّر)** بضم أولهما وكسر ثانيهما **(بعذاب الله وعقوبته وليس شيء أكره إليه مما أمامه)** أي مما يستقبله **(فكره)** بكسر الراء وفي نسخةٍ كره **(لقاء الله)** تعالى **(وكره الله)** عز وجل **(لقاءه)** وفي حديث عائشة عند عبد بن حُميد مرفوعاً: «إذا أراد الله بعبدٍ خيراً قيَّض الله له قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يُقال: مات بخير ما كان عليه، فإذا حضر ورأى ثوابه اشتاقت نفسه فذلك حين أحبَّ لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً قيَّض الله تعالى له قبل موته بعام شيطاناً فأضلَّه وفتنه حتى يقال: مات بشر ما كان عليه، فإذا حضر ورأى ما أُعِدَّ له من العذاب جَزِعت نفسه، فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه»، ويؤخذ من ذلك أن محبة لقاء الله لا تدخل في النهي عن تمني الموت لأنها ممكنة مع عدم تمنيه، لأن النهي محمول على حال الحياة المستمرة، أما عند الاحتضار والمعاينة فلا تدخل تحت النهي بل هي مستحبة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رجالٌ من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقوله: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفَّؤُها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته

---

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها)** أنها **(قالت: كان رجال من الأعراب)** لم تعرف أسماؤهم **(جُفاةٌ)** بالجيم والنصب خبر كان لأن سكان البوادي يغلب عليهم خشونة العيش فتجفو أخلاقهم غالباً، وفي نُسخةٍ حُفاة بالحاء المهملة والرفع لعدم اعتنائهم بالملابس **(يأتون النبي ﷺ يسألونه متى الساعة)** تقوم؟ **(فكان)** عليه الصلاة والسلام **(ينظر إلى أصغرهم)** أي أحدثهم سِنّاً كما في مسلم بمعناه، وفي مسلم أيضاً من حديث أنسٍ: «وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد» وفي أخرى له: «وعند غلام من أزد شنوءة وكان حليفاً للأنصار وان يخدم المغيرة»، قال أنس: وكان من أقراني أي أترابي في السنِّ وكان سنُّ أنسٍ حينئذٍ نحواً من سبع عشرة سنةً **(فيقول)** عليه الصلاة والسلام: **(إن يعش هذا)** الأحدث سناً **(لا يدركه الهرم)** بجزم يدركه جزءاً للشرط **(حتى تقوم عليكم ساعتكم)** قال هشام بن عروة: يعني موتهم لأن ساعة كل إنسان موته فهي الساعة الصغرى لا الكبرى التي هي بعث الناس ولا الوسطى التي هي موت أهل القرن الواحد، وقال الداودي مما نقله في الفتح: هذا الجواب من معاريض الكلام لأنه لو قال لهم: لا أدري ابتداء مع ما هم من الجفاء وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم لارتابوا، فعدل إلى إعلامهم بالوقت الذي ينقرضون فيه، ولو كان الإيمان تمكن في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد وقال في الكواكب: هذا الجواب من أسلوب الحكيم، أي دعوا السؤال عن وقت القيامة الكبرى فإنه لا يعلمها إلا الله، واسألوا عن الوقت الذي يقع فيه انقراض عصركم فهو أولى لكم لأن معرفتكم به تبعثكم على ملازمة العمل الصالح قبل فَوْتِه، لأن أحدكم لا يدري من الذي يسبق الآخر.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: تكون الأرض)** أي أرض الدنيا **(يوم القيامة)** أي تبدل **(خُبْزَةً واحدة)** بضم الخاء وسكون الموحدة وفتح الزاي بعدها هاء التأنيث وهي الطلمة بضم الطاء المهملة وسكون اللام التي توضع في المِلَّة بفتح الميم واللام المشددة الحفرة بعد إيقاد النار فيها، قال في المختار في باب الطاء: الطُلمة بالضم الخبزة وهي التي تسميها الناس: الملة، وفي الحديث أنه ﷺ مرَّ برجل يعالج طُلمة لأصحابه في سَفَرٍ وقد عرق فقال: لا يصيبه حر جهنم أبداً اهـ وقال في باب اللام: وملَّ الخبزة من باب ردَّ وامتلَّها أي عملها في الملة

في السفر، نُزُلاً لأهل الجنة» فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «بلى» قال: تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ألا أخبرك بإدامهم؟ قال: إدامهم بالام

---

الرماد الحار وقال أبو عبيدة الملة الحفرة نفسها اهـ قال النووي: ومعنى الحديث أن الله تعالى يجعل الأرض كالطُلمة أي الرغيف العظيم اهـ وحمله بعضهم على ضرب المثل فشبهها بذلك في الاستدارة والبياض والأولى حمله على الحقيقة ما أمكن وقدرة الله تعالى صالحةٌ لذلك بل اعتقاد كونه حقيقةً أبلغُ وقد أخرج الطبري عن سعيد بن جبير قال: «تكون الأرض خبزةً بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه»، وعند البيهقي بسندٍ ضعيف عن عكرمة: «تبدل الأرض مثل الخبزة يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب»، ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الأرض حتى يأكلوا من تحت أقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة، وإلى هذا القول ذهب ابن مرجان في كتاب الإرشاد له كما نقله عنه القرطبي في تذكرته **(يتكفؤها)** بفتح الفوقية ثم التحتية والكاف والفاء المشددة بعدها همزةٍ أي يقلبها ويميلها من ههنا إلى هنا **(الجبار)** تعالى **(بيده)** أي بقدرته **(كما يكفأ)** بفتح التحتية وسكون الكاف أي يقلب **(أحدكم خبزته)** من يدٍ إلى يدٍ بعد أن يجعلها في الملة بعد إيقاد النار فيها حتى تستوي **(في السَّفَر)** بفتح المهملة والفاء ضد الحضر وخصه بالذكر لأن فعل الخبزة المذكورة يغلب فيه **(نُزلاً)** بضم النون والزاي وإسكانها مصدر في موضع الحال **(لأهل الجنة)** يأكلونها في الموقف قبل دخولها أو بعده النُّزل ما يهيأ للنزيل **(فأتى رجلٌ من اليهود)** إلى رسول الله ﷺ ولم يُعرف اسم ذلك الرجل **(فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم)** وفي نسخةٍ إسقاط حرف النداء **(ألا)** بالتخفيف **(أخبرك)** بضم الهمزة وكسر الموحدة **(بِنُزُل أهل الجنة يوم القيامة، قال)** عليه الصلاة والسلام: **(بلى)** أخبرني **(قال)** اليهودي: **(تكون الأرض خبزةً واحدةً كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت)** أي ظهرت **(نواجذه)** إذ أعجبه إخبار اليهودي عن كتابهم بنظير ما أخبر به ﷺ من جهة الوحي، وقد كان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه فكيف بموافقتهم فيما أُنزل عليه، والنواجذ بالنون والجيم والذال المعجمة جمع ناجذ وهو آخر الأضراس، وقد يطلق عليها كلها وعلى الأنياب، قال في المصباح: الناجذ السنُّ ما بين الضِّرس والناب، وضحك حتى بدت نواجذه قال ثعلب: المراد الأنياب وقيل الناجذ آخر الأضراس وهو ضِرس الحُلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل، وللإنسان أربعة نواجذ وقيل الأضراس كلها نواجذ **(ثم قال)** اليهودي وفي نسخةٍ فقال: **(ألا أخبرك)** يا أبا القاسم ولمسلم أخبركم **(بإدامهم)** بكسر الهمزة الذي يأكلون به الخبزة **(قال: إدامهم با)** بفتح

ونون قالوا: وما هذا؟ قال: ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً.

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي» قال سهل أو غيره: ليس فيها معلم لأحد.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث

---

الموحدة من غير همز **(لام)** بتخفيف الميم والتنوين مرفوعة **(ونون)** بلفظ حرف الهجاء التالي للميم منونة مرفوعة **(قالوا)** أي الصحابة **(وما)** تفسير **(هذا؟ قال)** اليهودي بالام **(ثور ونون)** أي حوت قال النووي وأما بالام ففي معناه أقوال والصحيح منها ما اختاره المحققون أنها لفظة عبرانية معناها الثور كما فسرها اليهودي، ولو كانت عربية لعرفها الصحابة ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها **(يأكل من زائدة كبدهما)** هي القطعة المتعلقة بكبدهما وهي أطيبه **(سبعون ألفاً)** الذين يدخلون الجنة بغير حساب خصوا بأطيب النُزُل، ولم يُرِد الحصر بل أراد العدد الكثير، قاله القاضي عياض.

**(عن سهل بن سعد)** بسكون الهاء والعين فيهما الساعدي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ)** حال كونه **(يقول يُحْشَر)** بضم التحتية مبنياً للمفعول وقوله: **(الناس)** نائب الفاعل أي يحشر الله الناس **(يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء)** بفتح العين المهملة وسكون الفاء بعدها راء فهمزة أي ليس بياضها بالناصع أو يضرب إلى الحمرة قليلاً أو خالصة البياض أو شديدته، والأول هو المعتمد **(كقرصة)** خبز **(نقي)** أي سالم دقيقه من الغشِّ والنُّخالة **(قال سهل)** هو ابن سعد المذكور **(ليس فيها)** أي في الأرض المذكورة **(مَعْلَم)** بفتح الميم واللام بينهما عين مهملة ساكنة أي علامة **(لأحد)** يستدل بها على الطريق، وقال عياض: ليس فيها علامةُ سُكْنَى ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة، وفيه تعريضٌ بأن أرض الدنيا ذهبت وانقطعت العلامة منها، وعن ابن مسعودٍ في قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال: تبدل الأرض أرضاً بيضاء كأنها فِضَّة لم يسفك فيها دَمٌ حرام ولم يُعمل عليها خطيئة، وعن أنسٍ مرفوعاً: «يبدل الله الأرض بأرضٍ من فِضَّة لم تُعمل عليها الخطايا». وعن مجاهد: «أرض كأنها فضة والسموات كذلك»، وعن عكرمة بلغنا أن هذه الأرض يعني أرض الدنيا تُطوى وإلى جنبها أخرى يحشر الناس منها إليها. قال بعضهم: والحِكمة في ذلك أن ذلك اليوم يوم عدلٍ وظهور حقٍّ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجليه سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الْحكم فيه إنما يكون ﷺ وحده فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: يُحشر الناس)** قبل

طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاةً عراةً

---

الساعة إلى الشام (**على ثلاث طوائف**) أي فِرق، فرقة (**راغبين راهبين**) وفي نسخةٍ وراهبين بالواو، وهذه الفرقة هي التي اغتنمت الفرصة وسارت على فسحة من الظَّهر ويُسْرة في الزاد راغبة فيما تستقبله راهبة فيما تستديره (**و**) الفرقة الثانية تقاعدت حتى قلَّ الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم فاشتركوا فركب منهم (**اثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة**) يعتقبون (**على بعير**) باثبات الواو في الأربعة، وفي نسخةٍ: في الأزل فقط ولم يذكر الخمسة والستة إلى العشرة اكتفاءً بما ذكر (**وتحشر**) بالفوقية وفي نسخةٍ بالتحتية (**بقيتهم النار**) لعجزهم عن تحصيل ما يركبونه، وهم الفرقة الثالثة (**تقيل**) من القيلولة أي تستريح (**معهم حيث قالوا وتبيت**) من البيتوتة (**معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسَوا**) والمراد بالنار هنا نار الدنيا وهي التي تخرج من عَدَن كما يدل له حديث مسلم المذكور فيه الآيات الكائنة قبل الساعة كطلوع الشمس من مغربها، وفيه: «وآخر ذلك نار تخرج من قَعْر عَدَن ترحل الناسَ» وفي روايةٍ له: «تطرد الناس إلى حشرهم» وعن بهز بن حكيم مرفوعاً: «إنكم محشورون ـ ونحّى بيده نحو الشام ـ رجالاً وركباناً وتُجرون على وجوهكم» رواه الترمذي والنسائي بسندٍ قوي وعند أحمد بسند لا بأس به: «ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز الناس إلى مُهاجَرِ إبراهيم ولا يبقى في الأرض إلا أشرارها تلفظهم أرضوهم وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا»، وعند أحمد والنسائي والبيهقي: «أن الناس يُحشرون يوم القيامة ـ أي قرب يوم القيامة ـ على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم» وفيه أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: «يلقي الله الآفة على الظَّهر حتى لا تبقى ذات ظَهرٍ حتى أن الرجل ليعطي الحديقة بالشارف ذات القتب أي يشتري الناقة المُسنَّة لأجل ركوبها بالبستان الكريم لهوان العقار الذي عزم على الرَّحيل عنه، وعزة الظَّهر الذي يوصله إلى مقصوده، وقيل المراد بالنار نار الآخرة وبالحشر الحشر الذي يكون عند الخروج من القبور ومال إلى هذا الحُليمي وغيره وجزم به الغزالي وذهب إليه التور بشتى في شرح المصابيح وأشبع الكلام عليه. وقيل المراد بالنار نار الفتنة التي تكون في آخر الزمان وسبق شيء منها.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها**) أنها (**قالت: قال رسول الله ﷺ: تحشرون**) أيها

غرلاً» قالت: فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم».

---

الناس (**عراة**) بضم العين المهملة، وهذا ظاهره يعارض حديث أبي سعيد المروي عند أبي داود وصححه ابن حبان أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يُبعث في ثيابه التي يموت فيها**» لكن جمع بينهما بأنهم يخرجون من القبور بأثوابهم التي دفنوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيُحْشرون عراة، وحمله بعضهم على العمل كقوله تعالى: ﴿ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] (**حفاةً**) بضم المهملة وتخفيف الفاء بلا خف ولا نعل، وفي روايةٍ زيادة مشاة أي غير راكبين (**غرلاً**) بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف والغرلة القلفة وهو ما يقطع من فرج الذكر، وكالغرلة غيرها مما قطع من أعضائه التي وُلِد بها فيردُّ إليه عند الحشر قال بعضهم: ولا تلتقي اللام مع الراء في كلمة إلا في أربع أرل اسم جبل وورل اسم حيوان وحرل ضرب من الحجارة والغرلة، وزاد بعضهم هرل ولد الزوجة وبرل الديك الذي يستدير بعنقه (**قالت**) عائشة: (**فقلت: يا رسول الله الرجال والنساء**) مبتدأ خبره (**ينظر بعضهم إلى**) سوأة (**بعض؟**) وفيه معنى الاستفهام ولذا أجابها حيث (**قال: الأمر أشد من أن يهمهم**) بضم التحتية وكسر الهاء من الرباعي وجوز السفاقسي الفتح ثم الضم من همه الشيء إذا أذاه قال في الفتح: والأول أولى (**ذلك**) باللام وكسر الكاف وفي نسخةٍ: «ذاك» بغير لام أي نظر بعضهم إلى سوأة بعض، وعند الترمذي والحاكم قرأت عائشة: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ [الأنعام: ٩٤] لكل امرىءٍ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال».

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: يعرق الناس**) بفتح الراء (**يوم القيامة**) بسبب تراكم الأهوال ودُنُوِّ الشمس من رؤوسهم والازدحام (**حتى يذهب عرقهم**) أي يجري سائحاً (**في الأرض**) ثم يغوص فيها (**سبعين ذراعاً**) أي بالذراع المتعارف أو الذراع المكيّ وفي روايةٍ: «سبعين باعاً» (**ويلجمهم**) بضم التحتية وسكون اللام وكسر الجيم من ألجمه الماء إذا بلغ فاه (**حتى يبلغ آذانهم**) وظاهره استواء الناس في وصول العرق إلى الآذان، وهو مُشْكِلٌ بالنظر إلى العادة فإنه قد عُلِم أن الجماعة إذا وقفوا في ماء على الأرض المستوية تفاوتوا في ذلك بالنظر إلى طول بعضهم وقِصَر بعضهم، وأجيب بأن الإشارة بمن يصل إلى أذنيه إلى غاية ما يصل الماء ولا ينفي أن يصل إلى دون ذلك، ففي حديث عقبة مرفوعاً: «فمنهم من يبلغ عرقه عَقِبَه، ومنهم من يبلغ نصف

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أول ما يُقْضى بين الناس في الدماء».

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم

---

ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ فخذيه، ومنهم من يبلغ خاصرته، ومنهم من يبلغ فاه، ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده فوق رأسه» رواه الحاكم وظاهر قوله: الناس التعميم لكن في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يَلْجُم الكافرَ العرقُ، قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: على كراسي من ذهبٍ ويظل عليهم الغمام»، وقال الشيخ عبد الله بن أبي جمرة: هو مخصوص بالبعض وإن كان ظاهره التعميم، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله تعالى فأشدُّهم في العرق الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار. وعن سلمان: «تُعطى الشمس يوم القيامة حرَّ عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشَحَ العرق في الأرض قامةً، ثم يرتفع حتى يغر عز وجل ولا يضرُّ حرَّها يومئذٍ مؤمناً ولا مؤمنةٍ»، والمراد كما قال القرطبي: من يكون كامل الإيمان لما ورد أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم، وفي روايةٍ صححها ابن حبان: «إنَّ الرجل ليَلْجُمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار».

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله)** تعالى **(عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: أول ما يقضى)** بضم التحتية **(بين الناس)** يوم القيامة **(في الدماء)** التي حُرِّمت بينهم وفي نسخةٍ: «بالدماء» بالموحدة وفيه تعظيم أمر الدماء فإن البَدَاءة تكون بالأهم فالأهم وهي حقيقة بذلك فإن الذنوب تعظم بحسب عِظَم المفسَدةِ الواقعة بها أو بحسب فواتِ المنفعة المتعلقة بعدمها، وهدم البنية الإنسانية من أعظم المفاسد ويفوت بها منافع كثيرة، قال بعض المحققين: ولا ينبغي أن يكون بعد الكفر بالله تعالى أعظم منه. ثم يحتمل من حيث اللفظ أن تكون الأولية مخصوصة بما يقع فيه الحكم بين الناس، وأن تكون عامةً في أوَّليةِ ما يُقضى فيه مطلقاً ومما يُقَوِّي الأول حديث أبي هريرة المروي في السُّنَن الأربعة مرفوعاً: «إن أول **ما** يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته» الحديث وقد جمع النَّسائي في روايته في حديث ابن مسعودٍ بين الخبرين ولفظه: «أول ما يحاسب عليه العبد صلاته وأول ما يقضى بين الناس في الدماء».

**(عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيءَ بالموت)** الذي هو عَرض من الأعراض مجسماً في هيئة كبشٍ أملحِ لأن المعاني في الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصُّوَر في

يذبح، ثم ينادي منادٍ يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

---

هذه الدار الفانية، ولذا جيء بالموت في هيئة كبشٍ **(حتى يُجعَل بين الجنة والنار ثم يذبح)** والذابح له كما نقله القرطبي عن بعض الصوفية يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بحضرة النبي ﷺ إشارةً إلى دوام الحياة. وعن بعض المفسرين أنه جبريل عليه الصلاة والسلام، قال في المصابيح: وعلى تقدير كونه يحيى ففي اختصاصه من بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بذلك لطيفة وهي مناسبة اسمه لإعدام الموت وليس فيهم مَن اسمه يحيى غيره، فالمناسبة فيه ظاهرة وعلى تقدير كونه جبريل عليه الصلاة والسلام فالمناسبة لاختصاصه بذلك لائحة أيضاً من حيث هو معروف بالروح الأمين وليس في الملائكة من يطلق عليه ذلك غيره، فجعل أميناً على هذه القضية المهمة وتولى الذَّبح، فكان في ذَبْحِ الروح للموت المضاد لها مناسبةٌ حسنةٌ يمكن رعايتها والإشارة بها إلى بقاء كلِّ روحٍ من غير طُرُوِّ الموت عليها بشارةٌ للمؤمنين وحسرةٌ على الكافرين **(ثم ينادي منادٍ)** لم يُعلَم اسمه **(يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت)** بالبناء على الفتح فيهما **(فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حُزناً إلى حُزنهم)** بضم الحاء المهملة وسكون الزاي فيهما ورُوي بفتح الحاء والزاي فيهما.

**(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك **(الخدري رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون)** وفي نسخةٍ يقولون: **(لبيك ربنا وسعديك)** أي إجابة لك بعد إجابة وإسعاداً لك بالإجابة بعد إسعاد، والمقصود لازم ذلك وهو شدة الإسراع بالإجابة **(فيقول)** جلَّ وعلا **(هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك فيقول)** سبحانه وتعالى: **(أنا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟ فيقول)** جل جلاله: **(أُحِلُّ)** بضم الهمزة وكسر المهملة وتشديد اللام أي أُنزل **(عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)** وفي حديث جابر عند البزار قال: «رضواني أكبر»، قال في الفتح: وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢] لأن رضاه سببُ كلِّ فوزٍ وسعادةٍ وكل من عُلِم أن سيده راضٍ عنه كان أقرُّ لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بين مَنْكِبَي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع».

عن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين».

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهون

---

لما في ذلك من التعظيم والتكريم اهـ وهذا معنى ما في الكشّاف والتنوين في رضوان في الآية للتقليل فيدل على أن شيئاً يسيراً من الرضوان خير من الجنان وما فيهما، وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى؛ قاله الطيبي. وقال صاحب المفتاح: والأنسب أن يحمل على التعظيم وأكبر على مجرد الزيادة مبالغة لوصفه بقوله من الله أي ورضوان عظيم يليق أن يُنسب إلى من اسمه الله معطى الجزيل ومن عطاياه الرؤية وهي أكبر أصناف الكرامة، فحينئذٍ يناسب معنى الحديث الآية حيث أضافه إلى نفسه، وأبرزه في صورة الاستعارة وجعل الرضوان كالجائزة للوفود النازلين على الملك الأعظم.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي** ﷺ) أنه (**قال: ما بين منكبي الكافر**) بفتح الميم وسكون النون وكسر الكاف وفتح الموحدة جمع منكب مجتمع العضد والكتف (**مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**) في جريه ليعظم عذابه ويضاعف ألمه وفي مُسند الحسن بن سفيان: «خمسة أيام» وعند أحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً: «يعظم أهل النار في النار حتى أن من شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة»، وفي الزهد لابن المبارك بسند صحيح عن أبي هريرة: «ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أُحُد يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب» وهو في حكم المرفوع والأخبار في ذلك كثيرة.

(**عن أنس رضي الله**) تعالى (**عنه عن النبي** ﷺ) أنه (**قال: يخرج قومٌ من النار بعد ما مسهم منها سَفْعٌ**) بفتح السين المهملة وسكون الفاء بعدها عين مهملة سواد فيه زرقةٍ أو صُفْرةٍ يقال: سفعته النارُ إذا لحقته فغيرت لون بشرته والسوافع لواقح السموم (**فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنَّة الجهنميين**) بالتحتيتين بعد الميم وفي نسخةٍ بتحتية واحدة، وفي حديث جابر عند ابن حبان والبيهقي: «فيكتب في رِقابهم عُتقاء الله من النار فيسمون فيها الجهنميين»، وفي حديث أبي سعيد: «فيخرجون كاللؤلؤ وفي رقابهم الخواتم فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل»، وعند مسلم من حديث أبي سعيدٍ فيدعون الله فيذهب عنهم هذا الاسم، وهو يدل على أن في هذه التسمية تنقيصاً لهم خلافاً لمن قال: إنها للاستكثار لنعمة الله ليزدادوا بذلك شكراً.

(**عن النعمان بن بشير**) الأنصاري (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي**

أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل والقمقم».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُرِي مقعَده من النار لو أساء ليزداد شكراً، ولا يدخل أحد النار إلا أُرِيَ مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرةً».

---

ﷺ **يقول: إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجلٌ)** هو أبو طالب كما في مسلم **(يوضع على أخمص قدميه)** بالتثنية والأخمص بفتح الهمزة والميم وتضم والصاد المهملة الذي لا يصل إلى الأرض عند المشي **(جمرتان)** في كل أخمصٍ جمرةٌ **(يغلي)** بفتح التحتية وسكون المعجمة وكسر اللام **(منهما دماغه)** من حرارتهما وفي مسلم من رواية الأعمش عن أبي إسحاق: «له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه» **(كَما يغلي المِرجل)** بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم بعد لام القدر من النحاس أو من أي صنف كان **(بالقمقم)** بالباء الموحدة بمعنى مع أي المصاحبة للقمقم في الغليان، وفي بعض النُسخ والقمقم بالواو وصوبه عياض وفي أُخرى أو القمقم بالشك والقمقم بقافين مضمومتين وميمين من آنية العطّار، أو إناءٍ ضيق الرأس يسخن فيه الماء من نحاسٍ وغيره فارسيٌ معرب والحكمة في ذلك أن أبا طالبٍ كان مع رسول الله ﷺ بجملته متحزباً له إلا أنه كان متثبتاً بقدمه على مِلّة عبد المطلب حتى قال عند الموت إنه على ملة عبد المطلب، فسلّط الله تعالى عليه العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على ملة آبائه من باب مشاكلة الجزاء للعمل.

**(عن أبي هريرة رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه**(قال: قال: النبي ﷺ لا يدخل أحد الجنة)** أي لا يكون من أهل الجنة **(إلا أُري)** بضم الهمزة وكسر الراء **(مقعده)** بالنصب مفعول أُري **(من النار لو أساء)** لو عمل في الدنيا عملاً سَيِّئاً بأن كفر **(ليزداد شكراً)** واستشكل بأن الجنة ليست دار شُكرٍ بل دار جزاء، وأجيب بأن الشكر ليس على سبيل التكليف بل على سبيل التلذذ فرحاً ورضاً، فعبَّر عنه بلازمه لأن الراضي بالشُّكر يشكر من فعل له ذلك **(ولا يدخل أحد النار)** وفي نسخة النار أحد **(إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن)** أي لو عمل عملاً صالحاً وهو الإسلام **(ليكون عليه حسرةً)** زيادة على تعذيبه، وعند ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة أن ذلك يقع عند المسألة في القبر وفيه: «فيفرج له فُرجة قِبَلَ النار فينظر إليها فيقال له: أنظر إلى ما وقاك الله»، وفي حديث أبي سعيدٍ عند أحمد: «يُفْتَح له بابٌ إلى النار فيقال له: هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة، فيُريد أن ينهض إليه فيقال له: أسكن ويفسح له في قبره».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً».

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أمامكم حوضي كما بين جرباء وأذرح».

---

(**عن عبد الله بن عمرو**) بفتح العين ابن العاص (**رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي مسيرة شهر**) زاد مسلم: «زواياه سواء» أي لا يزيد طوله على عرضه وفيه ردٌّ على من جمع بين اختلاف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض باختلاف العرض والطول (**ماؤه أبيض من اللبن**) فيه صوغ أفعل التفضيل من اللون على لغةٍ قليلة الاستعمال والحديث يدل على صِحَّتها، وفي مسلم: «أشد بياضاً من اللبن» (**وريحه أطيب**) ريحاً (**من المسك**) زاد مسلم: «وأحلى من العسل»، وزاد أحمد: «وأبرد من الثلج» (**وكيزانه كَنُجوم السماء**) في الإشراق والكثرة عند أحمد: «أكثر من عدد نجوم السماء» (**من شرب**) بفتح الشين المعجمة وكسر الراء (**منها**) أي الكيزان وفي نسخةٍ منه أي الحوض وفي أخرى من يشرب بلفظ المضارع، والجزم على أن من شرطية ويجوز الرفع على أنها موصولة (**فلا يظمأ أبداً**) وعند ابن أبي الدنيا عن النواس بن سمعان: «أول من يرد عليه من يستقي كل عطشان»، وظاهر قوله: فلا يظمأ أبداً أن الحوض بعد الصراط والنجاة من النار لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار وفي حديث أنسٍ عند الترمذي ما يدل لذلك ولفظه: «سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: «أنا فاعل»، فقلت: أين أطلبك؟ قال: «أول ما تطلبني على الصراط» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «أنا عند الميزان» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «أنا عند الحوض»، وقيل هو قِبَل الصراط قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، وقيل: له حوضان حوض في الموقف قبل الصراط وحوض بعده، ويطلق على الحوض كوثَر لكونه يُمَدُّ منه، وفي حديث أبي ذر عند مسلم: «إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة» وأحوال الآخرة خارقة للعادة فلا يقال: إن الحوض لو كان في الموقف لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر. وأخرج ابن أبي الدنيا بسندٍ صحيح عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حوضاً وهو قائمٌ على حوضه بيده عصاً يدعو من عَرَف من أمته، ألا وأنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً»، والمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه ولم يوجد نظيره لغيره، ولذا امتن الله تعالى به عليه في التزيل.

(**عن ابن عمر رضي الله**) تعالى عنهما عن النبي ﷺ أنه (**قال: أمامكم**) بفتح الهمزة أي قُدَّامُكم (**حوضي**) بياء الإضافة وفي نسخةٍ حوض (**كما بين جرباء**) بفتح الجيم

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا نائم فإذا زُمرة حتى

---

والموحدة بينهما راء ساكنة آخره همزة ممدودة، وقال القاضي عياض: بالقصر وصوَّبه النووي في شرح مسلم **(وأذرح)** بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وضمِّ الراء بعدها حاء مهملة، قال ابن الأثير: في نهايته هما يعني جرباء وأذرح قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليالٍ اهـ وتعقبه ابن الصلاح فقال: هذا غلط بل بينهما غلوة سهم وهما معروفتان بين القدس والكرك، ولا يصح التقدير بالثلاث لمخالفتها بقية الروايات والذي أوقع في ذلك اختصار وقع في سياق الحديث من بعض الرواة، فقد وقع عن أبي هريرة مرفوعاً: «عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح»، قال الضياء المقدسي: فظهر بذلك أنه وقع في حديث ابن عمر حذف تقديره كما بين مقامي وبين جرباء وأذرح، فسقط مقامي وبين وقد ثبت القدر المذكور عند الدارقطني وغيره بلفظ ما بين المدينة وجرباء وأذرح؛ هذا حاصل ما أفاده ابن الصلاح، وقال غيره: لا غلط بل بينهما ثلاثة أيام ووجه الجمع بينها وبين بقية الروايات بأنه أخبر أولاً بالمسافة اليسيرة ثم أعلمه الله بالطويلة، فأخبر بما تفضل الله به عليه شيئاً فشيئاً فالاعتماد على أطولها. وقد اختلفت الروايات في ذلك ففي الأحاديث المذكورة هنا أن مسافته نحو شهرٍ أو ثلاثة أيام، وفي حديث عقبة بن عامر عند أحمد: «كما بين أيلة إلى الجحفة» وذلك نحو شهر، وإنما اختلف التقدير بالجهات المذكورة لاختلاف المخاطبين، فخاطب أهل كل جهة بما يعرفونه من المواضع، وأما جمع بعضهم بين تلك الروايات بأن الاختلاف فيها إنما هو بالنظر إلى الطول والعرض فتقدم أنه مردود بحديث ابن عمرو: «زواياه سواء» وحديث النواس وغيره: «طوله وعرضه سواء» ومنهم من حمل ذلك على السير السريع والبطيء وهو بعيد بالنظر إلى أقلِّها وهو الثلاث.

**(عن أنسٍ رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: إن رسول الله ﷺ قال: إن قدر حوضي كما بين أيلة)** بهمزة مفتوحة فتحتية ساكنة فلام مفتوحة بعدها هاء تأنيث مدينة كانت عامرة بطرف بحر القلزم من طرق الشام، وهي الآن خراب يمر بها الحاج من مصر فتكون عن شمالهم، ويمر بها الحاج من غزة فتكون أمامهم وإليها تنسب العقبة المشهورة عند أهل مصر **(وصنعاء من اليمن)** بفتح الصاد والعين المهملتين بينهما نون ساكنة ممدودة، والتقييد باليمن يُخرج صنعاء الشام، وفي حديث أبي هريرة: «أبعد من أَيلة إلى عدن»، وهي تُسامت صنعاء وذلك نحو شهر **(وإن فيه)** أي الحوض **(من الأباريق كعدد نجوم السماء)** وعند أحمد عن أنس: «أكثر من عدد نجوم السماء»، ولمسلم عن ابن عمر: «فيه أباريق كنجوم السماء» أي في الكثرة والضياء.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: بينا)** بغير ميم **(أنا نائم**

إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت وما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت ما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

---

**إذا)** وفي نسخةٍ أنا قائم أي على الحوض، فإذا بالفاء وتوجيه الأولى أنه رأى في المنام ما سيقع في الآخرة أي بينا **(أنا نائم)** إذا **(زمرة)** بضم الزاي وسكون الميم أي جماعة واردون على الحوض يريدون الشرب منه **(حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ)** أي ملك على صورة الرجل موكّل بذلك ولم يسم **(بيني وبينهم فقال)** لهم: **(هلم)** أي تعالوا قال ﷺ: **(فقلت: أين)** تذهب بهم؟ **(قال)** الملك أذهب بهم **(إلى النار والله)** بالخفض بواو القسم قال ﷺ: **(قلت)** له: **(وما شأنهم)** حتى تذهب بهم إلى النار **(قال)** الملك **(إنهم ارتدوا بعدكَ على أدبارهم القهقرى)** أي رجعوا عما كانوا عليه في حياتك، والقهقرى بفتح القافين بينهما هاء ساكنة والراء مفتوحة مصدر في موضع نصب على المصدرية من غير لفظه، كقوله قعدت جلوساً وهو الرجوع إلى خلف، قال ابن الأثير في نهايته: القهقرى المشي إلى خلفٍ من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه، قيل إنه من باب القهر وقيل هو العدو الشديد[1] **(فلا أراه)** بضم الهمزة أي فلا أظن أنه **(يخلص)** بالخاء المعجمة وضم اللام **(فيهم)** بالفاء والتحتية وفي نسخةٍ منهم بالميم والنون أي من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكانوا يردونه فصدوا عنه من النار **(إلا مثل)** بالضم **(همل النعم)** بفتح الهاء والميم ضوال الإبل واحدها هامل، أو الإبل بلا راعٍ ولا يقال ذلك في الغنم يعني أن الناجي منهم قليل في قِلّة النَّعم الضالة، وهذا يُشعِرَ بأنهم صنفان صنف كُفَّار وصنف عصاة، قال في التذكرة: قال علماؤنا: كل من ارتد عن دينٍ أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن فيه فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مُبَدِّلون وكذلك الظُّلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذ لا لهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وعند الترمذي عن كعب بن عجرة قال لي رسول الله ﷺ: «أُعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراءٍ يكونون من بعدي فمن غشيهم في أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولا يَرِد عليّ الحوض، ومن غشي أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض»، واستدلّ بعضهم

---

(١) هنا سقط من المتن يعلم من الهامش.

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال: «كما بين المدينة وصنعاء».

---

بالحديث المذكور على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصِّراط لأن الصراط جسر ممدود على جهنم يجاز عليه، فمن جاز سَلمَ من النار، وأجيب باحتمال أن الجماعة المذكورين يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرمُوونه، فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط.

**(عن حارثة ابن وهب رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر)** أي والحال أنه ذكر **(الحوض فقال:)** هو **(كما بين المدينة وصنعاء)** أي من اليمن كما مر.

# كتاب القدر

.........................................................

## كتاب القدر

بفتح القاف والدال المهملة وقد تسكن، قال الراغب: القدر هو التقدير والقضاء هو التفصيل والقطع، فالقضاء أخص من القدر لأنه الفصل بين التقدير فالقدَرَ كالأساس، والقضاء هو التفصيل والقطع. وذكر بعضهم أن القدر بمنزلة المعد للكيل والقضاء بمنزلة الكيل، ولهذا لما قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنه لما أراد الفرار من الطاعون بالشام: أَتفرُّ من القضاء؟ قال: أفرُّ من قضاء الله إلى قدر الله تنبيهاً على أن القدر ما لم يكن قضاءً فمرجو أن يدفعه الله فإذا قضى فلا مدفع له ويشهد لذلك قوله تعالى وكان أمراً مقضياً كان على ربك حتماً مقضياً تنبيهاً على أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه، وبه يجمع بين قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾[الرحمن: ٢٩] وقوله ﷺ: «جف القلم بما أنت لاقٍ» فالأول بالنظر إلى القدر والثاني إلى القضاء، وعلى هذا فالقضاء يرجع إلى تعلق الإرادة الصلوحي والقدر إلى تعلق القدر التنجيزي، وقيل عكسه فالقضاء هو إرادة الله تعالى المتعلقة بالأشياء أزلاً أي الإرادة مع التعلق، والقدر إيجاد الأشياء على قدرٍ معلوم ومقدارٍ معينٍ، وقيل القدر هو علمه بالأشياء قبل وجودها والقضاء إيجادها على طِبْق ذلك، فالله تعالى قدَّر الأشياء أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل وجودها ثم أوجد ما سبق في علمه تعالى، فلا مُحدَث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته، وليس للخلق فيها شيءٌ إلا أنواع اكتسابٍ ومحاولة أسباب ونسبةٍ وإضافةٍ وذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وقدرته وإلهامه كما نصَّ عليه القرآن والسنة، قال ابن السمعاني سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فقد ضلَّ وتاه لأن القدَرَ سِرٌّ من أسرار الله تعالى اختص به وحجبه عن عقول الخلق لحكمةٍ يعلمها فلا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، إذ هو علم الله وغيبه الذي استأثر به فلم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه، وقيل إنَّ القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها.

عن عمران بن حُصين رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أَيُعَرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم» قال: «فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له».

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرف ما يعرف الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه.

---

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن عمران بن حُصين)** بضم الحاء وفتح الصاد المهملة **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رجل)** هو عمران المذكور: **(يا رسول الله أَيُعْرَفُ)** بضم الياء **(أهل الجنة مِن أهل النار)** أي أيُميز ويُفَرَّق بينهما بحسب قضاء الله وقدره، أي هل هم متميزون في علم الله **(قال)** ﷺ: **(نعم قال)** عمران: يا رسول الله **(فَلِمَ يعمل العاملون)** أي إذا سبق العلم بذلك فلا يحتاج العامل إلى العمل لأنه سيصير إلى ما قدر له **(قال)** ﷺ: **(كلٌ يعمل لما)** أي للذي بزيادة اللام **(خلق له)** بضم الخاء وكسر اللام **(أو)** بالشك وفي نسخةٍ بالواو **(لما يُسِّرَ له)** بضم أوله وكسر ثانيه المشددة، وفي نسخةٍ: «ييسر» بتحتيتين وفتح السين فعلى المكلف أن يدأب في الأعمال الصالحة ولا يتكل على ما في علم الله، فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أَمْره غالباً والرب يفعل ما يشاء، فالعبد ملكه يتصرف فيه بما يشاء ولا يُسئل عما يفعل قال الخطابي: إنَّ قولَ الصحابي هذا مطالبة بأمر يوجب تعطيل العبودية فلم يُرخِّص له ﷺ لعدم الاطلاع على ما في الباطن وبَيَّن له أن كلاً ميسرٌ لما خلق له وأنَّ عمله في العاجل دليل مصيره في الآجل، وهذه الأمور في حكم الظاهر ومن وراء ذلك حكم الله تعالى وهو الحكيم الخبير لا يسئل عما يفعل، واطلب نظيره من الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب ومن الأجل المضروب مع المعالجة بالطب المأمور بهما.

**(عن حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خُطبة ما ترك فيها)** أي في الخطبة **(شيئاً)** هو كائن من الأمور المقدرة **(إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله)** ولمسلم: «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه» أي أن بعض الناس حفظ ذلك وداوم على حفظه وبعضهم نسبه ثم بين حاله هو بقوله **(إن كنت)** هي المخففة من الثقيلة **(لأرى)** بفتح الهمزة **(الشيء)** الذي أخبر ﷺ عن وقوعه **(قد نسيته)** وفي نسخةٍ قد نسيت بحذف المفعول أي ثم أتذكره **(فأعرف)** وفي نسخةٍ فأعرفه **(كما)** وفي نسخة ما **(يعرف الرجل)** وفي نسخة حذف ذلك **(إذا غاب عنه فرآه فعرفه)** وفي روايةٍ: «كما يعرف الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم رآه فعرفه» أي الذي كان غاب عنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدر له، ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل».

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله».

---

فنسي صورته، ثم إذا رآه عرفه يعني أنه إذا حصل أمر في زمن حُذيفة مما أخبر عنه ﷺ، كَجَورِ الأمراء من بني أمية تذكَّر أن ذلك الأمر أخبر عنه ﷺ بعد أن كان ناسياً لذلك لعدم وقوعه فلما وقع تذكر ما كان ناسياً له.

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يأتي ابن آدم النذر بشيءٍ لم يكن قد قُدِّر له)** صفة لقوله شيء ويأتي بإثبات الياء على الأصل مضارع أتى بمعنى جاء يتعدى لواحدٍ، وفي نسخةٍ بحذفها كقوله تعالى: ﴿سندع الزبانية﴾ [العلق: ١٨] بغير واوٍ وفي حديثٍ آخر أنه يردُّ شيئاً أي من القدر ولمسلم: «لا تنذروا فإن النذر لا يُغني من القدر شيئاً» والمعنى لا تنذروا معتقدين أنكم تصرفون به ما قُدِّر عليكم أو تدركون به شيئاً لم يقدره الله تعالى لكم **(ولكن)** بالتخفيف **(يلقيه)** من الإلقاء **(القدر)** أي إلى النذر، وفي روايةٍ: يلقيه النذر بالنون والذال المعجمة أي إلى القدر، ونسبة الإلقاء إلى النَّذر مجازية وسوَّغ ذلك كونه سبباً إلى الإلقاء فنسب الإلقاء إليه، فكلٌّ من الروايتين صحيح إذ الذي يُلقى بالحقيقة هو القدر وهو الأصل بالظاهر هو النذر **(وقد)** أي والحال أني قد **(قدَّرته له استخرج)** بلفظ المتكلم من المضارع **(به)** أي بالنذر والباء للآلة **(من البخيل)** وفي حديثٍ آخر: «وإنما يستخرج به من البخيل» أي لأنه لا يتصدق إلا بعوضٍ يستوفيه أولاً، والنذر قد يوافق القَدَر فيخرج من البخيل ما لولاه لم يكن يريد أن يخرجه، وظاهر ذلك النهي عن النذر مع أنه يجب الوفاء به عند الحصول، وأجيب بأن المنهي عنه النذر الذي يعتقد أنه يغني عن القدر بنفسه كما يزعمه بعض الناس، وإنما إذا نَذَر واعتقد أن الله تعالى هو الضار النافع والنذر كالوسائل والذرائع فالوفاء به طاعة وهو غير منهي عنه.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ما استُخْلِف)** بضم الفوقية وسكون المعجمة وكسر اللام **(خليفة إلا له بطانتان)** تثنية بطانة بكسر الباء الموحدة اسم جنس تشمل الواحد والجماعة، بطانة الرجل خاصته الذين بباطنهم في الأمور ولا يظهر غيرهم عليها وهي مشتقة من البطن والباطن دون الظاهر، وهذا كما استعاروا لشعار والدثار في ذلك ويقال: بطن فلان بفلان بطوناً وبطانة قال الشاعر:

أولئك خلصائي نعم وبطانتي ... وهم عيبتي من دون كل قريب

**(بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه)** بضم الحاء

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كثيراً ما كان النبي ﷺ يحلف: «لا ومقلب القلوب».

---

المهملة والضاد المعجمة أي تؤكد عليه في فعله (**والمعصوم من عَصَم الله**) بإسقاط ضمير المفعول أي من عصمه الله أي من منعه وحماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجر إليه.

(**عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما**) أنه (**قال: كثيراً**) نصب صفة لمصدر محذوف أي يحلف حَلِفاً كثيراً (**ما**) مزيدة للتأكيد (**كان النبي ﷺ يحلف**) ويقول في حال حلفه (**لا**) أفعل أو لا أترك (**و**) حق (**مقلب القلوب**) وهو الله عز وجل أي يغلب عليه في حلفه أن يقول ذلك وحقيقة القلب لا تتقلب، فالمراد تقليب أغراضها من الإرادة وغيرها، وهو المراد بقوله تعالى يحول بين المرء وقلبه، أي يلقى في قلب الإنسان ما يصرفه عن مراده لحكمةٍ تقتضي ذلك، وعن ابن عباس يحول بين المرء الكافر وطاعته، ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من أسعده الله والشقي من أضله الله، والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء قال السدي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا أن يكفر إلا بإذن الله اهـ قال ابن بطال: الآية نصٌّ في أنَّ الله تعالى خلق الكفر والإيمان وأنه يحول بين قلب الكافر وبين الإيمان الذي أمره به فلا يكسبه إن لم يقدره عليه بل أَقْدَره على ضده وهو الكفر وكذا في المؤمن بعكسه، فتضمنت الآية أنه خالق جميع أفعال العبد من إيثار الإيمان إلى إيثار الكفر وعكسه، وكل فعل الله عدل فيمن أضله وخذله لأنه لم يمنعهم حقاً وجب لهم عليه اهـ.

# كتاب الأيمان والنذور

عن عبد الرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وأن

---

## كتاب الأيمان

بفتح الهمزة جمع يمين خلاف اليسار وأطلقت على الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كلٌ بيمين صاحبه، وقيل لحفظهما المحلوف عليه كحفظ اليمين، وتسمى أليه وحَلِفاً وفي الشرعِ تحقيق الأمر المحتمل أو توكيده بذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، هذا إن قصد اليمين الموجبة للكفارة وإلا فيزداد وما أقيم مقامه ليدخل نحو الحَلِفِ بالطلاق أو العتق وهو ما فيه حث أو منع أو تصديق، وخرج بالتحقيق لغو اليمين بأن سبق لسانه إلى ما لم يقصده بها أو إلى لفظها كقوله في حال غضبه أو وصلة كلام لا والله تارة وبلى والله أخرى، وبالمحتمل غيره كقوله: والله لأموتن أو لأصعد إلى السماء فليس بيمين لامتناع الحنث فيها بذاته، بخلاف والله لأصعدنَّ السماء فإنه يمين وتلزمه الكفارة حالاً (و) كتاب (النذور) جمع نَذَر وهو مصدر نذر بفتح الذال المعجمة ينذر بضمها وكسرها والنَذْر في اللغة الوعد بخير أو شر، وشرعاً التزام قربةٍ غير لازمة بأصل الشرع، وزاد بعضهم مقصودة وقيل إيجاب ما ليس بواجب لحدوث أمر ومنهم من قال: هو أن يُلزم نفسه بشيء تبرعاً من عبادةٍ أو صدقةٍ أو نحوهما، وأما قوله ﷺ: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» فإنما سماه نذراً باعتبار الصورة كما قال في الخمر وبائعها مع بطلان البيع.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن عبد الرحمن بن سَمُرة**) بفتح السين المهملة والراء بينهما ميم مضمومة ابن حبيب، وقيل كان اسمه عبد كلال فغيره النبي ﷺ قال البخاري: له صحبة، وكان إسلامه يوم الفتح وشهد غزوة تبوكٍ وافتتح سجستان وغيرها في خلافة عثمان ثم نزل البصرة (**رضي الله**) تعالى (**عنه**) أنه (**قال: قال**) لي (**النبي ﷺ: يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة**) بكسر الهمزة مصدر أمر ولا ناهية وتسأل مجزوم على

أوتيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة». فقال رسول الله ﷺ: «والله لأن يلج أحدكم بيمينه في أهله آثم له عند الله من أن يعطي كفارته التي افترض الله عليه».

---

النهي، والإمارة مفعول به والفاعل مستتر بعود على عبد الرحمن وكُسِرَت اللام لالتقاء الساكنين أي لا تسأل الولاية (**فإنك إن أوتيتها عن مسألة وُكِلْتَ إليها**) بضم الواو وكسر الكاف وسكون اللام يقال: وَكَله إلى نفسه وَكْلاً ووكولاً، وهذا الأمر موكول إليّ ومنه قول النابغة:

كـلـيـنـي لـهـم يـا أمـيـمـة نـاصـب

أي إن الإمارة أمرٌ شاق لا يخرج من عهدتها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشوف نفسٍ فإنك إن سألتها تُركتَ معها فلا يعينك الله عليها، وحينئذٍ فلا يكون فيك كفاية لها ومن كان هذا شأنه لا يُولّى (**وإن أوتيتها عن**) وفي نسخةٍ: من (**غير مسئلة أُعنت عليها**) وعن يحتمل أن تكون بمعنى الباء أي بسبب مسئلة (**وإذا حلفت على**) محلوف (**يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفِّر عن يمينك وائت الذي هو خير**) ظاهره تقديم التكفير على إتيان المحلوف عليه، وفي الحديث الآخر: «لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وكفرت عن يميني» وهو يقتضي تأخيره، ومذهب إمامنا الشافعي ومالك والجمهور جواز التقديم على الحِنْث لكن يُستَحبُّ كونها بعده، واستثنى الشافعي التكفير بالصوم لأنه عبادة بدنية فلا تقدم قبل وقتها كصوم رمضان، واستثنى بعض أصحابه حِنث المعصية كأن حلف لا يزني لما في التقديم من الإعانة على المعصية، والجمهور على الإجزاء لأن اليمين لا تحرم ولا تحلل، ومنع أبو حنيفة وأصحابه وأشهب من المالكية التقديم لنا قوله: «وكفر عن يمينك وائت الذي هو خير» فإن قيل الواو لا تدل على الترتيب، أجيب بروايةِ أبي داود: «فكفِّر عن يمينك ثم ائت الذي هو خير» فإن قلت: ما مناسبة هذه الجملة للجملة السابقة؟ أجيب بأن الممتنع من الإمارة قد يؤدي به الحال إلى الحَلِف على عدم القبول مع كون المصلحة في ولايته.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: والله لأن**) بفتح اللام وهي لتأكيد القسم (**يلج**) بفتح التحتية واللام والجيم المشددة من اللجاج وهو الإصرار على الشيء مطلقاً أي لأن يتمادى (**أحدكم**) على عدم الحنث (**بيمينه**) أي بسبب يمينه الذي حلفه (**في أهله**) أي على أمر يتعلق بأهله أي زوجته وأقاربه وهم يتضررون بعدم حنثه ولم يكن معصية، كأن حلف لا يطأ زوجته كل شهر إلا مرّةً أو لا ينفق على أقاربه

عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال: النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: «الآن يا عمر».

---

الذين لا تجب نفقتهم **(آثم له)** بفتح الهمزة الممدودة والمثلثة أشد إثماً للحالف المتمادي **(عند الله من أن)** يحنث و **(يعطي كفارته التي افترض الله)** تعالى **(عليه)** فينبغي له أن يحنث ويفعل ذلك ويكفر، فإن تورَّع عن ارتكاب الحِنث حشية الإثم أخطأ بإدامة الضرر على أهله، لأن الإثم في اللجاج أكثر منه في الحِنث على زعمه وتوهمه، وذِكْر الأهل خرج مخرج الغالب وإلا فالحكم يتناول غير الأهل إذا وُجِدَت العلَّة، وكان القياس يقتضي أن يقال: لجاج أحدكم آثم له من الحنث، لكن عدل عن ذلك إلى ما هو لازم الحنث وهو الكفارة، لأنَّ المقابلة بينها وبين اللجاج أفحم للخصم وأدلَّ على سوء نظر المتنطع الذي اعتقد أنه يخرج من الإثم، وإنما يخرج من الطاعة والصدقة والإحسان وكلها تجتمع في الكفارة، ولهذا أعظم شأنها بقوله: «التي افترض الله عليه» وإذا صح أن الكفارة خيرٌ له ومن لوازمها الحِنث صحَّ أن الحنث خير له، ويؤخذ من ذلك أن الحنث في اليمين أفضل من التمادي إذا كان في الحنث مصلحة، ولذا قال علماء الشافعية: لو حلف على ترك مندوبٍ كسنة الظهر أو فعل مكروه كالالتفات في الصلاة سُنَّ حِنثه وعليه الكفارة، أو على فعل مندوب أو ترك مكروه كُرِه حنثه وعليه بالحنث كفارة، أو على فعل حرام أو ترك واجب عصى بحلفه ولزمه حنث وكفارة إذا لم يكن له طريق سواه، وإلا فلا كما لو حلف لا ينفق على زوجته فإن له طريقاً بأن يعطيها من صَدَاقها أو يُقرِضها ثم يبرئها، لأن الغرض حاصل مع بقاء التعظيم، أو على ترك مباح أو فعله كدخول دارٍ وأكل طعام ولبس ثوبٍ سُنَّ ترك حنثه لما فيه من تعظيم اسم الله تعالى، نعم إن تعلق بتركه أو فعله غرض ديني كأن حلف أن لا يمس طيباً أو لا يلبس ناعماً فقيل يمين مكروه، وقيل: يمين طاعة اتباعاً للسلف في خشونة العيش، وقيل يختلف باختلاف أحوال الناس وتعودهم وفراغهم، قال الرافعي والنووي: وهو الأصوب.

**(عن عبد الله بن هشام)** القرشي التَّيمي له ولأبيه صحبة سكن المدينة **(رضي الله)** تعالى **(عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: يا رسول الله)** والله **(لأنت أحبُّ إلي)** بتشديد الياء واللام لتأكيد القسم المقدر **(من كل شيءٍ إلا من نفسي)** ذكر حبه لنفسه بحسب الطبع **(فقال النبي ﷺ: لا)** يكمل إيمانك **(والذي نفسي بيده حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك، فقال عمر)** لما علم أنه ﷺ هو السبب في نجاة نفسه من الهلاك: **(فإنه)** أي الشأن **(الآن والله)** يا رسول الله **(لأنت أحبُّ إلي من نفسي)** فأخبر بما اقتضاه الاختيار بسبب توسط الأسباب **(فقال النبي ﷺ)** له:

عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: في ظل الكعبة: «هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة». قلت: ما شأني أيرى في شيئاً ما شأني فجلست إليه وهو يقول. فما استطعت أن اسكت وتغشاني ما شاء الله فقلت: من هم بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد لن تمسه النار إلا تحلة القسم».

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم».

---

**(الآن)** عرفت فنطقت بما يجب عليك **(يا عمر)** **فلا** يكمل إيمان الشخص إلا إذا كان يحبه ﷺ أكثر من نفسه وماله وولده والناس أجمعين محبةً روحانية بسبب نجاته له من الهلاك، ولا عبرة بمحبته ذلك محبة طبيعية فلا تنافي المحبة الروحانية، ألا ترى أنه لو خُيِّر بين كفره بمحمد وموت ولده لاختار الثاني على الأول.

**(عن أبي ذرٌ)** جندب بن جنادة الأنصاري **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول في ظل الكعبة)** وفي نسخةٍ: وهو في ظل الكعبة يقول: **(هم الأخسرون وربِّ الكعبة هم الأخسرون وربِّ الكعبة)** مرتين قال أبو ذر: **(قلت: ما شأني)** أي ما حالي **(أيَرى)** بفتح التحتية يعني النبي ﷺ **(فيَّ)** بتشديد الياء **(شيئاً)** يوجب الأخسرية، وفي نسخةٍ: أُيرى بضم التحتية أي يُظنُّ في شيء **(ما شأني)** أي ما حالي **(فجلست)** إليهِ ﷺ **(وهو يقول فما استطعت أن أسكت وتغَشّاني)** بفتح الغين والشين المشددة المعجمتين **(ما شاء الله)** عز وجل من الخوف **(فقلت: من هم بأبي أنت وأمي)** أي مفدىً **(يا رسول الله؟ قال)** ﷺ: **(الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا)** ثلاث مرات أي إلا من أنفق ماله أماماً ويميناً وشمالاً على المستحقين فعبر عن الفعل بالقول.

**(عن أبي هريرة رضي الله)** تعالى **(عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الوَلَد)** وفي حديث أنس في الجنائز: «لم يبلغوا الحنث» **(لن تمسه النار إلا تحلَّة القسم)** بفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام المفتوحة أي تحليلها والمراد من القسم ما هو مقدر في قوله تعالى: ﴿وإنْ منكم إلا واردها﴾ أي والله ما منكم والمستثنى منه لن تمسه لأنه في حكم البدل من لا يموت فكأنه قال: لا تمس النار من مات له ثلاثة بعد الورود.

**(وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إن الله)** عز وجل **(تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها)** بالنصب والرفع أي بغير اختيارها لقوله تعالى: ﴿ونعلم ما توسوس

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه».

عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه استفتى النبي ﷺ في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه، فأفتاه أن يقضيه عنها».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا

---

به نفسه﴾ **(ما لم تعمل به)** أي الذي حدثت **(أو تكلم)** أصله تتكلم وهو مجزوم، وأراد بذلك أن الوجود الذهني لا أثر له وإنما الاعتبار بالوجود القولي في القوليات والعملي في العمليات، والمراد بالعمل عمل الجوارح دون عمل القلب فلا يؤاخذ به سواء توطن أو لم يتوطن، وفي الحديث إشارة إلى عِظَم قدر الأمة المحمدية لأجل نبيها ﷺ.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ قال: من نذر أن يطيع الله)** عز وجل كان يصلي الظهر مثلاً في أول وقته أو يصوم نفلاً كيوم الخميس ونحوه من المستحب من العبادات المالية والبدنية **(فليطعه)** بالجزم جواب الشرط والأمر للوجوب ومقتضاه أن المستحب ينقلب بالنذر واجباً ويتقيد بما قيد به الناذر **(ومن نذر أن يعصيه)** وفي نسخةٍ: «أن يعصي الله» كشرب الخمر **(فلا يعصه)** والمعنى من نذر طاعة الله تعالى وجب عليه الوفاء بنَذْره لأن النذر مفهومه الشرعي إيجاب المباح وهو إنما يتحقق في الطاعات، وأما المعاصي فليس فيها شيء مباح حتى يجب بالنذر فلا يتحقق فيها النذر، فإطلاق النَذْر فيها مشاكلة.

**(عن سعد بن عبادة)** الأنصاري **(رضي الله عنه أنه استفتى النبي ﷺ)** أي طلب أن يفتيه **(في نذر كان على أمه)** عَمْرَة **(فتُوُفِّيَتْ)** عمرة **(قبل أن تقضيه)** والنذر المذكور كان صياماً وقيل: عتقا وقيل: صدقةً وقيل: نذراً مطلقاً أو كان معيناً. عند سعد **(فأفتاه)** ﷺ **(أن يقضيه عنها)** ويؤخذ منه أن قضاء الوارث ما على المورث مطلوب شرعاً وجوباً أو ندباً، والجمهور على أن من مات وعليه نذر مالي وله مال أنه يجب قضاؤه من رأس ماله وإن لم يوصِ إلا إن وقع النذر في مرض الموت فيكون من الثُلث، ويحتمل أن يكون سعد قضى نذر أمه من تركتها إن كان مالياً أو تبرع به، فإن كان النذر غير مالي فقضاؤه مندوب.

**(عن ابن عباس رضي الله عنهما)** أنه **(قال: بينا)** بغير ميم **(النبي ﷺ يخطب)** أي يوم الجمعة كما عند الخطيب في المبهمات وجواب بينا قوله: **(إذ هو برجلٍ قائم)** زاد أبو داود في الشمس **(فسأل)** ﷺ **(عنه)** أي عن اسمه أو عن حاله **(فقالوا:)** هو **(أبو**

يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: «مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه».

---

**إسرائيل)** قيل اسمه قُشَير بقاف وشين معجمة مصغراً وقيل يسير بتحتية ثم مهملة مصغراً أيضاً وهو رجل من قريش، وقيل من الأنصار ولم يشاركه أحد من الصحابة في كنيته **(نذر أن يقوم لا يقعد ولا يستظل)** من الشمس **(ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: مروه)** وفي نسخةٍ: مره أي مروا أبا إسرائيل **(فليتكلم وليستظل)** من الشمس **(وليقعد وليتم صومه)** لأنه قربة بخلاف البواقي، والظاهر أنه ﷺ علم منه أن الصوم لا يشق عليه.

# كتاب الكفارات

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كان الصاع على عهد النبي ﷺ مداً وثلثاً بمدكم اليوم.

---

## كتاب الكفارات

جمع كفارة من الكفر وهو الستر لأنها تستر الذنب ومنه الكافر لأنه يستر الحق، ويسمى الليل كافراً لأنه يستر الأشياء من العيون.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي بعض النسخ تقديمها على الكتاب (**عن السائب بن يزيد**) الكِنْدي ويقال: الليثي الأزدي المدني (**رضي الله عنه**) أنه (**قال: كان الصاع على عهد النبي ﷺ مُداً وثلثاً بمدكم اليوم**) فزيد فيه في زمن عمر بن عبد العزيز وكان مُدُّهم ثلاثة أمداد بمُدِّ النبي ﷺ فيكون الصاع النبوي أربعة أمداد، والمُدُّ رَطْلٌ وثلث بالبغدادي وهو مائة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، وحينئذٍ فيكون الصاع ستمائة درهم وخمسة وثمانين وخمسة أسباع درهم كما صححه النووي فهو خمسة أرطال وثلث عند مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة ثمانية أرطال ودليلنا ما نقل الخلف السلف بالمدينة وهم أعرف بمثل ذلك؛ قاله مالك مستدلاً به على أبي يوسف في مناظرته له بحضرة الرشيد فرجع أبو يوسف في ذلك إليه. والحديث يدل على أن مُدَّهم حين حدث به السائب كان أربعة أرطال فإذا زيد عليه ثلثه وهو رطل وثلث قام منه خمسة أرطال وهو الصاع، بدليل أن مده ﷺ رطل وثلث وصاعه أربعة أمداد؛ قاله ابن بطال، ثم قال: مقدار ما زِيْدَ فيه في زمن عمر بن عبد العزيز لا نعلمه، وإنما الحديث يدل على أن مدهم ثلاثة أمدادٍ بمُدِّه ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: ومن لازم ما قال أن يكون صاعهم ستة عشر رطلاً، لكن لعله لم يعلم مقدار الرطل عندهم إذ ذاك اهـ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لهم في مكيالهم وصاعهم ومدهم».

---

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لهم**) أي لأهل المدينة (**في مكيالهم وصاعهم ومُدِّهم**) البركة بمعنى النماء والزيادة قال النووي: الظاهر أن المراد البركة في نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفي المُدُّ فيها لمن لا يكفيه في غيرها وقد شوهد ذلك اهـ.

# كتاب الفرائض

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر».

---

## كتاب الفرائض

أي مسائل قسمة المواريث جمع فريضة بمعنى مفروضة أي مقدرة لما فيها من السهام المقدرة فغلبت على غيرها، والفرض لغةً التقدير والقطع، وشرعاً هنا نصيب مقدر شرعاً للمواريث، ثم قيل للعلم بمسائل الميراث علم الفرائض والعالم بها فَرْضِي، وفي الحديث: «أفرضكم زيد» أي أعلمكم بهذا النوع، وعلم الفرائض كما نُقِل عن أصحاب الشافعي ينقسم إلى ثلاثة علوم: علم الفتوى وعلم النسب وعلم الحساب، والأنصباء المقدرة في كتاب الله تعالى ستة النصف ونصفه ونصف نصفه والثلثان ونصفهما ونصف نصفهما.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي بعض النسخ تقديمها على الكتاب **(عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ألحِقوا)** بفتح الهمزة وكسر الحاء المهملة **(الفرائض)** جمع فريضة بمعنى مفروضة، وهي الأنصباء المقدرة في كتاب الله وهي ستة كما مر **(بأهلها)** أي المستحقين لها بنصِّ القرآن، أي أوجبوا الفرائض لأهلها واحكموا لهم بها وهذه العبارة في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة مع استعمال المجاز فيها، لأن المعنى أنيطوها بهم وألصقوها بمستحقيها **(فما بقي)** ما شرطية في موضع رفع على الابتداء والخبر قوله **(فهو لأولى)** وفي نسخةٍ فلأولى بفتح الهمزة واللام بينهما واو ساكنة والفاء في جواب الشرط **(رجلٍ ذكر)** أي أقرب في النسب من العصبات إلى المورث دون الأبعد، والتقييد بالرجل للاحتراز عن الأنثى فإنها لا تكون عَصَبة نسب، وبالذكر للإشارة إلى أن المراد به ما قابل الأنثى لا خصوص البالغ، وقد علم مما تقرر أن أولى من أولى بسكون اللام وهو القرب، وأنَّ الموصوف والصفة قائمان مقام شيء واحدٍ وهو العَصَبة كأنه قال: فما بقي فلأقرب عَصَبةٍ، وقيل إن ذكر صفة أولى لا صفة رجل كأنه قال: هو لقريب الميت ذكر

عن أبي موسى رضي الله عنه أنه سئل عن ابنة وابنة ابن وأخت فقال: للابنة النصف وللأخت النصف وائت ابن مسعود فسيتابعني على ذلك فسئِل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللأخت فأخبر أبو موسى بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم.

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مولى القوم من أنفسهم».

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ابن أخت القوم من أنفسهم».

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من

---

من جهة رجلٍ وصلب لا من جهة رحم وبطن، كالخال فإنه لا يكون عصبة.

**(عن أبي موسى)** الأشعري **(رضي الله تعالى عنه أنه سُئِل)** أي سأله رجل من أهل الكوفة يقال له: هُزَيل بن شرحبيل بضم أولهما **(عن بنتٍ)** وفي نسخةٍ ابنة **(وابنةَ ابن وأخت)** مات عنهن الميت **(فقال)** مجيباً **(للابنة)** وفي نسخةٍ للبنت **(النصف وللاخت النصف وائت)** أيها السائل **(ابن مسعود فسيتابعني على ذلك)** قاله ظناً منه لأنه اجتهد في ذلك **(فسُئِل ابن مسعود وأُبر بقول أبي موسى)** بضم سين سُئل وهمزة أخبر مبنيان للمفعول **(فقال: لقد ضللتُ إذاً)** إن قلت بحرمان بنت الابن **(وما أنا من المهتدين)** أي وما أنا من المهدي في شيءٍ **(أَقضِي)** بفتح الهمزة وكسر المعجمة **(فيها)** أي الفريضة بمعنى المسألة **(بما قضى النبي ﷺ للابنة النصف ولابنة الابن)** وفي نسخةٍ ولابنة ابن **(السدس تكملة الثلثين وما بقي)** وهو الثلث **(فللاخت فأُخبِر أبو موسى بقول ابن مسعود)** أي أخبره السائل المتقدم **(فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم)** بفتح الحال المهملة وسكون الموحدة، ويجوز لغة كسر الحاء تسمية باسم الحِبر الذي يكتب به وهو العالم بتحبير الكلام أي تحسينه، ولا خلاف بين الفقهاء فيما رواه ابن مسعودٍ في جواب أبي موسى هذا إشعار بأنه رجع عما قاله إلى قول ابن مسعود.

**(عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: مولى القوم)** أي عتيقهم **(من أنفسهم)** في النسبة إليهم والميراث منه **(وعنه رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: ابن أخت القوم من أنفسهم)** أي في المعاونة والانتصار والبر والشفقة ونحو ذلك لا في الميراث وتمسك به من قال: إن ذوي الأرحام يرثون كما ترث العصبات، وهو قول الحنفية وغيرهم.

**(عن سعد)** بسكون العين ابن أبي وقاص **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول**

ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»، فذكر ذلك لأبي بَكْرَة فقال: وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ.

عن أبي هريرة ﷺ قال: «لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فقد كفر».

---

الله ﷺ **يقول: من ادعى**) أي انتسب (**إلى غير أبيه وهو**) أي والحال أنه (**يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام**) إن استحل ذلك، أو هو محمول على الزجر والتغليظ للتنفير منه، واستشكل بأن جماعة من خيار الأمة انتسبوا إلى غير آبائهم كالمقداد بن الأسود إذ هو ابن عمرو، وأجيب بأنَّ الجاهلية كانوا لا يستنكرون أن يتبنى الرجل غير ابنه الذي خرج من صلبه فينسب إليه ولم يزل ذلك في أول الإسلام حتى نزل قوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ [الأحزاب: ٤] ونزل أيضاً قوله تعالى: ﴿أدعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] فغلب على بعضهم النسب الذي كان يدعى به قبل الإسلام، فصار إنما يذكر للتعريف الأشهر من غير أن يكون من المدعي تحول نسبه الحقيقي فلا يقتضيه الوعيد، إذا لو عيد المذكور إنما يتعلق بمن انتسب إلى غير أبيه على علم منه بأنه ليس أباه (**فذكر ذلك**) أي الحديث (**لأبي بكرة**) نُفيع (**فقال: وأنا سمعته أُذناي**) بفتح العين المهملة وسكون الفوقية (**ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ**).

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ**) أنه (**قال: لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه**) وانتسب لغيره (**فقد كفر**) وفي نسخةٍ: «فهو كفر» أي كفر النعمة فليس المراد الكفر الذي يستحق عليه الخلود في النار بل كفر حق أبيه أي ستر حقه، أو المراد التغليظ والتشنيع عليه إعظاماً لذلك وإلا فكل حقٍ شرعي إذا ستره فستره كفر، ولم يعبر في كل ستر على حق بهذا اللفظ وإنما عبر به في المواضع التي يقصد فيها الذم الغليظ وعظم الحق المستور.

# كتاب الحدود

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي النبي ﷺ برجل قد شرب، فقال: «اضربوه» قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه،

---

## كتاب الحدود

جمع حد وهو الحاجز بين الشيئين يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، سمي حد الزنا ونحوه بذلك لكونه يمنع متعاطيه عن معاودة مثله.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أنه **(قال: أتى النبي ﷺ برجل)** وهو عبد الله الذي كان يلقب حماراً وقيل هو النعيمان **(قد شرب)** خمراً **(فقال)** النبي ﷺ: **(اضربوه)** لم يذكر عدداً فقيل لأنه لم يكن محدوداً بعدد مخصوص حينئذٍ وفي مسلم أنه ﷺ كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين ثم صنع أبو بكر مثل ذلك، فلما كان عمر استشار الناس فقال له عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون ففعله عمر فمذهب الشافعية أن حدَّ الحر أربعون جلدة لما ذُكِر وحد غيره ولو مبعضاً عشرون على النصف من الحر كنظائره متوالية في كلٍّ من الأربعين والعشرين بحيث يحصل بها زجر وتنكيل، ولا يفرق على الأيام لعدم الإيلام وللإمام الزيادة على الحد إذا روآه فيبلغ بالحر ثمانين وبغيره أربعين كما فعله عمر رضي الله عنه روآه علي رضي الله عنه قال: «لأنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى وحدُّ الافتراء ثمانون» رواه الداقطني والزيادة على الأربعين تعازير لأحد وإلا لما جاز تركه، وقيل: حُدَّ وعليه فحد الشارب مخصوص من بين سائر الحدود بأن يتحتم بعضه ويتعلق بعضه باجتهاد الإمام، ومذهب الحنفية والمالكية أن الثمانين حدٌّ وكذا عليه الحنابلة على الصحيح عندهم، وقد اختلف النقل عن الصحابة في التحديد والتقدير في الحد، والذي تَحَصَّل من ذلك ستة أقوال: أحدها أن النبي ﷺ لم يجعل في ذلك حداً معلوماً بل كان يقتصر على ضرب الشارب على ما يليق به، الثاني أنه أربعون بغير زيادة، الثالث أنه مثله لكن للإمام أن يبلغ به ثمانين وهل الزيادة من تمام الحد أو تعزير؟ قولان. الرابع أنه

فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله قال: «لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان».

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما كنت لأقيم حداً على أحد فيموت فأجد في نفسي إلا صاحب الخمر فإنه لو مات لرديته وذلك أن رسول الله ﷺ لم يسنه.

---

ثمانون بغير زيادة عليها، الخامس أنه كذلك وتجوز الزيادة تعزيراً، السادس إن شرب فجلد ثلاث مرات فعاد في الرابعة وجب قتله وهو قول شاذ **(قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده ومنا الضارب بنعله ومنا الضارب بثوبه)** أي بعد فتله ليحصل به الإيلام **(فلما انصرف)** من الضرب **(قال بعض القوم)** قيل: هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه: **(أخزاك الله قال)** ﷺ: **(لا تقولوا هكذا)** أي لا تدعوا عليه بالخزي وهو الذل والهوان **(لا تعينوا عليه الشيطان)** لأن الشيطان يريد بتزيينه المعصية أن يحصل له الخِزي، فإذا دعوا عليه بالخزي فكأنهم قد حصلوا مقصود الشيطان، أو لأنه إذا سمع منكم ذلك انهمك في المعاصي أو حمله اللجاج والغضب على الإصرار، فيصير الدعاء وصلة ومعونة إلى اغوائه وتسويله.

**(عن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه)** أنه **(قال: ما كنت لأقيم)** اللام لتأكيد النفي **(حداً على أحدٍ فيموت فأجد في نفسي)** أي فأحزن عليه والفلان بالنصب، وقيل الأول بالنصب والثاني بالرفع وقوله: فيموت مسبب عن أقيم وأجد مسبب عن السبب والمسبب معاً **(إلا صاحب الخمر)** أي شاربه والاستثناء منقطع، فصاحب منصوب وجوباً عند غير تميم أي لكن لا أجد من صاحب الخمر إذا مات شيئاً، ويجوز أن يقدر ما أجد من موت أحدٍ يقام عليه الحد شيئاً إلا من موت صاحب الخمر فيكون متصلاً **(فإنه لو مات وَدَيْتُه)** بتخفيف الدال المهملة أي أعطيت ديته لمن يستحقها فإن قلت إن الاستثناء من النفي إثبات وبالعكس، ومقتضى ذلك أن يكون حكم المستثنى نقيض حكم المستثنى منه وليس ذلك موجوداً هنا، لأن حكم المستثنى منه هنا عدم الوجدان في النفس، والثابت للمستثنى كونه يودي وليس نقيضاً للأول، قلت: يلزم من القيام بديته ثبوت الوجدان في النفس من أمره، والمعنى أنه لو مات وجدت في نفسي منه فوديته فحذف السبب وأقام المسبب مقامه، وعند النسائي وابن ماجه عن علي أنه قال: «من أقمنا عليه حداً فمات فلا دية له إلا من ضربناه في الخمر» اهـ وهو ظاهر **(وذلك)** إشارة إلى قوله ما كنت لأقيم الخ **(أن رسول الله ﷺ لم يسنه)** أي لم يقدر فيه حداً مضبوطاً. قد اتفقوا على أن من وجب عليه حد فجلده الإمام أو جلاده الحد الشرعيَ فمات فلا دية فيه ولا كفارة على الإمام ولا على جلاده ولا في بيت المال، إلا في حد الخمر فعن علي ما تقدم، وقال الشافعي: إن ضُرِب بغير سوط فلا ضمان وإن ضُرِب بالسوط ضمن قيل بالدية وقيل بقدر تفاوت ما

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً وكان يُضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأُتي به يوماً فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتي به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله».

---

يجلد بالسوط وبغيره، والدية في ذلك على عاقلة الإمام وكذا لو مات بما زاد على الأربعين، وقال الطيبي: ويحتمل أن يراد بقوله ولم يسنه الحد الذي يؤدي إلى التعزير كما في حديث أنس ومشاورة عمر علياً رضي الله عنهما قال: وتلخيص المعنى أنه إنما خاف من سُنَّة سنَّها عمر وقررها برأي علي لا ما سنَّة رسول الله ﷺ.

(**عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جلاً كان على عهد النبي ﷺ**) أي زمنه اسمه عبد الله (**وكان يلقب حماراً**) باسم الحيوان المعروف (**وكان يضحك رسول الله ﷺ**) بضم التحتية وسكون الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة بأن يفعل أو يقول في حضرته المقدسة ما يَضحَك منه، وعند أبي يعلى: «أن رجلاً كان يلقب حماراً وكان يُهدي إلى رسول الله ﷺ العكة من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي ﷺ فقال: أعط هذا متاعه فما يزيد النبي ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطى» وفي حديث آخر: «أنه كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها ثم جاء فقال: يا رسول الله هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه قال: أعط هذا الثمن فيقول: ألم تُهدِه لي؟ فيقول: ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه»، وقد وقع مثل هذا لنعمان المشهور بالمزاح (**وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب**) أي بسبب شرب الشراب المسكر (**فأُتي به يوماً فأمر به**) بضم الهمزة في الفعلين (**فجُلد**) وللواقدي: «فأمر به فخفق بالنعال» وحينئذٍ فيكون معنى فجلد أنه ضرب ضرباً أصاب جلده (**فقال**) بالفاء وفي نسخةٍ: وقال بالواو (**رجل من القوم**) وعند الواقدي فقال عمر رضي الله عنه: (**اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به**) بضم التحتية وفتح الفوقية، وما مصدرية أي ما أكثر إتيانه، وللواقدي ما أكثر ما يضرب وفي رواية معمر: ما أكثر ما يشرب وما أكثر ما يُجلد (**فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه فوالله ما علمت**) ما نافية أي لم أعلم منه (**إلا أنه يُحب الله ورسوله**) بفتح همزة أنه وقيل بكسرها، وفي نسخةٍ: «ما علمت أنه يحب الله ورسوله» وما موصولة وانه بكسر الهموة مبتدأ، وقيل بفتحها وهو مفعول علمت بمعنى عرفت وأنه خبر الموصول، أي الذي عرفته منه أنه يحب الله ورسوله، وفي الحديث الردُّ على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوب النهي عن لعنه، وأنه لا تنافي بين ارتكاب المنهي عنه وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب، لأنه ﷺ أخبر أن المذكور يحب الله ورسوله مع ما يصدر منه، وكراهة لعن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده».

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً».

وعنها رضي الله عنها أن يد السارق لم تقطع على عهد النبي ﷺ إلا في ثمن مجن حجفة أو ترس.

---

شارب الخمر، وقيل المنع مطلقاً في حقِّ ذي الزلة والجواز مطلقاً في حق المجاهرين، وصوب ابن المنير اللعن مطلقاً في حقِّ غير المعيَّن زجراً عن تعاطي ذلك الفعل بخلاف المعين فلا يجوز لعنه، وجوَّز ذلك البلقيني محتجاً بحديث: «إذا باتت المرأة هاجرةً فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح»، وتعقبه بعضهم بأن اللاعن لها الملائكة فيتوقف الاحتجاج به على جواز التأسي بهم، ولئن سلمنا فليس في الحديث تسميتها، وأجيب بأن الملك معصوم والتأسي بالمعصوم مشروع.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لعن الله السارق يسرق البيضة**) أي بيضة الحديد وهي التي توضع على رأس المقاتل، فعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه أنه قطع يد السارق في بيضة حديدٍ ثمنها ربع دينار (**فتقطع يده، ويسرق الحبل**) بالحاء المهملة المفتوحة وبالموحدة الساكنة أي الحبل الذي يساوي قيمته ثلاثة دراهم كحبل السفينة (**فتقطع يده**) وقيل: المراد بيضة نحو الدجاج والحبل الصغير الذي لا يساوي شيئاً، والمقصود من ذلك ذم السَّرِقة وتهجين أمرها وتحذير عاقبتها فيما قلَّ وكثر من المال، فكأنه يقول: إن سرقة الشيء اليسير الذي لا قيمة له إذا تعاطاها واستمرت بذلك عادته أداه ذلك إلى سرقة ما فوقه حتى يبلغ قدر ما تقطع فيه اليد فتقطع يده، فليحذر من هذا الفعل وليتوقه قبل أن تملكه العادة ويتمرن عليها ليسلم من سوء عاقبته. وفي الحديث جواز لعن غير المعين من العصاة مطلقاً لأنه لعن الجنس مطلقاً، ويحتمل أن لا يراد به حقيقة اللعن بل التنفير فقط، وقال في شرح المشكاة: لعل المراد باللعن هنا الإهانة والخذلان كأنه قيل لما استعمل أعز شيءٍ عنده في أحقر شيءٍ خذله الله حتى قطع.

(**عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: تُقطع**) بالفوقية (**اليد**) وفي نسخةٍ: يقطع بالتحتية وإسقاط اليد (**في ربع دينار**) وفي روايةٍ: «كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً» وعند أبي داود: «القطع في ربع دينار فصاعداً» (**وعنها رضي الله عنها أن يد السارق لم تقطع على عهد النبي ﷺ إلا في ثمن مجنٍّ**) بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون مفعل من الاجتنان وهو الاستتار والاختفاء مما يحاذره المستتر، وكسرت ميمه لأنه آلة في ذلك (**حجفةٍ**) بحاء مهملة فجيم ففاء مفتوحات عطف

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قطع في مجن ثمنه ثلاثة دراهم.

---

بيان للمجن وهي الدرقة، وتكون من خشب أو من عظم وتغلف بالجلد **(أو تُرسٍ)** بضم الفوقية وسكون الراء بعدها سين مهملة هو كالحجفة إلا أنه يطابق فيه جلدين، والشك من الراوي والغالب أن ثمنه لا ينقص عن ربع دينار.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قطع)** أي أمر بقطع سارق بحذف المفعول **(في)** سرقة **(مجنٍّ)** فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وفي السببية **(ثمنه)** أي قيمته كما ورد كذلك وهو مبدأ خبره **(ثلاثة دراهم)** أي فضة وأدخل التاء في ثلاثةِ لأنه عدد مذكر، وأطلق الثمن على القيمة مجازاً أو لتساويهما في ذلك الوقت، أو في ظنِّ الراوي أو باعتبار الغلبة، وإلا فالثمن ما وقع عليه العقد والقيمة ما قطع بها المقومون قليلة أو كثيرة، والدراهم جمع درهم بكسر الدال وفيه لغات ثلاثة أفصحها فتح الهاء والثانية كسرها والثالثة درهام بزيادة ألفٍ بعد الهاء، واختلف في القدر الذي يقطع فيه السارق على مذاهب: فقيل في كل قليلٍ وكثيرٍ تافه أو غير تافهٍ، ونقل عن ابن بنت الشافعي وقيل: في كل قليل وكثيرٍ إلا في التافه فلا، وقيل: لا يجب إلا في أربعين درهماً أو أربعة دنانير، وقيل: في درهمين، وقيل: فيما زاد على درهمين ولم يبلغ الثلاثة، وقيل في ثلاثة دراهم ويقوم ما عداها بها وهو روايةٍ عن أحمد، وحكاه الخطابي عن مالك وقيل مثله، إلا أنه إن كان المسروق ذهباً فنصابه ربع دينار، وإن كان غيرهما فإن بلغت قيمته ثلاثة دراهم قطع به وإلا لم يقطع، ولو كان نصف دينارٍ وهو قول مالك المعروف عند أصحابه، وهو روايةٍ عن أحمد، وقيل مثله إلا إن كان المسروق غيرهما قُطِع به إذا بلغت قيمة أحدهما؛ وهو المشهور عند أحمد. وقيل: مثله لكن لا يكتفى بأحدهما إذا كانا غالبين، فلو كان أحدهما غالباً فالمعوَّل عليه وهو قول بعض المالكية، وقيل ربع دينارٍ أو ما بلغ قيمته من فضةٍ أو عَرَضٍ؛ وهو مذهب الشافعية وقيل أربعة دراهم نقله القاضي عياض عن بعض الصحابة، وقيل ثلث دينار وقيل خمسة دراهم وقيل عشرة دراهم أو ما بلغ قيمتها من ذهبٍ أو من عَرَض، وقيل ربع دينار فصاعداً من الذهب، ويقطع في القليل والكثير من الفضة والعروض لأنَّ التحديد في الذهب ثبت صريحاً في حديث عائشة ولم يثبت التحديد صريحاً في غيره فبقي عموم الآية على حاله، فيقطع فيما قل أو كثر من غير الذهب إلا في التافه، وقاس الشافعي أحد النقدين على الآخر وأيَّده بأن العُرْف يومئذٍ كان موافقاً لذلك بدليل أن الدية على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الفضة اثنا عشر ألف درهم.

# كتاب المحاربين

عن أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يجلد فوق عشر جلدات إلا في حدٍ من حدود الله عزّ وجلّ».

---

## كتاب المحاربين

بكسر الراء أي من أهل الكفر والردة زاد بعضهم ومن يجب عليه الحد في الزنا.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي بعض النسخ تقديمها على الكتاب **(عن أبي بردة)** بضم الموحدة وسكون الراء هانىء بن نيار بكسر النون وتخفيف التحتية الأوسي **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا يُجلد)** بضم التحتية وسكون الجيم وفتح اللام جملة معمولة للقول خبر بمعنى النهي والفعل مبني لما لم يسمَّ فاعله، والمفعول محذوف يدل عليه السياق أي لا يجلد أحد **(فوق عشر جلدات)** بفتحات **(إلا في حدٍّ من حدود الله عز وجل)** والمجرور متعلق بيجلد فيكون الاستثناء مفرغاً، لأن ما قبل إلا تفرغ للعمل فيما بعدها، ومن حدود الله متعلق بمحذوف صفة لحد، والتقدير: إلا في موجب حدٍ من حدود الله تعالى، قال في الفتح: ظاهره أن المراد بالحد ما ورد فيه من الشارع عدد من الجلد أو الضرب مخصوص أو عقوبة مخصوصة، والمتفق عليه من ذلك أصل الزنا والسرقة وشرب المسكر والحِرابة والقذف في الزنا، والقتل والقصاص في النفس والأطراف والقتل في الارتداد، واختلف في تسمية الأخيرين حدّاً واختلف في مدلول هذا الحديث فأخذ بظاهره الإمام أحمد في المشهور عنه وبعض الشافعية، وقال مالك والشافعي وصاحبا أبي حنيفة: تجوز الزيادة على العشرة، ثم اختلفوا فقال الشافعي: لا يبلغ أدنى الحدود، وهل الاعتبار بحد الحر أو العبد؟ قولان. وقال آخرون: هو إلى رأي الإمام بالغاً ما بلغ، وأجابوا عن ظاهرالحديث بوجوهٍ؛ منها: الطعن فيه فإن ابن المنذر ذكر في إسناده مقالاً، وقال بعضهم: اضطرب إسناده فوجب تركه وتُعقب بأن الشيخين اتفقا على تصحيحه وهما العمدة في التصحيح، ومنها أن عمل الصحابة رضي الله عنهم بخلافه يقتضي نسخةٍ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى أن لا يبلغ بنكالٍ أكثر من عشرين سوطاً، وعن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال: جلد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال».

---

عثمان ثلاثين وضَرَب عمر أكثر من الحد أو من مائة وأقره الصحابة، وأجيب بأنه لا يلزم من مثل ذلك النسخ، ومنها حمله على واقعةِ عينٍ بذنبٍ معين أو رجلٍ معين؛ قاله الماوردي وفيه نظر. قال بعضهم: لا يزيد مؤدب الأطفال في الضرب على ثلاثة أخذاً من حديث، أول نزول الوحي فإن جبريل قال للنبي ﷺ: «أقرأ فقال ما أنا بقارىء فغطه ثلاث مرات»، فيؤخذ منه أن تنبيه المعلم للمتعلم لا يكون أكثر من ثلاث، والراجح خلافه وأن له الزيادة بحسب ما يراه.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: من قذف مملوكه)** وفي روايةٍ: من قذف عبده بشيء **(وهو)** أي والحال أنه **(بريء مما قال)** سيده عنه **(جُلِد)** السيد **(يوم القيامة)** أي يوم الجزاء عند زوال مِلك السيد المجازي وانفراد الباري سبحانه وتعالى بالملك الحقيقي والتكافؤ في الحدود ولا مفاضلة حينئذٍ إلا بالتقوى **(إلا أن يكون)** المملوك **(كما قال)** السيد عنه فلا يجلد، وعند النَّسائي من حديث ابن عمر: «من قذف مملوكه كان لله في ظهره حد يوم القيامة إن شاء أخذه وإن شاء عفا عنه»، وظاهره أنه لا حد على السيد في الدنيا إذ لو وجب عليه لذكره.

# كتاب الديات

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ للمقداد: «إذا كان رجل

---

## كتاب الديات

بفتح التحتية جمع ديه وهي المال الواجب بالجناية على الحر في نفسٍ أو فيما دونها، وهاؤها عوض من فاء الكلمة مأخوذة من الوَدْي وهو دفع الدية، يقال: وديت القتيل أديه ودياً.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي بعض النسخ تقديمها على الكتاب **(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال)** وفي نسخةٍ: لن يزال **(المؤمن في فُسحة)** بضم الفاء وسكون السين وفتح الحاء المهملتين أي سِعَةٍ **(من دينه)** بكسر الدال المهملة وسكون التحتية بعدها نون **(ما لم يصب دماً حراماً)** بأن يقتل نفساً بغير حق فإنه يضيق عليه دينه لما أوعد الله على القتل عمداً بغير حقٍّ بما توعد به الكافر، زاد الطبراني في معجمه الكبير: «فإذا أصاب دماً حراماً نُزِعَ منه الحياء» وفي نسخةٍ: «لن يزال المؤمن في فُسحَةٍ من ذنبه» بذال معجمة مفتوحة فنون ساكنة بعدها موحدة، أي أنه إذا أصاب ذنباً غير قتلٍ كان في سِعَةٍ بسبب ذنبه لقوَّة رجائه العفو من الله تعالى، فإذا كان قتلاً صار في ضيقٍ بسبب ذنبه لاستعباده العفو عنه فيستمر في الضيق المذكور، وقيل: الفسحة في الذنب قبوله للغفران بالتوبة فإذا وقع القتل ارتفع القبول؛ قاله ابن العربي. قال في الفتح: وحاصله أنه قد فسره على رأي ابن عمر في عدم قبول توبة القاتل انتهى. ومذهب الجمهور قبولها كتوبة باقي أرباب الكبائر.

**(عن ابن عباس رضي الله)** تعالى **(عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ للمقداد)** بن عمرو الكندي المعروف بابن الأسود لما سأله بقوله: يا رسول الله إن لقيت كافراً ـ وفي

مؤمن يَخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك كنت أنت تخفي إيمانك بمكة من قبل».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا».

عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرىءٍ مسلم يشهد أن لا

---

روايةٍ ـ أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ أي التجأ بالشجرة وقال: أسلمت لله، أأقتله بعد أن قالها؟ قال رسول الله ﷺ: لا تقتله ـ أي لأنه صار مصان الدم ـ ثم قرر له ذلك ﷺ بقوله: **(إذا كان رجل مؤمن)** وفي نسخةٍ رجل ممن **(يخفي إيمانه مع قوم كفارٍ فأظهر إيمانه فقتلته)** أي لكنت آثماً بذلك وتُقْتَلُ فيه لعصمته، وإخفاء إيمانه لا يُعدُّ عيباً **(فكذلك كنت أنت تُخفي إيمانك بمكة من قبل)** وفي نسخةٍ: إسقاط من أي فإخفاء الإيمان لا يُعدُّ عيباً ولا يقتضي عدم العصمة فإذا قتلت ذلك الرجل الذي قطع يدك ثم أظهر الإسلام قُتِلتَ فيه لاحتمال أنه كان مخفياً لإيمانه قبل ذلك ثم أظهره، فإن قلتَ: كيف يقطع يده وهو ممن يخفي إيمانه؟ قلتُ: يحتمل أنه فعل ذلك دفعاً للصيال أو أن ذلك على سبيل الفرض والتمثيل، وهذا تقريب منه عليه الصلاة والسلام لعقل المقداد حتى لو لم يخفِ إيمانه قبل ذلك بل حصل منه في ذلك الوقت وأظهره ثم قتله قُتِل فيه لأنه صار معصوماً، ولذا قال له في الحديث المذكور: «فإن قتلته كان بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول الكلمة التي قال»، والمعنى كما قال الخطابي إنَّ الكافر مباح الدَّم يحكم الدين قبل أن يُسلِم، فإذا أسلم صار مُصَانَ الدَّم، فإن قتله المسلم بعد ذلك صار فَمُه مباحاً بحقِّ القِّصاص، كالكافر بحقِّ الدين وليس المراد إلحاقه به في الكفرِ كما تقول الخوارج من تكفير المسلم بالكبيرة، وحاصله اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ، فالأول أنه مثلك في صون الدم والثاني أنك مثله في الهدر، وقيل معناه أنه مغفور له بشهادة التوحيد كما أنك مغفور لك بشهادة بدر.

**(عن عبد الله)** أي ابن عمر **(رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: من حمل علينا السلاح)** أي قاتلنا **(فليس منا)** أي إن استباح ذلك وأطلق ذلك اللفظ مع احتمال إرادة أنه ليس على الملة للمبالغة في الزَّجر والتخويف، وقوله علينا يخرج ما إذا حمله للحراسة لأنه يحمله لهم لا عليهم **(وعنه)** ظاهره عن عبد الله المتقدم وليس كذلك بل المراد به هنا ابن مسعود **(رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يحل دم)** أي إراقة دم **(امرىء مسلم يشهد أن)** مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وخبرها قوله **(لا إله إلا الله وأني رسولَ الله)** وجملة يشهد صفة ثانية أتى بها لبيان أن المراد بالمسلم هو الآتي بالشهادتين، وقال في شرح المشكاة: الظاهر أن يشهد حال جيء به مقيداً

إله إلا الله بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة».

عن ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «إن أبغض الناس إلى الله

---

للموصوف مع صفته إشعاراً بأن الشهادة هي العمدة في حَقْنِ الدم **(إلا بإحدى)** خصالٍ **(ثلاثٍ)** والباء للسببية أو للملابسة متعلقة بمحذوف، أي إلا ملتبساً بفعل إحدى ثلاث فيكون الاستثناء مفرغاً لعمل ما قبل إلا فيما بعدها، ثم إن المستثنى منه يحتمل أن يكون الدم فيكون التقدير: لا يحل دم امرىء مسلم إلا دمه ملتبساً بإحدى الثلاث ويحتمل أن يكون الاستثناء من امرىءٍ مسلم أي ألا امرأً ملتبساً بإحدى ثلاث خصال فملتبساً حال من امرىءٍ وجاز لأنه وصفٌ لما تقدم، وجعلها للسببية لا يحوج إلى هذا التكلف **(النفس)** أي قتل النفس المقابلة **(بالنفس)** والنفس الأولى هي المقتولة والثانية هي القاتلة، فيحل قتل القاتل قصاصاً لولي الدَّم بإذن الإمام بسبب قتله النفس المقتولة **(والثَّيِّب)** أي المحصن أو خصلة الثَّيِّب **(الزاني)** وهو زناؤه فيحل قتله بالرجم للإمام فإنْ قتله غيره فالأظهر عند الشافعية لا قصاص على قاتله لإباحة دمه والزاني بالياء على الأصل ويُروى بحذفها اكتفاءً بالكسرة كقوله تعالى: ﴿الكبير المتعال﴾ [الرعد: ٩] **(والمفارق لدينه)** أي التارك له في نسخةٍ: «والمارق من الدين» أي الخارج منه أي ومفارقة المفارق لدينه **(التارك للجماعة)** أي جماعة المسلمين بالرِّدة، وهو صفة مؤكدة للمفارق أي الذي ترك جماعة المسلمين وخرج من جملتهم وانفرد عن زمرتهم، واستدلَّ بذلك على أن تارك الصلاة لا يقتل بتركها لأنها ليست من الأمور الثلاثة وقد اختلف فيه، والجمهور على أنه يُقْتَل حدّاً كُفْراً بعد الاستتابة فإن تاب وإلا قُتِل، وقال أحمد وبعض المالكية وابن خزيمة من الشافعية: إنه يكفر بذلك ولو لم يجحد وجوبها، وقال الحنفية: لا يكفر ولا يُقتَل لحديث عبادة عند أصحاب السنن وصححه ابن حبان مرفوعاً: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد» الحديث وفيه: «ومن لم يأت بهنَّ فليس له عند الله عهد إن شاء عذَّبه وإن شاء أدخله الجنة»، والكافر لا يدخل الجنة، وتمسك الإمام أحمد بظواهر أحاديثٍ وردت في تكفيره، وحَمَلها من خالفه على المستحلِّ جمعاً بين الأخبار، واستثنى بعضهم مع الثلاثة قتل الصائل فإنه يجوز قتله للدفع.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: أبغض الناس إلى الله)** عز وجل أبغض أفعل تفضيل بمعنى المفعول من البغض وهو شاذ ومثله أعدم من العدم إذا افتقر، وإنما يقال: أفعل من كذا للمفاضلة في الفعل الثلاثي، قال في الصحاح: وقولهم: ما أبغضه لي شاذ لا يقاس عليه، والبغض من الله تعالى إرادة إيصال المكروه والمراد بالناس المسلمون **(ثلاثة)** امرؤ **(ملحدٌ)** بضم الميم وسكون اللام وكسر الحاء المهملة بعدها دال مهملة أي مائل عن القصد **(في الحرم)** المكي بفعل المعاصي، وفي

ثلاثة: ملحدٌ في الحرم ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ومطلب دم امرىء بغير حق ليَهْرِيق دمه».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح».

---

إشارة إلى عِظَم الذنب فيه لأن الإلحاد في العُرْف يستعمل في الخروج عن الدين، فإذا وُصِفَ به من ارتكب معصية كان في ذلك إشارة إلى عِظَمِها، قال الله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذابٍ أليم﴾ [الحج: ٢٥] قال ابن مسعود: «ما من رجل يهم بسيئة إلا كتب عليه، ولو أن رجلاً أراد فيه بإلحاد بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم» وقال ابن كثير: أي يَهِمُّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار، وقوله: بظلم أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول، وقال ابن عباس: بظلم بشرك، وقال مجاهد أنْ تَعْبُدَ غير الله، وهذا من خصوصيات الحُرَم فإنه يُعَاقَب فيه الناويَ الشر إذا كان عازماً عليه ولو لم يوقعه **(ومبتغٍ)** بضم الميم وسكون الموحدة وبعد الفوقية غين معجمة أي طالب **(في الإسلام سنة الجَاهلية)** المراد بها الجنس فتعم جميع ما كان عليه أهل الجاهلية من الطيرة والكهانة والنوح وأخذ الجار بجاره وأن يكون له الحق عند شخص فيطلبه من غيره **(ومُطَّلِب دم امرىء بغير حق)** بضم الميم وتشديد الطاء بعدها موحدة مفتعل من الطلب، وأصله متطلب فأبدلت التاء طاء وأدغمت في الطاء أي المتكلف للطلب المبالغ فيه **(ليهريق)** بضم التحتية وفتح الهاء ويسكن أي يريق **(دمه)** وخرج بقوله: بغير الحق من طلب بالحق كالقصاص، قال الكرماني: الإهراق هو المحظور المستحق لمثل هذا الوعيد لا مجرد الطلب، وأجاب بأن المراد الطلب المترتب عليه المطلوب أو ذكر الطلب ليلزم في الإهراق بطريق الأولى ففيه مبالغة.

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو اطَّلع)** بتشديد الطاء **(في بيتك أحد ولم تأذن له)** أن يطلع فيه **(فخذفته)** بالخاء والذال المعجمتين المفتوحتين ففاء أي رميته **(بحصاة)** بأن جعلتها بين إبهامك وسبابتك، قال في المصباح: حذفت الحصاة ونحوها حذفاً من باب ضرب رميتها بطرفي الإبهام والسبابة اهـ وقيل: هو أن يجعلها على طرف الإبهام ويرميها بطرف السبابة **(ففقأت عينه)** أي قلعتها أو أطفأت ضوءها، وفي نسخةٍ: فحذفته بالحاء المهملة بدل المعجمة، قال الطبري: وهو خطأ لأن في نفس الخبر الرمي بالحصاة وهو بالمعجمة جزماً **(ما كان عليك من جُنَاح)** بضم الجيم أي إثم ولا مؤاخذة، وفي روايةٍ صححها ابن حبان والبيهقي: «فلا قَوَد ولا دِيَة» وهذا مذهب الشافعية. قال النووي: ومن نظر إلى حَرَمِهِ في داره من كوة أو ثقب فرماء بخفيف كحصاة فأعماه أو أصاب قرب عينه فجرحه فمات فهَدَرٌ، بشرط عدم محرم وزوجة للناظر

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «هذه وهذه سواء يعني الخنصر والإبهام».

---

اهـ والمعنى فيه المنع من النظر وإن كانت حرمه مستورة أو في منعطف لعموم الأخبار ولأنه لا يدري متى تستتر وتنكشف، فيحسم باب النظر وخرج بالدار المسجد والشارع ونحوهما، وبالثقب الباب والكوة الواسعة والشباك، وبقرب عينه ما لو أصاب موضعاً بعيداً عنها فلا يدري في الجميع، وقوله في الحديث: «ولم تأذن له» احتراز عمن اطَّلع بإذن، وقال المالكية: الحديث خرج مخرج التغليظ.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: هذه وهذه سواء)** في الدية **(يعني الخنصر)** بكسر المعجمة وفتح المهملة **(والإبهام)** وفي روايةٍ: «الأصابع والأسنان سواء» الثنية والضرس سواء، ولأبي داود والترمذي: «أصابع اليدين والرجلين سواء» ولابن ماجه: «الأصابع سواء كلهن فيه عشر من الأبل» فلا فضل لبعض الأصابع على بعض، وأصابع اليد والرجل سواء كما عليه أئمة الفتوى، فهي مستوية في الدية نظراً للاتفاق في الاسم وإن اختلف مساحتها وقوتها فإن للابهام من القوة ما ليس للخنصر ومثلها في ذلك الأسنان.

# كتاب استتابة المرتدين والمعاندين

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن أساء في الإسلام يؤاخذ بالأول والآخر».

---

## كتاب استتابة المرتدين

أي توبتهم من الردة بالإسلام.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه)** أنه **(قال: قال رجل)** لم يسم: **(يا رسول الله أنؤاخذ)** بهمزة الاستفهام وفتح الخاء المعجمة مبنياً للمفعول أي أنعاقب **(بما عملنا في الجاهلية قال)** ﷺ: **(من أحسن في الإسلام)** بالاستمرار عليه وترك المعاصي **(لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية)** قال الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] أي من الكفر والمعاصي وبه استدلَّ أبو حنيفة على أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة **(ومن أساء في الإسلام)** بأن ارتد عنه ومات على كفره **(يؤاخذ بالأول)** الذي عمله في الجاهلية **(والآخر)** بكسر الخاء المعجمة الذي عمله من الكفر وكأنه لم يسلم فيعاقب على جميع ما أسلفه، ونقل ابن بطال عن جماعة من العلماء أن الإساءة هذه لا تكون إلا الكفر للاجماع على أنَّ المسلم لا يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، وإن أساء في الإسلام غاية الإساءة وركب أشد المعاصي وهو مستمر على الإسلام، فإنه إنما يؤاخذ بما جناه من المعصية في الإسلام، أما إذا لم يمت المرتد على كفره بأن رجع إلى الإسلام فلا يحبط عمله لقوله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية فإنه قيد إحباط العمل بالردة بالموت عليها فإذا أسلم عادت له مجردة عن الثواب، وفائدتها عدم لزوم القضاء؛ هكذا قال الشافعية. وقال الحنيفة: لا تعود له لأنه تعالى علَّق الإحباط بنفس الرِّدَّة في قوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ [المائدة: ٥] والأصل عندهم أن المطلق لا يحمل على المقيد، وعند الشافعي يحمل

..................................................................................:..............

عليه ويجب استتابة المرتد حالاً بأن يعرض عليه الإسلام، فإن لم يسلم وجب قتله ولو امرأةً، لقوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» وخصّه أبو حنيفة بالذكر للنهي عن قتل النِّساء، ولأن من الشرطية لا تعم المؤنث، وأجيب بأن ابن عباس راوي الحديث قد قال: تقتل المرتدة وقتل أبو بكر في خلافته امرأةً ارتدت ولم ينكر عليه أحد، وفي حديث معاذ لما بعثه ﷺ إلى اليمن قال: «وأما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فأضرب عنقها» قال في الفتح: وسنده حسن وهو نص في محل النزاع فيجب المصير إليه.

# كتاب التعبير

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

---

## كتاب التعبير

أي تعبير الرؤيا وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها؛ قاله الراغب: وقال في المدارك: حقيقة عَبَرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عَبَرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبر، ونحوه أوَّلت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها اهـ ويقال: عَبَرت الرؤيا بالتخفيف إذا فسرتها وعبَّرتها وعبَّرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك وهو قليل، بل أنكره بعضهم الرؤيا بالألف اسم لما يراه النائم، والرؤية بالتاء اسم لما كان في اليقظة، وقال الراغب: بالهاء إدراك المرء بحاسة البصر وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو: أرى أنَّ زيداً سافر، وعلى العلم النظري نحو إني أرى ما لا ترون، وعلى الرأي وهو اعتقاد أحد النقيضين مع غلبة الظن، وقال ابن الأثير: الرؤيا والحُلُم عبارة عما يراه النائم في النوم من الأشياء، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشيء القبيح، ومنه قوله تعالى: ﴿أضغاث أحلام﴾ [يوسف: ٤٤] وفي الحديث: «الرؤيا من الله والحُلُم من الشيطان» وتضم لام الحُلُم وتسكن انتهى.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: الرؤيا الحسنة**) أي الصالحة (**من الرجل الصالح**) وكذا المرأة الصالحة غالباً (**جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**) أي من علم النبوة، لأن النبوة وإن انقطعت فعلمها أكشف بواطن الأمور بسببها باق، وقول مالك لما سُئِل: أيعبر الرؤيا كل أحدٍ؟ فقال: أبا لنبوة يَلْعَب»، ثم قال: «الرؤيا جزءٌ من النبوة فلا يَلْعَبُ بالنبوة» لم يُرِد بذلك أنها نبوة باقية، وإنما أراد أنها لما أَشبهت النبوة من جهة الاطِّلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم فهي جزءٌ من النبوة مجازاً لا حقيقةً، يعني الرؤيا جزءٌ من أجزاء

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

النبوة في الجملة لأن فيها اطلاعاً على الغيب من وجهٍ ما، نعم إن وقعت من النبي ﷺ فهي جزء من أجزاء النبوة حقيقة، وأما حصر أجزاء النبوة في الستة والأربعين فهو مما أطْلَع الله تعالى عليه نبيه ﷺ، ولا يلزم العالم أن يعرف ذلك تفصيلاً، وأبدى بعضهم لذلك وجهاً وهو أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتها إلى الوحي المنامي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، لأنه عاش بعد النبوة ثلاثاً وعشرين سنة على الصحيح، فالستة أشهر نصف سنة فهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة اهـ لكن يُردُّ عليه أن هناك أوقاتاً كان يوحى إليه فيها مناماً كالرؤيا في أُحد ودخول مكة فإذا زيدت في الحساب بطلت القسمة المذكورة، وأجيب بأن المراد وحي المنام المتتابع، وما وقع في غصون وحي اليقظة فهو يسير بالنسبة إليه ومغمورٌ في جانبة فلم يعتبر، وفي مسلم من حديث أبي هريرة: «جزء من خمسة وأربعين»، وله أيضاً عن ابن عمر: «من سبعين جزءاً وللطبراني: «جزء من ستة وسبعين» وسنده ضعيف، وعند ابن عبد البر عن أنس مرفوعاً: «من ستة وعشرين»، وللطبراني عن ابن عباس: «من خمسين» وله أيضاً من حديث عبادة: «من أربعة وأربعين»، وللترمذي: «من أربعين»، والمشهور: «من ستة وأربعين جزءاً»، قال في الفتح: ويمكن الجواب عن اختلاف الأعداد بأنه بحسب الوقت الذي حدَّث فيه ﷺ بذلك كأن يكون لما أكمل ثلاث عشرة بعد مجيء الوحي حدَّث بأن الرؤيا جزءٌ من ستةٍ وعشرين إن ثبت الجزم بذلك، وذلك وقت الهجرة، ولما أكمل عشرين حدَّث بأربعين ولما أكمل إثنين وعشرين حدَّث بأربعة وأربعين ثم بعدها بخمسة وأربعين، ثم حدَّث بستة وأربعين في آخر حياته، وأما ما عدا ذلك من الروايات بعد الأربعين فضعيف ورواية الخمسين محتملة لجبر الكسر، ورواية السبعين للمبالغة وما عدا ذلك لم يثبت اهـ وقال بعضهم: وقلَّما يُصِيبُ مؤوِّل في الحصر في هذه الأجزاء، ولئن وقع له الإصابة في بعضها لما تشهد به الأحاديث المستخرج منها لم يسلم ذلك في بقيتها، والتقييد بالصالح جرى على الغالب كما مرَّ وإلا فقد يرى غير الصالح الرؤيا الحسنة، على أن الصالح قد يرى الأضغاث لكنه نادر لقلة تمكن الشيطان منه بخلاف العكس، وحينئذٍ فالناس على ثلاثة أقسام: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورؤياهم كلها صدق، وقد يكون فيها ما يحتاج إلى تعبير، والصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير، ومن عداهم يكون في رؤياهم الصدق والأضغاث وهم على ثلاثة: مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم، وفسقة والغالب على رؤياهم الأضغاث ويقل فيها الصدق، وكفار يندر في رؤياهم الصدق جداً؛ كذا نقله في الفتح عن المهلب: وأكثر من تصْدُق رؤياه من يتجنب الكذب بخلاف الكذَّاب فإن مخيلته تعودت وضع الصور

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله». فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره».

---

والمعاني الكاذبة، وكذا الشعراء يندر صدق رؤياهم لأن من عاداتهم التخييل بما ليس واقعاً وأكثر فكرهم إنما هو في وضع المعاني والصور الكاذبة. وعبَّر بلفظ النبوة دون الرسالة لأن في النبوة إطلاعاً على بعض المغيبات، وكذلك الرؤيا وتزيد الرسالة على النبوة بالتبليغ.

**(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك **(الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا رأى أحدكم)** في منامه **(الرؤيا يحبها فإنما هي من الله تعالى فليحمد الله عليها وليتحدث بها)** وفي نسخةٍ: «وليحدث» بإسطاق الفوقية، وفي مسلمٍ حديث: «فإن رأى رؤيا حسنه فليبشر ولا يخبر إلا من يحب»، وفي حديث الترمذي من حديث أبي رُزين: «ولا يقصها إلا على وادٍّ»، وفي أخرى: «ولا يحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً» وفي أخرى: «لا تقص الرؤيا إلا على عالمٍ أو ناصح»، قيل لأن العالم يؤوِّلها على الخير مهما أمكنه، والناصح يرشد إلى ما ينفع، واللبيب العارف بتأويلها والحبيب إن عرف خيراً قاله وإن جهل أو شكَّ سكت، **(وإذا رأى غير ذلك ما يكره فإنما هي من الشَّيطان)** لأنه الذي يخيل فيها ولا حقيقة لها في نفس الأمر، أو لأنها تناسب صفته من الكذب والتهويل، أو لأنها على هواه ومراده لا أنه يفعلها إذ كلٌّ بخلق الله تعالى وتقديره. وأضيفت إلى الله إضافة تشريف وظاهره أن المضافة إلى الشيطان يقال لها رؤيا أيضاً، وقيل يقال لها حُلُم أخذاً من حديث: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» وهو تصرف شرعي وإلا فالكلُّ يسمى رؤيا كما مر **(فليستعذ بالله)** عزَّ وجلَّ **(من شرِّها)** أي الرؤيا **(ولا يذكرها لأحد)** وفي مستخرج أبي نعيم حديث: «وإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث ثلاث مرات ويتعوذ بالله من شرها» وعند البخاري في باب «الحُلُم من الشيطان»: «فليبصقْ عن يساره حين يهبّ من نومه ويتعوذ ثلاث مرات» وعنده أيضاً في «باب إذا رأى ما يكره»: «فليتعوذ بالله من شرها ومن شرّ الشيطان وليتفلْ ثلاثاً ولا يحَدِّث بها أحداً» **(فإنها لا تضره)** ومحصله أن الرؤيا الصالحة آدابها ثلاثة: حمد الله تعالى عليها، وأن يتحدث بها، وأن يكون لمن يحب دون من يكره وآداب الحلم أربعة: التعوُّذ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشيطان، والتفل حين يستيقظ من نومه، ولا يذكرها لأحدٍ أصلاً وفي حديث أبي هريرة عند البخاري في باب العقد في المنام: «وليقم فليصلِّ وليتحول عن جنبه الذي كان عليه» والحكمة في التفل كما قال بعضهم طرد الشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة، أو إشارة إلى استقذاره

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: «وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة».

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي».

---

والصلاة جامعة لما ذكر كما لا يخفى، لما فيها من البصق عند المضمضة والتعوذ قبل القراءة، وعند سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق بأسانيد صحيحه عن إبراهيم النخعي قال: «إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني فيها ما أكره في ديني ودنياي» وعند النسائي أن خالد بن الوليد كان يفزع في منامه فقال: يا رسول الله إني أروع في المنام، فقال: «إذا اضطجعت فقل: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامّات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لم يبق)** وعند أحمد: «لم يبق بعدي» وعبر بلم المفيدة لنفي الماضي والمراد الاستقبال، ولذا ورد لن يبقى بعدي **(من النبوة إلا المبشرات)** بكسر المعجمة المشددة جمع مبشرة من التبشير وهو إدخال الفرح والسرور على المبشر بفتح المعجمة، وعند أحمد من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٤]، قال: «الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له»، وعند ابن جرير من حديث أبي هريرة قال: «البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو تُرى له، وفي الآخرة الجنة» يعني أن الوحي انقطع بموته عليه الصلاة والسلام فلا يبقى بعده ما يعلم به أنه سيكون غير الرؤيا الصالحة، وقيل الماضي على ظاهره واللام في النبوة للعهد، والمراد نبوته ﷺ أي لم يبق بعد النبوة المختصة بي إلا المبشرات، وفي حديث ابن عباس عند مسلم أنه قال ذلك في مرض موته، وفي حديث أنسٍ عند أبي يعلى مرفوعاً: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا نبي ولا رسول بعدي ولكن بقيت المبشرات» **(قالوا:)** يا رسول الله **(وما المبشرات؟ قال)** ﷺ: **(الرؤيا الصالحة)** أي يراها الشخص أو تُرى له، والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب وإلا فمن الرؤية ما تكون منذرة وهي صادقة يريها الله تعالى لعبده المؤمن لطفاً به ليستعد لما يقع قبل وقوعه.

**(وعنه رضي الله عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من رآني في المنام فسيراني في اليقظة)** بفتح القاف أي يوم القيامة رؤية خاصةً في القرب منه، أو مَن رآني في المنام ولم يكن هاجر يوفقه الله تعالى للهجرة إليّ والتشرف بلقائي، ويكون الله تعالى جعل رؤيته في المنام عَلَماً على رؤيايَ في اليقظة: قاله في المصابيح. وعلى القول الأول ففيه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني».

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت له: ما

---

بشارة لرائيه أنه يموت على الإسلام وكفى بها بشارة، وذلك لأنه لا يراه في القيامة تلك الرؤيا الخاصة باعتبار القرب منه، إلا من تحققت منه الوفاة على الإسلام حقق الله لنا ولأحبابنا وللمسلمين ذلك بمنّه وكرمه آمين **(ولا يتمثل الشيطان بي)** هو كالتتميم للمعنى والتعليل للحكم أي لا يحصل للشيطان مثل صورتي ولا يتشبه بها، وكما منع الله الشيطان أن يتصور بصورته الكريمة في اليقظة كذلك منعه في المنام لئلا يشتبه الحق بالباطل، ولا فرق بين أن يراه الرائي على صورته التي وُصِف بها في اليقظة أو على خلافها على الصحيح، قال ابن العربي: رؤيته ﷺ بصفته المعلومة إدراكٌ على الحقيقة، ورؤيته على غيرها إدراك للمثال فإن الصواب أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تغيرهم الأرض ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة وإدراك الصفات إدراك للمثال، قال: وشذَّ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة في اليقظة اهـ لكن نُقِل عن جماعة من الصوفية أنهم رأوه ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك، وقد وقع لبعض إخواننا رؤيته يقظةً عليه الصلاة والسلام.

**(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: من رآني فقد رآني الحق)** أي فقد رآني الرؤية الحقة، أي أن رؤيته حَقَّة ليست أضغاث أحلام، وقال في شرح المشكاة: أي من رآني فقد رأى حقيقتي على كمالها لا شبهة ولا شك فيما رأى اهـ سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها، لكن الأولى لا تحتاج إلى تعبير وتأويل والثانية تحتاج إليه كأن يقال: إن تَغَيُّرَ صفته بسبب تغير حال الرائي **(فإن الشيطان لا يتكونني)** أي لا يتكون كوني فحذف المضاف واتصل المضاف إليه بالفعل، أي لا يتصور بصورتي بمعنى أن الله تعالى وإن مكّنه من التصور في أيّ صورةٍ أراد فإنه لم يمكنه من التصور في صورة النبي ﷺ.

**(عن أنسِ بن مالك رضي الله عنه)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ يدخل على أم حرام)** بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين **(بنت ملحان)** بكسر الميم وسكون اللام بعدها حاء مهملة، وكانت خالته ﷺ من الرضاع **(وكانت تحت عُبادة بن الصامت)** أي زوجته **(فدخل عليها)** النبي ﷺ **(يوماً فاطعمته وجعلت تُفَلِّي رأسه)** بفتح الفوقية وسكون الفاء وكسر اللام تفتش شعر رأسه تستخرج هوامه **(فنام رسول الله ﷺ)** عندها **(ثم استيقظ وهو)** أي والحال

يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الإسرة» قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله» كما قال في الأولى قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: «أنت من الأولين فركبت البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فَصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم

---

أنه **(يضحك)** فرحاً وسروراً **(قالت)** أم حرام: **(فقلت)** له: **(ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس من أمتي عُرِضوا عليَّ)** بضم العين المهملة وكسر الراء مخففة حال كونهم **(غزاة في سبيل الله عزَّ وجلَّ يركبون ثَبَج هذا البحر)** بمثلثة وموحدة مفتوحتين آخره جيم أي وسطه أو حوله **(ملوكاً)** أي كملوك **(على الأسِرَّة)** قال ابن عبد البر: في الجنة، وقال النووي: أي يركبون مراكب الملوك في الدنيا لسعة حالهم واستقامة أمرهم، ونصب ملوك بنزع الخافض كما تقرر **(أو)** قال: **(مثل الملوك)** على الأسرة شك من الراوي **(قالت)** أم حرام **(فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم دعا لها رسول الله ﷺ)** بذلك **(ثم وضعَ رأسه)** أي نام **(ثم استيقظ وهو يضحك فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: ناس)** وفي نسخةٍ أناس **(من أمتي عُرِضوا على غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى)** أي قال: ملوكاً على الأسِرَّة ولكن هؤلاء يركبون في البر **(قالت)** أم حرام **(فقلت: يا رسول الله ادع الله أي يجعلني منهم قال: أنت من الأولين)** بكسر اللام أي الذين يركبون ثبج البحر **(فرَكِبَتْ البحر في زمان)** غزوة **(معاوية بن أبي سفيان)** رضي الله تعالى عنهما في خلافة عثمان مع زوجها في أول غزوةٍ كانت إلى الروم **(فصُرِعَتْ عن دابتها حين خرجت من البحر فَهَلَكَتْ)** في الطريق لما رجعوا من الغزوة من غير مباشرة القتال، ودُفِنَت في مدينة قبرس وقبرها ظاهر زايد.

**(عن أبي هريرة رضي الله عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله عليه وسلم: إذا تقارب الزمان)** بأن يعتدل ليله ونهاره وهو وقت اعتدال الطبائع الأربع غالباً وانفتاق الأزهار وإدراك الثمار **(لم تكد رؤيا المؤمن تكذب)** وفي نسخةٍ: «لم تكد تكذبه رؤيا المؤمن» لكن التقييد بالمؤمن يعكر على تأويل الاقتراب بالأعتدال، إذ لا يختص به المؤمن، وأيضاً الاقتراب يقتضي التفاوت والاعتدال يقتضي عدمه فكيف يفسر الأول بالثاني؟ وقبل المراد باقترابه دنو قيام الساعة لما في الترمذي: «في آخر الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً» والمعنى كما قال ابن بَطَّال: إذا اقتربت الساعة وقُبِض أكثر أهل العلم ودُرِست معالم الديانة بالهرج والفتنة فكان الناس على مثل الفترة محتاجين

تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وما كان من النبوة فإنه لا يكذب».

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة ـ وهي الجحفة ـ فأوَّلت أن وباء المدينة ينقل إليها».

---

إلى مذكِّر ومجدِّد لما دُرِس من معالم الدين، عوضوا عن النبوة بالرؤيا الصالحة الصادقة التي هي جزء من أجزاء النبوة الآتية بالبشارة والنذارة، وقيل المراد بالتقارب قِصَر الأعمار بالنسبة إلى كل طبقةٍ، وقيل نقص الساعات والأيام والليالي بإسراع مرورها وذلك قرب قيام الساعة، ففي مسلم: «يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة» أي في عدم البركة، وقيل على حقيقته وقيل إن ذلك يكون من خروج المهدي عند بسط العدل وكثرة الأمن وبسط الخير والرزق فإن ذلك الزمان يُسْتَقْصَر لاستلذاذه فتتقارب أطرافه، وحينئذٍ فتصدق رؤيا المؤمن لقرب الزمان من الساعة التي هي وقت الكشف عن الأشياء **(ورؤيا المؤمن)** عطف على المرفوع السابق **(جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)** أي من علم النبوة وقوله: **(وما كان من النبوة فإنه لا يكذب)** ظاهره أنه مرفوع والراجح أنه مُدرج من كلام بعض الرواة.

**(عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: رأيت)** في المنام **(كأن امرأة سوداء ثائرة)** شعر **(الرأس)** أي منتفش من ثار الشيء إذا انتشر، وعند أحمد ثائرة الشعر والمراد شعر الرأس وزاد تفلة بفتح المثناة الفوقية وكسر الفاء بعدها لام أي كريهة الرائحة **(خرجت من المدينة)** النبوية **(حتى قامت بِمَهيعة)** بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية والعين المهملة بعدها تاء تأنيث مفتوحة ميقات أهل مصر وقوله: **(وهي الجحفة)** مدرج من كلام الراوي وفي روايةٍ أخرجت من المدينة وأسكنت بالجحفة بالبناء للمفعول، والمخرج لها هو النبي ﷺ، ونسب إليه لأنه دعا به حيث قال: «اللهم حبب إلينا المدينة وأنقل حماها إلى الجحفة» **(فأولت)** ذلك **(أن وباء المدينة نقل إليها)** أي نُقِل من المدينة إلى الجُحفَة بسبب عدوان أهلها وأذاهم للناس وكانوا يهوداً، وهذه الرؤيا كما قال المهلب: من قبيل الرؤيا المعبرة وهي ما ضرب المثل، ووجه التمثيل أنه اشتق من اسم السواد سوأداء فتأول خروجها بخروج ما جمعها اسمها، وتأول ثوران شعر رأسها أن الذي يثير الشر يخرج من المدينة، وقيل لما كانت الحمَّى مثيرة للبدن بالاقشعرار في ارتفاع الشعر عَبَّر عن حالها في النوم بارتفاع شعر رأسها، فكأنه قيل: الذي يثير الشعر ويسوء يخرج من المدينة فأصل التعبير كما قال ابن بطال: توقيف من قبل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكنَّ الوارد عنهم في ذلك وإن كان أصلاً فلا يعم جميع المَرَائي، فلا بد

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلفَ أن ينفخ فيها وليس بنافخ».

---

للحاذق في هذا الفنّ أن يستدل بحُسْنِ نظره فيرد ما لم ينص عليه إلى أصل التمثيل، ويحكم له بحكم التشبيه الصحيح فيُجعَل أصلاً يلحق به غيره كما يفعل الفقيه في فروع الفقه اهـ ولا بدَّ في المعَبِّر أن يكون فَطِناً ذكياً خبيراً بعلم الفراسة وكيفية الاستدلال بالهيئات الخلقية على الصفات الخفية حافظاً للأمور التي تختلف باختلاف أحوال الرؤيا بحسب الألفاظ المشتقة، ويأخذ باشتقاق الألفاظ كما حكي أن رجلاً رأى في منامه أنه يأكل السفرجل، فقال له المعبر: يتفق لك سفرة عظيمة لأن أول جزء من السفر جل هو السفر وآخره جل بمعنى عظم، فإن اختلف الاسم باختلاف اللغات أتى بما يناسب تلك اللغة.

(**عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: من تحلم بحُلْم**) بضم الحاء المهملة وسكون اللام أي ادعى أنه حَلُم أي رأى في منامه شيئاً وقوله (**ولَم يره**) صفة لحلم وقوله (**كُلِّف**) بضم الكاف وتشديد اللام المكسورة جواب الشرط زاد الترمذي: يوم القيامة (**أن يعقد بين شعيرتين**) تثنية شعيرة (**ولن يفعل**) أي ولن يقدر أن يفعل، وذلك أن إيصال إحداهما بالأخرى غير ممكن عادةً، وهو كناية عن استمرار التعذيب ولا دلالة فيه على جواز التكليف بما لا يطاق لأنه ليس في دار التكليف، وعند أحمد: «عُذِّب حتى يعقد بين شعيرتين وليس عاقداً» وعنده أيضاً: «من تحلم كاذباً رُفع إليه شعيرة وعُذِّب حتى يعقد بين طرفيها وليس بعاقد»، واختص الشعير بذلك دون غير لما في المنام من الشعور دون ما دلَّ عليه فحصلت المناسبة بينهما من جهة الاشتقاق، وإنما اشتد الوعيد في ذلك مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشدَّ مفسدة منه إذ قد يكون شهادة في قتلٍ أو حدٍّ لأن الكذب في المنام كذب على الله تعالى، وهو أشد من الكذب على المخلوقين، قال الله تعالى: ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ [هود: ١٨] الآية وإنما كان كذباً على الله تعالى لأن الرؤيا جزءٌ من النبوة، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى (**ومن استمع حديث قوم وهم له**) أي لمن استمع (**كارهون**) أي لا يريدون استماعة (**صُبَّ**) بضم المهملة وتشديد الموحدة (**في أذنيه**) وفي نسخةٍ أذنه بالإفراد (**الآنك**) بفتح الهمزةِ الممدودة وضم النون بعدها كاف الرصاص المذاب (**يوم القيامة**) جزاء من جنس عمله (**ومن صوَّر صورة**) حيوانية (**عُذِّبَ وكُلِّف أن ينفخ فيها**) الروح (**وليس بنافخٍ**) أي وليس بقادر على النفخ فتعذيبه مستمر لأنه نَازَعَ الخالق في قدرته.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أفرى الفرى أن يُري عينيه ما لم تر». .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يحدث أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به ثم أخذ به رجلٌ آخر فعلا به ثم أخذ به رجلٌ آخر فانقطع، ثم وُصِلَ، فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها فقال النبي ﷺ أَعْبِر قال: أما الظلة فالإسلام، وأما

---

**(عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن من)** وفي نسخةٍ إسقاط إن **(أفرى الفِرَى)** بفاء ساكنة بعد همزة مفتوحة في الأولى وكسرها في الثانية، مع القصر جمع فِرْيَة بالكسر وهي الكِذْبة العظيمة التي يعجب منها أي أعظم الكذب **(أن يُرِي)** الشخص بضم التحتية وكسر الراء **(عينيه)** بالتثنية منصوب بالياء مفعول يُرِي **(ما لم تر)** وفي نسخةٍ ما لم ترياه أي ينسب إلى عينيه إنهما رَأَيا، ثم يخبر بذلك والحال أنه لم ير شيئاً في منامه.

**(عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه كان يحدِّث أن رجلاً)** قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه **(أتى رسول الله ﷺ)** وعند مسلم عن الزهري: إن رسول الله ﷺ كان يقول فيما يقول لأصحابه: «من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها، فجاء رجل»، وفي حديث آخر عنده: «جاء رجل إلى النبي ﷺ من منصرفه من أحد **(فقال:)** يا رسول الله **(إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّة)** بضم الظاء المعجمة وتشديد اللام سحابة لأنها تُظِلُّ ما تحتها زاد بعضهم ما بين السماء والأرض **(تَنطِف)** بفتح التاء وسكون النون مع ضم الطاء المهملة وكسرها، قال في المختار: وقد نطف بضم الطاء وكسرها، وفي المصباح: نَطَف الماء ينطِف من باب قتل سال، وقال أبو زيد: نطفت القربة تنطِف وتنطُف نِطافاً قطرت اهـ أي تقطر **(السمن والعسل فأرى الناسَ يتكففون)** أي يأخذون بأكُفِّهم **(منها فالمستكثر)** أي فمنهم المستكثر في الأخذ **(و)** منهم **(المستقل)** فيه أي منهم الآخذ كثيراً والآخذ قليلاً **(وإذا سَبَبٌ)** أي حبل **(واصل من الأرض إلى السماء فأراك)** يا رسول الله **(أخذت به فعلوت)** وفي روايةٍ فأعلاك الله **(ثم أخذ به)** أي بالسبب وفي نسخةٍ: ثم أخذه **(رجل آخر فعلا به ثم أخذ به)** وفي نسخةٍ: ثم أخذه **(رجلٌ آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل)** بضم الواو وكسر الصاد المهملة **(فقال أبو بكر)** الصِدِّيق رضي الله عنه **(يا رسول الله بأبي أنت)** مفدى **(والله لتدعني)** بفتح اللام للتأكيد والعين وكسر النون المشددة أي لتتركني **(فأَعْبُرَها)** بضم الموحدة وفتح الراء وفي روايةٍ زيادة: «وكان من أعبر الناس

الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدك فيعلو به ثم يأخذ رجلٌ آخر فيعلو به ثم يأخذ رجلٌ آخر فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت وأمي أصبت أم أخطأت فقال النبي ﷺ: «أصبت بعضاً وأخطأت

---

بالرؤيا بعد رسول الله ﷺ» **(فقال رسول الله ﷺ)** له **(أعْبُر)** وفي نسخةٍ: أُعْبُرْها بالضمير المنصوب **(فقال)** أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه **(أما الظُّلَّة فالإسلام)** لأن الظلة نعمة من نعم الله تعالى على أهل الجنة، وكذلك كانت على بني إسرائيل، وكذلك كان ﷺ تظله الغمامة قبل نبوته، وكذلك الإسلام يَقي الأذى وينعم به المؤمن في الدنيا والآخرة **(وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن حلاوته تنطف)** قال تعالى في العسل: ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل: ٦٩] وفي القرآن: ﴿شفاء لما في الصدور﴾ [يونس: ٥٧] ولا ريب أن تلاوة القرآن تحلو في الأسماع كحلاوة العسل في المذاق، بل أحلى وفي السمن لذة المذاق كالالتذاذ بتلاوة القرآن **(فالمستكثر من القرآن والمستقل)** منه يعني أن حلاوته تتفاوت بكثرة تلاوته وقلتها **(وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله)** عز وجل أي يرفعك به **(ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به)** فُسِّر بالصديق رضي الله تعالى عنه لأنه يقوم بالحق بعده ﷺ في أمته **(ثم يأخذه)** وفي نسخةٍ: يأخذ به **(رجلٌ آخر)** هو عمر بن الخطاب **(فيعلو به)** ثم يأخذ وفي نسخةٍ: «يأخذ به رجلٌ آخر» هو عثمان بن عفان **(فينقطع به ثم يوصل له)** وفي نسخةٍ إسقاط له **(فيعلو به)** يعني أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه كاد ينقطع عن اللحاق بالنبي وصاحبيه بسبب ما وقع له من تلك القضايا التي أنكروها عليه، فعبَّرها بانقطاع الحبل، ثم وقعت له الشهادة فاتصل فالتحق بهم **(فأخبرني)** بكسر الموحدة وسكون الراء **(يا رسول الله بأبي أنت وأمي أصبت)** في هذا التعبير **(أم أخطأت؟ فقال النبي ﷺ أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً)** قيل خطؤه في التعبير لكونه عبَّر بحضوره ﷺ إذ كان ﷺ أحق بتعبيرها، وقيل أخطأ بمبادرته بالتعبير قبل أن يأمره به، وتُعُقِّب بأنه عليه الصلاة والسلام أذن له في ذلك وقال أعبُرها، وأجيب بأنه لم يأذن له ابتداءً بل بادر هو بالسؤال أن يأذن له في تعبيرها فأذِن له فقال: أخطأت في مبادرتك بالسؤال أن تتولى تعبيرها، لكن في إطلاق الخطأ على ذلك نظر، فالظاهر أنه أراد الخطأ في التعبير لا لكونه التمس التعبير، وقيل: خطؤه من حيث كونه أقسم ليعبرنها بحضرته ﷺ، ولو كان الخطأ في التعبير لم يقره عليه، وقيل أخطأ لكونه عبَّر السمن والعسل بالقرآن فقط وهما شيئان، وكان من حقه أن يعبرهما بالقرآن والسنة لأنها بيان الكتاب المنزل عليه ﷺ وبها تتم الأحكام كتمام اللذة بهما، وقيل: الصواب في التعبير أنَّ رسول الله ﷺ هو السبب، والسمن والعسل هما

بعضاً» قال فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال: «لا تقسم».

---

القرآن والسنة، وقيل يحتمل أن يكون السمن والعسل هما العلم والعمل، وقيل الفَهْم والحفظ فإن قيل كيف يتعرض إلى تبيين الخطأ في هذه الواقعة مع سكوته ﷺ على ذلك وامتناعه منه بعد سؤال أبي بكر له في ذلك حيث **(قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال)** ﷺ: **(لا تقسم)** فهذا يقتضي أن السكوت عن ذلك متعين، أجيب بأن الواقع من هؤلاء في التبيين مجرد احتمالات عقلية لا جزم فيها فلا تنافي سكوته ﷺ وعدم بيانه على أنه يحتمل أنه إنما سكت لأن في بيانه مَفْسَدةً للناس، قال النووي: قيل: إنما لم يُبِرَّ النبي ﷺ قسم أبي بكرٍ لأن إبرار القسم مخصوص بما إذا لم يكن هناك مفسدة ولا مشقة ظاهرة، قال: ولعلَّ المفسدة في ذلك ما علمه من انقطاع السبب بعثمان رضي الله تعالى عنه وهو قتله، وكذلك الحروب والفتن المروية فكره ذكرها خوف شيوعها، وقوله ﷺ: «لا تقسم» أي لا تكرر يمينك وإلا فهو قد أقسم أو هو لوم على ما وقع منه من القسم، أي لا ينبغي لك ذلك.

## خاتمة

ومن آداب المعَبِّر ما أخرجه عبد الرزاق عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى «إذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه فليقل خير لنا وشر لأعدائنا»، ورجاله ثقات لكن سنده منقطع وروى الطبراني والبيهقي بسندٍ ضعيف أن النبي ﷺ كان إذا صلى الصبح قال: «هل رأى أحدٌ منكم؟ فقال له: أنا يا رسول الله فقال له: خيراً تلقاه وشراً تتوقاه وخير لنا وشر لأعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك»، وينبغي أن يكون المعبر دَيِّناً حافظاً نقياً ذا عِلْم وصيانةٍ كاتماً لأسرار الناس في رؤياهم وأن يستغرق السؤال من السائل بأجمعه، وأن يرّد الجواب على قدر السؤال للشريف والوضيع، ولا يُعَبِّر عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل، ومن آداب الرائي أن يكون صادق اللهجة وأن ينام على وضوءٍ على جنبه الأيمن وأن يقرأ عنده والشمس وضحاها والليل وسورة المعوذتين ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من سَيىء الأحلام واستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام، اللهم إني أسألك رؤيا صالحةً صادقةً نافعةً حافظةً غر مُنْسِيَةٍ، اللهم أرني في منامي ما أُحِبُّ»، ومن آدابه أن لا يَقُصَّها على امرأةٍ ولا على عدوٍّ ولا على جاهلٍ.

# كتاب الفتن

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية». وفي رواية أخرى عنه قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية».

---

## كتاب الفتن

بكسر الفاء وفتح الفوقية جمع فتنة وهي المحنة والعذاب والشدة وكل مكروه آيل إليه كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة وغيرها من المكروهات، فإن كانت من الله تعالى فهي على وجه الحكمة وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله تعالى فهي مذمومة، فقد ذمَّ الإنسان بإيقاع الفتنة لقوله تعالى: ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ [البقرة: ١٩١] و ﴿إنَّ الذين فتنوا المؤمنين﴾ [البروج: ١٠] الآية.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: من كره من أميره شيئاً**) من أمر الدين (**فليصبر**) على ذلك المكروه ولا يخرج من طاعة السلطان (**فإنه من خرج من السلطان**) أي من طاعته (**شبراً**) أي قدر شبرٍ كناية عن معصية السلطان ولو بأدنى شيءٍ ثم مات (**مات مِيتةً جاهلية**) بكسر الميم كالجِلسة بيان لهيئة الموت وحالته التي يكون عليها أي كما يموت أهل الجاهلية من الضَّلال والفِرْقة وليس لهم إمام يطاع، وليس المراد أنه يموت كافراً عاصياً، وفي الحديث أن السلطان لا ينعزل بالفسق إذ عزله سبب للفتنة وإراقة الدماء وتفريق ذات البين، فالمفسدة في عَزْله أكثر منها في إبقائه (**وفي روايةٍ أخرى عنه أنه**) ﷺ (**قال: من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه**) أي الشأن (**من فارق الجماعة**) أي جماعة المسلمين وخرج عن طاعة الإمام (**شبراً**) أي ولو بأدنى شيءٍ (**فمات إلا مات مِيتة جاهلية**) أي مات على هيئةٍ كان يموت عليها أهل الجاهلية لأنهم كانوا لا يرجعون إلى طاعة أمير ولا يتبعون هَدي إمام، بل كانوا مستنكفين عن ذلك مستبدين بالأمور، وإلا زائدة كما يدل له الرواية السابقة، وقيل من للاستفهام

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قالت: دعانا النبي ﷺ فبايعناه فقال. فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء».

---

الإنكاري بمعنى النفي فكأنه قال: ما فارق أحد الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية، وقيل غير ذلك مما فيه تكلف. وفي هذا حجة على ترك الخروج على أئمة الجور ولزوم السمع والطاعة لهم، وقد أجمع الفقهاء على أن الإمام المتغلب تلزم طاعته ما أقام الجماعات والجهاد، إلا أنه إذا وقع منه كفر صريح فلا يجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر.

(**عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه**) أنه (**قال: دعانا النبي ﷺ**) ليلة العقبة (**فبايعناه**) وفي نسخةٍ: وبايعنا بفتح العين (**فقال**) ﷺ: (**فيما أخذ علينا**) أي فيما اشترط علينا: (**أن بايَعَنا**) بفتح الهمزة والعين مفسرة (**على السمع والطاعة**) له (**في منشطنا ومكرهنا**) بفتح الميم فيهما وبالمعجمة بعد النون الساكنة في الأولى وبسكون الكاف في الثاني مصدران ميميان أي في حالة نشاطنا والحال التي نكون فيها عاجزين عن العمل بما نؤمر به (**وعسرنا ويسرنا**) أي فقرنا وغنانا (**وأثرةٍ علينا**) بفتحات وبضم المهملة وسكون المثلثة أي إيثار الأمراء بحظوظهم الدنيوية واختصاصهم إياها بأنفسهم، أي وفي حال الاستئثار علينا بذلك (**وأن لا ننازع الأمر**) أي الملك (**أهله**) قال في شرح المشكاة: وهو كالبيان لما قبله لأن معنى عدم المنازعة هو الصبر على الأثرة، وزاد أحمد من طريقٍ أخرى: «وان رأيت ـ أي اعتقدت ـ أن لك في الأمر حقاً» فلا تعمل بذلك الأمر بل استمع وأطع إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة، وعند ابن حبان وأحمدٍ أيضاً: «وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك» (**إلا أن تروا**) إن قيل كان المناسب إلا أن نرى بنون المتكلم، أجيب بأن التقدير بايَعَنا قائلاً (**إلا أن تروا كفراً بواحاً**) بفتح الموحدة والواو والحاء المهملة أي ظاهراً مجهراً كما يصرح به قوله: (**عندكم من الله فيه برهان**) أي نصٌّ من قرآنٍ أو خبرٍ صريحٍ لا يحتمل التأويل.

(**عن ابن مسعود رضي الله عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**) وعند مسلم من حديث ابن مسعود مرفوعاً أيضاً: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»، وروي أيضاً من حديث أبي هريرة رفعه: «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته»،

عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقد شكى إليه ما لقي الناس من الحجاج، فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خيرٌ

---

وله أيضاً: «لا تقول الساعة على أحدٍ يقول لا إله إلا الله» فإن قلت قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة» ظاهره أنها تقوم على قوم صالحين، أجيب بحمل الغاية فيه على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مسلم ومؤمن فلا يبقى إلا الشرار، فتهجم الساعة عليهم بغتة فقوله حتى تقوم الساعة أي حتى يقرب قيامها.

(**عن أنسٍ بن مالك رضي الله عنه وقد شُكِي إليه**) بضم الشين مبنياً للمفعول أي شَكَى إليه بعضهم (**ما لقي الناس من الحجَّاج**) بن يوسف الثقفي الأمير المشهور من ظلمه وتعديه (**فقال**) أنسٍ: (**اصبروا**) عليه (**فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر**) وزن أفعل على الأصل لأنه أفعل تفضيل لكن مجيئه كذلك قليل وفي نسخةٍ: شر (**منه حتى تقوم الساعة**) أي حتى تموتوا، وعند الطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود قال: «أمسِ خيرٌ من اليوم واليوم خيرٌ من غدٍ وكذلك حتى تقوم الساعة»، وعند الإسماعيلي عن الزبير ابن عدي: «لا يأتي على الناس زمان إلا أشر من الزمان الذي كان قبله» (**سمعته من نبيكم ﷺ**) واستشكل هذا الإطلاق بأن بعض الأزمنة قد يكون فيها الشرُّ أقل من سابقه، ولو لم يكن إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير وأجيب بحمل ذلك على الأكثر الأغلب، وأن المراد تفضيل مجموع العصر، فإنَّ عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة وزمن عمر بن عبد العزيز انقرضوا والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده لحديث الصحيحين: «خير القرون قرني».

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح**) بإثبات التحتية بعد المعجمة من قوله لا يشير نفي بمعنى النهي وفي نسخةٍ بإسقاطها بلفظ النهي قال في الفتح وكلاهما جاء (**فإنه**) أي الذي يشير (**لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده**) بفتح التحتية وكسر الزاي بينهما نون ساكنة آخره عين مهملة أي يقلعه من يده فيصيب به الآخر، أو يشد يده فيصيبه، وفي نسخةٍ: ينزغ بفتح الزاي بعدها غين معجمة أي يحمله على الفساد (**فيقع**) في معصيةٍ تفضي به إلى أن يقع (**في حفرة من النار**) يوم القيامة وفيه النهي عما يفضي إلى المحذور وإن لم يكن المحذور محققاً سواء كان ذلك في جدٍّ أو هزل.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن**) بكسر الفاء

من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تَشَرَّف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأً أو معاذاً فليعذبه».

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تعربت قال لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو.

---

وفتح الفوقية بصيغة الجمع، وفي بعض الروايات بالإفراد **(القاعد فيها)** أي القاعد في زمن الفتن عنها **(خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي)** وزاد الإسماعيلي عن إبراهيم بن سعد في أوله: «النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد»، وفي حديث ابن مسعود عند أحمد وأبي داود: «النائم فيها خير من المضطجع» وهو المراد باليقظان وفيه: «والماشي خير من الراكب» والمراد من يكون مباشراً لها في الأحوال كلها يعني إن بعضهم في ذلك أشدُّ من بعض فأعلاهم الساعي فيها بحيث يكون سبباً لإثارتها ثم من يكون قائماً بأسبابها وهو الماشي، ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد، كذا قرره الداودي **(من تشرف)** بفتح الفوقية والمعجمة والراء المشددة بعدها فاء أي تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها **(تستشرفه)** بالجزم أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك يقال أشرف المريض إذا أشفى على الموت، وقال التوربشتي: أي من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها والتشرف التطلع، واستعير هنا للإصابة بشرِّها أو أريد به أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها، وقيل: إنه من استَشْرَفْتُ الشيء أي علوته يريد من انتصب لها صَرَعَتْه، وقيل: هو من المخاطرة والإشفاء على الهلاك أي من خاطر نفسه فيها أهلكته، قال الطيبي: ولعل الوجه الثالث أولى لما يظهر من معنى اللام في لها، ويدل عليه كلام الفائق وهو قوله من غالبها غلبته **(فمن وجد فيها)** وفي روايةٍ منها **(ملجأ)** بفتح الميم والجيم بينهما لام ساكنة آخره همزة أي موضعاً يلتجىء إليه من شرِّها **(أو مَعَاذاً)** بفتح الميم وبالذال المعجمة، وضبطه بعضهم بضم الميم وهو بمعنى الملجأ **(فليعذبه)** أي فليتعزل فيه ليسلم من الفتنة، وفيه التحذير من الفتن وأن شَرَّها يكون بحسب الدخول فيها والمراد جميعها، أو ما ينشأ عن الاختلاف في طلب المُلْك حيث لا يعلم المُحِقُّ من المبطل وعلى الأول فقالت طائفة بلزوم البيوت، وقال آخرون بالتحول عن بلد الفتنة أصلاً، ثم اختلفوا فمنهم من قال: إذا هجم عليه في شيء من ذلك يكف يده ولو قُتِل، ومنهم من قال: يدافع عن نفسه وماله وأهله، وهو معذور إن قَتَل أو قُتِل.

**(عن سلمة بن الأكوع)** السُّلَمي **(رضي الله)** تعالى **(عنه أنه دخل على الحجاج)** بن يوسف الثَّقفي لما وَلِيَ إمارة الحجاز بعد قتل ابن الزبير سنة أربع وسبعين **(فقال)** له: **(يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك تعربت)** بالعين المهملة والراء أي تكلفت في صيرورتك أعرابياً وأقمت في البادية، وقوله: على عقبيك بلفظ التثنية مجاز عن الإرتداد يريد أنَّك

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أنزل الله بقومٍ عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم».

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان.

---

رجعت في الهجرة التي فعلتها لوجه الله تعالى بخروجك عن المدينة فتستحق القتل، وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه بغير عذرٍ يجعلونه كالمرتد، وأخرج النسائي من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «لعن الله آكل الربا وموكله» الحديث، وفيه: «والمرتد بعد هجرته أعرابياً» قال بعضهم: وكان ذلك من جفاء الحَجَّاج حيث يخاطب هذا الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه بهذا الخطاب القبيح من غير أن يستكشف عن عذره، وقيل أراد قتله فبين الجهة التي يريد أن يجعله مستحقاً للقتل بها **(فقال)** ابن الأكوع مجيباً للحجاج **(لا)** أي لم أسكن البادية رجوعاً عن هجرتي **(ولكن)** بتشديد النون **(رسول الله ﷺ أذن لي)** في الإقامة **(في البدو)** خوفاً من الفتن وعند الإسماعيلي أنه استأذن رسول الله ﷺ في البداوة فأذِن له، وفي روايةٍ: أنه لما قُتِل عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج من المدينة إلى الربذة وتزوج هناك امرأةً وولدت له أولاداً، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليالٍ فنزل المدينة.

**(عن ابن عمر رضي الله عنهما)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أنزل الله بقوم عذاباً)** عقوبة لهم على سَيِّىءِ أعمالهم **(أصاب العذاب من كان فيهم)** ممن ليس هو على منهاجهم، ومَنْ من صيغ العموم، والمعنى إن العذاب يصيب حتى الصالحين منهم، وعند الإسماعيلي أصاب به من بين أظهرهم **(ثم بعثوا)** بضم الموحدة **(على)** حسب **(أعمالهم)** إن كانت صالحةً فعقابهم صالحةً وإلا فسيئة، فذلك العذاب طُهْرةٌ للصالحين ونقمة على الفاسق، وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «أن الله تعالى إذا أنزل سطوته بأهل نِقْمته وفيهم الصالحون قُبِضُوا معهم ثم بُعِثُوا على نياتهم وأعمالهم»، صححه ابن حبان وأخرجه البيهقي في شُعَبِه فلا يلزم من الاشتراك في الموت الاشتراك في الثواب والعقاب، بل يجازي كل أحدٍ بعمله على حسب نيته، وهذا من الحكم العدل لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازُون عليها في الآخرة، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاءٍ كان تكفيراً لما قدموه من عمل سيىءٍ كترك الأمر بالمعروف.

**(عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه)** أنه**(قال: إنما كان النفاق)** موجوداً **(على عهد رسول الله ﷺ فأما اليوم فإنما هوالكفر بعد الإيمان)** وفي روايةٍ فإنما هو الكفر أو الإيمان، قال السفاقسي: كان المنافقون على عهده ﷺ آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، وأما من جاء بعدهم فإنه وُلِد في الإسلام على فِطَرتِه فمن كفر منهم فهو مرتد اهـ ومراد حذيفة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

---

نفي حكم النفاق لا نفي الوقوع، إذ وقوعه ممكن في كل عصر وإنما اختلف الحكم لأنه ﷺ كان يتألفهم فيقبل ما أظهروه من الإسلام بخلاف الحكم بعده ﷺ.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز)** أي تنفجر من أرض الحجاز بسبب زلزلة زالت بها الأرض من مركزها فهي من داخل الأرض كالتنفس، لا من خارجها كصاعقة من السماء لأنه خلاف ظاهر الحديث **(تضيء أعناق الإبل ببصرى)** بضم الموحدة وفتح الراء مقصوراً ونصب أعناق مفعول تضيء على أنه يتعدى لواحدٍ والفاعل النار أي تجعل على أعناق الإبل ضوءاً، وبُصرى مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل، وفي كامل بن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الإبل ببصرى» وكان ابتداؤها زلزلة عظيمة يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة، وقيل ليلة الأربعاء لثالث الشهر المذكور، قال القرطبي: واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت بقُرَيظة عند قاع التنعيم بطرف الحَرَّة، تُرى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه بها شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومواذن، ويُرَى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكَّتْهُ وأذايته، ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، وانتهت النار إلى قرب المدينة وخاف أهلها منها خوفاً شديداً وشرعوا في التصدق والاستغفار من الذنوب، وكان يأتي للمدينة ببركة النبي ﷺ نسيم باردٌ، ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر، وانتهت إلى قريةٍ من قرى اليمن فأحرقتها، وقال بعض أصحابنا: لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بُصرى، وقال أبو شامة: ووردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهرت نار من المدينة انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نارٍ حتى حاذى جبل أحدٍ، وفي أخرى سال منها وادٍ يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال، يجري على وجه الأرض يخرج منها مهاد وجبال صغار، فقد ظهر أن النار المذكورة في الحديث هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره، وأما التي تحشر الناس فنارٌ أخرى، وقد تضمن الحديث في ذكر النار ثلاثة أمور: خروجها من الحجاز وسيلان وإدمنه بالنار وقد وجدوا إضاءة أعناق الإبل ببصرى وقد وجد أيضاً، فقد جاء من أَخْبَر أنه رآها من تيما وبصر على مثل ما هي من المدينة في البُعد، فلا حاجة إلى قول بعضهم إن إضاءة أعناق الإبل ببصرى محمول على المبالغة والتهويل لأمر تلك النار.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».

وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقْبَض العلم وتكثر

---

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك)** بكسر المعجمة أي يقرب **(الفرات)** النهر المشهور تاؤه مجرورة على المشهور **(أن يَحْسِر)** بفتح التحتية وسكون الحاء وكسر السين المهملتين آخره راء أي يكشف **(عن كنز من ذهبٍ فمن حضره فلا يأخذ)** مجزوم بلا الناهية **(منه شيئاً)** وإنما نهى عن ذلك لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه، وفي مسلم: «يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقبل الناس عليه فيقتل من مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو»، والأصل أن يقول أنا الذي أفوز به فعدل إلى قوله أنجو لا أنه إذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه.

**(وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان)** وقد وقع ذلك بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما **(يكون بينهما مقتلة عظيمة)** ذكر ابن أبي خيثمة أن الذي قُتِل من الفريقين سبعون ألفاً وقيل أكثر **(دعواهما واحدة)** أي دينهما واحد فالكل مسلمون يدَّعون الإسلام عند الحرب، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وفي نسخةٍ: دعوتهما أي دعوة كل منهما واحدة، فكل منهما يدعُو إلى الإسلام ويتأول أنه مُحِقٌّ، ويؤخذ منه الرد على الخوارج ومن معهم في تكفيرهم كُلاً من الطائفتين، وكان سبب تقاتلهما كما رواه الزُهري بسند جيد أنه لما بلغ معاوية غلبة علي أهلَ الجمل دعا إلى الطلب بدم عثمان فأجابه أهل الشام فسار إليه علي فالتقيا بصِفِّين، فأرسل معاوية إليه أن يدفع له قتلة عثمان لكونه ابن عمه فله المطالبة بدمه، فأتوا علياً فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ، فامتنع معاوية فاقتتل الفريقان فلما كاد أهل الشام أن يُغْلَبوا رفعوا المصاحف بمشورة عمرو بن العاص ودعوا إلى ما فيها، فآل الأمر إلى الحكمين فجرى ما جرى من اختلافهما واستبداد معاوية بملك الشام، واشتغال عليٍّ بقتل الخوارج **(و)** لا تقول الساعة **(حتى يُبْعث)** أي يظهر **(دجَّالون)** بفتح الدال المهملة والجيم المشددة جمع دجَّال صيغة مبالغة، ويجمع أيضاً على دجاجلة لكن يفوت منه معنى المبالغة، يقال دجَل فلان الحق بباطله أي غطاه، ومنه أخذ الدجَّال ودَجِله سحره، وقيل سُميَّ الدجال دجالاً لتمويهه على الناس وتلبيسه، يقال: دجَّل إذا موَّه ولبس، ويطلق على الكذاب لوجود ما ذكر فيه، ولذا قال **(كذابون)** هؤلاء الكذابون عدتهم **(قريب من ثلاثين)** وعند أبي نُعيم من حديث حذيفة: «يكون في أمتي دجَّالون

الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يُهِمَّ ربُّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي

---

كذابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة»، وأخرجه أحمد بسند جيد، وفي حديث ثوبان عند أبي داود والترمذي وصححه ابن حباره: «وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون» **(كلهم يزعم أنه رسول الله)** زاد ثوبان: «وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»، ولأحمد وأبي يعلى عن ابن عمر: «ثلاثون كذابون أو أكثر» وعند الطبراني: «لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً» وسندهما ضعيف وعلى تقدير الثبوت فيحمل على المبالغة لا التحديد، وأما رواية الثلاثين بالنسبة لرواية سبع وعشرين فعلى طريق جبر الكسر، وقد ظهر ما في هذا الحديث فلو عُدَّ من ادعى النبوة في زمنه ﷺ ممن اشتهر بذلك واتبعه جماعة لوجد هذا العدد، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ وجد ذلك، والفرق بين هؤلاء وبين الدجَّال الأكبر أنهم يدعون النبوة، وذلك يدعي الألوهية مع اشتراك الكلِّ في التمويه وادِّعاء الباطل **(و)** لا تقوم الساعة **(حتى يُقْبَضَ العلم)** بقبض العلماء وقد وقع ذلك فلم يبق إلا رسمه **(وتكثر الزلازل)** وقد كثر ذلك في البلاد الشمالية والشرقية والغربية حتى قيل إنها استمرت في بلدة من بلاد الروم التي للمسلمين ثلاثة عشر شهراً، وفي حديث مسلمة بن نفيل عند أحمد: «وبين يدي الساعة سنوات الزلازل» **(ويتقارب الزمان)** عند زمان المهدي لوقوع الأمن في الأرض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عَدْله فتستقصر مدتهم لأنهم يستقصرون مدة أيام الرَّخاء وإن طالت، ويستطيلون أيام الشدة وإن قُصُرَت، أو يتقارب أهل الزمان في الجهل فيكون كلهم جُهَّالاً، أو يعتدل الليلُ والنهار دائماً بأن تنطبق منطقة البروج على المعدل، أو يدنو قيام الساعة، أو تقصر الأيام والليالي أو يتقارب في الشر والفساد حتى لا يبقى من يقول الله الله، أو المراد بتقاربه تسارع الدُّوَل في الانقضاء والقرب إلى الانقراض فيتقارب زمنهم وتتدانى أيامهم، أو تتقارب أحواله في أهله في قلةٍ حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر لغلبة الفسق **(وتظهر الفتن)** أي تكثر وتشتهر فلا تكتم **(ويكثر الهَرْج)** بفتح الهاء وسكون الراء بعدها جيم **(وهو القتل)** وفي رواية ابن أبي شيبة قالوا: يا رسول الله وما الهَرْج؟ قال: القتل وهو تفسير باللازم وإلا فالهَرْج في اللغة العربية الاختلاط يقال: هَرَج الناس اختلطوا واختلفوا، وتفسيره بالقتل على سبيل الحقيقة إنما هو بلغة الحبشة كما قاله أبو موسى الأشعري وذلك لا ينافي استعمال العرب لها فيه مجازاً **(وحتى يكثر فيكم المال فيفيض)** بالنصب عطفاً على سابقه أي يكثر حتى يسيل **(حتى يهم)** بضم التحتية وكسر الهاء وتشديد الميم أي يحزن **(رب المال)** أي مالكه **(من)** أي الذي **(يقبل صدقته)** فرب فعول يهم والموصول فاعله **(وحتى يعرضه)** قال الطيبي: معروف على مقدر المعنى حتى يهم طلب من يقبل

يعرضه عليه لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو

---

هذه الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه **(فيقول)** وفي نسخةٍ يعرضه عليه فيقول **(الذي يعرضه عليه لا أرب)** أي لا حاجة **(لي به)** قال القرطبي: في تذكرته: هذا مما لم يقع بل يكون فيما يأتي، وقال في الفتح: التقييد بقوله: فيكم يشعر بأنه في زمن الصحابة فهو إشارة إلى ما فتح لهم من الفتوح واقتسامهم أموال الفرس والروم، وقوله فيفيض إلخ إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز أن الرجل كان لا يجد من يقبل صدقته، وسبب ذلك بسط عمر بن عبد العزيز العدل وإيصال الحقوق لأهلها حتى استغنوا، وقوله حتى يعرضه إلخ إشارة إلى ما سيقع وذلك في الوقت الذي يستغنى فيه الناس عن المال لاشتغالهم بأنفسهم كزمن الدجال، أو لفرط الأمن والعدل البالغ بحيث يستغنى كل أحد ما عنده عما عند غيره كزمن المهدي وعيسى، فيكون فيه إشارة إلى ثلاثة أحوال: الأولى كثرة المال فقط في زمن الصحابة، الثانية فيضه بحيث يكثر ويحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره ووقع ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز، الثالثة كثرته وحصول الاستغناء عنه حتى يُهَمُّ صاحب المال لكونه لا يجد من يقبل صدقته، ويزاد بأنه يعرضه على غيره ولو كان يستحق الصدقة فيأبى أخْذَه، وهذا في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام، ويحتمل أن يكون ذلك عند خروج النار واشتغال الناس بالحشر **(وحتى يتطاول الناس في البنيان)** بأن يريد ممن يبني أن يكون ارتفاع بنائه أعلى من ارتفاع بناء الآخر أو المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازديادٍ **(وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه)** أي كنت ميتاً، وذلك عند ظهور الفتن وخوف ذهاب الدين لغلبة الباطل وأهله، أو لهموم الدنيا وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، وعند مسلم عن أبي هريرة: «لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه فيقول يا ليتني كنت صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء» الحديث وعن ابن مسعود قال: «سيأتي عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت لاشتراه» وعليه قول الشاعر:

وهذا العيش ما لا خير فيه ... ألا موت يباع فأشتريه

وسبب ذلك أنه يقع البلاء والشدة وكثرة الجور ونهب الأموال حتى يكون الموت الذي هو أعظم المصائب أهون على المرأة، فيتمنى أهون المصيبتين في اعتقاده وذكر الرجل في الحديث للغالب وإلا فمثله المرأة **(وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو**

كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه،

---

**كسبت في إيمانها خيراً)** ظاهر ذلك أن مجرد الإيمان الصحيح لا يكفي بل لا بد من انضمام عمل يقترن به، وذلك أن قوله لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفساً، وقوله أو كسبت في إيمانها خيراً عطف على آمنت والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت لم ينفع الإيمان حينئذٍ نفساً غير مقدمة إيمانها قبل ظهور الآيات أو مقدمة إيمانها غير كاسبة خيراً في إيمانها، فلم يُفَرّق بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيراً وذلك يدل على أن الكافر والعاصي في الخلود سواء، حيث سوى بينهما في الآية في عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات، وأجيب عن ذلك بوجوه: منها أن معنى الآية الكريمة أنه إذا أتى بعض الآيات لا ينفع نفساً كافرةً إيمانها الذي أوقعته إذ ذاك، ولا ينفع نفساً سبق إيمانها وما كسبت فيه خيراً، فقد علق نفي الإيمان حينئذٍ بأحد وصفين، إما نفي سبق الإيمان فقط، وإما سبقه مع نفي كسب الخير، ومفهومه أنه ينفع الإيمان السابق وحده والسابق ومعه الخير، فالحكم مخصص بذلك اليوم، ومنها أن في الآية حذفاً تقديره لا ينفع نفساً إيمانها وكسبها، ثم ذكر الصفة على اللف والنشر والمعنى يوم تأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل إيمانها بعد، ولا نفساً لم تكسب خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد، فلا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وأنَّ نفع الإيمان المتقدم في عدم الخلود، وعند ابن مردويه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليالٍ من لياليكم فإذا كان كذلك يعرفها المتنفلون يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ حزبه ثم ينام ثم يقوم، فبينما هم كذلك هاج الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فتضج الناس ضجة واحدةً حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها»، قال: حينئذٍ لا ينفع نفساً إيمانها، قال ابن كثير: هذا حديثٌ غريب من هذا الوجه وليس هو في شيءٍ من الكتب الستة. **(ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما)** بغير تحتية بعد الموحدة في ثوبهما أي يتبايعانه **(فلا يتبايعانه ولا يطويانه)** وعند الحاكم من حديث عقبة ابن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل الترس فما تزال ترتفع حتى تملأ السماء، ثم ينادي منادياً أيها الناس ثلاثاً ثم يقول في الثالثة: أتى أمر الله، قال والذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب بينهما فما يطويانه»، الحديث **(ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته)** بكسر اللام وسكون القاف بعدها حاء مهملة واللقحة اللبون من النوق **(فلا يطعمه)** أي فلا يشربه **(ولتقومن الساعة وهو يليط)** بضم التحتية وكسر اللام بعدها تحتية ساكنة فطاء مهملة أي يصلح

ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها».

---

بالطين (**حوضه**) ويسد شقوقه ليملأه ويسقي منه دوابه (**فلا يسقي منه**) أي تقوم القيامة قبل أن يسقي منه (**ولتقومن الساعة وقد رفع أَكْلَتَهُ**) بضم الهمزة أي لقمته (**إلى فيه**) أي إلى فمه (**فلا يطعمها**) أي تقوم الساعة قبل أن يضع لقمته في فيه، أو قبل أن يمضغها وعند البيهقي عن أبي هريرة رفعه: «تقوم الساعة على رجلٍ أكلته في فيه يلوكها فلا يسوغها ولا يلفظها» وهذا كله إشارة إلى أن القيامة تقوم بغتة وأسرعها رفع اللقمة إلى الفم.

# كتاب الأحكام

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة».

---

## كتاب الأحكام

بفتح الهمزة جمع حكم، وهو عند الأصوليين خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلَّفين والمراد به هنا النسبة التامة في القضية والمراد النِّسَبْ التامة المعلقة بأمور خاصة غير ما تقدم.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: إسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمِل**) بضم الفوقية وكسر الميم مبنياً للمفعول (**عليكم عبدٌ حبشي**) برفع عبد نائب الفاعل وحبشي صفته، قيل معناه وإن استعمله الإمام الأعظم على القوم، لا أن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش، أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته والنهي عن شقاقه ومخالفته، وعند مسلم من حديث أم الحصين: «إسمعوا وأطيعوا ولو استُعْمِل عليكم عبد حبشي يقودكم بكتاب الله»، وفي نسخةٍ: «وإن استَعْمَل - أي الإمام - عليكم عبداً حبشياً» بالنصب على المفعولية والحبشة جيل معروف من السودان، وفي روايةٍ أنه ﷺ قال لأبي ذر: «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي» (**كأن رأسه زبيبة**) بزاي مفتوحة موحدتين بينهما تحتية ساكنة واحدة الزبيب المأكول المعروف الكائن من العنب إذا جَفَّ، وشبه رأس الحبشي بالزبيبة لتجمعها وسواد شعرها، ورأس الحبشة توصف بالصِّغر وذلك يقتضي الحقارة وبشاعة الصورة وعدم الاعتداد بها، فهو على سبيل المبالغة في الحصن على طاعتهم مع حقارتهم، وقد أجُمِعَ على أن الإمامة لا تكون في العبيد ويحتمل أن يكون سمَّاه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق، نعم لو تغلب عبد حقيقة بطريق الشوكة وجبت طاعته إخماداً للفتنة ما لم يأمر بمعصية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة».

---

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: إنكم ستحرصون)** بكسر الراء **(على الإمارة)** أي الإمامة العظمى، أو الولاية بطريق النيابة كولاية الشرطة والقضاء **(وستكون ندامة)** لمن لم يعمل فيها بما يُرضِي الله **(يوم القيامة)** وفي حديث عوف بن مالك عند البزار والطبراني بسند صحيح: «أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة» **(فنعمت المرضعة)** الولاية فإنها تَدُرُّ عليه المنافع واللذات العاجلة **(وبئست الفاطمة)** عن إنفصاله عنها بموت أو غيره، فإنها تقطع عليه تلك اللذائذ والمنافع وتبقي عليه الحسرة والتبعة، وفي نسخةٍ: «فنِعْمَ المرضعة وبئست الفاطمة» بإسقاط التاء من نعم وإلحاقها لبئس تفنناً، وإلا فالحكم فيهما واحد وهو أنه يجوز الإلحاق وتركه إذا كان فاعلهما مؤنثاً مجازي التأنيث، وقيل: النكتة في ذلك أن إرضاعها هو أحب حالتيها إلى النفس، وفِطَامها أشق الحالتين عليها فهو مبغوض لها والتأنيث أبغض حالتي الفعل والتذكير أشرف حالتيه، فجعل أشرف حالتي الفعل مع الحالة المحبوبة وأبغض حالتيه مع الحالة المبغوضة، وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الانتفاع والالتذاذ بالولاية بالارتضاع من المرأة وانقطاع ذلك عنه وانفصاله عنها بموتٍ أو غيره بالفطام، واشتق من ذلك مرضعه وفاطمة بمعنى نافعه وقاطعة للنفع، وفيه أن ما يناله الأمير من البأساء والضراء أبلغ وأشد مما يناله من النعماء والسراء، فعلى العاقل أن لا يلتذ بلذة تتبعها حسرات، وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي وقال حديث غريب أن النبي ﷺ قال: «من ولي القضاء أو جُعِل قاضياً بين الناس فقد ذُبِحَ بغير سكين»، ولا شك أن الذبح إذا كان بغير سكين كان فيه زيادة تعذيب للمذبوح بخلاف الذبح بالسكين ففيه راحة له بتعجيل إزهاق الروح، وقيل المراد بذلك هلاك دينه دون بدنه، لأن الذبح في العُرْف لا يكون إلا بالسكين، ففي عدو له ﷺ عنه إلى غيره إشارة إلى ذلك، وقيل المراد بذلك أنه ينبغي له أن يُمِيْتَ جميع دواعيه الخبيثة وشهواته الرديئة، فهو مذبوح بغير سكين بل بمجاهداتٍ نفسانية وعلى هذا فالقضاء مرغوب فيه، وعلى ما قبله فالمراد التحذير عنه بل وعلى هذا أيضاً لأنه إذا لم يكن بتلك المثابة فلا ينبغي له أن يتولى القضاء، ولذا قال بعضهم: خطر القضاء كثير وضرره عظيم لأنه قلّما يعدل القاضي بين خصمين لأن النفس مائلة إلى ما تحبه، ومن له منصب بتوقع جاهه أو يخاف سلطنته، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العُضَال وما أحسن قول أبي الفضل في هذا:

ولما أن توليت القضايا ... وفاض الجور من كفيك فيضا

ذبحت بغير سكين وإنا ... لنرجو الذبح بالسكين أيضا

عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ما من عبدٍ استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحةٍ إلا لم يجد رائحة الجنة».

وعنه أيضاً رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما من والٍ يَلي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌّ لهم إلا حرم الله عليه الجنة».

---

**(عن معقل)** بكسر القاف **(ابن يسار)** بفتح التحتية والسين المهملة المخففة المزني الصحابي **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من عبد يسترعيه)** وفي نسخةٍ: «استرعاه» **(الله رعية)** أي جعله راعياً أي حافظاً لها **(فلم يُحطها)** أي يحفظها **(بنصيحةٍ)** بفتح النون وبعد الصاد المهملة المكسورة تحتية ساكنة وبالتنوين، وفي نسخةٍ: بالنصيحة بزيادة أل وفي أخرى بنصحه بضم النون وهاء الضمير **(إلا يجد رائحة الجنة)** إذا كان مستَحلاً لذلك، أو لا يجده مع السابقين أو خرج مخرج التغليظ زاد الطبراني وعُرْفها يوجد يوم القيامة من مسيرة سبعين عاماً، واعتُرض بأن ظاهر الحديث أنه يجد لأن نفي النفي إثبات وهو عكس المقصود، وأجيب بأن إلا مقدرة أي إلا لم يجد، والخبر محذوف أي ما من عبد كذا إلا حرَّم الله عليه الجنة، وقوله: لم يجد رائحة الجنة استئناف كالمفسِّر له، أو ما ليست نافية بل شرطية أي أي عبدٍ كذا وجاز زيادة من للتأكيد في الإثبات عند بعض النحاة، وقد ثبت إلا في بعض النسخ وعليه فلا إشكال.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ)** أنه **(قال: ما من والٍ)** وعند مسلم من رواية أبي المليح: «ما من أميرٍ» **(يلي رعيته)** أي يتولى أمر رعيته **(من المسلمين فيموت)** الفاء فيه وفي فلم يحطها في الحديث السابق كاللام في قوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ [القصص: ٨] أي ليصير الأمر إلى ذلك لأنهم لم يأخذوه لهذا، فهي لام العاقبة والصيرورة كقولهم للموت ما تلد الوالدة وهي لم تلده لأن يموت ولكن المصير إلى ذلك؛ قاله الزجاج. وقال في الكشاف: هي لام كي التي معناها التعليل كقوله: جئتك لتكرمني، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز لأن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شُبِّه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام الذي هو نتيجة المجيء **(وهو)** أي والحال أنه **(غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة)** بفتح الغين المعجمة وبعد الألف شين معجمة، والحال مقيدة للفعل مقصودة بالذكر بمعنى أن الله تعالى إنما ولاَّهُ واسترعاه على عباده ليقيم لهم النصيحة لا لنفسه فيمون عليه، فلما قلب القضية استحق أن لا يجد رائحة الجنة، وقال القاضي عياض: من قلَّدَهُ الله شيئاً من أمر المسلمين واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم ثم خان فيما ائتمن عليه فلم ينصح فقد غشهم، فيُحَرِّمُ الله عليه الجنة اهـ وهذا وعيد شديد لأئمة الجور، فمن ضَيَّع من استرعاه توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، وكيف يقدر على

عن جندب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة قال: ومن يشاقِقْ يشقق الله عليه يوم القيامة» فقالوا: أوصنا فقال: «إن أول ما ينتن من الإنسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، ومن استطاع أن لا يحال بينه وبين الجنة بملء كفه من دم أهراقه فليفعل».

عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان».

---

التحلل؟ نعم يجوز أن يتفضل الله تعالى عليه فيُرضي عنه أخصامه فهو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم، وعبر هنا بقوله إلا حرَّم الله عليه الجنة، وفيما قبله بقوله: لم يجد رائحة الجنة، ولا مانع من وقوع اللفظين منه ﷺ، فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظ بعض، قال في الفتح: وهو محتمل لكنّ الظاهر أنه لفظ واحد تصرَّف فيه بعض الرواة.

**(عن جُنْدُب)** بضم الجيم والدال المهملة بينهما نون ساكنة ابن عبد الله البجلي الصحابي المشهور **(رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سمَّع سمَّع الله به يوم القيامة)** بفتح السين والميم المشددة أي من عمل للسمعة يظهر الله للناس سريرته ويملأ أسماعهم بما ينطوي عليه، وقيل: سمع الله به أي يفضحه يوم القيامة، وقيل: معنه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه، وقيل: أسمعه المكروه وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه، وقيل: من أراد أن يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه **(ومن يشاقق)** أي يضرُّ بالناس ويحملهم على ما يشقّ من الأمر أو يُدخل عليهم المشقة أو يقول فيهم أمراً قبيحاً ويكشف عن عيوبهم ومساويهم **(يَشقُقُ الله عليه)** أي يعذبه **(يوم القيامة)** جزاءً وفاقاً لعمله ويشاقق ويشقق بلفظ المضارع وفكُّ الإدغام فيهما وفي نسخةٍ: ومن يشاق بالإدغام **(فقالوا)** أي الجالسون لجندب: **(أوصنا فقال)** جندب: **(إنَّ أول ما ينتن)** بضم التحتية وسكون النون وكسر الفوقية يقال: نتن الشيء وانتن بمعنى والنتن الرائحة الكريهة **(من الإنسان)** بعد موته **(بطنه فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً)** أي حلالاً **(فليفعل، ومن استطاع أن لا يُحال)** بضم التحتية وفتح الحاء مبنياً للمفعول وفي نسخةٍ أن لا يحول **(بينه وبين الجنة بملء كفٍّ من دم)** بغير ضمير ومن بيانية، وفي نسخةٍ: «ملء كفه» بغير حرف الجر ورفع ملء على أنه فاعل بفعل محذوف دل عليه المتقدم أي يحول بينه وبين الجنة ملء كفه من دم **(أهراقه)** أي صبه بغير حقه **(فليفعل)** وهذا وإن كان ظاهره أنه موقوف فهو في حكم المرفوع لأنه لا يقال بالرأي، نعم وقع مرفوعاً عند الطبراني من طريق الأعمش بلفظ قال رسول الله ﷺ: «لا يحولنَّ بين أحدكم وبين الجنة» الحديث.

**(عن أبي بكرة)** نُفَيْع الثقفي **(رضي الله عنه)** أنه قال **(سمعت رسول الله ﷺ يقول:**

حديث حويصة ومحيصة تقدم في الجهاد وزاد هنا «إما أن يَدُوا صاحبكم وإما أن يؤذنوا بحرب».

حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة،

---

**لا يقضينَّ)** بتشديد النون تأكيداً للنهي **(حَكَمٌ)** بفتحتين أي حاكم **(بين اثنين وهو غضبان)** لأن الغضب قد يتجاوز بالحاكم إلى غير الحق، وعدّاه الفقهاء بهذا المعنى إلى كل ما يحصل به التغير للفكر كجوعٍ وشِبَعٍ مفرطين ومرضٍ مؤلم وخوفٍ مزعج وبرد مقتل وسائر ما يتعلق به القلب تعلقاً يَشْغَلَ عن استيفاء النظر، وعند البيهقي مرفوعاً بسند ضعيف: «لا يقضي الحاكم إلا وهو شبعان ريَّان» واقتصر في الحديث على ذِكر الغضب لاستيلائه على النفس وصعوبة مقاومته بخلاف غيره، ولو كان الله على الراجح ولو خالف وحكم حال الغضب صح إن صادف الحق مع الكراهة، وعن بعض الحنابلة لا يصح عملاً بظاهر النهي وهو اقتضاؤه الفساد، وفصَّل بعضهم بين أن يكون الغضب طرأ عليه بعد أن استبان له الحكم فلا يؤثر وإلا فهو محل الخلاف.

**(حديث حويصة)** بضم الحاء المهملة وفتح الواو وتشديد التحتية مكسورة بعدها صاد مهملة **(ومُحَيْصَة)** بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية المكسورة وفتح الصاد المهملة، وهما ولدا مسعود بن كعب الحارثي وهو أنَّ مُحَيْصَة ورجلاً آخر خرجا إلى خيبر ليمتارا تمراً من جَهْدٍ أصابهم فقُتِلَ ذلك الرجل فقال لليهود: أنتم والله قتلتموه قالوا: ما قتلناه والله، ثم أقبل حتى قدم على قومه وأخبرهم وأقبل هو وأخوه حويصة وأخو القتيل على النبي ﷺ وأخبروه بما وقع وقد **(تقدم في)** كتاب **(الجهاد وزاد هنا)** أنه ﷺ بعد ما أخبر **(قال: إما أن يدوا صاحبكم)** بفتح التحتية وتخفيف الدال المهملة أي إما أن يعطي اليهود دية صاحبكم **(وإما أن يؤذنوا بحرب)** ثم كتب ﷺ لليهود بالخبر الذي نقل إليه فكتبوا إليه أنهم لم يقتلوه، فقال ﷺ لأولياء القتيل: أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم أي بدله وهو الدية فقالوا: لا فقال: أتحلف لكُم يهود فقالوا: ليسوا بمسلمين، فوداه ﷺ بمائة ناقة من إبل الصدقة ودفع ثمنها من عنده أو من بيت المال المرصد للمصالح، لما في ذلك من مصلحة قطع النزاع وإصلاح ذات البين، وحكى القاضي عياض عن بعضهم تجويز صرف الزكاة في المصالح العامة، وتأول الحديث عليه **(حديث عبادة بن الصامت)** رضي الله تعالى عنه أنه قال **(بايَعْنَا)** أي عاهدنا **(النبي ﷺ)** ليلة العقبة بمنىً **(على السمع والطاعة)** له وعدَّى بايعنا بعلى لتضمنه معنى عاهدنا كما تقرر **(تقدم قريباً)** وهو في المنشط والمكره بفتح الميم فيهما أي في حال نشاطنا وفي حال عجزنا عن العمل بما نؤمر به، وقيل في وقت الكسل والمشقة في الخروج أي عاهدناه بالتزام السمع والطاعة في حالتي الشدة والرخاء، وأن لا ننازع الأمر أهله **(وزاد في هذه الرواية أن)** أي وأن **(نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا)** والشك من الراوي هل هي بالميم أو اللام **(لا**

تقدم وزاد في هذه الرواية: وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق، والنفس تمني وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه».

---

**نخاف في)** نصر دين **(الله تعالى لومة لائم)** من الناس، واللومة المرة من اللوم أي لا نخاف شيئاً قط من لوم أحد من اللوام ولومة مصدر مضاف لفاعله في المعنى وفيه وجوب السمع والطاعة للحاكم سواء حكم بما يوافق الطبع أو يخالفه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل زمان ومكان، ولا يداهِنَ فيه أحداً ولا يخافه ولا يلتفت إلى الأئمة ونحوهم.

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم)** أي ببيان أنه مكتوب على العبد وأنه لا فرار له منه وأنه يمكن صدوره من جميع الجوارح **(مما قال أبو هريرة)** وفي نسخةٍ: من قول أبي هريرة **(رضي الله)** تعالى **(عنه)** واللمم بفتح اللام المشددة والميم الأولى أي بالصغائر كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة، وأصل اللمم ما قلَّ وصَغر وقيل: أن يلم الشيء من غير أن يرتكبه يقال: ألَمَّ بكذا إذا قاربه ولم يخالطه، وقال سعيد بن المسيب: ما لمَّ على القلب أي خطر **(عن النبي ﷺ أن الله كتب)** أي قدَّر **(على ابن آدم حظه)** بالحاء المهملة والظاء المعجمة أي نصيبه مما قدر عليه **(من الزنا أدرك ذلك لا محالة)** بفتح الميم والحاء المهملة واللام المخففة أي لا حيلة له في التخلص من إدراك ما كُتِب عليه ولا بد له منه **(فزنا العين)** بالإفراد وفي نسخةٍ العينين بالتثنية **(النظر)** بشهوة **(وزنا اللسان المنطق)** بفتح الميم وفي نسخةٍ: «النطق» فيما يستلذ به من محادثة من لا يحل له، وفي حديث ابن مالك عند ابن جرير قال: «زنا العينين النظر وزنا الشفتين التقبيل وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي» **(والنفس تمنَّى)** بحذف إحدى التاءيين وفي نسخةٍ: «تتمنى» بإثباتها **(وتشتهي)** قال ابن بَّطال: سمي النظر والنطق: زناً لأنه يدعو إلى الزنا الحقيقي ولذا قال: **(والفرج يصدق ذلك)** كله أي يعمل بمقتضاه بأن يصدر منه الزنا **(أو يكذبه)** بأن لا يصدر منه ذلك لعدم تقديره على العبد وحفظ المولى له منه، وفي نسخةٍ ويكذبه بالواو ونسبة التصديق والتكذيب إلى الفرج مجاز كقوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك» وإلا فهما من صفات الخبر فالأول مطابقته للواقع، والثاني عدمها فشبه وقوع ذلك من الفرج على طبق ما صدر من الجوارح وعدم وقوعه بمطابقة الكلام وعدمها للواقع، وأيضاً فوقوع ذلك مستلزم للحكم به عادةً

عن أنسٍ رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي فدققت الباب فقال: «من ذا»؟ قلت: أنا فقال: «أنا أنا» كأنه كرهها.

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا».

---

فهو كناية، ويؤخذ من الحديث وصف اليد ونحوها بالزنا، وفي الروضة: إذا قال: «زنى يدك أو عينك أو رجلك فكناية على المذهب» أي فإن نوى به القذف حُدَّ وقال أشهب: لا يحد ولا يكون قذفاً، وقال ابن القاسم: يُحدُّ ووجه بأن الأفعال من فاعلها تضاف إلى الأيدي قال الله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فيما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] فكأنه إذا قال: زنت يدك وصف ذاته بالزنا لأنَّ الزِّنا لا يتبعض.

**(عن أنسٍ رضي الله)** تعالى **(عنه أنه مرَّ على صبيان)** قال ابن حجر: لم أقف على أسمائهم **(فسلَّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعله)** أي السلام على الصبيان تدريباً لهم على آداب الشريعة، وفيه سلوك التواضع ولين الجانب، نعم لو كان الصبي وضيئاً وخشي من السلام عليه الفتنة فلا يشرع، ولو سلَّم على صبيٍّ لم يَجِبْ عليه الرد لأنه ليس مكلفاً أو سلم على جماعةٍ فيهم صبي فردَّ دونهم لم يسقط الفرض عنهم، أو سلَّم الصبي على البالغ وجب عليه الرد وكالصبيان فيما ذكر النساء، فيسن للرجال السلام عليهن والعكس، وكذا العجوز بخلاف الشابة فيحرم السلام عليها، ومنه الكوفيون ابتداء النساء بالسلام على الرجال لأنهنَّ مُنِعنَ من الأذان والإقامة واستثنوا المحرم فجوزوا لها السلام على محرمها.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله)** تعالى **(عنهما)** أنه**(قال: أتيت النبي ﷺ)** بسبب الدين الذي كان على أبيه وهو ثلاثون وسقاً من تمرٍ لأبي الشحم اليهودي **(فدفعت الباب)** بالفاء ثم العين من الدفع وفي نسخةٍ فدققت بقافين الثانية ساكنة من الدق، وعند الإسماعيلي: فضربت ولمسلم: استأذنت **(فقال)** ﷺ: **(من ذا)** الذي يدفع الباب أو يدقه أو يضربه أو يستأذن؟ **(فقلت أنا فقال)** ﷺ: **(أنا أنا)** الثانية تأكيد لما قبلها **(كأنه كرِهَها)** أي لفظ أنا، وفي مسند أبي داود الطيالسي عن شعبة: كره ذلك بالجزم، وإنما كره ذلك لما فيه من تعظيم النفس والكناية عنها بالضمير المنافي للخشوع والتواضع، ولأنه أجابه بغير ما سأل عنه، فإنه ﷺ أراد أن يعرف عين من ضرب الباب بعد أن عرف أن ثَمَّ ضارباً، فأخبره أنه ضارب فلم يستفد منه المقصود.

**(عن ابن عمر رضي الله)** تعالى **(عنهما عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لا يقيم الرجل**

وعنه رضي الله عنهما قال: رأيت النبي ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيده هكذا.

عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى رجلان دون الآخرِ حتى تختلطوا بالناس أَجْلَ أن يُحزنه».

---

**الرجل من مجلسه)** الذي هو جالس فيه لانتظار صلاة جمعة أو غيرها **(ثم يجلس فيه)** وفي روايةٍ عند مسلم: «لا يقيمن» بلفظ النهي المؤكد بالنون، فظاهر النهي التحريم فلا يُصْرَف عنه إلا بدليل، ولفظ الحديث وإن كان عاماً لكنه مخصوص بالمجالس المباحة، أما على العموم كالمساجد ومجالس الحكام والعلم، وأما على الخصوص كمن يدعو قوماً بأعيانهم إلى منزله لوليمةٍ أو نحوها، وأما المجالس التي ليس للشخص فيها مِلْكٌ ولا إذنَ له فيها فإنه يقام ويخرج منها، وكذا إذا جلس في المجالس العامة وكان مجنوناً أو يُتَأَذَّى منه كأكل الثوم بالنسبة إلى المسجد، وإنما نُهي عن ذلك لما فيه من استنقاص المسلم المقتضي للضغائن، ولاشتراك الناس في المجالس العامة فمن سبق إلى شيءٍ منها فهو أحق به، فإذا أقامه غيره وجلس فيه كان غاصباً له والغُصْب حرام **(ولكن تفسحوا وتوسعوا)** هو عطف تفسيري، وعند ابن مردويه من رواية قُبَيْصَة عن سفيان: «ولكن ليقل افسحوا وتوسعوا»، وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه وهو ورع منه لاحتمال أن يكون الذي قام لأجله استحى منه فقام من غير طيب قلب فسدَّ الباب ليسلم من هذا.

**(وعنه رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: رأيت النبي ﷺ بفناء)** الكعبة بكسر الفاء ما امتد من جانبها من قبل بابها **(محتبياً بيده)** بالتثنية وفي نسخةٍ بيده بالإفراد **(هكذا)** بأن وضع يمينه على يساره موضع الرسغ كما صوره بعض الرواة، وفي حديث أبي داود عند البزار أنه ﷺ جلس عند الكعبة فضمَّ رجليه فأقامهما واحتبى بيديه، وفي حديث أبي سعيد عند أبي داود أنه ﷺ إذا جلس احتبى بيديه، زاد البزار: ونصب ركبتيه، والاحتباء باليد يقال له القرفصاء بضم القاف والفاء بينهما راء ساكنة وبعد الصاد المهملة ألف مهموز، وهو أن يجلس على أليتيه ويلصق فخذيه بالأرض ويحتبي بيديه فيضعهما على ساقيه، وقيل هو الاعتماد على عقبيه ومسّ أليتيه بالأرض، ويطلق الاحتباء على جمع ظهره وركبتيه بثوبه.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ إذا كنتم ثلاثةً)** بالنصب وفي حديث ابن عمر: «إذا كانوا ثلاثة» بالنصب والرفع **(فلا يتناجى)** بالياء والألف بعد الجيم بلفظ الخبر ومعناه النهي وفي نسخةٍ: يتناج بإسقاط الألف بلفظ النهي **(رجلان دون الآخر)** وفي حديث ابن عمر فلا يتناجى اثنان دون الثالث **(حتى يختلطوا بالناس)** بالفوقية قبل الخاء المعجمة الساكنة، وقيل: بالتحتية أي يختلط الثلاثة بغيرهم

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحدِّثَ بشأنهم النبي ﷺ فقال: «إن هذه النار إنما هي عدو لكن فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيتني مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتاً يكنني من المطر ويظلني من الشمس ما أعانني عليه أحد من خلق الله تعالى.

---

واحداً كان أو أكثر (**أَجْلَ**) بفتح الهمزة وسكون الجيم بعدها لام مفتوحة كذا استعملته العرب فقالوا: أجل قد فضلكم بحذف من أي من أجل (**أن يُحْزِنَهُ**) بضم التحتية وكسر الزاي وبفتح ثم ضم من أحزن وحزن، ولمسلم عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً: «إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه فإنَّ ذلك يحزنه»، والعلة في ذلك أن الواحد إذا بقي فرداً وتناجى من عداه دونه بما ظنَّ احتقارهم إياه من أن يدخلوه في نجواهم أو أنهم يريدون به غائلةً وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط وعدم إفراده من بين القوم بترك المناجاة، فلا يتناجى ثلاثة دون واحدٍ ولا عشرة كما نقل عن أشهب لأنه قد نُهي أن يُترَكَ واحد، لأن المعنى في ترك الجماعة للواحدة كترك الاثنين للواحد ومهما وجد المعنى فيه ألحق به في الحكم.

(**عن أبي موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري (**رضي الله عنه**) أنه (**قال: احترق بيت بالمدينة**) الشريفة (**على أهله**) لم يوقف على تسميتهم (**من الليل فحُدِّثَ**) بضم الحاء المهملة مبنياً للمفعول (**بشأنهم النبي ﷺ فقال: إنَّ هذه النار إنما هي عدو لكم**) أي لأنها كما قال ابن العربي: تنافي أبداننا وأموالنا منافاة العدو وإن كانت لنا بها منفعة فأطلق عليها العداوة لوجود معناها (**فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**) قال النووي: وهذا الأمر عام يدخل فيه نار لسِّراج وغيرها، وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق بسببها دخلت في الأمر وإن أُمِن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بها لانتفاء العلة التي عَلَّلَ بها ﷺ وهي خشية جر الفويسقة للفتيلة فتحرق البيت، فإذا انتفت زال المنع. وذكر بعض الطبائعيين أن الله تعالى جمع في النار الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور، وهي تفعل بكل صورة من هذه الصور خلاف ما تفعل بالأخرى، فبالحركة تغلي الأجسام وبالحرارة تسخن وباليبوسة تجفف وباللطافة تتقد وبالنور تضيء ما حولها، ومنفعة النار تختص بالإنسان دون سائر الحيوان فلا يحتاج إليها شيءٌ سواه، وليس له غنىً عنها في حالٍ من الأحوال، ولذا عظَّمَها المجوس.

(**عن ابن عمر رضي الله**) تعالى (**عنهما**) أنه (**قال: رأيتني**) أي رأيت نفسي (**مع النبي ﷺ**) أي في زمنه (**بنيت بيدي بيتاً يُكِنُّني**) بضم التحتية والنون الأولى المشددة بينهما كاف مكسورة، من أكنَّ أي يقيني (**من المطر ويظلني من الشمس ما أعانني عليه**) أي على بنائه

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

**(أحد من خلق الله عز وجل)** تأكيد لقوله بنيت بيدي ويؤخذ من ذلك ذمُّ البنيان الزائد على قدر الحاجة، ومما ورد في ذمه حديث خباب رفعه: «يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا التراب» أو قال: «البناء» وصححه الترمذي وأخرج له شاهداً عن أنسٍ بلفظ: «إلا البناء فلا خير فيه»، وفي المعجم الأوسط من حديث أبي بشر الأنصاري: «إذا أراد الله بعبدٍ سوءاً أنفق ماله في البنيان» وهو محمول على ما لم تمس الحاجة إليه دون ما تمس إليه مما لا بد منه للتوطن وما يُكِن للبرد والحر، والتطاول فيه أشد ذماً لما رواه ابن أبي الدنيا بسندٍ ضعيف: «إذا رفع الرجل بناءً فوق سبعة أذرع نودي يا فاسق إلى أين تذهب» والله أعلم.

# كتاب الدعوات

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة».

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن

---

## كتاب الدَّعَوات

بفتح الدال والعين المهملتين جمع دَعْوة بفتح أوله مصدر يراد به الدعاء يقال: دعوت الله أي سألته.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب (**عن أبي هريرة رضي الله**) تعالى (**عنه**) أنه (**قال: إن رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوةٌ مستجابة يدعو بها**) أي بهذه الدعوة على أمته مقطوع بإجابتها، وما عداها على رجاء الإجابة (**وأريد أن أختبيء**) بخاء معجمة ساكنة وفوقية مفتوحة فموحدة مكسورة فهمزة أي أدخر (**دعوتي**) المقطوع بإجابتها (**شفاعةً لأمتي**) المذنبين (**في الآخرة**) وفي حديث أنس: «لكل نبي دعوة فدعا بها فاستُجيبت، فجعلت دعوتي شافعة لأمتي يوم القيامة»، وهذا من كمال شفقته على أمته ورأفته بهم واعتنائه بالنظر في أحوالهم ومن كثرة كرمه أن آثر أمته على نفسه، ومن صحة نظره أن جعلها في الدار الباقية دون الفانية، وللمذنبين لاحتياجهم إليها دون الطائعين جزاه الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته.

(**عن شداد بن أوس**) الأنصاري (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: سيد الاستغفار**) أي أفضله والسيد اسم للرئيس المقدم الذي يعتمد عليه في الحوائج ويرجع إليه في الأمور، استعير لهذا الدعاء الذي هو جامع لمعاني التوبة كلها، والاستغفار استفعال من الغفر وهو إلباس الشيء بما يصونه من الدنس، ومنه قيل أغفر ثوبك في الوعاء فإنه أغفر للوسخ، والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب والأفضل الأكثر ثواباً عند الله، فالمراد أن المستغفر بهذا النوع من الاستغفار أكثر

تقول: اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: وما قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

---

ثواباً من المستغفر بغيره **(وهو أن تقول)** بصيغة المخاطب وفي نسخةٍ بصيغة الغائب أي العبد، وثبت في رواية أحمد والنَّسائي أن سَيِّدَ الاستغفار أن يقول العبد **(اللهم أنت)** مرة وفي نسخةٍ أنت أنت بالتكرير مرتين **(ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك)** قال في شرح المشكاة: يجوز أن تكون حالاً مؤكدة وأن تكون مقدرة أي وأنا عابدٌ لك كقوله تعالى: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ [الصافات: ١١٢] وينصره عطف قوله: **(وأنا على عهدك ووعدك)** أي ما عاهدتك عليه وواعدتك من الإيمان بك وإخلاص الطاعة لك **(ما استطعت)** من ذلك وفيه إشارة إلى الأعتراف بالعجز والقصور عما يجب لِحَقِّه تعالى، وقد يُراد بالعهد كما قال ابن بطال: العهد الذي أخذه الله تعالى على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم فأقروا له بالربوبية وأذعنوا له بالوحدانية، وبالوعد ما قال على لسان نبيه ﷺ: «أنَّ من مات لا يشرك بالله شيئاً وأدى ما افترض عليه أن يدخله الجنة»، **(وأعوذ بك من شر ما صنعت أبوء)** بضم الموحدة وسكون الواو بعدها همزة ممدودة أي أعترف **(لك بنعمتك على وأبوء بذنبي)** أي أعترف به أو أرجع بذنبي فلا أستطيع صرفه عني، وفي نسخةٍ: وأبوء لك بذنبي **(فأغفر لي)** بالفاء وفي نسخةٍ أغفر لي بإسقاط الفاء **(فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** قال في شرح المشكاة: أعترف أولاً بأنه أنعم عليه ولم يقيده ليشمل كل الإنعام ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم بأداء شكرها وعدَّه ذنباً مبالغةً في التقصير وهضم النفس اهـ قال في الفتح: ويحتمل أن يكون قوله أبوء لك بذنبي اعترافاً بوقوع الذنب مطلقاً ليصحَّ الاستغفار منه لا أنه عدَّ ما قصَّر فيه من أداء شكر النعَم ذنباً **(قال)** ﷺ: **(ومن قالها)** أي الكلمات **(من النار موقناً)** أي مخلصاً **(بها)** من قلبه مصدقاً بثوابها **(فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة)** أي الداخلين لها ابتداءً من غير دخول نار لأن الغالب أن المؤمن بحقيقتها الموقن بمضمونها لا يعصي الله تعالى متعمداً عصيانه أو أن الله تعالى يعفو عنه ببركة هذا الاستغفار **(ومن قالها من الليل وهو موقن)** أي مخلص **(بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة)** ويحتمل أن يكون هذا فيمن قالها ومات قبل أن يفعل ما يغفر له به ذنوبه، قال بعضهم: ولا يكون هذا سيد الاستغفار إلا إذا جمع شروط الاستغفار وهي صحة النية والتوجه والأدب، وقد جمع هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه حدَّث بحديثين أحدهما عن النبي ﷺ والآخر عن نفسه قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن

---

الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية والأعتراف بأنه الخالق والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعد به والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه ورغبته بالمغفرة واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة وأن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا بمعونة الله تعالى.

**(عن أبي هريرة رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)** إظهاراً للعبودية وافتقاراً لكرم الربوبية، أو تعليماً منه لأمته أو من ترك الأولى، أو قاله تواضعاً منه أو أنَّه ﷺ لما كان دائم الترقي في مقامات القُرب كان كلما ارتقى درجةً ورأى ما قبلها دونها استغفر منها، لكن قال في الفتح: إنَّ هذا مُفَرَّع على أن العدد المذكور في استغفاره كان مفرقاً بحسب تعدد الأحوال، وظاهر ألفاظ الحديث يخالف ذلك، وفي حديث أنس: «إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة» والتعبير بالسبعين قيل هو على ظاهره وقيل المراد التكثير. والعرب تضع السبع والسبعين والسبعمائة موضع الكثرة، والأكثر في الحديث منهم يحتمل أن يفسر بحديث أبي هريرة لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وعند مسلم: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله كل يوم مائة مرة» والغين المذكور قيل هو من رؤية الأغيار وهو كمالٌ في حقه ﷺ كما أن ستر العين بالجفن كمالٌ لها وصيانة من الغبار الذي يثيره الهواء، وإن كانت صورته صورة نقصان من حيث هو إسبال وتغطية على ما من شأنه أن يكون بادياً مكشوفاً حتى يحصل إدراك المحسوسات المقصود من خلق العين، لكن لو كانت الحدقة دامة الإنكشاف لتضررت من الغبار الذي يثيره الهواء، وكذا بصيرته ﷺ لم تزل متعرضة لأن تصدأ بالأغبرة الثائرة من أنفاس الأغيار، فأسبل عليها الغين ستراً لها وصقالاً عن تلك الأغبرة فهو وإن كانت صورته نقصاً فمعناه كمال وصقال حقيقة؛ هكذا ذكره بعض الصوفية. والأولى ما قيل إنه غين أنوار لا غين أغيار، وإنه كلما ارتقى لمقام رأى أن ما كان فيه نقصاً فيستغفر الله منه.

**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله)** تعالى **(عنه أنه حدَّث بحديثين أحدهما عن النبي ﷺ)** فيكون مرفوعاً **(والآخر عن نفسه)** فيكون موقوفاً **(قال)** وهو الحديث الموقوف **(إن المؤمن يرى ذنوبه)** مفعول يرى الثاني محذوف أي كالجبال بدليل قوله في الآخر

يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا، ثم قال لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً وبه مهلكته ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال: ارجع إلى مكاني فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده».

---

كذباب مرَّ أو هو قوله: **(كأنه قاعد تحت جبلٍ يخاف أن يقع عليه)** لقوَّة إيمانه وشدة خوفه فلا يأمن من العقوبة بسبب ذنوبه والمؤمن دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخاف من صغير عمله **(وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب)** بالمعجمة الطير المعروف **(مرَّ على أنفه)** فلا يبالي به لإعتقاده عدم حصول ضرر بسببه **(فقال به)** أي بالذباب **(هكذا)** أي نحَّاه بيده أو دفعه وهو من إطلاق القول على الفعل، فالفاجر لقِلَّة عمله يقل خوفه فيستهين بالمعصية، ودلَّ التمثيل الأول على عامة الخوف والاحتراز من الذنوب، والثاني على نهاية قِلَّة المبالاة والاحتفال بها والتعبير بالذباب لكونه أخف الطير وأحقره، ولأنه يدفع بالأقل وبالأنف للمبالغة في اعتقاده خِفَّة الذنب عنده، لأن الذباب قَلَّما ينزل على الأنف وإنما يقصد غالباً العين وباليد تأكيداً للخفة **(ثم قال)** ابن مسعود: **(قال)** رسول الله ﷺ: وهذا هو الحديث المرفوع **(لَلّه)** بلام التأكيد المفتوحة **(أفرح)** أي أرضى **(بتوبة عبده)** وأقبل لها، والفرح المتعارف في نعوت بني آدم غير جائز على الله تعالى لأنه اهتزاز وطرب يجده الشخص في نفسه عند ظفره بغرض يستكمل به نقصانه أو يسد به خلله أو يدفع به عن نفسه ضرراً أو نقصاً، والله تعالى هو الكامل بذاته الغني بوجوده الذي لا يلحقه نقص ولا قصور، وفي ذلك المذهبان المشهوران فالسلف أثبتوا له تعالى فرحاً لكن لا نعلم حقيقته ونزهوه تعالى عن صفات المخلوقين، والخلف أوَّلُوه بأنه مَجَازٌ عن رضاه الذي هو سببٌ للفرح، أو عن ثمرته الحاصلة عنه فإنَّ من فَرِح بشيء جاد لفاعله بما سأل وبذل بما طلب فعبر عن إعطائه تعالى وواسع كرمه بالفرح **(من رجل نزل منزلاً)** بكسر الزاي في الثاني **(وبه)** أي بالمنزل وفي روايةٍ: «بِدَوِيَّة» بموحدة مكسورة فدال مهملة مفتوحة وواو مكسورة فتحتية مفتوحة مشددة فهاء تأنيث أي مقفرة **(مهلكة)** بفتح الميم واللام يهلك ساكنها أو من حصل فيها، وفي بعض النسخ بضم الميم وكسر اللام أي تُهلك هي من حصل بها، وفي مسلم: «في أرض دويةٍ مهلكة» **(ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ)** من نَومه **(وقد ذهبت راحلته)** فخرج في طلبها **(حتى إذا اشتد)** وفي نسخةٍ حتى اشتد **(عليه الحر والعطش أو ما شاء الله)** عزَّ وجلَّ شك من الراوي وفي روايةٍ: «حتى إذا أدركه الموت» **(قال: أرجع إلى مكاني)** بقطع الهمزة الذي كنت فيه فأنام **(فرجع)** إليه **(فنام نومةً ثم رفع رأسه)** بعد أن استيقظ **(فإذا راحلته عنده)** عليها زاد طعامه وشرابه، كذا في روايةٍ عند مسلم، وعنده أيضاً عن أنس:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده وقال: «باسمك اللّهم أموت وأحيا وإذا قام قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور».

---

«فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فليس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظِلّها فنام، فبينما هو كذلك إذا هي قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»، وفيه كما قال القاضي عِياض إن مثل هذا إذا صدر في حال الدهشة والذهول لا يؤاخذ به الإنسان، وكذا حكايته عنه على وجه العلم أو الفائدة الشرعية لا على سبيل الهزء والعبث.

**(عن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان ﷺ إذا أخذ مضجعه)** بفتح الجيم **(من الليل)** صفة لأخذ على طريق الاستعارة، لأن لكل أحد حظاً منه وهو السكون والنوم، فكأنه يأخذ منه حظَّهَ ونصيبه، قال الله تعالى: ﴿جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ [يونس: ٦٧] فالمضجع على هذا يكون مصدراً **(وضع يده)** أي اليمنى كما عند أحمد **(تحت خده)** الأيمن ويقال: اليمنى على تأنيث الخد لغة فيه وأنكرها بعضهم **(ثم يقول: اللهم باسمك)** بوصل الهمزة أي بذكر اسمك **(أحيا)** بفتح الهمزة **(وأموت)** أي بذلك اسمك أحيا ما حييت وعليه أموت، أو باسمك المحيي أحيا وباسمك المميت أموت، إذ معاني الأسماء الحسنى ثابتةٌ له تعالى فكلما ظهر في الوجود فهو صادر عن تلك المقتضيات **(وإذا قام)** من النوم **(قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا)** قال ابن الأثير: سُمِّيَ النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً اهـ قال الله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢] أي يسلب ما هي به حية حساسة درَّاكة، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ [الزمر: ٤٢] أي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها أي ويتوفاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون، كما أن الموتى كذلك وقيل: يتوفاها في منامها هي أنفس التمييز لا أنفس الحياة لأن نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ولكل إنسان نفسان نفس الحياة التي تفارقه عند الموت والأخرى نفس التمييز التي تفارقه إذا نام، وعن ابن عباس: «في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك، فإذا نام الإنسان قَبض الله نفسه ولم يقبض روحه»، **(وإليه)** تعالى **(النشور)** أي الإحياء بعد الإماتة يوم القيامة، وإنما حَمِد الله تعالى على الانتباه من النوم، لأن انتفاع الإنسان بالحياة إنما هو بتحري رضا الله تعالى وتوخي طاعته، والاجتناب عن سخطه وعقابه فمن نام زال عنه هذا الانتفاع ولم يأخذ نصيب حياته، وكان كالميت فكان قوله الحمد لله شكر النيل هذه النعمة وزوال ذلك المانع؛ قاله في شرح المشكاة.

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال: «اللَّهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت».

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند ميمومة وذكر الحديث وقد تقدم، قال: وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً».

---

**(عن البراء)** بن عازب **(رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: كان النبي ﷺ إذا أوى)** بقصر الهمزة **(إلى فراشه)** أي دخل فيه **(نام على شِقِّه)** بكسر الشين المعجمة **(الأيمن، ثم قال: اللهم أسلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت)** قال رسول الله ﷺ: «من قالهنَّ ثم مات تحت ليلته مات على الفطرة أي دين الإسلام».

**(عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: بِتُّ عند ميمونة)** بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين خالة ابن عباس رضي الله تعالى عنهم **(وذكر الحديث وقد تقدم)** وهو أنه ﷺ قام وقضى حاجته ثم توضأ وصلى فقام ابن عباس عن يساره فأخذ بأذنه فأداره عن يمينه فتكاملت صلاته ثلاث عشرة ركعة وكان يدعو في صلاته **(قال)** ابن عباس **(وكان من دعاء النبي ﷺ اللهم اجعل في قلبي نوراً)** يكشف لي الأسرار **(وفي بصري نوراً)** يكشف لي المبصرات **(وفي سمعي نوراً)** مظهراً للمسموعات. **(وعن يميني نوراً وعن شمالي)** وفي نسخةٍ يساري **(نوراً)** وخص القلب والبصر والسمع بفي الظرفية لأن القلب مقر الفكر في آلاء الله تعالى، والبصر مسارح آيات الله تعالى والأسماع مراسي أنوار وحي الله تعالى ومحط آياته المنزلة، وخص اليمين والشمال بعن إيذاناً بتجاوز الأنوار عن قلبه وسمعه وبصره إلى من عن يمينه وشماله من أتباعه قاله الطيبي **(وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً)** ثم أجمل ما فصله بقوله: **(وأجعل لي نوراً)** توكيداً لذلك وفي روايةٍ: «وهب لي نوراً على نورٍ» وفي بعض الطرق ذكر «عَصَبي ولحمي ودمي وشَعْري وبشري وشحمي وعظمي» وقد سأل ﷺ النور في أعضائه وجهاته ليزداد في أفعاله وتصرفاته ومتقلباته نوراً على نور، فهو دعاء بدوام ذلك فإنه كان حاصلاً له لا محالة أو هو تعليم لأمته، وقال شيخنا: أكمل الدين أما النور الذي عن يمينه فهو المؤيد له والمعين على ما يطلبه، والنور الذي بين يديه والذي عن يساره نوراً لوقاية، والذي خلفه فهو النور الذي يسعى بين يدي من يقتدي به ويتبعه فهو لهم من بين أيديهم وهو له ﷺ من خلفه،

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعك جنب وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.

---

فيتبعونه على بصيرة كما أن المتبع على بصيرة قال الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن أتبعني﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأما النور الذي فوقه فهو تنزل نور إلهي قدسي بعلم غريبٍ لم يتقدمه خبر ولا يعطيه نظر، وهو الذي يعطي من العلم بالله تعالى ما ترده الأدلة العقلية إذا لم يكن لها إيمان فإن كان لها إيمان نوراني قبلته بتأويل للجمع بين الأمرين، وقوله وأجعل لي نوراً يجوز أنه ﷺ أراد نوراً عظيماً جامعاً للأنوار كلها، يعني التي ذكرها هنا والتي لم يذكرها كأنوار الأسماء الإلهية وأنوار الأرواح وغير ذلك، وتحقيق هذا المقام يقتضي بسطاً يخرج عن غرض الاختصار اهـ وفي مسلم: «فدعا ﷺ بتسع عشرة كلمة حدثنيها كُرَيب فحفظت منها عشرة ونسيت منها ما بقي»، فذكر ما في الحديث المذكور هنا وزاد فيه: «وفي لساني نوراً» بعد قوله: «في قلبي»، وقال في آخره: «وأجعل لي في نفسي نوراً وأعظم لي نوراً» وعند الترمذي: «اللهم أجعل لي نوراً في قبري» ثم ذكر القلب ثم الجهات الست والسمع والبصر ثم الشعر والبشر ثم اللحم والدم ثم العظام ثم قال في آخره: «اللهم أعظم لي نوراً وأعطني نوراً وأجعلني نوراً.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: قال النبي ﷺ: إذا أوى**) بقصر الهمزة (**أحدكم إلى فراشه**) أي أتى إليه لينام عليه (**فلينفضه**) بضم الفاء قبل أن يدخل إليه (**بداخلة إزاره**) أي بطرفه الذي يلي جسده، وحكمة ذلك لعله لسرٍّ طبِّي يمنع قرب بعض الحيوانات استأثر الشارع بعلمه، وقال البيضاوي: وإنما أمر بالنفض بها لأن المتحول إلى فراشه يحل بيمينه خارجة إزاره وتبقى الداخلة معلقة فينفض بها، وقال الكرماني: ولينفض ويده مستورة بطرف إزاره لئلا يحصل في يده مكروه إن كان شيء هناك (**فإنه لا يدري ما خلفه**) بفتح الخاء المعجمة واللام (**عليه**) من المؤذيات كعقرب أو حية أو المستقذرات (**ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه**) أي بك أستعين على وضع جنبي ورفعه فالياء للاستعانة (**إن أمسكت نفسي**) أي توفيتها (**فأرحمها وإن أرسلتها**) أي رددتها (**فأحفظها بما تحفظ بها عبادك الصالحين**) وفي نسخةٍ بما تحفظ به الصالحين وعند النسائي وصححه ابن حبان من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم أنت خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك موتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فأغفر لها».

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولنَّ أحدكم اللَّهم اغفر لي إن شئت، اللَّهم ارحمني أن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مُكرِه له».

وعنه رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي».

---

(**وعنه رضي الله**) تعالى (**عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولنَّ أحدكم اللهم أغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت**) وفي نسخةٍ إسقاط إن شئت الأولى، وفي روايةٍ زيادة: «اللهم ارزقني إن شئت» لأن هذا التعليق صورته صورة الاستغناء عن المطلوب والمطلوب منه، وهل النهي للتحريم أو التنزيه؟ خلاف، وحمله النووي على الثاني (**ليعزم المسئلة**) أي فيقطع بالسؤال ولا يقول إن شئت كالمستثني فلو قال ذلك للتبرك لا للاستثناء لم يكره (**فإنه لا مُكْرِهَ له**) تعالى بكسر الراء فينبغي الاجتهاد في الدعاء وأن يكون الداعي على رجاء الإجابة، فلا يقنط من رحمة الله تعالى فإنه يدعو كريماً ويَلِحُّ فيه ولا يستثني بل يدعو دعاء البائس الفقير، وفي الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة وأعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلبِ غافلٍ لاهٍ أي ادعوه معتقدين وقوع الإجابة راجين لها أو كونوا حال الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة وذلك بإتيان المعروف واجتناب المنكر وغير ذلك من مراعاة آداب الدعاء حتى تكون الإجابة على القلب أغلب من الرد.

(**وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: يستجاب**) أي يجاب (**لأحدكم**) أي يجاب دعاء كل واحد منكم إذ المفرد المضاف يفيد العموم على الأصح (**ما لم يعجل**) بفتح التحتية والجيم بينهما عين مهملة ساكنة (**يقول**) بيان لقوله: ما لم يعجل وفي نسخةٍ: فيقول بالفاء والنصب (**دعوت فلم يُستَجَبْ لي**) بضم التحتية وفتح الجيم وعند مسلم والترمذي عن أبي هريرة: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رَحِم وما لم يستعجل»، قيل: وما الاستعجال؟ قال: «يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أرَ يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»، وقوله فيستحسر بمهملات من حسر إذا أعيا وتعب، وتكرار دعوت للاستمرار أي دعوت مراراً كثيرةً قال المظهري: من كان له ملالة عند الدعاء لا يقبل دعاؤه لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل، فلا ينبغي للمؤمن أن يَمَلَّ من العبادة، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها فإنَّ لكل شيءٍ وقتاً وإما لأنه لم يُقَدَّر في الأزل قبول دعائه في الدنيا ليعطي عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليَلِحَّ ويبالغ في ذلك، فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار، ومن يُكْثِر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يُكْثِر الدعاء يوشك أن يستجاب له، وللدعاء آداب منها تقديم الوضوء والصلاة والتوبة

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: عند الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

---

والإخلاص واستقبال القبلة وافتتاحه بالحمد والثناء والصلاة على النبي ﷺ، وأن يختم الدعاء بالطابع وهو آمين وأن لا يخص نفسه بالدعاء بل يعمم ليدرج دعاءه وطلبه في تضاعيف دعاء الموحدين، ويخلط حاجته بحاجتهم لعلها أن تقبل ببركتهم وتجاب، وأصل هذا كله ورأسه اتقاء الشبهات فضلاً عن الحرام، وفي حديث مالك بن يسار مرفوعاً: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم» رواه أبو داود ومن عادة من يطلب من غيره أن يمد كفه إليه فالداعي يبسط كفه إلى الله تعالى متواضع متخشعاً، وحِكْمة مسح الوجه بهما التفاؤل بإصابة ما طلب وتبركاً بإيصاله إلى وجهه الذي هو أعلى الأعضاء وأغلاها، فمنه يسري إلى سائر الأعضاء.

(**عن ابن عباسٍ رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند حلول الكَرْب**) بفتح الكاف وسكون الراء بعدها موحدة، وهو ما يدهم الشخص فيأخذ بنفسه فيغمه ويحزنه، ولمسلم عن أبي العالية: كان إذا حَزَبه أمر، وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة هجم عليه أو غلبه، وله عن قتادة: كان يدعو بهن ويقولهنَّ عند الكرب: (**لا إله إلا الله العظيم**) المطلق البالغ أقصى مراتب العظمة الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة (**الحليم**) الذي لا يستفزه غضب ولا يحمله غيظ على استعجال العقوبة والمسارعة إلى الانتقام (**لا إله إلا الله رب العرش العظيم**) بالجر صفة للعرش ووصف بذلك لأنه أعظم الأجسام، وخلقها الله تعالى مِظَلَّة لأهل السماء وقبلةً للدعاء، وضبط بالرفع وبه قرأ ابن محيصن آخر التوبة نعتاً للربِّ قال بعضهم: وهو أولى من جَعْلِه نعتاً للعرش (**لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**) وصف بالكرم لأن الرحمة تنزل منه أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، وقُرِىء في آية المؤمنين بالرفع صفة للرب تعالى كما مر، وقد صدر هذا الثناء بالعظمة المستلزمة لكمال القدرة والحلم المستلزم لكمال الرحمة، وذكر الربّ المناسب لكشف الكُرب لأنه مقتض للتربية ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة للعالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها، فإذا عَلِم القلب ذلك أوجب له محبته وإجلاله فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرب والهم والغم، فإذا قابلت بين ضيق الكرب وسِعَة هذه الأوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة لتفريج هذا الضيق، وخروج القلب منه إلى سعة البهجة والسرور، وإنما تَحْصُل هذه الأمور لمن أشرقت فيه أنوارها وباشر قلبه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. قال سفيان وهو أحد رواة هذا الحديث الحديث ثلاث زدت أنا واحدةً لا أدري أيتهن هي.

وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة».

---

حقائقها فإن قيل هذا ذكر لادعاء، أجيب بأنه ذكر يستفتح به الدعاء بكشف كربه، وعن سفيان بن عيينة: «أما علمت أن الله تعالى قال: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، ومن دعوات الكروب ما رواه أبو داود وصححه ابن حبان عن أبي بكرة رفعه: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طَرْفَة عين، وأصلِحْ لي شأني كله لا إله إلا أنت»، ومنها: «الله الله ربي لا أشرك به شيئاً» رواه أصحاب السنن إلا الترمذي من حديث أسماء بنت عميس.

**(عن أبي هريرة رضي الله)** تعالى **(عنه)** أنه **(قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ)** تعبداً أو تواضعاً أو تعليماً لأمته **(من جَهْدِ البلاء)** بفتح الموحدة مع المد ويجوز الكسر مع القصر وهي الحالة التي يمتحن بها الإنسان، وتشق عليه بحيث يتمنى فيها الموت ويختاره عليها، وعن ابن عمر جَهْد البلاء قلة المال وكثرة العيال **(و)** من **(درك الشقاء)** بفتح الدال والراء المهملتين وقد تسكن الراء اللحاق والوصول إلى الشيء، والشقاء بالشين المعجمة والقاف الهلاك ويطلق على السبب الموصل إلى الهلاك **(و)** من **(سوء القضاء)** ما يسوء الإنسان ويوقعه في المكروه، وهنا السوء منصرف إلى المقضي دون القضاء، وهو كما قال النووي شامل للسوء في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل، وقد يكون في الخاتمة نسأل الله تعالى حسنها **(و)** من **(شماتة الأعداء)** وهي فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه **(قال سفيان: وهو أحد رواة هذا الحديث الحديث)** مذكور **(فيه ثلاث زدت أنا واحدة)** من قبل نفسي **(لا أدري أيتهن هي)** وقد أخرج الإسماعيلي الحديث من طريق ابن عمر عن سفيان فبين فيه أن الخصلة المزيدة هي شماتة الأعداء، ولعل سفيان كان إذ حدَّث ميَّزها ثم طال الأمر فطرأ عليه النسيان فحفظ بعض من سمع تعيينها منه قبل أن يطرأ عليه النسيان، ثم كان بعد أن خفي عليه تعيينها يذكر كونها مزيدة مع إبهامها.

**(وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: اللهم فأيما مؤمن سببته)** الفاء في جواب شرط يدل عليه السياق أي إن كنت سببت مؤمناً وفي مسلم: «اللهم إني اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه، فأيما مؤمن سببته أو لعنته أو جلدته»، وفي أخرى: «فأيما مؤمن آذيته شتمته لعنته جلدته» وفي رواية: «اللهم إنما أنا محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهداً» الحديث، وفيه: «فأيما مؤمن آذيته» وفي

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يأمر بهؤلاء الكلمات: «اللّهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنه الدنيا ـ يعني فتنة الدجال ـ وأعوذ بك من عذاب القبر».

---

حديث عائشة قالت: دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيءٍ لا أدري ما هو فأغضباه فسبهما ولعنهما، فلما خرجا قلت له: فقال: «أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو شتمته أو سببته» **(فاجعل ذلك)** السب أو غيره مما ذكر **(له قربة)** تقربه بها **(إليك يوم القيامة)** وفي روايةٍ: «فاجعل ذلك كفّارة له يوم القيامة»، وفي أخرى: «فاجعلها له زكاة ورحمة»، وفي أخرى: «فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة» وفي حديث عائشة: «فاجعلها له زكاةً وأجراً» وفي حديث أنس عند مسلم: «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحدٍ دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاةً وقربةً تقربه بها يوم القيامة» وقوله: «ليس لها بأهل» أي عندك في باطن أمره لا في ظاهره مما يظهر منه حين دعائي عليه لأنه ﷺ كان متعبداً بالظواهر، وحساب الناس في البواطن إلى الله تعالى وفي الحديث كمال شفقته على أمته وجميل خلقه ﷺ وجزاه الله عنهم أفضل الجزاء.

**(عن سعد بن أبي وقاص رضي الله)** تعالى **(عنه أن رسول الله ﷺ كان يأمر بهؤلاء الكلمات)** الخمس وهي **(اللهم إني أعوذ بك من البخل)** ضد الكرم قال الواحدي البخل في كلام العرب عبارة عن منع الإحسان وفى الشرع منع الواجب وورد: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»، وورد أيضاً: «إذا مات البخيل قالت الأرض: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما في يده من الدنيا»، وأعوذ لفظه لفظ الخبر ومعناه الطلب لأنه دعاء، وعبَّر بلفظ الخبر للدلالة على تحقق الطلب كما قيل في غفر الله لك، والباء في بك للاستعانة أي أتحصن من البخل مستعيناً بك أي بمعونتك، وقيل: للإلصاق وهو إلصاقٌ معنوي لأنه لا يلتصق شيءٌ بالله ولا بصفاته، لكنه إلصاق تخصيص كأنه خصَّ الربَّ بالاستعاذة، قال الإمام فخر الدين: جاء الحمد لله والله الحمد وتقديم المعمول يفيد الحصر عند طائفة فما الحكمة في أنه جاء أعوذ بالله ولم يسمع بالله أعوذ؟ لأن القصد بالإتيان بلفظ الاستعاذة امتثال الأمر. وقال بعضهم: تقديم المعمول في الكلام تفنن وانبساط والاستعاذة قربٌ من الله وتذلل فقبض عنان الانبساط، والتفنن فيه لائق لأنه لا يكون إلا حالة خوف وقبض، والحمد حالة شكر وتذكر إحسان ونِعَم **(وأعوذ بك من الجبن)** ضد الشجاعة وهي فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل **(وأعوذ بك أن أُرَدَّ)** بضم الهمزة وفتح الراء والدال المهملة المشددة **(إلى أرذل العمر)** أي

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقراء وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللَّهم اغسل عن خطاياي بماء الثلج والبرد وَنَقِّ قلبي من الخطايا كما

---

أخسه يعني الهرم والخرف **(وأعوذ بك من فتنة الدنيا)** أي الفتنة الواقعة فيها التي ليس هناك فتنة أعظم منها، ثم بَيَّنَها بعض الرواة بقوله **(يعني)** عليه الصلاة والسلام بفتنة الدنيا **(فتنة الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر)** الواقع على الكُفَّار، ومن شاء الله تعالى من عصاة الموحدين أعاذنا الله تعالى من كل مكروه.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ كان يقول)** تعليماً لأمته أو عبوديةً منه **(اللهم إني أعوذ بك من الكسل)** وهو التثاقل والفور والتواني عن الأمر مع القدرة على عمله إيثاراً لراحة البدن على التعب **(و)** من **(الهرم)** وهو الزيادة في كبر السن المؤدي إلى ضعف الأعضاء **(والمأثم)** بفتح الميم والمثلثة بينهما همزة ساكنة ما يوجب الإثم **(والمغرم)** بفتح الميم والراء بينهما غين معجمة ساكنة أي الدَّين فيما لا يجوز أو فيما يجوز ثم عَجِزَ عنه، قال بعضهم: ما دخل الدَّين قلباً إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه **(ومن فتنة القبر)** سؤال منكر ونكير، والمراد من شر ذلك وإلا فأصل السؤال واقعٌ لا محالة فلا يُدعى برفعه فيكون عذاب القبر مسبباً عن ذلك والسبب غير المسبب **(وعذاب القبر)** وهو ما يترتب بعد فتنته على المجرمين فالأول كالمقدمة للثاني وعلامة عليه **(ومن فتنة النار)** وهي سؤال الخزنة على سبيل التوبيخ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كلما أُلقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير﴾ [الملك: ٨] **(وعذاب النار)** بعد فتنتها **(ومن شر فتنة الغنى)** كالبطر والطغيان وعدم تأدية الزكاة **(وأعوذ بك من فتنة الفقر)** كان يحمله الفقر على اكتساب الحرام أو التلفظ بكلمات مؤدية إلى الكفر، وإنما ذكر لفظ الشر في الغنى ولم يذكره في الفقر ونحوه لأن مضرته أكثر من مضرة غيره، أو تغليظاً على الأغنياء حتى لا يغتروا بغناهم ولا يغفلوا عن مفاسدة، أو إيماء إلى أن صورة أخواته لا خير فيها بخلاف صورته فإنها قد تكون خيراً في رواية إثبات لفظ شر في الموضعين، وفي أخرى حذفه فيهما، ولا بدَّ من تقديره حال حذفه لأن كلاً منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد بالاستعاذة منه بالشر يُخرج ما فيه من الخير سواء قلَّ أم كثر **(وأعوذ بك من فتنة المسيح)** بفتح الميم وكسر السين آخره حاء مهملتين لأن إحدى عينيه ممسوحة أو لأنه يمسح الأرض أي يقطعها في أيام معلومة فهو بمعنى مفعول أو فاعل **(الدَّجَّال)** بتشديد الجيم أي الأعور الكذَّاب **(اللهم أغسل عني خطاياي)** جمع خطيئة **(بماء الثلج)** بالمثلثة **(والبَرَد)** بفتح الموحدة والراء حبُّ الغمام، وفي روايةٍ: «بالماء والثلج والبرد» قال التوربشتي:

نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب».

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللَّهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار».

---

ذكر أنواع المطهرات المنزلة من السماء التي لا يمكن حصول الطهارة الكاملة إلا بأحدها تبياناً لأنواع المغفرة التي لا يخلص من الذنوب إلا بها، أي طهِّرني من الخطايا بأنواع مغفرتك التي هي في تمحيص الذنوب بمثابة هذه الأنواع الثلاثة في إزالة الأرجاس والأوصاب ورفع الجنابة والأحداث اهـ وقيل: الماء مستعار للغفران والثلج والبرد للرحمة وذكرهما بعد الماء لشمول أنواع الرحمة بعد المغفرة لإطفاء حرارة عذاب النار التي هي في غاية الحرارة، لأن عذاب النار يقابله الرحمة أي اغسل خطاياي بالماء أي أغفرها وزد على الغفران شمول الرحمة **(ونقِّ)** بفتح النون وتشديد القاف **(قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس)** أي الوسخ ونقيت بفتح المثناة الفوقية، وهي تأكيد للسابق ومجاز عن إزالة الذنوب ومحو أثرها **(وباعد)** أي بَعِّد **(بيني وبين خطاياي كما باعدت)** أي كتبعيدك **(بين المشرق والمغرب)** أي حُلْ بيني وبينها حتى لا يبقى لها مني اقتراب بالكلية.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ ربنا آتنا)** وفي نسخةٍ: اللهم ربنا آتنا **(في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة)** الجار في قوله في الدنيا يتعلق بآياتنا، أو بمحذوف على أنه حال من حسنة لأنه كان في الأصل صفة لها، فلما قدم عليها انتصب حالاً وفي كلامه العطف على معمولي عامل واحد وهو جائز اتفاقاً، واختلف في الحسنتين فعن الحسن العلم والعبادة في الدنيا، أو الرزق الطيب والعلم النافع وفي الآخرة الجنة، وعن قتادة: العافية في الدنيا والآخرة، وعن محمد بن كعب القرطبي: الزوجة الصالحة من الحسنات، وعن عطية: حسنة الدنيا العلم والعمل به وحسنة الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة، وعن عوفٍ قال: من آتاه الله الإسلام والقرآن والأهل والمال والولد فقد آتاه الله في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً، وقيل الحسنة في الدنيا الصِّحَّة والأمن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الأعداء، وفي الآخرة الفوز بالثواب والخلاص من العقاب. ومنشأ الخلاف أنه لو قيل آتنا في الدنيا الحسنة وفي الآخرة الحسنة لكان متناولاً لجميع الحسنات بناءً على أن المفرد المعرَّف يعم فعدل عن ذلك إلى التنكير المراد منه حسنة واحدة، فلذلك اختلف فيها المفسرون فكل واحدٍ حمل اللفظ على ما رآه أحسن أنواع الحسنة **(وقنا)** أصله أو قنا فلما حُذفت فاؤه استغنى عن همزة الوصل فحذفت **(عذاب النار)** أي احفظنا من عذاب جهنم، أو عذاب النار المرأة السوء.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللَّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللَّهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

عن أبي أيوب الأنصاري وابن مسعود رضي الله عنهما قالا في هذا الحديث: عن النبي ﷺ: «من قال عشراً كان كمن أعتق رقبةً من ولد إسماعيل».

---

**(عن أبي هريرة رضي الله)** تعالى **(عنه أن النبي ﷺ قال: من قال لا إله)** موجود أو ممكن على الخلاف المشهور في ذلك **(إلا الله)** وقوله **(وحده لا شريك له)** تأكيد للحصر المستفادة مما قبله **(له الملك)** بضم الميم **(وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير)** والأحوال كلها من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، أو كل واحد حال من ضمير ما قبله بناءً على منع تعدد الحال، فيكون لا شريك له حالاً من ضمير وحده المؤول بمشتق، وله الملك حالاً من الضمير المجرور في له، وما بعد ذلك معطوفاً **(في يوم مائة مرة كانت له عدل)** بفتح العين المهملة أي مثل ثواب اعتاق **(عشر رقاب)** بسكون الشين المعجمة **(وكتبت)** بالتأنيث وفي نسخةٍ وكتب **(له)** بالقول المذكور **(مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزاً)** بكسر الحاء المهملة أي حصناً **(من الشيطان يومه ذلك)** بنصب يوم على الظرفية **(حتى يُمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء)** وفي روايةٍ مما جاء به **(إلا رجل عمل أكثر منه)** الاستثناء منقطع أي لكل رجل عمل أكثر مما عمل فإنه يزيد عليه، أو متصل بتأويل.

**(عن أبي أيوب)** خالد بن زيد **(الأنصاري)** الخزرجي **(وعبد الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنهما)** أنهما **(قالا في هذا الحديث عن النبي ﷺ: من قال عشراً)** أي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير **(كان كمن أعتق رقبةً من ولد إسماعيل)** صفة رقبة أي حصل له من الثواب كثواب من اشترى ولداً من أولاد إسماعيل عليه السلام وأعتقه، وإنما خصّه به لأنه أشرف الناس، وعند مسلم: «كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» وعند أحمد والطبراني: قال أبو أيوب لما قدم النبي ﷺ المدينة نزل عليَّ فقال: «يا أبا أيوب ألا أعلمك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: ما من عبد يقول إذا أصبح ـ وفي روايةٍ: إذا صلى الصبح ـ لا إله إلا الله إلخ إلا كُتِب الله له

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت».

---

بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات وإلا كان له عند الله عدل عشر رقاب محرَّرين، وإلا كان في جُنَّةٍ من الشيطان حتى يُمسي، ولا قالها حين يمسي إلا كان كذلك»، وفي روايةٍ: وإذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك، قال الحافظ ابن حجر: واختلاف هذه الروايات في عدد الرقاب مع اتحاد المخرج يقتضي الترجيح بينها فالأكثر على ذكر أربعة، ويجمع بينه وبين حديث أبي هريرة بذكر عشرة لقولها مائة فيكون مقابل كل عشر مائة رقبة من قبل المضاعفة، فيكون لكل مرة بالمضاعفة رقبة وهي مع ذلك لمطلق الرقاب، ومع كون وصف الرقبة من ولد إسماعيل يكون مقابل العشرة من غيرهم أربعة منهم لأنهم أشرف من غيرهم من العرب فضلاً عن العجم، وأما ذكر رقبة بالإفراد في حديث أبي أيوب فشاذ والمحفوظ أربع اهـ.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قال سبحان الله وبحمده)** الواو للحال أي سبَّحت الله تسبيحاً متلبساً بحمدي له من أجل توفيقه أياي للتسبيح **(في يوم مائة مرة)** متفرقةً بعضها أول النهار وبعضها آخره أو متوالية وهو أفضل خصوصاً في أوله **(حطَّت)** عنه **(خطاياه)** التي بينه وبين الله **(وإن كانت مثل زبد البحر)** بفتحتين أي رغاويه وقيل ماؤه، وهذا وأمثاله نحو ما طلعت عليه الشمس كنايات عُبِّر بها عن الكثرة، وقد يشعر هذا بأن التسبيح أفضل من التهليل من حيث أنَّ عدد زبد البحر أضعاف أضعاف المائة المذكورة في مقابلة التهليل، وأجيب بأن ما جعل في مقابلة التهليل من عتق الرقاب يزيد على فضل التسبيح وتكفير الخطايا، إذ ورد أن من أعتق رقبةً أعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار فحصل بهذا العتق تكفير جميع الخطايا مع زيادة مائة درجة، ويؤيده حديث: «أفضل الذكر التهليل» وأنه أفضل ما قاله هو والنبيون من قبله ولأن التهليل صريح في التوحيد والتسبيح متضمن له، فمنطوق سبحان الله تنزيه ومفهومه توحيد ولا إله إلا الله بالعكس، فيكون أفضل من التسبيح لأن التوحيد أصل والتنزيه ينشأ عنه.

**(عن أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: مثل)** بفتح الميم والمثلثة أي شبه **(الذي يذكر ربه)** تعالى بأي نوع من أنواع الذِّكر، ومنه قراءة القرآن والحديث ومدارسة العلم، والمنقول أنه يؤجر على الذكر باللسان وإن لم يستحضر معناه، نعم يشترط أن لا يقصد به غير معناه والأكمل موافقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو

---

القلب للسان والأكمل منه استحضار معنى الذكر مع النطق لما اشتمل عليه من تعظيم المذكور ونفي النقائص عنه تعالى **(والذي لا يذكر)** أي ربه كما روي كذلك **(مثل الحي والميت)** فكما أن الحيَّ يتزين ظاهره بنور الحياة وإشراقها فيه، وبالتصرف التام فيما يريده وباطنه بنور العلم والفهم والإدراك، كذلك الذاكر مُزَيَّنٌ ظاهره بنور العمل والطاعة وباطنه بنور العلم والمعرفة، فقلبه مستقر في حظيرة القدس وسرُّه في مخدع الوصل وغير الذاكر عاطلٌ ظاهره وباطل باطنه، قاله في شرح المشكاة. وعند مسلم: «مَثَل البيت الذي يُذْكَر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»، فلعل البخاري رواه بالمعنى فإن الذي يوصف بالحياة والموت حقيقةً هو الساكن لا المسكن فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله عز وجل ملائكة)** وعند مسلم: «سيارة فُضْلاً» بضم الفاء وسكون الضاد جمع فاضل كنزل ونازل، وقيل بفتح الفاء وسكون الضاد أي زيادة على الحفظة وغيرهم من المترتبين مع الخلائق ولا وظيفة لهم إلا حِلَقُ الذِّكر **(يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر)** وعند مسلم: «يتبعون مجالس الذكر» **(فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا)** أي تعالوا **(إلى حاجتكم قال: فيحفونهم)** بفتح التحتية وضم الحاء المهملة أي يطوفون ويدورون حولهم **(بأجنحتهم إلى السماء الدنيا)** وفي نسخةٍ: إلى سماء الدنيا والباء في بأجنحتهم للتعدية يعني يديرون أجنحتهم حول الذاكرين، وقيل للاستعانة كما في كتبت بالقلم لأن حفَّهم الذي ينتهي إلى السماء إنما يستقيم بواسطة الأجنحة **(قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم)** أي بالذاكرين وفي نسخةٍ منهم أي أعلم من الملائكة بحال الذاكرين والجملة حالية أو معترضة أتى بها تتميماً صيانةً عن التوهم، وفائدة السؤال مع العلم بالمسؤول التعريض بالملائكة، وبقولهم في بني آدم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ [البقرة: ٣٠] الآية **(ما يقول عبادي؟ قال: يقولون)** أي الملائكة وفي نسخةٍ: قال: تقول: **(يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك)** أي يقولون: سبحان الله والله أكبر والحمد لله **(ويمجدونك)** بالجيم وفي روايةٍ: ويهللونك وفي حديث البزار عن أنسٍ: «يُعظِّمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألونك» **(قال)** ﷺ: **(فيقول)** الله تعالى: **(هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك قال: فيقول)** الله تعالى: **(كيف)** وفي

رأوني؟ قال يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً أو أكثر لك تسبيحاً قال: فيقول فما يسألونني؟ قالوا: يسألونك الجنة قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبةً قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول، وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله ما رأوها قال: يقول فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافةً قال فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال: يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم».

---

نسخةٍ: وكيف (**لو رأوني؟ فيقولون لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة وأشدَّ لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً**) وفي نسخةٍ زيادة: «وأشد لك ذكراً» (**قال: فيقول: فما يسألوني؟**) وفي نسخةٍ: يقول: ما يسألوني؟ بإسقاط الفاء (**قال: يسألونك الجنة، قال: يقول:**) الله تعالى: (**وهل رأوها؟ قال: يقولون لا والله يا رب ما رأوها، قال يقول**) وفي نسخةٍ فيقول: (**كيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبةً، قال: يقول**) الله تعالى: (**فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار قال: يقول**) الله تعالى: (**وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب**) وفي نسخةٍ إسقاطها (**ما رأوها، قال يقول**) الله تعالى (**فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب**) وفي نسخةٍ إسقاطها (**ما رأوها، قال: يقول**) الله تعالى: (**فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافةً قال: يقول**) الله تعالى: (**أشهدكم أني قد غفرت لهم**) زاد في روايةٍ: «وأعطيتهم ما سألوا» (**قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة**) وفي روايةٍ: قال يقولون: يا رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم، قال: وله قد غفرت أي قد غفرت لهم وله (**قال**) الله تعالى: (**هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم**) وفي نسخةٍ إسقاط بهم يعني أن مُجالستهم مؤثرة في الجليس، وفي مسلم: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» وتعريف الخبر يدل على الكمال أي هم القول الكاملون فيما هم فيه من السعادة، فيكون قوله: لا يشقى بهم جليسهم استئنافاً لبيان الموجب وفي هذه العبارة مبالغةٌ في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل يسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود، وفي هذا الحديث تقريع للملائكة وتنبيه على أن تسبيح الآدميين وتقديسهم أعلى وأشرف من تقديسهم وتحميدهم لحصوله مع عدم المشاهدة ووجود المانع والصوارف بخلافه بالنسبة للملائكة.

# كتاب الرقاق

عن ابن عباس رضي الله عنه تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ.

---

## كتاب الرقاق

بكسر الراء بالقافين بينهما ألف جمع رقيق وهو الذي فيه رِقَّة وهي الرحمة ضد الغِلْظَة أي كتاب الكلمات المرقِّقَات للقلوب، ويقال للكثير الحياء رَقَّ وجهه أي استحيا، وقال الراغب الرِّقَّة في الجسم ضِدُّها الصفاقة كثوب صفيق وثوب رقيق، وفي النفس ضدها القسوة كرقيق القلب وقاسيه، وعبر جماعة منهم النسائي في سننه الكبرى بقولهم كتاب الرقائق، وكذا في نسخةٍ: معتمدة من البخاري والمعنى واحد، وسميت أحاديث الباب بذلك لما فيها من الوعظ والتنبيه الذي يجعل القلب رقيقاً ويحدث فيه الرقة.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديم البسملة على الكتاب (**عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: نعمتان**) تثنية نعمة وهي الحسنة، وقال الإمام فخر الدين: المنفعة المفعولة على وجه الإحسان الغير وزاد الدارمي من نعم الله (**مغبون فيهما**) أي في النعمتين (**كثير من الناس**) رفع بالابتداء وخبره مغبون مقدماً، والجملة خبر نعمتان وهما (**الصحة**) في البدن (**والفراغ**) من الشواغل بالمعاش المانع له عن العبادة والغبن بفتح المعجمة وسكون الموحدة النقص في البيع، وبتحريكها في الرأي أي ضعيف الرأي فكأنه قال: هذان الأمران إذا لم يستعملا فيما ينبغي فقد غُبِن صاحبهما فيهما أي باعهما ببخس لا تحمد عاقبته أو ليس له في ذلك رأي البتة، وقد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً للعبادة لاشتغاله بالمعاش وبالعكس، فإذا اجتمع الصحة والفراغ وقصَّر في نيل الفضائل فذاك الغبن كل الغبن، لأن الدنيا سوق الأرباح ومزرعة الآخرة وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة مولاه فهو المغبوط ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشُّغْل، والصحة يعقبها السقم ولو لم يكن إلا الهرم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

عن عبد الله رضي الله عنه قال؛ خط النبي ﷺ خطاً مربعاً وخط خطاً في

---

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي)** بكسر الكاف والموحدة وتخفيف التحتية وضبطه بعضهم بتشديدها بلفظ التثنية **(فقال: كن في الدنيا كأنك غريب)** قدم بلداً لا مسكن له فيها يأوي إليه خالٍ من الأهل والعيال، ثم ترقّى عن تشبيهه بذلك فقال **(أو عابر سبيل)** لأن الغريب قد يسكن في القرية ويقيم فيها بخلاف عابر السبيل القاصد للبلد البعيد وبينه وبينها مفاوز مهلكة، فإنه لا يقيم في الطريق ومن ثم عقبه ابن عمر بقوله: **(وكان ابن عمر)** رضي الله تعالى عنهما **(يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء)** أي سر دائماً ولا تُقَصِّر في السير ساعةً، فإنك إن قصَّرت فيه انقطعت عن المقصود وهلكت في تلك المفاوز **(وخذ من)** زمن **(صحتك لمرضك)** وعند أحمد والترمذي: «لسقمك» أي سر سيرك القصد في حال صحتك بل لا تقنع به وزد عليه بقدر قوتك ما دامت فيك قوة بحيث يكون ما بك من تلك الزيادة قائماً مقام ما لعله يفوت حال المرض والضعف، أو اشتغل في الصحة بالطاعة بحيث لو حصل تقصير في المرض لانجبر بذلك **(ومن حياتك لموتك)** أي خذ نصيب الموت وما يحصل فيه من عدم العمل في السِّقَم يعني لا تقعد في المرض عن السير كل القعود، بل ما أمكنك منه فاجتهد فيه حتى تنتهي إلى لقاء الله تعالى وما عنده من الفلاح وإلا خِبْتَ وخسرت، وعند أحمد فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً أي هل يقال لك شقي أم سعيد، أو هل يقال لك حي أو ميت، وفي حديث ابن عباس عند الحاكم أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك» فالعاقل إذا أمسى لا ينتظر الصباح وإذا أصبح لا ينتظر المساء، بل يظن أن أجله يدركه قبل ذلك فيعمل ما يبقى نفعه بعد موته ويبادر أيام صحته بالعمل الصالح فإن المرض قد يطرأ فيمنع من العمل، فيخشى على من فرّط في ذلك أن يصل إلى المعاد بغير زاد، فمن لم ينتهز الفرصة يندم وما أحسن قول من قال:

| | |
|---|---|
| إذا هبت رياحك فاغتنمها | فإن لكل خافقة سكون |
| ولا تغفل عن الإحسان فيها | فما تدري السكون متى يكون |
| إذا ظفرت يداك فلا تُقَصِّر | فإن الدهر عادته يخون |

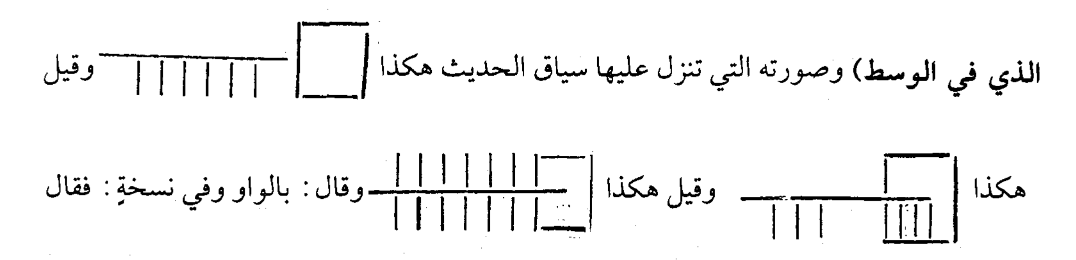
**(عن عبد الله)** بن مسعود **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خطَّ النبيُ ﷺ خطّاً مربعاً)**

الوسط خارجاً منه وخط خُططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا».

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: «هذا الإنسان وهذا أجله فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب».

---

مستوي الزوايا **(وخط خطاً في الوسط خارجاً منه)** أي من الخط المربع **(وخطَّ خططاً)** بضم الخاء وتكسر وبضم الطاء الأولى وتفتح **(صغاراً إلى)** جانب **(هذا)** الخط **(الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط)** وصورته التي تنزل عليها سياق الحديث هكذا



وقيل هكذا ... وقيل هكذا ... وقال: بالواو وفي نسخةٍ: فقال بالفاء **(هذا الإنسان)** مبتدأ أو خبر أي هذا الخط هو الإنسان على سبيل التمثيل **(وهذا أجله محيط به)** إشارة إلى المربع **(أو)** قال ﷺ: **(قد أحاط به)** بالشك من الراوي **(وهذا)** الخط المستطيل المنفرد **(الذي هو خارج)** من وسط المربع **(أمله وهذه الخطط)** بضم الخاء والطاء الأولى وفي نسخةٍ: الخطوط **(الصغار)** الشطبات التي في الخط الخارج من وسط المربع من أسفله أو من أسفله وأعلاه **(الأعراض)** بالعين المهملة والضاد المعجمة أي الآفات العارضة له كمرض أو فقد مال أو غيرهما، والمراد بالخطوط المثال لا عدد مخصوص معين **(فإن أخطأه)** أي فإن تجاوز عنه **(هذا)** العرض وسلم منه وفي نسخةٍ هذه بالتأنيث **(نهشه)** بالشين المعجمة أي أصابه وأخذه **(هذا وإن أخطأه هذا)** العرض **(نهشه)** أي أخذه **(هذا)** العرض الآخر وهو الموت فمن لم يمت بالسبب مات بالأجل، والحاصل أن الإنسان يتعاطى الأمل ويختلجه الأجل دون الأمل، وفي نسخةٍ: إسقاط الهاء من لفظ أخطأه في الموضعين وعبر بالنهش وهو لدغ ذوات السم مبالغة في الاحتراز.

**(عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: خط النبي ﷺ خطوطاً فقال: هذا الأمل)** الذي يأمله الإنسان **(وهذا أجله)** والخط الآخر الإنسان، وفي نسخةٍ: «هذا الإنسان وهذا أجله فيكون الخط الآخر هو الأمل والخطوط الأخر الآفات التي تعرض له **(فبينما)** بالميم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعت».

وعنه رضي الله عنه قال؛ قيل لعمر: ألا تستخلف؟ قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خيرٌ مني رسول الله ﷺ.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش».

---

**(هو كذلك)** أي طالبٌ لأمله البعيد **(إذ جاءه)** الخط الأوسط **(الأقرب)** وهو الأجل المحيط إذ لا شك أن الخط المحيط هو أقرب من الخط الخارج منه، وعند البيهقي في الزهد خط خطوطاً وخط خطاً ناحيته ثم قال: هل تدرون ما هذا؟ هذا مثل ابن آدم ومثل التمني وذلك الخط الأمل بينما يؤمل إذ جاءه الموت»، وعند الترمذي بلفظ: «هذا ابن آدم وهذا أجله ـ ووضع يده عند قفاه ثم بسطها ـ وقال: وثَمَّ أمله» أي أن أجله أقرب إليه من أمله.

**(عن أبي هريرة)**[1] صوابه عن ابن عمر **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: كنا إذا بايعنا)** بسكون العين المهملة **(رسول الله ﷺ على السمع)** للأوامر والنواهي **(والطاعة)** للأمير **(يقول)** لنا **(فيما استطعتم)** بلفظ الجمع وفي نسخةٍ: فيما استطعت بالإفراد أي يقول للمبايع منا ذلك، وهذا من رحمته بهم وشفقته عليهم جزاه الله تعالى عنهم أحسن الجزاء.

**(وعنه)** ظاهره عن أبي هريرة وليس كذلك كما مر بل الضمير لابن عمر **(رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال قيل لعمر)** لما أصيب **(ألا)** بالتخفيف **(تستخلف)** خليفة بعدك على الناس **(قال: إن أستخلف فقد أستخلف من هو خيرٌ مني أبو بكر)** أي حيث استخلفه **(وإن أترك)** أي الاستخلاف **(فقد ترك)** التصريح بالتعيين فيه **(من هو خيرٌ مني رسول الله ﷺ)** فأخذ عمر رضي الله تعالى عنه وسطاً من الأمرين فلم يترك التعيين بمرة ولا فعله منصوصاً فيه على الشخص المستخلف، وجعل الأمر في ذلك شوري بين من قُطِع لهم بالجنة وأبقى النظر للمسلمين في تعيين من اتفق عليه رأي الجماعة الذين جعلت الشورى فيهم، فأثنوا عليه خيراً فقال: «راغب وراهب ـ أي راغب فيما عند الله تعالى وراهب من عقابه ـ وددت أني نجوت منها كفافاً لا لي ولا علي لا أتحملها حياً وميتاً».

**(عن جابر بن سَمُرة)** بفتح المهملة وضم الميم **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: سمعت النبي ﷺ يقول: يكون اثنا عشر أميراً)** وعند مسلم لا يزال أمر الناس ماضياً ما

---

(١) الذي بالهامش غير ما كتب عليه اهـ مصححه.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

وليهم اثنا عشر رجلاً **(فقال)** عليه الصلاة والسلام: **(كلمة أم أسمعها فقال أبي)** سمرة: **(إنه قال: كلهم من قريش)** وفي روايةٍ: فسألت أبي ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: «كلهم من قريش»، وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال جابر فكبَّر الناس وضجوا، ولعل هذا هو سبب خفاء الكلمة المذكورة عليه وفيه ذكر الصفة التي تختص بولايتهم، وهي كون الإسلام عزيزاً، وعند أبي داود لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون منكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة، فيحتمل أن يكون المراد أن الاثني عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الولاية والإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، كما في رواية أبي داود: «كلهم تجتمع عليه الأمة» وهذا قد وجد فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية، فاستأصلوا أمرهم وتغيرت الأحوال عما كانت عليه تغيراً بَيِّناً، وهذا العدد موجود صحيح إذا اعتبر، وقيل يكونون في زمن واحد كلهم يدَّعي الإمارة تفترق الناس عليهم وقد وقع في المائة الخامسة في الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخليفة، معهم صاحب مصر والعباسي ببغداد إلى من كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج، ويحتمل أن يكون الاثنا عشر خليفة بعد الزمن النبوي فإن جميع من وَلِيَ الخلافة من الصديق إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تَطُل مدتهما وهما معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشر نفساً على الولاء كما أخبر ﷺ، وكانت وفاة عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، وتغيرت الأحوال بعده وانقضى القرن الأول ولا يقدح في ذلك قوله في الحديث الآخر: «يجتمع عليه الناس» لأنه يحمل على الأكثر الأغلب لأن هذه الصفة لم تفقد منهم إلا في الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير مع صحة ولايتهما، والحكم بأن من خالفهما لم يثبت استحقاقه إلا بعد تسليم الحسن وقتل ابن الزبير، وكانت الأمور في غالب أزمنة هؤلاء الإثني عشر منتظمة وإن وجد في بعض مدَّتهم خلاف ذلك فهو بالنسبة إلى الإستقامة نادرٍ هذا. وفي كلام المصنف هنا تقديم وتأخير مخالف لترتيب الأصل، ولعل ذلك وقع من بعض النُسَّاخ بأن تقدم بعض الأوراق على بعض لأمر ما فنسخه كما وجده والله أعلم.

# كتاب التمني

عن أنس رضي الله عنه قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ: «يقول لا تتمنوا الموت لتمنيت».

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم

---

## كتاب التمني

تَفَعُّلْ من الأمنية والجمع أماني وهو طلب ما لا طمع فيه نحو قوله:

ليت الشباب يعود يوماً

فإنَّ عوده مستحيل عادة، أو ما فيه عُسر نحو قول منقطع الرجاء من المال: ليت لي مالاً فاحج منه، فإن حصول المال له ممكن ولكن فيه عسر، ويمتنع ليت غداً يجيء فإن غداً واجب المجيء، وأما الترجي فهو يوقع الأمر المحبوب نحو لعل الحبيب قادم، والإشفاق أي الخوف من المكروه نحو: ﴿فلعلك باخعٌ نفسك﴾ [الكهف: ٦] أي قاتلها والمعنى أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك، والحاصل أنَّ التمني يكون في الممتنع والممكن لا في الواجب، والترجي لا يكون إلا في الممكن، وأما قول فرعون ﴿لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] فجهل منه أو إفك.

## بسم الله الرحمن الرحيم

وفي نسخةٍ تقديمها على الكتاب **(عن أنس رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: لولا أني سمعت النبي ﷺ يقول: لا تتمنوا)** بفوقيتين وفي نسخةٍ: حذف إحداهما بلفظ الماضي **(الموت لتمنيت)** أي الموت وإنما نُهي عن تمني الموت لما فيه من المفسدة وهي طلب إزالة الحياة وما يترتب عليها من الفوائد ولأن الله تعالى قدر الآجال، فمتمني الموت غير راضٍ بقضاء الله تعالى وقدره، لكن إن خاف على دينه الوقوع في الفتنة جاز بلا كراهة.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: لا يتمنين)** لا ناهية في نسخةٍ: «لا يتمنى» وهو نهي ورد في صورة النفي للتأكيد **(أحدكم الموت)** وفي روايةٍ من

الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب».

---

ضرٌ أصابه ثم علَّل ذلك بقوله (**إما محسناً**) أي لأنه إما أن يكون محسناً (**فلعله يزداد**) خيراً (**وإما**) أن يكون (**مسيئاً فلعله يستعتب**) أي يطلب العتبى أي الرضى عنه، فمحسناً ومسيئاً خبران لكان المحذوفة مع اسمها، ويحتمل أنهما حالان من فاعل يتمنى وهو أحدكم، وأتى بعد كل حال بما ينبه على علة النهي عن تمني الموت والأصل لا يتمنى أحدكم الموت حال كونه محسناً أو مسيئاً أي سواء كان على حالة الإحسان أو الإساءة، أما إن كان محسناً فلا يتمنى الموت لعله يزداد إحساناً على إحسانه فيضاعف ثوابه، وأما إن كان مسيئاً فلا يتمنى أيضاً له أن يندم على إساءته ويطلب الرضى عنه فيكون ذلك سبباً لمحو سيآته التي اقترفها. وفي الحديث التصريح بكراهة تمني الموت لضرٍّ نزل به من فاقة أو محنةٍ بعدو ونحو ذلك من مشاق الدنيا أما إذا خاف فتنةً في دينه فلا كراهة كما مر والله أعلم.

# كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»

عن جابر بن عبد الله رضي الله. عنهما قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ

---

## كتاب الاعتصام

هو افتعال من العصمة وهي المنعة، والعاصم المانع والاعتصام الاستمساك بالشيء، فالمعنى هنا الاستمساك **(بالكتاب)** أي القرآن **(والسنَّة)** وهي أقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته وهمه، والمراد امتثال قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ [آل عمران: ١٠٣] والحبل في الأصل هو السبب وكلّما وصلك إلى شيءٍ فهو حبل، وأصله في الأجرام واستعماله في المعاني مجاز، والمراد به هنا القرآن لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الطويل هو حبل الله المتين.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: كل أمتي)** أي أمة الإجابة **(يدخلون الجنة إلا من أبى)** بفتح الهمزة والموحدة أي من عصى منهم فاستثناهم تغليظاً عليهم وزجراً عن المعاصي، أو المراد منه أمة الدعوة وإلا من أبى أي كفر بامتناعه من قبول الدعوة **(قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى)** قال في شرح المشكاة: ومن يأبى معطوف على محذوف أي عَرفنا الذين يدخلون الجنة والذي أبى لا نعرفه وكان من حق الجواب أن يقال: من عصاني فقد أبى، فعدل إلى ما ذكره تنبيهاً به على أنهم ما عرفوا ذلك ولا هذا إذ التقدير من أطاعني وتمسك بالكتاب والسنة دخل الجنة، ومن اتبع هواه وزلّ عن الصواب وضلّ عن الطريق المستقيم دخل النار، فوضع أبى موضعه وضعاً للسبب موضع المسبب، ويؤيد هذا التأويل إيراد هذا الحديث في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة والتصريح بذكر الطاعة، فإن المطيع هو الذي يعتصم بالكتاب والسنة ويجتنب الأهواء والبدع.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: جاءت ملائكة**

وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فأضربوا له مثلاً، فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا مثله كمثل رجلٍ بني داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوّلوها له يفقهما، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ومن عصي محمداً ﷺ فقد عصى الله عز وجل، ومحمد فرّق بين الناس.

---

**إلى النبي ﷺ وهو نائم)** ذكر منهم الترمذي في جامعه اثنين جبريل وميكائيل، ويحتمل أن يكون مع كل واحد منهما غيره، أو اقتصر فيها على من باشر الكلام ابتداءً وجواباً، وفي حديث ابن مسعود عند الترمذي وحسّنه، وصحّحه ابن خزيمة أنه ﷺ توسّد فخذه فَرَقَدَ وكان إذا نام نفخ، قال: فبينا أنا قاعد إذا أنا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم بما بهم من الجمال، فجلست طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ، وطائفة منهم عند رجليه **(فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان)** قال بعضهم: هذا تمثيل يراد به حياة القلب وصحة خواطره، وقال بعضهم هو بيان وتحقيق لما أن النفوس القدسية الكاملة لا يضعف إدراكها بضعف الحواس واستراحة الأبدان **(فقالوا: إن لصاحبكم هذا)** يعنون به النبي ﷺ **(مثلاً فاضربوا له مثلاً فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله)** ﷺ **(كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدبة)** بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال وفتحها بعدها موحدة مفتوحة فهاء تأنيث أي وليمة، وقيل بالضم الوليمة وبالفتح أدب الله الذي أدَّب به عباده وحينئذٍ فيتعين هنا الضم **(وبعث داعياً)** يدعو الناس إليها **(فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة)** وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «بنى بنياناً حصيناً ثم جعل مأدبةً فدعى الناس إلى طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه، ومن لم يجبه عاقبه» **(فقالوا: أوّلوها)** بكسر الواو المشددة أي فسروا الحكاية أو التمثيل **(له)** ﷺ **(يفقهها)** من أوّلَ تأويلاً إذا فسَّر بما يؤول إليه الشيء، والتأويل في اصطلاح العلماء تفسير اللفظ بما يحتمله احتمالاً غير بَيِّن **(فقال بعضهم إنه نائم، وقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان)** كرر فقال بعضهم إنه نائم الخ ثلاث مرات **(فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ)** وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «أما السيد فهو رب العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام، وأما الطعام فهو الجنة، ومحمد الداعي فمن اتبعه كان في الجنة **(فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله)** تعالى لأنه رسول صاحب المأدبة، فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة **(ومن عصى محمداً ﷺ فقد**

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله».

---

**عصى الله)** عز وجل، فإن قيل التشبيه يقتضي أن مثله ﷺ هو مثل الباني لا مثل الداعي حيث قال: كمثل رجلٍ بنى داراً، أجيب بأن في الكلام حذفاً والتقدير إن لصاحبكم هذا مع من أرسله مثلاً، وقوله فقالوا: مثله أي مع من أرسله الخ ويدل لذلك حديث الترمذي: وهو خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً فقال: «إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي بقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً فقال: أسمع سمعت أذنك وأعقل عقل قلبك» إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملكٍ اتخذ داراً ثم بنى فيها بناءً، ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه، فالله تعالى هو الملك والدار هو الإسلام والبيت الجنة، وأنت يا محمد رسولٌ من أجابك دخل الإسلام ومن دخل الإسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل ما فيها» اهـ. لكنه راعى الأدب حيث لم يمثل حضرة الرب بالرجل الكريم وإن لُمِحَ إليه في قوله: فقد أطاع الله، وأجيب أيضاً بأن هذا ليس من التشبيه المعروف وهو تشبيه المفرد بالمفرد، بل من التمثيل الذي وجهه منتزع من أمور متعددة قد ضم بعضها إلى بعض وقوله كمثل رجل مطلع للتمثيل إذ لو أريد التفريق لقيل مثله كمثل داعٍ بعثه رجل كقول امرىء القيس:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى كرها العُنَّاب والحشف البالي

حيث شبه القلوب الرطبة بالعُنَّاب واليابسة بالحشف **(ومحمد)** ﷺ **(فرَّق)** بتشديد الراء أي ميز وفي نسخةٍ فرق بسكون الراء على المصدر وصف للمبالغة، أو بمعنى اسم الفاعل أي فارق **(بين الناس)** المؤمن والكافر والصالح والطالح إذ به تميزت الأعمال والعمال، وهو كالتذييل للكلام السابق لأنه مشتمل على معناه ومؤكد له، وفيه إيقاظ للسامعين من رقدة الغفلة، وحث على الاعتصام بالكتاب والسنة والإعراض عما يخالفهما.

**(عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لن يبرح)** بالموحدة والحاء المهملة أي لن يزال **(الناس يتساءلون)** وفي نسخةٍ: يسَّاءلون بتشديد السين المهملة، والتساؤل جريان السؤال بين اثنين فصاعداً أي يسأل بعضهم بعضاً ويجري بينهم السؤال في كل نوع **(حتى يقولوا)** ويجوز أن يكون بين العبد والشيطان أو النفس حتى يبلغ إلى أن يقال **(هذا الله خالق كل شيء)** أي هذا مسلمٌ وهو أن الله خالق كل شيء وكل شيء مخلوق وهو شيء **(فمن خلق الله)** زاد في روايةٍ: «فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» أي عن التفكر في هذا الخاطر، وفي مسلم: «فليقل آمنت بالله» وفي روايةٍ: له ورسله ولأبي داود والنَّسائي: «وقولوا الله أحد الله الصمد ـ السورة ـ ثمَّ يتفل عن يساره

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يُستفتَون فَيُفْتون برأيهم فيَضلون ويُضلون».

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع»، فقيل يا رسول الله كفارس والروم فقال: «ومن الناس إلا أولئك»؟.

---

ثم ليستعذ» والحكمة في قوله ذلك أن تلك الصفات منبهة على أن الله تعالى لا يجوز أن يكون مخلوقاً، أما أحد فمعناه الذي لا ثاني له ولا مِثل، فلو فرض مخلوقاً لم يكن أحداً على الإطلاق وكذا ما بعده.

(**عن عبد الله بن عمرو**) بن العاص (**رضي الله تعالى عنهما**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله لا ينزع العلم**) منكم (**بعد أن أعطاكموه انتزاعاً**) نصب على المصدرية، وفي نسخةٍ: بعد أن أعطاهموه بالهاء أي لا ينزعه من الناس بعد أن أعطاهموه (**ولكن ينتزعه منهم**) بالهاء وفي نسخةٍ: منكم بالكاف (**مع قبض العلماء بعلمهم**) فيه نوع قلبٍ والتقدير ولكن ينزعه بقبض العلماء مع علمهم، أو المراد بعلمهم بكتبهم بأن يُمحى العلم من الدفاتر وتبقى مع على المصاحبة (**فيبقى**) بفتح التحتية والقاف (**ناسٌ جُهَّال يُسْتَفْتَون**) بفتح الفوقية قبل الواو الساكنة أي تطلب منهم الفتوى (**فيُفْتُون**) بضم التحتية والفوقية (**برأيهم فيُضِلون**) بضم التحتية (**ويَضِلون**) بفتحها، وعند أحمد عن ابن مسعود قال: «هل تدرون ما ذهاب العلم؟ ذهاب العلماء»، واستدل بالحديث على جواز خلو الزمان عن مجتهد، وهو قول الجمهور خلافاً لاكثر الحنابلة وبعض من غيرهم لأنه صريح في رفع العلم بقبض العلماء وفي ترئيس أهل الجهل ومن لازمه الحكم بالجهل، وإذا انتفى العلم ومن يحكم به استلزم انتفاء الاجتهاد والمجتهد، وعورض هذا بحديث: «لن تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله»، وأجيب بأنه ظاهر في عدم الخلو لا في نفي الجواز، وبأن الدليل الأول أظهر للتصريح فيه بقبض العلم تارةً ورفعه أخرى بخلاف الثاني.

(**عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ**) أنه (**قال: لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها**) بموحدة مكسورة بعدها ألف مهموزة وخاء معجمة ساكنة أي سيرتهم، وفي نسخةٍ: بما أخذ بالباء الموحدة والفعل الماضي وفي أُخرى: مأخذ القرون بميم مفتوحة وهمزة ساكنة والقرون جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء، لأمة من الناس، وفي روايةِ الأمم والقرون (**شبراً بشبر وذراعاً بذراع**) بالذال المعجمة وفي نسخةٍ شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً (**فقيل: يا رسول الله**) هؤلاء الذين يتبعونهم (**كفارس والروم؟**

عن عمر رضي الله عنه قال: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل آية الرجم.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».

---

**فقال)** ﷺ: **(ومن الناس)** المتبعون المعهودون المُقْتَدىٰ بهم **(إلا أولئك؟)** الفرس والروم وهما جيلان مشهوران من الناس وعينهما لأنهما إذ ذاك أكبر ملوك الأرض وأكثرهم رعية وأوسعهم بلاداً، وكلمة «ومن» في قوله: «ومن الناس» بفتح الميم وكسر النون وحركت لالتقاء الساكنين للاستفهام الإنكاري، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سَنَن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم»، قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن غيرهم؟» قال في الفتح: ولم أقف على تعيين القائل ولا ينافي هذا ما سبق من أنَّهم كفارس والروم لأن الروم نصارى، وفي الفرس كان يهود، مع أن ذكر الشبر والذِّراع والطريق على سبيل التمثيل، ويحتمل أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام فحيث قيل فارس والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها.

**(عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما)** أنه **(قال: إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق)** الدين **(وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أُنزل)** بضم الهمزة وكسر الزاي **(آية الرجم)** بالرفع، وفي نسخةٍ فكان فيما أَنزل بفتح الهمزة آية الرجم بالنصب، وهي قوله تعالى: ﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة﴾ ثم نسخ لفظها وبقي حكمها.

**(عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا حكم الحاكم فاجتهد)** أي إذا أراد الحاكم أن يحكم فاجتهد لأن الحكم متأخر عن الاجتهاد فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقاً، ويحتمل كما في الفتح: أن تكون الفاء في قوله فاجتهد تفسيرية لا تعقيبية **(ثم أصاب)** بأن وافق ما في نفس الأمر من حكم الله تعالى **(فله أجران)** أجر على الاجتهاد وأجر على الإصابة **(وإذا حكم فاجتهد)** أي أراد أن يحكم فاجتهد **(ثم أخطأ)** بأن وقع ذلك على غير حكم الله تعالى **(فله أجر)** واحد وهو أجر الاجتهاد فقط، وفي ذلك دليل على أن الحق عند الله تعالى واحد وكل واقعة لله تعالى فيها حكم فمن وجده أصاب ومن فقده أخطأ، وفيه أن المجتهد يُخطىء ويصيب والمسئلة مقررة في أصول الفقه، والحاصل أنه اختلف في المسئلة التي لا قاطع فيها من مسائل الفقه، فقال بعضهم: كل مجتهد فيها مصيب وكل حكم لله تعالى فيها تابع لظن المجتهد، فما ظنه فيها من الحكم فهو حكم الله تعالى في حقه وحق من قلَّده، وقيل في كل حادثةٍ ما لو

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان يحلف بالله أن ابن الصياد الدجال فقلت: تحلف بالله قال: إني سمعت عمر رضي الله عنه يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ.

---

حكم الله تعالى لم يحكم إلا به، والمجتهد مصيب في اجتهاده مخطىءٌ في حكمه إذا أصاب خلاف الواقع، وربما قالوا: مخطىءٌ انتهاءً لا ابتداءً، وقال الجمهور: وهو الصحيح المصيب واحد، قال بعضهم وهو ظاهر مذهب الشافعي رضي الله عنه: ولله تعالى في كل واقعة حكم سابق على اجتهاد المجتهدين وفكر الناظرين، ثم اختلفوا فقيل عليه أمارة ودليل. وقيل: هو كدفينٍ يصيبه من شاء الله تعالى إصابته ويخطئه من لم يسأله ذلك، والصحيح الأول وعليه فقيل إن المجتهد مكلف بإصابة الحق وهو الصحيح لإمكانها، وقيل لا لأنها ليست في وُسْعِه، ثم اختلفوا فيما إذا أخطأ الحق هل يأثم أو لا، والصحيح لا يأثم بل له أجر لبذله وُسْعَه في طلبه كما يؤخذ من الحديث، وقيل يأثم لعدم إصابته المكلف بها، أما المسئلة التي فيها قاطع من نص أو إجماع واختلف فيها لعدم الوقوف عليها، فالمصيب فيها واحد بالإجماع وإن دقَّ مسلك ذلك القاطع، وقيل على الخلاف فيما لا قاطع فيها وهو غريب، ثم إذا أخطأه نظر فإن لم يقصر وبذل المجهود في طلبه ولكن تعذر الوصول إليه لم يأثم على الصحيح، وإن قصَّر أثم اتفاقاً لتركه الواجب عليه من بذله وسعه فيه.

**(عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري **(رضي الله تعالى عنهما أنه كان يحلف بالله أن ابن الصياد)** وفي نسخةٍ ابن الصائد بألف بعد الصاد بوزن الظالم واسمه صاف **(هو الدَّجَّال)** قال الراوي: وهو ابن المنكدر **(فقلت)** له: **(تحلف بالله)** أي كيف تحلف بالله ومن أين لك ذلك **(قال)** جابر **(إني سمعت عمر)** بن الخطاب **(رضي الله تعالى عنه يحلف)** أي بالله **(على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبي ﷺ)** استشكل هذا مع ما سبق في الجنائز من أن عمر رضي الله تعالى عنه قال للنبي ﷺ: دعني أضرب عنقه فقال إن يكن هو فلن تُسَلَّطَ عليه إذ هو صريحٌ في أنه تردد في أمره، وحينئذٍ فلا يدل سكوته على إنكاره عند حَلِفِ عمر على أنه هو، وقد قالوا: إن شرط العمل بتقرير النبي ﷺ أن لا يعارضه التصريح بخلافه. وأجيب بأن تردده ﷺ كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه الدجال، فلما أعلمه لم ينكر على عمر حلفه، وبأن العرب قد تُخْرِج الكلام مخرج الشك وإن لم يكن في الخبر شك فيكون ذلك من تلطفه ﷺ، لعمر في صرفه عن قتله، وقال في المصابيح ما حاصله، وقد يقال إنه ﷺ لم ينكر على عمر حَلِفَه لكونه حَلَفَ على غلبة الظن فليس في سكوته ﷺ تقرير على باطل، وأما البيان فقد تقدم منه ﷺ حيث أشار إلى أنه متردد بقوله له: «إن يكن هو فلن تُسَلَّطَ عليه» فتردد في أمره فلما حلف عمر على ذلك صار حالفاً على غلبة ظنه، ثم هذا سكوت عن حلف عمر على أمرِ غَيْبٍ لا على حكمٍ

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

شرعي، ولعل مسألة السكوت والتقرير مختصة بالأحكام الشرعية لا الأمور الغيبية انتهى.
وقال البيهقي: ليس في حديث جابر أكبر من سكوت النبي ﷺ على حَلِف عمر، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ كان متوقفاً في أمره ثم جاءه التثبت من الله تعالى أنه غيره على ما تقتضيه قِصَّة تميم الداري، وهي كما في مسلم أنه ﷺ خطب فذكر أن تميماً الداري ركب في سفينةٍ مع ثلاثين رجلاً من قومه فلعب بهم الموج شهراً ثم نزلوا في جزيرةٍ فلقيتهم دابةٌ كثيرة الشعر فقالت لهم: أنا الجساسة ودلتهم على رجل في الدير، قال: فانطلقنا سراعاً فدخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان ما رأيناه قط خلقاً وأشد وثاقاً مجموعة يداه إلى عنقه بالحديد، فقلنا: ويلك ما أنت فذكر الحديث، وفيه أنه سألهم عن نبي الأمِّيِّين هل بعث؟ وأنه قال: إن يطيعوه فهو خيرٌ لهم، وأنه سألهم عن بُحَيْرة طبرية وأنه قال لهم: إني مخبركم عني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض، فما أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، ففيه كما قال البيهقي: إن الدَّجَّال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صَيَّاد وتكون الصفة التي في ابن صَيَّاد وافقت ما في الدجال. والحاصل أنه وقع الشك في أنه الدَّجَّال الذي يقتله عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام، وأما كونه أحد الدَّجَّالين الكذابين الذين أَنْذَرَ بهم النبي ﷺ في قوله: «إن بين يدي الساعة دجَّالين كذَّابين» فلا شك فيه، وعند مسلم عن أبي سعيد قال: صحبني ابن صياد إلى مكة فقال لي: ما قد لقيت من الناس يزعمون أني الدَّجَّال ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه لا يولد له؟ قلت: بل قال فإنه قد ولد لي قال: أولست سمعته يقول: لا يدخل المدينة ولا مكة؟ قلت: بل قال: قد وُلِدْت بالمدينة وها أنا أريد مكة. واختلف السلف فيه بعد كِبَره فقيل: إنه تاب عن ذلك القول ومات بالمدينة وإنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا وجهه حتى يراه الناس، وقيل لهم أشهدوا، وقيل: إنه فُقِد يوم الحرة حتى قيل إنه مات، وفي الحديث جواز الحلف بما يغلب على الظن ولا يتوقف ذلك على العلم.

# كتاب التوحيد والرد على الجهمية وغيرهم

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله تعالى يحبه».

---

## كتاب رد الجهمية

أي الرد على الجهمية بفتح الجيم وسكون الهاء وبعد الميم تحتية مشددة وهم طوائف ينسبون إلى جهم بن صفوان من أهل الكوفة **(وغيرهم)** أي والرد على غيرهم وهم القدرية، وأما الخوارج فسبق ما يتعلق بهم في كتاب الفتن، وكذا الرافضة في كتاب الأحكام، وهؤلاء الفِرَق الأربعة رؤوس المبتدعة **(والتوحيد)** أي في التوحيد مصدر واحد يوحد، ومعنى وحَّدت الله تعالى أعتقدته منفرداً بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه، وهو إثبات ذاتٍ غير مشَبَّهةٍ بالذوات ولا معطلة عن الصفات والكلام على ذلك مبسوط في محله.

**(عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً)** قيل هو كلثوم بن الهدم وقيل غيره **(على سرية)** أميراً عليها وهو متعلق ببعث أو بمحذوف حال من رجل على قلةٍ لا صفةً لفساد المعنى، لأنه يقتضي كونه على سرية قبل البعث وليس كذلك **(فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم)** أي التي يُصلِّيها بهم وفي نسخةٍ في صلاته **(فيختم)** قراءته **(بقل هو الله أحد)** بالسورة إلى آخرها، وهذا يُشْعِر بأنه كان يقرأ بغيرها معها في ركعةٍ واحدةٍ فيكون دليلاً على جواز الجمع بين السورتين غير الفاتحة في ركعةٍ واحدةٍ، والمراد أنه كان من عادته أن يقرأها بعد الفاتحة **(فلما رجعوا)** من السَّرية **(ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك فسألوه»)** لم تختم بقل هو الله أحد **(فقال)** الرجل أختم بها **(لأنها صفة الرحمن)** لأن فيها أسماءه وصفاته وأسماؤه مشتقة من صفاته **(وأنا أحب أن أقرأ بها)** فجاؤوا فأخبروا النبي ﷺ **(فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله)** تعالى **(يحبه)** لمحبته قراءتها، ومحبة الله تعالى لعبادة إرادة الثواب لهم.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم».

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت لا يموت والجنُّ والإنس يموتون».

---

**(عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال النبي ﷺ: ما أحد أصبر)** بالرفع أفعل تفضل من الصبر، وهو حبس النفس على المكروه والله تعالى منزه عن ذلك، فالمراد لازمه وهو ترك المعاجلة بالعقوبة **(على أذىً سَمِعَه من الله، يدَّعون)** بتشديد الدال **(له)** أي ينسبون إليه **(الولد)** واستشكل بأن الله تعالى منزه عن الأذى وأجيب بأن المراد أذىً يلحق أنبياءه، إذ في إثبات الولد إيذاء للنبي ﷺ، لأنه تأديب له وإنكار لمقالته **(ثم يعافيهم)** من العلَلِ والبليات والمكروهات **(ويرزقهم)** ما ينتفعون به من الأقوات وغيرها مقابلة للسيئات بالحسنات، والرزاق خالق الأرزاق والأسباب التي يتمتع بها، والرزق هو المنتفع به وكل ما ينتفع به فهو رزقٌ سواء كان مباحاً أو محظوراً، والرزق نوعان: محسوس ومعقول ومنه سماع الحديث فإنه يُعَدُّ رِزْقاً عند المُحَدِّثين، وقال بعض المحققين الرزَّاق من رزق الأشباح فوائد لطفه والأرواح عوائد كشفه، وحظ العارف منه أن يحقق معناه ليتيقن أنه لا يستحقه إلا الله تعالى فلا ينتظر الرزق ولا يتوقعه إلا منه، فيكل أمره إليه ولا يتوكل إلا عليه ويجعل يده خزانة به ولسانه وصلة بينه وبين الناس في وصول الأرزاق الروحانية والجسمانية إليهم بالإرشاد والتعليم وصرف المال ودعاء الخير وغير ذلك لينال حظاً من هذه الصفة. قال القشيري: من عرف أن الله تعالى هو الرزاق أفرده بالقصد وتقرب إليه بدوام التوكل عليه. أرسل الشبلي إلى غنيٍّ أن أبعث إلينا شيئاً من دنياك، فكتب إليه: سل دنياك مولاك، فكتب إليه الشبلي: الدنيا حقيرة وأنت حقير وإنما أطلب الحقير من الحقير ولا أطلب من مولاي غير مولاي، فسمت همته العلية أن يطلب من الله تعالى الأشياء الخسيسة.

**(عن ابن عباس رضي الله)** تعالى **(عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: أعوذ بعزتك)** أي بنعمتك وقوتك وغلبتك، والعزيز الغالب من قولهم عزَّ إذا غلب ومرجعه إلى القدرة المتعالية عن المعارضة، فمعناه مُرَكَّب من وصفٍ حقيقي ونعت تنزيهي، وقيل القوي الشديد من قولهم عزَّ يعزُّ إذا قوي واشتد، ومنه قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾ [يس: ١٤] وقيل: الذي لا مثل له فيكون من أسماء التنزيه، وقيل الذي تتعذر الإحاطة بوصفه وبعسر الوصول إليه، وقيل العزيز من ضلَّت العقول في بحار عظمته وحارت الألباب دون إدراك نَعْتِه وكلَّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله، وحظ العارف منه أن يُعِزَّ نفسه فلا يستهينها بالمطامع الدَّنية ولا يُدَنِّسها بالسؤال من الناس والافتقار إليهم **(لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت)** بلفظ الغائب، وفي روايةٍ: «اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه. وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي».

وعنه رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في

---

أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت **(والجن والإنس)** أي وغيرهم فهو لقب لا مفهوم له **(يموتون)** وكلمة أن تضلني في تلك الرواية متعلقة بأعوذ أي من أن تضلني وكلمة التوحيد معترضة لتأكيد العِزَّة، واستغنى عن ذكر عائد الموصول لأن نفس المخاطب هو المرجوع إليه وبه يحصل الإرتباط وكذلك المتكلم نحو:

أنا الذي سمتني أمي حيدره

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: لما خلق الله)** عزَّ وجل **(الخلق)** أي أتمه وأنفذه **(كتب)** أي أمر القلم أن يكتب **(في كتاب وهو يكتب على نفسه)** جملة حالية، وفي نسخةٍ هو يكتب وهو بيان لقوله كتب **(وهو وَضْعٌ)** بفتح الواو وسكون الضاد المعجمة، وروي بكسرها مع التنوين فيهما أي موضوع، وروي بفتحها فعل ماضي مبني للفاعل **(عنده)** أي علم ذلك عنده **(على العرش)** مكنوناً عن سائر الخلق مرفوعاً عن حَيِّز الإدراك، والله منزَّهٌ عن الحلول في المكان، وليس الكتب لئلا ينساه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل لأجل الملائكة الموكلين بالمكلفين، وفي روايةٍ: «فوق العرش»، وفيه تنبيه على تعظيم الأمر وجلالة القدر فإن اللوح المحفوظ تحت العرش والكتاب المشتمل على هذا الحكم فوق العرش، ولعل السبب في ذلك والعلم عند الله تعالى أن ما تحت العرش عالم الأسباب والمسببات، واللوح يشتمل على تفاصيل ذلك؛ ذكره في شرح المشكاة والمكتوب هو قوله تعالى: **(إن رحمتي تغلب غضبي)** والمراد بالغضب لازمه وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأنَّ السبْق والغلبة باعتبار التعلق لا باعتبار الصِّفات، لأنَّها قديمة والقديم ليس مسبوقاً بالغير أي تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند ظن عبدي بي)** فإن ظنَّ أني أغفر عنه وأغفر له فله ذلك، وإن ظنَّ أني أعاقبه وأؤاخذه فكذلك، وفيه إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف، وقيَّده بعض أهل التحقيق بالمحتضر وأما قبل ذلك فأقوال ثالثها الاعتدال، فينبغي للمرء أن يجتهد بقيام وظائف العبادات موقناً بأن الله تعالى يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن

ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها

---

اعتقد أو ظنَّ خلاف ذلك فهو آيسٌ، من رحمة الله تعالى وهو من الكبائر ومن مات على ذلك وُكِل إلى ظنه، وأما ظنُّ المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك محض الجهل والغِرَّة **(وأنا معه إذا ذكرني)** هي معصية خصوصية أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة فهي غير المعية المعلومة من قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] فإن معناها المعية بالعلم والإحاطة **(فإن ذكرني)** بالتنزيه والتقديس سراً **(في نفسه ذكرته)** بالتواب والرحمة سِرّاً **(في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)** وهم الملأ الأعلى، ولا يلزم منه تفضيل الملائكة على بني آدم لاحتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من ملأ الذاكرين: الأنبياء والشهداء، فلم ينحصر ذلك في الملائكة، وإيضاً فإن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً فالجانب الذي فيه ربُّ العزة خَيْر من الملأ الذي ليس فيه بلا إرتياب، فالخيرية حصلت بالمجموع على المجموع **(وإن تقرَّب إلي)** بتشديد الياء **(شبراً)** بالنصب أي مقدار شبر، وفي نسخةٍ بشبر بالباء **(تقربت إليه ذراع وإن تقرب إلي ذراعاً)** بكسر الذال المعجمة أي مقدار ذراع **(تقربت منه)** وفي نسخةٍ: إليه **(باعاً)** أي مقدار باعٍ وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه وعرض صدره **(وإن)** وفي نسخةٍ: ومن **(أتاني يمشي أتيته هرولة)** أي إسراعاً يعني من تقرب إليَّ بطاعةٍ قليلةٍ جازيته بمثوبةٍ كثيرة، وكلما زاد في الطاعة زدت في ثوابه وإن كان كيفية إتيانه بالطاعة على التأني فإتياني له بالثواب على السرعة والتقرب، والهرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة أو قصد إرادة لوازمها، وإلا فهذه الإطلاقات وأشباهها مستحيلة على الله تعالى على سبيل الحِقيقة، وفي الحديث جواز إطلاق النفس على الذات فهو إذن شرعي في إطلاقها عليها، أو يقال: هو بطريق المشاكلةِ لكن يعكر عليه قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨].

**(وعنه رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله عزَّ وجلَّ: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة)** ثم عاقه عنها عائق **(فلا تكتبوها عليه حتى يعملها)** بفتح الميم **(فإذا)** وفي نسخةٍ: فإن **(عملها)** بكسر الميم **(فاكتبوها عليه بمثلها)** من غير تضعيف **(فإن تركها من أجلي)** أي خوفاً مني **(فاكتبوها له حسنة)** واحدة غير مضاعفة، وزاد في رواية ابن عباس: «كاملة» **(وإذا أراد عبدي أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنةً)** زاد في رواية ابن

فاكتبوها له حسنةً فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف».

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال: «إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنباً فقال: ربِّ أذنبت ذنباً وربما قال أصبت فاغفر لي فقال: ربه عَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربِّ أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال: عَلِمَ عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً فقال: ربِّ أصبت أو قال: أذنبت آخر فاغفر لي فقال علم عبد أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء».

---

عباس: «كاملة» أي لا نقص فيها **(فإن عملها)** بكسر الميم **(فأكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعْف)** زاد في الرواية المذكورة: «إلى أضعاف كثيرة» أي حسب الزيادة في الإخلاص.

**(وعنه رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: إنَّ عبداً أصاب ذنباً فقال: يا رب أصبت ذنباً فأغفر لي)** ذنبي **(فقال ربه: عَلِمَ)** وفي نسخةٍ: «أعَلِمَ» بهمزة الاستفهام **(عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به)** أي يعاقب عليه، وفي نسخةٍ: «يغفر الذنوب ويأخذ بها» **(غفرت لعبدي)** ذنبه **(ثم مكث ما شاء الله)** من الزمان **(ثم أصاب ذنباً آخر)** وعند مسلم: «ثم عاد فأذنب» **(فقال:)** يا **(رب أصبت آخر)** أي ذنباً آخر **(فأغفره لي)** وفي نسخةٍ: «فأغفر لي» **(فقال ربه: علم)** وفي نسخةٍ «أعَلِمَ» بهمزة الاستفهام **(عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به)** أي يعاقب عليه **(غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله)** من الزمان **(ثم أصاب ذنباً)** آخر **(فقال: يا رب أصبت)** ذنباً **(آخر فأغفره لي فقال)** ربه: **(علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي)** وفي نسخةٍ: إسقاط قوله: «عَلِمَ عبدي أن له رباً» الثالثة إلى آخر الحديث وفي أخرى: «فليعمل ما شاء» أي إذا كان هذا دأبه يذنب الذنب فيتوب منه ويستغفر لا أنه يذنب الذنب ثم يعود إليه، فإن هذه توبة الكذابين قال أبو العباس في المفْهِم: هذا الحديث يدل على عظم فائدة الاستغفار وكثرة فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، ولكن هذا الاستغفار هو الذي يَثْبُتُ معناه في القلب مقارِناً للسان ليحل به عقدة الإصرار ويحصل معه الندم، ويشهد له حديث: «خياركم كل مفتن تواب» أي الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في ذنبٍ عاد إلى التوبة لا من قال: أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى استغفارٍ، وفي حديث ابن عباس عند ابن أبي الدنيا مرفوعاً: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه»، لكنَّ الراجح أن قوله والمستغفر الخ موقوف، وقال ابن بطال في هذا الحديث: إن المصر على

عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء». فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ.

---

المعصية في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، مغلباً حسنته التي جاء بها وهي اعتقاد أن له رباً خالقاً يعذبه ويغفر له، واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] ولا حسنة أعظم من التوحيد فإن قيل إنَّ استغفاره ربه توبة منه، قلنا: ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة وقد يطلبها المُصِرُّ والتائب، ولا دليل في الحديث على أنه تاب مما سأل الغفران منه بأن نَدِمَ وأقلع وعزم على أن لا يعود، والاستغفار بمجرده لا يُفْهَم منه ذلك أي بحسب أصل الوضع، لكن غلب عند كثير من الناس أن لفظ: أستغفر الله معناه التوبة، فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة، وذكر بعضهم أن التوبة لا تتم إلا الاستغفار لقوله تعالى: ﴿وأن أستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ [هود: ٩٠] والمشهور أنه لا يشترط بل تحصل بالندم والإقلاع من الذنب والعزم على أن لا يعود، ومن أعظم شروطها النَّدم لأنه يستلزم الإقلاع والعَزْم ومن ثم جاء الحديث: «الندم توبة» أخرجه ابن ماجه وصححه الحاكم من حديث ابن مسعود.

(**عن أنسٍ رضي الله تعالى عنه**) أنه (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة شُفِّعْتُ**) بضم المعجمة وكسر الفاء المشددة من التشفيع وهو تفويض الشفاعة إليه والقبول منه، وفي نسخةٍ: بفتح المعجمة والفاء مع التخفيف (**فقلت: يا رب أدخل الجنة**) بفتح الهمزة وكسر الخاء المعجمة من الإدخال (**من كان في قلبه حبة خردل**) من إيمان، وفي حديثٍ آخر: أن الله تعالى هو الذي يقول له ذلك وهو المعروف في سائر الأخبار (**فيدخلون**) الجنة (**ثم يقول**) الله تعالى وفي نسخةٍ ثم أقول بالهمزة: يا رب (**أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيءٍ**) من إيمان وهو التصديق القلبي الذي لا بدَّ منه (**فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع النبي ﷺ**) حيث يقلله عند قوله: أدنى شيءٍ، ويشير إلى رأس أصبعه بالقِلَّة، وقال في الفتح: كأنه يضم أصابعه ويشير بها. قال الداودي: قوله: «ثم أقول» خلاف سائر الروايات فإنَّ فيها: «ثم يقول» لأن الله تعالى أمره أن يخرج، وتعقبه في الفتح بأن الموجود عند أكثر الرواة: «ثم أقول» بالهمز قال: ويمكن التوفيق بينهما بأنه ﷺ يسأل ذلك أولاً فيجاب إلى ذلك ثانياً، فوقع في إحدى الروايتين ذكر السؤال، وفي البقية ذكر الإجابة، وفي مستخرج أبي نُعَيْم عن أبي بكر بن عياش: «أَشَفَّعُ يوم القيامة فيقال لي: لك من في قلبه شعيرة ولك من في قلبه خردلة ولك من في قلبه شيءٌ» فهذا من كلام الرب جلَّ جلاله مع النبي ﷺ، وهو يؤيد روايةِ يقول بالياء.

وعنه رضي الله عنه ذكر حديث الشفاعة وقد تقدم مطولاً من رواية أبي هريرة وزاد هنا في آخره: «فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني فأقول أنالها، فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضر الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان قال: فأنطلق فأفعل، ثم أعود

---

**(وعنه رضي الله)** تعالى **(عنه ذكر حديث الشفاعة)** وهو: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لنا إلى ربنا فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها» **(وقد تقدم مُطَوَّلاً من رواية أبي هريرة)** مع تغييرٍ لبعض الألفاظ **(وزاد هنا في آخره: فيأتون عيسى)** عليه الصلاة والسلام **(فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتوني)** وفي نسخةٍ: «فيأتونني» **(فأقول: أنا لها)** أي للشفاعة **(فأستأذن على ربي فيُؤذن لي)** أي بالشفاعة الموعود بها في فصل القضاء ففيه حذف، وفي مسند البزَّار أنه ﷺ يقول: «يا رب عجل على الخلق الحساب» اهـ ثم تذهب كل أمة مع من كانت تعبد ويؤتى بجهنم والموازين والصراط وتتناثر الصحف وغير ذلك، ثم من هنا ابتداء بيان الشفاعة الأخرى الخاصَّة بأمته، فقال: **(ويلهمني)** بالواو في نسخةٍ: «فيلهمني» أي الله تعالى **(محامد)** وفي نسخةٍ: «بمحامد» **(أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأَخِرُّ له ساجداً فيقال)** وفي نسخةٍ: فيقول: **(يا محمد أرفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط)** سؤلك وفي نسخةٍ: «تُعْطَه» بهاء السكت **(وأشفع تُشَفَّع، فأقول: يا رب أمتي أمتي)** أي شفعني في أمتي فهو متعلق بمحذوف، حُذِفَ لضيق المقام وشدة الاهتمام، فإن قيل: إن الخلائق اجتمعوا واستشفعوا به ﷺ فكيف يخص أمته بقوله: «أمتي»؟، وأجيب بأنه وقع في حديث أبي هريرة بعد قوله: «فيأتون محمداً فيقوم ويؤذن له في الشفاعة» أي التي يلجأ الناس إليه فيها وهي إلا راحة من كُرَب الموقف ثم يحاسبون ويمرون على الصراط ويتساقط بعضهم في النار فتجيء الشفاعة في الإخراج منها فيقول ﷺ: «يا رب أمتي أمتي» **(فيقال)** وفي نسخةٍ فيقول: **(أنطلق فأخرج منها)** أي من النار **(من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، قال: فأنطلق فأفعل)** ما أُمِرْت به من الإخراج **(ثم أعود فأحمده تعالى بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال)** وفي نسخةٍ فيقول: **(يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال)** وفي نسخةٍ فيقول: **(أنطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة)** بالذال المعجمة والراء المشددة **(أو خردلة من إيمان فأخرجه)** بالجزم على الأمر وفي

فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرةٍ أو خردلةٍ من إيمان فأنطلق فافعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطف واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال: انطلق فاخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فانطلق فأفعل.

وفي رواية عنه: «ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله».

---

نسخةٍ: إسقاطها، والذرة واحدة الذر وهو النمل الصغير أو الهباء الذي يظهر في عين الشمس أو غير ذلك (**فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال**) وفي نسخةٍ فيقول: (**يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال**) وفي نسخةٍ فيقول: (**أنطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى**) ثلاث مرات وفي نسخةٍ: مرتين (**مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجه من النار من النار من النار**) ثلاث مرات وفي نسخةٍ: مرة واحدة، وفائدة التكرار في الأدنى المبالغة فهو بالغ أقصى المبالغة باعتبار الأدنى البالغ هذا المبلغ في الإيمان وهو التصديق، ويحتمل أن يكون التكرار للتوزيع على الحبة والخردلة أي أقل حبة من أقل خردلة من الإيمان، ويستفاد منه صحة القول بتجزؤ الإيمان وأنه يزيد وينقص (**فأنطلق فأفعل، وفي روايةٍ: عنه ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد**) وفي نسخةٍ: إسقاط المحامد (**ثم أَخِرُّ له ساجداً فيقال: يا محمد أرفع رأسك وقل يسمع**) أي لك (**وسل تعطه**) بهاء السكت (**وأشفع تشفع فأقول: يا رب أئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله**) أي محمد رسول الله (**فيقول**) عزَّ وجلَّ (**وعزتي وجلالي وكبريائي وكرمي وعظمتي لأُخرجن**) بضم الهمزة (**منها من قال لا إله إلا الله**) أي مع محمد رسول الله، وفي مسلم: «أئذن فيمن قال لا إله إلا الله، قال ليس ذلك لك ولن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن من قال لا إله إلا الله»، وأي ليس هذا لك وإنما أفعل ذلك تعظيماً لاسمي وإجلالاً لتوحيدي واعتُرض بأنه إن اعتبر التصديق القلبي مع القول المذكور فهو كمال الإيمان، فما وجه الترقي من الأدنى إليه وإن لم يعتبر التصديق القلبي بل مجرد اللفظ دخل المنافق وهو غير مرادٍ، وأجيب بحمل هذا على من أوجد هذا اللفظ وأهمل العمل بمقتضاه، ولم يتخالج قلبه بتصميمٍ عليه ولا منافٍ له فيخرج المنافق لوجود التصميم منه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى

---

على الكفر بدليل الرواية الأخرى في الحديث: «فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن» أي من وجب عليه الخلود وهو الكافر، وظاهر قوله في حديث مسلم: «ليس لك ذلك» مخالف لحديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله»، إلا أن يقال المختص بالله تعالى هو من حصل منه تصديق مجرد عن الثمرة، والمختص بالنبي ﷺ من حصل منه ذلك مع الثمرة من إزدياد اليقين والعمل، لكن حصل منه نوع تقصيرٍ استحق به دخول النار، فلا اختلاف حينئذٍ ولا إشكال، وقال البيضاوي: هذا الحديث مخصِّصٌ لعموم قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة» ويحتمل أن يجري على عمومه ويحمل على حالٍ أو مقام اهـ.

**(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه)** أنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتان)** خبر مقدم وما بعده صفة بعد صفة أي كلامان، فهو من باب إطلاق الكلمة على الكلام ككلمة الشهادة والمبتدأ سبحان الله الخ لأنهما وإن كانا منصوبين على الحكاية فهما في محل رفع ولا يُرَدُّ أن الخبر مثنى والمبتدأ ليس كذلك، لأنه على حذف العاطف أي: سبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم، كلمتان خفيفتان على اللسان الخ وقدم الخبر ليُشَوِّق السامع إلى المبتدأ فيكون أوقع في النفس وأدخل في القبول، لأن الحاصل بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا تعب كقوله:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها … شمس الضحى وأبو إسحق والقمر

ورجَّح بعضهم كون سبحان الله هو الخبر لأنه مؤخر لفظاً، والأصل عدم مخالفة اللفظ محله إلا لموجب يوجبه، ولأنه محطُّ الفائدة بنفسه بخلاف كلمتان فإنه إنما يكون محطاً للفائدة باعتبار وصفه بالخِفَّة على اللسان والثِّقل في الميزان والمحبة للرحم لا باعتبار ذاته إذ ليس متعلق الغرض الإخبار منه ﷺ عن سحبان الله الخ بأنهما كلمتان، بل بملاحظة وصفه بما ذكر فكان اعتبار سبحان الله الخ خبراً أولى، وهو من قبيلِ الخبر المفرد بلا تعدد، لأن كلاً من سبحان الله مع عامله المحذوف الأول والثاني مع عامله الثاني إنما أريد لفظه، والجملة المتعددة إذا أريد لفظها فهي من قبيل المفرد الجامد، ولذا لا تتحمل ضميراً اهـ وقد يقال: بل الأَولى كون سبحان الله الخ هو المبتدأ لأنه معلوم، وكلمتان باعتبار وصفه بما ذكر هو الخبر لأنه مجهول، والقاعدة: إذا اجتمع معلوم ومجهول يجعل المعلوم مبتدأً والمجهول خبراً. **(حبيبتان إلى الرحمن)** تثنية حبيبة بمعنى محبوبة، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث إذا ذُكِر الموصوف، نحو رجلٌ قتيل وامرأة قتيل، فإن لم يذكر الموصوف فُرِّق بينهما نحو قتيل وقتيلة، وحينئذٍ فوجه لحوق علامة التأنيث هنا أن التسوية جائزة لا واجبة ومناسبته للخفيفة

الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

---

والثقيلة، لأنهما بمعنى الفاعل لا المفعول، والمراد محبوبية قائلهما، ومحبة الله تعالى لعبده إيصال الخير له والتكريم، وخصَّ اسمه الرحمن دون غيره من الأسماء الحسنى لأن كل اسم منها إنما يذكر في المكان اللائق به كقوله تعالى: ﴿أستغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾[نوح: ١٠] وكذلك هنا لما كان جزاء من يسبح بحمده تعالى الرحمة، ذَكر في سياقها الاسم المناسب لذلك وهو الرحمن **(خفيفتان على اللسان)** للين حروفهما وسهولة خروجهما، فالنطق بهما سريع وذلك لأنه ليس فيهما من حروف الشدة المعروفة عند أهل العربية ولا من حروف الاستعلاء أيضاً سوى حرفين الباء الموحدة والظاء المعجمة، وقد اجتمعت فيهما حروف اللين الثلاثة الألف والواو والياء، وبالجملة فالحروف السهلة الخفيفة فيها أكثر من العكس **(ثقيلتان في الميزان)** حقيقة لكثرة الأجور المدخرة لقائلهما والحسنات المضاعفة للذاكر بهما، فالموزون نفس الكلمات لأن الأعمال تُجَسَّمُ، وقيل صحائفها لحديث البطاقة المشهور، وقوله: حبيبتان وخفيفتان وثقيلتان صفة لقوله كلمتانَ كما مر، وفي هذه الرواية تقديم حبيبتان وتأخير ثقيلتان، وفي روايةٍ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن» **(سبحان الله)** اسم مصدر لسبح بالتشديد وقياس مصدر فعل المشدد إذا كان صحيح اللام التفعيل كالتسليم والتكريم، وقيل مصدر لأنه سُمِع له فعل ثلاثي وهو من الأسماء الملازمة للإضافة وقد يفرد فإذا أفرد منع الصرف للتعريف وزيادة الألف والنون كقوله:

أقول لما جاءني فخره سبحان[1]

وجاء منوناً كقوله:

سبحانه ثم سبحاناً يعود له ... وقبلنا سبح الجودي والجمد

فقيل: صُرِفَ ضرورة، وقيل هو بمنزلة قبل وبعد إن نُوِي تعريفه بقي على حاله وإن نُكِّر أُعرب مُنْصرفاً وهو لازم النصب بفعلٍ مقدَّر لا يجوز إظهاره، وعن الكِسَائي أنه منادى حُذِف منه حرف النداء، والتقدير يا سبحانك ومنعه جمهور النحويين وإضافته إلى المفعول أي سبحت الله، ويجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي نزَّه الله نفسه والأول هو المشهور ومعناه تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص، وذكر بعضهم أنه يستعمل على أربعة أوجه أحدها: أن يكون مصدراً تأكيدياً كما في ضَرَبَ ضرباً فهو في قوة قولنا أُسبِّح الله تسبيحاً، فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى المفعول، ومعنى أُسَبِّح الله أنظم نفسي

---

(١) لفظ البيت. قد قلت لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاخر.

تم المختصر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين قال مؤلفه سيدنا وشيخنا الإمام العلامة الحافظ المتقن أبو العباس زين الدين أحمد ابن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي كان الله له وجزاه خيراً فرغت من تجريده يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرم أحد شهور سنة ٨٨٩ تسع وثمانين وثمانمائة والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

---

في سِلْكِ الموقنين بتقديسه عن جميع ما لا يليق به، وأنه مقدسٌ أزلاً وأبداً وإن لم يقدسه أحد. الثاني: أن يكون مصدراً نوعياً كما يقال: عظم السلطان تعظيم السلطان أي تعظيماً يليق بجنابه ويناسب من يتصف بالسلطنة، فالمعنى أُسَبِّحه تسبيحاً يختصُّ به ويليق بجنابه، فالإضافة للاختصاص لا إلى الفاعل ولا إلى المفعول. الثالث: أن يكون مصدراً نوعياً كما يقال: أذكر الله مثل ذكر الله فالمعنى أسبح الله تسبيحاً مثل تسبيح الله لنفسه، أي مثل ما سبَّح الله به نفسه فهو على حذف مضافٍ واقعٍ صفةً لمصدرٍ محذوف، فالإضافة في سبحان الله إلى الفاعل الرابع أن يكون مصدراً أُريدَ به الفعل مجازاً كما أن الفعل يُذكر ويراد به المصدر مجازاً، كقوله: تسمع بالمعيدي، وذلك لأن المصدر جزء من مفهوم الفعل، وذكر البعض وإرادة الكل مجاز كعكسه والواو في قوله **(وبحمده)** زائدة فهو مع سبحان الله جملةً واحدةً، وقيل عاطفةً أي وبحمده سبحته فذلك جملتان، وقيل للحال أي أسبحه ملتبساً بحمدي له من أجل توفيقه ليس للتسبيح ونحوه، والباء للملابسة والحمد مضاف للمفعول كما تقرر وقيل للاستعانة، والحمد مضاف للفاعل أي أسبحه بما حَمِدَ به نفسه إذ ليس كل تنزيه محموداً، ألا ترى أن تسبيح المعتزلة اقتضى تعطيل كثير من الصفات، وقيل للسببية أي أسبح الله وأثني عليه بحمده، قال الخطابي: المعنى وبمعونتك التي هي نعمة توجب عليَّ حَمْدَكَ سبَّحْتُك لا بحولي وقوتي، يريد أنه مما أقيم فيه المسبب مقام السبب، وقدَّم التسبيح على التحميد تقديماً للتخلية على التحلية وختم بقوله: **(سبحان الله العظيم)** ليجمع بين مقامَي الرجاء والخوف إذ معنى الرحمن يرجع إلى الإنعام والإحسان فيقتضي الرجاء والعظيم يقتضي الخوف من هيبته تعالى، وفي روايةٍ: «سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده»، وكرَّر التسبيح دون التحميد اعتناءً بشأن التسبيح لكثرة المخالفين فيه، وفي الحديث من علم البديع: المقابلة والموازنة في السجع لأنه قابل الخِفَّة على اللسان بالثقل في الميزان وقال: حبيبتان إلى الرحمن ولم يقل إلى الرحيم لأجل الموازنة بقوله على اللسان، ومن عِلْم البيان الاستعارة في قوله خفيفتان حيث شبَّه سهولة جريانهما على اللسان بخفة المحمول من الأمتعة، واشتق من ذلك خفيفتان بمعنى سهلتا الجري على اللسان لِقلَّة حروفهما ورشاقتهما، وأما الثقل فهو حقيقة

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

عند أهل السنة إذ الأعمال تتجسم كما مر، وفيه حثٌّ على المواظبة عليهما وإشارة إلى أن سائر التكاليف صعبة شاقة على النفوس، وهذه خفيفة سهلة عليها مع أنها تثقل في الميزان، وقد رُوِي في الآثار أن عيسى عليه الصلاة والسلام سُئِل: ما بال الحسنة تثقل والسيئة تَخِف؟ فقال: «لأن الحسنة حضرت مرارتها وغابت حلاوتها فثُقَلت فلا يحملنك ثقلها على تركها، والسيئة حضرت حلاوتها وغابت مرارتها فلذلك خفت عليك فلا يحملنَّك على فعلها خفتها فإن بذلك تخف الموازين يوم القيامة»، ويستفاد من هذا الحديث أن مثل هذا السجع جائز وأن المنهي عنه في قوله ﷺ: «سجع كسجع الكهان» ما كان مكلفاً أو متضمناً للباطل لا ما جاء من غير قصد أو تضمن حقاً، ويؤخذ من ذلك أن السجع ليس بشعر فلا يوزن على أن الممنوع منه ﷺ ما كان عن قصد كما تقدم، هذا وقد جاء التسبيح والتحميد في السنة على أنواع شتى ففي مسلم عن سمرة مرفوعاً: «أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أي هي أفضل الذكر بعد القرآن ولذلك كانت غراس الجنة كما ورد في حديث الإسرار وفي الترمذي أنه ﷺ قال: «التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه ولا إله إلا الله ليس لها حجاب دون الله حتى تخلص إليه» وهذا يحتمل أن يراد به التسوية بين التسبيح والتحميد في أن كلاً منهما يأخذ نصف الميزان فيملآن الميزان معاً، وأن يراد به تفضيل الحمد على التسبيح وأنه وحده يملأ الميزان لأنَّ الأول دلَّ على التنزيه والثاني عليه وعلى التحميد، إذ لا يستحق الحمد المطلق إلا من كان مبرءاً عن النقائص، وفي مسلم عن جويرية أنه ﷺ صلَّى الصبح وخرج وتركها في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وجدها جالسةً فقال لها: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم، قال ﷺ: «لقد قُلْتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لو زنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزِنَةَ عرشه ومداد كلماته» وعن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة بين يديها نَوَى أو حصى تسبح به، فقال: «لا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك». وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»، وظاهره حصول ذلك لمن قالها متواليةً أو متفرقة، في مجلس أو مجالس، في أول النهار وآخره، لكنَّ الأفضل أن تكون متوالية والظاهر أن هذه الفضائل الواردة في التسبيح ونحوه تحصل لكل ذاكرٍ وإن لم يكن من أهل الدين والصلاح، لأن فضل الله تعالى واسع، وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

الله ﷺ: «لقيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر». والقيعان جمع قاع وهو المستوي من الأرض والغِراس بمعنى ما يُغْرَس، وهذا يدل على أن أرض الجنة خالية عن الأشجار والقصور، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ [المائدة: ١١٩] وقوله تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣] فإنّ ذلك يدل على أنها غير خالية، على أنها إنما سميت جنةً لأشجارها المتكاثفة المُظِلَّة بالتفاف أغصانها، فتركيب الجنة دائر على معنى الستر وأنها مخلوقة معدة وأجيب بأنها كانت قيعان بحسب الأصل، ثم إن الله تعالى أوجد بفضله وسعة رحمته فيها أشجاراً وقصوراً على حسب أعمال العاملين، لكل عامل ما يختص به بحسب عمله، ونسب الغرس إلى العبد لأن الله تعالى لما يسره لما خُلِقَ له من العمل لينال به ذلك الثواب جعله كالغارس لتلك الأشجار على سبيل المجاز إطلاقاً للسبب على المسبب، أي أنه لما كان سبَّبَ إيجاد الله تعالى الأشجار عمل العامل أسند الغراس إليه، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلى صلاةً إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت: يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي صلاةً إلا ختمت بهؤلاء الكلمات، قال: نعم من قال خيراً كان طابعاً له على ذلك، ومن قال سوءاً كانت كفارة له: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» رواه النَّسائي في عمل يوم وليلةٍ، وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وإنما ختم المصنف كتابه بهذا الحديث المشتمل على الحمد بعد التسبيح لأنه آخر دعوى أهل الجنة، قال الله تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس: ١٠] قال القاضي: لعل المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال، ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز بأصناف الكرامات، فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام انتهى. والظاهر أن يضاف السلام إلى الله تعالى إكراماً لأهل الجنة كما يدل له قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] أي يسلم عليهم بغير واسطة مبالغةً في تعظيمهم وإكرامهم، ويدل له أيضاً ما رواه ابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ سبحانه وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة قال: وذلك قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يونس: ٥٨] قال: فينظر إليهم

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره»، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وقد آن لنا أن نثني عنان القلم ونستغفر الله من الزلل ومما وقع في هذا الشرح من الخطأ والخلل، ملتمساً ممن أطلع عليه من الفضلاء أن يصلحه بأحسن عبارةٍ فإنَّ من صنَّف فقد استُهدف، وقال بعضهم: من صنَّف فقد وضع عقله في طبقٍ وعرضه على الناس، واللَّهَ أسأل أن يكون سبباً إلى رضاه والجنة وأن يجعله في حَيِّز القبول وأن ينفع به إلى يوم القيامة، قال مؤلفه خاتمة المحققين وعمدة الطالبين: وقد وافق الفراغ من تأليفه يوم الأحد المبارك نصف شهر شعبان سنة ألف ومائتين وأحد عشر بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأما المتن فقد قال مؤلفه وهو أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزَّبِيْدِي فرغت من تجريده يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان المكرَّم أحد شهور سنة تسع وثمانين وثمانمائة والحمد لله وحد والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

# فهرس المحتويات